بؤس التنوير

نقد شبهات و أكذوبات

أيلال رشيد

حول البخاري و صحيحه

عبد الحميد بن محمد المير

imambokhari.blogspot.com

بؤس التنوير

عبد الحميد بن محمد المير

الإصدار الأول . 2018

مركز قرطبة لدراسات الحضارة الإسلامية

CORDOBA CENTER FOR ISLAMIC CIVILIZATION STUDIES

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، و على آله و صحبه .

و بعد

فلا زالت السنة النبوية محفوظة منذ نطق بها النبي الأكرم ، و سمعها الصحابة و وعوها حفظا و فهما و فقها و عملا . ثم بلغوها إلى من جاء بعدهم من التابعين ، و بلغها التابعون الى أتباعهم و هلم جرا ..

و إشتهرت في القرن الأول صحائف و أجزاء مكتوبة ، تلا ذلك مرحلة الجمع و التدوين و التصنيف و ظهور الموسوعات الحديثية . على أيدي كبار العلماء المحدثين كابن شهاب الزهري و مالك و الثوري و أحمد و طبقتهم .

ثم هيأ الله النابغة الإمام البخاري الذي قام بمهمة جمع و انتقاء صحيح الحديث النبوي ، فألف جامعه الصحيح الذي إمتاز بحسن التبويب و الإيراد و الإنتقاء . فحدث به في بلدان كثيرة أزيد من عشرين سنة ، و فحصه خلال هذه المدة و بعدها كبار النقاد ، فلم يجدوا فيه مغمزا يغض من قيمته و شأنه إلا أحاديث قليلة ، أجاب عنها العلماء . مما زاد الجامع الصحيح قوة و صحة لتلقي علماء الأمة له بالقبول و التسليم .

و قد حاول أعداء السنة قديما تهوين حجية السنة و اسقاطها ، فطعنوا في رواتها و حملتها ، و على رأسهم إمام الطائفة و أميرها محمد بن إسماعيل البخاري . فشنوا عليه حروبا قذرة هوجاء طعنا في شخصه و في كتابه .

و لم تكن بلاد المغرب الأقصى بمعزل عن هذه الحرب ، فقد نبتت نابتة سوء ، لم يعرفوا من قبل بعلم و لا بحث و لا مشاركة ، و ليس لهم في العلم الشرعي نصيب . قدموا أنفسهم كأصحاب الفكر المستنير الحداثي العقلاني .

و من هؤلاء صحفي مغمور جمع مادة كتابه من الأنترنيت كحاطب ليل ، فملأ صفحاته طعنا في البخاري و صحيحه . متبجحا أنه أسقط أسطورة البخاري من برجها العالي الذي و ضعه فيه الشيوخ حتى يتسنى لهم إختراع و تأليف الأحاديث ثم نسبتها للنبي . مما جعله يحكم بالكذب على أحاديث الصحيح بدعوى مخالفتها للقرآن و العلم و إساءتها للنبي .

ثم خلص أن كتاب " الجامع الصحيح " ليس من تأليف البخاري و أنه كتاب لقيط ..

و قد هب جمع من العلماء و الأساتذة الأفاضل للدفاع عن البخاري و جامعه ، و رد شبهات و أكذوبات أيلال ، و كتبوا جملة من الردود العلمية يكمل بعضها بعضا . و في هذا السياق جاء كتابنا ليسد بعض الثغرات ، و ينسف شبه أيلال ، و يكشف جهالاته الفاضحات .

و الله من وراء القصد .

عبد الحميد بن محمد المير

مقدمات ...

العقل و النص

ما هو العقل الصريح الذي يريده الحداثيون

باحث مبتدئ .. و مئات الأحاديث المنتقدة

هل فعلا جهد سنوات أم سرقة لمجهود الغير ؟

عقلانيون أم راونديون جدد ؟

بين العقل و النص

قال أيلال : " يعيش العالم الإسلامي اليوم ، حركة غير مسبوقة في انتقاد التراث الديني ، تناولت جميع المرويات المنسوبة للرسول الكريم ، بالمناقشة والتمحيص ، على أوسع نطاق . لما حملته هاته المرويات من تناقضات ، وخرافات ، ومعارضة لمقتضيات المنطق والعقل ، ومعارضتها أيضا لصريح النصوص القرآنية ، في الكثير من المضامين . بل إن النقاش انتقل من الوسط الفكري ، الذي يضم العديد من المثقفين و الباحثين ، إلى الوسط الديني أيضا داخل بعض المؤسسات ذات الطابع الديني . حيث تخرج من هاته المؤسسات فقهاء ومحدثون –من الأزهر مثلا– بدأوا يناقشون هاته المرويات و يمحصونها، و يأخذون منها و يدعون و ينتقدون ، فتم التعامل مع هاته النصوص ، على أساس انها نصوص تاريخية ، لا قدسية لها، و شرع هؤلاء في تمحيصها بنفس الأليات العلمية و العقلانية التي يتم بها مناقشة و تمحيص النصوص التاريخية .

و مما ساعد على هاته الحركة الفكرية بخصوص انتقاد التراث الديني، ما يعيشه العالم اليوم من ثورة علمية غير مسبوقة أيضا، جعلت العقل البشري يتبوأ مكانة السيادة والريادة في جميع المجالات، فاتحا مستقبل البشرية جمعاء ،على آفاق واسعة من التقدم المذهل في شتى ميادين الحياة ،بل إن تقدم الوسائل والوسائط والتكنولوجيا العلمية مكنت البشرية من التعرف على الماضي في كلياته، وحتى السحيق منه، وكأنها تعيش تلك العصور البائدة، كما ساعدت تلك الوسائل على التحقق من مصداقية الروايات التاريخية، و الأعمال المنجزة في هذا الصدد قبل قرون.

ومن الكتب التراثية التي لقيت انتقادا كبيرا منذ تأليفها كتاب «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمُور رسول الله سلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه »الشهير بالجامع الصحيح أو صحيح البخاري ،حيث أُنجزت العديد من الدراسات والبحوث والتحقيقات التي تناولته بالانتقاد، لإبراز الأحاديث والآثار الواردة فيه ،سيما الأحاديث المناقضة للعقل والعلم والقرآن، والأحاديث المنحولة والمأخوذة من الإسرائيليات، وغيرها من البحوث التي سار معها« صحيح البخاري» من أكثر الكتب إثارة للجدل على مرّ التاريخ الإسلامي. [1]

سلك أيلال مسلك المتبجّح بسلطة العقل على النقل، إذ " العقل " عنده " الحكَم الفصْل " في فهم الحديث النبوي، فما خالف " العقل " من الحديث ولم يفهمه فهو " خرافةٌ " و" أسطورة " و" أكذوبة " و" إسرائيلية " .. و غالى ناشر كتاب الأسطورة في ص12 إن كتاب صحيح البخاري نهاية الأسطورة كتاب العقل!!!

العقل المفصول:

وأحب أن أقول، قبل مناقشة هذه المسالك في الطعن، أن ما أحس به هؤلاء الطاعنون عند التعرف على أحاديث صحيحة مشكلة في الفهم، من حيرة وتعارض، ليس خاصا بهم فقط، بل أحس بذلك غير الطاعنين أيضا، لكنهم لم يطعنوا، فما السر في ذلك؟

هل يكون السبب هو قوة عقول الطاعنين وضعفها عند غيرهم؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل يعني أن قوة العقل تقاس باكتشاف التعارض فقط، فيكونغير الطاعن إذن، أحد شخصين: إما عاجز عن إدراك التعارض، وإما مدرك له ولكنه ساكت

[1] ص 7-8

عنه على مضض. والافتراض الثاني باطل – أي سكوته على مضض– لأن واقع غير الطاعنين، شاهد بأنهم لم يسكتوا عنه، بل خاضوا فيه وأجابوا عنه بما يرفعه.

إذن، فليست قوة العقل خاصة بالطاعن، فما السر إذن؟

هل يكون السبب هو أن عقل غير الطاعن متهافت، أي يقبل الشيء وما يعارضه، وإذا كان الأمر كذلك، فهل يعني أن دعوى القدرة على الجمع بين المتعارضين في آن واحد، ضيق في العقل وتلبس بالوهم، فيكون الطاعن إذن، أحد شخصين: إما عاجز عن تصور إمكانات الجمع بين المتعارضين ظاهرا، وإما مستقيم العقل واسعه. والافتراض الثاني باطل، أي كونه واسع العقل، لأن واقع الطاعنين، شاهد بأنهم أضيق خاطرا وأعجل تفكيرا، من فتح إمكانات التأمل إلى مداها، حتى يأتلف في العقل ما يوحي ظاهره بالاختلاف.

نحن إذن بين أطروحتين: فما الأدلُّ على قوة العقل واستقامته؟ هل قدرته على النفي أو على الإثبات، عند تشابك الحقائق؟ أي هل يكون أقوى، حينما يقف حكما بين أمرين، فيقضي لأحدهما على الآخر، فيكون نفيُ المقضي عليه، هو نفسَ التعقل . أو هل يكون أقوى، حينما يقضي لكل الأمرين بما يستحقه كل منهما، فيكون إثباتُهما معا، هو نفسَ تعقله؟ وبمعنى آخر، هل فعل التعقل ألصق بالنفي الذي يشبه الهدم، أو ألصق بالإثبات الذي يشبه البناء؟

حينما نراجع الكتب المصنفة في مشكل القرءان ومختلف الحديث، وقد بدأ التصنيف فيها منذ أكثر من اثني عشر قرنا، نقف على القدرة البنائية الهائلة، في التوفيق بين ما يبدو متعارضا من النصوص، أو متعارضا مع دعوى العقل، بما يدل

على أن أوْلَى الأطروحتين بالاعتبار عند المسلمين، هي الأطروحة الثانية، أي تتبع سائر الإمكانات العقلية في اعتبار المعارف والحقائق، بما يضع كل حقيقة في موضعها، فلا يُنفى منها إلا ما لا سبيل لإثباته مطلقا، وهو المستحيل الحقيقي كما هو معلوم في المنطق.

وهذه الأطروحة ذاتها، هي التي كانت حافزا لتطوير سائر العلوم. ألم يستقر في المنطق الأرسطي مبدأ الثالث المرفوع ومبدأ التناقض، حتى كان القبول بأحد المبدأين، قبولا بالحمق والجنون، إلى أن أتيح للعقل أن يوسع من مداركه، ويخرج من قبضة هذا المنطق، فصار القول بإثبات الثالث المرفوع، وبافتراض أن الكل ليس أكبر من الجزء، في حيز عقلي أرحب من حيز العقل الأرسطي، أولى بالتعقل ممن لا يزال يجذب الثورة العلمية إلى الوراء، وينتصر للمنطق الأرسطي العقيم. أو كما فعل بنو إسرائيل حين قالوا لموسى عليه السلام: (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً)، فحصروا الموجود في المحسوس، وأراحوا أنفسهم من تعب التفكير.

فإذا علمنا أن المسلمين حركوا المنطق إلى الأمام، وابتكروا فيه أبحاثا غير مسبوقة، وقل مثل ذلك عن الرياضيات والطب والفلك وغيرها، فإن ذلك راجع إلى تبني الأطروحة الأمثل في تصور قدرات العقل الممكنة، وليس هذا التبني، إلا ثمرة من ثمرات الممارسة العقلية، في فك التعارض الظاهر بين نصوص الوحي المعصوم.

ولهذا فإن قيل: لم ورد في الوحي ما يوهم التعارض بين أجزائه؟ قلنا: أقل ما في ذلك من الحكمة، بيان فضل العلماء على العامة، وتمرين العقل على استثمار كل إمكاناته المخلوقة فيه. ولئن سلمنا للطاعنين في الحديث الصحيح، كونَ بعضه مخالفا للعقل أو للقرءان، فما قولهم في متشابه القرءان نفسه؟ هل نزيله من القرءان أو

ماذا ؟ فإن قيل لا نقول بإزالته، بل نفهمه في سياق محكمه. قلنا: وكذلك نقول في السنة، لا نطعن في متشابهها، بل نفهمه في سياق محكمها.[1]

ما هو العقل الصريح الذي يريده الحداثيون ؟ وما حدوده، وما مدى الاتفاق عليه؟

قد أجاب العلامة السباعي عن هذا التساؤل في معرض مناقشته لشبه و دعاوى أبي رية ، و ننقله لنفاسته ، قال رحمه الله : " لئن كان يريد من العقل الصريح ما يقبله العقل من بدهيات الأمور، فهذا أمر واقع في تاريخ السنة، فقد وضع أئمة النقد من علماء الحديث علامات لمعرفة الحديث الموضوع، منها: «أن يكون متنه مخالفا لبداهة العقول وللمقطوع به من الدين أو التاريخ أو الطب أو غير ذلك» وعلى هذا نفوا آلافا من الأحاديث وحكموا عليها بالوضع.

ولئن كان يريد غير هذا مما يستغربه «العقل»، فإن «استغراب» العقل شيئا أمر نسبي يتبع الثقافة والبيئة وغير ذلك مما لا يضبطه ضابط ولا يحدده مقياس. وكثيرا ما يكون الشيء مستغربا عند إنسان، طبيعيا عند إنسان آخر ولا يزال الذين سمعوا بالسيارة في بلادنا، واستغربوها قبل أن يروها، لأنها تسير من غير خيول تقودها، في حين كانت عند الغربيين أمرا مألوفا عاديا. والبدوي في الصحراء كان «يستغرب» ما يقولونه عن المذياع «الراديو» في المدن، ويعده كذبة من أكاذيب الحضريين. فلما سمع الراديو لأول مرة ظن أن «الشيطان» هو الذي يتكلم فيه، كما يظن الطفل أن الذي يتكلم إنسان ثاو فيه.

[1] د. محمد السائح :صحيح البخاري وبؤس الطاعنين
الإثنين, 13 تشرين2/نوفمبر 2017
https://www.alislah.ma

ومن المقرر في الإسلام أنه ليس فيه «ما يرفضه» العقل ويحكم باستحالته، ولكن فيه – كما في كل دين سماوي – أمور قد «يستغربها» العقل ولا يستطيع أن يتصورها، كأمور النبوات والحشر والنشر، والجنة والنار. وشأن المسلم إذا سمع خبرا ما، أن يرفض ما يرفضه العقل، ويتأنى فيما «يستغربه» حتى يتيقن من صدقه أو كذبه.

وطريق التيقن (أو العلم) في الإسلام أحد أمور ثلاثة:

1 – إما الخبر الصادق الذي يتيقن السامع من صدق مخبره، كأخبار الله في كتبه وأخبار الأنبياء.

2 – وإما التجربة والمشاهدة بعد التأكد من سلامة التجربة فيما يقع تحت التجربة والاختبار.

3 – وإما حكم العقل فيما ليس فيه خبر صحيح ولا تجربة مشاهدة.

ومن إعجاز القرآن أنه وضع هذه القواعد الثلاثة لتحقق «العلم» أو اليقين، في هذه الآية الكريمة: {ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا}. و من تمام الإعجاز في هذه الآية أنها جاءت مرتبة هكذا: الخبر الصادق (السمع) ثم التجربة (البصر) ثم المحاكمة العقلية (الفؤاد) على أنها هي (العناصر) الثلاثة التي ينشأ عنها كل علم، ولن تجد في الحياة «علما» لا ينشأ من عنصر هذه العناصر.

والقرآن يعتبر أن ما يقوم على غير هذه العناصر، لا يسمى «علما» بل هو إما الظن «غلبة احتمال الشيء»، وإما الوهم والخيال.

ونصوص الشريعة، ما كان منها من أصول العقيدة فلا بد فيها من العلم وهو «التيقن الجازم المطابق للواقع عن دليل» كالإيمان بالله وصفاته، والنبوات والأنبياء، والملائكة، والجنة والنار.

وما كان منها، من فروع الشريعة (الأحكام العملية) فيكفي فيها الظن، لأن اشتراط

العلم فيها غير متحقق في كثير منها، وهذا مسلم به لدى الدارسين للشريعة وعلومها.

والأحاديث التي صححها علماؤنا – رحمهم الله – ليس فيها ما يرفضه العقل أو يحيله لأنها إما أن تتعلق بأمور العقيدة، وهذه يجب أن تتفق مع القرآن، وقد قلنا بأننا نقطع أن ليس في القرآن شيء يحكم العقل بفساده أو بطلانه أو استحالته، وإما أن تتعلق بالأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وآداب وغيرها، وليس في حديث من هذه الأحاديث التي صححها علماؤنا ما يرفضه العقل أو يحكم باستحالته، وإما أن تكون أخبارا عن الأمم الماضية أو أخبارا عن عالم الغيب مما لا يقع تحت النظر كشؤون السماوات والحشر والجنة والنار، وهذه ليس فيها ما يحكم العقل ببطلانه، وقد يكون فيها ما لا يدركه العقل فيستغربه.

فإذا جاءت عن طريق ثابت يفيد القطع فيجب اعتقادها، وإن جاءت عن طريق يفيد غلبة الظن فليس من شأن المسلم أن يبادر إلى تكذيبها.

وبهذا نرى أن فريقا كبيرا من الناس لا يفرقون بين ما يرفضه العقل، وبين ما يستغربه، فيساوون بينهما في سرعة الإنكار والتكذيب، مع أن حكم العقل فيما يرفضه، ناشئ من استحالته، وحكم العقل فيما يستغربه، ناشئ من «عدم القدرة على تصوره» وفرق كبير بين ما يستحيل وبين ما لا يدرك.

على أننا نرى من الاستقراء التاريخي، وتتبع التطور العلمي والفكري، أن كثيرا مما كان غامضا على العقول أصبح مفهوما واضحا، بل إن كثيرا مما كان يعتبر حقيقة من الحقائق أصبح خرافة من الخرافات، وما كان مستحيلا بالأمس أصبح اليوم واقعا. ولا تحوجنا الأمثلة لذلك، فنحن نعيش في عصر استطاع فيه الإنسان أن

يكتشف القمر بصواريخه. وهو الآن يستعد للنزول فيه وفي غيره من الكواكب، ولو أن إنسانا فكر في مثل هذا في القرون الوسطى أو منذ مائة سنة لعد من المجانين.

والذين ينادون بتحكيم العقل في صحة الحديث أو كذبه، لا نراهم يفرقون بين المستحيل، وبين «المستغرب» فيبادرون إلى تكذيب كل ما يبدو غريبا في عقولهم.

وهذا تهور طائش ناتج من اغترارهم بعقولهم من جهة، ومن اغترارهم بسلطان العقل، ومدى صحة حكمه فيما لا يقع تحت سلطانه من جهة أخرى.

ونحن نرى أن أكثر ما يستندون إليه في تكذيب ما صححه الجمهور، إنما هي أحاديث تتعلق، إما بأخبار الأمم الماضية، وإما بالأمور الغيبية.

وخذ لذلك مثلا مما ذكره «أبو رية»، نموذجا لبعض ما رواه أبو هريرة ليؤكد دعواه كذب أبي هريرة في الحديث، ونسبته ما أخذه من الإسرائيليات إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أخرج " مسلم " عن أبي هريرة، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة».

هذا ما استغربه، بل مما ادعى «ضمنا» كذبه، لأنه من رواية أبي هريرة عن الرسول، وقد كان أبو هريرة – في زعمه – ينسب ما سمعه من كعب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

ولك أن تسأل أبا رية: ما وجه الغرابة في هذا الحديث؟ ألأنه ذكر أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة؟ أليست الجنة من أمور الغيب؟ هل استطاع أن يعرف ما فيها، إلا مما عرفنا الله ورسوله إياه؟ أليس في عالم الشهادة ما استطاع العلم أن يكشف من عظمته، واتساعه ما لا يكاد يتصوره العقل؟ ألا يحدثنا علماء الفلك الآن عن كبر حجم الشمس بالنسبة إلى أرضنا أكثر من مليون مرة،

والشمس إحدى ملايين الشموس التي تكبر شمسنا هذه بملايين المرات؟ ألا يحدثنا هؤلاء العلماء عن شموس في هذا الفضاء الرحيب، لم يصل إلى الأرض نورها حتى الآن منذ مليون أو أكثر من السنوات الضوئية؟ أيصدق العقل مثل هذه الأمور العلمية التي يكشف عنها العلماء في هذا العصر، لولا أنها مما يذيعه أولئك العلماء؟ فيا عجبا كيف يصدق «أبو رية» أن يعرف العلماء سعة هذا الكون العجيب إلى حد لا يصل إليه خيال أكبر عقل إنساني على وجه الأرض؟ ثم هو لا يصدق أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – المتصل بوحي السماء، المستمد علمه من علم الله خالق هذا الكون العجيب – يقول: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة»؟.

وما هي هذه السنون المائة بجانب هذه الملايين من السنين الضوئية؟!

ليست المشكلة مع «أبي رية» وأضرابه مشكلة استعمال العقل أو تركه، ولا هي مشكلة تأليه العقل المخلوق، أو عبوديته للخالق؟ إن هؤلاء «الأحرار»، «العباقرة» في الشريعة يريدون أن «يؤلهوا» عقولهم معها،

وخذ لذلك مثلا آخر مما أنكره على أبي هريرة، وقد رواه " البخاري "، و" مسلم ": «تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض» .

ونحن لا ندري ما وجه الاستنكار لهذا الحديث ؟

إن كان وجه الإنكار، هو أن الله يضع «رجله» ففي القرآن جاء إثبات اليد، والوجه، والعين، والمجيء وغير ذلك لله تعالى، ومذاهب العلماء معروفة في مثل هذه الألفاظ، فالسلف يقولون بها من غير تأويل مع تنزيه الله عن مشابهته للبشر في شيء ما، والخلف يذهبون إلى تأويل اليد بالقدرة مثلا، تمشيا مع مبدأ تنزيه الله عن مشابهة البشر، وهو المبدأ الذي يسلم به الجميع. فما يقال في القرآن يقال مثله في الحديث.

وإن كان الاستنكار لتكلم الجنة والنار، فقد جاء في القرآن أن الله قال للسماوات والأرض: {ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين}.[1]

وإن كان وجه الإنكار، أو «الاستغراب» أن يأتي الله إلى النار، فإن القرآن أثبت المجيء، يوم القيامة بقوله: {وجاء ربك والملك صفا صفا}[2].

وفي القرآن الكريم أيضا: {يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد}[3].

وبالجملة، فإن تحكيم العقل في مسألة الألوهية، وصفاتها من سخافة العقل نفسه، ولا تؤدي عند هؤلاء المغترين بعقولهم، إلا إلى الإلحاد غالبا، فخير للعقل أن يفكر فيما يستطيع التفكير فيه، وإذا كان العقل لا يزال عاجزا عن معرفة سر الحياة في الإنسان نفسه، وعن الإحاطة بجزء كحبة الرمل من صحراء هذا الكون العجيب، فكيف يستطيع أن يعلم حقيقة خالق هذا الكون كله؟ أترى تستطيع النملة التي تدب في سفح جبال هملايا أن تحيط بارتفاع هذه الجبال وسعتها وقطرها؟ رضي الله عن الشاعر أحمد الصافي النجفي، حين يقول فيما سمعته منه:

يعترض العقل على خالق * ... * ... * من بعض مخلوقاته العقل

---

[1] [سورة فصلت، الآية: 11].
[2] [سورة الفجر، الآية: 22].
[3] [سورة ق، الآية: 30].

وللنظر إلى المسألة من ناحية أخرى :لنفرض أن تحكيم العقل في الأحاديث هو الصواب، فنحن نسأل: أي عقل هذا الذي تريدون أن تحكموه؟

أعقل الفلاسفة؟ إنهم مختلفون، وما من متأخر منهم إلا وهو ينقض قول من سبقه.

أعقل الأدباء؟ إنه ليس من شأنهم، فإن عنايتهم – عفا الله عنهم – بالنوادر والحكايات.

أعقل علماء الطب، أو الهندسة، أو الرياضيات؟ ما لهم ولهذا؟

أعقل المحدثين؟ إنه لم يعجبكم، بل إنكم تتهمونهم بالغباوة والبساطة.

أعقل الفقهاء؟؟ إنهم مذاهب متعددة، وعقليتهم – في رأيكم – كعقلية المحدثين.

أعقل الملحدين؟ إنهم يريدون أن إيمانكم بوجود الله، جهل منكم وخرافة.

أعقل المؤمنين بوجود الله؟ تعالوا نر طوائفهم:

إن منهم: من يرى أن الله يحل في إنسان فيصبح إلها!

ومنهم: من يرى أن روح الله تتقمص في جسد، فيكون إلها!

ومنهم: من يرى أن الله ومخلوقاته في وحدة كاملة!

ومنهم: من يرى أن الله ذو ثلاثة أقانيم في ذات واحدة!

ومنهم: من يرى البقر والفأر والقرد يجب أن يتوجه إليها بالعبادة!

ستقولون: إننا نريد تحكيم عقل المؤمنين بإله واحد في دين الإسلام.

فنحن نسألكم: عقل أي مذهب من مذاهبهم ترتضون؟

أعقل أهل السنة والجماعة؟ هذا لا يرضي الشيعة، ولا المعتزلة.

أم عقل الشيعة؟ هذا لا يرضي أهل السنة، ولا الخوارج.

أم عقل المعتزلة؟ إنه لا يرضى جمهور طوائف المسلمين!

فأي عقل ترتضون؟

سيقول أبو رية: « إنني أرتضي عقل المعتزلة، لأنهم أصحاب العقول الصريحة » و نحن سنعرض على أبي رية مثالا لما رفضه عقل المعتزلة من حديث:يحكي ابن قتيبة في كتابه " تأويل مختلف الحديث " أن مما رده المعتزلة حديث «إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بأصواع من شعير» فقد قالوا فيه بأنه حديث يكذبه النظر (1) (أي النظر العقلي) ثم شرح ابن قتيبة رأيهم هذا بما تستطيع الرد عليه بأيسر الرد وأقربه إلى العقل والنظر ...

فما رأي «أبي رية» وأضرابه في إنكار عقل المعتزلة لمثل هذا الحديث؟ على أن ابن قتيبة تتبع كل ما أنكرته عقولهم من الأحاديث، وأجاب عنها بأجوبة حالفه التوفيق في أكثرها. وللأحاديث التي نرى أنه لم يوفق في الإجابة عنها أجوبة للعلماء مقبولة معقولة، وإني سأضرب للقارئ مثلا عن هذا النقاش الذي دار بين عقل ابن قتيبة «المحدث» وبين عقل فلان «المعتزلي».

قال ابن قتيبة:

قالوا (أي المعتزلة): حديث يفسد أوله آخره، رويتم عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «إذا قام أحدكم من منامه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده» قالوا: وهذا الحديث جائز لولا قوله: «فإنه لا يدري أين باتت يده» وما منا من أحد إلا وقد درى أن يده باتت حيث بات بدنه وحيث باتت رجله وأذنه وأنفه وسائر أعضائه، وأشد الأمور أن يكون مس بها فرجه في نومه، ولو أن رجلا مس فرجه في يقظته، لما نقض ذلك من طهارته، فكيف بأن يمسه وهو لا يعلم. والله لا يؤاخذ الناس بما لا يعلمون، فإن النائم قد يهجر (أي يهذي) في نومه فيطلق ويكفر ويفتري، ثم لا يكون بشيء من ذلك مؤاخذا في أحكام الدنيا ولا في أحكام الآخرة.

فأجاب ابن قتيبة بقوله: « و نحن نقول: إن هذا النظار علم شيئا وغابت عنه أشياء، أما علم أن كثيرا من أهل الفقه قد ذهبوا إلى أن الوضوء يجب من مس الفرج في المنام وفي اليقظة بهذا الحديث وبالحديث الآخر " من مس فرجه فليتوضأ " وإن كنا نحن لا نذهب إلى ذلك، ونرى أن الوضوء الذي أمر به من مس فرجه، غسل اليد، لأن الفروج مخارج الحدث والنجاسات. إلى أن يقول: فإذا كان الوضوء من مس الفرج هو غسل اليدين تبين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمر المستيقظ من منامه أن يغسل يده قبل أن يدخلها الإناء لأنه لا يدري أين باتت يده، يقول: لعله في منامه مس بها فرجه أو دبره .. وليس يؤمن أن يصيب يده شيء من النجاسات .. وخص النائم بهذا، لأن النائم قد تقع يده على هذه المواضع وهو لا يشعر، فأما اليقظان فإنه إذا لمس شيئا من هذه المواضع فأصاب يده منه أذى علم به ولم يذهب عليه فيغسلها قبل أن يدخلها في الإناء أو يأكل أو يصافح ». اهـ. هذا مثل العقل المعتزلي «الصريح» وعقل المحدث «الضعيف».

وأزيد على ذلك أن مبادئ الصحة العامة تجعل عقل الطبيب في هذه المسألة يؤيد عقل المحدث، لا عقل المعتزلي.

وقصارى القول أن أئمة الحديث وفقهاء المسلمين لم يلغوا عقولهم عند تصحيح الأحاديث، وإنما أوقفوها عند الحد الذي يجب أن تقف عنده بحكم الشرع، وبحكم العقلاء غير «المغرورين» بعقولهم.[1]

[1] السنة لمصطفى السباعي 34-41

باحث مبتدئ .. و مئات الأحاديث المنتقدة

باحث مبتدئ .. و مئات الأحاديث المنتقدة !!

قال أيلال : " وأنا كغيري من الباحثين توجهت في بداياتي إلى التنقيب في هاته الأحاديث المروية في صحيح البخاري ،فوجدت أن المئات منها تحبل بكوارث خطيرة، فمنها ما يسيء إلى مقام الألوهية، ومنها ما يسيء إلى مقام النبوة، منها ما يسيء إلى مقام الإنسان نفسه والمرأة على وجه الخصوص " . ص 8

إنه لمن المضحك المبكي أن يقتحم صحفي ميدانا ليس بميدانه ، و لا علما ليس من أهله ، دون تكوين علمي رصين ، يمكنه من الاحاطة بجميع جوانب الموضوع قيد الدراسة و البحث ، هذا أقل ما يطلب ممن يريد التحدث في مسألة علمية ما ، فكيف بالخوض في علم دقيق لا يدخل غماره الا الفحول من العلماء .

ثم إن الباحث قد زعم أنه في بدايات تنقيبه قد وقف على المئات من الأحاديث التي تحبل بالكوارث ، فمن يصدق هذه الادعاءات الباطلة .. باحث في بداياته يقف على المئات !! لم يقل خمسة أو عشرة أو عشرون ..أو مئة ، بل مئات ..!! ثم أين هذه المئات المزعومة ؟ فالواجب الشرعي و العلمي يحتم عليه نشرها تنقية لصحيح البخاري منها و تحذيرا للأمة من العمل بها . ثم عليه أن يبين لنا منهجه العلمي الذي توصل من خلاله الى معرفة هذا الكم الهائل من المرويات التي تحبل بالكوارث ! هل طبق عليها منهج علماء الحديث في دراسة اسانيد ومتون المرويات ، أم ابتكر منهجا علميا حديثا استطاع من خلاله نقد هذه المرويات ؟ و هل عرض هذا المنهج على المختصين للإبداء رأيهم في مدى علميته و نجاعة أبحاثه ؟

لا نعلم شيئا من هذا كله الا احتكامه لعقله و ذوقه و سطوه على أبحاث الغير و نسبتها لنفسه .. مع ما تخلل ذلك من سوء لسانه و فحشه مع المخالف .. و ما تخلل ذلك من شتم و إطلاق للألقاب المنفرة و المحقرة لخصومه من قبيل : نبز العلماء بأنهم جعلوا من

هل فعلا جهد سنوات ؟

صحيح البحخاري : "كتاب فوق النقد ، و فوق العلم ، و فوق العقل ، بل فوق القرآن نفسه لدى معظم الشيوخ .."

لقد اصطدم جل من اطلع على مضامين الكتاب بهذه العبارة التي طرز بها ناشر الكتاب الغلاف : " و إن كان المؤلف لم يأت بشيء من عنده ، فإنه بذل جهدا مضنيا في البحث و التنقيب ، الذي أخذ منه سنوات من الوقت " ، الأمر الذي دفع العديد منهم الى التشكيك في مصداقية هذا الزعم .

قال الأستاذ يوسف سمرين : " صدقت بالشطر الأول من كلامهم أول ما طالعت الكتاب ، و لكن التساؤل تعلق بالشطر الثاني ، و هو الحديث عن جهد سنوات من البحث و التنقيب ، و هذا يصطدم بالمراجع المذكورة في الكتاب و طريقة التوثيق ، مما يدفع الى السؤال: هل هو جهد سنوات كما قيل في التقديم ؟ فإن كان هذا صحيحا فهذا يعني أن شبكة الأنترنيت عنده ضعيفة جدا ."[1]

أما الدكتور الكنبوري فقد قال : لاحظت من قبل أن أسلوب الكتاب أسلوب ضعيف جدا، وقلت إن أسلوب صاحبه ‘‘ليس أسلوب كاتب متمرس فضلا عن أن يكون أسلوب باحث’’. وكتبت أيضا بأن ما سطره صاحبنا منقول من هنا وهناك وأن الأنترنت مليئ بتلك الأمور التي يمكن أن تساعدك على ‘‘تأليف’’ كتاب ضخم عن البخاري وليس فقط كتاب بهذا الحجم. فقد كنت على يقين بأن الكتاب مسروق.
وحين عدت اليوم للقراءة سطعت أمامي هذه العبارة:’’وقد أطال النفس في ذلك وقال ما هذه خلاصته’’. فقلت في نفسي: محال أن يكون هذا التعبير الأدبي الراقي لصاحب الكتاب، وأنا أرى أن مكتوبه مليئ بالأخطاء وأن أسلوبه دون المستوى.[2]

و هذا شيء من مراجع و التي قد ينقل عنها صفحات كاملة و طريقة التوثيق :

---

[1] بيع الوهم تهافت طرح رشيد أيلال عن صحيح البخاري . القدس 2017 ص 9
[2] مقال : هذا بيان للناس

1- ورد في موقع الألوكة تعليق على القصة من طرف أحد المعلقين[1] .

2- سأنقل لكم مقالا للكاتب المصري عبد الفتاح عساكر بمنتدى الواحات المصرية .[2]

3- إسلام البحيري في مقالة على موقع اليوم السابع .[3]

4- جاء في منتدى الأزهري نقلا عن الشيخ محمد العمراوي .[4]

5- وجدت مقالة منشورة على منتدى السودان [5] ، و استغرق نقله للمقالة أكثر من 10 صفحات من الكتاب .[6]

6- و قد يوثق من المكتبة الشاملة ، فيقول : " انتهى بنصه من مقدمة الفتح عن الموسوعة الشاملة "[7] ، و لا أعلم نوع المستعرض الذي عمل عليه !

7- و يقتبس صفحتين عن " عماد الحسن رحمه الله في مقالة له نشرها على صفحته الفيسبوكية " [8].

8- من الصفحة 134 إلى الصفحة 144 كلها صفحات مسروقة من هذا الموقع http://ahkam667.blogspot.com/2014/01/blogspost_7748.html

9- الفصل المعنون: البخاري مجروح ومتروك الحديث. كله مسروق من موقع مركز الأبحاث العقائدية الشيعي. وهذا رابطه ويمكن مقارنة ذلك بما ورد في مكتوب صديقنا حرفا حرفا http://www.aqaed.com/faq/3444/

هل فعلا جهد سنوات ؟

[1] ص 104
[2] ص123
[3] ص159
[4] ص 131
[5] ص 133
[6] ص 144
[7] ص 97
[8] ص 45 . بيع الوهم ص 10-9

10- الفصل المعنون: بخاريات.

كله مسروق من مواقع مختلفة، حول أحاديث تتعلق بمحاولة الرسول عليه الصلاة والسلام الانتحار، والرسول البذيئ، وهي فقرة مسروقة عن شريط سمعي لعدنان إبراهيم.

11- الفصل المعنون: النسخة الأصلية لصحيح البخاري.

مسروق كله، والجدول الذي فيه الفصل من الصفحة 165 إلى 168 مسروق من الموقع التالي

http://www.ahlalhdeeth.com/…/archive/index.php/t-274745.html

ما تبقى من الفصل مسروق من مقالة للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ منشورة بمجلة دعوة الحق عام 1991 تحت عنوان: مخطوطات صحيح البخاري بخزانة القرويين بفاس.

12- القسم الكبير الخاص بصور المخطوطات وبياناتها، من الصفحة 169 إلى الصفحة 239، كلها مسروقة من الموقع التالي

http://www.ahlalhdeeth.com/…/archive/index.php/t-274745.html[1]

[1] الكنبوري . بيان للناس

ينتمي الكاتب الى المدرسة القرآنية العقلانية ، و التي هي ظل للمدرسة العلمانية الليبرالية المعاصرة ، التي تقدس العقل حد التأليه ، و تجعل منه وصيا و حاكما على الشرع !.

و تضم كتابا علمانيين متسترين وراء الدعوة الى التنوير و حرية التفكير التي لا تقف عند حدود بل تطال المقدس وغير المقدس، وتدعو إلى رفض النص الديني الذي كان سببا في تخلف و تأخر المسلمين عن اللحاق بقطار الحرية و التقدم و شل العقل العربي عن الإبداع و التفكير العقلاني المستنير . لذا يجب أن لا نعجب من كثرة الإشادة بالعقل في مؤلفاتهم وكأنه حكرٌ عليهم، حجر على غيرهم ، و بما أن الجهل رحم بين أهله ، فقد أكثر أيلال من الإستدلال ببعض رموز هذه المدرسة ، و الإشادة بأطروحاتهم حول السنة .

و من هؤلاء :

زكريا أوزون : مؤلف كتاب **"جناية البخاري.. إنقاذ الدين من إمام المحدثين"** مهندسٌ استشاري سوري مختص في دراسات الإسمنت المسلح وأعمال التدعيم الإنشائي . يُعدُّ واحدا من المفكرين العلمانيين الذي نجد بصمته الفكرية ظاهرة في كتاب: "صحيح البخاري، نهاية أسطورة" لرشيد أيلال، و لو أن هذا الأخير لم يُشر إلى مظاهر هذا التأثر ، م بالمقارنة بين كتاب "صحيح البخاري نهاية أسطورة" وبين هذا الكتاب، يتبين أن أيلال أعاد نسج الشبهات حول صحيح البخاري على طريقته ولكن مضامينها مأخوذة بطريقةٍ مباشرة أو غير مباشِرة من كتاب "جناية البخاري"، سواء ما تعلق بالطعن في الروايات الواردة في صحيح البخاري أو ما تعلق بنسخه وتناقضاتها على حد زعم أيلال وزكريا أوزون، أو ما تعلق أساسا بقضية كون السنة ناسخة للقرآن، فقد تشابهت موضوعات الكتابين وإن اختلفت الصياغة، ولا بد أن أشير هنا إلى أن تأثير فكر زكريا أوزون واضح في كتاب: "صحيح البخاري.. نهاية أسطورة"، لأن زكريا أوزون يعدّ من كبار الرافضين للنص الإسلامي، وله سلسلة في ذلك منها: "جناية سيبويه.. الرفض التام لما في النحو من أوهام" و"جناية الشافعي، تخليص الأمة من فقه الأئمة" بالإضافة إلى كتبه الساخرة من أركان الإسلام مثل "الصلاة.. عسكرة الرحمان" و"الزكاة إتاوة العربان" و"الإسلام.. هل هو الحل؟" و"لفق المسلمون إذ قالوا".

عمد أوزون إلى أصول الفكر الإسلامي اللغوية والفقهية والعقدية فنقضها، وركز في ذلك على نقد عمالقة هذا الفكر، فحمل على سيبويه النحوي والشافعي الفقيه، والبخاري المحدث، وذلك لما يتمتع به هؤلاء من إجماع لدى الأمة.

- **محمود أبو ريّة** : كاتب مصري ولد في 15 ديسمبر 1889 م ، كتب في مجلّةِ الرسالةِ والمقتطف والعربي والأهرام والمقطم والسياسة وغيرها .كانَ مُبتدأُ أمرِه تلخيصَ الكُتبِ واختصارها ، فاختصرَ منها جملةً ككتابِ " المثلِ السائرِ " و " ديوانِ المعاني " واختارَ نُخبةً من أخبارِ " الأغاني " وغيرِها .

أول تأليف له كتابةُ " أضواءٌ على السنّةِ المحمّديّةِ " ، جمع فيه جميع شبه المستشرقين و طعون الروافض ، و شن حربا على أبي هريرة ، و اعتبره كذابا وضاعا للحديث . و ألصق به كل سوء . و هو في كل هذا متأثر بكتاب عبدُ الحسينِ شرفُ الدّينِ ، " أبو هريرةَ " .

كما ألف كِتابا سماه : " دينُ اللهِ واحدٌ " ، والذي خلصَ فيهِ إلى دخولِ اليهودِ والنّصارى للجنّةِ مع المسلمينَ ، وأنَّ الإيمانَ باللهِ تعالى ووجودِهِ – وحسب – كافٍ في النّجاةِ من النّارِ والدخولِ إلى الجنّةِ .

وقد أحسنَ العلاّمةُ الشيخُ : مُصطفى السباعيُّ – رحمه الله – في وصفِ أبي ريّةَ وكِتابهِ الأضواء ، عندما قالَ : " .. جاهلٌ يبتغي الشُهرةَ في أوساطِ العلماءِ ، وفاجرٌ يبتغي الشهرةَ بإثارةِ أهلِ الخيرِ ، ولعمري إنَّ أشقى النّاسِ من ابتغى الشهرةَ عندَ المنحرفينَ والموتورينَ بلعنةِ اللهِ والملائكةِ والنّاسِ أجمعينَ " .

و قد كانت صلته بأقطاب الشيعة الرافضة قوية ، و بينهم مراسلات مشهورة .

ترجم له مرتضى الرضوي في كتابه " مع رجال الفكر " (1 / 130 – 158) نشر مكتبة الإرشاد للطباعة والنشر , بيروت – لندن ، فقال الرضوي : « الشيخ محمود أبو رية من الكتاب البارزين في مصر ...

أهم آثاره : " علي وما لقيه من أصحاب الرسول " مخطوط , " أضواء على السنة المحمدية " طبع ثلاث مرات ، " أبو هريرة شيخ المضيرة " طبع ثلاث مرات , " السيد البدوي " ,

كتاب " حياة القرى " , " صيحة جمال الدين الأفغاني " , " رسائل الرافعي " , " جمال الدين الأفغاني " , " دين الله واحد " , " قصة الحديث المحمدي " , وغيرها .

تعرفت إليه عام 1958 م ، من علماء القاهرة المحققين .

حقق في السنة النبوية وعرّى الأيادي التي دست فيها الوضع والاختلاق ، وأدخلت عليها الخرافات والإسرائيليات , وقد أرخ الحديث النبوي وألقى عليه أضواء كشافه . يندفع فيما يكتب إلى نصرة أهل البيت ووجهة نظرهم .

كتب مقدمة لكتاب : " أحاديث أم المؤمنين عائشة " استعرض فيها الفتنة التي قامت بها وما أثارت في المسلمين من الشقاق والصراع .

أوذي في سبيل العقيدة الإسلامية إيذاء شديدا واستمر إلى آخر يوم في حياته يناضل في طريق الحق بصدق وإيمان تغمده الله برحمته الواسعة . ..الى أن قال : فجلست إلى جنب فضيلته وحييته , فرحب بي كثيراً ، وفتحت الحديث معه وقلت : يا مولانا الشيخ : بأي مذهب من المذاهب الأربعة متمسك .

فأجاب : أنا مسلم أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، وأنا غير ملتزم بمذهب من هذه المذاهب الأربعة . وقال : أنا أعلم من الشافعي ، وأبي حنيفة .

فسألته عن رأيه في الصحاح . فقال : الصحاح صحاح عند أصحابها .

فقلت : ما رأي سيادتكم في بعض الرواة المكثرين للحديث . فقال : تقصد زي من , مثل من ؟

قلت : " أبو هريرة " .

فقال : أبو هريرة رجل وضاع .

قلت : قد ألف الإمام شرف الدين العاملي كتابا في حياة هذا الراوية المكثر وأسماه : " أبو هريرة " , فمد فضيلته يده إلى حقيبة كانت معه وأخرج منها كتاب : " أبو هريرة " الذي ألفه الإمام شرف الدين العاملي , وكانت الطبعة الأولى طبعة صيدا – لبنان , وقال : هذا ما أهداه لي الإمام شرف الدين . فناولني النسخة فأخذتها بيدي فرأيت الإهداء بخط الإمام

شرف الدين على الكتاب وفيه ما يشعر بجهاده وعلمه ، وإكباره .
ثم أخبرته بوفاة هذا المصلح – شرف الدين – قبل أسبوع في يوم الاثنين الماضي الموافق 30 / 12 / 1957 م الموافق 8 / 6 / 1377 هـ ... ثم قلت لفضيلته : السيد العسكري من كبار المؤلفين في العراق ومعروف لدى كبار علماء النجف الأشرف ويمكنكم مراسلته وأخذ ما يخص هذا الموضوع منه , فراجعه فضيلته بعد ذلك وذكر هذا في كتابه : " أضواء على السنة المحمدية " في الطبعة الثالثة التي طبعتها دار المعارف بمصر تحت إشرافه .
ثم جرى الحديث حول الخلافة الإسلامية ، والخلفاء ، وما أصيب به المسلمون من انحطاط ، واضطهاد ، وذلك لتفرقهم ، وتسلط الاستعمار الغاشم عليهم وجعلهم فرقا ، وأحزابا .
ثم تحدثت عن المذاهب الأربعة وقلت : إن هذه المذاهب : هي التي احتضنتها السياسة ، وروجتها تجاه الإمام الصادق من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .
وقلت : إن المستشرقين الذين طعنوا في الإسلام استندوا إلى الخرافات ، والإسرائيليات التي وجدوها في كتب أهل السنة .
فقال : أنا معك .
ثم سألته عن اتجاهه الفكري هذا وتبنيه لقضايا التمحيص في السنة النبوية التي هي أساس الإسلام , فكان يتحرق فضيلته على ما في عامة الكتب الدراسية الأزهرية ، وغيرها في الخرافات ، والإسرائيليات . وهو الأمر الذي جعله يتجه إلى تمحيص السنة النبوية ، وتعرية الأيادي التي دست فيها هذه الأباطيل التي روجتها اليهودية المتمثلة في كعب الأخبار ، وأبي هريرة ، وأضرابهما فكان كتابه هذا ثورة على الباطل ، وانتصارا للحق ، وتخطيطا للوصول إلى السنة النبوية ..." و يذكر أنه أعجب بكتاب : عبد الله بن سبأ" للسيد مرتضى العسكري و أنه كتب أثنى عليه كثيرا ومما كتبه : .. . وإني ليسرني كل السرور أن أشيد بفضل عالم محقق كبير من علماء العراق قد نهض ليؤدي ما عليه نحو الدين والعلم فأخرج للناس كتبا نفيسة كانت كالمرآة الصافية التي يرى فيها المسلمون وغير المسلمين تاريخ الإسلام على أجمل صوره في أول أدواره ، ذلكم هو الأستاذ " مرتضى العسكري " فقد أخرج لنا من قبل : كتاب " عبد الله بن سبأ " أثبت فيه بالأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، أن هذا الاسم لم

يكن له وجود وأن السياسة " لعنها الله " هي التي ابتدعت هذا الاسم لتجعله من أسباب تشويه وجه التاريخ ، وبين أن شيخ المؤرخين في نظر العلماء وهو الطبري قد جعل جل اعتماده في تاريخه ورواياته على رجل أجمع الناس على تكذيبه . . ومن الغريب أن جميع المؤرخين الذين جاؤوا بعد الطبري قد نقلوا عن ابن جرير كل رواياته بغير تمحيص ولا نقد ، وهذا الرجل الكذاب هو : سيف بن عمر التميمي . وأردف العلامة العسكري هذا الكتاب النفيس بكتاب آخر أكثر منه نفاسة هو كتاب : " أحاديث عائشة " وقد تناول في هذا الكتاب تاريخ هذه السيدة لا كما جاء من ناحية السياسة والهوى والعصبية ، ولكن من أفق الحقيقة التي لا ريب فيها ، وكتبه بقلم نزيه يرعى حرمة العلم وحق الدين لا يخشى في الله لومة لائم.. هذه لمحة خاطفة مما حواه كتاب " أحاديث عائشة " ولو نحن ذهبنا نبين ما فصله هذا العالم المحقق في كتابه هذا مما أوفى به على الغاية ، ولم نر مثله من قبل لغيره لاحتجنا إلى كتاب برأسه . . "

هذا وإني لما غادرت القاهرة وأتيت إلى سوريا ولبنان وقبل وصولي العراق عرفت فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبو رية على جماعة من الأساتذة والعلماء والكتاب في كل من سوريا ولبنان ، والعراق : كالأستاذ صدر الدين شرف الدين , وفضيلة الشيخ محمد جواد مغنية , وآية الله الإمام الخوئي , والعلامة الأستاذ الشيخ أحمد الوائلي , والأستاذ رشيد الصفار .
وقد تبودلت الرسائل بينه وبين السيد صدر الدين شرف الدين وطلب من الشيخ أن يراسله وأرسل له فصولا من كتابه " شيخ المضيرة " فنشر منه في عدة أعداد من مجلته " مجلة النهج " وتوثقت بينه وبين الشيخ الاتصالات ، وتبادلت بينهما الرسائل حتى استطاع الأستاذ صدر الدين أن يقوم بطبع كتابه " شيخ المضيرة " الطبعة الأولى في صور – لبنان .
وكما تبادلت الرسائل بينه وبين الشيخ محمد جواد مغنية حول طبع " شيخ المضيرة أبو هريرة " وذلك قبل أن يتم الاتفاق مع السيد صدر الدين شرف الدين كما تبادلت الرسائل بينه وبين آية الله الخوئي ، والأستاذ رشيد الصفار . وفي 12 / 10 / 1963 م تسلمت طردا من دائرة بريد النجف مرسله فضيلة الأستاذ " أبو رية " من القاهرة وفي باطنه ثلاثة نسخ من

كتاب : " أبو هريرة راوية الإسلام " بقلم الحجاج الخطيب الشامي وقد صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة أعلام العرب إلى الأسواق بتاريخ 7 / 11 / 1963 وكانت النسخ مهداة لي وللسيد العسكري وللأستاذ رشيد الصفار هو لأني كنت همزة وصل وتعريف بينهم .

وفي إحدى رحلاتي إلى القاهرة التقيت بالأستاذ رشيد الصفار فكان يذهب معي إلى منزل الأستاذ الشيخ محمود أبو رية . وكان آية الله الخوئي عندما تصل إليه رسائل الشيخ محمود أبو رية كان يرسل علي ويطلعني عليها أو يرسلها لي لأطلع عليها . وفي أحد الأيام جاءني السيد عماد حفيد آية الله الخوئي وقال : إن جدي يطلب حضورك ، وكان عندي جماعة وعندما انصرفوا توجهت إلى دار سماحته ولما دخلت سلمت وجلست فتوجه نحوي سماحته وقال : لقد تأخرت علينا في المجئ وأرسلت الرسالة إليك مع فضيلة السيد مرتضى الحكمي. وعند ذلك جلست زمنا يسيرا وإذا بفضيلة السيد الحكمي قد دخل علينا فتوجه إليه آية الله الخوئي وقال : لقد حضر السيد ، فأعطه رسالة الشيخ ليطلع عليها فتسلمتها وقرأتها وهذا بعضها : " عزمت على وضع كتاب باسم : " أمير المؤمنين علي وما لقي هو وبنوه من أصحاب رسول الله " . أولا : من الثالوث الأول أبو بكر وعمر وعثمان . ثانيا : من الثالوث الثاني عائشة وطلحة والزبير . وثالثة الأثافي : ما صنعه عثمان من تأسيس الدولة الأموية ثم انتهاء أمر الخلافة إلى سكير خمر عربيد ملعون هو وأبوه وجده . وإني الآن أعكف على قراءة المصادر التي تعينني على ذلك وكل ما أرجوه أن يوفقني الله إلى أداء هذا العمل على أكمل وجه . محمود أبو ريه القاهرة : 12 / 1 / 1388 هـ* .

وفي 5 / 11 / 69 وصلتني رسالة من الأستاذ " أبو رية " تاريخها 26 / 10 / 1969 من القاهرة يقول فيها : "كتاب قصة الحديث المحمدي " الذي كانت وزارة الثقافة قد طلبته مني منذ عشر سنين ووقف الأزهر في سبيله حتى لا يظهر قد أراد الله أن يظهر رغم أنف الأزهر بعد ما قرأه الدكتور طه حسين وشهد بقيمته شهادة فائقة وسأرسل لك نسخة منه هدية ومعها بعض نسخ لأصدقائنا الأعزاء ومع كل نسخة بيان مطبوع منا . . . وفي 20 / 11 / 1969 جاءني البريد ويحمل ملفا فيه ثلاث نسخ من الكتاب " قصة الحديث المحمدي " أحدهما كانت باسمي ، والثانية باسم السيد العسكري ، والثالثة للأستاذ رشيد

الصفار وفي كل نسخة بيان مطبوع وإليك نصه : للحقيقة والتاريخ كان من حق هذا الكتاب (قصة الحديث المحمدي) أن يخرج إلى الناس مطبوعا منذ أكثر من عشر سنين ، ذلك بأن وزارة الثقافة المصرية كانت قد طلبت منا مختصرا لكتابنا : " أضواء على السنة المحمدية " عندما ظهرت طبعته الأولى في سنة 1958 م لتجعله حلقة في سلسلة مكتبتها الثقافية ، وقبل نشره عرضته على الأزهر ليبدي رأيه فيه وما كاد يقف عليه حتى أرصد له من كيده فرماه بأن فيه ما يخالف الدين وطلب عدم نشره وتداوله بين المسلمين ، ولم تستطع هذه الوزارة أن تخالف عن أمره لأنه ما يربطه على الأرض يكون مربوطا في السماء ، وظل هذا الكيد يلاحق الكتاب هذه السنين الطويلة لكي يحول دون نشره بين الناس إلى أن علم أخيرا بالأمر نصير الدين والفكر الدكتور طه حسين طلب أصول الكتاب من وزارة الثقافة ولما اطلع عليه أعاده علينا مع خطاب ، دحض فيه ما رماه الأزهر به . وصرح في جلاء أنه موافق للدين كل الموافقة لا يخالفه ولا ينبو عنه في شئ مطلقا . وأنه مفيد فائدة كبيرة جدا في علم الحديث . . . وأن في نشره الخير كل الخير ، والنفع كل النفع وبذلك انحسم الأمر ، وحصحص الحق ، واتخذ الكتاب سبيله إلى الناس مطبوعا لينتفعوا به . ولأهمية خطاب الدكتور طه حسين نشرنا صورته على غلاف الكتاب ، تبصرة لأولي الألباب . محمود أبو ريه 13 / 10 / 1969 » .

- الطبيب عماد محمد بابكر حسين

طبيب سوداني ولد في مدينة عطبرة شمال السودان سنة 1962 ، درس الطب في جامعة الخرطوم و تخرج منها سنة 1988 ، ثم هاجر الى بريطانيا سنة 1991 ، تخصص في علم الميكروبات الدقيقة ، ثم الطب النفسي . و نال دبلوما في علم التنويم المغناطيسي من لندن !

بعد ذلك نال درجة الدكتوراه في فلسفة مقارنة الأديان ، ونشر عدة بحوث منها :

" أميرة مصر و ذلك النبي الغامض" . " آذان الأنعام " . " أمي كاملة عقل و دين "..

و كتابه أذان الانعام : ألفه بالاشتراك مع أخيه المهندس علاء الدين، وهو كتاب يقوم على طرح جديد في باب "أسلمة التطور" فهو يرى أن نظرية التطور مما نصّ عليه القرآن الكريم، وفي نفس الوقت الأنعام –الضأن والمعز والبقر والإبل- نزلت نزولاً مباشرًا من السماء على آدم الأول فكانت آيةً من الله، فالأنعام بناءًا على ذلك لم تدخل نسق التطور، وإذا أثبت العلم أن الأنعام بالفعل خارج شجرة التطور فستكون آية أخرى من الله في آخر الزمان ، و لذا كان اسم الكتاب "آذان الأنعام" أي: نداء الأنعام ، و كأنها نداء للدلالة على صحة الإسلام . و قد سلكا في الكتاب مسلك التأويل الباطني لنصوص الشرع الحكيم ، مما أدى إلى الانحراف بالنص خارج سياقه ودلالته ومبناه .

من أقواله :

- قال تحت عنوان : **تعدد آباء الإنسانية** ، ص 285 :

من الملاحظات اللافتة للنظر في آية نزول الأنعام أنَّ لله حدَّد باللفظ عددَ الأنعام التي نزلت :{وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الآنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ }، من غير أن يوضِّح في أيِّ موضعٍ لماذا كانت ثمانية ولم تكن سبعة أزواج أو تسعة مثلا ، ولماذا حدَّد الرقم؟ إذ كان من الممكن أن يشير إلى أنّه أنزل الأنعام من غير تحديد للعدد، إلا إذا كان في هذا الرقم حكمةٌ تفيد الإنسان في زمن من الأزمان. ما يزيد الأمرَ غرابةً أنَّ القرآن يستعمل الأرقامَ الفرديةَ للإشارات الرمزية وللمبالغة في

التعبير، و أنَّ السنة ارتبطت بالأرقام الفردية في كثير من أوجهها ، و ما تحديدُ عدد أزواج الأنعام بثمانية إلا استثناء ناذر . إذا افترضنا أنَّ الأنعام حينما نزلت كان لها قيمةٌ غذائيةٌ وتعبُّديَّةٌ، فإنَّ العدد الذي نزل لا بُدَّ وأن يكون مكافئاً من حيثُ الفائدةُ وإحداثُ الاكتفاء العادل بين كلِّ مجموعة آدمَ الأولى، رغم وجودِ فرق كبير بين أحجام الأنعام و فوائدها باختلاف أنواعها.[1]

فآدم عليه السلام من وجهة نظر الكاتب ليس شخصا وإنما هو تجمع بشري عبارة عن 32 نسمة! . لكن لماذا بالتحديد العدد 32 شخص؟

يقرر الكاتب أن حساب عدد الأشخاص الذين هم آدم جاء بناءا أن الأنعام التي نزلت ثمانية أزاوج، اثنين من الإبل واثنين من الضأن واثنين من البقر واثنين من الماعز.

وبما أن الإبل تكفي لسبعة في الهدي أثناء الحج، والبقر يكفي لسبعة، والماعز واحد والضأن –الخراف– واحد، إذن يكون المجموع 32 وبالتالي عدد آدم كان 32 .

ويقول الكاتب تأكيدًا على صحة ما ذهب اليه : " لما عرضنا رأينا على أهل العلم ذهلنا من أنَّ علماء هندسة الجينات قد وصلوا إلى أن هذا العدد هو العددُ الأدنى الذي يمكن أن يبدأ به مجتمعٌ إنسانيٌّ معافىً . فالمعروف أنَّ التزاوج من الأقرباء يؤدي إلى تراكم الجينات، و ظهور الأمراض الوراثية في الذرية ، وقد نصح الرسول – صلى الله عليه و سلم– بزواج الغرباء ، بقوله : "اغتربوا تصحوا".

ففي البحوث التي نُشرت على "الإنترنت"، أشار العلماءُ إلى أنَّ أصغرَ عددٍ يمكه أن يحافظ على تكاثرٍ معافىً للجنس الإنساني، لا بُدَّ أن يبدأ بتزاوج أبناءِ مجموعةٍ بين خمسةٍ وعشرين إلى ستةٍ وثلاثين زوجاً؛ حتى تستقرَّ الصفاتُ الحسنةُ و تطغى على الصفات المستودعة غيرِ المرغوب فيها في الأجِنَّة. وقد سُمِّي هذا الرقم ب "رقم دنبار" نسبة للعالم البريطاني " روبين

---

[1] آذان الأنعام ص 285

دنبار" الذي توصل إليها ،(Dunbar Number). و بناءً عليه فإنَّ العلماءَ يفترضون أنَّ الجنسَ البشريَّ لا بُدَّ وقد ابتدأ بعد التطور من مجموعةٍ تقع بين الرقمين، و إلّا لكان الإنسانُ العاقلُ قد انقرض منذ آلاف السنين، ويمكن مراجعةُ بحوثِ "دنبار" تحت اسمه على الشبكة العنكبوتية." [1]

سكن آدم في الجنة :

قال : بعد أن سُخّرَت مكوناتُ الأرضِ لعقل الإنسان (سجود الملائكة) ورفض إبليسُ السجود، تقلَّد آدمُ – العنصر الملائم للتغيير– منصبَ خليفة لله في الأرض كما أُرِيدَ له أن يكون، وربط الشيطانُ قدَرَهُ به كما أقسم أمام لله . ولما كان آدمُ أصلا قد خُلق من ترابِ الأرض ،ونبت منها نباتاً بصريح اللفظ ، و لما كان قد خلق ليكون خليفة في الأرض ، فليس من المعقول أن يُرفعَ الخليفة بعد تولّيه منصببه وسُخّرت له قوانينها ومخلوقاتها، أنْ يُرفع ليسكنَ في جَنَة السماء. فسفيرُ السودان إلى بريطانيا مثلا، لا يُعقل أن يسكن في البرازيل بعد تسلّمه أوراقَ اعتماده، وكذلك فليس هناك منطقٌ أن يسكنَ خليفة لله في الأرض بعد تسخيرِ مخلوقاتها له، في جَنّة السماءِ التي لا تكليفَ ولا عصيانَ فيها ،وإنّما نعيمٌ مقيم دائم . أضف إلى ذلك أنَّ إبليسَ كان من الجنِّ، وأنَّ الجنَّ – أصلا – مخلوقاتٌ سكنت الأرضَ قبل الإنسان، فلا يُعقلُ أن يصعدَ إبليسُ من الأرض ويدخلَ جَنّة السماء بعد أن طُرد من رحمة لله ليوسوس لآدم هناك. إذنْ فالافتراضُ أنَّ الجنة التي سكنها آدمُ كانت في السماء ليس إلا لَبْساً لا أصلَ له ، لا في المنطق ولا تسلسل الأحداث ولا حتى في اللغة، و هو ليس إلا من "فضائل" بني إسرائيل علينا. أمّا في القرآن فقد ورد استعمالُ كلمة جَنّة في أكثر من مكان لتعنيَ البستان والحديقة ذات الأشجار الكثيفة، كقوله : { و اضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب و خففناهما بنخل و جعلنا بينهما زرعا }32 الكهف .

بحثنا في آراء السلف فلم نجد دليلاً يُنسبُ لمن لا تجوزُ معارضته يدلُّ على أنَّ "الجنة" المقصودة هنا كانت في السماء، إذ إنَّ كلَّ الآراء الواردة ليست إلا اجتهاداتٍ اعتمدت على

---

[1] ص 285-286

أنَّ اللفظَ جاء مُعرَّفاً بالألف واللام، و هذا في تقدير بعضهم يدل على أنها جَنّةٌ واحدةٌ هي جنة السماء، وما هذه الاجتهاداتُ والاختلافاتُ في الرأي إلا نتاجُ غموضِ القصةِ كلها و التأثر بالإسرائيليات. والأحداث التالية – ونحن نمشى على خُطى الإنسانِ الأول – ستقدمُ الكثيرَ من الأدلةِ على أنَّ كلَّ شيءٍ تمَّ في الأرض.[1]

و يقول : " أنَّ آدمَ وزوجه " الجنس" قبل السكن في الجنة كانوا في حالةِ حركةٍ واضطراب. الحركة من أجل البحث عن الرزق، والاضطراب في صراعاتهم المختلفة مع بقية الحيوانات قبل أن يُمنحوا سلطانَ العقل والقدرة على التحكم فيها وفي قوانين الطبيعة.هذه الحالة من الحركة والاضطراب ربَّما تكون سببَ فسادهم في الأرض وسفكهم للدماء قبل أن يُنقلوا إلى إنسان عاقل ، و رغم أن الله أتاهم العقل ، فالله يعلم أن العقل الذي يفتقرُ الخبرةَ في الحياة يحتاجُ إلى عونٍ كبير في أول أيامه ؛ لذلك وفَّر لهم سكناً آمنا تتوافر فيه كلُّ احتياجاتِ الإنسانِ ، ودلّلَ على ذلك قول لله – عز وجل : { أن لك ألا تجوع فيها و لا تعرى } 118 طه . توافر الأكل و السترة ، و قوله تعالى : { و أنك لا تظمؤا فيها تضحى } 119 طه . توافر الماء و الظل وقد وصف ذلك المكان بالجنة إشارة إلى حديقة أو غابة معروفة لديهم.

يجب أن ننتبه هنا إلى أنَّ لفظ "لا تعرى" لا يعني أن تكون عارياً من الملابس؛لأنَّ آدم أصلاً كان عارى اً، وإنَّما تعني أنْ "لا تكون مكشوفاً في العراء لأخطار الطبيعة".[2]

خطيئة آدم

قال : سكن الإنسانُ العاقلُ داخلَ الجنة ذُكراناً وإناثا، و سمح لله لهم أن يعيشوا كيفما يشاءون داخلها ويأكلون من حيثُ شاءوا ،ولكنَّه نهاهم عن فعلِ شيءٍ واحدٍ هو { ولا تقربا هذه الشجرة } البقرة 35 . وجاء الخطاب هنا بلفظ المثنى ، وكأنَّ اللهَ ينبهم إلى تساوي المسؤولية بين الإناثِ والذكورِ في عدم الاقتراب من الشجرة، أو كأنَّ الاقترابَ منها

---

[1] ص 91-92
[2] ص 93

فعلٌ مشتركٌ لا يمكن أن يقوم به ذكرٌ دون أنثى. هذا الخطابُ المزدوجُ يجعل الوصفَ القرآني مختلفاً تماماً عن الوصف التوراتي حيث وجه الخطاب في النهي لآدم فقط ، وفهم اليهودُ أنَّ آدم هذا كان ذَكَراً ، ثمَّ كان إغراءُ الشيطان للأنثى التي أكلت أولا ثم أعطت زوجها ليأكل، وما ذلك إلا لأنَّ بني إسرائيل أوَّلوا الشجرة إلى شجرة تفاح، وبالتالي ضاع قدرٌ مهم جداً من أصل القصة. ومن هذا التحريف نتجت لعنة اليهود على المرأة التي انتقلت إلى التقاليد الإسلامية و العربية ، وأصبحنا نردد أنَّ المرأة هي التي أخرجتنا من الجنة من غير أن نفكِّرَ لحظة في أننا إنَّما نردد تأويلاً شاطحاً من تأويلات الإسرائيليات لا علاقة له بنصِّ القصة في القرآن. قلنا إنَّ الله وفّر لآدمَ كلَّ احتياجاته الحيوانية في الجنة حتى يتفرغ لاستعمال العقل في التدبر... ولكنْ بقيت حاجةٌ حيوانيةٌ واحدةٌ تمّ تحذيرُه من الاقتراب منها...تلك هي شجرة الخلد[1]...

الى أن قال : أنَّ الشيطان إنَّما فَتَنَ مجموعة من البشر ، وليس رجلاً وامرأة فقط كما هو مفهوم من غير دليل. وأيضاً يتضحُ لنا من حذف كلمة "شجرة" أنَّ الشجرة إنَّما هي وصفٌ مجسمٌ أو حركيٌّ للمعصية التي استدرج لها الشيطانُ ذكور مجموعة آدم و إناثها، ولكنها ليست شجرةَ تفاحٍ كما فسَّرت الإسرائيليات، وتبعها في ذلك المسلمون من غير تدبُّر .
نحن نعلم أنَّ هذا التوضيحَ لأمر واضحٍ جداً في ألفاظ الآية له وقعُ الصاعقة على كثير من الناس، ولكنَّ من المهم جداً أن نتذكر أنَّ هذا التفسير الذي ستؤكِّده دلائلُ أخرى ، لا يتناقض مع ما عُلِمَ من الدين بالضرورة ، ولا يعارضُ تفسيراً صريحاً من النبيِّ صلى الله عليه وسلم للآية ، و كذا لا يعارض اتفاقاً عاماً بين علماء المسلمين على هوِيَّة الشجرة. كلُّ ما يعارضه هو التأويل المتوارث الذي أصبح من المسلَّمات كالعقيدة ، وإنْ كان أصله من الإسرائيليات . هذه الألفاظُ لا تمهدُ إلا لأنْ نكتشفَ أنَّ أول معصية ارتكبتها مجموعة آدم هي ممارسةٌ جنسية قبل أن يشرّع الله لهم العلاقاتِ الزوجية .[2]

---

[1] ص 94
[2] ص 95

و قال عن استعمال لفظ الشجرة : فإنَّ استعمالَ لفظ "شجرة" هنا يكون وصفاً للمداخلة بين الإناث والذكور والتي كانت مفهومة لآدمَ من سابق تَجْرِبة ، وإنْ لم يكن لديه بعدُ مصطلحاتٌ اجتماعيةٌ أو فلسفيةٌ أو خُلُقيةٌ يفهمها بها.

الشيطانُ –كما قلنا– مخلوقٌ ماكرٌ وداهية، ولذلك نفترض أنّه كان عالماً بما يدور في خَلَدِ آدم في تلك اللحظة من وجودهم في الجَنّة بعد أن رُفِعوا إلى مستوى خلافةِ الله في الأرض، وربّما استمع إليهم من حيث لا يرونه كما وصف الله . وليس جديداً أنَّ غريزة حبِّ البقاء والاستمرارية في الأرض غريزةٌ في كلِّ الحيوانات تشبعها بالتناسل من غير تفكير، ولكنَّ آدمَ الآن أصبح مخلوقاً عاقلاً يمكنه أن يَدخلَ في حوار ويستدرجَ في إشباع غرائزه وتحقيق طموحاته ، إلا أنّه حُظر عليه الاقترابُ من سلوكٍ واحدٍ وصفه الله له بصفته الحركية ، و هو حالة التداخل بين الإناث والذكور من غير أن يعرف السِّرَّ في ذلك ، غيرَ أنه لو اقترب منه فسيكون من الظالمين . و هنا نلاحظُ أنَّ الشيطانَ ربط له هذه الشجرةَ الممنوعةَ بالخلود أو اتساع ملكه وبقائه . هذا الوصفُ من شأنه أن يُحرِّكَ فيه غريزةَ البقاء والشعورَ بالأمان ، الذي كان أحوجَ ما يكون إليه في هذا العالم الجديد المرعب. وتجدر الإشارةُ هنا إلى أنَّ لفظ "مَلَكَيْنِ " لا تعني أن يصبحا من الملائكة ، ولكنّها تعني امتلاكهم للملك كما في آية سورة طه: {وَمُلْكٍ لا يَبْلَى}. أي أنَّ الاقترابَ من هذه الشجرة سيقودهم إلى استمراريةٍ في الوجود وإلى اتساع ملكهم .[1]

فالشجرة عند الكاتب هي الجماع، حيث أن الشجرة من الشجْر والشجر هو التداخل والتلاحم. كما يقول في صفحة 96.

لكن ما لم يذكره الكاتب أن الشجر ليس من معانيه في اللغة الجماع! ولم يذكر ذلك أحد! وكلمة شجرة في كتاب الله اسم لذات ولم ترد كفعل! وكتاب الله تعالى نزل بلسانٍ عربيٍ مبين { لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين} ﴿١٠٣﴾ سورة النحل.

[1] ص 96

موت داروين على الفطرة السليمة:

ليس غريبًا – إذنْ – أنَّ السوادَ الأعظمَ من المسلمين، علماء وعامة، ممَّن يحلو لهم وصف دراوين بالإلحاد ، لا يعرفون من هو داروين وماذا قال . فليس غريبًا أبدًا أن تجد من لا يستطيعُ التمييزَ بين داروين عالم الأحياء البريطاني المسيحي، ولينين وستالين وغيرهما من أقطاب العقيدة الإلحادية الشيوعية السوفيتية . ولعلَّ من العوامل الأساسية التي خلقت نفورًا عامًا لدى المسلمين ممَّا طرحه داروين ، وبالتالي أدى إلى جهلٍ وسذاجة في التعامل مع نظريته ، هو أنَّ فكرة أنَّ الإنسان أصله قرد فكرةٌ منفرةٌ لمن يظنُّ أنَّ الإنسان خُلق بقدرة الله إنسانًا عاقلًا من أول يوم في شخص آدم ، وبذلك فإنَّ الفكرة ترفض جملةً وتفصيلًا من غير دراسة ، ومن ثَمَّ يوصف صاحبها بالإلحاد . على أنَّ المسلمين أنفسهم لو تدبروا القرآن لوجدوا أنَّ أصل الإنسان في القرآن "طين"، و هذا أمرٌ لا يدعو للتقزز وإنَّما للتدبُّر، بيد أنَّ القرد بوصفه مخلوقًا له مستوى من الذكاء و كثير من القدرات أرقى بمراحلَ كثيرةٍ من مجرد طين . و أخيرًا و ليس آخرًا ؛ فإنَّ داروين – أصلا– ما زعم أنَّ أصل الإنسان قرد ، ولا حتى ادَّعى أنه وصل إلى اكتشاف أصل الإنسان ، بالإضافة إلى أنَّ غير المسلم لا يكفر مرتين ، و داروين –أصلا– لم يكن مسلمًا بالمعنى المفهوم لا قبل نظريته و لا بعدها، وإنَّما كان مسيحيًّا قبلها .

و لا يشكُّ أحدٌ أنّه مات موحدًا على الفطرة السليمة بعد أنْ رفض كلَّ تناقضات الكتاب المقدس علنًا، و وجّه وجهه للذي فطر السماوات والأرض. هذا الرفض للكنيسة وعقيدة الثالوث هو الذي جعل الكنيسة تكفِّره ، و كان الأجدر بالمسلمين أن ينظروا إلى ذلك بمعيار مختلف ، آخذين في الحُسبان أنَّ القرآن ذكر في مواقعَ كثيرةٍ أنَّ الله يُري آياته للذين كفروا ، كما في آية "إنَّ السموات والأرض كانتا رتقا" الشيء الذي لا يقللُ من قدر آيات الله الكونية وإنْ كان مكتشفها غير مسلم." [1]

---

[1] ص 22

فهذه بعض معتقدات و أفكار عماد حسن . و هي نموذج واضح لباقي أفكاره التي بثها في كتبه الأخرى . و هذا هو الكتاب الذي احتفى به الناشر ووصفه بكتاب العصر .

- **أحمد صبحي منصور** : زعيم القرآنيين العرب ،ولد بمصر سنة 1949. عمل أستاذا في جامعة الأزهر، لكنه فُصل في الثمانينيات بسبب أرائه في السنة النبوية و تفسيراته الشاذة للقرآن الكريم ، عمل على تأسيس و نشر أفكار القرآنيين ، و نادى بالإكتفاء بالقرآن مصدرًا وحيدًا للتشريع الإسلامي. سافر إلى الولايات المتحدة وقضى فيها بعض الوقت، ثم عاد إلى القاهرة ليعمل في مركز ابن خلدون. وبعد المشكلات القضائية التي واجهها المركز ومديره في عام 2000، هاجر الدكتور منصور إلى الولايات المتحدة، ليعمل مدرسًا في جامعة هارفارد، وفي الوقفية الوطنية للديمقراطية، ثم أنشأ مركزه الخاص تحت اسم المركز العالمي للقرآن الكريم. ينشط الدكتور منصور الآن في نشر مقالاته في بعض مواقع الإنترنت، واشتهر الدكتور منصور بموقفه المعارض لفكر الجماعات الإسلامية.

و من أفكاره الشاذة :

- ✓ النبي محمد لم يكن أميًا، بل ملمًا بالقراءة والكتابة.
- ✓ أبو هريرة أكبر كذاب
- ✓ إعتباره أن كل أحاديث النبي موضوعة عليه ، يقول في مقال " إضحك مع الأحاديث الموضوعة " : نحن نؤمن أن كل الأحاديث المنسوبة للنبى محمد عليه السلام موضوعة ، أى كاذبة لم يقلها ، وقد (وضعوها) أى هى من (وضع) البشر.
- ✓ الطعن في عمر و خلافته ، يقول : " الدولة الاسلامية لا يمكن ان تكون غازية محتلة بالقوة لبلاد الاخرين .عدل عمر تمتع به المسلمون الاحرار فقط ، دون مواطني البلاد المفتوحة .دولة عمر حين أشرفت علي العالم تعاملت بمنطق العالم وقتها ،

منطق الجاهلية والعصور الوسطي وليس منطق الدولة الاسلامية . كل سلبيات الامويين والعباسيين وحتي العثمانيين بدأت جذورها في دولة عمر ."

" وخلافا لحث القرأن علي عتق الرقيق فأنه لم يرد في سيرة عمر مطلقا انه اعتق عبدا ." فاذا حاولت ان تعرف حجم الظلم الذي تعرض له اجدادانا المصريون في الدلتا والصعيد في عصر عمر والذي تجاهله الرواة ، يقال لك : اسكت .. هس " الى غير من الطعون التي إمتلأ بها مقاله (المسكوت عنه في سيرة عمر بن الخطاب في الفكر السني).

- ✓ و في مقال (عبد الله بن المبارك شيخ المحدثين) يرى أن أئمة وشيوخ الحديث والسّنة تخصصوا في الكذب عن النبي و اختراع الأحاديث ، و بالتالي نفى عنهم صفة العلم . قال : " والخطأ الأساس لدى مؤرخى التراث إنهم كانوا يصفون أئمة وشيوخ الحديث والسّنة بأنهم علماء ، وصفة العلم أبعد ما تكون عنهم ، فقد كانوا متخصصين فى الكذب على النبى واختراع أحاديث ينسبونها له عليه السلام . بعد موته بقرنين وأكثر، عبر(السند) أو سلاسل من العنعنات ، أى روى فلان عن فلان عن فلان.ولقد بحثنا هذا الإفك فى بحث (الإسناد). ولا يمكن للكاذب الأفّاك أن يكون عالما، ثم تراهم بعد الكذب على النبى يختلفون فى تقييم الرواة الكاذبين، يعطون أحكاما مؤبدة بالكذب أو بالعصمة أو بالثقة ، ويختلفون مع بعضهم فى هذا التقييم الذى يتراوح بين (الجرح) أى الهجوم و(التعديل) أى المدح . وهذا الهوى لا يؤسس علما موضوعيا ، ولكن يصلح لتأسيس دين أرضى "
- ✓ الصلاة الوسطى هي الصلاة التي تثمر عملًا صالحًا وتحقق تقوى الله.
- ✓ إنكاره لصيغة التشهد حيث يقول أن الشهادة لرسول الله بالرسالة أثناء الصلاة نوع من الشرك؛ لقوله أن الصلاة يجب أن تقام لذكر الله وحده، استشهادًا بالآية القرآنية: { إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي }
- ✓ إنكاره للصلاة الإبراهيمية في التشهد أثناء الصلاة، واعتبارها نوعًا من الشرك.
- ✓ إنكاره لوجود اسم النبي في الآذان واعتباره شركًا.

- قوله أن النبي ليس أفضل الأنبياء؛ لنهي القرآن عن التفريق بين الأنبياء، استشهادًا بالآية القرآنية القائلة: (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ).
- الفتوحات الإسلامية عبارة عن استعمار من أجل المصالح المادية.
- تكذيب ما يخالف القرآن من كتب السيرة والحديث والتاريخ.
- يمكن الحج خلال الأشهر الحرم، وليس في شهر ذي الحجة فقط.
- يعتبر زواج المسلمة من اليهودي أو المسيحي حلالً.

محمد صادق النجمي :

من علماء الشيعة الإمامية بقم ، اشتهر بكتابه " أضواء على الصحيحين " ، الذي ملأه بالطعون في السنة النبوية خصوصا الصحيحين .

عبد الفتاح عساكر

مفكر مصري من فرقة القرآنيين ، و أحد أعمدة موقع (أهل القرآن) الذي يديره أحمد صبحي منصور .من أرائه :

- السنة ليست وحيا ، قال " في كتب التراث يفسر الغالبية قول الحق : {... وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الحكمة...} . أ ن الكتاب هو القرآن ، و الحكمة هي{ السنة يقصدون المرويات }،ولو أخذنا بكلامهم لكانت السنة منزلة من عند الله ، يعنى وحيا ؟!. ونؤكد على أنه لا وحي إلا القرآن الكريم فقط ."
- ينفي وجود عذاب القبر
- " ونحن نؤمن بأن جميع المرويات التي وردت في كتب التراث والتي تتفق وكتاب الله صحيحة حتى ولو ضعف السند .!!!. ونؤمن بأن كل المروايات التي تخالف كتاب الله ليست من رسول الله حتى ولو صح السند ."[1]

[1] صفحته في موقع أهل القرآن

- ✓ قال : " أنا مسيحي ولا إسلام لي إلا بمسيحيتي وأحب جميع من يحبون السيد المسيح رسول المحبة على الأرض ولو تخليت عن مسيحيتي فلست مسلمًا".[1]

اسلام البحيري

كاتب مصري شاب ، يرأس مركز الدراسات الإسلامية بمؤسسة اليوم السابع . حاصل على ماجستير في " طرائق التعامل مع التراث من جامعة ويلز ، كما يعمل مقدما لبرنامج (مع اسلام البحيري) على قناة القاهرة و الناس .

تتمحور جميع أفكاره و أبحاثه حول البخاري و مروياته ، يروج لشبهات المستشرقين حول السنة النبوية ، كما لا يعبأ بالفقه الاسلامي و يستهزئ من علماء و أئمة المسلمين .

أدين بتهمة ازدراء الأديان و حكم عليه بخمس سنوات سجنا ، خفف الحكم الى سنة واحدة . بعد خروجه من السجن عاد الى بث شبهه و حملته المغرضة على البخاري و مروياته.

---

[1] http://www.copts-united.com/article.php?I=9&A=5155

إفتتح المناوئ كتابه بفصل عنونه ب" أفة تدوين الحديث " ، و العنوان يغني وحده عن مناقشة محتويات الفصل ، فالمناوئ إبتدأ كتابه (الأسطورة)[1] طاعنا في السنة و حديث النبي الكريم معتبرا تدوين الحديث أفة !! و كما يقال " أول القصيدة كفر " !. و تحت هذا العنوان الخطير سطر مبحثا عنونه ب " منع الرسول للصحابة من تدوين كلامه " .

قال : " لا يمكن أن نناقش كتاب الجامع الصحيح قبل أن نقف جميعا من خلال هذا الفصل على ظروف تدوين الحديث بشكل عام، ونشأة ما أطلق عليه من بعد «علم» الحديث، حيث يظن عوام الناس أن الحديث وحي كان مرادفا للقرآن من حيث النزول، وأن الرسول أمر بتدوينه إلى جانب القرآن ،غير أن الحقيقة غير ذلك، فقد حكى العديد من رواة الحديث أنفسهم منع رسول الله صحابته الكرام من تدوين كلامه، ونحن بعجالة سنورد بعض الأحاديث التي

[1] الذي هو سيئة من سيئات الفكر الحداثي المصادم للوحيين ، و بلية من بلاياه و سوأة انفضحت و سميت كذبا بحثا و تحقيقا ، كما وصفه الدكتور محمد زين العابدين رستم .

يعتبرها المحدثون صحيحة، والتي تمنع تدوين الأحاديث، كما سنورد بعض الآثار عن صحابته الكرام والخلفاء الراشدين من بعده، تبرز كيف حافظوا على طاعة أمره صلى الله عليه وآله وسلم في منع كتابة الحديث."[1]

و لنا على هذا الكلام وقفات :

الوقفة الأولى : تقليد و إجترار

لم يأت الكاتب بأي طرح جديد ، فإثارة مسألة تدوين السنة و كتابتها هي سبيل كل طاعن في حجية السنة النبوية ، منذ عهد النظام المعتزلي و ابن الراوندي الملحد ، مرورا بالمستشرقين وأذنابهم من بني جلدتنا ، كأبي رية في كتابه " أضواء على السنة المحمدية " ، و زكريا أوزون و جمال البنا و طائفة القرآنيين الجدد ، و كلهم لم يزيدوا أنْ أعادوا ترديد هذه الشُبُهات القديمة بعد تقديمها في زي جديد تحت مسمى البحث العلمي و نقد النص الديني و تنقيته من الخرافات و الأساطير المصادمة للعقل –كما زعموا – ! . و الهدف

[1] صحيح البخاري نهاية اسطورة ص 17

واحد : " هدم مفهوم الإسلام الصحيح الجامع المترابط من القرآن والسُنَّة: بين النص القرآني المنَزَّلِ، وبين السُنَّة التي يتمثل فيه التطبيق العملي من حيث عمل الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبيانه، وتفصيل لما أجمل، وتوضيح ما بَلَّغَ أو تقييد لمطلق، أو تخصيص لعام: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} "[1]

فإذا كان الرسول الكريم قد منع الصحابة من كتابة حديثه ، فإنه بذلك نفى عن أقواله و أفعاله صبغة التشريع – على حد زعم المناوئ – و بالتالي تصبح مرويات سنته " نصوص تاريخية "[2] ، و موروث ثقافي ، لا ينبغي الإحتكام اليه في أمور العبادة أو التشريع .كما صرح أيلال في كتابه الأسطورة !

و ليعلم أن رفض الإحتجاج بالحديث بحجة عدم تدوينه منهج قديم لأهل الأهواء ، فقد ذكر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي أن بشر

---

[1] الأية 44 من سورة النحل

السُنَّة في مواجهة شُبُهات الاستشراق (ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسُنَّة النبوية)

أحمد أنور سيد أحمد الجندي .المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

الطبعة الأولى: 1401 هـ - 1981 م ص 6-7

[2] ص 7

المريسي الجهمي ، و من معه احتجوا عليه بأن السنة لم تكتب ، فقام إمام السنة الدارمي مبطلا لكلامهم و ناسفا لشبهاتهم .

قال رحمه الله : " واحتججت أيضا في رد آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رويت عن أبي يوسف ، أنها رأس الآثار و ألزمها للناس بكذا ادعيته ، زعمت أنه صح عندك أنه لم تكتب الآثار ، و أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم و الخلفاء بعده الى أن قتل عثمان رضي الله عنه ، فكثرت الأحاديث و كثر الطعن على من رواها . فيقال لهذا المعارض : دعواك هذه كذب ، لا يشوبه شيء من الصدق ، فمن أين صح عندك أن الأحاديث لم تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و الخلفاء بعده الى أن قتل عثمان ؟ و من أنبأك بهذا ؟ فهلم إسناده ، و إلا فإنك من المسرفين على نفسك ، القائلين فيما لا يعلم ، فقد صح عندنا أنها كتبت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم و الخلفاء بعده ."

- الوقفة الثانية : رد الإمام الدارمي على دعوى منع الكتابة

قال : " ونحن بعجالة سنورد بعض الأحاديث التي يعتبرها المحدثون صحيحة، والتي تمنع تدوين الأحاديث، كما سنورد بعض الآثار عن صحابته الكرام والخلفاء الراشدين من بعده، تبرز كيف حافظوا على طاعة أمره صلى الله عليه وآله وسلم في منع كتابة الحديث. فقد روى أحمد و مسلم و الترمذي و النسائي و الدارمي " شيخ البخاري " من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال : لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن و من كتب عني غير القرآن فليمحه ".وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: "جهدنا بالنبي سلى الله عليه وسلم أن يأذن لنا في الكتابة فأبى" 4/2298 كتاب الزهد والرقائق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله سلى الله عليه وسلم به. وأخرج الدارمي عن أبي سعيد الخدري بأنهم استأذنوا

النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة فلم يأذن لهم . وقد صار الخلفاء الراشدون على نفس النهج في عدم كتابة الحديث " [1]

و ليسمح لي القارئ الكريم في نقل كلام الامام الدارمي ، ففيه نسف لهذه الشبهات التي أعاد إثارتها المناوئ .

قال الإمام الدارمي رحمه الله : " باب : الحث على طلب الحديث والرد على من زعم أنه لم يكتب على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الحديث والذب عن أصحاب النبي وأصحاب الحديث وأهل السنة وفضلهم على غيرهم ، وادعى المعارض عن أبي يوسف قوله : إن الأثر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين . ثم أنشأ طاعنا على الآثار. وروي عن أبي يوسف الآثار تصد الناس عن طلبها وتزهدهم فيها بتأويل ضلال يرى من بين ظهريه أنه فيما يدعي من ذلك مصيب.

فكان مما تأول في ردها أن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " سيفشو الحديث عني، فما وافق منها القرآن فهو عني ، وما خالفه فليس عني ".

---

[1] ص 17

فيقال لهذا المعارض : لقد تأولت حديث رسول الله صلى الله على خلاف ما أراد، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سيفشو الحديث عني " على معنى أنه يتداوله الحفاظ من الناس والصادق ، والكاذب ، والمتقن ، والمغفل ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . قد تبين ما قال في الروايات ، ولذلك ينتقدها أهل المعرفة بها ، فيستعملون فيها رواية الحفاظ المتقنين ، ويدفعون رواية الغفلاء الناسين ، ويزيفون منها ما روى الكذابون . وليس إلى كل أحد الاختيار منها ، ولا كل الناس يقدر أن يعرضها على القرآن ، فيعرف ما وافقه منها مما خالفه ، إنما ذلك إلى الفقهاء ، العلماء الجهابذة النقاد لها العارفين بطرقها ومخارجها ، خلاف المريسي واللؤلؤي والثلجي ونظرائهم المنسلخين منها ، ومن معرفتها ، ومما يصدقها من كتاب الله تعالى فقد أخذنا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم نقبل منها إلا ما روى الفقهاء الحفاظ المتقنون ، مثل : معمر ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وابن عيينة ، وزهير بن معاوية ، وزائدة ، وشريك ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، ووكيع ، ونظرائهم الذين اشتهروا بروايتها ومعرفتها والتفقه فيها خلاف تفقه المريسي وأصحابه ، فما تداول هؤلاء الأئمة

ونظراؤهم على القبول قبلنا ، وما ردوه رددناه ، وما لم يستعملوه تركناه ، لأنهم كانوا أهل العلم والمعرفة بتأويل القرآن ومعانيه ، وأبصر بما وافقه منها مما خالفه من المريسي وأصحابه ، فاعتمدنا على رواياتهم ، وقبلنا ما قبلوا ، وزيفنا منها ما روى الجاهلون من أئمة هذا المعارض ، مثل المريسي والثلجي ونظرائهم ، فأخذنا نحن بما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديثك الذي رويته عن ، وتركته أنت لأنك احتججت في رد ما روى هؤلاء الأعلام المشهورون ، العالمون ما وافق منها كتاب الله مما خالفه ، بأقاويل هؤلاء الجهلة المغمورين والشاهد عليك بما أقول كتابك هذا الذي ألفته على نفسك لا على غيرك .

واحتججت أيضا في رد آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رويت عن أبي يوسف أنها رأس الآثار وألزمها للناس بكذا ادعيته ، زعمت أنه صح عندك أنه لم تكتب الآثار ، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه ، فكثرت الأحاديث وكثر الطعن على من رواها .

فيقال لهذا المعارض : دعواك هذه كذب ، لا يشوبه شيء من الصدق ، فمن أين صح عندك أن الأحاديث لم تكن تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده إلى أن قتل عثمان ؟

و من أنبأك بهذا ؟ فهلم إسناده ، وإلا فإنك من المسرفين على نفسك ، القائلين فيما لا يعلم .

فقد صح عندنا أنها كتبت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ، كتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه منها صحيفة ، وهو أحد الخلفاء من رسول الله فقرنها بسيفه ، فيها أمر الجراحات وأسنان الإبل ، وفيها " المدينة حرام ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " ، وإذا فيها " المؤمنون تكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم " ، وإذا فيها " لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده " رواه الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي . هذا إسناد جيد قد جئناك به في خلاف دعواك ، فعمن رويت الحديث الذي ادعيت أنه صح عندك ؟ فأظهره حتى نعرفه كما عرفنا هذا .

حدثنا الحماني ثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن سوقه، عن منذر الثوري عن محمد بن الحنفية قال: جاءت سعاة عثمان إلى علي يشكونه ، فقال لي: خذ هذه الصحيفة فإن فيها سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاذهب بها إلى عثمان ، قال : فذهبت بها إلى

عثمان فقال : لا حاجة لنا فيها ، وأتيت بها عليا وأخبرته فقال : " ضعها مكانها ".

فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أحد الخلفاء صح عندنا أنه كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث بها إلى عثمان رضي الله عنه قبل أن يقتل عثمان . فمن أين صح عندك أيها المعارض أنه لم يكتب الحديث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء بعده حتى قتل عثمان فأسنده كما أسندنا لك وإلا فلم تدعي ما لا تعقله ولا تفهمه ؟ فيسمع به منك سامع من الجهال يحسب أنك مصيب في دعواك. وأنت فيها مبطل .

وإنما قال عثمان : " لا حاجة لنا في الصحيفة " على معنى أنا نحسنها ونعرف منها ما في الصحيفة . ثم كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو ، فأكثر ، واستأذنه في الكتاب عنه فأذن له .

حدثنا علي بن المديني ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن وهب بن منبه عن أخيه قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: " ما أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب وأنا كنت لا أكتب " .

حدثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب حدثني عبد الرحمن بن سلمان عن عقيل عن المغيرة بن الحكم قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : " لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحفظ لحديثه إلا عبد الله بن عمرو ، فإنه يكتب ، واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب ، فكان يكتب بيده ، ويعي بقلبه ، وكنت أنا أعي بقلبي ".

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه كتاب الصدقات عن النبي صلى الله عليه وسلم . حدثنا موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة قال: " أخذت عن ثمامة بن عبد الله بن أنس كتابا، زعم أن أبا بكر كتبه لأنس وعليه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين بعثه مصدقا، وكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم هذا فريضة الصدقة.. وساق أبو سلمة الحديث بطولة ".

حدثنا عبد الله بن صالح عن ليث بن سعد عن يونس عن ابن شهاب في الصدقات نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي عند آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أقرأنيها سالم بن عبد الله فوعيتها على وجهها ... وساقه أبو صالح بطوله .

حدثنا الحكم بن موسى، ثنا يحيى بن حمزة، عن سليمان بن داود ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن

بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات ، وبعث به مع عمرو بن حزم ."

حدثنا نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن معمر، عن عبد الله ابن أبي بكر بن حزم ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب لعمرو بن حزم: في خمس من الإبل شاة ... وساق نعيم الحديث بطوله.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بعده: أبو بكر وعمر، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم ، قد صح أنه كتبت الأحاديث والآثار في عصرهم وزمانهم ، قد أسندنا لك أيها المعارض إليهم ، فمن أين صح عندك ما ادعيت : أنها لم تكتب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ، حتى قتل عثمان فكثرت الأحاديث بعده وكثر الطعن على رواتها، ومن طعن على الثقات من رواة الأحاديث عند مقتل عثمان ؟.

وأما أهل الظنة والغفلة فيها فلم يزالوا مطعونا عليهم ، ليس منهم أبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، ومعاوية بن أبي سفيان ونظرائهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهم أجمعين أنهم هم المطعونون عليهم فيها ."[1]

[1] نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد 2/ 599/ 617

- الوقفة الثالثة : تعقبات على ما أورده من آثار عن الصحابة

قوله : " سنورد بعض الأحاديث التي يعتبرها المحدثون صحيحة " .

ثم ساق بعض الأحاديث و الآثار ناقلا عن أبي رية من غير إحالة !

، و لم يكلف نفسه النظر في تعقبات العلامة المعلمي على ما أورده أبو رية .

حديث أبي سعيد الخدري :

حديث أبي سعيد الخدري في صحيح مسلم ، قد تكلم بعض كبار المحدثين من جهة رفعه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال ابن حجر : " منهم من أعل حديث أبي سعيد و قال الصواب وقفه

المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: 280هـ)

الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

المحقق: رشيد بن حسن الألمعي

الطبعة: الطبعة الأولى 1418هـ - 1998م

على أبي سعيد ، قاله البخاري و غيره ."[1]، فلم يلبس على الناس بأنه حديث صحيح عند المحدثين ، و كأنه لا يوجد فيه نقاش هل هو

[1] قال المعلمي : " حديث مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ–قال همام: أحسبه قال «متعمداً» – فليتبوأ مقعده من النار» هذا لفظ مسلم.

وذكره أبو رية مختصراً، وذكر لفظين آخرين، وهو حديث واحد. والثاني: ذكره بقوله «ودخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث وأمر إنساناً أن يكتبه فقال له زيد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن لا نكتب شيئا من حديثه. فمحاه»

وقد كان ينبغي لأبي رية أن يجري على الطريقة التي يطريها وهي النقد التحليلي فيقول: معقول أن لا يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة أحاديثه لقلة الكتبة وقلة ما يكتب فيه والمشقة، فأما أن ينهى عن كتابتها ويأمر بمحوها فغير معقول، كيف وقد أذن لهم في التحديث فقال «وحدثوا عني ولا حرج» .

أقول: إما حديث أبي سعيد ففي فتح الباري (1:185) : «منهم (يعني الأئمة) من أعلّ حديث أبي سعيد وقال: / الصواب وقفه على أبي سعيد، قاله البخاري وغيره «أي الصواب أنه من قول أبي سعيد نفسه، وغلط بعض الرواة فجعله عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أورد ابن عبد البر في كتاب العلم (1:64) قريباً من معناه موقوفاً عن أبي سعيد من طرق لم يذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما حديث زيد بن ثابت فهو من طريق كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: دخل زيد بن ثابت الخ.

وكثير غير قوي، والمطلب لم يدرك زيداً.

أما البخاري فقال في صحيحه «باب كتابة العلم» ثم ذكر قصة الصحيفة التي كانت عند علي رضي الله عنه، ثم خطبة النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفتح وسؤال رجل أن يكتب له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اكتبوا لأبي فلان» وفي غير هذه الرواية «لأبي شاه»

ثم قول أبي هريرة «ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب وأنا لا أكتب»

ثم حديث ابن عباس في قصة مرض النبي صلى الله عليه وسلم، وقوله «ائتوني بكتاب أكتبلكم كتاباً لا تضلوا بعده» وفي بعض روايات حديث أبي هريرة في شأن عبد الله بن عمرو «استأذن رسول الله صلى اله عليه وسلم أن يكتب بيده ما سمع منه فأذن له» رواه الإمام أحمد والبيهقي.
قال في فتح الباري (185:1) : «إسناده حسن، وله طريق أخرى ... » وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو نفسه جاء من طرق، راجح فتح الباري والمستدرك (104:1) ومسند أحمد بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله الحديث: 0 651 وتعليقه.
وقد اشتهرت صحيفة عبد الله بن عمرو التي كتبها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يغتبط بها ويسميها «الصادقة» وبقيت عند ولده يروون منها، راجح ترجمة عمرو بن شعيب في تهذيب التهذيب.
أما مازعمه أبو رية أن صحيفة عبد الله بن عمرو إنما كانت فيها أذكار وأدعية فباطل قطعاً.
أما زيادة ما انتشر عن أبي هريرة من الحديث عما انتشر عن عبد الله بن عمرو؛ فلأن عبد الله لم يتجردللرواية تجرد أبي هريرة، وكان أبو هريرة بالمدينة وكانت دار الحديث لعناية أهلها بالرواية، ولرحلة الناس إليها لذلك، وكان عبد الله تارة بمصر، وتارة بالشام، وتارة بالطائف، مع أنه كان يكثر من الأخبار عما وجده من كتب قديمة باليرموك، وكان الناس لذلك كأنهم قليلو الرغبة في السماع منه، ولذلك اكان معاوية وابنه قد نهياه عن التحديث.
فهذه الأحاديث، وغيرها مما يأتي إن لم تدل على صحة قول البخاري وغيره: إن حديث أبي سعيد غير صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإنها تقضي بتأويله، وقد ذكر في فتح الباري أوجها للجمع، والأقرب ما يأتي: قد ثبت في حديث / زيد بن ثابت في جمعه القرآن «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف» ، وفي بعض رواياته ذكر القصب وقطع الأديم. وقد مر قريباً (ص20) ، وهذه كلها قطع صغيرة، وقد كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم الآية والآيتان فكان بعض الصحابة يكتبون في تلك القطع فتتجمع عند الواحد منهم عدة قطع في كل منها آية أو آيتان أو نحوها وان هذا هو المتيسر لهم، فالغالب أنه لو كتب أحدهم حديثاً لكتبه في قطعة من تلك القطع، فعسى أن يختلط عند بعضهم القطع المكتوب فيها الأحاديث بالقطع المكتوب فيها الآيات، فنهوا عن كتابة الحديث سد للذريعة. " ص 35-36-37

قول أبي سعيد نفسه ، أم هو مرفوع ؟ و يلبس على الناس بعدم ذكر الأحاديث الأكثر و الأقوى في كتابة الحديث و الإذن بها ، ففي

صحيح البخاري : " باب كتابة العلم ، و فيه حديث صحيفة علي و كان فيها العقل ، و فكاك الأسير ، و أن لا يقتل مسلم بكافر ، و قد كان عبد الله بن عمرو يكتب الحديث ، و فيه الإذن بالكتابة من النبي صلى الله عليه وسلم . فمدار المنع على حديث أبي سعيد الخدري ، و لو سلم أنه يعارض غيره ، فغيره أوثق ، و أصح ، و أكثر ، و لو أراد أن ينسب الوهم لمن وراء أبي سعيد ، لكان أقرب من نسبته الى الرواة الآخرين ، و لو كان يريد أن ينسب الوهم فيه لأبي سعيد لكان أقرب من نسبة الوهم الى غيره من الصحابة ! فهو فرد و غيره أكثر منه ، فكيف إن أمكن الجمع بين الروايات و عدم ضربها ببعضها ؟[1]

قال المعلمي : ليس في النهي غير حديثين أحدهما متفق على ضعفه و هو المروي عن زيد بن ثابت ، و الثاني مختلف في صحته و هو

[1] بيع الوهم

حديث أبي سعيد ، فأما أحاديث الإذن فلو لم يكن إلا حديث أبي هريرة في الإذن لعبد الله بن عمرو لكان أصح مما جاء في النهي .[1]

و لكن الرجل لا يعبأ بالحديث أصلا ، فيقول :" لا يمكننا بأي حال من الأحوال اعتبار خرافة الحديث علما ، لأنها لا تملك من العلم شيئا ، و منهجها منهج أهواء ، و أسلوبها انتقائي مزاجي ، يخضع لأقوال الرجال "[2]. و لكنه عندما يظنها توافق هواه يصيح قائلا : " تدل دلالة قطعية على منع الرسول لأصحابه من تدوين كلامه "[3] . ثم لما تجيء النصوص بما يخالف هواه يصيح :" لمن يقدس الصحابة ما عليه إلا قراءة القرآن ... يمكنك أيها المقدس المقلد أن ترجع إلى الأحاديث التي تسميها صحيحة لتقف على رأي الصحابة في بعضهم [4]".

فهو لا يعبأ بالصحابة ، و لا يسلم بصحة الأحاديث ، فعلام إذا صار حديث أبي سعيد حجرا أساسيا في طرحه ، لدرجة أنه قطعي الدلالة ؟!

---

[1] الانوار الكاشفة ص 43

2 ص 48

3 ص 19

4 52

الأثر عن ابي بكر :

قال المناوئ : " وقد صار الخلفاء الراشدون على نفس النهج في عدم كتابة الحديث، حيث ورد في تذكرة الحفاظ للذهبي "من مراسيل ابن أبي مليكة" أن أبا بكر الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها ،والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله»)تذكرة الحفّاظ 1: 2 3، حجّيّة السنّة: 394."[1]

أولا : لو رجع أيلال الى التذكرة لوجد الامام الذهبي يقول بعد ايراده لهذا الأثر : فهذا المرسل يدلك أن مراد الصديق التثبت في الأخبار و التحري لا سد باب الرواية ، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة و لم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر و لم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج .[2]

---

1 ص 18

2 تذكرة الحفاظ ج 1 ص 3 ط دار الكتب العلمية .

ثانيا : قد أجاب العلامة المعلمي على نفس الأثر قائلا : ذكر الذهبي هذا الخبر – ولا ندري ما سنده إلى ابن أبي مليلكة، وبين الذهبي أنه مرسل أي منقطع، لأن ابن أبي مليكة لم يدرك أبا بكر ولا كاد، ومثل ذلك ليس بحجة، إذ لايدرى ممن سمعه، ومع ذلك قال الذهبي «مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحرى، لا سد باب الرواية ... ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج» .

أقول: المتواتر عن أبي بكر رضي الله عنه، أنه كان يدين بكتاب الله تعالى وسنة رسوله، وأخذ بحديث «لا نورث» مع مايتراءى من مخالفته لظاهرالقرآن، وأحاديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم موجودة في دواوين الإسلام .

ذكر ابو رية أن عائشة قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خمسمائة حديث، فبات يتقلب.. . فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فأحرقها، وقال: خشيت أن أموت وهي عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد تقلدت ذلك. زاد الأحوص بن المفضل في روايته: أو يكون قد بقى حديث لم أجده فيقال: لو كان قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خفي على أبي بكر)).

أقول: لو صح هذا لكان حجة على ما قلناه، فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة الأحاديث مطلقاً لما كتب أبو بكر. فأما الإحراق فلسبب أو سببين آخرين كما رأيت. لكن الخبر ليس بصحيح، أحال به أبو رية على تذكرة الحفاظ للذهبي وجمع الجوامع للسيوطي ولم يذكر طعنهما فيه، ففي التذكرة عقبه « فهذا لا يصح ».

وفي كنز العمال (5:237) – وهو ترتيب جمع الجوامع ومنه أخذ أبو رية-: « قال ابن كثير هذا غريب من هذا الوجه جداً. وعلي بن صالح أحد رجال سنده لا يعرف)

أقول: وفي السند غيره ممن فيه نظر. ثم وجهه ابن كثير على فرض صحته.

الأثر عن عمر بن الخطاب

قال أيلال : " وفي رواية عن طريق مالك بن أنس أن عمر قال عندما عدل عن كتابة السنة : " لا كتاب مع كتاب الله".

قال المعلمي : "هذا معضل." [1] عروة لم يدرك عمر .

[1] ص 41

قال أيلال : " وأخرج الحافظ بن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع بيان العلم والحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ عن قرظة بن كعب أنه قال: "لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر إلى صرار، ثم قال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا: أردت أن تشيعنا وتكرمنا .قال: إن مع ذلك لحاجة ،إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم قال قرظة: فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله سلى الله عليه وسلم".

قال ابن حبان : لم يكن عمر بن الخطاب يتهم الصحابة بالتقول علة النبي صلى الله عليه وسلم و لا ردهم عن تبليغ ما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد علم انه صلى الله عليه و سلم قال (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) و أنه لا يحل لهم كتمان ما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و لكنه علم ما يكون بعده من التقول على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، لأنه صلى الله عليه و سلم قال (إن الله تبارك و تعالى ينزل الحق على لسان

عمر و قلبه) و قال (إن يكون في هذه الأمة محدثون فعمر منهم) . فعمد عمر الى الثقات المتقنين الذين شهدوا الوحي و التنزيل ، فأنكر عليهم كثرة الرواية عن النبي صلى الله عليه و سلم لئلا يجترئ من بعدهم ممن ليس في الاسلام محله كمحلهم فيكثروا الرواية فينزلوا فيهاأو يتقول متعمدا عليه صلى الله عليه و سلم لنوال الدنيا ، و تبع عمر عليه علي بن ابي طالب رضوان الله عليهما باستحلاف من يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و إن كانوا ثقات مأمونين ، ليعلم بهم توقي الكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم فيرتدع من لا دين له عن الدخول في سخط الله عز وجل فيه ، و قد كان عمر يطلب البينة من الصحابي على ما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم مخافة الكذب عليه ، لئلا يجيء من بعد الصحابة فيرويه عن النبي صلى الله عليه و سلم ما لم يقله .[1]

قال المعلمي : " أقول اختلف في وفاة قرظة والأكثرون أنها كانت في خلافة علي، ووقع في صحيح مسلم في رواية ما يدل أنه تأخر بعد ذلك ولعلها خطأ.وسماع الشعبي منه غير متحقق، وقد جزم ابن حزم في الأحكام 138:2 بأنه لم يلقه، ورد هذا الخبر وبالغ كعادته، ومما

[1] المجروحين لابن حبان 1/37-38

قاله: إن عمر نفسه رويت عنه خمسمائة حديث ونيف فهو مكثر بالقياس إل المتوفين قريباً من وفاته. أقول: مع اشتغاله بالوزارة لأبي بكر ثم بالخلافة. وكذلك رده ابن عبد البر في كتاب العلم 2:121-123 وأطال، قال « والآثار الصحاح عنه (أي عمر) من رواية أهل المدينة بخلاف حديث قرظة هذا، وإنما يدل على بيان عن الشعبي وليس مثله حجة في هذا الباب لأنه يعارض السنة والكتاب » وذكر آيات وأحاديث وآثاراً عن عمر في الحض على تعلم السنن، والشعبي لم يذكر في طبقات المدلسين، لكن ذكر أبو حا تم في ترجمة سلميان بن قيس اليشكري أن أكثر ما يرويه الشعبي عن جابر إنما أخذه الشعبي من صحيفة سليمان بن قيس اليشكري عن جابر، وهذا تدليس. ثم أقول: كان قد تجمع في العراق كثير من العرب من أهل اليمن وغيرهم وشرعوا في تعلم القرآن، فكره عمر أن يشغلوا عنه بذكر مغازى النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها من أخباره التي لا حكم فيها. ولا مانع أن يجب / فيما فيه حكم أن تتوخى به الحاجة، وإن كان الخبر الآتي يخالف هذا."

قال أيلال : " ورد في طبقات ابن سعد أن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها ، فلما أتوه بها أمر بتحريقها " [1].

و فرح بهذا الأثر ليكرر : " إن عمر بن الخطاب قام بحرق نسخ الحديث المكتوبة بعد جمعها " [2] ، و هذا الأثر نقله أبو رية قبله ، و لو كان هذا الرجل طالبا للحق لرجع الى رد المعلمي ، حيث إن هذا الأثر سنده : عن عبد الله بن العلاء قال : سألت أبي القاسم بن محمد أن يملي علي أحاديث فقال : إن الأحاديث كثرت على عهد عمر ... " وساق الأثر .

قال المعلمي : " هذا منقطع أيضا إنما ولد القاسم بعد وفاة عمر ببضع عشرة سنة " [3]، فهذا الأثر لا يصح .

قال أيلال : وروى الحافظ بن عبد البر والبيهقي في المدخل عن عروة أن عمر أراد أن يكتب السن فاستشار أصحاب النبي- كما عند البيهقي- فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله شهرا

[1] ص 18
[2] ص25
[3] الأنوار الكاشفة ص 39

ثم أصبح يوما وقد عزم الله له ،فقال إني كنت أريد أن أكتب السن، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا. وفي رواية البيهقي "لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا". المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي رقم الحديث 590.

قال المعلمي : " وهذا وإن صح حجة لما قلناه، فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة الأحاديث مطلقاً لماهم بها عمر وأشاربها عليه الصحابة، فأما عدوله عنها فلسبب آخر كما رأيت.

لكن الخبر منقطع لأن عروة لم يدرك عمر: فإن صح فإنما كانت تلك الخشية في عهد عمر ثم زالت. وقد قال عروة نفسه كما في ترجمته من تهذيب التهذيب: ((وكنا نقول لا نتخذ كتاباً مع كتاب الله، فمحوت كتبي. فوالله لوددت أن كتبي عندي وإن كتاب الله قد استمرت مريرته)) يعني قد استقر أمره وعلمت مزيته وتقرر في أذهان الناس أنه الأصل، والسنة بيان له. فزال ماكان يخشى من أ ن يؤدي وجود كتاب للحديث إلى أن يكب الناس عليه، ويدعوا القرآن."

الأثر عن عثمان بن عفان

قال أيلال : " وفي تاريخ ابن عساكر ورد عن عثمان بن عفان أنه قال: "لا يحل لأحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر" تاريخ دمشق لابن عساكر رقم الحديث 40116،" و قال معقبا عليه : " مشيا على ما نهجه الخليفتان من قبله في عدم تدوين كلام المصطفى."

قال العلامة المعلمي : " هو عند ابن سعد عقب السيرة النبوية في باب " ذكر من كان يفتي بالمدينة " رواه ابن سعد عن محمد بن عمر الأسلمي وهو الواقدي أحد المشهورين بالكذب ، وكان ابن عساكر رواه من طريقه ، وحال تاريخ ابن عساكر قد مر، وأحاديث عثمان ثابتة في أمهات الحديث كلها، ولم يزل يحدث حتى قتل ." ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ قائلا : " .. و روى جملة كثيرة من العلم . روى عنه بنوه عمرو و أبان و سعيد و مولاه حمران و أنس بن مالك و أبو امامة بن سهل و الأحنف بن قيس و سعيد بن المسيب و أبو وائل و طارق بن شهاب و أبو عبد الرحمن السلمي و علقمة بن قيس و مالك بن أوس بن الحدثان و خلق سواهم .." [1]

[1] التذكرة ج 1 ص 9

- الوقفة الرابعة : عزوه لمسلم حديثا ليس فيه

يقول المناوئ : " وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: "جهدنا بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن لنا في الكتابة فأبى" (2298 /4)كتاب الزهد والرقائق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به."[1]

أقول أن الحديث بهذا اللفظ : " جهدنا بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن لنا في الكتابة فأبى "، الذي أسهب أيلال في بيان موضعه في صحيح مسلم ، أنه بهذا اللفظ ليس في صحيح مسلم أصلا ! ، و أما الذي عند مسلم في نفس الصفحة و الباب :

"حدثنا هداب بن خالد الأزدي ، حدثنا همام ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عم أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تكتبوا عني ، و من كتب عني غير القرآن فليمحه

[1] ص 18

، و حدثوا عني ، ولا حرج ، و من كذب علي – قال همام : أحسبه قال – متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "[1]

و هذا اللفظ الذي أعرض عنه الكاتب ، ففيه نسف نظريته حول السنة النبوية ، لذلك لم يورده بلفظه ، فقد جاء في آخر الحديث : " و حدثوا عني ، و لا حرج " فهذا إذن واضح بالتحديث و تبليغ السنة للأمة ، و الكاتب يريد التمسك بمنع الكتابة ليصل إلى نسف حجية الأحاديث ، و إذن النبي صلى الله عليه وسلم بالتحديث دليل على أنها حجة .[2]

- الوقفة الخامسة : خطيئة لا خطأ

قوله : " يظن عوام الناس أن الحديث وحي .." و هذه خطيئة و سقطة معرفية أخرى لصاحب الأسطورة !، فليس عامة الناس من يعتقدون أن السنة وحي بل أجمع علماء الأمة قديما و حديثا على اعتبارها وحي أمرنا الله باتباعه و التحاكم اليه .

قال العلامة المعلمي : " نحن المسلمين لا نفرق بين الله ورسله، بل نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله المبلغ لدين الله والمبين

[1] مسلم 2298/4
[2] التفنيد لشبهات أيلال رشيد ص 17

لكتاب الله بسنته، بقوله وفعله وغير ذلك مما بين به الدين، ونؤمن وندين بما بلغنا إياه بالكتاب وبالسنة، والأحاديث أخبار عن السنة، إذا ثبتت ثبت ما دلت عليه السنة، ولسنا نحن بالجاعلى السنة بهذه المرتبة، بل الله عز وجل جعلها. وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، وقد تكفل الله تعالى بحفظ دينه، ووفق الأمة التي وصفها بأنها خير أمة أخرجت للناس فقام أئمتها وعلماؤها بما أمروا به من حفظ الدين وتبليغه على الوجه الذي اختاره الله ورسوله فلم يزل محفوظاً إن خفي بعضه على الجهال لم يخف على العلماء، وإن خفي على بعض العلماء لم يخف على بقيتهم ."[1] و ماذا سيقول المناوئ عن قول الإمام الشافعي في شرح قوله تعالى{ لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} [2] :" فذكَر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة فسمعتُ من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله، وهذا يشبه ما قال والله أعلم،

---

[1] الأنوار الكاشفة ص 16
[2] سورة آل عمران الآية164

لأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمة، وذكر الله مَنَّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجزْ – والله أعلم- أن يقال الحكمة هنا إلا سنة رسول الله، وذلك أنها مقرونة مع الكتاب، وأن الله افترض طاعة رسوله، وحتَّم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقولٍ فُرضَ إلا لكتاب الله وسنة رسوله لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله مقرونا بالإيمان به"[1].

فما رأي الكاتب في الشافعي هل هو من العوامِّ ؟؟، وما رأيه في مشايخه وأهل طبقته ممن نقل عنهم هنا رأيهم بخصوص هذه القضيَّة هل هم من العوامِّ أيضا ؟؟ فإنْ قال:" هم عوامٌّ، قلنا له فمَن العلماء إذن؟، وإنْ قال بل الشافعي ومشايخه وأهل طبقته من معاصريه من العلماء قلنا له لزمكَ نسْف قولك "، وتهاوى ما بنيْته في كتابك، وتناثر نظام كلامك وتساقطت أسطورتك على رأسك..[2]

كما أنه لم ينقل عن أحد من العلماء القول بأن الرسول الكريم أمر بتدوين الحديث الى جانب القرآن ، فإن ظن ذلك العوام فالواجب تصحيح أفهامهم لا الطعن في السنة و اهدار العمل بحجيتها .

[1] انظر الرسالة للشافعي ص78

[2] المعركة تحت راية البخاري . الحلقة الخامسة .

- الوقفة السادسة : من تهافت المنهج و تناقضه

من تناقضات المناوئ كفره بمرويات السنة و طعنه في كتب الحديث خاصة ، و اعتبارها " روايات تاريخية خاضعة لأهواء البشر و مصالحهم ، و أهدافهم الشخصية "[1] و أنها " مرويات ظنية الثبوت في غالبيتها " [2] و أنه" تم إيجاد و صنع أحاديث تأذن بتدوين كلام الرسول .."[3] . : و قوله :" لا يمكننا بأي حال من الأحوال اعتبار خرافة الحديث علما ، لأنها لا تملك من العلم شيئا ، و منهجها منهج أهواء ، و أسلوبها انتقائي مزاجي ، يخضع لأقوال الرجال "[4].

ثم إنه يعتمد على حديث أبي سعيد الخدري في النهي عن كتابة غير القرآن ، و على غيره من الآثار و المرويات. فعلى مذهبه يلزمه رفض و طرح هذا الحديث و غيره من الآثار التي استشهد بها ، لأنها :

[1] ص 19
2 ص 18
3 ص 19
[4] ص 48

أولا : مروية بالأسانيد التي تروى بها أحاديث البخاري ، والتي – حسب زعمه – منحولة و موضوعة على أصحابها ، و تلاعبت بها أيدي الرروااة تبعا لميولاتهم المذهبية و السياسية و العقدية !و بالتالي كان عليه الكفر بها كذلك .

ثانيا : لأنها مبثوثة في كتب حديثية – حسب مذهبه – ليس بين أيدينا نسخة مؤلفها الخطية كي نستطيع التأكد من صحة المحتوى و صحة نسبته للمؤلف !

فتماشيا مع منهجه البحثي " الذي لم يسبق اليه " يمكن للمعترض عليه أن يقول له أنه : " تم إيجاد و صنع أحاديث في المنع من الكتابة .." ! و أن أحاديث الإذن هي الأصل و أن الرواة وضعوا بعد ذلك أحاديث المنع ؟ فما هو جوابه إذن ؟

من غرائب المناوئ أنه يعتمد على مرويات ضعيفة في تقعيد باطله ، و يترك روايات صحيحة تخالف مذهبه على صحتها و قوتها ، و قد مر معنا كلام العلامة المعلمي الذي حقق أن كل الأثار عن الصحابة في منع كتابة السنة ضعيفة ، و أن الثابت عنهم كتابة الحديث و

روايته للناس ليتعبدوا بالعمل به . و مع وضوح كل هذا يواصل المناوئ انتفاخاته و ادعاءاته فيقول : " غير أن أحاديث منع التدوين و الكتابة ، تبقى هي الأقوى و الأكثر حضورا ..."[1]

- الوقفة السابعة : تفنيد نظرية الدين العام و الدين الخاص :

نقل المناوئ كلام الشيخ رشيد رضا في الموازنة بين أحاديث المنع و الإذن : " إن أصح ما ورد في المنع من كتابة الحديث ما رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وابن عبد البر في كتاب العلم وغيرهم عن أبي سعيد الخدري مرفوعا : "لا تكتبوا عني غير القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه "».

وإن أصح ما ورد في الإذن ، حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما مرفوعا :

"اكتبوا لأبي شاه" وهو لا يعارض حديث أبي سعيد وما في معناه على قاعدتنا التي مدارها على أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن كتابة حديثه مراد به ألا تتخذ دينا عاما كالقرآن ، وذلك أن ما أمر بكتابته لأبي شاه هو خطبة خطبها صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة ،

[1] ص 19

موضوعها تحريم مكة ولقطة الحرم ، وهذا من بيانه صلى الله عليه واله وسلم للقرآن الذي صرح به يوم الفتح ، وصرح به في حجة الوداع وأمر بتبليغه ، فهو خاص مستثنى من النهي العام. وقد صرح البخاري في باب اللقطة من صحيحه بأن أبا شاه اليمني طلب أن تكتب له الخطبة المذكورة ،فأمر صلى الله عليه وآله وسلم بإجابة طلبه »انتهى.

ثم عقب عليه قائلا : " إذن فحسب تحليل الفقيه المحدث رشيد رضا ، فإن المنع ينسحب بالأساس على تدوين كلام الرسول على أساس أنه دين ،إ ذ لا وحي إلا القرآن ، ولا كتاب أنزل على الناس باعتباره وحيا إلا كتاب الله المنزلة على أنبيائه والتي منها القرآن ، بالإضافة إلى أن بيان الرسول الذي ألقاه بخصوص فتح مكة ، هو بيان سياسي لقائد دولة و ليس لرسول ، فلا وجود للرسالة في خطبته إلا من حيث البيان.."[1]

قال العلامة مصطفى السباعي رحمه الله : " أن الله أوجب على المسلمين اتباع الرسول فيما يأمر وينهى فقال: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}[2] وقرن طاعة الرسول بطاعته في آيات

[1] ص 20
[2] [سورة الحشر، الآية: 7].

كثيرة من القرآن فقال: {وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون} [1]، وحث على الاستجابة لما يدعو، فقال: {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} [2]، واعتبر طاعته طاعة لله واتباعه حبا لله: {من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا} [3]. وقال أيضا: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم} [4]. وحذر من مخالفة أمره: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم}[5] . بل أشار إلى أن مخالفته كفر: {قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين}[6] . ولم يبح للمؤمنين مطلقا أن يخالفوا حكمه أو أوامره {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا}[7]. واعتبر من علامات النفاق الإعراض عن تحكيم الرسول في

[1] [سورة آل عمران، الآية: 132].
[2] [سورة الأنفال، الآية: 24].
[3] [سورة النساء، الآية: 80].
[4] [سورة آل عمران، الآية: 31].
[5] [سورة النور، الآية: 63].
[6] [سورة آل عمران، الآية: 32].
[7] [سورة الأحزاب، الآية: 36].

مواطن الخلاف: {ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون}[1]. بل جعل من لوازم الإيمان ألا يذهبوا حين يكونون مع رسول الله دون أن يستأذنوا منه:

{إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم}[2] .

قال ابن القيم: «فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهبا إذا كانوا معه إلا باستئذانه فأولى أن يكون من لوازمه أن لا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمي إلا بعد استئذانه، وإذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه» .[3]

من هذا كله كان لا بد للصحابة من الرجوع إلى الرسول –

---

[1] [سورة النور، الآيات: 47 - 51].
[2] [سورة النور، الآية: 62].
[3] " إعلام الموقعين ": 1/ 58

صلى الله عليه وسلم -، يفسر لهم أحكام القرآن ويبين لهم مشكلاته، ويحكم بينهم في المنازعات ويحل بينهم الخصومات، وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - يلتزمون حدود أمره ونهيه، ويتبعونه في أعماله وعباداته ومعاملاته - إلا ما علموا منه أنه خاص به - فكانوا يأخذون منه أحكام الصلاة وأركانها وهيئاتها نزولا عند أمره - صلى الله عليه وسلم - «صلوا كما رأيتموني أصلي» [1] ، ويأخذون عنه مناسك الحج وشعائره امتثالا لأمره أيضا «خذوا عنى مناسككم» [2] و قد يغضب إذا علم أن بعض صحابته لم يتأس به فيما يفعله، كما روى مالك في " الموطأ " عن عطاء بن يسار: أن رجلا من الصحابة أرسل امرأته تسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن حكم تقبيل الصائم لزوجته، فأخبرتها أم سلمة - رضي الله عنها - «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقبل وهو صائم » ، فرجعت إلى زوجها فأخبرته ، فقال: " لست مثل رسول الله ، يحل الله لرسوله ما يشاء "، فبلغ قوله ذلك رسول الله - صلى الله عليه

1 أخرجه " البخاري " عن مالك بن الحويرث.
2 أخرجه " مسلم " عن جابر.

وسلم – فغضب و قال : « إني أتقاكم لله وأعلمكم بحدوده » [1] و كما غضب حين أمر الصحابة بالحلق والإحلال من الإحرام في صلح الحديبية فلم يفعلوا ، إذ شق ذلك عليهم حتى بادر بنفسه فتحلل فابتدروا يقتدون به. وقد بلغ من اقتدائهم به أن كانوا يفعلون ما يفعل ويتركون ما يترك، دون أن يعلموا لذلك سببا أو يسألوه عن علته وحكمته ، فقد أخرج " البخاري " عن ابن عمر – رضي الله عنهما –، قال: اتخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خاتما من ذهب ، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب ، ثم نبذه النبي صلى الله عليه وسلم : «إني لن ألبسه أبدا » ، فنبذ الناس خواتيمهم . وروى القاضي عياض في كتابه " الشفا " عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه –، قال : بينما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره ، فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم ، فلما قضى صلاته قال : «ما حملكم على إلقاء نعالكم؟» قالوا : رأيناك ألقيت نعليك ، فقال : «إن جبريل أخبرني أن فيهما قذرا » وذكر ابن سعد في " الطبقات " ، أنه – صلى الله عليه وسلم – صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ، ثم أمر

[1] أخرجه " مسلم " عن عمر بن أبي سلمة وأخرجه الشافعي أيضا في " الرسالة ": ص 404 مرسلا عن عطاء.

أن يتوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ودار معه المسلمون .[1] بل بلغ من امتثالهم أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن فعلوا ذلك حتى في شؤون الدنيا ، فقد أخرج " أبو داود " وابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله " عن ابن مسعود – رضي الله عنه – : أنه جاء يوم الجمعة والنبي يخطب فسمعه يقول : « اجلسوا » فجلس بباب المسجد – أي حيث سمع النبي يقول ذلك –، فرآه النبي – عليه الصلاة والسلام – فقال له : « تعال يا عبد الله بن مسعود ».وهكذا كان الصحابة مع الرسول – عليه الصلاة والسلام – في حياته ، يعتبرون قوله وفعله وتقريره حكما شرعيا لا يختلف في ذلك واحد منهم، ولا يجيز أحدهم لنفسه أن يخالف أمر القرآن ، وما كان الصحابة يراجعون رسول الله في أمر إلا إذا كان فعله أو قوله اجتهادا منه في أمر دنيوي ، كما في غزوة بدر حين راجعه الحباب بن المنذر في مكان النزول ، أو إذا كان اجتهادا منه في بحث ديني قبل تقرير الله له أو نهيه عنه ، كما راجعه عمر في أسرى بدر وصلح الحديبية ، أو

[1] " الطبقات الكبرى " لابن سعد: 2/ 7.

إذا كان غريبا عن عقولهم فيناقشونه لمعرفة الحكمة فقط ، أو كانوا يظنون فعله خاصا به فلا يلزمون أنفسهم اتباعه ، أو إذا أمرهم بأمر فظنوا أنه للإباحة وأن غير المأمور به أولى . أما ما عدا ذلك فكان منهم التسليم المطلق والاتباع التام والالتزام الكامل." [1]

الوقفة الثامنة : هل نهى الرسول الكريم عن تدوين السنة مطلقا ؟ و لماذا ؟

من سوء طوية المناوئين و خبث تدليسهم أنهم يجتزؤون من الأحاديث ما يوافق هواهم فيتغنوا طربا ببعض النصوص و يهملون نصوصا أخرى كثيرة لا تخدم أطروحتهم . و هذا الاسلوب بعيد كل البعد عن المنهج العلمي الذي أصموا أسماعنا بالتغني به و الدعوة الى تطبيقه على الدراسات الاسلامية !

و في ما يلي الاجابة عن هذه الشبهة : قد وقعت كتابة في الجملة كما يأتي، لكن لم تشمل ولم يؤمر بها أمراً.

أما حكمة ذلك فمنها: أن الله تبارك وتعالى كما أراد لهذه الشريعة البقاء أراد سبحانه أن لا يكلف عباده من حفظها إلا بما لا يشق عليهم مشقة شديدة، ثم هو سبحانه يحوطها ويحفظها بقدرته، كان

[1] انتهى كلام العلامة السباعي

النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يعجل بقراءة ما يوحى إليه قبل فراغه خشية أن ينسى شيئاً منه، فأنزل الله عليه { ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه، وقل رب زدني علماً} ، وقوله { لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأنه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه} ، وقوله { سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى}.

وكانت العرب أمة أمية يندر وجود من يقرأ أو يكتب منهم، وأدوات الكتابة عزيزة ولا سيماما يكتب فيه، وكان الصحابة محتاجين إلى السعي في مصالحهم، فكانوا في المدينة منهم من يعمل في حائطه، ومنهم من يبايع في الأسواق، فكان التكليف بالكتابة شاقاً، فاقتصر منه على كتابة ما ينزل من القرآن شيئاً فشيئاً ولو مرة واحدة في قطعة من جريد النخل أو نحوه تبقى عند الذي كتبها.

وفي صحيح البخاري وغيره من حديث زيد بن ثابت في قصة جمعه القرآن بأمر أبي بكر «فتتبعتُ القرآن أجمعه من العُسُب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) حتى خاتمة سورة براءة»

وفي فتح الباري: أن العسب جريد النخل، ,إن اللخاف الحجارة الرقاق، وإنه وقع في رواية: القصب والعسب والكرانيف وجرائد النخل، ووقع في روايات أخر ذكر الرقاع وقطع الأديم والصحف.
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقن بعض أصحابه ما شاء الله من القرآن ثم يلقن بعضهم بعضاً، فكان القرآن محفوظاً جملة في صدورهم ومحفوظاً بالكتابة في قطع مفرقة عندهم.
والمقصود أنه اقتصر من كتابة القرآن على ذاك القدر إذ كان أكثر منه شاقاً عليهم، وتكفل الله عز وجل بحفظه في صدورهم وفي تلك القطع، فلم يتلف منها شيء، حتى جمعت في عهد أبي بكر، ثم لم يتلف منها شيء حتى كتبت عنها المصاحف في عهد عثمان، وقد الله تعالى{ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}، وتكفله سبحانه بحفظ لا يعفي المسلمين أن يفعلوا ما يمكنهم كما فعلوا – بتوفيقه لهم – في عهد أبي بكر، ثم في عهد عثمان.
فأما السنة فقد تكفل الله بحفظها أيضا، لأن تكفله بحفظ القرآن يستلزم تكفله بحفظ بيانه وهو السنة، وحفظ لسانه وهو العربية، إذ المقصود بقاء الحجة قائمة والهداية باقية بحيث ينالها من يطلبها، لأن محمداً خاتم الأنبياء وشريعته خاتمة الشرائع. بل دل على ذلك قوله {ثم إن علينا بيانه} ، فحفظ الله السنة في صدور الصحابة والتابعين حتى كتبت ودونت كما يأتي، وكان التزام كتابتها في العهد النبوي

شاقاً جداً، لأنها تشمل جميع أقول النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله وما يقوله غيره بحضرته أو يفعله وغير ذلك. والمقصود الشرعي منها معانيها، ليست كالقرآن المقصود لفظه ومعناه، لأن كلام الله بلفظه ومعناه، ومعجز بلفظه ومعناه، ومتعبد بتلاوته بلفظه بدون أدنى تغيير، لاجرم خفف الله عنهم واكتفى من تبليغ السنة غالباً بأن يطلع عليها بعض الصحابة، ويكمل الله تعالى حفظها وتبليغها بقدرته التي لا يعجزها شيء، فالشأن في هذا الأمر هو العلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أمر به التبليغ الذي رضيه الله منه، وأن ذلك مظنة بلوغه إلى من يحفظه من الأمة ويبلغه عند الحاجة ويبقى موجوداً بين الأمة، وتكفل الله تعالى بحفظ دينه يجعل تلك المظنة مئنة، فتم الحفظ كما أراد الله تعالى، وبهذا التكفل يدفع ما يتطرق إلى تبليغ القرآن كاحتمال تلف بعض القطع التي كتبت فيها الآيات، واحتمال أن يغير فيها من كانت عنده ونحو ذلك.

ومن طالع تراجم أئمة الحديث من التابعين فمن بعدهم وتدبر ما آتاهم الله تعالى من قوة الحفظ والفهم والرغبة الأكيدة في الجد والتشمير لحفظ النسة وحياطتها بان له ما يحير عقله، وعلم أن ذلك ثمرة تكفل الله تعالى بحفظ دينه. وشأنهم في عظيم جداً، أو هو عبادة من أعظم العبادات وأشرفها، وبذلك يتبين أن ذلك من المصالح

المترتبة على ترك كتابة الأحديث كلها في العهد النبوي، إذ لو كتبت لانسد باب تلك العبادة وقد قال الله تعالى {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}.

وثم مصالح أخرى منها: تنشئة علوم تحتاج إليها الأمة، فهذه الثروة العظيمة التي بيد المسلمين من تراجم قدمائهم، إنما جاءت من احتياج المحدثين إلى معرفة أحوال الرواة، فاضطروا إلى تتبع ذلك، وجمع التواريخ والمعاجم، ثم تبعهم غيرهم.

ومنها: الإسناد الذي يعرف به حال الخبر، كان بدؤه في الحديث ثم سرى إلى التفسير والتاريخ والأدب.

هذا والعالم الراسخ هو الذي إذا حصل له العلم الشافي بقضية لزمها ولم يبال بما قد يشكك فيها، بل إما أن يعرض عن تلك المشككات، وإما أن يتأملها في ضوء ما قد ثبت، فههنا من تدبر كتاب الله وتتبع هدي رسوله ونظر إلى ما جرى عليه العمل العام في عهد أصحابه وعلماء أمته بوجوب العمل بأخبار الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنها من صلب الدين، فمن أعرض عن هذا وراح يقول: لماذالم تكتب الأحاديث؟ بماذا، لماذا؟ ويتبع قضايا جزئية- إما أن لا تثبت،

وإما أن تكون شاذة، وإما أن يكون لها محمل لا يخالف المعلوم الواضح – من كان شأنه فلا ريب في زيغه...[1]

و قد أمتع الدكتور الخطيب في كتابه (السنة قبل التدوين) و ناقش الأخبار التي ذكرت في هذا الباب في النهي و الإباحة — و نحن ننقله لطوله لفائدته — قال حفظه الله :

" ما روي من كراهة الكتابة:

1 – روى أبو سعيد الخدري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه» وهذا الحديث أصح ما ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هذا الباب.

2 – وقال أبو سعيد الخدري: «جهدنا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – أن يأذن لنا في الكتاب فأبى». وفي رواية عنه قال: «استأذنا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة فلم يأذن لنا» .

[1] الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة 33 34 - عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: 1386هـ) المطبعة السلفية ومكتبتها / عالم الكتب – بيروت 1406 هـ / 1986 م

3 – روي عن أبي هريرة أنه قال: خرج علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – , ونحن نكتب الأحاديث , فقال: «ما هذا الذي تكتبون؟» , قلنا: أحاديث نسمعها منك. قال: «كتاب غير كتاب الله!؟، أتدرون؟ ما ضل الأمم قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى»

ما روي من إباحة الكتابة:

1 – قال عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما –:

«كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورسول الله– صلى الله عليه وسلم – بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق»

2 – قال أبو هريرة – رضي الله عنه –: «ما من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب»

3 – روي عن أبي هريرة أن رجلا كان يشهد حديث , رسول الله – صلى الله عليه وسلم – , فلا يحفظه , فيسأل أبا هريرة , فيحدثه , ثم

شكا قلة حفظه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –, فقال له النبي , – عليه الصلاة والسلام –: «استعن على حفظك بيمينك»

4 – روى رافع بن خديج أنه قال: قلنا: يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء، أفنكتبها؟ قال: «اكتبوا ولا حرج»

5 – روي عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «قيدوا العلم بالكتاب»

6- روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم أنه كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره .

7–روي عن أبي هريرة أنه لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام الرسول – صلى الله عليه وسلم – وخطب في الناس، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه، فقال: يا رسول الله اكتبوا لي، فقال: «اكتبوا له» . قال أبو عبد الرحمن (عبد الله بن أحمد): «ليس يروى في كتابة الحديث شيء أصح من هذا الحديث، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم، قال: "اكتبوا لأبي شاه"» .

8 – روي عن ابن عباس أنه قال: لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده» قال عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا، وكثر اللغط، قال: «قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع»

إن طلب الرسول هذا واضح في أنه أراد أن يكتب شيئا غير القرآن، وما كان سيكتبه هو من السنة، وإن عدم كتابته لمرضه لا ينسخ أنه قد هم به، وكان في آخر أيام حياته – عليه الصلاة والسلام – الكتابة في أوقات مختلفة، ولمواضيع كثيرة، في مناسبات عدة، خاصة وعامة.

وإذا كانت الأخبار الدالة على إباحة الكتابة منها خاص كخبر أبي شاه، فإن منها أيضا ما هو عام لا سبيل إلى تخصيصه، كسماحه لعبد الله بن عمرو بالكتابة وللرجل الأنصاري الذي شكا سوء حفظه. ويمكن أن نستشهد في هذا المجال بخبر أنس ورافع بن خديج وإن تكلم فيهما، لأن طرقهما كثيرة يقوي بعضها بعضا، وللعلماء مع هذا آراء في هذه الأخبار سأوجزها فيما يلي:

حاول العلماء أن يوفقوا بين ما ورد من نهي عن الكتابة وما وري من إباحة لها، وترجع آراؤهم إلى أربعة أقوال:

الأول: قال بعضهم إن حديث أبي سعيد الخدري موقوف عليه فلا يصلح للاحتجاج به وروي هذا الرأي عن البخاري وغيره (1)، إلا أننا لا نسلم بهذا لأنه ثبت عند الإمام مسلم، فهو صحيح، ويؤيد صحته ويعضده ما رويناه عن أبي سعيد – رضي الله عنه –: رواه أبو سعيد نفسه إذ يقول: «استأذنت النبي – صلى الله عليه وسلم – أن أكتب الحديث، فأبى أن يأذن لي»

الثاني: أن النهي عن الكتابة إنما كان في أول الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن، فلما كثر عدد المسلمين، وعرفوا القرآن معرفة رافعة للجهالة وميزوه من الحديث – زال هذا الخوف عنهم، فنسخ الحكم الذي كان مترتبا عليه، وصاد الأمر إلى الجواز . وفي هذا قال الرامهرمزي: «وحديث أبي سعيد: "حرصنا أن يأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب فأبى "، أحسب أنه كان محفوظا في أول الهجرة وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن»

والقول بالنسخ أحد المعنيين اللذين فهمهما ابن قتيبة من تلك الأخبار. فقال: «أحدهما: أن يكون من منسوخ السنة بالسنة، كأنه نهى في أول الأمر عن أن يكتب قوله، ثم رأى بعد – لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ – أن تكتب وتقيد» ، ورأى هذا الرأي كثير من العلماء، وذهب إليه العلامة المحقق الأستاذ أحمد محمد شاكر فبعد أن دعم رأيه بالأخبار التي تبيح الكتابة قال: «كل هذا يدل على أن حديث أبي سعيد – «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه» – منسوخ، وأنه كان في أول الأمر، حين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن وحديث أبي شاه في أواخر حياة النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكذلك أخبار أبي هريرة – وهو متأخر

الإسلام – " أن عبد الله بن عمرو كان يكتب، وأنه هو لم يكن يكتب ": يدل على أن عبد الله كان يكتب بعد إسلام أبي هريرة، ولو كان حديث أبي سعيد في النهي متأخرا عن هذه الأحاديث في الإذن والجواز لعرف ذلك عند الصحابة يقينا صريحا» .

ويمكن أن نلحق هنا الرأي الذي يقول: إن النهي إنما كان عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية، فربما كتبوه معه، فنهوا عن ذلك لخوف الاشتباه .

الثالث: أن النهي في حق من وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة، والإذن في حق من لا يوثق بحفظه كأبي شاه .

الرابع: أن يكون النهي عاما وخص بالسماح له من كان قارئا كاتبا مجيدا لا يخطئ في كتابته، ولا يخشى الغلط، كعبد الله بن عمرو الذي أمن عليه – صلى الله عليه وسلم – كل هذا، فأذن له . وهذا هو المعنى الآخر الذي فهمه ابن قتيبة من تلك الأخبار.

ورأينا في هذه الأخبار هو صحة ما روي عن أبي سعيد من النهي، وصحة ما ورد عن غيره من إباحة الكتابة ، فنحن لا نقول بوقف خبر أبي سعيد عليه. فالرأي الأول مردود، ويمكن أن تكون جميع هذه الآراء الثلاثة صوابا، فنهى – عليه الصلاة والسلام – عن كتابة الحديث الشريف مع القرآن في صحيفة واحدة خوف الالتباس، وربما يكون نهيه عن كتابة الحديث على الصحف أول الإسلام حتى لا

يشغل المسلمون بالحديث عن القرآن الكريم، وأراد أن يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم وعلى الألواح والصحف والعظام توكيدا لحفظه، وترك الحديث للممارسة العملية، لأنهم كانوا يطبقونه: يرون الرسول فيقلدونه، ويسمعون منه فيتبعونه، وإلى جانب هذا سمح لمن لا يختلط عليه القرآن بالسنة أن يدون السنة كعبد الله بن عمرو، وأباح لمن يصعب عليه الحفظ أن يستعين بيده حتى إذا حفظ المسلمون قرآنهم وميزوه عن الحديث جاء نسخ النهي بالإباحة عامة، وإن وجود علة من علل النهي السابقة لا ينفي وجود غيرها ولا يتعارض معه، كما أن وجود علة النهي لا ينفي تخصيص هذا النهي بالسماح لبعض من لا تتحقق فيهم هذه العلة. فالنهي لم يكن عاما، والإباحة لم تكن عامة في أول الإسلام، فحيثما تحققت علة النهي منعت الكتابة، وحيثما زالت أبيحت الكتابة.

وأرى في حديث أبي شاه وفي حديث ابن عباس: «ائتوني بكتاب ... » إذنا عاما، وإباحة مطبقة للكتابة، وعلى هذا لا تعارض بين جميع تلك الروايات فقد سهل التوفيق بينها وتبين وجه الصواب. وانتهى أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بإباحة الكتابة، وسنرى فيما بعد بعض ما دون في عهده – صلى الله عليه وسلم –"[1]

[1] السنة قبل التدوين 303-309 و راجع كذلك : علوم الحديث و مصطلحه للعلامة صبحي الصالح رحمه الله ص 17 و ما بعدها .

الوقفة التاسعة : الدلالة المعجمية ل "كتب " و " دون " و " صنف " . و جهل الكاتب بهذه المصطلحات !

قضية تدوين الحديث النبوي زلَّت فيها أقدام المحْدثين المعاصرين من اللادينيين الحاقدين، والعلمانيين الحداثيين، من صحفيين وأدباء وعلماء اجتماع وسياسة ومفكرين، ومغامرين باحثين عن الشهرة الإعلامية والقفزة البهلوانية، والطَّفرة التي تُدخل كتاب كينيز للأرقام القياسية في الافتراء والإرجاف– إذ لم يستحضروا الحقائق التالية:

– التفريق بين الفعل الثلاثي :"كتَب" و" ودوَّن" و" صنَّف" أو" جمَع"، فعندما نقول، لم يكن الحديث مدوَّنا على عهد رسول الله نكون من الصادقين المصدَّقين، إذْ من لازم ذلك أن الحديث لم يكن داخلا في ديوان يعني كتاب واحد يُضمُّ بعضُه إلى بعض ، و يُشدُّ بشدَّاد، وعندما نقول أن ذلك قد حصل في زمن متأخر عن الوفاة النبوية نكون قد أثبتنا حصول الكتابة بمعنى التقييد وتسويد البياض بسواد وذاك الذي يُقال له الخط أو الرقْم، وهو أمرٌ حاصل في زمن النبي وبأمره وتحت نظره وإن شكك فيه المؤلف وحزبه .. وهو هنا يقينا يخلط بين " دوَّن" و" كتَب" ويحتاج ليفهمها أن يكمِّل تعليمه الإعدادي والثانوي والجامعي، ولا يقال هنا إنه عصامي كما وصفه الأنجري قديما ثم تراجع؟ بل العصامي رجلٌ فوق الإعدادي والثانوي

والجامعي، فهو جامعٌ لعلم هذه المستويات بل زائد عليها علما وأدبا وفهما.

وأنتَ فدعك مما أجلبَ المؤلفُ من ذاك النصِّ الطويل عمَّن وصفه بالمفكر المصري محمود أبي رية في صفحة 19 و20 من كتابه، ولقد علِم الله من هو هذا المفكر المصري الكبير الذي عوَّل المؤلف عليه ونقل كلامه وأقرَّه مستشهدا به، فهو صاحب " أضواء على السنة النبوية" الكتاب القنبلةُ الذي نسف فيه– زعمَ– السنة، ولقد رد ظلماته د/ يوسف السباعي في كتابه النافع السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، فكفى وشفى قلوب المؤمنين، وأما قلوب المتشككين فلو جئناهم بكل آية معجزة – بكل دليل واضح– لم يؤمنوا...[1]

الوقفة العاشرة : وجوب طاعته بعد وفاته:

كما وجب على الصحابة بأمر الله في القرآن اتباع الرسول وطاعته في حياته ، وجب عليهم وعلى من بعدهم من المسلمين اتباع سنته بعد وفاته ، لأن النصوص التي أوجبت طاعته عامة لم تقيد ذلك بزمن

[1] المعركة تحت راية البخاري 5

حياته، ولا بصحابته دون غيرهم ، ولأن العلة جامعة بينهم وبين من بعدهم ، وهي أنهم أتباع لرسول أمر الله باتباعه وطاعته ، ولأن العلة أيضا جامعة بين حياته ووفاته ، إذ كان قوله وحكمه وفعله ناشئا عن مشرع معصوم أمر الله بامتثال أمره، فلا يختلف الحال بين أن يكون حيا أو بعد وفاته ."

إن السنة النبوية كانت ولا تزال دينا، لأن الله تعالى أمرنا بطاعة رسوله، وجعل طاعة رسوله من طاعة الله، فقال: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [1]، وأمر بالأخذ بكل ما جاء به الرسول فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [2]، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه أوتي القرآن ومثله معه فقال:« أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ«.[3] بل حذر النبي صلى الله عليه وسلم من مخالفة سنته وهديه فقال: " من رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ

[1] [النساء: 80]
[2] [الحشر: 7]
[3] أخرجه أبو داود (4604) والترمذي (2664) وابن ماجه (12) من حديث المقدام بن مَعْدِي كَرْبٍ عن النبيe. وإسناده صحيح كما في السلسلة الصحيحة (882).

مِنِّي.[1] ولما أراد عثمان بن مظعون أن يختصي بَعَثَ إليه رسول الله فَجَاءَهُ ، فَقَالَ: "«يَا عُثْمَانُ، أَرَغِبْتَ عَنْ سُنَّتِي»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ".[2] ولو كانت السنة النبوية موروثا ثقافيا لا قداسة له، لكان أمر الله بطاعة نبيه والاقتداء بهديه عبثًا من القول- تعالى الله عن ذلك-، إذ يأمر الله بطاعة رسوله فيقول﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [3]، ويضمن الهداية لمن فعل ذلك فيقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [4]، ويشرّعُ لعباده الاقتداء بالنبي فيقول:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [5].

أما قوله : إن الصحابة قد فهموا من النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة ليست شرعًا فانصرفوا عنها، ولم يهتموا بكتابتها أو الالتزام بها ، فهذا من الكذب والمكابرة ، فالُمطّلِع على المدونات في كتب

---

1 أخرجه البخاري (5063) ومسلم (1401).

2 أخرجه أبو داود في سننه (1369) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه ابن حبان، انظر صحيح سنن أبي داود (1239).

3 [آل عمران: 133]

4 [النور: 54]

5 [الأحزاب: 21].

السنة وتاريخ العلوم وما كتب العلماء في مواقف الأمة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم – و بخاصة موقف الصحابة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم – يقطع بببطلان ما كتب أيلال .

فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أحرص الخلق على ملاحظة أقوال رسول الله وأفعاله وحفظها والعمل بها ، بل بلغ من حرصهم على تتبع كل صغيرة وكبيرة وحفظها ووعيها والعمل بها أن كانوا يتناوبون ملازمة رسول الله عليه الصلاة و السلام ، فهذا عمر بن الخطاب يقول: «كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المِدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ» . وما كان ذلك إلا لحرصهم الشديد على معرفة سنة رسول الله ص واتباعها والالتزام بها.

وقد كان الصحابة يقطعون المسافات الطويلة ليسألوا رسول الله عن حكم الله في بعض ما يعرض لهم ، وكانوا حريصين على أن يسألوا أزواج النبي عن سيرته وسنته في بيته ، وكانت النساء يذهبن إلى بيوت أزواج النبي يسألنهن عما يعرض لهن وهذا معروف مشتهر غني

عن ذكر شاهد أو مثال.

بل لقد بلغ من حرص الصحابة على الالتزام بسنة النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يلتزمون ما يفعل ويتركون ما يترك دون أن يعرفوا لذلك حكمة، ودون أن يسألوا عن ذلك ثقة منهم بأن فعله وحْيٌ. فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ت قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ص ذَاتَ يَوْمٍ, فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ, فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ خَلَعُوا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ص صَلَاتَهُ قَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَاءِ نِعَالِكُمْ؟», قَالُوا: «رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ص: «إِنِّي لَمْ أَخْلَعْهُمَا مِنْ بَأسٍ، وَلَكِنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا فَأَلْقَيْتُهُمَ ا, فَإِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ فِي نَعْلَيْهِ, فَإِنْ رَأَى فِيهِمَا قَذَرًا فَلْيَمْسَحْهُمَ ا بِالْأَرْضِ ثُمَّ لِيُصَلِّ فِيهِمَا» [1]

[1] رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ، وأَبُو دَاوُدَ، وابنُ حِبَّانَ، وصحّحه الألباني

قال أيلال : يصيبني العجب الممزوج بالحيرة، من العقلية التي يتمتع بها رواة الحديث ومدونوه ومحققوه والذين يطلق عليهم «محدثون ،»كيف أنهم يجيزون لأنفسهم تدوين هاته الأحاديث، وينبرون للدفاع عنها، ويمحصون رجالها ،ويدرسون أسانيدها ،ويقعدون القواعد لمصطلح الحديث، ويكفرون من ينكرها ،أو يفسقونه ويزندقونه في أفضل الظروف، وبعدها يطلعون بوجوههم الوقحة على الناس ليسردوا عليهم أحاديث وآثار في منع كتابة وتدوين الأحاديث، في «سكيزوفرينيا» غريبة جدا ،تحط من قدر هؤلاء عند ذوي العقل الراجح، والفكر المستنير.

لكن الأمر ليس بهاته البساطة، فالمحدث مع الفقيه المستنبط للأحكام الشرعية من هاته الأحاديث ، يحاول أن يبرر موقفه بعلل واهية، سنقف عليها بعد قليل عندما نناقش الأعذار والتبريرات التي يوردها هؤلاء في معرض ضحكهم على العقل الإنساني الرافض للتناقض[1].

أول ما يصدم القارئ في كلام أيلال سوء اعتقاده في أهل الحديث ، و سفالة في االطعن و الثلب للمحدثين ، ووصفهم بأقذع النعوت .

أما ما هول به من إدعاء وجود تناقض بين أحاديث الإباحة و المنع ، فقد أجبنا عليه في الفصل الأول ، و بينا بعض جهالاته الفاضحة و سوء فهمه للأحاديث .

---

[1] ص 21

هل تأخر تدوين السنة مئة عام ؟ .

قال : " والأخطر من ذلك أن هؤلاء الشيوخ لم يطرحوا على أنفسهم، ولو لحظة في خلوة مع الذات، لماذا تأخر تدوين السنة لحوالي مائة سنة على وفاة الرسول سلى الله عليه وسلم، وهي بهاته القيمة في التشريع؟ ليس باعتبارها مبينة ومفصلة لما في القرآن، بل باعتبارها قاضية وناسخة لما في كتاب الله عند التعارض، فهي في خطابهم الأصل الثاني من أصول التشريع بعد القرآن، لكن في الواقع العملي التطبيقي نجد أنها الأولى، وكتاب الله لديهم تابع لها خانع.![2]

احتوى كلامه على مغالطات و شبه يمكن ابطالها من وجوه :

الوجه الأول: أن الحديث النبوي كتب في العهد النبوي من سنة 1 للهجرة إلى الوفاة النبوية سنة 11، فمما أمر النبي بكتابته المعاهدات والوثائق والرسائل، كالوثيقة التي كتبها عندما دخل إلى المدينة، ولقد ذكرها أبو عبيد في كتاب الأموال في ثلاث ورقات، والوثيقة التي عاهد فيها الرسول نصارى نجران وهي برمتها في كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي ص72، وفي الوثيقتين كثيرا من التشريعات والأحكام.

وأما الرسائل التي أمر الرسول الكريم بكتابتها فمنها كتاب الصدقات الذي أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1454، وصحيفة عمرو بن حزم وهو طويل في نحو ثلاث أوراق وفيه تفاصيل دقيقة عن الجنايات والديات، وهي في الموطأ باختصار، وأخرجها كاملة ابن حبان في صحيحه برقم 6559.

ومن ذلك صحيفة كانت عند علي بن أبي طالب كتبها بأمر الرسول فيها كثير من التشريعات في مقادير الزكاة والجنايات، أورد بعضها البخاري في صحيحه برقم 111، وأمر الرسول بكتابة خطبته في فتح مكة لأبي شاه كما في البخاري برقم 112.

[2] ص 21

الوجه الثاني: كثيرٌ من الصحابة كتبوا بإذن الرسول في حياته، فممن كتب عبد الله بن عمرو بن العاص الذي سمى صحيفته الصادقة، وأنس بن مالك، وسعد بن عبادة الأنصاري، وسمرة بن جندب كما قد أومأنا إلى ذلك في الحلقة الماضية من هذه المعركة.

الوجه الثالث: أقبل الصحابة بعد وفاة النبي على كتابة الأحاديث التي كانوا يحفظونها فمن ذلك رسالة أبي بكر الصديق في فريضة الزكاة، ورسالة عمر بن الخطاب إلى عتبة بن فرقد ورسالته إلى أبي موسى الأشعري، ورسالة علي بن أبي طالب للخليفة عثمان بن عفان وغير ذلك.

الوجه الرابع : من سنة 70 للهجرة حتى سنة 120 حيث بدأ في هذه المرحلة تدوين السنة لا كتابتها، إذ الكتابة كانت قبلُ، وأما التدوين الذي يعني التأليف فلقد بدأ في هذه المرحلة في آخر القرن الأول، وذلك بواسطة جهتين: جهة علمية من العلماء في جميع الأقاليم الإسلامية، وجهة رسمية تتمثل فيما أمر به عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة 101هـ من جمع الحديث النبوي.

الوجه الخامس : بدأت مرحلة التصنيف من سنة 120 إلى 150 تقريبا حيث ظهرت الكتب المصنفة على الأبواب الفقهية، فممن ألف في هذه المرحلة: عبد الملك بن جريج ت 150هـ، وسعيد بن أبي عروبة ت156هـ والأوزاعي ت 156هـ وشعبة بن الحجاج ت 160 هـ وسفيان الثوري ت161هـ وحماد بن سلمة ت167هـ، ومالك بن أنس ت 179هـ وغيرهم.

الوجه السادس : فيما بين 150 هـ إلى 200 ظهرت مرحلة كتب الموسوعات المصنفة فظهرت المسانيد والسنن والصحاح، ودخلت السنة عهدا جديدا دونت فيها أغلب المرويات وميزت من حيث درجاتها تمييزا دقيقا.

وبعدُ فإنَّ كلام مؤلف الأسطورة ليس هو إلا شغَبُ صبي دارج يتعلَّم المشي، فكيف يقال إن أهل الحديث لَمْ يتساءلوا لماذا تأخرت كتابة الحديث إلى القرن الثاني الهجري؟ وفي الجواب عن أهل الحديث نقول إنهم لم يتساءلوا عن ذلك لأن كتابة الحديث كانت بينهم معروفة مذْ كان الرسول حيا، وتوالت بعده جهود الصحابة والتابعين وأتباع التَّبع على الكتابة والتدوين والتصنيف، وأنتَ فأعْرض عن شَغب المؤلف وصياحه بأن الحديث لما لم يدون مبكرا قبل المائة الأولى عُلم أنه ليس تشريعا ولا مؤهلا أن يكون ناسخا ولا مبيِّنا ولا مفصِّلا للقرآن الكريم، فإنَّ ذلك من الحماقة التي أعْيت صاحبها، ومن الدَّاء العُضال الذي أعجز المريضَ عن إيجاد دوائه...[3]

التباكي على القرآن و الرفض للسنة و الكذب على علماء الحديث :

إعتبر المناوئ أن عدم الإمتثال لأمر النبي في المنع من تدوين كلامه ، جعل المسلون يبتعدون عن كتاب الله ، و أصبح التشريع يؤخذ بالأساس من الحديث بدل القرآن ، فانشغل الناس بالحديث و جمعه و الاستنباط منه ، في حين لم يعد للقرآن دور إلا في الإستشهاد للنص الحديثي ، فغدت المرويات البشرية الصرفة هي أساس التشريع ، و هي الدين .." [4] و قوله " انكبوا على الحديث و هجروا كتاب الله .."[5]

و قال في موضع أخر : " تم سحب القرآن من الساحة لصالح تلك المرويات ، و لم يكفهم كتاب الله .يقول الله تعالى في محكم كتابه : (ألم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة و ذكرى لقوم يؤمنون) العنكبوت 51." [6] و قال بعد أن ذكر جملة من الأحاديث المروية في كتب الحديث في تعظيم القرآن : " الغريب أن نفس

[3] المعركة تحت راية البخاري الجولة الخامسة
[4] ص 20
[5] ص 18
[6] ص 24

رواة هذه الأحاديث هم الذين لا يقيمون وزنا لكتاب الله ،ويرفعون الأحاديث فوق كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[7]: " و قال : " .. فهي في خطابهم

الأصل الثاني من أصول التشريع بعد القرآن، لكن في الواقع العملي التطبيقي نجد أنها الأولى، وكتاب الله لديهم تابع لها خانع.![8]

و هذه دندنة قديمة لمنكري السنة يدغدغون بها عواطف الجهال ليصدوهم عن سنة النبي الكريم – الذي لا ينطق عن الهوى – لا تعظيما للقرآن الكريم أو الدعوة الى تحكيمه ، فهم أبعد الخلق عن ذلك ، و إنما غايتهم إزاحة السنة المبينة و المفسرة لأحكام القرآن ، الأمر الذي ينسف باطلهم و يقضي على قراءتهم المخالفة الباطلة للقرآن و المعارضة لسنة النبي المختار و سنة خلفائه الكرام و ما أجمعت عليه الأمة من أحكام الإسلام.

و قد تفطن سلفنا الصالح لغرض منكري السنة المعارضين لها بالقرآن ، و بينوا أن السنة تمثل الفهم الصحيح للقرآن ، لذلك يسعى أعداؤها لتجاوزها و من ثم الانفراد بتأويل القرآن ، " فعن سعيد بن جبير أنه حدث يوما بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : في كتاب الله ما يخالف هذا ، قال : لا أراني أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و تعرض فيه بكتاب الله ، كان رسول الله أعلم بكتاب الله تعالى منك ."[9] و عن أيوب السختياني " أن رجلا قال لمطرف بن عبد الله الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن فقال له مطرف : و الله ما نريد بالقرآن بدلا ، و لكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا " .[10] وورد عن أيوب السختياني أيضا أنه قال : إذا حدثت الرجل بسنة فقال : دعنا من هذا و أنبئنا عن القرآن فاعلم أنه ضال " .[11]

أما اتكاؤه على الأية الكريمة : (ألم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة و ذكرى لقوم يؤمنون) العنكبوت 51، لتقوية دعواه فدليل آخر على فهمه

[7] ص24

[8] ص 21

[9] أخرجه الدارمي في سننه 601 بسند صحيح .

[10] جامع بيان العلم و فضله ، ابن عبد البر 1193/2

[11] مفتاح الجنة للاحتجاج بالسنة ، السيوطي ص 35. يراجع تفنيد شبهات ايلال رشيد ص 22-21

السقيم لأيات الله ، و تفسيرها تفسيرا باطلا عصريا يخدم هواه و مذهبه .! و هو في ذلك مقلد لزعيم القرآنيين أحمد صبحي منصور في كتابه (القرآن و كفى مصدرا للتشريع الإسلامي) . و قد رد الكثير من العلماء و الدكاترة على أباطيله و انحرافاته الخطيرة عن دين الإسلام .

نقول كان الواجب على المناوئ – و هو من دعاة الاكتفاء بالقرآن – أن يرجع لتفاسير علماء القرآن و يستأنس بها لمعرفة أسباب النزول و أقوال السلف في توجيه الأيات و تفسيرها . فلو رجع الى سياق الأية و هو قوله تعالى :(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (46) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (47) وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (48) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (49) وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (50) أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (51) قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (52)) سورة العنكبوت . لعلم المناوئ أن الكلام يتعلق بالرد على المشركين الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم الأيات المعجزات ، قال الطبري : يقول تعالى ذكره: وقالت المشركون من قريش: هلا أنزل على محمد آية من ربه، تكون حجة لله علينا، كما جعلت الناقة لصالح، والمائدة آية لعيسى، قل يا محمد: إنما الآيات عند الله، لا يقدر على الإتيان بها غيره (وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) وإنما أنا نذير لكم، أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله. وما جاءكم به من عند ربكم (مُبِينٌ) يقول: قد أبان لكم إنذاره.

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }

يقول تعالى ذكره: أولم يكف هؤلاء المشركين يا محمد، القائلين: لولا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه، من الآيات والحجج (أَنَّا أنزلْنا عَلَيْكَ) هذا (الكِتابَ يُتْلَى

عَلَيْهِمْ) يقول: يُقرأ عليهم، (إنَّ فِي ذلكَ لَرَحْمَةٌ) يقول: إن في هذا الكتاب الذي أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة.

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسخوا شيئا من بعض كتب أهل الكتاب.[12]

والظاهر – والله أعلم – أن الحديث المذكور ليس سبباً لنزول الآية لأن سياق الآيات يتحدث عن قوم كافرين جاحدين مرتابين. وقد قال الله قبل هذه الآية: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ } وقال بعدها: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }.

فالضمير في قوله: (يَكْفِهِمْ) يعود على الذين قالوا: (لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ) هذا الظاهر من سياق الآيات.

أما ما دلَّ عليه الحديث فإن عدم الاكتفاء واقع من بعض المؤمنين ولهذا قال فيه: كفى بقوم ضلالاً أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به نبي غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم، مما يدل على أن لهؤلاء نبياً وكتاباً.

وبناءً على هذا فإنه ليس بين سياق الآيات والحديث موافقة مما يجعل القول بأنه سبب نزولها قولاً بعيداً من الصواب.[13]

---

[12] جامع البيان في تأويل القرآن ج20 ص54

المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)

المحقق: أحمد محمد شاكر

الناشر: مؤسسة الرسالة

الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م

فالسلف فهموا من الأية أن الكفاية المذكورة فيها : كفاية إنزال القرآن كآية على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، و ليس كما فهم الجهول أنها كفاية في الاقتصار على القرآن كمصدر للتشريع .!

قال الشيخ رشيد رضا متبنيا رأي شيخه محمد عبده في تفسير قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء59 : أمر بطاعة الله وهي العمل بكتابه العزيز وبطاعة الرسول ; لأنه هو الذي يبين للناس ما نزل إليهم، وقد أعاد لفظ الطاعة لتأكيد طاعة الرسول ; لأن دين الإسلام دين توحيد محض لا يجعل لغير الله أمرا، ولا نهيا، ولا تشريعا، ولا تأثيرا، فكان ربما يستغرب في كتابه الأمر بطاعة غير وحي الله، ولكن قضت سنة الله بأن يبلغ عنه شرعه للناس رسل منهم وتكلف بعصمتهم في التبليغ، ولذلك وجب أن يطاعوا فيما يبينون به الدين والشرع، مثال ذلك: أن الله تعالى هو الذي شرع لنا عبادة الصلاة، وأمرنا بها، ولكنه لم يبين لنا في الكتاب كيفيتها وعدد ركعاتها، ولا ركوعها وسجودها ولا تحديد أوقاتها فبينها الرسول . صلى الله عليه وسلم . بأمره تعالى إياه بذلك في مثل قوله:{ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم } ، فهذا البيان بإرشاد من الله تعالى، فاتباعه لا ينافي التوحيد ولا كون الشارع هو الله تعالى وحده. فقد بين الواجب فيما تنازعوا بقوله: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وذلك بأن يعرض على كتاب الله، وسنة رسوله وما فيهما من القواعد العامة، والسيرة المطردة، فما كان موافقا لهما علم أنه صالح لنا، ووجب الأخذ به، وما كان منافرا علم أنه غير صالح ووجب تركه وبذلك يزول التنازع وتجتمع الكلمة، وهذا الرد واستنباط الفصل في الخلاف من القواعد هو الذي يعبر عنه بالقياس، والأول هو الإجماع الذي يعتد

---

13 الكتاب: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية

المؤلف: خالد بن سليمان المزيني

الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية

الطبعة: الأولى، (1427 هـ - 2006 م) ج 777/2

به، وقد اشترطوا في القياس شروطا بالنظر إلى العلة، والغرض من هذا الرد ألا يقع خلاف في الدين والشرع ; لأنه لا خلاف ولا اختلاف في أحكامهما، كذا قال الأستاذ، والمراد ألا يفضي التنازع إلى اختلاف التفرق الذي يلبس المسلمين شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض، وسيأتي بيان ذلك مفصلا، ولكنهم لم يعلموا بالآية فتفرقوا واختلفوا.[14]

هل ترد الأحاديث لسوء فهم " داعش " للسنة ؟

قال : " الأحاديث التي تم الإختلاف فيها اختافا كبيرا، وتسربت إليها خرافات وطوام ،ما زالت أمُتنا تدفع ثمنها غاليا إلى يومنا هذا، وما «داعش» التي نبتت بن ظهرانينا إلا نتاج هاته المرويات المنسوبة لرسول الله زورا وبهتانا، حيث تم سحب القرآن من الساحة لصالح هاته المرويات، ولم يكفهم كتاب الله، يقول الله تعالى في محكم كتابه {أولَمْ يَكْفِهِمْ أنَّ أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤمِنُونَ})العنكبوت–أية 51.

قال الدكتور أحمد بلهي " ما ضرَّ السنَّة النبوية شيءٌ إذْ استعملها بعض الفرق الضالة في استباحة دماء الناس وأموالهم، فقد استعمل الخوارج قديمًا الآيات القرآنية لقتل المسلمين وسفك دمائهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[يوسف: ٤٠]، فهل يردُّ (رشيد أيلال) هذه الآيات القرآنية لأنها استعْمِلَتْ في سفك الدماء أم يفهمها فهمًا سليما؟ إن أختار ردَّها فقد هلك، وإن أحسن فهمها فهو مُلْزَمٌ بحسن فهم الأحاديث التي استدلَّ بها الخوارج، وقطع صلتهم بها، وذلك بردِّ مُتَشَابِهِهَا إلى مُحْكَمِهَا، فإن ادَّعى الفرق فهذا تحكُّمٌ. ومن باب الإلزام كذلك أقول لرشيد أيلال هل تعلم أن إنكار السنة والتَّدَين

[14] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) 5/147–148
المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
سنة النشر: 1990

بالقرآن وحده، هو مذهب الخوارج القدامى، الذين يقتلون المسلمين ويبقرون بطون نسائهم، ويَسْبُون ذراريهم؟، يقو ابن تيمية : "والخوارج جوَّزوا على الرسول نفسه أن يجور ويَضِلّ في سنته، ولم يوجبوا طاعتَه ومتابعته، وإنما صدَّقوه فيما بلَّغه من القرآن دون ما شرعه من السنَّة التي تخالف – بزعمهم – ظاهر القرآن" . وإذا كانت (داعش) نابتة شرٍّ معاصرة من فرقة الخوارج القديمة، فأقرب الناس إليها هم منكرو السنة فهم يلتقون معها في الأصول، وأمَّا أهل السنة فهم أبعد الناس عن أفكار(داعش) وأصول الخوارج؛ لأنهم يَرْوُون في كتبهم الأحاديث التي تحذِّر منهم وتذُّم مذهبهم، ويكفي في ذلك أنَّ البخاري بَوَّبَ في صحيحه: (باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم) ثم ساق الأحاديث التي تفضحُ مذهبهم. "

قال أيلال "حاولتُ البحثَ عن الأسباب التي جعلتْ هؤلاء يدوِّنون الأحاديث، ضدًّا على أمر الرسول الكريم، ويرفعونها إلى المكان العليِّ السَنِيّ، فوق كلِّ شيء، حتى فوق كلام الله، فوجدت لديهم أعذارا واهية أقلَّ ما يقال عنها، أنها عذر أقبح من زلَّة، كما ستقفون معي خلال مناقشة أعذار هؤلاء".[1]

الطعن في العلماء و الحط من السنة النبوية

أولا : كعادته في الطعن و السب للعلماء فقد حمل كلامه ألوانا من الافتراء و التقول على علماء المسلمين ، المصاحب لسوء الأدب مع المخالف !

ثانيا :الحط من قيمة السنة النبوية و إهدار حجيتها باعتبارها تراثا تاريخيا ، و تجاهل إجماع الأمة على حجيتها ، مقلدا في ذلك المستشرقين و أذنابهم " القرآنيين " .. فهذا زعيمهم يقول : " ونحن وإنْ كنَّا نعتبر القرآن هو المصدر الوحيد لسنة النبي، وشريعة الرحمن، ودين الله الأعلى، فإنَّنَا نضع تلك الروايات الحديثية موضعها الصحيح، وهي أنَّها تاريخٌ بشريٌّ للنبي وللمسلمين، وصدى

منهج السلف في نفي التعارض بين الأحاديث

إن اعتذار العلماء لأحاديث النهي عن الكتابة، ومحاولة تفسيرها تفسيرا لائقا مع الأحاديث التي فيها الاذن بالكتابة، هو عين المنهج العلمي المتوازن، الذي يحتكم إليه الباحثون، فإن انكار بعض الأحاديث والتمسك بما يخالفها تحكم في الاستدلال، خاصة وأنَّ أحاديث الإذن بالكتابة أقوى وأشهر، ويؤيدها عمل الصحابة ومن بعدهم، والطريقة الصواب هي

[1] نفس المصدر ص 25

إحسان الظن وإنزال كل حديث منزله، قال الإمام أحمد بن حنبل: "ولا تُضْرَبُ الأحاديث بعضها ببعض، يعطى كلُّ حديث وجهه".[2]

قال المناوئ : " أول عذر يقدمه الشيوخ في مواجهة الأحاديث المانعة لكتابة الحديث ،هي أنها منسوخة بالأحاديث المبيحة للكتابة، وهذا تفسير غريب من طرف هؤلاء الشيوخ ، فهم يحاولون تفسير و إيجاد حلول لكل ورطة يقعون فيها، بتجزيئها عن السياق العام للأدلة الواردة في هذا الشأن ، بحيث أنه لو كان هناك فعلا ناسخا ومنسوخا في هاته القضية ، فالأولى أن تنسخ أحاديث المنع أحاديث الإباحة ، باعتبار أن الخلفاء الراشدين صاروا على نهج منع كتابة الأحاديث، فيكون الدليل هنا أن جمهور الصحابة والخلفاء الراشدين لم ينته إلى علمهم أنه قبل وفاة الرسول تم نسخ حديث منع الكتابة، لصالح الإباحة، وإلا لجمعوا احاديث الرسول ودونوها في دواوين وكتب، كما فعلوا بخصوص القرآن الكريم، لكنهم نهجوا عكس هذا وصاروا على نهج منع تدوين الحديث ،بل إن عمر بن الخطاب قام بحرق نسخ الحديث المكتوبة بعد جمعها، فكيف يكون حديث المنع منسوخا بالإباحة، رغم استمرار هؤلاء الخلفاء في منع كتابة الحديث؟!!

وإذا كان جواب أحد شيوخهم أن بعض الصحابة قام فعلا بكتابة حديث رسول الله، فنقول له أثبت ذلك من خال تدوينة واحدة لأحد الصحابة ، إذ لو كان الصحابة يعتبرون كلام رسول الله دينا لدونوه، و إذا كانوا فعلا كتبوا أحاديث رسول الله، فأرونا ماذا كتبوا، وما دونوا؟ " [3]

[2] مسائل الإمام أحمد، أحمد بن حنبل(رواية ابنه صالح): 2/ 267.

التفنيد ص 26

[3] ص 25

احتوى كلامه – هذا – ألوانا عدة من الغلط و التغليط ، و من سوء الفهم و الجهل ، و عدم الإحاطة و الإستقراء للموضوع المناقش ، و الأخطر من ذلك الكذب على الصحابة كل ذلك لتقويض حجية السنة النبوية !

مسالك العلماء في نفي التعارض

حاول العلماء أن يوفقوا بين ما ورد من نهي عن الكتابة وما وري من إباحة لها، وترجع آراؤهم إلى أربعة أقوال:

فمنهم من قال أن النهي عن الكتابة إنما كان في أول الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية، فربما كتبوه معه، فنهوا عن ذلك لخوف الاشتباه .

فلما كثر عدد المسلمين، وعرفوا القرآن معرفة رافعة للجهالة وميزوه من الحديث - زال هذا الخوف عنهم، فنسخ الحكم الذي كان مترتبا عليه، وصار الأمر إلى الجواز. وفي هذا قال الرامهرمزي: «وحديث أبي سعيد: "حرصنا أن يأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب فأبى "، أحسب أنه كان محفوظا في أول الهجرة وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن».

والقول بالنسخ أحد المعنيين اللذين فهمهما ابن قتيبة من تلك الأخبار. فقال: «أحدهما: أن يكون من منسوخ السنة بالسنة، كأنه نهى في أول الأمر عن أن يكتب قوله، ثم رأى بعد - لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ - أن تكتب وتقيد» ، ورأى هذا الرأي كثير من العلماء، وذهب إليه العلامة المحقق الأستاذ أحمد محمد شاكر فبعد أن دعم رأيه بالأخبار التي تبيح الكتابة قال: «كل هذا يدل على أن حديث أبي سعيد - «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه» - منسوخ، وأنه كان في أول الأمر، حين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن وحديث أبي شاه في أواخر حياة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكذلك

أخبار أبي هريرة – وهو متأخر الإسلام – " أن عبد الله بن عمرو كان يكتب، وأنه هو لم يكن يكتب ": يدل على أن عبد الله كان يكتب بعد إسلام أبي هريرة، ولو كان حديث أبي سعيد في النهي متأخرا عن هذه الأحاديث في الإذن والجواز لعرف ذلك عند الصحابة يقينا صريحا» .

قال الدكتور الخطيب : " فنهى – عليه الصلاة والسلام – عن كتابة الحديث الشريف مع القرآن في صحيفة واحدة خوف الالتباس، وربما يكون نهيه عن كتابة الحديث على الصحف أول الإسلام حتى لا يشغل المسلمون بالحديث عن القرآن الكريم، وأراد أن يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم وعلى الألواح والصحف والعظام توكيدا لحفظه، وترك الحديث للممارسة العملية، لأنهم كانوا يطبقونه: يرون الرسول فيقلدونه، ويسمعون منه فيتبعونه، وإلى جانب هذا سمح لمن لا يختلط عليه القرآن بالسنة أن يدون السنة كعبد الله بن عمرو، وأباح لمن يصعب عليه الحفظ أن يستعين بيده حتى إذا حفظ المسلمون قرآنهم وميزوه عن الحديث جاء نسخ النهي بالإباحة عامة، وإن وجود علة من علل النهي السابقة لا ينفي وجود غيرها ولا يتعارض معه، كما أن وجود علة النهي لا ينفي تخصيص هذا النهي بالسماح لبعض من لا تتحقق فيهم هذه العلة. فالنهي لم يكن عاما، والإباحة لم تكن عامة في أول الإسلام، فحيثما تحققت علة النهي منعت الكتابة، وحيثما زالت أبيحت الكتابة.

وأرى في حديث أبي شاه وفي حديث ابن عباس: «ائتوني بكتاب ... » إذنا عاما، وإباحة مطبقة للكتابة، وعلى هذا لا تعارض بين جميع تلك الروايات فقد سهل التوفيق بينها وتبين وجه الصواب. وانتهى أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بإباحة الكتابة، وسنرى فيما بعد بعض ما دون في عهده – صلى الله عليه وسلم –" [4]

و أما من قال إن النهي كان متوجهاً عن كتابة القرآن و الحديث في صحيفة واحدة فقد اعتبره نهياً خاصاً، وذلك خشية اختلاط القرآن بغير القرآن فلا يراد به النهي المطلق [5]،

---

[4] السنة قبل التدوين 303-309 و راجع كذلك : علوم الحديث و مصطلحه للعلامة صبحي الصالح رحمه الله ص 17 و ما بعدها .

[5] شرح السنة 295/1، النهاية 148/4، فتح المغيث 162/2.

وذلك أنهم كانوا يسمعون القرآن و تأويله، فربما كتبوا التأويل معه، ويؤيد هذا ما ورد من قراءات شاذة كمن قرأ: {فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ متتاليات} [المائدة /89] [6]. وهذا القول له وجاهة ولاسيما إذا عرفنا ندرة وسائل الكتابة كما تقدم في الفصل الثاني، ويوجز هذا زيد بن ثابت رضي الله عنه عندما جمع المصحف بتكليف من أبي بكر رضي الله عنه فقال "فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللخاف" وفي رواية "القصبَ والعسبَ والكرانيف وجرائد النخل" وفي رواية "من الرقاع" وفي رواية "وقطع الأديم" ، وفي رواية "والأكتاف"، وفي أخرى "والأضلاع"، وفي أخرى "والأقتاب" .

فإذا كان القرآن الكريم على عظيم مكانته لم يجد الصحابة رضي الله عنهم ما يكتبونه عليه إلا هذه الأشياء، وهي كما ترى قطع صغيرة مفرقة، فأنى تتسع لغير القرآن، ولو كتب معه شيء والحالة هذه فهو أدعى أن يختلط معه غيره.[7]

الادعاء أن الصحابة صاروا على نهج المنع

أما إدعاؤه أن الصحابة صاروا على نهج المنع و استدل بحرق عمر – رضي الله عنه – لنسخ الحديث فقد علمت سابقا بطلان هذه النسبة لعمر رضي الله عنه ، و أما تحديه لنا بإثبات تدوينة واحدة لأحد الصحابة ، فإننا سنذكر عدة صحائف حديثية لعدد من الصحابة الكرام ، و قد مر معنا – آنفا– ما أثبته الإمام الدارمي رحمه الله من نقول مستفيضة عن كتابة عدد من الصحابة للحديث .

و كل من درس السنة و الحديث يعلم أن " المهمّ هو الحفاظ على السنّة، وليست الكتابة إلا وسيلة لهذه الغاية. فالغاية هي الحفاظ على السنة، وليست كتابتها. ولما كان أصحاب النبيّ –صلى الله عليه وسلم– والخلفاء الراشدوُن منهم خاصة وفقهاء الصحابة وعلماؤهم قد

---

[6] انظر القراءات في تفسير ابن كثير /433.
[7] كتابة الحديث بين النهي والإذن ص 58

لازموا النبيّ –صلى الله عليه وسلم– وأخذوا عنه السنّة مباشرة، دون أسانيد يخشون نسيانها، ودون رواة وسائط فيهم من يُحتمل فيه الخطأ والكذب= كان حِفْظُ السنة في صدورهم كفيلاً بحفظ السنة، ولم تكن الكتابة في زمنهم حَلاًّ وحيدًا لحفظها، بل ليست الحلّ الأمثل أيضًا؛ لأن حفظ الصدر ما دام ممكنًا، وحصل لهم بسهولة لمعايشتهم للنبيّ –صلى الله عليه وسلم– ولارتباط سننه –صلى الله عليه وسلم– بحوادث ومشاهد حضروها ورأوها وشاركوا فيها، فقد أدّى ذلك إلى رسوخ تلك السنن في أذهانهم مع أسباب عديدة توفّرت في الصحابة، أعانتهم على إتقان حفظ السنة وعلى تيسُّره عليهم. كما أن حفظ الصدر أدعى لاستحضار النصّ النبوي عند التفقّه والاستنباط، وعند العمل والتطبيق، فكان الحفظ في عهد الصحابة مقدَّمًا على الكتابة لذلك ولغيره مما أشرتُ إليه.

ولا يعني ذلك أن الصحابة لم يكتبوا، بل من الصحابة من كتب: كعبد الله بن عَمرو ابن العاص، وعلي بن أبي طالب، وسمرة بن جندب، وعَمرو بن حزم، وغيرهم رضي الله عنهم.

وهناك بحوث عديدة، ومنها بحوث أكاديمية في جامعات عالميّة، أثبتت كتابة الصحابة والتابعين وتابعيهم للسنة، مثل رسالة الدكتوراه (دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه) للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المقدّمة إلى جامعة كمبردج في أكتوبر سنة (1966م)، ورسالة الدكتوراه الأخرى (إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة للحافظ السرمري الحنبلي، مع دراسة لمراحل تدوين السنة) للدكتور حاكم عبيسان المطيري. والمقدّمة إلى جامعة برمنغهام، وإلى قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة.

وأدلّة ذلك كثيرة جدًّا، ويكفي وجود عدد كبير جدًّا من دواوين السنة قبل البخاري، مثل موطأ مالك، ومصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة، ومسند الإمام أحمد، وغيرها من الكتب التي تفوق صحيح البخاري حجمًا (باستثناء الموطأ الذي هو أصغر حجمًا من صحيح البخاري)." [8]

[8] مقال سابق للشيخ حاتم العوني

و قد فصل الشيخ صبحي الصالح في تحقيق هذه المسألة ، و ننقله بطوله لنفاسته . قال – رحمه الله –[9] :

الصُّحُفُ المكْتُوبَةُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:

من المؤكَّد – على كل حال – أنَّ بعض الصحابة كتبوا طائفة من الأحاديث في حياته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ومنهم من كتبها بإذن خاص من الرسول مُسْتَثْنَى من النهي العام كما أوضحنا، بَيْدَ أنَّ أكثرهُم قيَّدُوا ما جمعوه في السنوات الأخيرة من حياته – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – بعد أنْ أذن بالكتابة لكل من رغب فيها وقدر عليها ، ولدينا أخبار عن هذه الصحف تتفاوت أسانيدها قوة وضُعفاً، ومع أنَّ أسانيد بعضها قوية جداً فنحن لا نملك اليوم شيئاً محسُوساً من آثارها ، وإنْ كنا لا نرتاب في تحقيق كتابتها في حياته – صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ –، وفي تناقل الناس لها زمناً غير قليل بعد وفاته – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – ولحاقه بالرفيق الأعلى.

روى الترمذي أنَّ سعد بن عبادة الأنصاري كان يملك صحيفة جمع فيها طائفة من أحاديث الرسول وسُننه ، وكان ابن هذا الصحابي الجليل يروي من هذه الصحيفة.

ويروي البخاري أنَّ هذه الصحيفة كانت نُسخة من صحيفة عبد الله بن أبي أوفى الذي كان يكتب الأحاديث بيده، وكان الناس يقرؤون عليه ما جمعه بخطه . وسمُرة بن جندب (- 60 هـ) كان قد جمع أحاديث كثيرة في نسخة كبيرة ورثها ابنه سليمان ورواها عنه ، وهي – على ما يظن – الرسالة التي بعثها سمُرة إلى بنيه ، وهي التي يقول فيها ابن سيرين: «فِي رِسَالَةِ سَمُرَةَ إِلَى بَنِيهِ عِلْمٌ كَثِيرٌ» . ولكن ابن سيرين «لم ير بأساً، إذا سمع الرجل الحديث، أنْ يكتبه، فإذا حفظه محاه» كما روى عنه يحي بن عتيق في " تقييد العلم ": ص 60 وحماد بن زيد في " المحدث الفاصل ": 4 الورقة 5 الوجه الثاني. ولعلَّهُ بدأ أمره يكتب أو يقرأ من الكتب، ولذلك عرف مضمون رسالة سَمُرَةَ إلى بنيه، وقدر ما فيها من العلم الكثير.

[9] علوم الحديث ومصطلحه (1/ 24)

نثبت تعليقات الشيخ صبحي كما هي لنفاستها !

وكان لجابر بن عبد الله (- 78 هـ) صحيفة أَيْضًا ، ويرى مسلم في " صحيحه " أنها في مناسك الحج ، ويحتمل أنْ يكون في بعض أحاديثها ذكر حجَّة الوداع التي ألقى فيها الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خطبته الجامعة، ويوشك هذا الاحتمال أنْ يصبح يقيناً إذا عرفنا أنَّ التابعي الجليل قتادة بن دعامة السَدُوسي (- 118 هـ) كان يُكْبِرُ من قيمة هذه الصحيفة ويقول: «لأَنَا بِصَحِيفَةِ جَابِرٍ أَحْفَظ مِنِّي مَن سُورَة البَقَرَة» ولا يبعد أنْ تكون الأحاديث التي رواها سليمان بن قيس اليشكري - وهو أحد تلامذة جابر - منقولة عن هاتيك الصحيفة وجدير بنا أنْ نُقِيمَ وَزْنًا للرواية التي تُصوِّرُ لنا وهب بن منبه (- 114 هـ) يروي أحاديث جابر من إملائه حين يعقد جابر حلقة في المسجد النبوي، فيحتمل أنْ تكون هذه الأحاديث منقولة من صحيفة جابر أَيْضًا. وأقل ما يستنتج من هذا أَنَّ تلك الصحيفة كانت معروفة مشهورة بين الناس، وأنَّ من الممكن أَنْ يكون بعض تلامذة جابر قَدْ نَسَخُوهَا وإنْ كنا لا نملك أَثَرًا مَحْسُوسًا مِنْ نَسْخِهِمْ.

ومن أشهر الصحفة المكتوبة في العصر النبوي :

«الصحيفة الصادقة» التي كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص (65) من رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقد اشتملت على ألف حديث كما يقول ابن الأثير ، وإذا لم تصل هذه الصحيفة - كما كتبها عبد الله بن عمرو بخطه فقد وصل إلينا محتواها، لأنها محفوظة في " مسند الإمام أحمد " حتى ليصح أنَّ نصفها بأنها أصدق وثيقة تاريخية تثتب كتابة الحديث على عهده - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ -. ويزيدنا اطمئناناً إلى صحة هذه الوثيقة أنها كانت نتيجة طبيعية محتومة لفتوى النَّبِي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لعبد الله ابن عمرو وإرشاده الحكيم له، فقد جاء عبد الله يستفتي رسول الله - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - في شأن الكتابة قائلاً أكتُبُ كلَّ ما أسمع؟ قال: «نَعَمْ»، قال: في الرضى والغضب؟ قال: «إِنِّي لَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ إِلَّا حَقًّا». ويُخَيَّلُ إلينا أنه لا بُدَّ أنْ يكون عبد الله بن عمرو قد أخذ في كتابة الأحاديث بعد هذه الفتوى الصريحة من الرسول الكريم وتلك الصحيفة الصادقة كانت ثمرة هذه الفتوى. وآية اشتغال ابن عمرو بكتابة هذه الصحيفة وسواها من الصحف أَيْضًا قول

أبي هريرة الصحابي الجليل: « ما من أصحاب رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أحد أكثر حديثاً عنه مني إلاَّ ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب ». وأكبر الظن أنَّ عمرو بن شعيب (- 120 هـ) – وهو حفيد عبد الله بن عمرو – إنما كان يروي فيما بعد من أحاديث هذه الصحيفة قارئاً أو حافظاً من أصلها. وقد أتيح للتابعي الجليل مجاهد بن جبر (- 103 هـ) أنْ يرى هذه الصحيفة عند صاحبها عبد الله بن عمرو .

ولقد شاعت في عصر الصحابة صيحفة خطيرة الشأن أمر النَّبِي – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – نفسه بكتابتها في السنة الأولى للهجرة، فكانت أشبه شيء بـ «دستور» للدولة الفتية الناشئة آنذاك في المدينة: وهي الصحيفة التي دوَّن فيها كتاب رسول الله حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة. ولفظ الكتابة صريح في مطلعها: «هذا كتاب محمد النَّبِي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمَّةٌ واحدة من دون الناس» . وقد تكرَّرت فيها عبارة (أهل هذه الصحيفة) خمس مرات، فلم يكن بُدّ من الاعتراف بكتابتها. ولقد بلغ من شهرة أمرها أنها أصبحت تقرن وحدها بكتاب الله لتواترها وكثرة ما فيها من أحكام الإسلام وكلياته الكبرى. ولعلَّ عليّ بن أبي طالب لم يكن يقصد سواها حين سُئِلَ: هل عندكم كتاب؟ فأجاب: لا، إلاَّ كتاب الله أو فهم أعطية رجل مسلم وما في هذه الصحيفة. فلما قيل له: وما في هذه الصحيفة؟ قال: «الْعَقْلُ وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ» كانت هذه الأمور جزءاً مُهِمّاً مِمَّا اشتملت عليه الصحيفة المذكورة.

وعبد الله بن عباس (- 69هـ) عني بكتابة الكثير من سُنَّةِ الرسول وسيرته في ألواح كان يحملها معه في مجالس العلم . ولقد تواتر أنه ترك حين وفاته حِمْل بعير من كتبه . وكان تلميذه سعيد بن جُبير (- 95 هـ) يكتب عنه ما يُملي عليه، فإذا نفد القرطاس كتب على لباسه ونعله وربما على كَفِّهِ ثم نسخه في الصحف عند عودته إلى بيته . ولا ريب أنَّ صحف ابن عباس ظلت معروفة متداولة مدة طويلة من الزمن، فقد ورثها ابنه عليٌّ ، وتعاقب الناس على الرواية منها والأخذ عنها حتى امتلأت كتب التفاسير والحديث بمسموعات ابن عباس

ومروياته. ولكننا – مع ذلك – لا نستطيع تحديد الزمن الذي تلفت فيه تلك الصحف ولا الصورة التي تلفت عليها.

صَحِيفَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ لِهَمَّامٍ بْنِ مُنَبِّهٍ:

وكذلك تلفت الصحف الكثيرة التي جمعها الصحابي الجليل أبو هريرة (- 58 هـ) إلاَّ صحيفة واحدة رواها عنه تلميذه التابعي همام بن منبه المتوفَّى سَنَةَ 101 هـ ثم نسبت إليه فقيل: صحيفة همام وهي في الحقيقة صحيفة أبي هريرة لهمام. ولا يمكننا أنْ نسلك هذه الصحيفة في عداد ما كتب في العصر النبوي، لأنَّ هماماً ولد قبيل سنة 40 وتوفي شيخه أبو هريرة سنة 58، فلا بدَّ أنْ يكون تدوينه لهذه الصحيفة قبل وفاة شيخه - لأنها سماعه منه بعد مجالسته إياه – أي في منتصف القرن الهجري الأول، وتلك نتيجة علمية باهرة تقطع بتدوين الحديث في عصر مُبكِّرٍ، وتُصَحِّحُ الخطأ الشائع: أنَّ الحديث لم يُدَوَّنْ إلاَّ في أوائل القرن الهجري الثاني.

وإنما كانت لهذه الصحيفة مكانة خاصة في تدوين الحديث، لأنها وصلت إلينا كاملة سالمة كما رواها ودوَّنها همام عن أبي هريرة، فكانت جديرة باسم «الصحيفة الصحيحة» على مثال «الصحيفة الصادقة» لعبد الله بن عمرو بن العاص وقد سبقت الإشارة إليها. وعثر على هذه الصحيفة الباحث المحَقِّق الدكتور محمد حميد الله في مخطوطتين متماثلتين في دمشق وبرلين ، وزادنا ثقة بما جاء فيها أنها برُمَّتِها ماثلة في " مسند أحمد " ، وأنَّ كَثِيرًا من أحاديثها مروي في " صحيح البخاري " في أبواب مختلفة ، وتعداد هذه الصحيفة 138 حديثاً . ولدينا من الأخبار مَا يُؤَكِّدُ وُلُوعَ هَمَّامٍ بِالكُتُبِ وَاقْتِنَائِهَا وَإِمْلاَئِهَا، فَقَدْ كَانَ «يَشْتَرِي الكُتُبَ لأَخِيهِ وَهْبٌ» وكان يخرج إلى الناس الكتب والكراريس فَيُمْلِي منها الأحاديث ."

الادعاء أن الصحابة لم يعتبروا كلام الرسول دينا

إتهم أيلال الصحابة بعدم إعتبار كلام الرسول دينا ! .. كبرت كلمة تخرج من فيه ..
قلنا سابقا أن الهدف واحد : " هدم مفهوم الإسلام الصحيح الجامع المترابط من القرآن والسُنَّة: بين النص القرآني المنزَّل، وبين السُنَّة التي يتمثل فيهاالتطبيق العملي من حيث عمل الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وبيانه، وتفصيل لما أجمل، وتوضيح ما بَلَّغَ أو تقييد لمطلق، أو تخصيص لعام: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}[10]
فإذا كان الرسول الكريم قد منع الصحابة من كتابة حديثه ، فإنه بذلك نفى عن أقواله و أفعاله صبغة التشريع – على حد زعم المناوئ – و بالتالي تصبح مرويات سنته " نصوص تاريخية "[11] ، و موروث ثقافي ، لا ينبغي الإحتكام اليه في أمور العبادة أو التشريع . و هذا ما فهمه الصحابة كما يدعي أيلال كذبا و زورا لما قال : " وإذا كان جواب أحد شيوخهم أن بعض الصحابة قام فعلا بكتابة حديث رسول الله، فنقول له أثبت ذلك من خلال تدوينة واحدة لأحد الصحابة ، إذ لو كان الصحابة يعتبرون كلام رسول الله دينا لدونوه، و إذا كانوا فعلا كتبوا أحاديث رسول الله، فأرونا ماذا كتبوا، وما دونوا؟ " [12]

[10] الأية 44 من سورة النحل
السُنَّة في مواجهة شُبُهات الاستشراق (ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسُنَّة النبوية)
أحمد أنور سيد أحمد الجندي .المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
الطبعة الأولى: 1401 هـ - 1981 م ص 6-7
[11] ص 7
[12] ص 25

و الجواب على هذه المزاعم :

إنّ الله عز وجل أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنزل عليه كتابه الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وأمره بتبليغه للناس وبيانه فقال عز وجل: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}.[13]
وقال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[14].
وقال سبحانه: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} .[15] ثم أوجب الله علينا طاعته، وامتثال أوامره، والانتهاء عن نواهيه فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ}.[16] وقال سبحانه: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} .[17]

ومما لا شك فه أنّ الكتاب والسنة أصلان أصيلان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ومنبعان للتشريع متعاضدان. قال صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه.[18]
وقال أيضًا: "تركت فيكم شيئين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض"[19]

[13] سورة المائدة: 67.
[14] سورة النحل: 44.
[15] سورة النحل: 64.
[16] سورة الأنفال: 20.
[17] سورة الحشر: 7.
[18] حديث صحيح رواه احمد (2/ 377)، وأبو داود (كتاب السنة باب لزوم السنة – 5/ 10)، والترمذي (كتاب العلم – باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم 5/ 37) وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (المقدمة – باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم– 1/ 6) وغيرهم.
[19] حديث صحيح رواه الحاكم (1/ 93)، وعنه البيهقي (10/ 114)، ومالك (2/ 899) بلاغًا. صحيح الجامع (3/ 39)، والصحيحة (4/ 361).

ولقد تكفل الله عز وجل بحفظ شريعة الإسلام كتابًا وسنة، لأنها هي الشريعة التي ارتضاها، وكتب لها الخلود والبقاء إلى يوم القمامة، قال تعالى:{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [20] وقال سبحانه: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} .[21]

والسنة لها مكانة عالية وكبيرة في الإسلام، فهي الأصل الثاني بعد كتاب الله عز وجل المعتمد في التشريع، وقد جاءت السنة مفسرة لمبهم القرآن، مفصلة لمجمله، مقيدة لمطلقه، مخصصة لعمومه، شارحة لأحكامه وأهدافه ومراميه، وجاءت بأحكام زائدة مستقلة لم ينص عليها القرآن، ولما كان للسنة هذا القدر العظيم في الإسلام فقد اتفق علماء السنة قاطبة على حجيتها.

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

"قد وضع الله رسوله صلى الله عليه وسلم من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان –جل ثناؤه– أنه جعله علمًا لدينه بما افترض من طاعته، وحرَّم من معصيته، وأبان من فضيلته، بما قرن بين رسوله مع الإيمان به، فقال تبارك وتعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. . .} [22] ، وقال عز وجل:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ. . .} .[23] فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله ثم برسوله معه" [24] وقال الإمام الشوكاني: "إنّ ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها تشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام" .[25]

[20] سورة الحجر: 9.

[21] سورة المائدة: 3.

[22] سورة النساء: 171.

[23] سورة النور: 62.

[24] الرسالة: (ص 73 – 75).

[25] إرشاد الفحول: (ص 29).

فلو لم تكن السُنَّة عند الصحابة الكرام – دينًا وشرعًا – كما يفتري المناوئ – لما اعتنوا بها أشد الإعتناء و تنافسوا في نشرها و حفظها و تبليغها ،إمتثالا لأمره عليه الصلاة و السلام لهم بحفظ و تبليغ سنته ، مثل قوله: «احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ»وقوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» [26].وقوله: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»[27].

وقوله: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»[28].

فلو لم تكن السُنَّة شرعًا ودينًا لما حرص الصحابة والتابعون على حفظها ولما ضربوا أكباد الإبل لسماعها وحفظها وتدوينها وجمعها، يَقُولُ أَنَسٌ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –: «كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نَسْمَعُ مِنْهُ الحَدِيثَ فَإِذَا قُمْنَا نَتَذَاكَرُهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَتَّى نَحْفَظُهُ»[29]. ويقول أبو هريرة: «إِنِّي لأُجَزِّئُ اللَّيْلَ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ: فَثُلُثٌ أَنَامُ، وَثُلُثٌ أَقُومُ، وَثُلُثٌ أَتَذَكَّرُ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ»[30].

و عن أبي رافع قال: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – «لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَةٍ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي، مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ» [31].

وفي حديث المقداد أنَّ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَرَّمَ أشياء يوم خيبر: الحمار الأهلي وغيره ثم قال: «يُوشِكُ الرَجُلُ مُتَّكِئًا عَلى أرِيكَتِهِ، يُحَدِّثُ بِحَدِيث مِنْ حَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنَنَا

[26] الحديث رواه البخاري: 1/ 155.

[27] رواه مسلم: (2/ 943) و " جامع بيان العلم وفضله " لابن عبد البر: (2/ 190).

[28] رواه البخاري – " فتح الباري ": (1/ 185، 197) و (3/ 574) والإمام مسلم في الحج: (1/ 85 – 86) والترمذي: (3/ 537) والدارمي: (1/ 394) والإمام أحمد في " المسند ": (4/ 21، 32) و (5/ 4، 37، 39، 40، 45، 49، 72، 342، 366، 411) و (6/ 385، 456).

[29] رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي، انظر أصول الحديث لمحمد عجاج الخطيب

[30] رواه الدارمي في " سُننه ": 1/ 82.

[31] رواه أبو داود في " سُننه ": (5/ 12) والترمذي في كتاب العلم: (7/ 424) وقال: حسن، وابن ماجه: (1/ 16) والدارمي: (1/ 117) بلفظ: «لَيُوشِكَنَّ الرَّجُلُ» والإمام أحمد في " مسنده ": (2/ 368) و (4/ 131، 132).

وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وما وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلاَ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ»[32] .

قال البيهقي: «وهذا خبر من رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عما يكون من بعده من رَدِّ المبتدعة فوجد تصديقه فيما بعده»[33].

ثمَّ أخرج الْبَيْهَقِيّ بِسَنَدِهِ عَنْ شَبِيبِ بْنِ أَبِي فُضَالَةَ الْمَكِّيِّ: «أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ – رَضِيَ اللهُ – عَنهُ ذكر الشَّفَاعَة فَقَالَ رجل من الْقَوْم: يَا أَبَا نُجيدٍ إِنَّكُم تُحَدِّثُونَا بِأَحَادِيث لَمْ نَجِدْ لَهَا أَصْلاً فِي القُرْآنِ، فَغَضِبَ عِمْرَان وَقَالَ لِلرَّجُلِ: قَرَأْتَ الْقُرْآن؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَل وَجَدْتَ فِيهِ صَلَاةَ العِشَاءِ أَرْبَعًا وَوَجَدْتَ المغْرِبَ ثَلاَثًا وَالغَدَاة رَكْعَتَيْنِ وَالظّهْرَ أَرْبَعًا وَالعَصْرَ أَرْبَعًا؟ قَالَ: لاَ: قَالَ. فَعَنْ مَنْ أَخَذْتُمْ ذَلِك، أَلَسْتُمْ عَنَّا أَخَذْتُمُوهُ وَأَخَذْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؟ أَوَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ شَاةٍ شَاةً وَفِي كل كَذَا بَعِيرًا كَذَا وفي كُلِّ كَذَا دِرْهَماً كَذَا. قَالَ: لاَ. قَالَ فَعَن من أَخَذْتُم ذَلِك؟ أَلَسْتُمْ عَنَّا أَخَذْتُمُوهُ وَأَخَذْنَاهُ عَن النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؟ وَقَالَ: أَوَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآن: {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [34] أَوَجَدْتُمْ فِيهِ فَطُوفُوا سَبْعاً وَارْكَعُوا رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ المقَامِ، أَوَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآن: لاَ جلب وَلَا جنب وَلاَ شِغَارَ فِي الإِسْلَامِ؟ أَمَا سَمِعْتُمْ اللهَ قَالَ فِي كِتَابِهِ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [35]قَالَ عِمْرَانُ: فَقَدْ أَخَذْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَشْيَاءَ لَيْسَ لَكُمْ بِهَا عِلْمٌ .[36]

و عن العرباض بن سارِيَّةَ مرفوعاً: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

---

[32] رواه ابن ماجه عن معد يكرب: (1/ 6) وأبو داود بإسناد حسن.

[33] " مفتاح الجنة ": ص 5، 6.

[34] [الحج: 29].

[35] [الحشر: 7].

[36] " مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسُنَّة للسيوطي": ص 6.

وروى الحاكم عن ابن عباس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – أَنَّ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خطب في حُجَّة الوداع فقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ، وَلَكِنْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَمْرِكُمْ فَاحْذَرُوا، إِنِّي تَرَكْتُ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ». وروى مثله الإمام مالك في " الموطأ ".

قال أبو شهبة : وهي صريحة في أنَّ السُنَّة كالكتاب يجب الرجوع إليها في استنباط الأحكام وقد أجمع الصحابة – رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ – على الاحتجاج بالسُنن والأحاديث والعمل بها ولو لم يكن لها أصل على الخصوص في القرآن ولم نعلم أحداً خالف ذلك قط فكان الواحد منهم إذا عرض له أمر طلب حكمه في كتاب الله، فإن لم يجده طلبه في السُنَّة، فإن لم يجده اجتهد في حدود القرآن والسُنَّة وأصول الشريعة. وقد وضع لهم النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –هذا الأساس القويم بإقراره لمعاذ حين بعثه إلى اليمن فقد قال له: «بِمَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ قَضَاءٌ؟ قَالَ: «بِكِتَابِ اللَّهِ». قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قَالَ: «بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –». قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قَالَ: «أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلاَ آلُو». فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – صَدْرَهُ وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ» ..

وقد فهم الصحابة رجوع جميع ما جاءت به السُنَّة إلى القرآن من قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[37].

روى البخاري في " صحيحه " عن عبد الله بن مسعود قال: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالموسْتَشِمَاتِ، وَالمتَنَمِّصَاتِ وَالمتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ»، فقالت أم يعقوب: «ما هذا؟» فقال عبد الله: «وما مالي لا ألعن من لعن رسول الله، وفي كتاب الله» قالت: «والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته»، فقال: «والله لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} .

[37] [سورة الحشر، الآية: 7].

وهذه الآية تعتبر أصلاً لكل ما جاءت به السُنَّة مِمَّا لم يرد له في القرآن ذكر وعلى هذا الدرب والطريق الواضح من جاء بعد الصحابة من أئمة العلم والدين، روي عن الإمام الشافعي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – أنه كان جالساً في المسجد الحرام يُحَدِّثُ الناس فقال: «لا تسألوني عن شيء إلاَّ أجبتكم فيه من كتاب الله»، فقال الرجل: «ما تقول في المحْرِمِ إذا قتل الزنبور؟» فقال: «لا شيء عليه»، فقال الرجل: «أين هذا من كتاب الله؟» فقال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}. ثم ذكر إسناداً إلى سيدنا عمر أنه قال: «للمحرم قتل الزنبور». وذكر ابن عبد البر في كتاب العلم له عن عبد الرحمن بن يزيد: أنه رأى مُحرما عليه ثيابه، فقال: «ائتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي، قال: فقرأ عليه: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} .[38]

وهذا سعيد بن المسيب يقول: «كُنْتُ أَرْحَلُ الأَيَّامَ وَاللَّيَالِي فِي طَلَبِ الحَدِيثِ الوَاحِدِ» قِيْلَ لِلشَّعْبِيِّ: «مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا العِلْمِ كُلُّهُ؟ قَالَ: " بِنَفْيِ الاعْتِمَادِ ، وَالسَّيْرِ فِي البِلاَدِ، وَصَبْرٍ كَصَبْرِ الجَمَادِ ، وَبُكُوْرٍ كَبُكُوْرِ الغُرَابِ»[39].

فلو لم تكن السُنَّةُ شرعًا ودينًا لما حرصوا عليها هذا الحرص ولما تحمَّلوا مشاق السفر في سبيلها ولما أصبحت جزءًا من حياتهم اليومية ولما قال – عَلَيْهِ الصَلاَةُ وَالسَّلاَمُ –: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[40].

---

[38] : دفاع عن السُنَّة ورد شبه المسْتَشرِقِينَ والكتاب المعاصرين ص 17-18

المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ)

الناشر: مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة

الطبعة: الثانية، 1406 هـ - 1985 م.

[39] سير أعلام النبلاء ": 4/ 300]

[40] رواه أبو داود: 5/ 13. وابن ماجه: 1/ 16. والدارمي: 1/ 43. وأحمد: 4/ 126، 127. كلهم عن العرباض بن سارية ورواه الترمذي: 7/ 438. وقال: حسن صحيح.

لماذا جمع القرآن ولم تجمع السنة ؟

أجاب عن ذلك العلامة المعلمي بقوله : " وبين القرآن والسنة فرق من وجوه: وبيان أن الله تبارك وتعالى تكفل بحفظ الشريعة مما فيه الكتاب والسنة كما مر ص 20-21، ومع ذلك كلف الأمة القيام بما تيسر لها من الحفظ، ولما كان القرآن مقصوداً حفظ لفظه ومعناه، وفي ضياع لفظة واحدة منه فوات مقصود ديني، وهو مقدار محضور يسهل على الصحابة حفظه في الصدور وكتابته في الجملة كلفوا بحفظه بالطريقتين، وبذلك جرى العمل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فتوفاه الله تبارك وتعالى والقرآن كله محفوظ في الصدور مفرقا، إلا أن معظمه عند جماعة معروفين، وإنما حفظه جميعه بضعة أشخاص، ومحفوظ كله بالكتابة مفرقاً في القطع التي بأيدي الناس كما مر ص20. فلما استحر القتل بالقراء في اليمامة وخشي أن يستحر بهم في كل موطن ومن شأن ذلك مع صرف النظر عن حفظ الله تعالى أن يؤدي إلى نقص في الطريقة الأولى. رأى الصحابة أنهم إذا تركوا تلك القطع كما هي مفرقة بأيدي الناس كان من شأن ذلك احتمال أن يتلف بعضها فيقع النقص في الطريقة الثانية أيضاً. ورأوا أنه يمكنهم الاحتياط للطريقة الثانية بجمع تلك القطع وكتابة القرآن كله في صحف تحفظ عند الخليفة، وإذ كان ذلك ممكنا بدون مشقة شديدة، وهو من قبيل الكتابة التي ثبت الأمر بها ولا مفسدة البتة، علموا أنه من جماعة ما كلفوا به، فوفقهم الله تعالى للقيام بهذا .

أما السنة فالمقصود منها معانيها، وفوات جملة من الأحاديث لا يتحقق به فوات مقصود ديني، إذ قد يكون في القرآن وفيما بقى من الأحاديث ما يفيد معاني الجملة التي فاتت.

وهي مع ذلك/ منتشرة لا تتيسر كتابتها كما تقدم ص21 فاكتفى النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة بحفظها في الصدور كما تيسر بأ، يحفظ كل واحد ما وقف عليه ثم يبلغه عند الحاجة ولم يأمرهم بكتابتها، ولم يمكن حفظ معظمها مقصوراً على القرآن بل كا جماعة ليسوا من القراء عندهم من السنة أكثر مما عند بعض القراء ، فالدلائل والقرائن التي فهم منها الصحابة أن عليهم أن يصنعوا ما صنعوا في جمع القرآن لم يتوفر لهم مثلها ولا ما يقاربها لكي يفهموا منه أن عليهم أن يجمعواالسنة. على أنهم كانوا إذا فكروا في جمعها بدا لهم احتمال

اشتماله على مفسدة كما مر ص30، وكذلك كان فيه تفويت حكم ومصالح عظيمة (راجع ص21-22) . وتوقفهم عن الجمع لما تقدم لا يعني عدم العناية بالأحاديث، فقد ثبت بالتواتر تدينهم وانقيادهم لها وبحثهم عنها كما تقدم في مواضعه، ولكنهم كانوا يؤمنون بتكفل الله تعالى بحفظها ويكرهون أن يعملوا من قبلهم غير ما وضح لهم أنه مصلحة محضة، (راجع ص30) ، ويعلمون أنه سيأتي زمان تتوفر فيه دواعي الجمع وتزول الموانع عنه، وقد رأوا بشائر ذلك من انتشار الإسلام وشدة إقبال الناس على من تلقى العلم وحفظه والعمل به، وقد أتم الله ذلك كما اقتضه حكمته."[41]

قال المعترض : ومن الأعذار الغريبة جدا، والخطيرة جدا، والتي يستدل بها هؤلاء لتفسير منع الرسول لكتابة كلامه ...

والجواب على ما ذكره من إعتراضات تم الجواب عنه آنفا في الوقفة الثانية ، فانظره .

---

[41] الأنوار الكاشفة ص 239-240

الفهم السقيم لمصطلحات أهل العلم

قال المعترض تحت عنوان: "السنة قاضية على القرآن" : " من يقرأ هذا العنوان سيصابُ بالدهشة في أول وهلة حيثُ أن المنطق يقول: إذا كان القرآن هو أوّل أصلٍ من أصول التشريع بالاتفاق، وهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكيف ساغ لهؤلاء القول بأن السنَّة قاضية على الكتاب."

وقال " .. يعتبرونها قاضية على القرآن و ناسخة له ، لاغية لأحكامه ، و ناقضة لها "

يريد المناوئ من خلال كلامه هذا نصب الخلاف بين كتابه الله وسنة رسوله ، مدَّعيا أنَّه لا يمكن التسليم التام لكتاب الله إلا بردِّ السنن، ثم يشنُّ حملة وهمية على من يرفع السنة إلى مقام القرآن ، ويضع الأحاديث في درجة فوق القرآن الكريم ، و من المعلوم أنَّه لا يوجد من أهل السنة من يقول بهذا الكلام ، الظاهر في البطلان ؛ لكن الكاتب يحاول بلزومياته واستنتاجاته أن يجعل من أَخَذ بالسنة مهوناً من شأن القرآن، ولكن هيهات أن يثبت له هذا الادعاء.

ثم قال : وفي هذا روى الدارمي في سننه عن يحي بن أبي كثير أنه قال: «السنة قاضية على القرآن، وليس القرآن بقاض على السنة.»

قال الزركشي في كتابه البحر المحيط: (مسألة حاجة الكتاب إلى السنة . قال الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب .قال أبو عمر: يريد أنها تقضي عليه، وتبين المراد منه، وقال يحي بن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب).

إذن من خلال هذه النقول نجد أن هؤلاء الشيوخ اعتبروا المرويات المأثورة عن النبي، وهي في غالبها العام ظنية الثبوت، قاضية وحاكمة على القرآن القطعي الثبوت، وهذا كلام فيه خبء معناه ليست لنا عقول، فمن يتجرأ على هذا القول بهذا الشكل ، و بدون أن يرف له جفن، سأشك في عقله إن لم أشك في إيمانه، لذلك فقد ورد في كتاب جامع بيان العلم وفضله

لإبن عبد البر، أن الإمام أحمد بن حنبل لما سئل عن القول بأن السنة قاضية على الكتاب قال: « ما أجسر على هذا أن أقوله بل أقول أن السنة تفسر القرآن وتبينه.»

ولا زال في عصرنا هذا من يرفع الحديث إلى مرتبة أعلى من القرآن، وإن كان يردد كالببغاء مقولة أن القرآن هو الأصل الأول للتشريع، لأنه عمليا يكذبها بجعله السنة قاضية على القرآن ،بمعنى أنه إذا وجدت نصا في الحديث يتعارض جملة وتفصيلا مع القرآن فالحديث هنا قاض على القرآن، وهذا ما يفسر اتباع العديد من الشيوخ ما ورد في الأحاديث ،ضاربين بعُرض الحائط كل الآيات والأحكام الواضحة الواردة في القرآن ، ويمكن أن نضرب العديد من الأمثلة لذلك. "

قلت : قائل تلك العبارة التي ذكرها المعترض ، هو يحيى بن أبي كثير من صغار التابعين، فقد أخرج الدارمي في سُنَنِهِ بسنده إلى يحيى بن أبي كثير أنَّه قال «السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ الْقُرْآنُ بِقَاضٍ عَلَى السُّنَّةِ». وليس معنى قضاء السنة على القرآن ما ذهب اليه بقوله : " أنه إذا وجدت نصا في الحديث يتعارض جملة وتفصيلا مع القرآن فالحديث هنا قاض على القرآن أي تنقض حكمه، أو تسقط شرائعه، فهذا كذب لم يقل به أحد من العلماء ، نتيجة لفهمه السقيم لكلام أهل العلم، و العجيب أنه نقل كلام الإمام أحمد مفسرا معنى أنها تقضي عليه أي تفسره و تبينه !! و هذا ما ذكره الحازمي في كتابه الاعتبار: "عَنْ يَحْيَى، قَالَ: السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ، أَيْ: تُفَسِّرُهُ" وقال ابن عبد البر: "يريد أنها تقضي عليه وتبيّن المراد منه وهذا نحو قولهم: ترك الكتاب موضعا للسنة، وتركت السنة موضعا للرأي"

قال الدكتور أحمد بلهي : " وهذا التعبير معروف مفهوم عند أهل العلم يستعملونه حتى في القرآن، فيقولون هذه الآية قاضية على الآيات الأخرى في معناها، أي تفسرها وتوضح معناها، وقد استعمل هذا التعبير الصحاب الكرام- رضي الله عنهم- فقد جاء في كتاب الدرر المنثور للسيوطي ما نصُّهُ: "أخرج عبد الرزاق وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله الأنصاري أو عن

أبي سعيد الخدري أو رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ، قال: هذه الآية قاضية على القرآن كلِّه يقول: حيث كان في القرآن خالدين فيها تأتي عليه". فمعنى القضاء هنا أن الآيات التي ورد فيها خلود العصاة في نار جهنم بسبب معاصٍ اقترفوها دون الكفر، فخلودهم مقيد بإرادة الله ومشيئته، وهذا يدل أن له حدٌّ محدود ، بعكس خلود الكفار في النار لا نهاية له.

فإذا عُلِمَ ذلك المعنى فعلى الكاتب أن يربأ بنفسه، ويحْسِنَ الفهم قبل أن يتَّهِمَ أهل العلم في عقلهم و إيمانهم فيقول : " فمن تجرَّأَ على هذا القول بهذا الشكل بدون أن يرفَّ له جفنٌ ، سأشكُّ في عقله إن لم أشكّ في إيمانه".

زعمه أن قول " السنة قاضية على القرآن " رفع للسنة على مقام القرآن

زعم الكاتب أن من مظاهر رفع مقام السنة على مقام القرآن ، أخذ العلماء بأحاديث تخالف آي القرآن، بناء على قاعدة السنة تقضي على القرآن فقال: " ولا زال في عصرنا هذا من يرفع الحديث إلى مرتبة أعلى من القرآن، وإن كان يردد، كالببغاء مقولة أن القرآن هو الأصل الأول للتشريع، لأنه عمليا يكذبها بجعله السنة قاضية على القرآن، بمعنى أنه إذا وجدت نصا في الحديث يتعارض جملة وتفصيلا، مع القرآن فالحديث هنا قاض على القرآن، وهذا ما يفسر اتباع العديد من الشيوخ ما ورد في الأحاديث، ضاربين بعرض الحائط كل الآيات".

قلتُ: هذا الكلام لا أساس له من الصحَّة، و قد تم الجواب عليه سابقا فلا نعيد الرد عليه !. و هنا يقال للمناوئ : أي حديث هذا الذي يخالف صريح القرآن بنظرك ، حتى يرى هل فعلا يناقضه بحق أم لا ؟! والحقُّ أنَّ التناقض بين القرآن وصحيح السنة لا يوجد إلا في ذهن المتطفلين على العلم الشرعي ، الفاقدين لأليات الفهم الرشيد ، المعرضين عن الإسترشاد بأقوال المحققين الراسخين أمثال الإمام الحجة محمد بن ادريس الشافعي الذي قال :

"ويَعْلمون أن اتِّباعَ أمْره طاعةُ الله، وأنَّ سُنَّته تَبَعٌ لكتاب الله فيما أنْزَلَ، وأنها لا تخالف كتاب

الله أبداً". و الإمام أبو المظفر السمعاني الذي قال : "فإنَّا بحمد الله تعالى لم نجد خبرًا صحيحاً يخالف الكتاب، بل الكتاب والسنة متوافقان متعاضدان، وإن عرض سؤالُ سائلٍ في كتاب أو خبر، فقد أجاب عنه علماء السنَّة...ولكن غرض القوم ومرماهم ردُّ السنَّة، وَطَيّ الأحاديث جملة "

دعوى تعارض حديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله .. » للقرآن

ثم ضرب المعترض مثالا لحديث أخرجه البخاري، زعم أن أهل العلم قضوا به على ثلاث آيات من القرآن الكريم، فقال: " ويمكن أن نضرب العديد من الأمثلة لذلك: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنها أن رسول الله e قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» رواه البخاري ومسلم.

هذا الحديث يخالف جملة وتفصيلا قول الله تعالى: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:256]

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴾[الكهف:29]

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[يونس:99].

لكن هؤلاء يضربون بهاته الآيات عرض الحائط ويقولون بكل وقاحة وجرأة على الله، السنة قاضية على الكتاب، ويبقى حكم الحديث هو النافذ، ويتجلى في قتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله... الحديث، أما أنا فأقول وقلبي مطمئن بأن هذا

الكلام لم يفه به رسول الله الذي كان خلقه القرآن، والذي قال عنه الله تعالى في محكم تنزيله:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]".

قلتُ: في هذا الكلام ألوانا شتى من التضليل و التهافت و التخبيط وضرب للأدلة بعضها ببعض، وسوء فهم لمقاصد القرآن، و عدم ربطها بسيرة النبي عليه السلام..

فمن ضلاله و تخبيطه أنه يرفض أن يتحاكم الناس الى نصوص الحاديث الصحيحة التي رواها البخاري ، ثم ها هو يريد الناس أن تتحاكم الى إطمئنان قلبه ! و تقليده في ترك الاحاديث التي لم يطمئن لها قلبه و رفضها عقله !

و من سوء فهمه و فداحة جهله لمقاصد القرآن ، عدم إحاطته بسنة النبي صلى الله عليه وسلم العملية منها و القولية ، و عدم رجوعه الى كتب السيرة المعتبرة ليقف على تطبيق الرسول لهذه الأيات البينات .

و الغريب أن المناوئ سلط قذارة لسانه على من يخالفه الرأي فاتهمهم بالوقاحة و الجرأة على الله و أنهم لم يفهموا معنى الأيات ، و من قبل طعن في لغة البخاري ، مع أنه لا يفرق بين القتل و القتال !! قال ابن دقيق العيد : " فرق بين المقاتلة على الشيء و القتل عليه ، فإن المقاتلة مفاعلة تقتضي الحصول من الجانبين "

الوجه الأول: ا لمقصود بكلمة الناس في حديث «أمرت أن أقاتل الناس»، هم المشركون دون أهل الكتاب الذين يُقْبَلُ منهم الجزية، قال العيني: "قال الكرماني: «والناس» قالوا أريد به عبدة الأوثان دون أهل الكتاب؛ لأنَّ القتال يسقط عنهم بقبول الجزية، قلت: فعلى هذا تكون اللام للعهد ولا عهد إلا في الخارج " . وعلى هذا فحديث الباب القاضي بقتال الناس حتى يسلموا لا يمكن بأي حال أن يخالف قوله تعالى:﴿ لا إكراه في الدين ﴾، كيف يكون ذلك والحديث ثابتٌ ثبوتاً قطعياً عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ؟ وهو أعلم الناس بمعاني كتاب الله ودلالاته، فلا يمكن أن نتصور أن يقع التناقض بين كلام الله والوحي المنزَّل

على رسوله، فلم يبق إلا أن يُتَّهَمَ الفهم القاصر بإحداث هذا التعارض، ونحن إذا تدبَّرنا الآية في ضوء ما قاله المفسرون في تأويلها، تبيَّن لنا جليا بطلان ذلك الزعم، وموافقة الحديث لما دَلَّتْ عليه الآية، فقد ذكر المفسرون في تفسيرها ثلاثة أقوال كلُّها لا تتعارض مع مضمون الحديث:القول الأول: أن الآية خاصَّة في قوم من الأنصار كان لهم أولاد قد هَوَّدُوهُمْ أو نَصَّرُوهُمْ، فلما جاء الإسلام أرادوا إكراههم عليه، فنهاهم الله حتى يكونوا هم من يختارون الإسلام، وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير .

القول الثاني: أن الآية خاصَّة بأهل الكتاب لا يكرهون على الدين، بشرط أن يَدْفَعُوا الجزية ويُقَرُّون على دينهم، وهو قول: الضحاك و عطاء و الشعبي والحسن وهو الذي رجحه ابن جرير الطبري.

القول الثالث: الآية منسوخة نزلت قبل أن يفرض القتال، وهو قول زيد بن أسلم و عبد الله بن مسعود.

فعلى القول بأن الآية منسوخة فلا إشكال أصلا، لأنه يُعْمَلُ بالحكم الناسخ ويترك الحكم المنسوخ، وهذا بيِّنٌ واضحٌ، وعلى القول الأول والثاني: فإن الآية خصَّصت بعض الناس بالنهي عن إكراههم على الدين وهم قوم من الأنصار أو أهل الكتاب ؛ ولا يُفْهَمُ منها نفي عموم الإكراه على الدين في الإسلام مطلقاً، فهذا العموم باطل ليس مراد، لأنه ثبت باتفاق العلماء وجود الإكراه على الدين في بعض الأحكام والتشريعات الإسلامية المتفق عليها، فالاحتجاج بهذه الآية التي وردت في موردٍ خاص على تثبيت حكمٍ عام مخالف لقواعد الشريعة، لا تقِرُهُ الأدلَّة العَمَلِيَة الأخرى .

يقول ابن حزم: "وقالوا: قال الله تعالى :﴿ لا إكراه في الدين﴾ [البقرة: ٢٥٦]. فقلنا: أنتم أول من يقول: إنَّ العرب الوثنيين يُكرَهون على الإسلام، وإن المرتدَّ يُكْرَه على الإسلام، وقد صحَّ أنَّ النبيe أكره مشركي العرب على الإسلام، فصحَّ أنَّ هذه الآية ليست على ظاهرها وإنَّما هي فيمن نهانا الله تعالى أن نكرهه، وهم أهل الكتاب خاصَّة" .

و قال الخطابي: "و أما قوله سبحانه: :﴿ لا إكراه في الدين﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فإن حكم الآية مقصورٌ على ما نزلت فيه من قصَّة اليهود، فأما إكراه الكفار على دين الحق فواجب ولهذا قاتلناهم على أن يسلموا أو يؤدُّوا الجزية ويرضوا بحكم الدين عليهم".

فإذا اتَّضح هذا المقام ، علمنا أن إكراه المشركين و عبدة الأوثان على الإسلام الذي جاء في حديث الباب، لا يعارض آية الإكراه في الدين، فإن الحديث خاص في قوم والآية خاصة بقوم آخرين، ومعلوم من علم الأصول أن النصَّ الخاص لا يتعارض مع النص الخاص، بل يعمل بكل نصٍ في مجاله، وبهذا يُجْمَعُ بين الآية والحديث وتَسْلَمْ النصوص الأخرى القاضية بإكراه الناس على الإسلام من التناقض والاختلاف ، لذلك قال الطبري – بعد أن رجح كون الآية خاصة بأهل الكتاب – : " و إذ كان ذلك كذلك، وكان غير مستحيل أن يقال لا إكراه لأحد ممن أخذت منه الجزية في الدين ، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك ، وكان المسلمون جميعا قد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه أكره على الإسلام قوماً فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب، وكالمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ومن أشبههم، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه وإقراره على دينه الباطل، وذلك كأهل الكتابين ومن أشبههم، كان بيِّناً بذلك أن معنى قوله: ﴿ لا إكراه في الدين ﴾، إنما هو لا إكراه في الدين لأحدٍ ممن حلَّ قَبول الجزية منه بأدائه الجزية ورضاه بحكم الإسلام".

الوجه الثاني: إذا نظرنا في هذا الحديث من جهة المعنى، نجد له شواهد من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: 05]

قال ابن العربي المالكي: "قوله تعالى:﴿ لا إكراه ﴾ عموم في نفي إكراه الباطل، فأما الإكراه بالحق فإنه من الدين؛ وهل يقتل الكافر إلا على الدين، قال صلى الله عليه وسلم: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » ، وهو مأخوذ من قوله تعالى:﴿وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣]".

و لقد ثبت هذا الإكراه من فعله صلى الله عليه وسلم كما هو مشهور متواتر من غزواته وحروبه ، فقد كانت كلُّها لإعلاء كلمة الله وإكراه الناس على دين الحق الذي فيه مصلحتهم الدنيوية والأخروية ، يقول ابن حزم – رحمه الله – : " لم يختلف مسلمان في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل من الوثنيين من العرب إلا الإسلام أو السيف، إلى أن مات عليه السلام فهو إكراه في الدين ".

و الذي نخلص إليه بعد تتبع أقوال المفسرين للآية ، أنهم مجمعون على عدم حملها على عمومها وإطلاقها ، وأن المقصود منها النهي عن إكراه مخصوص بغير حق شرعي، لا نفي مطلق الإكراه، وبذلك تنتفي الشبهة عن حديث الباب، ويظهر جلياً موافقته لآيات الكتاب الكريم، إذا فُهِمَتْ على النحو الذي فهمه علماء الإسلام، ومما يؤَكِّد صحَّة هذا المعنى السنة العملية للنبي صلى الله عليه وسلم في جهاده ، حيث قاتل أعداءه من أجل الدخول في الإسلام، كما هو معروف في السيرة النبوية، وهو أعلم الناس بمعاني القرآن، وكذلك فعل الصحابة رضي الله عنهم في الفتوحات الإسلامية، ولازال هذا الأمر مستقراً عند المسلمين في كل عصر، حتى ظهر هؤلاء المعاصرون فانفردوا بفهم خاص للقرآن الكريم، لم يفهمه النبيe ولا الصحابة ولا التابعون ولا من جاء بعدهم، وكفى بهذا ضلالاً مبينا .

الوجه الثالث: وأما تعلُّق المعترض بقوله تعالى:﴿ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩]، لإبطال الحديث، فليس له فيه دليل؛ لأن التخيير بين الإيمان والكفر في الآية، لا يُفْهَمُ منه إباحة حرية الاعتقاد كما يدَّعي المعاصرون، فهذا قول لم يقل به أحد من المفسرين ، وإنما خرج هذا التخيير مخرج التهديد والوعيد، و هو أسلوب معروف من أساليب

اللغة، نظيره قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[فصلت: ٤٠]، يقول الطبري رحمه الله: "وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء، والإيمان لمن أراد، وإنما هو تهديدٌ ووعيدٌ، وقد بيَّن أن ذلك كذلك قوله: ﴿ إنا أعتدنا للظالمين ﴾، والآيات بعدها" . و من الذين وضَّحوا هذا المعنى من المفسرين المعاصرين الشيخ الشنقيطي حيث قال: "ظاهر هذه الآية الكريمة بحسب الوضع اللغوي ـ التخيير بين الكفر والإيمان ـ ولكن المراد من الآية الكريمة ليس هو التخيير، وإنما المراد بها التهديد والتخويف، والتهديد بمثل هذه الصيغة التي ظاهرها التخيير أسلوب من أساليب اللغة العربية. والدليل من القرآن العظيم على أن المراد في الآية التهديد والتخويف ـ أنه أتبع ذلك بقوله: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩]، وهذا أصرح دليل على أن المراد التهديد والتخويف، إذ لو كان التخيير على بابه لما توعد فاعل أحد الطرفين المخير بينهما بهذا العذاب الأليم. وهذا واضح كما ترى".

و بعد هذا البيان يتضح لنا جليًا أن حديث الباب الذي شرع مقاتلة الكفار حتى يقولوا لا إله إلا الله، يَلْتَقِي تماماً مع الآيات القرآنية الآمرة بمقاتلة الكفار، ولا يخالف الآيات الأخرى التي أمرت بترك قتال فئة خاصة منهم، على هذا الفهم علماء الإسلام من المفسرين والمحدثين، و أما الدعوى الانهزامية التي ينادي بها هؤلاء المعاصرون، فليس لها مستند من كتاب الله ولا سنة رسوله وإنما هي نتيجة من نتائج تأثرهم بشبه المستشرقين حول مفهوم الجهاد في الإسلام وغاياته.

تكذيبه لحديث «كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن. ثم نسخن...» بدعوى مخالفته للقرآن

قال المناوئ : " عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن. ثم نسخن: بخمس معلومات. فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن) .» صحيح مسلم: كتاب الرضاع؛ باب التحريم بخمس رضعات.

فهذا الحديث المنسوب إلى أمنا عائشة يتهم القرآن بالتحريف والتزوير رغم أن الله تعالى يقول في محكم كتابه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} الحجر:10 ، فهي تقول حسب نفس هذا الحديث ان رسول الله مات وآية التحريم بخمس رضعات مما يتلى من القرآن، وأي دارس يمكنه التأكد أنه لا توجد آية قرآنية واحدة في كتاب الله بهذا المعنى، وبهاته الدلالة، لكن المرويات الغريبة كهاته والقادحة في صدقية القرآن لا مجال لمناقشتها من طرف هؤلاء مع كامل الأسف ، ويمكننا أن نأتي بعشرات بل مئات الأحاديث التي تعارض القرآن جملة وتفصيلا، و تسيء أيضا إلى مقام الألوهية والرسالة معا، والماتحة من مستنقع الخرافة، والمصادمة للعلم والعقل، من كتب الحديث بما فيها صحيح البخاري، لكن اكتفينا بهذين المثالين ليعرف القارئ ماذا نقصد."

الجواب على كلامه من وجوه :

الأول : معلوم أن المعترض يناقش أحاديث البخاري فما باله يقحم هذا الحديث الذي رواه مسلم ، هل لم يجد في البخاري ما يستدل به ؟ مع أنه تبجح بوقوفه على مئات من الأحاديث التي تعارض العقل و القرآن ! و لعله في المستقبل يخرج لنا لقيطا أخر يدعي فيه كذلك نهاية اسطورة مسلم !!

الثاني : من خلال الوقوف على عدد من الكتابات التي تطعن في أحاديث الصحيحين ، لم نجد من تجاوز انتقاده بضع أحاديث مستشكلة بدعوى معارضتها للقرآن أو العقل أو العلم ، ولم يجازف أحد منهم و تفوه بمثل ما قال المعترض " ويمكننا أن نأتي بعشرات بل مئات

الأحاديث التي تعارض القرآن جملة وتفصيلا، و تسيء أيضا إلى مقام الألوهية والرسالة معا .." و نحن نتحداه إن كان صادقا أن لا يبخل عن قرائه بذكر هاته المئات ، و نمهله خمس سنوات متتاليات { قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين } . قديما قيل : من أحالك الى غائب ما أنصفك !

الثالث : هذا الحديث لم يروه مسلم وحده بل رواه مالك في الموطأ . و أصحاب السنن الأربعة ، و ابن حبان ، و البيهقي في معرفة السنن و الأثار ، و الدارقطني في السنن ، و عبد الرزاق في مصنفه و سعيد بن منصور في سننه ، و اسحاق بن راهويه في مسنده ، و ابن الجارود في المنتقى ، و الطحاوي في مشكل الأثار ، و الطبراني في المعجم الأوسط ، و ابن عوانة في مستخرجه ، و الخطيب البغدادي في الفقيه و المتفقه .

الرابع : لم تذكر السيدة عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأهن حتى مات ! بل فيه أنه مات " و هن مما يقرأ من القرآن " ، و هذه الصيغة للفعل تكون لما لم يسم فاعله ، أو المبني للمجهول ، فالحديث فيه إثبات (النسخ) ، و لا يحتاج الأمر الى التهويل ليقال أن أي دارس يستطيع التحقق من عدم وجود آية في عدد الرضعات ، فهذا يعرفه الصبيان الحافظون لكتاب الله ، فكيف بعلماء الإسلام الكبار ؟ و لو رجع الى تفسير الحديث عند العلماء لما وجد وجها لتبجحه بأن هذا الحديث يخالف القرآن . و قد أجاب العلماء عن هذا الإستشكال بأن آية الرضاع منسوخة التلاوة، فقولها -أي عائشة - رضي الله عنها -: "فتوفي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهي مما يقرأ من القرآن"؛ هذا لقرب عهد النسخ بوفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وإلا فلو بقيت الآية كما هي لأثبتت في المصحف، وقد اتفق جمهور العلماء على أنها منسوخة.

قال الإمام البغوي -رَحِمَهُ اللهُ- في كتابه العظيم "شرح السنة" (9/ 81): "اختلف أهل العلم فيما تَثْبتُ به الحرمة من الرضاع؛ فذهب جماعة من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم إلى أنه لا تثبت بأقل من خمس رضعاتٍ متفرقات، وبه كانت تفتي عائشة وبعض

أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهو قول عبد الله بن الزبير، وإليه ذهب الشافعى وإسحاق، وقال أحمد: إن ذَهَبَ ذاهِبٌ إلى قول عائشة في خمس رضعات فهو مذهب قوي.

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن قليل الرضاع وكثيره مُحَرِّمٌ؛ يروى ذلك عن ابن عباس وابن عمر، وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزُّهري، وهو قول سفيان الثوري ومالك والأوزاعي وعبد الله بن المبارك ووكيع وأصحاب الرأي، وذهب أبو عبيد وأبو ثور وداود إلى أنه لا يحرم أقل من ثلاث رضعات، لقوله – صلى الله عليه وسلم –: "لا تحرّم المصة والمصّتان"، ويُحكى عن بعضهم أن التحريم لا يقع بأقل من عشر رضعات؛ وهو قول شاذ.

وقول عائشة: "فتوفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهي فيما يقرأ من القرآن"؛ أرادت به قرب عهد النسخ من وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، حتى كان بعض من لم يبلغه النسخ يقرؤه على الرسم الأول، لأن النسخ لا يتصور بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ويجوز بقاء الحكم مع نسخ التلاوة؛ كالرجم في الزنى حكمه باقٍ مع ارتفاع التلاوة في القرآن، لأن الحكم ثبت بأخبار الآحاد، ويجب العمل به، والقرآن لا يثبت باخبار الآحاد، فلم تجز كتابته بين الدفتين" اهـ.

و قال عياض : وهذا الحديث لا حجة فيه؛ لأنه محال على أنه قرآن، وقد ثبت أنه ليس من القرآن الثابت، ولا تحل القراءة به ولا إثباته فى المصحف؛ إذ القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد، وهذا خبر الواحد فيسقط التعلق به.

فإن قيل: هاهنا وجهان: أحدهما: إثباته قرآناً، والثانى: إثبات العمل به فى عدد الرضعات، فإذا امتنع إثباته قرآناً بقي الآخر وهو العمل به لا مانع يمنع منه؛ لأن خبر الواحد يدخل فى العمليات، وهذا منها.

قلنا: هذا قد أنكره حذاق أهل الأصول وإن كان قد مال إليه بعضهم، واحتج المنكرون له بأن خبر الواحد إذا توجهت عليه القوادح واستريب توقف عنه، وهذا جاء آحاداً، وإنما جرت

العادة أنه لا يجىء إلا تواتراً، فلم يوثق به كما وثق بأخبار الآحاد فى غير هذا الموضع، وإن زعموا أنه كان قرآناً ثم نسخ، ولهذا لم يشتغل به أهل التواتر. قيل: قد كفيتم مؤنة الجواب؛ إذِ المنسوخ لا يعمل به، وعليه يحمل عندنا قول عائشة: " فتوفى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهى فيما تقرأ من القرآن "، يعنى من القرآن المنسوخ، فلو أرادت: فيما تقرأ من القرآن الثابت لاشتهر عند غيرها من الصحابة كما اشتهر سائر القرآن.

و ناقش الشوكاني مسألة قرآنية الآية و حجيتها فقال : وقد أجاب أهل القول الثاني عن أحاديث الباب التي استدل بها أهل القول بأجوبة: منها:

أنها متضمنة لكون الخمس الرضعات قرآنا، والقرآن شرطه التواتر ولم يتواتر محل النزاع . وأجيب بأن كون التواتر شرطا ممنوع، والسند ما أسلفنا عن أئمة القراءات كالجزري وغيره في باب الحجة في الصلاة بقراءة ابن مسعود وأبي من أبواب صفة الصلاة فإنه نقل هو وجماعة من أئمة القراءات الإجماع على ما يخالف هذه الدعوى، ولم يعارض نقله ما يصلح لمعارضة كما بينا ذلك هنالك وأيضا اشتراط التواتر فيما نسخ لفظه على رأي المشترطين ممنوع.

وأيضا انتفاء قرآنيته لا يستلزم انتفاء حجيته على فرض شرطية التواتر؛ لأن الحجة ثبتت بالظن، ويجب عنده العمل وقد عمل الأئمة بقراءة الآحاد في مسائل كثيرة: منها قراءة ابن مسعود: {فصيام ثلاثة أيام} [البقرة: 196] متتابعات وقراءة أبي {وله أخ أو أخت} [النساء: 12] من أم ، ووقع الإجماع على ذلك ولا مستند له غيرها .

وأجابوا أيضا بأن ذلك لو كان قرآنا لحفظ لقوله تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر: 9] وأجيب بأن كونه غير محفوظ ممنوع بل قد حفظه الله برواية عائشة له ، وأيضا المعتبر حفظ الحكم، ولو سلم انتفاء قرآنيته على جميع التقادير لكان سنة لكون الصحابي راويا له عنه - صلى الله عليه وسلم - لوصفه له بالقرآنية وهو يستلزم صدوره عن

لسانه، وذلك كاف في الحجية لما تقرر في الأصول من أن المروي آحادا إذا انتفى عنه وصف القرآنية لم ينتف وجوب العمل به كما سلف .

قال المناوئ : " بعد أن حكموا بأن السنة قاضية على الكتاب ، بمعنى أنها مبينة ومفسرة وحاكمة ،لم يجدوا مخرجا لإزاحة التناقضات الواضحة للحديث في مواجهة القرآن ،إلا أن يحكموا بأن السنة ناسخة للقرآن، وهم بذلك عملوا أيضا على تكريس مبدأ السيادة المطلقة للمرويات على كتاب الله، فلم يعد له أي دور في حياة الناس إلا أن يتلى لطرد الشياطين، أو يسترقى به لدفع الأمراض، أو للقضاء المبرم على العين والحسد ، أي أنهم ربطوه بالخرافة، وجعلوا منه وسيلة للاسترزاق، في حين أن كتاب الله جاء ليشكل نبراس حياتنا، وهدى سبيلنا، ومنجاة لنا من الضلال ،وجامعا لنا من الفرقة.

ومن هذا القبيل بوب الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه «الكفاية في علم الرواية) ص/23 بقوله: «باب ما جاء في التسوية بن حكم كتاب الله تعالى ،و حكم سنة رسول الله سلى الله عليه وسلم، في وجوب العمل، ولزوم التكليف»

وأورد تحته حديث المقدام بن معد يكرب ،أن رسول الله سلى الله عليه وسلم قال: "ألاإني أوتيت من القرآن ومثله معه.. الحديث". رواه الترمذي (2664) وقال:

حسن غريب من هذا الوجه. وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة "2870.

وفي مناقشة هذا الحديث والتعقيب عليه للكاتب الأريب محمود أبو رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية ما يريح النفس ويرتاح إليه العقل ، أنقله عنه رحمه الله.[1]

و للجواب على أغلوطاته و جهالاته نقف وقفات :

الوقفة الأولى : يتمسح المعترض بهذا الكلام الإنشائي الركيك ليدغدغ القلوب ، في مشهد مسرحي ، متباك – زعم – على عدم اهتمام المحدثين بكتاب الله ، و اعتنائهم بالسنة و جعلها فوق القرآن . و قد تم كشف زيفه و تدليسه مرارا ، فتنبه !

---

[1] صحيح البخاري نهاية أسطورة .ص30

الوقفة الثانية : قوله : " ومهما بحثت عن حل لهذا الخبل الذي يروونه وينسبونه إلى الرسول، فلن يعتدل لديك ميزان، ولن يستقيم لديك منطق ،سيما إذا علمت أن الشيوخ المتقدمين اختلفوا اختلافا كبيرا في مسألة أن السنة تنسخ القرآن، لكن المتأخرين أو معظمهم يأخذون من هذا الاختلاف شماعة يهربون بها من كتاب الله، فيضعون فتوى فقيه الذي يجب أن يكون في مكانه النسبي في المكان المطلق ."

خلط أصول الفقه بمباحث الحديث ، فهو " يخلط العلوم الشرعية ببعضها، ليصل إلى النتيجة التي يريد، وهو بهذا يفصح عن جهل وسقطات هائلة، على سبيل المثال، تجده ليستكثر سطور كتابه، يدخل مباحث لا شأن لها بمسألة ثبوت الأحاديث، بل لها تعلق بالأصول، على سبيل المثال أدخل مبحث (السنة ناسخة للقرآن)، وبدأ ينسخ أقوال العلماء، وغاية ما يمكنه تحصيله ترجيح قول من قال بأن السنة لا تنسخ القرآن، ولكن هل هذا يعني عند هؤلاء أن السنة مثلما يزعم هو غير محفوظة، وأنها حديث خرافة؟ حتما لا، وهذا الشافعي، أشهر من قال بأنه" :إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب، وأن السنة لا ناسخة للكتاب" من أشد المنافحين عن الاحتجاج بالسنة، فهو القائل: "كل من قبل عن الله فرائضه في كتابه، قبل عن رسول الله سننه، بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل، لما افترض الله من طاعته "[2] والقول بأن هذا حديث ناسخ وذلك منسوخ، مبحث، والقول بثبوت الرواية مبحث آخر، فالحديث الصحيح قد يكون ناسخا وقد يكون منسوخا، وقد لا يكون هذا ولا ذاك، ولا يضعّف هذا ولا يقوي من الحديث، فهذا خلط في المباحث. وعلى هذا النحو فإن الكاتب يخلط بين ثبوت الرواية والعمل بها، أو بين ثبوت شيء ومشروعيته لكل المسلمين، أو أنه ديني وليس دنيويا، أو العكس[3].

[2] الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق :أحمد شاكر، مكتبة التراث، القاهرة،

[3] بيع الوهم ص 51

الوقفة الثالثة : المعترض يسفه علماء الحديث و يطعن في مناهجهم العلمية ، و يدعوا الى اطراحها ، ثم هو يخترع لنا منهجا قوامه : " ما يريح النفس و يرتاح اليه العقل " !! و يريد منا أن نحكمه على السنة النبوية ، فما كان منها يريح النفس و يرتاح اليه العقل نأخذه ، و ما أزعج نفس المعترض و عقله طرحناه و أسقطناه !! فهل يقول بهذا شخص يحترم عقله و قراءه ؟!

الوقفة الرابعة : كان على المعترض – وجوبا- عندما استشهد بكلام أبي رية ، أن يرجع الى الكتب التي ردت على "كاتبه الأريب "! خصوصا ردود العلامة المعلمي في كتابه التنكيل ، و العلامة محمد عبد الرزاق حمزة في كتابه " ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية " .

الوقفة الخامسة : قد تم تفنيد أباطيل أبي رية حول كتابة الحديث النبوي في عهد الرسالة ، و بينا الأسباب التي منعت من كتابة الحديث في مدونات رسمية ، كما وقفنا على جملة من الصحف التي كتبت في عهد النبوة ، مما يبطل و ينسف أباطيل المعترض !

الوقفة السادسة: قوله : " ومن هذا القبيل بوب الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه «الكفاية في علم الرواية) ص/23 بقوله: «باب ما جاء في التسوية بن حكم كتاب الله تعالى ،وحكم سنة رسول الله سلى الله عليه وسلم، في وجوب العمل، ولزوم التكليف»

وأورد تحته حديث المقدام بن معد يكرب ،أن رسول الله سلى الله عليه وسلم قال: "ألاإني أوتيت من القرآن ومثله معه.. الحديث". رواه الترمذي (2664) وقال:

حسن غريب من هذا الوجه. وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة "2870".

الحديث بهذا اللفظ ليس في الترمذي ! و الذي عند الترمذي رقم 2664 - حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن الحسن بن جابر اللخمي، عن المقدام بن معدي كرب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا

هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه. وما وجدنا فيه حراما حرمناه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله ": «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»[4] و الحديث صححه الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة !

و لقد سقنا سابقا عددا من الآيات البينات التي تنص بأسلوب قاطع على أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى و لا ينطق إلا عن وحي من الله تعالى ، و لا يقول في دين الله إلا بما يوحي به الله اليه ، و بأن طاعة الرسول من طاعة الله و أن فرض على كل مؤمن ، و أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله ، و بأن الإحتكام إلى رسول الله و الرضا و التسليم له ، و الآخذ عنه آية الإيمان . و من كل هذه الآيات تتضح مكانة السنة النبوية من التشريع الإسلامي ، و تتضح حجيتها ، و أنها من حيث الحجية هي في منزلة القرآن الكريم ، و لا ينبغي أن يفهم من هذا أن علماءنا جعلوا السنة بمنزلة القرآن في المكانة و الشرف ، كما إفترى عليهم المعترض المغرض ! .. فالكلام على منزلة و شرف و قداسة القرآن و أنه لا يعدله شيء أمر مجمع عليه ، لكن الحديث هنا عن الإحتجاج بالسنة في أمور الدين و قضايا التشريع ، و لا ريب أنها في هذا في منزلة مع القرآن بصريح القرآن نفسه و حديث

[4] سنن الترمذي .الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)
تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)
ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)
وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)
الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر
الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م
ج 5 ص 37-38

النبي صلى الله عليه و سلم و إجماع الأمة ، و لهذا عنون الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية لهذا الموضوع بقوله : (باب ماجاء في التسوية بين حكم كتاب الله – تعالى – و حكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، يشير الى أن القرآن و السنة متساويان في مرتبة واحدة من حيث الحجية في إثبات الأحكام الشرعية .

الوقفة السابعة : قوله : " وهنا أتساءل والحرقة تعتصر قلبي وتغتصب عقلي اغتصابا ، إذا كان كتاب الله الذي مصدره المطلق اللانهائي ،صاحب العلم الكلي، يُنسخ وتُلغى أحكامه لصالح مرويات بشرية نسبية في كل شيء، حتى لو صحت نسبتها إلى الرسول الكريم، فما معنى نزول هذا الكتاب إلينا، وما الفائدة منه، وهو غير قائم بذاته ويحتاج إلى غيره، مما هو أقل منه منزلة بأشواط إن صح التعبير، وإلا فإن كلام الله لا يقارن بغيره، تعالى الله عما يصفون."

الوقفة الثامنة ، استعمال الفاظ فلسفية في وصف الله سبحانه و تعالى ، بحيث لا يصح وصفه بالمطلق اللانهائي صاحب العلم الكلي ، و هذا مما لم يصف الله به نفسه في كتابه العزيز ، و لا وصفه به نبيه الكريم ، تعالى الله عما يصف المعترض علوا كبيرا !

الوقفة التاسعة ، وصفه لسنة النبي بأنها مرويات بشرية نسبية في كل شيء ، و هذا أحد حججه في ترك السنة بدعوى بشريتها !

و فيصل الأمر في هذه القضية أن ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم نوعان : نوع يفعله بمقتضى بشريته دون أن يوحى إليه فيه شيء ، و هذا النوع لا صلة له بالتشريع ، و ذلك في جل شؤونه المعيشية التي لا يتعلق شيء منها بالدين حلا أو حرمة ، و من ذلك رأيه في تأبير النخل . و نوع آخر يفعله صلى الله عليه وسلم بمقتضى كونه بشرا رسولا ، و فعله هذا إنما يقوم على وحي من قبل الله – تعالى- مثال ذلك : قضية الأسرى في بدر ، فهي قد جمعت بين الرأي و الوحي ، فقد كان الرأي أولا ، ثم أعقبه الوحي بعد ذلك

فرسول الله أخذ في أسرى بدر بالرأي ، فاستشار أصحابه الكرام ، فكل أدلى برأيه ، ثم مال النبي صلى الله عليه وسلم الى رأي أبي بكر رضي الله عنه القائل باستحيائهم و أخذ الفداء منهم ، و كان رأي عمر رضي الله عنه قتل الأسرى جميعا . و بعد أن استقر الأمر على الفداء نزل الوحي على الرسول يبين ما كان ينبغي أن يفعل في مسألة الأسرى ، و يبين الصواب في القضية .و هذه القضية شاهدة على أن الرسول لا يقول و لا يفعل فيما يتصل بالدين إلا بأمر من الله سبحانه ، و أن الله لا يدع رسوله على غير صواب حتى في حال تصرفه برأيه و اجتهاده فيما يتعلق بالحل و الحرمة ! و الشواهد على ذلك كثيرة

فتوى الشيخ المنجد و تلبيسات أيلال !

نقل أيلال ص 33 فتوى للشيخ محمد صالح المنجد ، حرر فيها مسالة نسخ السنة للقرآن ، فأخذ أيلال يشغب و يطعن في الشيخ المنجد قائلا : " و هذا نموذج صارخ عن شيوخ اليوم ، الذين يميلون إلى إقصاء القرآن و التمكين للمرويات ، و قولهم على الله و رسوله بهتانا عظيما .." .

يجهل أو يتجاهل أيلال أن هذه المسألة خلافية بين علماء السلف ، و ليست وليدة اليوم كما يحاول أن يصور تدليسا و تلبيسا على قرائه !

قال الإمام الزركشي : " لا خلاف في جواز نسخ القرآن بالقرآن، والسنة المتواترة بمثلها، والآحاد بالآحاد، والآحاد بالمتواتر، وأما نسخ المتواتر سنة أو قرآنا بالآحاد، فالكلام في الجواز والوقوع. أما الجواز عقلا فالأكثرون عليه، وحكاه سليم عن الأشعرية، والمعتزلة. ومنهم من نقل فيه الاتفاق، وبه صرح ابن برهان في " الأوسط " فقال: لا يستحيل عقلا نسخ الكتاب بخبر الواحد بلا خلاف، وإنما الخلاف في جوازه شرعا. ومنعه الهندي، وظاهر كلام سليم في " التقريب " أن غير الأشعرية، والمعتزلة يقولون بمنعه عقلا، وهو ظاهر ما نقله القاضي في " التقريب " عن الجمهور.

وقال إلكيا: لا يمنع منه، ولا يلتفت إلى من قال: إن خبر الواحد يفيد الظن، وكتاب الله قطعي، فكيف يرفع المقطوع بمظنون؟ فإن هذا شاع مما يلوج في الظاهر، لأن خبر الواحد وإن كان مفضيا إلى الظن، لكن العمل به مستند إلى قاطع، وذلك القاطع أوجب علينا العمل بالظن، ولولاه لما صرنا إلى العمل به. فوجوب العمل به مقطوع، والظن وراء ذلك. فعلى هذا ما رفعنا المقطوع بمظنون.

وأما الوقوع، فذهب الجمهور كما قاله ابن برهان، وابن الحاجب وغيرهما إلى أنه غير واقع، ونقل ابن السمعاني وسليم في " التقريب " فيه الإجماع، وعبارتهما: لا يجوز بلا خلاف.

وهكذا عبارة القاضي أبي الطيب في " شرح الكفاية "، والشيخ أبي إسحاق في " اللمع "، ولم يحكيا خلافا. وينبغي حمل كلامهم على نفي الوقوع لما ذكرناه، وإن كانت أدلتهم صريحة في نفي الجواز.

وذهب جماعة من أهل الظاهر منهم ابن حزم إلى وقوعه، وهي رواية عن أحمد احتجاجا بقصة أهل قباء، حكاها ابن عقيل، وألزم الشافعي ذلك أيضا، فإنه احتج على خبر الواحد بقصة قباء. وفصل القاضي في " التقريب "، والغزالي، وأبو الوليد الباجي، والقرطبي بين زمان الرسول وما بعده، فقالا: بوقوعه في زمانه. وكذا قال إمام الحرمين: أجمع العلماء على أن الثابت قطعا لا ينسخه مظنون، ولم يتعرض لزمان الرسول. وكأن الفارق أن الأحكام في زمان الرسول في معرض التغير، وفيما بعده مستقرة، فكان لا قطع في زمانه.

وأما نسخ القرآن بالسنة، فإن كانت السنة آحادا فقد سبق المنع، وكرر ابن السمعاني نقل الاتفاق فيه، وليس كذلك، وإن كانت متواترة فاختلفوا فيه، فالجمهور على جوازه ووقوعه، كما قاله القاضي أبو الطيب، وابن برهان. وقال ابن فورك في " شرح مقالات الأشعري ": إليه ذهب أكثر أصحاب الشافعي، وإليه يذهب شيخنا أبو الحسن الأشعري. وكان يقول: إن ذلك وجد في قوله تعالى: {كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية} [البقرة: 180] فإن هذه الآية منسوخة بالسنة، وهو قوله: «لا وصية لوارث» . وكان يقول: إنه لا يجوز أن يقال: إنها نسخت بآية المواريث، لأنه يمكن أن يجمع بينهما. اهـ. ومن خط ابن الصلاح نقلته.

قال ابن السمعاني: وهو مذهب أبي حنيفة وعامة المتكلمين. وقال سليم: هو قول أهل العراق، وقالوا: ليس لأبي حنيفة نص فيه، ولكن نص عليه أبو يوسف، واختاره. قال: وهو مذهب الأشعرية، والمعتزلة، وسائر المتكلمين. قال الدبوسي في " التقويم ": إنه قول علمائنا، يعني الحنفية.

قال الباجي: قال به عامة شيوخنا، وحكاه أبو الفرج عن مالك. قال: ولهذا لا تجوز الوصية عنده للوارث للحديث، فهو ناسخ لقوله تعالى: {كتب عليكم إذا حضر} [البقرة: 180] الآية. قال عبد الوهاب: قال الشيخ أبو بكر: وهذا سهو، لأن مالكا صرح بأن الآية منسوخة، بآية المواريث. [مذهب الشافعي في نسخ القرآن بالسنة]

وذهب الشافعي في عامة كتبه كما قاله ابن السمعاني: إلى أنه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة بحال، وإن كانت متواترة، وجزم به الصيرفي في كتابه، والخفاف في كتاب " الخصال "، ونقله عبد الوهاب عن أكثر الشافعية، وقال الأستاذ أبو منصور: وأجمع أصحاب الشافعي على المنع، ورأيت التصريح به في آخر كتاب " الودائع " لابن سريج. وقال إمام الحرمين: قطع الشافعي جوابه بأن الكتاب لا ينسخ بالسنة، وتردد في عكسه. قلت: وسيأتي عن الشافعي حكاية خلاف في نسخ السنة بالقرآن، فليجئ هنا بطريق أولى، أو نقطع بالمنع في العكس.

قال ابن السمعاني: ثم اختلف القول على مذهب الشافعي أنه منع منه العقل أو الشرع؟ قال: وظاهر مذهبه أنه منع منه العقل والشرع جميعا. وكذا قاله قبله سليم في " التقريب "، وعبارته: وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز ذلك شرعا ولا عقلا، وهو ظاهر مذهب الشافعي. اهـ. وفيما قالاه نظر، بل قصارى كلامه منع الشرع، كيف والعقل عنده لا يحكم، ثم قال: والثاني: أنه منع منه الشرع دون العقل، ثم اختلف القائلون بهذا. فقال ابن سريج فيما نقله عنه الشيخ في " التبصرة "، وابن الصباغ في " العدة ": أن الذي منع منه أن الشرع لم يرد به، ولو ورد به كان جائزا وهذا أصح. وقال أبو حامد الإسفراييني: الشرع منع منه، ولم يكن مجوزا فيه. اهـ.

وقال الماوردي في " الحاوي ": صرح الشافعي بأنه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة، ووافقه أصحابه. واختلفوا هل منع منه العقل أو الشرع؟ على وجهين. اهـ. وقال الأستاذ أبو

منصور: منهم من أجازه عقلا، وادعى أن الشرع منع منه، وهو قوله تعالى {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها} [البقرة: 106] وبه قال ابن سريج، وأكثر أصحاب الشافعي.
ومنهم من قال: يجوز ذلك في العقل، ولم يرد الشرع بمنعه، إلا أنه لم يوجد في القرآن آية نسخت بسنة. اهـ. وقال في كتابه " الناسخ والمنسوخ ": أجمع أصحاب الشافعي على المنع من نسخ القرآن بالسنة، وبه قال أبو العباس القلانسي، وعلي بن مهدي الطبري، وجماعة من متكلميهم. واختلف هؤلاء في طريق المنع منه، فمنهم من قال: إنه مستحيل من جهة دلالة العقل على استحالته، وبه نقول. وهو أيضا اختيار الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني.
ومنهم من قال: إن ذلك في العقل جائز إلا أن الشرع قد ورد بالمنع منه. وهو في قوله تعالى: {ما ننسخ من آية أو ننسها} [البقرة: 106] فلا تكون السنة خيرا ولا مثلها، فلا يجوز نسخها بها، ولولا هذه الآية لأجزنا نسخ الآية بالسنة، وهذا اختيار أبي إسحاق المروزي، وابن سريج، وأكثر أصحاب الشافعي.
ومنهم من قال: إن العقل يجيز نسخ القرآن بالسنة، ولم يرد الشرع بالمنع منه إلا أنا لم نجد في القرآن آية منسوخة بسنة. انتهى. وممن قال بنفي الجواز العقلي الحارث بن أسد المحاسبي، وعبد الله بن سعد، والقلانسي، والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني والظاهرية، وحكاه صاحب " المصادر " عن الشريف المرتضى، وهي رواية عن أحمد، وممن نفى الجواز السمعي الشيخ أبو إسحاق في " اللمع ". واعلم أنه قد غلط الناس في النقل عن الشافعي في هذه المسألة، ونحن نذكر وجه الصواب في ذلك، فنقول: قال الشافعي في " الرسالة ": وأبان الله لهم أنه إنما نسخ ما نسخ بالكتاب، وأن السنة لا تكون ناسخة للكتاب، وإنما هي تبع للكتاب بمثل ما نزل به نصا، ومفسرة معنى بما أنزل منه حكما. قال تعالى: {وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي} [يونس: 15] ففي قوله: {ما يكون لي أن أبدله} [يونس: 15] ما وصفته من أنه لا ينسخ كتاب الله إلا كتابه، كما كان المبتدئ بفرضه، فهو المزيل المثبت لما شاء منه. وليس ذلك لأحد من خلقه وكذلك قال تعالى: {يمحوا الله ما يشاء ويثبت} [الرعد: 39] وهو أشبه ما قيل، والله أعلم. وفي كتاب الله دلالة عليه، قال تعالى: {ما

ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها} [البقرة: 106] وقال تعالى: {وإذا بدلنا آية مكان آية} [النحل: 101] .

انتهى لفظه. ومن صدر هذا الكلام قيل عنه: إن السنة لا تنسخ الكتاب. وقد استنكر جماعة من العلماء ذلك، حتى قال إلكيا الهراسي: هفوات الكبار على أقدارهم، ومن عد خطؤه عظم قدره. قال: وقد كان عبد الجبار بن أحمد كثيرا ما ينصر مذهب الشافعي في الأصول والفروع، فلما وصل إلى هذا الموضع، قال: هذا الرجل كبير، ولكن " الحق " أكبر منه. قال إلكيا في " التلويح ": لم نعلم أحدا منع جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد عقلا فضلا عن المتواتر، فلعله يقول دل عرف الشرع على المنع منه، وإذا لم يدل قاطع من السمع توقفنا، و إلا فمن الذي يقول إنه - عليه السلام - لا يحكم بقوله من نسخ ما ثبت في الكتاب، وهذا مستحيل في العقل. قال: والمغالون في حب الشافعي لما رأوا هذا القول لا يليق بعلو قدره، كيف وهو الذي مهد هذا الفن ورتبه، وأول من أخرجه، قالوا: لا بد وأن يكون لهذا القول من هذا العظيم محمل، فتعمقوا في محامل ذكروها. قال: وغاية الإمكان في توجيهه شيئان: أحدهما: أن الرسول كان له أن يجتهد، وكان اجتهاده واجب الاتباع قطعا، فقال الشافعي: لا يجوز أن يبين الرسول باجتهاده ما يخالف نص الكتاب، مع أن اجتهاده مقطوع به؛ لأنه لا بد له من مستند في الشرع، ولا يتصور أن يلوح له من وضع الشرع ما يقتضي نسخ الكتاب، وهذا بعيد، لأن الاجتهاد لا يتطرق إلى النسخ أصلا.

الثاني: لأصحاب الشافعي. قالوا: قال الله تعالى: {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها} [البقرة: 106] يحتمل الكتاب وغيره مما هو أجزل في المثوبة وأصلح في الدارين، فلما قال بعده: {ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير} [البقرة: 106] . علمنا أنه أراد بما تقدم ما تفرد هو بالقدرة عليه، وهو القرآن المعجز. فكأنه تعالى قال: {نأت بخير منها} [البقرة: 106] مما يختص بالقدرة عليه، وهو بعيد، فإن المراد بذلك أنه القادر على العلم بالمصالح أو إنشائها أو إزالتها عن الصدور. وقد قيل: {نأت بخير منها} [البقرة: 106] بعد النسخ إذا قدم النسخ عليه، وليس في الآية نسخ حكم الآية، ولأن المراد خير منها لكم. انتهى كلامه. وقد صنف الإمام أبو الطيب سهل بن سهيل الصعلوكي كتابا في نصرة قول

الشافعي، وكذلك الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، وتلميذه أبو منصور البغدادي، وكانا من الناصرين لهذا الرأي، وكذلك الشيخ أبو إسحاق المروزي في كتابه " الناسخ "، حكى نص الشافعي بالمنع وقرره. وقال: قال أبو العباس بن سريج: كنت أتأول قول الشافعي - رحمه الله - قديما في المنع، أنه لم يرد ذلك، فلم يجوزه، وأنه يجوز كونه، حتى تدبرت هذه الآية: {ما ننسخ من آية} [البقرة: 106] فقيل له: لم لا يكون معنى خير منها: حكما لكم خير من الحكم الأول؟

وقد يكون ذلك بالسنة؟ فقال: هذا هذيان، لأن الآمر قد يأمر بالشيء، ثم يأمر بعده بخلافه، وهذا جار في قدرة الرب الآمر به، وإنما أخبر الله - عز وجل - عن قدرته التي تعجز الخلق عن إبدال هذا القرآن المعجز الذي يعجز الخلق عن افتعال مثله، وذلك دلالة على أنه حق، وأن الرسول الذي جاء به صادق، وأن الجميع من عند الله ونبه بقوله: {ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير} [البقرة: 106] على عجيب قدرته فيما ذكر أنه يفعل، وإنما ذلك في إنزال الآيات المعجزات بدلا من الآي المعجز، وإذ هي آيات معجزات للخلق أن يأتوا بمثله، و لذلك أتى بصفة القدرة. ومعنى {نأت بخير منها} [البقرة: 106] أي في عينها، ويجوز إطلاق ذلك والمراد أكثر ثوابا في التلاوة، كما ورد في أم القرآن وسورة الإخلاص.

قال أبو إسحاق: هذا كلام أبي العباس بعد كلام الشافعي، وفي كل منهما كفاية، ثم أخذ أبو إسحاق في الاستدلال على المنع، وفيه فائدة جليلة، وهي تحرير النقل عن ابن سريج: أنه كان أولا يذهب في تأويل كلام الشافعي إلى منع الوقوع، ثم ثبت على الامتناع، فاعرف ذلك، فإن الناس خلطوا في النقل عن ابن سريج. وكذلك كلام الشافعي في المنع حرره الإمام أبو بكر الصيرفي في كتابه، ثم قال: وجماع ما أقوله: أن القرآن لم ينسخ قط بسنة، فمن شاء فليرنا ذلك، فإنه لا يقدر عليه. قال: والشافعي لم يحل جواز العبادة أن يأتي برفع حكم القرآن بالسنة، وإنما قال: لا يجوز للدلائل التي ذكرناها، فقيام الدليل عنده هو المانع من جواز ذلك، وهو كقوله: لا يجوز نكاح المحرم، ولا يجوز بيع كذا بالخبر، وغير ذلك من قيام الدليل، فهذا وجه قوله: يمتنع أن تنسخ السنة القرآن. اهـ. وعلى ذلك جرى أبو إسحاق في " اللمع " فقال: لا يجوز نسخ القرآن بالسنة من جهة السمع على قول الشافعي، وكذا ابن برهان فقال: لا يصح عن الشافعي ذلك، وإنما نقل عنه امتناع ذلك من جهة السمع، لا من

جهة العقل. وقال القاضي في " مختصر التقريب ": منهم من يقول يجوز عقلا، وإنما امتنع بأدلة السمع. قال: وهذا هو الظن بالشافعي مع علو مرتبته في هذا الفن. انتهى. والحاصل على هذا الوجه أن الشافعي لم يمنع الجواز العقلي، بل لم يتكلم فيه ألبتة لا في هذا الموضع ولا في غيره، ولا وجه للقول به، لأنه إن أراد به قائله أنه يلزم من فرضه المحال فباطل، وإن أراد أن العقل يقتضى تقبيحه فهو قول معتزلي، والشافعي بريء من المقالتين.

فإن قلت: فما وجه قول سليم، وابن السمعاني: إن ظاهر مذهب الشافعي أنه منع منه العقل والسمع جميعا؟ وكذلك نقل عن أبي الحسين في " المعتمد " أن الشافعي منع منه بالعقل، وكذا الباجي. قلت: من نقل عنه المنع الشرعي فقط أعظم وأكثر، فيرجح على نقل هؤلاء، ولو قطعنا النظر عن كل من المقالتين لرجعنا إلى قول الشافعي، وقد علمت أن كلامه في نفي الجواز الشرعي على هذه الكيفية التي بيناها، لا المنع مطلقا، ولهذا احتج بأدلة الشرع، ولهذا ذهب الصعلوكي، وأبو إسحاق الإسفراييني، وأبو منصور البغدادي، إلى أن العقل يجوز نسخ كل واحد منهما بالآخر، ولكن الشرع مانع منه فيهما جميعا.

و قال في المقترح: لم يرد الشافعي مطلق السنة، بل أراد السنة المنقولة آحادا، واكتفى بهذا الإطلاق، لأن الغالب في السنن الآحاد. قلت: والصواب أن مقصود الشافعي أن الكتاب والسنة لا يوجدان مختلفين إلا ومع أحدهما مثله ناسخ له، وهذا تعظيم عظيم، وأدب مع الكتاب والسنة، وفهم بموقع أحدهما من الآخر، وكل من تكلم في هذه المسألة لم يقع على مراد الشافعي، بل فهموا خلاف مراده حتى غلطوا وأولوه، وسيأتي مزيد بيان فيه في المسألة بعدها. وقد احتج من خالف الشافعي بآي من الكتاب نسخت أحكامها، ولا ناسخ لها في القرآن، وإنما نسختها السنة التي كانت متواترة في الصدر الأول، ثم استغني عن نقلها بالإجماع، فصارت آحادا، كوجوب الوصية للوالدين والأقربين بقوله: «لا وصية لوارث» .

وأجاب الصيرفي بأن آية المواريث نسخت، والرسول بين أنها ناسخة. وقال إلكيا الطبري: يمكن أن يقال: نسخ بآية أخرى لم ينقل رسمها ونظمها إلينا، كما قيل في قوله تعالى: {وإن فاتكم شيء من أزواجكم} [الممتحنة: 11] فإن هذا الحكم منسوخ اليوم إلا أنه لم يظهر له

سنة ناسخة، فإن جاز لكم الحمل على سنة لم تظهر، جاز لنا الحمل على كتاب لم يظهر. انتهى.

و قال الصيرفي: ولا يقال: إن الرجم نسخ بالجلد عن الزاني، لأن الرجم رفع. . . لم يكن الجلد عليه بالقرآن، فحظ السنة البيان والإخبار عن المراد، ولأن الله تعالى جعل السنة للبيان، فمحال أن ينسخ الشيء بما يبينه قال: وإنما جاز نسخ بعض القرآن ببعضه للاحتراز من حجة الكفار، أن يكون بغير المعجز وليس هذا في السنة. انتهى. فإن قيل قد نسخ قوله تعالى: {قل لا أجد في ما أوحي إلي} [الأنعام: 145] الآية بنهيه عن أكل كل ذي ناب. قلنا: الآية اجتمع فيها لفظان متعارضان، فيتعين صرف أحدهما للآخر، فلفظ: {أوحي} ماض، لا يتناول إلا حين ورود الآية. ولفظ " لا " لنفي المستقبل بنص سيبويه كما في قوله تعالى: {ثم لا يموت فيها ولا يحيا} [الأعلى: 13] والمراد الاستقبال ضرورة، وحينئذ لا بد من صرف " لا " لأوحي، أو صرف أوحي للفظ " لا "، فإن صرفنا " لا " للفظ أوحي، فلا نسخ لعدم التناقض بين الآية والخبر، وإن عكسنا كان تخصيصا لا نسخا، فلا حجة فيه.

ومما عارض به الخصوم دعواهم أن الشافعي عمل بأحاديث الدباغ مع أنها ناسخة لقوله تعالى: {حرمت عليكم الميتة} [المائدة: 3] فنسخ الكتاب بالسنة، ولنا أنه من باب التخصيص لا النسخ. وقد روى الإمام أحمد في حديث شاة ميمونة، وقوله: «هلا أخذتم مسكها؟ فقالت ميمونة: نأخذ مسك شاة ميتة؟ فقال لها رسول الله: إنما قال الله تعالى: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس} [الأنعام: 145] وإنكم لا تطعمونه حينئذ» . فبين أن المراد بقوله تعالى: {إلا أن يكون ميتة} [الأنعام: 145] تحريم الأكل مما جرت العادة بأكله وهو اللحم، فلم تتناول الآية الجلد، وهذا جواب آخر.5

---

5 البحر المحيط في أصول الفقه 5/ 259-269

المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)

الناشر: دار الكتبي . الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994

قال أيلال : " بعد أن تمزقت أمة المسلمين مزعا متفرقة ، شيعة وسنة ، ومرجئة وخوارج ، وقدرية وجبرية، وغيرها من الطوائف والمذاهب ، حاولت كل طائفة أو مذهب،أن يجد له موقعا في المرويات ، يعضد بها كل متمذهب مذهبه وطائفته ، لما لم يجد ما يسعفه ويحقق أغراضه في كتاب الله ، فكثرت الروايات والآثار المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم ، والتي ابتدعها واختلقها كل مذهب لتعزيز موقفه الديني أو السياسي، سيما مع بزوغ التعصب للعرقيات والأفكار والتوجهات السائدة آنذاك ، لتشتعل بشكل خطير حرب المرويات المنسوبة زورا وبهتانا للرسول، لتنضاف إلى أطراف هاته الحرب ديانات أخرى كاليهودية والمسيحية والمجوسية، وكل هاته الملل والنحل والمذاهب والطوائف والعرقيات استغلت تفشي المرويات التي بلغت مئات الألوف من الأحاديث المتضاربة المتناقضة، وكلها منسوبة إلى الرسول الكريم ليتم تغييب القرآن تغييبا نهائيا ، وتحل محله آفة تدوين الحديث."[1]

وضع الحديث نتيجة القراءات الخاطئة للقرآن الكريم

قوله أن الفرق و الطوائف إلتجأت الى خلق أحاديث و نسبتها الى الرسول ، لما لم تجد في القرآن ما يخدم آرائها .

و هذا الكلام يحمل مغالطات منها :

أولا : أن أغلب هذه الفرق إعتمدت على قراءتها الخاطئة للقرآن الكريم ، و الأمثلة على ذلك كثيرة مبثوثة في بطون كتب العقائد و الفرق ، فلو رجع المعترض الى أي كتاب في الرد على الفرق لهاله حجم النصوص القرآنية التي بنى عليها أهل البدع و الأهواء مذاهبهم الباطلة.

ثانيا : لمثل هذه الأحاديث الموضوعة عاش الجهابذة ! ، فقد قيل للإمام ابن المبارك : (هذه الأحاديث الموضوعة من لها ؟ فقال : تعيش لها الجهابذة) ، و نعم ما قال الإمام ، فقد

[1] ص 34

تصدى الجهابذة النقاذ للكذابين و الزنادقة ، مصداقا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، و انتحال المبطلين ، و تأويل الجاهلين) . و لما جيء الى هارون الرشيد بزنديق ليقتله قال : أين أنت من ألف حديث وضعتها ؟ فقال الرشيد : أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري، و ابن المبارك ينخلانها فيخرجانه حرفا حرفا .[2]

و المعترض يحاول جاهدا طمس هذه الحقيقة الواضحة ، ليخلص الى الطعن في السنة النبوية بدعوى كثرة الخلق و الوضع في الحديث النبوي .

طعنه في أحاديث خارج الصحيح

أحاديث فضل العرب و اصطفاء الله لنبيه

المعترض يخالف شرطه في كتابه كثيرا ، بحيث ينتقل من الكلام على أحاديث البخاري الى الحديث عن أحاديث خارج الصحيح .

و من هذه الأحاديث خارج الصحيح " أحاديث فضل العرب و اصطفاء الله لنبيه " فبعد أن نقل جملة من الأحاديث التي أخرجها ابن حجر الهيتمي في كتابه (مبلغ الإرب في فخر العرب) قال معقبا عليها طاعنا في السنة : " فهاته الأحاديث تتعارض شكلا و مضمونا و بشكل واضح و مستفز مع قوله تعالى في سورة الحجرات { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير 13 } . لكن مع من نتحدث و من نحاور ؟ أمع أناس يعتبرون تلك الروايات التاريخية و التي لا يمكن أن تتجاوز كونها تراثا ، يعتبرونها قاضية على القرآن و ناسخة له ، لاغية لأحكامه و ناقضة لها . ألا ساء ما يزرون.[3]

---

[2] تذكرة الحفاظ للذهبي 273/1
[3] ص 35-36

لقد ناقش العلماء هذه المسألة ، و بينوا أن هذه الأحاديث لا تعارض ما جاء في القرآن بأن المنزلة عند الله -تعالى- إنما تنال بالتقوى والعمل الصالح، فلا ينفع العربي نسبه إذا كان كافراً، والمؤمن غير عربي أحب وأقرب عند الله -تعالى- من عربي فاجر أو كافر أما الفضل الذي خص به العرب ، فهو كسعة الرزق وقوة البدن وجمال الصور وطول العمر والذكاء والعقل، وغير ذلك من أقدار الله -تعالى- وعطاياه سبحانه : "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم" [الجمعة: 40] . ، و هذه النعم تكون عوناً على التقوى لمن وفقه الله -تعالى- إلى ذلك، وقد تكون وبالاً على صاحبها

إذا كان كافراً أو فاجراً. فذلك الفضل لا ينفع بمجرده، إنما ينفع مع الإسلام والإيمان والعمل الصالح، كما ينتفع المؤمن الغني بماله في الصدقة، وكما ينتفع المؤمن القوي البدن بقوته في الجهاد في سبيل الله -تعالى-. والإيمان بهذا الفضل للعرب الذين جاءت به النصوص من الإيمان بالقضاء والقدر، الذي يستلزم من العبد الرضا بالقضاء والتسليم لحكم الله -تعالى-، كما رضي بتفاوت الناس في الأرزاق والأبدان والعقول والأعمار، وخضع في ذلك لخالقه الحكيم العليم -سبحانه وتعالى- " ولكنَّها لاتجعل منهم طبقة مترفِّعةً على غيرها، ومتميزةً ترى لها من الحقوق أكثر من غيرها، وتتخلّى عن التزاماتها الشرعية والعرفية، إنَّما هم وغيرهم في هذا سواء، كما أنَّهم أمام الله تعالى سواء: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13].[4]

هذا من حيث الجنس " وأمَّا باعتبار ألأفراد أو أشخاص، فقد يوجد من النَساء ما هو أفضل من ألوفٍ من الرجال كمريم وفاطمة وعائشة. وقد يوَجد من العجم ما هوَ أفضلُ من ألوفٍ من العرب كصهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي وغيرهم فإنَ كل واحدٍ منهم أفضلُ من ألوَفٍ من العرب بل أفضلُ من ألوفٍ من قريشٍ وبني العبَّاس والأشرافْ ويصحُ أن

[4] توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام ج 5 ص 315-316

المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: 1423هـ) . الناشر: مكتبَة الأسدي، مكّة المكرّمة . الطبعة: الخامِسَة، 1423 هـ - 2003 م

نقوَل: إنَ كل واحدٍ من مثل سلمان وبلال وصهيب لصحبة رسول الله – (– أفضلُ من جعفر الصادق وموسى الكاظم، وأفضلُ من أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد.[5]

و أنَّ فضلَ الجنس لا يستلزم فضل الشخص من حيث الدِّين الذي هو المقصود الأعظم، وإنْ استلزمها مِنْ حيث الكفاءةُ. وهنا مزلة أقدام، وهوَ أن كثيراً يتوهم أنَ شرفَ النَسب أفضلُ من شرفِ العلمِ، ويقوَل: إنَّ الشَّرفَ الذاتي أفضلُ من الشرف الكَسْبي، وبعضُهم يعكس. و أظن أن كلا من الفريقين لا يعرفُ تحقيقَ وجهِ الأفضليةِ، والصوَابُ التفصيل وعدمُ الإِطلاقِ، وهو أنَ شرفَ النَسَب أفضل من حيث الكفاءةِ .. وشرفُ العلم أفضلُ من حيث التقدم في الصَلاةِ ومنصب الإِفتاءِ والقضاءِ وغير ذلك. وينظر في منصب الخلافةِ، والإِمامةِ العُظْمَى فَهل يستحقها قرشي جاهل، أو عجميّ فاضل؟ وهذا كلُه مع الاتِّصاف بتقوَى الله – تعالى – وإلا فالعالمُ الفاسقُ كإبليس، والعربي الجاهل كفرعوَن وكلاهما مذموَم. وأيضاً فَمَنْ اغْتَرَّ في الكفاءة بشرف النسب، فيقال له: إنَ العجمي وإنْ كانَ ليس كفءاً للعربيةِ، فالعربي الفاسقُ أيضاً ليس كفءأ للعجمية المرْضِيَّة، فإن الشرع أيضا يعتبر في الكفاءةِ مَنْصِبَ الدِّين كما يعتبر منصبَ النسبِ. ولا يكافئ العربي الجاهلُ بنتَ العالم. صرَّحَ بذلكَ الشافعيَّةُ. إذا علمتَ هذا فاعلمْ أنَ الذي يرجعُ إليه ويعوَلُ في الفَضْلِ عليه هو الشَرفُ الكسبيُّ الذي منه العلم والتقوَى، وهو الفضل الحقيقي، لا مجرد الشرف الذاتي الذي هوَ شرف النَسب بشهادةِ القرانِ وشهادة النبيّ – عليه السلام – وشهادةِ الأذكياء مِنَ الأنام .

إنَّ الفَتَى مَنْ يَقُولُ هَا أنَاذَا ... لَيْسَ الفَتَى مَنْ يقوَلُ كَانَ أبي

فمنَ الغُرورِ الوَاضِحِ، والحُمْقِ الفَاضِحِ أنْ يفتخرَ أحدٌ مِنَ العَرَب على أحد مِنَ العجم بمجردِ نَسَبِهِ، أو حَسَبِهِ، ومن فَعَلَ ذلكَ فإنه مخطيء جَاهل مغرورٌ. فَرُبَّ حبشي أفضل عند اَلله تعالى منَ ألوَف مِنْ قريشٍ. قال الله – تعالى – في مثلِ ذلك: (يَا ايها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقبائلَ لتعارَفوا، إِنِ أَكْرَمكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ) .

---

[5] مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب ص 35

المؤلف: مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (المتوفى: 1033هـ)

قدم له، وحققه، وعلق عليه: الدكتور نجم عبد الرحمن خلف

الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الحجاز

الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م

وقال تعالى: (وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ وَلأمَة مُؤْمِنَةٌ خَيرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أعْجَبَتْكُمْ) . وقالَ تعالى: (هَلْ يَسْتَوِي الذِّينَ يَعْلَمُونَ والذينَ لا يعلموَن) . وقالَ: (يَرْفَعِ الله الذينَ آمنوَا مِنْكُمْ والذينَ أوتُوَا العِلْمَ دَرَجَات) إلى غير ذلك من الآيات.[6]

والخلاصة: أن الكرامة عند الله بالتقوى، وعليها مدار التفاضل بين الأفراد والشعوب، وقد يصطفي الله تعالى فردا أو شعبا لحكمة مرتبطة بالتقوى، وذلك شرف لأصحابه، وعلى الآخرين أن يعترفوا به، دون أن يترتب على ذلك فخر دنيوي أو كبر قلبي، وهذا شئ وأن الشعوب والقبائل وجدت كذلك لتتعارف شئ آخر.[7]

يرى المعترض أن أحاديث حصر الخلافة في قريش فيها تمييز و عنصرية .

ماذا سيقول المعترض عن هذه الآيات من القرآن الكريم التي تذكر اصطفاء الله لبني اسرائيل على سائر الأمم و جعل النبوة و الكتاب و الملك فيهم :

قال تعالى { و لقد اخترناهم على علم على العالمين } [8].

قال تعالى { يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم و أني فضلتكم على العالمين }[9].

و قال تعالى { و لقد آتينا بني اسرائيل الكتاب و الحكم و النبوة ورزقناهم من الطيبات و فضلناهم على العالمين }[10]، الى غير ذلك من الآيات التي تظهر تفضيل الله بني اسرائيل على الأمم الموجودة أنذاك ، فهل يستطيع المعترض أن يطعن في هذه الأيات بدعوى دعوتها الى التمييز و عدم المساواة بين البشر !

---

[6] نفس المصدر ص 50-52

[7] الأساس في التفسير ج 9 ص 5437
المؤلف: سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)
الناشر: دار السلام - القاهرة
الطبعة: السادسة، 1424 هـ

[8] الدخان 32.

[9] البقرة 74

[10] الجاثية 16

و ماذا يقول في قوله تعالى { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا }[11].

و قوله تعالى { لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى }[12] .

ويقول: {يا نساء النبي لستن كأحد من النساء}[13]. فهل يدعي أن فيها تمييزا و تفضيلا لفئة من المسلمات على باقي نساء المسلمين !؟

و هل يطعن كذلك في الأيات التي تدعوا الى الجهاد و نشر دين الله ، بدعوى مخالفتها لأية { لا إكراه في الدين }[14] !؟

و ماذا يقول في آية الإرث { لذكر مثل حظ الأنثيين}[15] ، و غير ذلك من الآيات في كتاب الله التي يطعن فيها بمبررات شتى ، تأليها للعقل و الحس و العلم .

فهم مغلوط و جهل فاضح

الطعن في حديث الخلافة في قريش و القضاء في الأنصار و الأذان في الحبشة . و كذلك حديث لعب الحبشة في المدينة ، و اعتبرها مرويات تكرس تقسيم المجتمع الى فئات و رتب و تخصصات بشكل غريب ، و أن هذه المرويات تخدم مصلحة فريق ضد آخر ، و حكم على هذه الآيات بأنها " أحاديث واضحة الوضع "

قال : " وها أنتم هؤلاء قد لاحظتم كيف تمت صناعة أحاديث، ليتم تقسيم الأدوار بين العرقيات والفئات المكونة للمجتمع المسلم باسم الرسول، بشكل غريب ومضحك ،لا ينطلي إلا على السذج ،أو على من وضع غشاوة على عينيه وعقله معا."

ذكره لمرويات الشيعة واعتبرها تبعث على الدهشة و العجب الخ .. ، انما الدهشة و العجب أن يجهل أيلال أن إخوانه الشيعة بعيدون كل البعد عن علم الحديث ، و أنهم لم يهتموا بنقد مروياتهم و لم يعرف عندهم علم الرجال ، و بالتالي كثر في مروياتهم الوضع و الإختلاق ، و

[11] الأحزاب 33.
[12] الشورى 23
[13] الاحزاب 31
[14] البقرة 256
[15] النساء 11

هذا ما شهد به كبار محققيهم . و هذا ما يعلمه صغار طلبة الحديث خلافا لمن تشدق بالبحث العلمي و جهد السنوات !

قوله : أن " أحاديث أخرى لدى السنة تجعل الدين التمسك بسنة الرسول و سنة الخلفاء . و تقدس الصحابة و تجعلهم فوق كل انتقاص أو انتقاد "[16]

لم يقل أهل السنة أن الدين هو التمسك بالسنة النبوية و سنة الخلفاء و بالتالي أهملوا القرآن ، و هذا من كذب المعترض . بل أهل السنة قاطبة مجمعون على إعتقاد أن دين الله هو اتباع كتاب الله و التمسك بسنة النبي صلى الله عليه و سلم ، و الإهتداء بسنة الخلفاء الراشدين المهديين الذين عايشوا الوحي و صحبوا الرسول الأمين و تفقهوا على يديه ، فما أجمعوا عليه فواجب الإتباع و لم يخالف في هذا إلا أهل الأهواء و البدع من الخوارج و الشيعة الروافض و المعتزلة و من نحى نحوهم .

كما أن أهل السنة و الجماعة لم يعتقدوا العصمة و القداسة في الصحابة ، و لم يجعلوهم فوق كل انتقاص ، و هذا كذلك من فواقر المعترض .

4 . قال المعترض بعد أن ذكر حديث العرباض بن سارية : هذا الحديث يدعو إلى جانب أن هناك سنة لرسول الله واجبة الاتباع، بأن هناك أيضا للخلفاء الراشدين سنة يجب اتباعها والعض عليها بالنواجذ، وبالتالي فهنا يتم رفعهم إلى مقام النبوة بشكل كبير، تنطوي عليه طيات الحديث «سنتي وسنة الخلفاء الراسدين....» ثم يستخلس منه أيضا طاعة الحاكم طاعة عمياء مطلقة، ورفض معارضته وعصيانه لأي سبب »وفيه أيضا التعريض بالحبشة وذوي البشرة السمراء أو السوداء كما في حديث آخر في صحيح البخاري ."

أقول : ما إستخلصه المعترض يدل على كذبه وجهله و تعالمه الفاضح ، فأهل السنة لم يرفعوا الصحابة الى مقام الأنبياء ، و هذا لم يقله أحد من العلماء لا قديما و لا حديثا .

[16] ص 37

كما أن أهل السنة لم ينقل عنهم القول بطاعة عمياء مطلقة للحاكم و رفض معارضته و عصيانه لأي سبب . فمن قال بهذا ؟ و أين ذكر هذا القول ؟ سبحانك ربي هذا بهتان عظيم .

الباب الثاني : نقد جهالات أيلال في علم الحديث

نقد جهالاته في تعريف الحديث

نقد جهالاته في علم الحديث

نقد طعونه في علم الجرح و التعديل

نقد جهالاته في رواية الحديث لمعنى

قال تعالى : {وهل أ ك حديث موسى}.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نَضَّرَ ا ّ ُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»

أم المؤمنين عائشة : قالت : " إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ".

عمر بن الخطاب : عن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال عمر رضي الله عنه: أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفتنة؟

كشف جهالات أيلال في تعريف الحديث

عقد الطاعن فصلا بعنوان (الحديث في القرآن) زعم فيه أن : " **الحديث هو مطلق كلام الله المنزل على أنبيائه، وأنه كتاب الله الموحى أيضًا إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم** ".[1]

وساق بعض الآ ت التي فيها وصف القرآن لحديث مثل قوله تعالى :﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتم مدْهِنونَ * وَتَجْعلونَ رِزْقَكمْ أنكم تكذبونَ ﴾2

ثم بدأ يشنع على علماء الحديث ، قائلا : " **فلم يتورع هؤلاء على توقير كلمة الحديث التي تم إعطاؤها معنى من لدن الله تعالى، لإضافة إلى المعنى اللغوي، وهو كلام الله** "[3].

-1- وهذا الكاتب لا يدري ما ينسخه بنفسه، فقد نقل قبل صفحتين عن(لسان العرب) في معنى الحديث" :يطلق على الكلام، قليلة وكثيره لأنه يحدث ويتجدد شيئًا فشيئًا، وجمعه أحاديث[4] "

فهذه لفظ عربي معروف قبل نزول القرآن، ويطلق على الكلام، فما له جعل المعنى اللغوي هو كلام الله؟ ثم إن في القرآن إطلا قا للحديث على كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَسَر النبي إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِه حَدِيثا فَلما نَبأَتْ بِه وَأَظْهَره الله عَلَيْهِ عَرفَ بَعْضَه وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَما نَبأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبأَكَ هَذَا قَالَ نَبأَنِيَ الْعَلِيم الْخَبِير ﴾5

ولكن من أي شيء يستنسخه هذه المرّة ؟ . إنه يعيد كلمات محمد شحرور، الذي زعم أن مصطلح الحديث هو للقرآن فقط[6] ، وقلّده فيه، فهذه هي طريقته، وهذا هو مضمار سباقه . و ما قاله لا يفيد النتيجة التي زعمها، فقد قال: " في معظم آ ت القرآن جاءت لفظة حديث بمعنى كلام الله[7] " ، فيقال ن ورود لفظ بشكل كثير أو غالب لا يجعله حتما و دائما في معنى معين، فالنار ذكرت

---

[11] ص 41

[2] الواقعة الاية 81-82

[3] ص 43

[4] ص 41

[5] التحريم الاية 3

[6] القرآن و الحديث ، محمد شحرور ، الاهالي للتوزيع دمشق ص 93

[7] ص 42

كثيرا في القرآن على ر الآخرة، ولا يعني هذا عدم جواز إطلاق النار على ر الدنيا، والتشنيع على قائليها!.

وبعد هذا الاضطراب بجد ت التفكير السليم، يقول" :لفظة الحديث لها معاني متعددة، منها ما أسلفنا في الآ ت السابقة أ ا تدل على كلام الله، فهل المشتغلون لحديث يشتغلون على كلام الله، أم على كلام الرسول وأفعاله وأقواله ، أم على أفعال و أقوال الصحابة و التابعين ، أم ماذا ؟ [8] " [9]

و إذا كان للفظ الحديث معاني متعددة فلماذا تحجرت و حصر ا في معنى واحد ؟ و لماذا هذا التشغيب و الطعن في علماء الحديث الذين اصطلحوا على جعل " الحديث " مصطلحا لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

-2- ثم كيف يزعم أن معنى الحديث هو كلام الله في التعريف اللغوي العربي ؟ ألم يعلم أن علماء اللغة يستشهدون في معاجمهم حاديث الرسول قائلين : (و في الحديث..) ثم يوردون ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم ؟!. مثال ذلك من موسوعة (لسان العرب) لابن منظور ، قال : " قَالَ أَبو عُبَيْد: التَّجْبِيَة تكُونُ في حَالَيْن: إِحْدَاهُمَا أَن يَضعَ يَدَيْه عَلى رُكْبَتَيْه وَهُوَ قَائِمٌ وهَذَا هُو الْمَعْنَى الَّذي في الْحَديث، أَلا تَرَاهُ قَالَ قيَامًا لِرَبِّ الْعَالَمِين؟ وَالْوَجْهُ الآخَرُ أَنْ يَنْكَبَّ عَلَى وَجْهِه ركاً، وَهُو كَالسُّجُود، وَهَذَا الوجهُ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ النَّاس، وَقَدْ حَمَلَهُ بَعْضُ النَّاسِ عَلى قَوْله فيخِرُّون سُجَّداً لِربِّ الْعَالَمين فَجعَلَ السُّجُود هُوَ التَّجْبِيَة؛ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: والتَّجْبِيَة أَن يَقُومَ الإنسان قِيَامَ الرَّاكِع؛ قَالَ ابْنُ الأَثِيْر: وَالْمُرادُ بِقَوْلِهِمْ لَا يُجَبُّونَ أَ م لا يُصَلُّونَ، وَلَفْظُ الْحَدِيث يَدُلُّ عَلَى الرُّكُوعِ وَالسُّجُود لِقَوْلِه في جَوا م:وَلَا خيرَ فِي دِينٍ لَيْس فِيه رُكُوعٌ ، فَسَمَّى الصَّلَاةَ رُكُوعًا لأَنه بَعْضُهَا. وَ سُئِلَ جَابِرٌ عَنِ اشْتِرَاط ثَقِيف أَن لَا صَدَقَةَ عَلَيْهَا وَلَا جِهادَ فَقَالَ: عَلِمَ أَ م سَيَصَّدَّقُون وَيُجَاهِدُونَ إذَا أَسلموا، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي تَرْك الصَّلَاة لأَن وَقْتَها حَاضِرٌ مُتَكَرِّرٌ بِخلَاف وَقْت الزَّكَاة وَالْجِهَاد؛ وَمِنْهُ حَديثُ عَبْد ا أَنه ذَكَرَ الْقِيَامَةَ قَالَ: وَيُجَبُّون تَجْبِيَةَ رجُل وَاحد قِيَامًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَ فِي حَديث الرُّؤْ : فَإِذَا أَ بِتَلٍّ أَسود عَلَيْه قَوْمٌ مُجَبُّون يُنْفَخُ فِي أَد رهم لنَّار.وَ فِي حَدِيث جَابر: كَانَت الْيَهودُ تَقُولُ إِذَا نكَحَ الرجلُ امرأَته مُجَبِّيَةً جَاءَ الولدُ أَحْوَل ، أَي مُنْكَبَّةً عَلَى وَجْهِهَا تَشْبِيهًا يئَة السُّجُودِ. و اجْتَبَاه أَي اصْطَفاه . و فِي الْحَديث: أَنه اجْتَبَاه لِنَفْسِه أَي اخْتَارَهُ وَاصْطَفَاهُ." [10]

---

[8] ص 45

[9] ص 43 بيع الوهم

[10] 130/14

-3- لماذا لم يستوفي أيلال ذكر تعريف ابن منظور كمله ؟ ، و جواب ذلك أن العلامة ابن منظور – رحمه الله – لما أراد تعريف (الحديث) أتى بعدة معان له ، منها : " الحديث نقيض القديم ..الحديث الجديد من الأشياء . و الحديث الخبر تي على القليل و الكثير ، و الجمع أحاديث ..و قوله تعالى { ان لم يؤمنوا ذا الحديث اسفا} عنى لحديث القرآن . عن الزجاج : و الحديث ما يحدث به المحدث تحديثا ، و قد حدثه الحديث و حدثه به . الجوهري :المحادثة و التحادث و التحدث و التحديث معروفات ..." [11] . و هذا مثال من خيا ته العلمية الكثيرة في كتابه.

-4- ألم يعلم أن إطلاق الحديث على أقوال الرسول كان صنيع الرسول و الصحابة و بعيهم !

النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سَمَّى بنفسه قوله «حَدِيثًا» وكاد ذه التسمية يُمَيِّزُ ما أضيف إليه عما عداه، حتى كأنه وضع الأصول لما اصطلحوا فيما بعد على تسميته « لحَدِيث». جاءه أبو هريرة يسأله عن أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة، فكان جوابه – عَلَيْهِ السَّلاَمُ –: «أَنَّهُ عَلِمَ أَنْ لَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ قَبْلَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِحِرْصِهِ عَلَى طَلَبِ الحَدِيثِ»[12]

قال البخاري :حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قلت: رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: " لقد ظننت، أ هريرة، أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصا من قبل نفسه "[13]

من الصحابة :

أم المؤمنين عائشة : قالت : " إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه " [14]

---

[11] لسان العرب 133/2

[12] علوم الحديث ومصطلحه - عرضٌ ودراسة .ص 5 . صبحي إبراهيم الصالح
الناشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان
الطبعة: الخامسة عشر، 1984

[13] صحيح البخاري كتاب الرقاق 117/8

[14] مسلم 2298/4

و قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير» فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى» قلت: إذا لا يختار ، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به، قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم ا النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «اللهم الرفيق الأعلى.[15]

عمر بن الخطاب : عن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال عمر رضي الله عنه: أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفتنة؟ قال: قلت: أ أحفظه كما قال، قال: إنك عليه لجريء، فكيف؟ قال: قلت: " فتنة الرجل في أهله، وولده، وجاره، تكفرها الصلاة، والصدقة والمعروف – قال سليمان: قد كان يقول: الصلاة والصدقة [ص:114]، والأمر لمعروف – والنهي عن المنكر "، قال: ليس هذه أريد، ولكني أريد التي تموج كموج البحر، قال: قلت: ليس عليك ا أمير المؤمنين س بينك وبينها ب مغلق، قال: فيكسر الباب أو يفتح، قال: قلت: لا بل يكسر، قال: فإنه إذا كسر لم يغلق أبدا، قال: قلت: أجل، فهبنا أن نسأله من الباب فقلنا لمسروق: سله، قال: فسأله، فقال: عمر رضي الله عنه، قال: قلنا، فعلم عمر من تعني؟ قال: نعم، كما أن دون غد ليلة وذلك أني حدثته حديثا ليس لأغاليط[16]

ابن عباس : جاء بشير العدوي إلى ابن عباس ، فجعل يحدث و يقول : قال رسول الله ، فجعل ابن عباس لا خذ لحديثه و لا ينظر إليه ، فقال : ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و لا تسمع ، فقال ابن عباس : إ كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصار و لأصغينا إليه ذاننا ، فلما ركب الناس الصعب و الذلول لم خذ من الناس إلا ما نعرف .[17] و في رواية طاووس ، قال : جاء هذا الى ابن عباس فجعل يحدثه ، فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا و كذا ، فعاد له . ثم حدثه ، فقال له عد لحديث كذا و كذا ، فعاد له . فقال له : ما أدري أعرفت حديثي كله و أنكرت هذا أم أنكرت

[15] صحيح البخاري 8/106-107
[16] البخاري 2/113
[17] صحيح مسلم 1/13

حديثي كله و عرفت هذا ؟ فقال له ابن عباس : إ كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يكذب عليه ، فلما ركب الناس الصعب و الذلول تركنا الحديث عنه .[18]

البراء بن عازب : ليس كلنا سمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضيعة و أشغال ، و كان الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ فيحدث الشاهد الغائب .[19]

أبي سعيد الخدري أنه كان إذا رأى الشباب قال: «مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن نحفظكم الحديث، ونوسع لكم في ا الس»[20]

معاوية بن ابي سفيان : فقد أخرج البخاري بسنده الى وراد كاتب المغيرة بن شعبة: أن معاوية كتب إلى المغيرة: أن اكتب إلي بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فكتب إليه المغيرة: إني سمعته يقول عند انصرافه من الصلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» ثلاث مرات، قال: وكان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ومنع وهات، وعقوق الأمهات، ووأد البنات وعن هشيم، أخبر عبد الملك بن عمير، قال: سمعت ورادا، يحدث هذا الحديث، عن المغيرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم[21]

حذيفة بن اليمان : أخرج البخاري بسنده الى حذيفة قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين، رأيت أحدهما وأ أنتظر الآخر.[22]

عبادة بن الصامت : عبد الرحمن الصنابحي أنه دخل على عبادة وهو في الموت، فبكيت، فقال: مهلا، لم تبكي؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك، ولئن شفعت لأشفعن لك، ولئن استطعت لأنفعنك، ثم قال: والله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه، إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم، وقد احيط بنفسي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، حرم الله عليه النار»[23]

---

[18] صحيح مسلم 1/12-13

[19] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع1/117

[20] المحدث الفاصل بين الراوي و الواعي ص 175

[21] صحيح البخاري كتاب الرقاق باب ما يكره من قيل و قال . دار طوق النجاة الطبعة: الأولى،8/100

[22] نفسه 8/104

[23] مسلم 1/57

أبو هريرة : قال: إنكم تقولون: إن أ هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون ما ل المهاجرين، والأنصار لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمثل حديث أبي هريرة، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق لأسواق، وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينا من مساكين الصفة، أعي حين ينسون، وقد قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث يحدثه: «إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمع إليه ثوبه، إلا وعى ما أقول»، فبسطت نمرة علي، حتى إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك من شيء[24]

و من التابعين :

عمر بن عبد العزيز :كتب إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا»[25]

سعيد بن المسيب (ت 94) قال : إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي و الأ م .[26]

سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (ت 125) : لا يحدث عن رسول الله إلا الثقات .[27]

الزهري (ت 124) ، فقد سمع رحمه الله إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الزهري : قاتلك الله ابن أبي فروة ما أجرأك على الله لا تسند حديثك ؟ تحدثنا حاديث ليس لها خطم و لا أزمة .[28]

ابن سيرين : عن حبيب بن الشهيد، قال: أمرني ابن سيرين: أن أسأل الحسن: ممن سمع حديث العقيقة؟ فسألته فقال: «من سمرة بن جندب»[29]

---

[24] البخاري 52/2
[25] نفسه 31/1
[26] الرحلة في طلب الحديث للخطيب ص 58 و الكفاية للخطيب ص 402
[27] صحيح مسلم 15/1
[28] معرفة علوم الحديث للحاكم ص 8
[29] البخاري 85/7

يحي بن سعيد الانصاري : عن يحي، عن يزيد مولى المنبعث، أنه سمع زيد بن خالد رضي الله عنه، يقول: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اللقطة، فزعم أنه قال: «اعرف عفاصها ووكاءها، ثم عرفها سنة» – يقول يزيد: " إن لم تعرف استنفق ا صاحبها، وكانت وديعة عنده، قال يحيى: فهذا الذي لا أدري أفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو، أم شيء من عنده؟[30]

شعبة : عن حميد بن فع، عن زينب بنت أم سلمة، عن أمها، أن امرأة توفي عنها زوجها، فرمدت فاشتكت عينها حتى خشوا عليها، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم: أتكتحل؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد كانت إحداكن تمكث في بيتها في شر أحلاسها أو في أحلاسها في شر بيتها حولا، فإذا مر كلب رمت ببعرة، ثم خرجت، فلا أربعة أشهر وعشرا» قال شعبة: كان يحيى بن سعيد، حدثني ذا الحديث عن حميد، فلقيت حميدا فسألته فحدثني به "[31]

علماء البصرة : فقد أخرج البخاري في صحيحه عن معبد بن هلال العنزي، قال: اجتمعنا س من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذ ، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال: أ حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال: " إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم براهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله، وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيأتوني، فأقول: أ لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده ا لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجدا، فيقول: محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال: محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة – أو خردلة

[30] البخاري 124/3
[31] الجامع لاخلاق الراوي122 /1

– من إيمان فأخرجه، فأنطلق، فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقول: محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل " فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا: لو مرر لحسن وهو متوار في منزل أبي خليفة فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك، فأتيناه فسلمنا عليه، فأذن لنا فقلنا له: أ سعيد، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه فحدثناه لحديث، فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هيه، فقلنا لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا، قلنا: أ سعيد فحدثنا فضحك، وقال: خلق الإنسان عجولا ما ذكرته إلا وأ أريد أن أحدثكم حدثني كما حدثكم به، قال: " ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال: محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي، وكبر ئي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله "[32]

-5- القول ن في أهل الحديث من يدخل في مسمى الحديث أقوال الصحابة و التابعين،

هذا القول نتيجة جهالاته الفاضحة و خوضه في قضا علم شريف زلت فيه أقدام أعلام اقتحموا ساحته دون زاد او عتاد ، فكيف بكاتب صحفي !!

فلو درس ريخ تدوين و جمع السنة لما تعجب من صنيع هؤلاء الأعلام المحدثين الذين جمعوا أقوال الرسول و الصحابة في كتاب واحد ، و اعتبر فعلهم هذا تقديسا للصحابة يجعل أفعالهم دينا يتبع !!

و ليعلم الكاتب الصحفي أن بدا ت تدوين السنة كانت على يد الإمام العلم محمد بن مسلم الزهري الذي دون كل ما سمعه في مدينة الرسول الأكرم من سنة و أثر ، و إن كتب الإمام أبو بكر بن حزم شيئا من ذلك لكنه لم يدون كل ما سمعه رحمه الله .

" والذي يظهر أيضا أن تدوين الزهري للسنة لم يكن كالتدوين الذي تم على يد البخاري ومسلم أو أحمد وغيره من رجال المسانيد، وإنما كان عبارة عن تدوين كل ما سمعه من أحاديث الصحابة غير

[32] 147-146/9

مبوب على أبواب العلم، وربماكان مختلطا قوال الصحابة وفتاوى التابعين، وهذا ما تقتضيه طبيعة البداءة في كل أمر جديد، وقد نستأنس لهذا بما روي عنه من أنه كان يخرج لطلابه أجزاء مكتوبة يدفعها إليهم ليرووها عنه، وبذلك كان الزهري – رضي الله عنه – أول من وضع حجر الأساس في تدوين السنة في كتب خاصة ... ثم شاع التدوين في الجيل الذي يلي جيل الزهري. وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج (– 150 هـ) وابن إسحاق (– 151 هـ) و لمدينة سعيد بن أبي عروبة (– 156 هـ) والربيع بن صبيح (– 160 هـ) والإمام مالك (– 179 هـ) و لبصرة حماد بن سلمة (– 167 هـ) و لكوفة سفيان الثوري (– 161 هـ) و لشام أبو عمرو الأوزاعي (– 157 هـ) وبواسط هشيم (– 173 هـ) وبخراسان عبد الله بن المبارك (– 181 هـ) و ليمن معمر (– 154 هـ) و لري جرير بن عبد الحميد (– 188 هـ) وكذلك فعل سفيان بن عيينة (–198 هـ) والليث بن سعد (– 175 هـ) وشعبة بن الحجاج (– 160 هـ). وهؤلاء جميعا كانوا في عصر واحد ولا يدرى أيهم سبق إلى ذلك، وكان صنيعهم في التدوين أن يجمعوا حديث رسول الله مختلطا قوال الصحابة وفتاوى التابعين مع ضم الأبواب بعضها إلى بعض في كتاب واحد، قال الحافظ ابن حجر: «[وهذا لنسبة إلى] الجمع لأبواب، أما جمع حديث إلى مثله في ب واحد فقد سبق إليه الشعبي، فإنه روي عنه أنه قال: " هذا ب من الطلاق جسيم» .

ثم جاء القرن الثالث فكان أزهى عصور السنة وأسعدها ئمة الحديث و ليفهم العظيمة الخالدة. فقد ابتدأ التأليف في هذا القرن على طريقة المسانيد: وهي جمع ما يروى عن الصحابي في ب واحد رغم تعدد الموضوع، وأول من فعل ذلك عبد الله بن موسى العبسي الكوفي، ومسدد البصري، وأسد بن موسى، ونعيم بن حماد الخزاعي، ثم اقتفى أثرهم الحفاظ فصنف الإمام أحمد " مسنده " المشهور وكذلك فعل إسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة وغيره، وكانت طريقة هؤلاء في التأليف أن يفردوا حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – لتأليف دون أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، ولكنهم كانوا يمزجون فيها الصحيح بغيره، وفي ذلك من العناء ما فيه على طالب التحديث، فإنه لا يستطيع أن يتعرف على الصحيح منها إلا أن يكون من أئمة الشأن، فإن لم يكن له وقوف على ذلك اضطر إلى أن يسأل أئمة الحديث فإن لم يتيسر له بقي الحديث مجهول الحال عنده.

وهذا هو ما حدا مام المحدثين ودرة السنة في عصره محمد بن إسماعيل البخاري (– 256 هـ) أن ينحو في التأليف منحى جديدا ن يقتصر على الحديث الصحيح فقط دون ما عداه، فألف كتابه "

الجامع الصحيح " المشهور، وتبعه في طريقته معاصره وتلميذه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (- 261 هـ) فألف " صحيحه " المشهور، وكان لهما فضل تمهيد الطريق أمام طالب الحديث ليصل إلى الصحيح من غير بحث وسؤال، وتبعهما بعد ذلك كثيرون، فألفت بعدهما كتب كثيرة من أهمها: " سنن أبي داود " (- 275 هـ) و" النسائي " (- 303 هـ) و" جامع الترمذي " (- 279 هـ) و" سنن ابن ماجه " (- 273 هـ) وقد جمع هؤلاء الأئمة في مصنفا م كل مصنفات الأئمة السابقين، إذ كانوا يروو ا كما هي عادة المحدثين ." [33]

-6- من معاني لفظة الحديث في القرآن الكريم :

-1- الخبر و القصة

قوله تعالى : {وهل أ ك حديث موسى}. (طه 9) الاستفهام للتقرير وغرضه التشويق لما يلقى إليه أي هل بلغك محمد خبر موسى وقصته العجيبة الغريبة؟ [34] .

قوله تعالى : { هَلْ أَ كَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ } (الذار ت 24)

الاستفهام للتشويق ولتفخيم شأن تلك القصة كما يقول القائل: هل بلغك الخبر الفلاني؟ يريد تشويقه إلى استماعه والمعنى هل وصل إلى سمعك محمد خبر ضيوف إبراهيم المعظمين؟ قال ابن عباس: يريد جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، سموا مكرمين لكرامتهم عند الله عز وجل.[35]

قوله تعالى : { هَلْ أَ كَ حَدِيثُ مُوسَى } (النازعات 15)

أسلوب تشويق وترغيب لسماع القصة أي هل جاءك محمد خبر موسى الكليم؟[36]

---

33 السنة و مكانتها في التشريع للسباعي ص103-104-105

34 الكتاب: صفوة التفاسير 211/2

المؤلف: محمد علي الصابوني

الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م

35 صفوة التفاسير 253/3

36 489/3

قوله تعالى :{ هَلْ أَ َكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ } (النازعات 15)

استفهام للتشويق أي هل بلغك محمد خبر الجموع الكافرة، الذين تجندوا لحرب الرسل والأنبياء؟ هل بلغك ما أحل الله م من البأس، وما أنزل عليهم من النقمة والعذاب؟[37]

قوله تعالى : {هل أ ك حديث الغاشية}(الغاشية1)

الاستفهام للتشويق الى استماع الخبر، وللتنبيه والتفخيم لشأ ا أي هل جاءك محمد خبر الداهية العظيمة التي تغشى الناس وتعمهم بشدائدها وأهوالها، وهي القيامة؟ [38]

-2- الحديث ، الكلام ، القول

قوله تعالى : { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آ َتِ ا َّ يُكْفَرُ ـَا وَيُسْتَهْزَأُ ـَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ ا َّ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } (النساء 140)

أي لا تجلسوا مع الكافرين الذين يستهزئون ت الله حتى يتحدثوا بحديث آخر ويتركوا الخوض في القرآن. [39]

قوله تعالى : { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آ َتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (الانعام 68)

أي لا تجالسهم وقم عنهم حتى خذوا في كلام آخر ويدعو الخوض والاستهزاء لقرآن .[40]

قوله تعالى :{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ا َّ ِبِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } (لقمان 6)

أي ومن الناس من يشتري ما يلهي عن طاعة الله، ويصد عن سبيله، مما لا خير ولا فائدة فيه قال الزمخشري: واللهو كل طل ألهى عن الخير، نحو السمر لأساطير، والتحدث لخرافات المضحكة،

---

37 517/3

38 525/3

39 287/1

40 368/1

وفضول الكلام وما لا ينبغي، وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن الآية فقال: والله الذي لا إله إلا هو – يكررها ثلا – إنما هو الغناء، وقال الحسن البصري: نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير .[41]

لهو الحديث: هو السمر لأساطير والأحاديث التي لا أصل لها، والتحدث لخرافات والخيال الكاذب، وبفضول الكلام، وبما لا ينفع في شيء أبدا، وهو لحديث كالغناء الخليع و لوضع المغرى المثير للشباب المحرك للشيطان، فليس هو من ب اللهو فقط بل الواقع أنه سم زعاف يسقى للناس من حيث لا يشعرون.[42]

قوله تعالى :{ ا ّ ُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاً مُتَشَا ًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَ ّ ُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُو ُمْ إِلَى ذِكْرِ ا ّ ِ ذَلِكَ هُدَى ا ّ ِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ ا ّ ُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } (الزمر 23)

قوله تعالى : { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ ا ّ ِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ ا ّ ِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } (النساء 78)

إن الموت الذى تَفِرُّون منه ملاقيكم أينما كنتم، ولو كانت إقامتكم فى حصون مشيدة وإن هؤلاء الخائرين لضعف إيما م يقولون: إن أصا م فوز وغنيمة هى من عند الله، وإن أصا م جدب أو هزيمة يقولوا لك – محمد – هذا من عندك وكان بشُؤْمك. فقل لهم: كل ما يصيبكم مما تحبون أو تكرهون هو من تقدير ا ّ ومن عنده اختبار وابتلاء، فما لهؤلاء الضعفاء لا يدركون قولاً صحيحاً يتحدث به إليهم.[43]

---

[41] 448/2

[42] التفسير الواضح 43/3 الحجازي، محمد محمود . الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة: العاشرة – 1413 هـ

[43] المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص 122 الناشر: ا لس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام .الطبعة: الثامنة عشر، 1416 هـ – 1995 م

قوله تعالى :{ ا ٌّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ا ٍّ حَدِيثًا} (النساء 87)

قوله تعالى : { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (يوسف 111)

ما كان القرآن المشتمل على ذلك كلامًا مختلقًا مكذوً على الله

قوله تعالى : { وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ا ٌّ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} (التحريم 3)

قوله تعالى :{ تِلْكَ آ َ تُ ا ٍّ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ِ لْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ا ٍّ وَآ َ تِهِ يُؤْمِنُونَ }(الجاثية 6)

قوله تعالى :{ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } (المرسلات 50)

قوله تعالى :{ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ا ٌّ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ }

قوله تعالى:{ فَلَعَلَّكَ َ خِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آ َ رِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا ِ َذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} (الكهف 6)

قوله تعالى : { أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ } (النجم 59)

و قوله تعالى : {أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ } (الواقعة 81)

قوله تعالى : { فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ ِ َذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} (القلم44)

-7- أمثلة توارد المعاني على اللفظ الواحد في القرآن الكريم :

القرآن يستخدم اللفظ الواحد في مواضع متعددة، وكل موضع يراد به معنى غير الذي أُريد به في الموضع الآخر. ومن ذلك كلمة " هُدَى " وما اشتق منها.

فقد ورد فيه هذا اللفظ في سبعة عشر موضعاً مراداً به سبعة عشر معنى كذلك. وهاك أمثلتها:

بمعنى " البيان "كقوله تعالى: (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَ ِّ ِمْ) .

وبمعنى " الدين "كقوله تعالى: (إن الهُدَى هُدَى اللهِ) .

وبمعنى " الإيمان "كقوله تعالى: (وَيَزِيدُ ا ّ ُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) .

وبمعنى " الداعي "كقوله تعالى: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) .

وبمعنى " الرسل " قوله تعالى: (فَإِمَّا َ ْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى) [44].

وبمعنى " المعرفة "كقوله تعالى: (وَ ِ لنجْم هُمْ يَهْتَدُونَ) .

وبمعنى " الرشاد "كقوله تعالى: (اهْدِ َ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) .

وبمعنى " القرآن "كقوله تعالى: (ولَقَدْ جَاءَهُم مِّن ر ِّ ِمْ الهُدَى) .

بمعنى " التوراة "كقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الهُدَى) .

وبمعنى " الاسترجاع "كقوله تعالى: (وَأُوْلئِكَ هُمُ المهتَدُونَ) .

وبمعنى " الحُجة "كقوله تعالى: (واللهُ لَا يَهْدِى القَوْمَ الظالمِينَ) .

وبمعنى " التوحيد "كقوله تعالى: (إِن نتبعِ الهُدَى مَعَكَ) .

وبمعنى " السُّنَّة "كقوله تعالى: (وَإِ َ عَلَى آ َ رِهِم مُّهْتَدُونَ) .

وبمعنى " الإصلاح "كقوله تعالى: (وَأَن اللهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الخَائنِينَ) .

وبمعنى " الإلهام "كقوله تعالى: (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) .

وبمعنى " التوبة "كقوله تعالى: (إِ َ هُدْ َ إِلَيْكَ) .

– **السوء** :

ومثل هذا اللفظ في الاستعمال على وجوه كثيرة: لفظ " السوء "،

ولنضرب لذلك أمثلة:

بمعنى " الز "كقوله تعالى: (مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ ِ َهْلِكَ سُوءًا) .

وبمعنى " الضر "كقوله تعالى: (لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) .

وبمعنى " الذنب "كقوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى ا ّ َ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ) .

وبمعنى " الهلاك "كقوله تعالى: (وَإِذَا أَرَادَ ا ّ ُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ) .

[44] ويجوز أن يراد به: "كتاب أو بيان ".

وبمعنى " العذاب "كقوله تعالى: (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ ا ّ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً) .

وبمعنى " الأذى "كقوله تعالى: (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ) .

وبمعنى " المنكر "كقوله تعالى: (أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) .

وبمعنى " القبح "كقوله تعالى: (يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ) .

وبمعنى " البلاء "كقوله تعالى: (وَيَكْشِفُ السُّوءَ) .

وبمعنى " الحزن "كقوله تعالى: (إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ) .

وبمعنى " العورة "كقوله تعالى: (يُوارِي سَوْءاتِكُمْ) .

وبمعنى " الجثة "كقوله تعالى: (لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ) .

وبمعنى " الهزيمة "كقوله تعالى: (فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ ا ّ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) .

وبمعنى " الظلم "كقوله تعالى: (إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ) .

وبمعنى " الخيانة "كقوله تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ) .

وبمعنى " الميل إلى النساء "كقوله تعالى: (مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ) .

وبمعنى " الكفر "كقوله تعالى: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا ِ َتِ ا ِ ّ وَكَانُوا ِ َا يَسْتَهْزِئُونَ)

وبمعنى " السباب "كقوله تعالى: (وَيَبْسطواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلسنَتَهُم بِالسُّوءِ) .

وبمعنى " الجنون "كقوله تعالى: (اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) .

وبمعنى " السواد "كقوله تعالى: (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) .

فقد بلغت المعاني التي استخدم القرآن فيها هذه المادة عشرين وجهاً كما ترى، والتفرقة بينها تعتمد على اعتبارات دقيقة مثل " هُدَى " السابقة.

وكفى ذين الموضعين دليلاً على طريقة القرآن في استخدام الكلمة الواحدة فيه على معانٍ شتى.

-8- التعقيب على استدلال أيلال بكلام ابن القيم للطعن في المحدثين و العلماء .

و هذا الصنيع منه غاية في الغرابة و التدليس ، أن يستدل حد أفذاذ علماء المسلمين ، و أخص تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية ، و أحد مفاخر الفكر السلفي ، للطعن في المحدثين بدعوى الدفاع عن القرآن الكريم !

و لماذا لم يستدل بكلامه الشديد على منكري السنة و حجيتها ، الطاعنين في كتب الحديث و السنة ؟

و لماذا لم ينقل أقوله في تزكية الصحابة و الدفاع عنهم أمام هجمات الرافضة و أهل الأهواء ؟

و لماذا لم يذكر كلام ابن القيم في البخاري و كتابه الجامع الصحيح ؟

بل لماذا لم يكمل أيلال نقل كلام ابن القيم في أقسام الهجر و منه قوله : " الخامس : هجر الإستشفاء و التداوي به في جميع أمراض القلب و أدوائها ، فيطلب شفاء دائه من غيره ، و يهجر التداوي به ، و كل هذا داخل في قوله { و قال الرسول رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا} .[45] و الجواب أن أيلال يعتبر الإسترقاء و الإستشفاء لقرآن خرافة ، يقول : " فلم يعد له أي دور في حياة الناس إلا أن يتلى لطرد الشياطين أو يسترقى به لدفع الأمراض ، أو للقضاء المبرم على العين و الحسد ، أي أ م ربطوه لخرافة ، و حعلوا منه وسيلة للإسترزاق "[46]

[45] الفوائد ص 82

[46] ص 30 من أسطورته .

جهالات ايلال في علم الحديث

أولا : جهله بعلم الحديث :

في سياق اعتراضه على حديث (...) قال : " من المعلوم من ديننا ، و كما تواتر عن نبينا ، أن النوم من نواقض الوضوء " و معلوم لدى صغار طلبة الحديث أن " النوم من نواقض الوضوء " ليس حديثا متواترا ! في حين يعلمون أن حديث " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله " متواتر روي عن رسول الله من تسعة عشر نفسا .

ثم أين يجد في القرآن الكريم أن النوم من نواقض الوضوء ؟ و ما المعيار الذي اتبعه لقبول بعض الاحاديث و هو الذي رفض السنة و اعتبرها ليست دينا ؟

- في معرض تعقيبه على قول من أرجع موقف الذهلي من البخاري للحسد قال : و إذا كان هذا صحيحا فالواجب ترك التحديث عنه ..

فهذا قول جديد في علم الجرح و التعديل ، فمتى كان الاتهام بالحسد سببا في ترك الرواية ؟

ثانيا :حكمه بالوضع على جملة أحاديث صحيحة

حديث الرؤيا

قال : مثل حديث جاء فيه (أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا) متفق عليه (البخاري/2263) من حديث أبي هريرة .[1]

هذا لفظ مسلم (1773/4) و احمد (80/13) ، و ليس لفظ البخاري . !!

حديث (لم يبق من النبوة إلا المبشرات) . "(أصْدَقُكُمْ رُؤيا : أصْدَقُكُمْ حديثاً) .

"إذا إقتربَ الزمانُ لمْ تَكَدْ رُؤيا المؤمن تكذبُ، ورؤيا المؤمنِ جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جزءاً من النبوةِ " .

---

[11] ص 83

قال : " و قد أسهم في تقبل هذه الرؤى والأحلام أحاديث رويت في صحيح البخاري أيضا لاستكمال حلقات الاستحكام والتحكم في العقول ، لتتقبل مثل هذه الخرافات ومنها حديث جاء فيه"إذا إقتربَ الزمانُ لمْ تَكَدْ رُؤيا المؤمن تكذبُ، ورؤيا المؤمنِ جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جزءاً من النبوةِ " متفق عليه (صحيح البخاري6614) وصحيح مسلم 2263 من حديث أبي هريرة . بل إن الرؤيا دليل على صدق رائيها ، وبالتالي فقد تم صنع أحاديث أيضا تسير على نفس المنوال ، وعلى خطى التحكم والاستحكام التي أشرنا اليها، مثل حديث جاء فيه "(أصْدَقُكُمْ رُؤيا : أصْدَقُكُمْ حديثاً) (مسلم كتاب الرؤيا/ 2263) من حديث أبي هريرة.

بل في صحيح البخاري أن النبوة لم تنته تماما كما يقول القرءان ، بل بقي من النبوة شيء آخر وهو الرؤى ، وللاستدلال على ذلك تم وضع حديث كهذا الذي ينسب للرسول فيه أنه قال: " لَمْ يبقَ منَ النُّبُوَّةِ إلا المُبُشَّراتُ " قالوا : وما المبشراتُ ؟ قال : (الرؤيا الصالحةُ) " صحيح البخاري كتاب التعبير باب المبشرات (6990) من حديث أبي هريرة .[2]

- **ثالثا : من عجائب احالاته !**

قال : و من كيس هذه الخرافات ما أورده الشيخ محمد صادق أبي زيد المروزي النجم نقلا عن أنه قال : كنت نائماً بين الركن والمقام فرأيت النبي (ص) في المنام ، فقال لي : يا أبا زيد ، إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي ؟ فقلت : يا رسول الله (ص) وما كتابك ؟ ، قال : جامع محمد بن إسماعيل البخاري"، أضواء على الصحيحين رقم الصفحة : (78) راجع أيضا مقدمة كتاب الفتح لابن حجر العسقلاني الفصل الأول.[3]

و قال : " حلقات مسلسل الأحلام المؤسسة لأسطورة البخاري نجدها أيضا في كتاب مقدمة فتح الباري و التي عنونها صاحب الكتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني ب (هدي

---

[22] ص 83
[33] ص80

الساري) ، حيث يروي هذا الأثر في الفصل الأول من المقدمة : " قال سمعت الفربري يقول : سمعت محمد بن أبي حاتم البخاري الوراق يقول ..[4]

رابعا : الكذب على العلماء :

قال : " فلو لم يحلم البخاري بنفسه يذب الذباب ..لماكنا الأن ننعم بالإسلام و لضاع الإسلام ، لأنه في نظرهم لا اسلام بدون صحيح البخاري" .[5]

قال : " و الطريف في القصة أن الذباب هو رمز الكذب على رسول الله ، و قد نسي علماء الجرح و التعديل ، أن يضيفوا اسم الذباب الى مصطلح الحديث و مصطلح تجريح الرجال ، فبدل أن يقال هذا رجل كذاب ، كان عليهم أن يقولوا هذا رجل ذباب ، تطبيقا لحلم البخاري ، و تعبير معبر الرؤى ."[6]

قال : " إن من يقف على هاته الخرافات لأول مرة سيندهش من هول المفاجأة ، فالكثير من الناس الذين يسمعون عن شخصية البخاري ، يظنون أن الأدلة المقدمة على علمه و صلاحه و نبوغه ، هي أدلة علمية ، و حقائق مؤيدة بالشواهد التاريخية ، و لم يكونوا يعلمون أنها مجرد أضغاث أحلام تم تضخيمها أو تم اختلاقها .

فإذا كان المقرر لدى الفقهاء أن الرؤى لا يبتنى عليها تشريع ' فإن المحدثين بنوا عليها معتقدات ، واعتبروها من حقائق التاريخ رغم أنفه ، و اعتبروها من العلم رغم أنفه أيضا [7]

و قال عن صحيح البخاري : كتاب مجهول المؤلف أصلا ". [8]

قال :" فرغم بعض الأصوات التي حاولت تنبيه الناس إلى أن الرؤى والاحلام لايحتج بها ولا تصلح للمحاججة ، كمثل قول المعلِّمي اليماني – رحمه الله تعالى : "اتفق أهل العلم على أنّ

---

[4] ص81
[5] ص79
[6] ص80
[7] ص82
[8] 81

الرؤيا لا تصلح للحجة، وإنما هي تبشير وتنبيه، وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حُجّة شرعية صحيحة" "التنكيل" (242/2).

رغم كل ذلك إلا أن عباد الأشخاص، يقدمون الأحلام التي أوردناها ضمن بناء شخصية محمد بن إسماعيل البخاري ، وكأنها حقيقة تاريخية لاغبار عليها، لكن من يتعظ؟ بل من يعقل؟ !"

أولا : توثيق كلام المعلمي .

التنكيل ص 259ج2 دار الكتب السلفية القاهرة

ص 242ج2 القسم الرابع .مكتبة المعارف الرياض ط 1

القائد الى تصحيح العقائد ص 79-80-81 المكتب الاسلامي 1984

ثانيا : المعلمي لم يضعف أو يحكم بالوضع على أحاديث الرؤيا .

ثالثا : قال بأن الرؤيا من الوحي

قال : هذا والشرع يقضي بأن الكشف ليس مما يصلح الاستناد إليه في الدين، ففي (صحيح البخاري) من حديث أبي هريرة «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة» .

وورد نحوه من حديث جماعة من الصحابة ذكر في (فتح الباري) منها حديث ابن عباس عند مسلم وغيره، وحديث أم كرز عند أحمد وابن خزيمة وابن حبان، وحديث حذيفة بن أسيد عند أحمد والطبراني، وحديث عائشة عند أحمد، وحديث أنس عند أبي يعلي.

وفيه حجة على أنه لم يبق مما يناسب الوحي إلا الرؤيا، اللهم إلا يكون بقي ما هو دون الرؤيا فلم يعتد به، فدل ذلك أن التحديث والإلهام والفراسة والكهانة والكشف كلها دون الرؤيا، والسر في ذلك أن الغيب على مراتب.

الأولى: ما لا يعلمه إلا الله، ولم يعلم به أحداً أو أعلم به بعض ملائكته.

الثانية: ما قد علمه غير الملائكة من الخلق.

الثالثة: ما عليه قرائن ودلائل إذا تنبه لها الإنسان عرفه كما ترى أمثلة ذلك فيما يحكى من زكن إياس والشافعي وغيرهما، فالرؤيا قد تتعلق بما هو من المرتبة الأولى لكن الحديث يقضي أنه لم يبق منها إلا ما كان على وجه التبشير فقط وفي معناه التحذير، والفراسة تتعلق بالمرتبة الثالثة، وبقية الأمور بالمرتبة الثانية، وإنما الفرق بينها والله أعلم أن التحديث والإلهام من إلقاء الملك في الخاطر، والكهانة من إلقاء الشيطان، والكشف قوة طبيعية غريبة كما يسمى في هذا العصر قراءة الأفكار.

نعم قد يقال: أن الرياضة قد تؤهل صاحبها لأن يقع له في يقظته ما يقع له في نومه فيكون الكشف ضرباً من الرؤيا.

وأقول: إن صح هذا فقد تقدم أن الرؤيا قصاراها التبشير والتحذير، وفي الصحيح «أن الرؤيا قد تكون حقاً وهي المعدودة من النبوة، وقد تكون من الشيطان، وقد تكون من حديث النفس» ، والتمييز مشكل، ومع ذلك فالغالب أن تكون على خلاف الظاهر حتى في رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قص من ذلك في القرآن، وثبت في الأحاديث الصحيحة، ولهذه الأمور اتفق أهل العلم أن الرؤيا لا تصلح للحجة، وإنما هي تبشير وتنبيه وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة كما ثبت عن ابن عباس أنه كان يقول بمتعة الحج لثبوتها عنده بالكتاب والسنة، فرأى بعض أصحابه رؤيا توافق ذلك فاستبشر ابن عباس.

هذا حال الرؤيا فقس عليه حال الكشف إن كان في معناها. فأما إن كان دونها فالأمر أوضح.

نقد شبهات أيلال حول الرواية بالمعنى

يعد مبحث " الرواية بالمعنى " من أهم المباحث التي ولج منها المناوؤون للسنة النبوية ، من أجل زعزعة ثقة المسلمين في حديث نبيهم عليه الصلاة و السلام .

و قد فطن العلماء لهذا النوع من الغزو الفكري من قديم ، فأولوه عنايتهم الخاصة في مباحث مصطلح الحديث و أصول الفقه .

" أسارع الى القول بأن القواعد و الضوابط التي قررها العلماء لصيانة الحديث النبوي هي في غاية الدقة و الإتقان ، و أرقى ما يمكن أن يصل إليه علم النقد ، و أن مراعاتها في مجال التطبيق تلافت المخاوف التي يمكن أن تنجم عن الرواية بالمعنى في الأحكام التشريعية ، و حتى على خصائص الأسلوب النبوي .

و ما نقل من الحديث بالمعنى لم يفت جهابذة النقاد التنبيه عليه ، و التمييز بين ما هو من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم و ما هو من تصرف الرواة بالمعنى ، و ذلك بمعرفة مخارج الحديث و اتحادها ، و الموازنة بين الروايات و غير ذلك من القرائن ".[1]

"و لئن كان هناك ما يروى بالمعنى فهو قليل ، و قليل جدا في جنب ما روي باللفظ ، حتى الذي روي بالمعنى وضعت له شروط غاية في الدقة و الضبط ، من أجل صيانة الحديث النبوي أو السنة النبوية من التحريف و التبديل . "[2]

---

[1] الرواية بالمعنى في الحديث النبوي و أثرها في الفقه الإسلامي . ص 10

[2] مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى . ص 16

قال أيلال : يظن معظم الناس أن الأحاديث التي ترد في كتب الحديث عن رسول الله، أنها واردة عنه باللفظ والمعنى كما قالها الرسول ، في حين أن معظمها وارد بالمعنى، أي كما فهمه رواة الحديث، وليس بلفظه كما قاله الرسول، وفي هذا قال ابن رجب: «اختلاف ألفاظ الرواية يدل على أنهم كانوا يروون الحديث بالمعنى ولا يراعون اللفظ إذ المعنى واحد ». من كلام المازري في المعلم . 145 / 2 .

قال المعلمي: (الخلاف بالرواية مما لا يغير المعنى، كالتقديم والتأخير و إبدال كلمة بأخرى مرادفة لها وجعل الضمائر التي للمخاطب للمتكلم ، و غيره فهذا من الرواية بالمعنى . و كانت شائعة بينهم فلا تضر .) عمارة القبور 175 بتصرف و انظر تهذيب الآثار (1/426 عمر) للطبري .[3]

و للإجابة على هذه الشبهة لا بد أن نبين للقارئ ما المقصود بالرواية بالمعنى ، و كيف تعامل معها الصحابة و التابعين من كبار علماء الحديث ، ثم ماهي شروط قبولها ؟

المقصود برواية الحديث بالمعنى :

هو (أن يعمد الراوي إلى تأدية معاني الحديث بألفاظ من عنده) [4].

أسباب اختلاف الرواة في ألفاظ الحديث :

1 – تعدد مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم ، و كثرتها ، فقد يتناول موضوعا واحدا في مناسبات مختلفة ، و يجيب السائلين بما يتناسب مع مداركهم .

2 – قد يستفتي الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من واحد في واقعة واحدة ، فيفتي كل واحد بألفاظ مختلفة ، و عبارات متفاوتة ، تؤدي الغاية المقصودة .

3 – أن يكون الحديث طويلا نوعا ما ، فيضعف الراوي عن حفظ اللفظ بنصه ، فيؤديه بالمعنى .

[3] صحيح البخاري نهاية أسطورة ص 53
[4] الحديث النبوي – مصطلحه ، بلاغته ، كتبه .د محمد الصباغ ص 170 ط 3 1977 المكتب الاسلامي .

4 - أن يغيب عنه – عند روايته للحديث – لفظه ، مع استحضاره و حفظه لمعناه ، فيعبر عن المعنى بألفاظ تؤديه .[5]

و ليعلم أن دائرة الرواية بالمعنى في الحديث النبوي " لا تشمل كل الأحاديث النبوية ، و إنما تختص بالأحاديث القولية فقط ، بل و ليس كل الأحاديث القولية . و ليس معنى ذلك أن كل لفظة نبوية في حديث قولي دخلتها الرواية بالمعنى ، بل قد تكون في حديث ما كلمة أو كلمتان أو أكثر إن كان الحديث طويلا .[6]

كما أن الأحاديث الفعلية ، و كذلك التقريرية لا تدخل في مبحث الرواية بالمعنى في عصر الصحابة ، و فيما يرويه الصحابة عن النبي الكريم .

الصحابة و الرواية بالمعنى :

حرص الصحابة على نقل الأحاديث النبوية الى من بعدهم كما نطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم من غير زيادة فيها و لا تغيير ، و كان عمدتهم في ذلك ما وهبهم الله من ذاكرة قوية و حافظة واعية . " ثم إن هؤلاء الصحابة هم الجيل و القرن الذي بلغ الغاية في الفصاحة ، و البيان ، و القدرة على و صف أدق الأشياء غموضا و خفاء بأبلغ و أوجز الألفاظ ، و لهذا تحداهم الله عز و جل بالقرآن العظيم ، فهم إذن مأمونون على رواية ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من أفعال و تقريرات بألفاظ مطابقة مؤدية للمعاني التي أرادوا التعبير عنها ، و روايتها بحسب مشاهداتهم للأحداث . و بهذا تضيق دائرة الحديث بالمعنى فيما رواه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتصر فقط على أحاديثه القولية ، ثم هذه أيضا قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم تكريره و إعادته للفظ ثلاثا ، حتى يحفظ أصحابه ، مع ما أوتوا من جوامع الكلم ، و

---

[5] مناهج المحدثين ص 19
[6] الرواية بالمعنى ص 24

ربما أعاد الكلام في مواطن عديدة ، أو سنوات متفرقة بألفاظ متقاربة و المعنى واحد ، فيروي كل صحابي اللفظ الذي سمعه ، فليس اختلاف ألفاظهم في الحديث القولي دليلا على روايتهم له بالمعنى ، و إنما هكذا سمعه كل واحد منهم بحسب تعدد المجالس ، و لعل منها حديث من كذب علي ، و حديث نضر الله ، لكثرة من رواهما من الصحابة ، فلا يبعد أن يكون سماعهم في مجالس متعددة أو سنوات متفرقة .

ثم إذا أضيف ما علم من تحري الصحابة في حفظ كلامه صلى الله عليه وسلم ، حتى توقف كثير منهم عن الرواية خوف نقص كلمة أو زيادتها مع قدرتهم على استبدالها و روايتها بالمعنى ، و حرصهم على روايته بلفظه ، و كان منهم من يكتب كل ما يتلفظ به النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن عمرو ، و منهم من دعا له رسول الله صلى الله عليه و سلم بالحفظ كأبي هريرة مع ما علم عنهم من نقد و تصحيح لما كان قد يقع في رواية بعضهم من الخطأ و الغلط فإنه بذلك تضيق دائرة رواية الحديث بالمعنى إلى أقصى درجة في أحاديثه القولية أيضا في رواية الصحابة .

و هكذا نجد أن رواية الصحابة رضي الله عنهم تكاد تخلو من الرواية بالمعنى ، أما الأحاديث الفعلية و التقريرية فلأنها لا تدخل في الموضوع أصلا لأنهم هم الذين تلفظوا و عبروا عن مشاهداتهم لأحوال و أفعال الرسول صلى الله عليه و سلم ابتداء . [7]

و ممن نقل عنه الوقوف على لفظ النبي صلى الله عليه و سلم و لم يتعداه :

- عمر بن الخطاب ، قال رضي الله عنه : من سمع حديثا فحدث به كما سمع فقد سلم .
- ابو هريرة : عن بشير بن نهيك قال كنت أكتب عند أبي هريرة ما سمعته منه ، فإذا أردت أن أفارقه جئت بالكتاب فقرأته عليه ، فقلت : أليس هذا ما سمعته منك . قال : نعم .
- زيد بن أرقم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : قلنا لزيد بن أرقم : يا أبا عمرو ، ألا تحدثنا ؟ فقال : قد كبرنا و نسينا ، و الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد .
- عبد الله بن عمر ، قال محمد بن علي : كان ابن عمر إذا سمع الحديث فلم يزد و لم ينقص منه ، و لم يجاوزه ، و لم يقصر عنه .

[7] مناهج المحدثين ص 74-75

و قال الإمام الباقر : لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد إذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزيد فيه و لا ينقص مثل عبد الله بن عمر .

و سمع ابن عمر عبيد بن عمير يقول و هو يقص (مثل المنافق كمثل الشاة العاثرة بين الغنمين) فقال ابن عمر : " ويلكم لا تكذبوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما قال : " مثل المنافق كمثل الشاة الرابطة بين الغنمين " .

- ابو امامة الباهلي : قال حبيب بن عبيد : كان أبو أمامة يحدث بالحديث كالرجل الذي يؤدي ما سمع .

و قال أيضا : إن كان أبو أمامة ليحدثنا الحديث كالرجل الذي عليه أن يؤدي ما سمع .

و هناك جمع من الصحابة أجازوا رواية الحديث بالمعنى ، منهم : علي و ابن عباس و عائشة و أنس و ابو الدرداء و ابو سعيد الخدري و غيرهم .لاعتبارات ذكرنا بعضها آنفا ، و منها أيضا : أنهم عرب خلص لغتهم سليمة و حوافظهم قوية واعية ، كما أنهم كحلوا أعينهم بمشاهدة أفعال النبي و تصرفاته ، و طربت أذانهم بسماع أقواله المباركة ، فأكسبهم ذلك عقل المعنى في الجملة ، واستيفاء المقصد كله إذا رووا الحديث بالمعنى .

رواية الحديث في عهد التابعين و أتباعهم :

صار التابعون على خطى الصحابة الكرام في تأدية الحديث النبوي كما سمعون و حفظوه بلفظه ، و يتحرجون من الرواية بالمعنى ، منهم كبار التابعين كالإمام مالك بن أنس و القاسم بن محمد ، و محمد بن سيرين ، و رجاء بن حيوة ، طاووس بن كيسان ، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عبد الملك بن عمير ، يحي بن سعيد الانصاري ، ابن جريج ،وهيب بن خالد بن عجلان ،بن ذكوان العنبري اسماعيل بن علية و غيرهم كثير .

و كان غالب التابعين لهم كتب و صحف تحوي مسموعاتهم ، ثم كان الواحد منهم لا يكتفي بمكتوباته بل يتحفظ ما كتب فيجمع بين حفظ الكتاب و حفظ الصدر .

و على رأي من أجاز الرواية منهم بالمعنى إعتبرها رخصة تقدر بقدر الحاجة اليها و وضعوا لها شروطا شديدة سنأتي على ذكرها قريبا .

" أما أتباع التابعين فلم يكن فيهم راو مكثر إلا كان عنده كتب بمسموعاته يراجعها ويتعاهدها ويتحفظ حديثه منها. ثم منهم من لم يكن يحفظ، وإنما يحدث من كتابه، ومنهم من جرب عليه الأئمة أنه يحدث من حفظه فيخطيء، فاشترطولصحة روايته أن يكون السماع منه من كتابه. ومنهم من عرف الأئمة أنه حافظ، غير أنه قد يقدم كلمة أو يؤخرها، ونحو ذلك مما عرفوا أنه لا يغير المعنى، فيوثقونه ويبينون أن السماع منه من كتابه أثبت.

فأما من بعدهم فكان المتثبتون لا يكادون يسمعون من الرجل إلا من أصل كتابه. كان عبد الرزاق الصنعاني ثقة حافظاً، ومع ذلك لم يسمع منه أحد بنحنبل ويحيى بن معين إلا من أصل كتابه.

هذا، وكان الأئمة يعتبرون حديث كل راو فينظرون كيف حدث به في الأوقات المتفاوته فإذا وجدوه يحدث مرة كذا ومرة كذا بخلاف لا يحتمل ضعفوه. وربما سمعوا الحديث من الرجل ثم يدعونه مدة طويلة ثم يسألونه عنه. ثم يعتبر حرف مرواياته برواية من روى عن شيوخه وعن شيوخ شيوخه، فإذا رأوا في روايته مايخالف رواية الثقات حكموا عليه بحسبها. وليسوا يوثقون الرجل لظهور صلاحه في دينه فقط.، بل معظم اعتمادهم علىحاله في حديثه كما مر، وتجدهم يجرحون الرجل بأنه يخطيء ويغلط، وباضطرابه في حديثه، / وبمخالفته الثقات، وبتفرده، وهلم جرا. ونظرهم عند تصحيح الحديث أدق من هذا، نعم، إن هناك من المحدثين من يسهل ويخفف، لكن العارف لا يخفى عليه هؤلاء من هؤلاء. فإذا رأيت المحققين قد وثقوا رجلاً مطلقاً فمعنى ذلك أنه يروي الحديث بلفظه الذي سمعه، أو على الأقل إذا روى المعنى لم يغير المعنى، وإذا رأيتهم قد صححوا حديثاً فمعنى ذلك أنه صحيح بلفظه أو على الأقل بنحو لفظه، مع تمام معناه، فإن بان لهم خلاف ذلك نبهوا عليه " .[8]

[8] الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة 81-80
المؤلف: عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: 1386هـ)
الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها / عالم الكتب - بيروت
سنة النشر: 1406 هـ / 1986 م

شروط الرواية بالمعنى

شروط الرواية بالمعنى :

من أباح الرواية بالمعنى من الجمهور قد قيدها بشروط عديدة ، و من تلك الشروط :

1 – أن يكون الراوي ثقة في دينه ، معروفا بالصدق في حديثه ، عاقلا لما يحدث به .

2 – أن يكون الراوي عالما بلغات العرب ووجوه خطابها .

3 – بصيرا بالمعاني و الفقه .

4 – عالما بما يحيل المعنى و ما لا يحيله .

5 – أن لا يكون الحديث :

مما تعبد بلفظه ، كالشهادة ، و التشهد ، و الأ<ان ، و الإقامة ، و الدعاء ، و غير ذلك .
أو جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم التي افتخر بإنعام الله تعالى عليه بها .
أو مما ما يستدل بلفظه على حكم لغوي .

6 – أن يكون ذلك في خبر ظاهر

7 - أن لا يكون ذلك في الخبر ، لأنه ربما نقله الراوي بلفظ لا يؤدي مراد رسول الله .

8 – أن يقول الراوي عقب روايته الحديث (أو كما قال) أو (نحوه) أو (شبهه) ..

9 – أن يضطر الراوي اضطرارا الى روايته بالمعنى :

كأن يند لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم عن الذاكرة ، و يغيب عنه في حالة روايته له .

أو أن لا يكون ضابطا للحديث ، لأن الضابط الدقيق مطلب عزيز ، لا يتقنه إلا القليل و الضرورو تقدر بقدرها .

10 – أن لا تكون روايته للحديث على سبيل الرواية و التبليغ ، خاصة بخلاف الإفتاء و المناظرة

11 – أن يبين الراوي بأن هذا هو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا لفظه .[9]

" و هذا هو الصحيح المعتمد ، لأن الحديث إذا كان بهذه الصفة كانت العمدة فيه على المعنى لا اللفظ ، فإذا رواه العالم العارف بتصرف الألفاظ و تاثير اللفظ على المعنى فقد أدى المطلوب المقصود منه .

يدل على ذلك اتفاق الأمة على أنه يجوز للعالم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينقل معنى خبره بغير لفظه و غير اللغة العربية .

وأيضا فإن ذلك كما هو ظاهر هو الذي تشهد به أحوال الصحابة و السلف الأولين ، فكثيرا ما كانوا ينقلون معنى واحدا في أمر واحد بألفاظ مختلفة ، و ما ذلك إلاأن معولهم على المعنى دون اللفظ [10]".

قال العلامة القاسمي : " اعلم أنه قد رخص في سوق الحديث بالمعنى، دون سياقه على اللفظ، جماعة منهم: علي، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وأبو هريرة – رضي الله عنهم- ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم إمام الأئمة الحسن البصري ثم الشعبي وعمرو بن دينار وإبراهيم النخعي ومجاهد وعكرمة نقل ذلك عنهم في كتب سيرهم بأخبار مختلفة الألفاظ، وقال ابن سيرين: "كنت أسمع الحديث من عشرة، المعنى واحد والألفاظ مختلفة" وكذلك اختلفت ألفاظ الصحابة في رواية الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمنهم من يرويه تاما ومنهم من يأتي بالمعني، ومنهم من يورده مختصرًا وبعضهم يغاير بين اللفظين ويراه واسعا إذا لم يخالف المعنى، وكلهم لا يتعمد الكذب، وجميعهم يقصد الصدق، ومعنى ما سمع فلذلك وسعهم وكانوا يقولون: "إنما الكذب على من تعمده" وقد رُوِيَ عن عمران بن مسلم، قال رجال للحسن: يا أبا سعيد إنما تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقا، وأجود تحبيرًا، وأفصح به لسانا منه إذا حدثنا به. فقال: "إذا أصيب المعنى فلا بأس بذلك"[11]

[9] مناهج المحدثين 76-77
[10] مناهج المحدثين العامة في الرواية و التصنيف ط1 -2008 طيبة ص 83
[11] قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث . ص 221 دار الكتب العلمية .

رد شبه حول الرواية بالمعنى

التفاوت في التعبير بين رواة الخبر و اختلافهم

قال أيلال : " إن رواية الحديث بالمعنى لتفيد بما لا يدع مجالا للشك أن الصحابي يروي فهمه لكلام الرسول وينسبه للرسول والتابعي يروي فهمه لما فهمه الصحابي من كلام الرسول ومن روى عن التابعي فهو يروي فهمه أيضا عن فهم التابعي لفهم الصحابي عن رسول الله ، وهكذا تتسع حلقات فهم من فهم عمن فهم عمن فهم عمن فهم عمن فهم عن رسول الله ، حسب اتساع سلسلة الرواة في سند الحديث ، ليبرز السؤال مرة أخرى، هل نحن أمام كلام للرسول مباشرة ، أم نحن أمام فهم الرواة عن بعضهم البعض إلى رسول الله؟ مع التنبيه على اختلاف القدرات العقلية والفكرية والاستيعابية لدى كل واحد من الرواة ، فليسوا على قدم المساواة في هذا إن قمنا بغض الطرف عن مستوى الورع لدى كل واحد منهم ، ليكون الجواب الذي يفرض نفسه ، بأننا إزاء فهم لكلام رسول الله ، ولهذا وجدنا الاضطراب في رواية العديد من الأحاديث ، إذن نحن لسنا أمام حديث رسول الله بل في مواجهة أحاديث منسوبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم."[12]

قال العلامة نور الدين عتر في نقد هذه الشبهة : " ..ثم جاء بعض المستغربين يضرب على وتر أساتذته المستشرقين بالمزاعم و الأوهام يثيرونها حول الحديث من وراء الرواية بالمعنى ، زاعمين أنه إذا جاز للراوي تبديل لفظ الرسول بلفظ نفسه فذلك يقتضي سقوط الكلام الأول ، لأن التعبير بالمعنى لا ينفك عن تفاوت ، فإن توالت المتفاوتات كان التفاوت الأخير تفاوتا فاحشا بحيث لا يبقى بين الكلام الأخير و بين الأول نوع مناسبة .

و هذا الطعن يعتمد أصحابه على إثارة الوساوس في النفوس ، بطريق المغالطة و التغافل العنيد عن الشروط التي أحاطها العلماء حول صحة الحديث و حول الرواية بالمعنى ، و هي شروط تجعل الناظر في تصرف المحدثين يطمئن الى أن النقل بالمعنى لم يفوت جوهر الحديث ، و إنما وضع مفردات موضع مفردات أخرى في المعنى نفسه .

---

[12] ص 59 - 60

و نوجز لك بيان ذلك من وجهين :

أن الرواية بالمعنى لم تجز إلا لعالم باللغة ، لا يحيل المعاني عن وجهها ، و هذا بالنسبة للصحابة متوفر ، فهم أرباب الفصاحة و أبناء بجدة اللغة مع ما أتوا من قوة الحفظ ، و ما توفر من أسبابه التي ذكرنا منها طرفا . ثم من جاء بعدهم يعرض على الإختبار و لم يقبل العلماء إلا من توفر فيه هذا الشرط .

هب ان الراوي بالمعنى قد أخطأ الفهم و روى الحديث على الخطأ ، أفيذهب الخطأ على العلماء ؟! هذا ما لا يمكن !

فإنهم يشترطون في الحديث الصحيح و الحسن انتفاء الشذوذ و العلة منه ، أي أن حديث الثقة لا يقبل حتى يعرض على روايات الثقات ، و يتبين أنه موافق لها ، سالم من القوادح الخفية . و لذلك يجتنب ما قد يطرأ على الحديث نتيجة تناقله بين رجال السند ، و لا يبقى لتوهم إخلال الراوي بالحديث أي موضع " .[13]

نقد شبهة أن الرواية بالمعنى سبب لكثرة الإضطراب ؟

تعريف الاضطراب :

هو الذي تختلف الرواية فيه فيرويه بعضهم على وجه وبعضهم على وجه آخر مخالف له، وإنما نسميه مضطربا إذا تساوت الروايتان. أما إذا ترجحت إحداهما بحيث لا تقاومها الأخرى بأن يكون راويها أحفظ، أو أكثر صحبة للمروي عنه، أو غير ذلك من وجوه الترجيحات المعتمدة، فالحكم للراجحة، ولا يطلق عليه حينئذ وصف المضطرب ولا له حكمه.

ثم قد يقع الاضطراب في متن الحديث، وقد يقع في الإسناد، وقد يقع ذلك من راو واحد: وقد يقع بين رواة له جماعة.[14]

---

[13] مناهج المحدثين ص 84-86

[14] معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح ص 93-94 . دار الفكر- سنة النشر: 1406هـ - 1986م

رد بعض الشبه حول الرواية بالمعنى

و الاضطراب في المتن قليل بالمقارنة بالاضطراب في السند ، قال الحافظ " المضطرب و هو يقع في الاسناد غالبا . و قد يقع في المتن ، لكن قل أن يحكم المحدث على الحديث بالاضطراب بالنسبة الى الاختلاف في المتن دون الاسناد " [15]

و يشترط في الحديث كي يوصف بكونه مضطربًا ثلاثةُ شروط:

الشرط الأول: الاختلاف في رواية الحديث؛ سواء كان هذا الاختلاف من راوٍ واحد اختلف على نفسه، أو من عدَّة رواة.

الشرط الثاني: أن تكون جميع وجوه الاختلاف متساوية في القوة؛ بحيث لا يمكن الترجيح بينها.

الشرط الثالث: أن لا يمكن الجمع والتوفيق بين هذه الروايات؛ فلو أمكن الجمع بينها بطريق من طرق الجمع المعتبرة، زال الاضطراب.

هل تعد الرواية بالمعنى سببا لكثرة الآضطراب ؟

قال ابن حزم : ليس اختلاف الروايات عيبا في الحديث إذا كان المعنى واحدا ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صح عنه أنه إذا كان يحدث كرره ثلاث مرات ، فنقل كل إنسان بحسب ما سمع ، فليس هذا الاختلاف في الروايات مما يوهن الحديث إذا كان المهنى واحدا .[16]

و مثال ذلك ما قاله القرطبي على حديث اختلفت الفاظه : " حديث عائشة كثرت رواياته و اختلفت ألفتظه حتى يتوهم أنه مضطرب و ليس كذلك ، لأنه ليس فيه تناقض و إنما كانت القضية مشتملة على كل ما نقل من الكلمات و الأحوال المختلفة . لكن نقل بعض الرواة ما سكت عنه غيرهم و عبر كل منهم بما تيسر له من العبارة عن تلك القضية . و يجوز أن يصدر مثل ذلك الاختلاف من راو واحد في أوقات مختلفة ، و لا يعد تناقضا ، فإنه اجتمعت تلك الروايات كلها . انتظمت و كملت الحكاية عن تلك القضية . و على هذا النحو وقع ذكر اختلاف كلمات القصص المتحدة في القرآن ، فإنه تعالى

---

[15] نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ص 127
المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)
المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي
الناشر: مطبعة سفير بالرياض
الطبعة: الأولى، 1422هـ
[16] الاحكام في اصول الاحكام 1-139

يذكرها في موضع وجيزة و في آخر مطولة . و يأتي بالكلمات المختلفة الألفاظ مع اتفاقها على المعنى . فلا ينكر مثل هذا في الأحاديث .[17]

قال ابن رجب في شرح صحيح البخاري: (اخْتِلاَف ألفاظ الرواية يدل عَلَى أنهم كانوا يروون الحَدِيْث بالمعنى، ولا يراعون اللفظ، فإذا كَانَ أحد الألفاظ محتملاً، والآخر صريحاً لا احتمال فِيهِ، علم أنهم أرادوا باللفظ المحتمل هُوَ مَا دل عَلَيْهَا اللفظ الصريح الَّذِي لا احتمال فِيهِ، وأن معناهما عندهم واحد، وإلا لكان الرواة قَدْ رووا الحَدِيْث الواحد بألفاظ مختلفة متناقضة، ولا يظن ذَلِكَ بهم مَعَ علمهم وفقههم وعدالتهم وورعهم) [18]

تدليس ..تلبيس .. سرقة

قال : يظن معظم الناس أن الأحاديث التي ترد في كتب الحديث عن رسول الله، أنها واردة عنه باللفظ والمعنى كما قالها الرسول ، في حين أن معظمها وارد بالمعنى، أي كما فهمه رواة الحديث، وليس بلفظه كما قاله الرسول، وفي هذا قال ابن رجب: «اختلاف ألفاظ الرواية يدل على أنهم كانوا يروون الحديث بالمعنى ولا يراعون اللفظ إذ المعنى واحد ». من كلام المازري في المعلم . 145 / 2 .

قال المعلمي: (الخلاف بالرواية مما لا يغير المعنى، كالتقديم والتأخير و إبدال كلمة بأخرى مرادفة لها وجعل الضمائر التي للمخاطب للمتكلم ، و غيره فهذا من الرواية بالمعنى . و كانت شائعة بينهم فلا تضر .) عمارة القبور 175 بتصرف و انظر تهذيب الآثار (1/426 عمر) للطبري وهذا النص يفيد أن الرواية بالمعنى كانت سائدة ومعروفة لدى رواة الحديث بشكل عادي جدا ومألوف ، ويرون أن الرواية بالمعنى لا تضر، وسنقف بعد قليل على هذا الأمر لنرى كيف تضر الرواية بالمعنى. .[19]

أولا : كل من يقرأ ما استنسخه أيلال يقف عند قوله : " من كلام المازري في المعلم .." بعد نقله لكلام ابن رجب ، و يتساءل كيف يمكن للإمام المازري أن يستشهد بكلام ابن رجب ؟! فطلابنا يعلمون أن المازري هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (المتوفى: 536هـ) ،

---

[17] المفهم 5-425

[18] ابن رجب، فتح الباري (149/4).

[19] صحيح البخاري نهاية أسطورة ص 53

و أن ابن رجب هو : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)

فكيف لباحث تصدر لإنتقاد البخاري يقع في هذا الخطأ الفاحش ؟ و إن إدعى أن هذا خطأ مطبعي فما بال ايراد الإمام المازري بعد نقل كلام ابن رجب ؟

ثانيا : و بعد بحث وقفنا على مصدر سرقته – إن لم يكن سرقه بنزول عن مصدر آخر – ألا و هو كتاب (الحديث المضطرب دراسة و تطبيقا على السنن الأربع) لأحمد بن عمر بازمول . بحث لنيل درجة الماجستير جامعة أم القرى .ص 107.

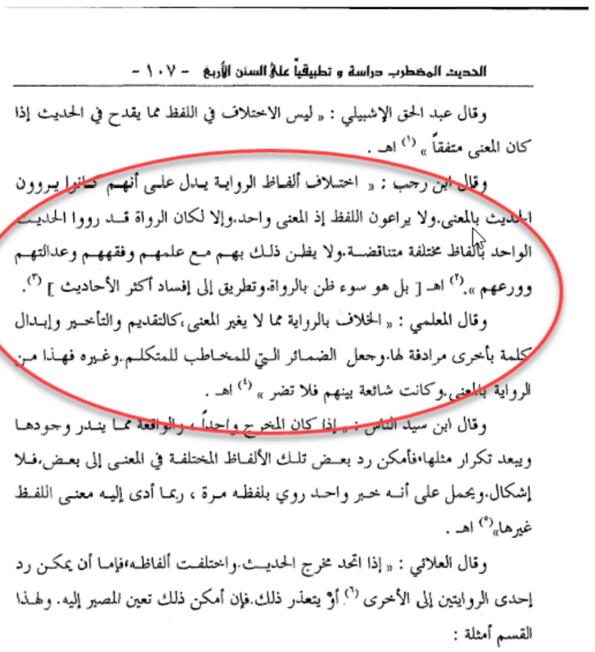

الحديث المضطرب دراسة و تطبيقاً على السنن الأربع - ١٠٧ -

وقال عبد الحق الإشبيلي : « ليس الاختلاف في اللفظ مما يقدح في الحديث إذا كان المعنى متفقاً » [(١)] اهـ .

وقال ابن رجب : « اختلاف ألفاظ الرواية يدل على أنهم كانوا يروون الحديث بالمعنى.ولا يراعون اللفظ إذ المعنى واحد.وإلا لكان الرواة قد رووا الحديث الواحد بألفاظ مختلفة متناقضة.ولا يظن ذلك بهم مع علمهم وفقههم وعدالتهم وورعهم ».[(٢)] اهـ [بل هو سوء ظن بالرواة.وتطريق إلى إفساد أكثر الأحاديث] [(٣)].

وقال المعلمي : « الخلاف بالرواية مما لا يغير المعنى،كالتقديم والتأخير وإبدال كلمة بأخرى مرادفة لها.وجعل الضمائر التي للمخاطب للمتكلم.وغيره فهذا من الرواية بالمعنى.وكانت شائعة بينهم فلا تضر » [(٤)] اهـ .

وقال ابن سيد الناس : « إذا كان المخرج واحداً ، والواقعة مما يندر وجودها ويبعد تكرار مثلها،فأمكن رد بعض تلك الألفاظ المختلفة في المعنى إلى بعض،فلا إشكال.ويحمل على أنه خبر واحد روي بلفظه مرة ، ربما أدى إليه معنى اللفظ غيرها»[(٥)] اهـ .

وقال العلائي : « إذا اتحد مخرج الحديث.واختلفت ألفاظه،فإما أن يمكن رد إحدى الروايتين إلى الأخرى [(٦)].أوْ يتعذر ذلك.فإن أمكن ذلك تعين المصير إليه. ولهذا القسم أمثلة :

و مما يلاحظ على سطوه :

1 عدم ذكره لمصدر نقولاته

2 بتره لكلام ابن رجب : بحيث لو ساقه بتمامه لانهارت دعواه من أولها ، فابن رجب رحمه الله يبين أن روايتهم للحديث مع اختلاف بعض ألفاظه و معناه واحد لا يسقط الحديث في الاضطراب و التناقض لما اتصف به الرواة من العلم و الفقه و العدالة و الورع . قال رحمه الله : «اختلاف ألفاظ الرواية يدل على أنهم كانوا يروون الحديث بالمعنى ولا يراعون اللفظ إذ المعنى واحد ، و إلا لكان الرواة قد رووا الحديث الواحد بألفاظ مختلفة متناقضة . و لا يظن بهم مع علمهم و فقههم و عدالتهم وورعهم ».

ثالثا : قوله : من كلام المازري في المعلم (145/2) بتصرف ، فهذا كلام للباحث بازمول حينما نقل كلاما للمازري يعضد به قول ابن رجب ، و كلام المازري الذي سقط من سطو أيلال هو " بل هو سوء ظن بالرواة ، و تطرق الى إفساد أكثر الأحاديث " . و العجيب المضحك أن أيلال انتسخ حتى قول المصنف (بتصرف) !!!

و أعاد نفس الأمر لما ساق كلام العلامة المعلمي ، فنقل تخريج بازمول بحذافيره و كذلك عبارة (بتصرف) !!

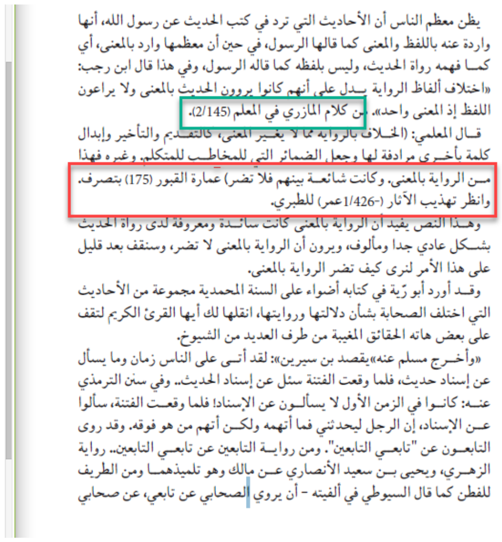

يظن معظم الناس أن الأحاديث التي ترد في كتب الحديث عن رسول الله، أنها واردة عنه باللفظ والمعنى كما قالها الرسول، في حين أن معظمها وارد بالمعنى، أي كما فهمه رواة الحديث، وليس بلفظه كما قاله الرسول، وفي هذا قال ابن رجب: «اختلاف ألفاظ الرواية يدل على أنهم كانوا يروون الحديث بالمعنى ولا يراعون اللفظ إذ المعنى واحد». من كلام المازري في المعلم (2/145).

قال المعلمي: (الخلاف بالرواية مما لا يغير المعنى، كالتقديم والتأخير وإبدال كلمة بأخرى مرادفة لها وجعل الضمائر التي للمخاطب للمتكلم. وغيره فهذا من الرواية بالمعنى. وكانت شائعة بينهم فلا تضر) عمارة القبور (175) بتصرف. وانظر تهذيب الآثار (-1/426عمر) للطبري.

وهذا النص يفيد أن الرواية بالمعنى كانت سائدة ومعروفة لدى رواة الحديث بشكل عادي جدا ومألوف، ويرون أن الرواية بالمعنى لا تضر، وسنقف بعد قليل على هذا الأمر لنرى كيف تضر الرواية بالمعنى.

وقد أورد أبو رّية في كتابه أضواء على السنة المحمدية مجموعة من الأحاديث التي اختلف الصحابة بشأن دلالتها وروايتها، انقلها لك أيها القرئ الكريم لتقف على بعض هاته الحقائق المغيبة من طرف العديد من الشيوخ.

«وأخرج مسلم عنه»يقصد بن سيرين»: لقد أتى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد حديث، فلما وقعت الفتنة سئل عن إسناد الحديث.. وفي سنن الترمذي عنه: كانوا في الزمن الأول لا يسألون عن الإسناد! فلما وقعت الفتنة، سألوا عن الإسناد، إن الرجل ليحدثني فما أتهمه ولكن أتهم من هو فوقه. وقد روى التابعون عن "تابعي التابعين". ومن رواية التابعين عن تابعي التابعين.. رواية الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري عن مالك وهو تلميذهما ومن الطريف للفطن كما قال السيوطي في ألفيته - أن يروي الصحابي عن تابعي، عن صحابي

وقال ابن رجب : « اختلاف ألفاظ الرواية يدل على أنهم كانوا يروون الحديث بالمعنى.ولا يراعون اللفظ إذ المعنى واحد.وإلا لكان الرواة قد رووا الحديث الواحد بألفاظ مختلفة متناقضة.ولا يظن ذلك بهم مع علمهم وفقههم وعدالتهم وورعهم ».(١) اهـ [بل هو سوء ظن بالرواة.وتطريق إلى إفساد أكثر الأحاديث](٢).

وقال المعلمي : « الخلاف بالرواية مما لا يغير المعنى،كالتقديم والتأخير وإبدال كلمة بأخرى مرادفة لها.وجعل الضمائر التي للمخاطب للمتكلم.وغيره فهذا من الرواية بالمعنى.وكانت شائعة بينهم فلا تضر »(٤) اهـ .

وقال ابن سيد الناس : « إذا كان المخرج واحداً ، والواقعة مما يندر وجودها ويبعد تكرار مثلها،فأمكن رد بعض تلك الألفاظ المختلفة في المعنى إلى بعض،فلا إشكال.ويحمل على أنه خبر واحد روي بلفظه مرة ، ربما أدى إليه معنى اللفظ غيرها»(٥) اهـ .

وقال العلائي : « إذا اتحد مخرج الحديث.واختلفت ألفاظه،فإما أن يمكن رد إحدى الروايتين إلى الأخرى (٦) أوْ يتعذر ذلك.فإن أمكن ذلك تعين المصير إليه. ولهذا القسم أمثلة :

أحدها : رد إحدى الروايتين إلى الأخرى :

بأن كل من قال لفظاً عبر به عن المجموع.وهو امر يستعمل كثيراً في كلام العرب .

(١) نقله محقق نقد بيان الوهم (٥٨) .
(٢) فتح الباري (٦/٣٩٣) بتصرف .
(٣) من كلام المازري في المعلم (٢/١٤٥) .
(٤) عمارة القبور (١٧٥) بتصرف ، وانظر تهذيب الآثار (١/٤٢٦-عمر) للطبري .
(٥) أجوبة ابن سيد الناس (ق٤٠/ب) .

رابعا : موقف ابن رجب و المعلمي من الرواية بالمعنى :

قال الامام المازري : ذكر أن ابن عمر رضي الله عنه رد الراوى عنه لما قال: "وحج البيت وصوم رمضان إلى أن يقدم ذكر رمضان" وقال: هكذا سمعته من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحتمل أن تكون مشاحة ابن عمر في هذا لأنه كان لا يرى نقل الحديث بالمعنى وإن أداه بلفظ ينوب مناب ما سمع وهو مذهب بعض أهل الأصول، وإن أبدل لفظا لا يحتمل بلفظ لا يحتمل أن يكون يرى الواو توجب الترتيب كما قال بعضهم فيجب التحفظ على الرتبة المسموعة من النبيء – صلى الله عليه وسلم – لأنه قد يتعلق بذلك أحكام فقد يستدل على تقدمة إطعام الفطر في رمضان على الهدايا الواجبة في الحج إذا

أوصى بهما وضاق الثلث عنهما بهذه التقدمة الواقعة في الحديث لإشعارها بأن ما قدم آكد، والمراد في الوصايا تقدمة الآكد.[20]

و قال عن حديث ابي هريرة في صحيح مسلم كتاب العتق ، عن أبي هريرة عن النبيء – صلى الله عليه وسلم –: "من أعتق شقصا له في عبد فخلاصه في ماله إن كان له مال فإن لم يكن له مال يستسعى العبد غير مشقوق عليه"، وزاد في بعض طرقه:"إن لم يكن له مال قوم عليه العبد قيمة عدل ثم يستسعى في نصيب الذى لم يعتق غير مشقوق عليه) .

قال رحمه الله : وقال بعض أصحابنا: لعل الراوي نقل بالمعنى، ولما سمع الاستسعاء في النصيب عبر عنه بالقيمة على ما فهم، وهذا عندي لا يعول عليه لأنه سوء ظن بالرواة، وتطريق إلى إفساد أكثر الأحاديث.[21]

- ابن رجب :

قال رحمه الله : " قال الترمذي – رحمه الله –: فإما من أقام الإسناد وحفظه وغيره اللفظ، فإن هذا واسع عند أهل العلم، إذا لم يتغير به المعنى...."

مقصود الترمذي بهذا الفصل الذي ذكره ههنا، أن من أقام الأسانيد وحفظها، وغير المتون تغييرا لا يغير المعنى، انه حافظ ثقة يعتبر بحديثه: (وبنى ذلك على) أن رواية الحديث بالمعنى جائزة وحكاه عن أهل العلم، وكلامه يشعر بأنه إجماع، وليس كذلك، بل هو قول كثير من العلماء. ونص عليه أحمد وقال: ما زال الحفاظ يحدثون بالمعنى وإنما يجوز ذلك لمن هو عالم بلغات العرب بصير بالمعاني عالم بما يحيل المعنى، وما لا يحيله. نص على ذلك الشافعي.[22]

---

[20] المُعْلم بفوائد مسلم 281/1
المؤلف: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (المتوفى: 536هـ)
المحقق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر
الناشر: الدار التونسية للنشر
المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر
المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة
الطبعة: الثانية، 1988 م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م.

[21] المعلم 220/2

[22] شرح علل الترمذي 1/ 427
المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)
المحقق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد
الناشر: مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن
الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م

وقد مثل ابن رجب لروايات بالمعنى أحال الرواة معناها، يقول : "وقد روى كثير من الناس الحديث بمعنى فهموه منه، فغيروا المعنى: مثل ما اختصر بعضهم من حديث عائشة في حيضها في الحج، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها وكانت حائضا: "انقضي رأسك وامتشطي" وأدخله في باب غسل الحيض، وقد أنكر أحمد ذلك على منفعله، لأن يخل بالمعنى، فإن هذا لم تؤمر به في الغسل من الحيض عند انقطاعه، بل في غسل الحائض إذا أرادت الإحرام.

وروى بعضهم حديث "إذا قرأ" يعني الإمام "فأنصتوا" بما فهمه من المعنى، فقال: إذا قرأ الإمام " (ولا الضالين) فأنصتوا، فحمله على فراغه من القراءة، لا على شروعه فيها.

وروى بعضهم حديث: كنا نؤديه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد زكاة الفطر، فصحف نؤديه، فقال نورثه، ثم فسره من عنده فقال الجد.

و قد إعتبر رحمه الله هذا الصنيع من بعض الرواة " سيئ لا يجوز مثله". مهما كان سببه راجع الى اضطراب في المقدرة اللغوية، وعدم معرفتهم بلغة العرب، أو عدم إدراك المراد من الحديث وسببه الذي قيل فيه.

و في جواز الرواية بلفظ أخر لا يخل بالمعنى ، فقال : فأما الرواية بلفظ آخر لا يختل به المعنى، فهو الذي ذكر الترمذي جوازه عند أهل العلم، وذكره عمن ذكره من السلف.

وروي عن الحسن أنه استدل لذلك بأن الله يقص قصص القرون السالفة بغير لغاتها.

وروى قتادة، عن زرارة بن أوفى، قال: لقيت عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفوا علي في اللفظ، واجتمعوا في المعنى. وقد روى إجازة ذلك أيضا عن عائشة، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس. وفي أسانيدها نظر.

وروى معناه عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وأنس، أنهم كانوا يحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقولون: أو نحو هذا، أو شبهه. و كان أنس يقول: أو كما قال. وهو أيضا قول عمرو بن دينار، وابن أبي نجيح وعمرو بن مرة، وجعفر بن محمد، وحماد بن زيد، ويحي بن سعيد، ويزيد بن هارون، وابن عيينة وأبي زرعة. وحكى عن أكثر الفقهاء. وروي فيه أحاديث مرفوعة، لا يصح شيء منها. [23]

[23] نفس المصدر 428/1-429

و ذكر رحمه الله أن ابن عمر – رضي الله عنهما – يشدد في اتباع لفظ الحديث، وينهي عن تغيير شيء منه، وكذلك محمد بن سيرين والقاسم بن محمد، ورجاء بن حيوة.

وهو قول مالك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون حديث غيره. وروى عنه أنه قال: استحب ذلك.[24]

---

[24] 430/1

من جهالات أيلال في علم الحديث

إعتباره أن "النوم من نواقض الوضوء " متواتر عن النبي .

قوله : " و هاته إساءة أخرى تبرز أن رسولنا الكريم الطاهر ، ينهض للصلاة بعد نوم عميق ، ليصلي بدون وضوء ، وهو الشيء الذي يستحيل في حق نبينا ، والمعلوم من ديننا وكما تواتر عن نبينا ، أن النوم من نواقض الوضوء، ، فكيف يخالف الرسول أمرا هو من جاء به ، و هو من أمر به ، لكن العقول تتوقف ، واحترام الرسول يتوقف عندما يتعلق الأمر برواية من روايات الكتاب المقدس "صحيح البخاري " [25]

معلوم لدى صغار طلبة الحديث أن " النوم من نواقض الوضوء " ليس حديثا نبويا ، فضلا أن يكون متواترا ! ، و هل يميز أيلال بين الحديث و أقوال الفقهاء ؟ ، و هل يعرف الفرق بين الحديث المتواتر و غير المتواتر ؟ و ما المعيار الذي اتبعه لقبول بعض الاحاديث و هو الذي رفض السنة و اعتبرها ليست دينا ؟ . ثم أين يجد في القرآن الكريم أن النوم من نواقض الوضوء ؟

قال أيلال في صفحته على الفيسبوك : والأغرب أن الروايات تنقض بعضها، في هذه المسألة مما جعل الفقهاء يختلفون اختلافا شديدا في النوم هل هو من نواقض الوضوء أم لا، على عكس الجمهور الذي يأخذ ما تواتر عن الرسول تواترا عمليا لا روائيا."

[25] ص155 يراجع فصل : " بخاريات " الرسول يصلي بدون وضوء .

قلت ماذا يقصد أيلال بالجمهور ؟ هل هم جمهور العلماء ؟ أم جمهور الناس من العوام ؟ ، فإن قصد جمهور العلماء فلماذا أخرج الفقهاء من زمرتهم و فيهم فقهاء محدثين ؟ و إن قصد بالجمهور عوام المسلمين ، فلعمرو الله إنها لسقطة كبيرة و لفضيحة علمية أن يتجرأ على نقد الصحيح و الطعن في علماء المسلمين من جعل معياره لقبول الأحكام عمل جمهور عوام الناس !

و الغريب أنه يحكم على حديث " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله "متواتر بالإختلاق و الكذب و هو حديث متواتر مروي عن رسول الله من تسعة عشر نفسا .

إعتبار الاتهام بالحسد سبب موجب في ترك الرواية

في معرض تعقيبه على قول من أرجع موقف الذهلي من البخاري للحسد قال : وقد حاول الذهبي في سير أعلام النبلاء الدفاع عن البخاري باتهام شيخه الذهلي –وهو من كبار الحفاظ المشهود لهم بالصلاح ، بل من التقات في الحديث- بأن السبب في اتهامه لمحمد بن اسماعيل البخاري هو الحسد ، واذا كان هذا صحيحا فالواجب ترك التحديث عنه ، لكن البخاري حدث عنه ، وان كان قد دلس اسمه مرات عديدة في صحيح البخاري كما يعتقد هؤلاء الشيوخ ."[26]

فهذا قول جديد في علم الجرح و التعديل ، تفتقت به عبقرية محدث مراكش و ناقدها الفذ . فمتى كان الاتهام بالحسد سببا في ترك الرواية ؟ و من قال بذلك من النقاد قديما و حديثا ؟

---

[26] ص 146-147

و قل سلم من هذه الآفة من الكبراء ، كما قال العلامة السبكي . ثم إن عدم ترك البخاري الرواية عن الذهلي رغم تحامله عليه ، يعد من أكبر مناقب البخاري ، و دليل على ورعه ، و أمانته ، تجرده للحق و هضم حقوق النفس .

الطعن في صحة المرويات بدعوى الخرافة و الأسطورة .

من القواعد التي إبتدعها أيلال الحكم على الروايات و الأحاديث بالوضع ، بدعوى الخرافة و الأسطورة ، و يؤكد أن عمله قائم على التحسين و التقبيح العقليين ، فما قبله عقله فهو الصحيح و ما استنكره فهو الخرافة و الأسطورة . و قد طبق منهجه الحداثي -هدا- على الأخبار المتواترة في حفظ البخاري و نبوغه ، فردها بأكملها بدعوى خالفتها للعقل و المنطق ، و الادعاء أن المحدثين لم يكلفوا أنفسهم عناء تمحيصها و النظر فيها .

و كذلك رد جملة من الأحاديث باعتبارها " أساطير الماضي " [27] ففي مبحث "جناية الحديث "رد عدة أحاديث صحيحة منها : قوله : " ومن الغرائب المضحكة والأساطير الغريبة المغرقة في الخرافة والمؤسسة للجهل المطبق ما ورد في صحيح البخاري منسوبا للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه اعتبر الفأر أمة فقدت من بني اسرائيل !!! خرافة من خرافات صحيح البخاري المضحكة سيدافع عنها الجهلاء بشكل غريب فقط لأنها وردت في هذا الكتاب الذي يعج بالخرافات والإساءات لمقام النبوة ومقام الالوهية بشكل غريب " [28]

و قال عن "حديث غروب الشمس " : " لكن مازالت بعض الأفهام تقدس البخاري وتفضل أن تنسب هذه الخرافة للرسول على أن تنسب الخطأ لمؤلف الصحيح."[29]

[27] 65
[28] ص67
[29] 68

حكم أيلال كثير من أحاديث الصحيحين بالوضع و الإختلاق

- تكذيبه بأحاديث الرؤيا :

قال : وقد أسهم في تقبل هذه الرؤى والأحلام أحاديث رويت في صحيح البخاري أيضا لاستكمال حلقات الاستحكام والتحكم في العقول ، لتتقبل مثل هذه الخرافات ومنها حديث جاء فيه"إذا إقتربَ الزمانُ لمْ تَكَدْ رُؤيا المؤمن تكذبُ، ورؤيا المؤمنِ جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جزءاً من النبوةِ " متفق عليه (صحيح البخاري6614) وصحيح مسلم 2263 من حديث أبي هريرة . بل إن الرؤيا دليل على صدق رائيها ، وبالتالي فقد تم صنع أحاديث أيضا تسير على نفس المنوال ، وعلى خطى التحكم والاستحكام التي أشرنا اليها، مثل حديث جاء فيه "(أصْدَقُكُمْ رُؤيا : أصْدَقُكُمْ حديثاً) (مسلم كتاب الرؤيا/ 2263) من حديث أبى هريرة. بل في صحيح البخاري أن النبوة لم تنته تماما كما يقول القرءان ، بل بقي من النبوة شيء آخر وهو الرؤى ، وللاستدلال على ذلك تم وضع حديث كهذا الذي ينسب للرسول فيه أنه قال: " لَم يبقَ منَ النُّبُوَّةِ إلا المُبشَّراتُ " قالوا : وما المبشراتُ ؟ قال : (الرؤيا الصالحةُ) " صحيح البخاري كتاب التعبير باب المبشرات (6990) من حديث أبى هريرة .[30]

- تكذيبه لأحاديث الصحيحين بدعوى مخالفتها للقرآن و إساءتها للرسول و الإسلام

قال في مبحث " بخاريات " : أردت أن أختم هذا الفصل بمجموعة من الأحاديث الواردة "في أصح كتاب بعد كتاب الله" — صحيح البخاري- ليقف القارئ على حجم الاساءة- لديننا ولنبينا- الواردة في هذا الكتاب ، وحتى يعرف من أين جاءنا الإرهاب ؟ ولماذا وصلت أمتنا الى ما وصلت اليه ؟ ويقف معنا على الحقائق كما هي بدون تزويق ولاتنميق ،و البحث عن المبررات ، التي تخدم صناعة الأسطورة ولو على حساب الدين ، ولنقف

[3030] ص 83

حقا على ما جناه الجامع الصحيح المنسوب للشيخ البخاري على الأمة ، ولعل العديد ممن يسمع ويتابع الهالة التي تم صنعها زيفا وتمويها وكذبا حول البخاري ، سيصدم من هول المفاجاة ، حينما سيكتشف حقيقة مجموعة كبيرة من الأحاديث المسيئة للاسلام ولنبي الإسلام ، بل لرب العالمين داخل هذا الكتاب ، والتي لن نعرضها كلها ، بل سنكتفي بعرض نماذج منها فقط ، نظنها كافية لكل محتار يبحث عن الحقيقة ، ولاشيء غير الحقيقة."

و من هذه الأحاديث :

- في " صحيح البخاري " "قَالَ الزُّهْرِيُّ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : ... وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ ، فَيَرْجِعُ ؛ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ " . برقم (6581) من كتاب " التعبير " ، باب " أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة.

- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الجُعْفِيُّ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ يَعْلَى بْنَ حَكِيمٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا أَتَى مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ، أَوْ نَظَرْتَ» قَالَ: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَنِكْتَهَا». لاَ يَكْنِي، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ" صحيح البخاري رقم 6824

و قال : هذا الحديث في صحيح البخاري يوضح أن الرسول كان بذيئا ، وكان صلوات الله عليه ينطق بالكلام الفاحش ، حيث ورد في حديث آخر أنه قال لشخص " اعضض هن أبيك" ، وفي حديث اخر" من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا" ونسب أيضا

للرسول في صحيح البخاري أنه كان يسب المؤمنين كما في حديث عن أبي هريرة ": ((سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة)) رقم الحديث 6000 من صحيح البخاري كتاب الدعوات .

- على عكس ما أخبر الله به نبيه في القرءان من إقرار حالة الغنى للرسول صلى الله عليه وسم في قوله تعالى في سورة الضحى :" وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)" نجد صحيح البخاري يخبرنا في حديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت :مات رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير.." في كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم والقميص في الحرب ، هذا الحديث ورد في العديد من أبواب كتاب صحيح البخاري، وكل الروايات تؤكد على أن الرسول كان معدما، وأن الله لم يغنه عن الناس كما أخبره سبحانه في سورة الضحى"ووجدك عائلا فأغنى" ، ليموت ودرعه مرهونة عند يهودي بالمدينة ...

- الرسول يكره الناس ليكونوا مؤمنين . روى البخاري باب ((فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)) رقم 25 ومسلم باب ((الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله)) رقم :22عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال»أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلَه إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى .

- ومن الاحاديث الداعية الى الكراهية والاكراه في الدين ما ورد في صحيح البخاري باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة : "6924 حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله 6925قال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق".

- ورد في صحيح البخاري بكتاب الطب تحت رقم 5766 حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَت:" سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ ثُمَّ قَالَ أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ قُلْتُ وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ قَالَ فِيمَا ذَا قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ قَالَ فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبِئْرِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ قَالَ لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ وَشَفَانِي وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ".

- ورد في كتاب الأذان من صحيح البخاري، 697 "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرٌو ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ كُرَيْبٍ

مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : " نِمْتُ عِنْدَ مَيْمُونَةَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ عَلَى يَسَارِهِ فَأَخَذَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ " ، قَالَ عَمْرٌو : فَحَدَّثْتُ بِهِ بُكَيْرًا ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي كُرَيْبٌ بِذَلِكَ"

- في كتاب الجهاد والسير من صحيح البخاري جاء ،2789 حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ شَكَّ إِسْحَاقُ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ أَنْتِ مِنْ الْأَوَّلِينَ فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنْ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ"

- وفي صحيح البخاري أيضا من كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده حديث رقم 3286 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ".

- في كتاب الوكالة من صحيح البخاري باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل 2311:"وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ الهَيْثَمِ أَبُوعَمْرٍو حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيّ القَيُّومُ حتى تَخْتِمَ الآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حتى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حتى تَخْتِمَ الآيَةَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حتى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لا، قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ"

من عجيب إحالاته ! : النقل بنزول عن مصادر معاصرة

و من ذلك نقله عن كتاب " الأضواء " للنجمي لحكاية رؤيا أبي زيد ، و هي حكاية مشهورة في كتب التاريخ و التراجم كتاريخ بغداد و تاريخ دمشق و تاريخ الإسلام للذهبي و غيرهم .

قال : ومن كيس هذه الخرافات ما أورده الشيخ محمد صادق أبي زيد المروزي النجم نقلا عنه أنه قال : كنت نائماً بين الركن والمقام فرأيت النبي (ص) في المنام ، فقال لي : يا أبا زيد ، إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي ؟ فقلت : يا رسول الله (ص) وما كتابك ؟ ، قال : جامع محمد بن إسماعيل البخاري"، أضواء على الصحيحين رقم الصفحة : (78) راجع أيضا مقدمة كتاب الفتح لابن حجر العسقلاني الفصل الأول.[31]

و من ذلك أيضا : نقله بنزول عن كتاب " جناية البخاري " لزكريا أوزون . قال : " وهنا أنقل لكم ما اورده الكاتب زكريا اوزون في كتابه "جناية البخاري" ص20 نقلا من تاريخ الذهبي وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه حول رأي الخليفة عمر بن الخطاب في الصحابي ابي هريرة .."

و لماذا لم تطالع أنت هذه الكتب و هي منشورة بين يدي الباحثين في المكتبات ؟ لعلك تجد فيها نقولا أخرى تخالف ما تعمد أوزون إبرازه ، أو تقف على كلام لأحد النقاد في الرواية ..

ثم كيف تثق بمرويات وردت في كتب التواريخ و الأدب و المسامرات ،- و التي لم يدع أصحابها ذكر المرويات الصحيحة ، بل قمشوا كل ما أمكنهم جمعه من روايات و أخبار - ثم تطرح و تطعن في مرويات إلتزم أصحابها الصحة ؟

[3131] ص80

عدم تفريقه بين نقل الحافظ للحكاية و بين روايته لها .

قال : حلقات مسلسل الأحلام المؤسسة لأسطورة البخاري نجدها أيضا في كتاب مقدمة فتح الباري و التي عنونها صاحب الكتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني ب (هدي الساري) حيث يروي هذا الأثر في الفصل الأول من المقدمة : " قال سمعت الفربري يقول : سمعت محمد بن أبي حاتم البخاري الوراق يقول ..[32]

قوله : " يروي هذا الأثر " يفهم منه أن الحافظ رواه بسنده الى قائله ، و هذا ما لم يصرح به الحافظ ، بل نقل هذه الحكاية عن الحافظ ابن عدي ، و شتان بين النقل و الرواية . قال رحمه الله : " وَقَالَ أَبُو أَحْمد بن عدي سَمِعت الْحسن بن الْحُسَيْن الْبَزَّار يَقُول سَمِعت إِبْرَاهِيم بن معقل النَّسَفِيّ يَقُول سَمِعت البُخَارِيّ يَقُول مَا أدخلت فِي كتابي الْجَامِع الا مَا صَحَّ وَتركت من الصَّحِيح حَتَّى لَا يطول وَقَالَ الْفربرِي أَيْضا سَمِعت مُحَمَّد بن أبي حَاتِم البُخَارِيّ الْوراق يَقُول رَأَيْت مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البُخَارِيّ فِي الْمَنَام يمشي خلف النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَالنَّبِيّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يمشي فَكلما رفع النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قدمه وضع البُخَارِيّ قدمه فِي ذَلِك الْموضع وَقَالَ الْحَافِظ أَبُو أَحْمد بن عدي سَمِعت الْفربرِي يَقُول سَمِعت نجم بن فُضَيْل وَكَانَ من أهل الْفَهم يَقُول فَذكر نَحْو هَذَا الْمَنَام أَنه رَآهُ أَيْضا " [33]

[32] ص81
[33] المقدمة ص 7

ابن كثير متأثر بمنهج ابن حجر

و من عجيب سقطاته ، أنه يرى أن ابن كثير متأثر بمنهج ابن حجر في الغلو في مدح البخاري و الثناء على صحيحه ، يقول : " وليس كتاب فتح الباري وحده من يمتلئ بمثل هذا التقديس ، بل هناك كتب كثيرة سارت على نفس المنهج والنهج في تقديس هذا الرجل ، ورفع الصحيح المنسوب إليه إلى مستوى التقديس ، وسأختم لكم هذه الفقرة بنقل من البداية والنهاية لابن كثير يسير في ذات الاتجاه ويعززه..." [34] فأين ابن كثير من ابن حجر ؟ و من السابق و من اللاحق ؟

إطلاقه ألقابا جديدة على بعض الأعلام

وقع أيلال في أخطاء علمية ، ما كان له أن يقع فيها لولا إسلاسه القياد ، لما في كتب من قلد دون أن تثبت أو تحر . و من نتائج ذلك أمور منها : ذلك إطلاقه ألقابا جديدة على بعض الأعلام خلافا لما إشتهروا به لدى عموم الأمة . و مثال ذلك :

قوله عن الإمام النووي (الفاضل النووي) خلافا لما إصطلح عليه العلماء ، بل هو نقل حرفي لما في كتاب "أضواء على الصحيحين " ![35]

و من ذلك أيضا إطلاق لقب المطلبي على الإمام الشافعي ، و يكفي الشافعي فخرا أنه الشافعي.

و قد نقل كلام الشافعي في فصل "كذبة الإجماع " ليوهم القارئ أن الشافعي يفضل الموطأ على صحيح البخاري .

قال : " و لنبدأ بمقولة "صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله "، فالعديد من الشيوخ يوهموننا أن جميع الفقهاء والشيوخ المتقدمين والمتأخرين يعتقدون بهذه المقولة ، والحقيقة أن هذا مجانب للواقع، حيث أن العديد من الشيوخ يرون أن الموطأ هو أصح كتاب بعد كتاب الله ويفضلونه بأشواط على صحيح البخاري ويقولون أنه لايضاهية شرفا ولا منزلة ، وهذا عند جماعة

---

[34] ص 97-98
[35] أنظر ص 147

من كبار محدثي هذه الأمة وفقهائها، حيث يرون أن موطأ الامام مالك ، أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى فهو عند هؤلاء العلماء مقدم على صحيح الإمام البخاري فما دونه.

يقول الإمام المطلبي –رحمه الله– : " ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك "، وفي لفظ : " ما على ظهر الأرض كتاب هو أقرب إلى القرآن من كتاب مالك "، وفي لفظ : " ما بعد كتاب الله أكثر صوابا من موطأ مالك " وفي لفظ : " ما بعد كتاب الله أنفع من الموطأ ".(شرح الإمام الزرقاني على الموطأ) 8/1.و (تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك) للسيوطي . المطبوع مع المدونة الكبرى ص 43." [36]

لماذا إلتجأ أيلال إلى التدليس في إسم الشافعي ؟

الإمام الشافعي هو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي، ولد في عام 150 هجري، و تتلمذ على الإمام مالك و حفظ الموطأ و هو صغير . وظل الشافعي يتتلمذ على يد الإمام مالك بن أنس – رحمه الله – حتى وفاته.

ثم رحل الشافعي إلى العراق فأخذ العلم على يد محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة وغيره، ثم ترك استقل بمذهبه المشهور . توفي رحمه الله سنة 204 بمصر .

و بالتدقيق في التواريخ يتبين أن الشافعى رحمه الله توفي سنه 204 هـ و ولد البخارى رحمه الله سنة 194 هـ ، اي حينما مات الشافعى كان عمر البخارى عشر سنين ..

و لكي يكثر أيلال من النقول عن العلماء في دحض فكرة الإجماع على أفضلية الصحيح ، وجد نقلا عن الشافعي في بيان عظيم منزلة الموطأ و أنه من أصح الكتب بعد كتاب الله . و بما أنه يعلم أن مقالة الشافعي قيلت قبل تصنيف البخاري لصحيحه ، قام بتدليس إسم الشافعي ، كي لا ينفضح إدعاؤه و تسقط دعواه .

[36] ص 131

" وأما مقالة الشافعي فكانت قبل تأليف البخاري لكتابه فالإمام قد صدر منه هذا الحكم ونزل وفق الواقع في زمانه، ولا علْم له بما سيأتي ، ولو تأخر به الزمانُ فأدرك البخاريَّ ووقف على كتابه لكان قال فيه القولَ المقبولَ المعتبر.

على أن هناك جوابا عاما يذكره كثير من العلماء عندما يعرضون للموازنة بين الصحيحين والموطأ فإنهم يقولون إن الموطأ أصح صحيحا باعتبار التقدم في الزمان والأسبقية في التأليف على ما فيه من أقوال الصحابة والتابعين وفقه ونظر الإمام مالك الذي لا ينبغي الإعراض عن ذكره، وأما الصحيحان فإنهما أصح وأولى بالتقديم لأنهما اختصا بصحيح الحديث خاصة وليس فيهما من الفقه ما في الموطأ، فلذلك كان القول المعتبر المنصور أنهما يليا القرآن الكريم في الأصحيَّة والقبول ويقدم منهما صحيح البخاري لأنه أصح صحيحا وأعلى شرطا وأدق وأضبط ويليه بعد صحيح مسلم وهو وإن كان صحيحا فالصحة درجات بعضها فوق بعض وهو يقع فيها ثانيا بعد صحيح البخاري.[37]

[37] المعركة تحت راية البخاري الحلقة 23

أولا : الاسناد خصيصة للمسلمين :

اختص الله هذه الأمة بأن وفقها لحفظ كتاب ربها وصيانة حديث نبيها. ولقد سخر الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة من حفظ سنة نبيها الاكرم من الخلط أو الدس فيه أو الكذب عليه، وبذلك تم حفظ الدين الإسلامي من التحريف والتبديل بحفظ مصدريه الرئيسين القرآن والسنة. و قد اتبع علماء المسلمين منهجا من أدق المناهج العلمية لتوثيق الاحاديث المروية وتمحيصها. و بذلك ظهر علم مصطلح الحديث الذي حوى خلاصة القواعد العلمية الواجب اتباعها لمعرفة احوال السند و المتن .

ومعلوم أن السند هو سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث واحداً عن الآخر حتى يبلغوا به إلى قائله. والبحث في السند دعامة أساسية في علوم الحديث، وفي التوصل إلى هدفه الأسمى والغرض المطلوب منه، وهو تمييز الحديث المقبول من المردود. لذلك عني المحدثون بتحقيق الأسانيد والبحث فيها، لما أنه كثيراً ما يتوصل عن طريق السند إلى نقد للمتن لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق البحث في السند.

قال ابن المبارك : " الإسناد عندي من الدين ، لولا الإسناد لذهب الدين ولقال من شاء ما شاء".

و كلام العلماء في وجوب التثبت من رواة السند معروفة و مشهورة . و من هذه الأقوال ما نقله إلينا الإمام مسلم رحمه الله فى مقدمة صحيحه قال : " حدثني محمد بن عبد الله بن قهزاذ من أهل مرو قال سمعت عبدان بن عثمان يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول : الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" .

و قال محمد بن عبد الله حدثني العباس بن أبي رزمة قال سمعت عبد الله يقول : "بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد" .

و قال محمد سمعت أبا إسحق إبراهيم بن عيسى الطالقاني قال قلت لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن الحديث الذي جاء : "إن من البر بعد البر أن تصلي لأبويك مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك" قال : فقال عبد الله : يا أبا إسحق عمن هذا ؟ قال : قلت له : هذا من حديث شهاب بن خراش ، فقال : ثقة ، عمن قال ؟ قلت : عن الحجاج بن دينار ، قال : ثقة عمن قال ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا أبا إسحق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي صلى الله عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي ولكن ليس في الصدقة اختلاف ".

وفى كتاب التعديل والتجريح للباجى [1] : عن محمد يعني بن سيرين أنه قال : "إن هذا الحديث دين فانظروا عن من تأخذونه".... وكان بهز بن أسد يقول إذا ذكر له الإسناد الصحيح : "هذه شهادة العدول المرضيين بعضهم على بعض " و إذا ذكر له الإسناد و فيه شيء قال : "هذا فيه عهدة ويقول لو أن رجلا ادعى على رجل عشرة دراهم لم يستطع أخذها إلا بشهادة العدول فدين الله أحق أن يؤخذ فيه بالعدول" .

وقال عبدة بن سليمان قيل لابن المبارك في هذه الأحاديث الموضوعة قال : "يعيش لها الجهابذة ".

وقال الأوزاعي سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول : "إذا سمعت الحديث فأنشده كما تنشد الضالة فإن عرفت فخذه وإلا فدعه ".

وقال ابن عون : "لا يؤخذ هذا العلم إلا عن من شهد له بالطلب".

وروى المغيرة عن إبراهيم قال : كانوا إذا أرادوا أن يأخذوا عن الرجل نظروا إلى صلاته وإلى هيئته و إلى سمته .

وقال عبد الرحمن بن مهدي قال شعبة : "كنت أنظر إلى فم قتادة فإذا قال حدثنا كتبنا عنه فوقفته عليه وإذا لم يقل حدثنا لم أكتب عنه ".

قال عبد الرحمن بن مهدي : "خصلتان لا يستقيم فيهما حسن الظن : الحكم والحديث" يعني لا يستعمل حسن الظن في قبول الرواية عمن ليس بمرضي) .

وفى كتاب : المقصد الأرشد فى ذكر أصحاب الإمام أحمد قال : (نقل عن إمامنا أشياء منها قال سمعت أحمد بن حنبل يقول : الإسناد من الدين)[2]

وفى تدريب الراوى للسيوطى[3]: (الإسناد في أصله خصيصة فاضلة لهذه الأمة ليست لغيرها من الأمم ، قال ابن حزم : " نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الإتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود لكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد صلى الله عليه وسلم بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين

---

1 جزء1/ 291

2 150/3

3 160-159/2

عصرا وإنما يبلغون إلى شمعون ونحوه قال : وأما الأنصاري فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى .... ولا يمكن النصاري أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص " . و قال أبو علي الجياني : "خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها الإسناد والأنساب والإعراب". ومن أدلة ذلك ما رواه الحاكم وغيره عن مطر الوراق في قوله تعالى : {أو أثارة من علم } ، قال : "إسناد الحديث". و قال سفيان بن عيينة حدث الزهري يوما بحديث فقلت : هاته بلا إسناد فقال الزهري : " أترقى السطح بلا سلم !" . و قال الثوري : " الإسناد سلاح المؤمن وطلب العلو فيه سنة " . قال أحمد بن حنبل :" طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف لأن أصحاب عبد الله كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة فيتعلمون من عمر ويسمعون منه ". و قال محمد بن أسلم الطوسي : " قرب الإسناد قرب أو قربة إلى الله ولهذا أُستحبت الرحلة ".

ثانيا : التعريف بأحمد صبحي منصور :

هو المدير السابق لرواق ابن خلدون والمستشار الإسلامي السابق لمركز ابن خلدون !!

و هو مركز اقامته المخابرات الاميركية في القاهرة , وتموله بالملايين , ليكون احد المراكز العربية اسما , والتي تدعو الى المشروع الاميركي لاصلاح دين الشرق الاوسط – مشروع الشرق الاوسط الكبير – الذي يريد تخريب الاسلام بدعوى اصلاح الاسلام واصلاح المسلمين، وذلك بالدعوة الى "عقيدة الكهنوت" التى يرفضها الإسلام . ويدعو الازهر الشريف الى مواجهة اعضاء هذا المركز بقوة لأنّ ما يفعلوه (وصمة عار ونكبة يجب أن يتداركها المجتمع والمسلمون) ويطالب بقوة (بمنع هذه المهاترات) و (ضرورة ايقاف مركز ابن خلدون لدورها التخريبي فى المجتمع المصري) وأنه (يجب محاكمته). ويقول الأزهر " ان توصية المركز بتنقية التراث الديني ، لا سيما ما يتعلق بالحديث النبوي والسنة واعتماد النص القرآني مرجعية حاكمة وحيدة هى دعوة صريحة لإغفال مصدر رئيسي فى الاسلام وهو السنة النبوية " .

ومقال أحمد صبحي منصور هو نسخة طبق الاصل عن تعليقه على هجوم الازهر على مركز ابن خلدون الاميركي – الصهيوني .

و هذه بعض أفكاره :

1- القرآن مرجعية حاكمة وحيدة .

2- لا يعتبر السنة النبوية من مصادر التشريع فى الإسلام. و يهاجم التراث والأحاديث والسنن .

3- يقول ان البخاري يحوي فى داخله أفظع الاتهامات للنبي عليه السلام ،ولدين الاسلام العظيم وتشريعاته ، وكل ذلك كنا قد أوضحناه فى كتاب لنا بعنوان "القرآن وكفى مصدرا للتشريع" أثبتنا فى الفصل الأول أن القرآن وحده هو المصدر التشريعي للإسلام وفى الفصل الثاني عرضنا أحاديث البخاري التي تطعن فى النبي وفى الاسلام وتشريعاته ، وقد أبى الناشر إلا أن يغير عنوان الكتاب فجعله "القرآن لماذا" وإلا أن يغير اسم المؤلف ، فجعل اسمه د. عبد الله الخليفة ، ومع ذلك فقد صودر الكتاب من المطابع سنة 1991.

4- ويقول : ان عصرنا ، عصر الانترنت الذين يضعون المتاريس أمام حركة العقل والفكر ، ونذكر بأن مشروع اصلاح التعليم الديني فى مصر ، الذى بدأه مركز ابن خلدون وكان لى شرف وضع مناهجه الدينية وتزعم الأزهر الحملة ضده ، حتى أسقط سنة 1999 ، هذا المشروع هو الذى نبه العالم الى خطورة الفكر المتعصب وأصبح ذلك المشروع مطلبا عالميا وتمخض عنه رغبة العالم فى اصلاح الشرق الأوسط سياسيا ودينيا من الداخل ، وقام مركز ابن خلدون ببحث الاصلاح ، اصلاح المسلمين بالاسلام ومن الداخل وبعرض التراث على القرآن . وقبلها سنة 1982 فى خاتمة كتابي "السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة" تنبأت بأن الصدام سيحدث بين الشباب المتدين والسلطة المصرية إذا لم يتم تنقية التراث من تلك الأحاديث الكاذبة. وأنا الآن فى غربتي عن بلدي الحبيب مصري أخشى إننا إن لم نصلح أمرنا بأيدينا فسيأتي الدمار. "

5- انتشار الإسلام عن طريق القتال .

6- دفاعه المستميت عن فرقة المعتزلة , ومدحه للجاحظ المعتزلي , و السبب في ذلك أن المعتزلة تقول بالفكر الحر , و لذلك هو يدعو لاحياء الفكر المعتزلي .

7- الاسناد اوجد خصومة مستحكمة بين المسلمين والتعقل، و يناقض المنهج القرآنى و العلمي.

وأنه بسببه تم نسب تشريعات للنبي تخالف القران مثل الرجم وحد الرده والحسبة .

8- الحديث المنسوب للنبى قائم على الشك

9- سنة النبى هى فى تطبيق القرآن وفق ظروف عصره .

10- احاديث الترغيب والترهيب أفسدت اخلاق المسلمين .

ثالثا : قصة العتابي .. أسطورة و خرافة !!

القصة من مصدرها تقول : حدث عثمان الوراق قال : رأيت العتابي الشاعر العباسي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام فقلت له : ويحك ، أما تستحي ؟ فقال لي : أرأيت لو كنا في دار فيها بقر ، كنت تستحي أن تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا . قال : فإصبر حتى أعلمك أنهم بقر . فقام فوعظ وقص ودعا ، حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال لهم : روي لنا غير واحد ، أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار . فما بقي واحد إلا وأخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه ويقدره حتى يبلغ أم لا ، فلما تفرقوا ، قال لي العتابي: ألم أخبرك أنهم بقر ؟!!

فلنر كيف جاءت هذه القصة بنص هذا الكاتب ؟ قال : ثم صعد الى الربوة ونادى فى الناس"يا قوم هلموا أحدثكم عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، ،واقبل يحدثهم يقول:روى فلان عن فلان عن فلان ان رسول الله.(صلى الله عليه وسلم)قال.وظل يخرج من حديث الى أخر وقد تعلقت به العقول والقلوب والعيون،وسيطر على المستمعين ، ،الى أن قال لهم ...وروى غير واحد(اى أكثر من واحد)أنه صلى الله عليه وسلم قال :اذا بلغ لسان احدكم ارنبة انفه دخل الجنة))وسكت... فاذا بكل واحد من المستمعين يخرج لسانه يحاول ان يصل به الىٍ أرنبة انفه،واصبح منظرهم جميعا مضحكا،فالتفت العتابى الى صديقه ساخرا وقال:ألم اقل لك انهم بقر؟

نلاحظ أن الكاتب لم يلتزم المنهجية العلمية في نقل النصوص دون تحريف أو تلاعب .. بل قد أضاف اليه كلاما من مخيلته فيه سخرية ولمز باطن للحديث و رواته ، و يصور المسلمين في صورة نمطية تحوي ألوان التخلف و الجهل و الغباء ..

فالكاتب لا المنهجية العلمية التزم ، و لا بنصوص القرآن الكريم اهتدى ، فتثبت من الرواية قبل السخرية و الثلب في أعراض المسلمين .

من هو الشاعر العتابي ؟

اسمه كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي التغلبي والعتابي نسبة إلى جده الأعلى مالك بن عتاب... من تغلب أبو عمرو , الشاعر العباسي المشهور الأديب والكاتب البليغ، له براعة في الأسلوب ونظم الكلام.

كان أصله من قنسرين وقدم بغداد وأقام بها وصحب البرامكة ثم طاهر ابن الحسين وكان منقطعًا إلى البرامكة ووصفوه للرشيد فقربه وأعلى منزلته ومدح الرشيد ثم أولاده الخلفاء من بعده وكان يتزهد ويلبس الصوف. واشتهر في رسائله بحسن الاعتذار . من تصانيفه: كتاب المنطق، كتاب الآداب، كتاب فنون الحكم، كتاب الألفاظ، كتاب الخيل، وغيرهم. توفي عام 202 هـ رحمه الله .

ذكر أن الخليفة العباسي المأمون قد جمع بين كلثوم بن عمرو العتابي وابن فروة النصراني وقال لهما : تكلما وأوجزا ، فقال العتابي لابن فروة : ما تقول في عيسى المسيح ؟

قال ابن فروة: أقول أنه من الله .

قال العتابي: صدقت ولكن ؛ (من) تقع على أربع جهات لا خامس لها :

1. من كالبعض من الكل على سبيل التجزيء.

2. أو كالوليد من الوالد على سبيل التناسل .

3. أو كالخل من الخمر على سبيل الاستحالة(التحول)

4. أو كالصنعة من الصانع على سبيل الخلق من الخالق . أم عندك شيء تذكره غير ذلك ؟

قال ابن فروة : لا بد أن تكون هذه الوجوه ، فما أنت تجيبني إن تقلدت مقالةً منها ؟

قال العتابي: إن قلت على سبيل التجزيء كفرت ، وإن قلت على سبيل التناسل كفرت ، وإن قلت على سبيل الفعل كالصنعة من الصانع (المخلوق من الخالق)فقد أصبت .

فقال ابن فروة : فما تركت لي قولا أقوله ..وانقطع .[4]

ويقول العتابي في شعره :

حتى متى أنا في حلٍ وترحالِ وطول شُغلٍ بإدبارٍ وإقبال

ونازح الدار ما انفك مغترباً عن الأحبة ما يدرون ما حلي

---

[4] "انظر عيون المناظرات ص248، وانظر الحوار الإسلامي المسيحي .بسام داوود العجك .ص175-176."

بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها لا يخطر الموت من حِرصٍ على بالي

ولو قنعتُ أتاني الرزق في دعةٍ إن القنوع الغنى لا كثرةُ المالِ

من اقوال العتابي– رحمه الله– : " من قرض شعرا أو وضع كتابا فقد استهدف للخصوم ، واستشرف للألسن ، إلا من نظر فيه بعين العدل وحكم فيه بغير الهوى "

هذا هو العتابى الذي ينسب له الكاتب هذه القصة !

رابعا : من أين أخذ الكاتب خرافته ؟

القصة أوردها الأصفهاني في كتاب الأغاني مؤداها أن "العتابي" نهره صاحبه عثمان الوراق عندما أكل الخبز في الطريق وأنّبه "ويحك أما تستحي أرأيت لو كنا في دار فيه بقر كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ، فقال له : لا.. عندئذ قام العتابي ووعظ وقص حتى كثر الزحام عليه فقال لهم : روي لنا عن غير واحد انه من بلغ لسانه أرنبة انفه لم يدخل النار فما بقي أحد إلا واخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة انفه ويقدر حتى يبلغها أم لا ، فلما تفرقوا قال العتابي ألم أخبرك بأنهم بقر .

فالكاتب العقلاني الذي يطعن في علماء الحديثو يسمهم بالتقليد و اجترار كلام شيوخهم دون رواية أو دراية ، يقع في ما استهجن فيتبنى قصة دون تثبت أو دراسة .. ومن أراد الرد على المحدثين وجب عليه أن يستدل من مصادرهم الحديث المعتمدة لا تبني قصة مكذوبة من كتب الأدب و السمر !!

و كتاب الاغاني حذر منه جل علماء المسلمين ولا يعتمدون على ما فيه , بسبب ما ينتحل فيه من اخبار وروايات , وبدون ذكر سند صحيح لها ,ولذلك وطبيعي ان يهاجم الكاتب , الاسناد , لان الاسناد يمنعه من نسب الاقوال والاخبار بدون ذكر دليلها وسندها .

اما كاتب هذا المقال فيعلق على هذه القصة بعد ان نقلها , فيقول :

ما الذى جعل عقول أولئك الناس تغيب حتى تتدلى السنتهم وهم سكارى غائبون عن الوعى؟ انه التصديق، التصديق والايمان بأن مايقوله العتابى قد قاله النبى(صلى الله عليه وسلم) فعلا. وما الذى

جعلهم يؤمنون ويصدقون بأن النبى (صلى الله عليه وسلم)قد قال ذلك الكلام...انه الاسناد اى اسناد أو نسب ذلك الكلام للنبي(صلى الله عليه وسلم) عبر العنعنة ، اى قال حدثنى فلان عن فلان عن فلان...الخ..ان النبى (صلى الله عليه وسلم) قال . وهذا معنى الاسناد ، وهذه هى خطورته على العقل .

نقول : صدقت الاسناد خطر على العقل العلماني المصادم للوحيين .. الرافض للسنة و مروياتها . و لانه المانع من التلاعب في الالفاظ والنصوص , بقصد تحويرها وقلب او الغاء مفاهيمها , فانه اذا زال هذا المانع , او اهتز الايمان بضرورة وجوده للتحقق من الاخبار والروايات , صار الباب , بل صار الحصن الاسلامي , مفتوحا لكل من يريد , ليقول ما يريد بما تهواه الانفس المريضة والمنقادة الى التغريب الفكري والسياسي والفقهي والتشريعي والاقتصادي والاجتماعي ...

خامسا : إدعاء أيلال أن الحديث المنسوب للنبى قائم على الشك .

قال أيلال : (إن نسبة حديث للرسول صلى الله عليه و سلم قائمة بالأساس على الشك الكبير ، لذلك فور أن يقول لك قائل حديثا للرسول فإنك ستسأله مباشرة عن إسناد الحديث " العنعنة " و من هنا تم اختراع الإسناد المتشكل من مجموعة من الرواة يسمونهم رجال الحديث ...)[5]

و هذا الكلام مأخوذ من مقال أستاذه أحمد منصور الذي قال تحت تبويب : " الاسناد قضية علمية : .. هذا هو الفرق بين القرآن وأحاديث التراث . فالقرآن قائم على اساس الايمان ،اما الحديث المنسوب للنبى فهو قائم على الشك .ولعلاج هذا الشك اخترعوا الاسناد لإثبات أن النبي قال ذلك الحديث ، اذا كان الاسناد صحيحا ، أو اذا كان الإسناد ضعيفا ."

و الذي قام به أحمد منصور منهج علماني معروف للتشكيك بالحديث النبوي الشريف ، بحيث يبدأ العلماني الطعن بالتشكيك في الاحاديث وصحتها وصحة طريق وصولها الينا , ويقارن بينها وبين القران , لزيادة التشكيك بها , و ليهز ثقة القارئ البسيط بثبوت السنة و متانة حفظها ، ليخلص في الأخير الى عدم حجيتها أو التحاكم اليها ، وبالتالي العمل على هدم هذا الصرح العلمي والتشريعي الكبير والواسع , وكأنه لا يعلم ان التواتر شرط للعلم اليقيني , وان خبر الاحاد شرط للعلم , ومتى ثبتت صحة السند , كان العمل بما جاء في المتن واجبا متى سلم من الشذوذ و العلة , ياثم تاركه فعلا , ولا تنفع معه هذه التبريرات اللا شرعية واللا عقلية .

---

[5] ص 49-50

أما قوله بأنهم إختلقوا السند لترويج الأحاديث ، فهذا من فتوحات أسطورته و خرافة تفكيره .. و قد جهل هذا الامعة , ان هناك علما ومنهجا كاملا شاملا يتعلق بالسنة النبوية و تاريخ تدوينها ، ألفت فيه الكتب و الدواوين ، بين فيه العلماء كيف نقل المسلمون حديث نبيهم الكريم جيلا بعد جيل ابتداءا من عصر الصحابة الكرام العدول المعدلين بشهادة ربهم الى عصر التدوين مرورا بعصر الكتابة و الحفظ . كما درسوا ظاهرة الكذب في الحديث و كشفوا عن الرواة المتهمين بالكذب و فرزوا مروياتهم و نخلوها تنخيلا ، و بينوا سبب وجوب الرواية بالسند و لماذا لم يقبلوا الحديث الذي لا خطام له .. فكان على الكاتب الأسطورة أن يراجع و يدرس تاريخ السنة النبوية قبل أن يلج هذا المعترك الذي ليس من فرسانه

سادسا : إختلاف العلماء في الجرح و التعديل

-1- نقل أيلال كلام أستاذه و مما جاء فيه : اختلف علماء الجرح والتعديل فى مدح راو او تجريحه، وفى اثبات حديث ما او نفيه ، فالامام مسلم فى صحيحه لم يكتف بما قاله البخارى استاذه و لم يأخذ بكل أحاديثه ولم يترك ما تركه البخارى من احاديث ، فجاء صحيح مسلم مختلفا عن صحيح البخارى ، ثم جاء الحاكم فأستدرك على البخارى ومسلم ... اذ هى امور ظنية بحثية انسانية وليست امور العقيدة والدين ."

قال ابن القيم رادا هذه الفرية : " وربما يظن الغالط الذي ليس له ذوق القوم ونقدهم أن هذا تناقض منهم فإنهم يحتجون بالرجل ويوثقونه في موضع ثم يضعفونه بعينه ولا يحتجون به في موضع آخر ويقولون إن كان ثقة وجب قبول روايته جملة وإن لم يكن ثقة وجب ترك الاحتجاج به جملة ، و هذه طريقة قاصري العلم وهي طريقةفاسدة مجمع بين أهل الحديث على فسادها فإنهم يحتجون من حديث الرجل بما تابعه غيره عليه وقامت شهوده من طرق ومتون أخرى ويتركون حديثه بعينه إذا روى ما يخالف الناس أو انفرد عنهم بما لا يتابعونه عليه إذ الغلط في موضع لا يوجب الغلط في كل موضع والإصابة في بعض الحديث او في غالبه لا توجب العصمة من الخطأ في بعضه ولا سيما إذا علم من مثل هذا أغلاط عديده ثم روى ما يخالف الناس ولا يتابعونه عليه فإنه يغلب على الظن أو يجزم بغلطه " .[6]

-2- و قال أيضا : " ان علم الرجال انصب على دراسة رجال الحديث دون الشطر في المتن – و هو الأهم – فبدأوا يجرحون على هواهم ، متأثرين بالعصبية المذهبية و الشائعات "

---

[6] الفروسية 240

و هذه الفرية استلها من مقال صاحبه أحمد منصور كذلك ، و هي فرية قديمة حديثة ، أبطلها المحققون من فرسان المحدثين . و بما أن الكاتب يجادل في علمية الحديث ووجود " القاعدة" فيه ، فإنه يحاول جاهدا إثبات عدم وجود قاعدة ثابتة يرتكز عليها علماء الجرح و التعديل في توثيق الرجال أو جرحهم .. و من أجل ذلك اتكأ على ما قاله قبله أحمد منصور و خلص الى أن التجريح والتعديل " تختلف فيه الآراء وتتحكم فيه الأهواء".

و بما أنه أساء فهما فأساء قالةً فإننا مضطرين الى إعادة القول في مسائل واضحة و بديهية لدى صغار طلبة الحديث النبوي الشريف ، تبين أن الجهول المتعالم ما كحلت عيناه بقراءتها .

أولا : لا يوجد رواة في تاريخ نقلة الحديث وقع الاختلاف فيهم بين معدل يقول فيه كذاب، وآخر يقول فيه ثقة على الحقيقة، وقصارى ما أنت واجد في هذا الباب، أن يكون الرجل عدلا ثقة مائة في المائة عند عالم، فيأتي عالم آخر فيقف له على أوهام فيُنزل منزلته من الوثاقة إلى الضعف الذي لايكون شديدا بحيث يخرج الرجل عن دائرة الثقة بكل معانيها من الصدق والضبط..ولهذا قال الذهبي وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال:" لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف ولا على تضعيف ثقة".[7]

ثانيا: أهل الحديث قعَّدوا قواعدهم انطلاقا من تصرفات أئمة هذا الشأن المستنبطة من القرآن الكريم في بيان منهج التثبت في النقل ، والاستيثاق في الرواية ، وقالوا إن مدار الرواية على الصدق ، فحيثما وُجد قُبل الراوي ولو كان صاحب هوى بمعنى نحلة خاصة ، ولذلك قبل الأغلب الأعم من علماء هذا الشأن الخوارج قالوا لأنهم لا يستجيزون الكذب في الرواية فعدوهم من أصدق الملل لسانا ورواية وحديثا، فمناط قَبول أو رفض الراوي ليس على الأهواء كما ادعى الكاتب بل المناطُ والمتعلَّق الصدقُ ، وهو السبب في التعديل والتزكية ، كما أنه السبب في التصحيح والقَبول ، وهذه معاني دقيقة ومسالك وعرة لا يترقى فهم الكاتب إلى العلم بها وإن حصَّل فيها أعلى الشهادات و وصل فيها إلى أرقى الغايات ، إذ من سُلب فقد سُلب...نقصد من سلب نعمة الغوص في هذا العلم الشريف فلقد سلب خيرا كثيرا ، ومن قرأ هذا العلم هوايةً أو تعاطيا من غير شيخ موجِّه ، أو معلم هادٍ ، أو قرأه عرَضاً باحثا عن الثغرات ، كاشفا كما قد يخيل إليه عن المعايب لم يرزق فهمه وصارت محاسنه مثالب، وإيجابياته قوادح...

[7] انظر الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للكنوي الهندي ص291

ثالثا : تثبت أهل هذا الشأن في الرجل المختلَف فيه فقالوا وهو القول المنصور لا نقبل الجرح فيه إلا أن يكون مفسَّرا بمعنى أن يوضِّح الجارح لمَ تركه وأسقط روايته ، فيُنظر في التفسير ألهُ تعلق بالرواية أم لا؟ فإن كان لا تعلق له بالنقل قُبل قول من عدَّله وقدِّم على قول من جرحه، لأن مدار هذا الشأن كما مر قريبا على صدق الراوي، فإذا تحقق ذلك لا يُلتفت إلى أمر قادح في الراوي غيره..

رابعا : ليس يوجد رواة كثيرون في تاريخ نقلة الحديث النبوي اختلف فيهم، فهم معروفون معلومون، قد أحصاهم علماء هذا الفن وخلصوا فيهم إلى نتائج فاتت الكاتبَ المسكينَ، وانتهى البحثُ الحديثي من هذه المسألة من زمان وصارت لنا كتب معتمدة لا يحبها الكاتب – وهي التي يحاربها– لا يوجد فيها إلا الحديث الصحيح والرجلُ الثقة العدل الذي يروي الصحيح...[8]

خامسا : لقد نص علماء الحديث على صفات معينة متى توفرت تلك الصفات في شخص معين قبلت روايته واحتج بحديثه.

قال ابن الصلاح – رحمه الله: "وأجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه. وتفصيله أن يكون مسلما بالغا عاقلا، سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة، متيقظا غير مغفل، حافظا إن حدث من حفظه، ضابطا لكتابه إن حدث من كتابه. وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالما بما يحيل المعاني".

فهذا هو الثقة الذي تقبل روايته وهو الذي جمع بين شرطي العدالة والضبط.

و يوثق الراوي إذا ثبتت عدالته بالاستفاضة، أو باشتهاره بين أهل العلم بالثناء والخير، أو بتعديل عالم أو أكثر، وثبت ضبطه بموافقة روايته للثقات المتقنين في الغالب.

ويقبل تعديل الراوي ولو لم يذكر سببه وذلك لكثرة أسباب التعديل ومشقة ذكرها.

وأما جرحه فلا يقبل إلا إذا بين سببه؛ لأن الجرح يحصل بأمر واحد، ولا مشقة في ذكره، إضافة إلى اختلاف الناس في أسبابه.

سادسا : إذا تعارض جرح وتعديل في راو معين قدم الجرح إذا كان مفسرا ولو زاد عدد المعدلين، وعلى ذلك جمهور العلماء؛ لأن مع الجارح زيادة علم خفيت عن المعدل، فالمعدل يخبر عن ظاهر حال الراوي،

8 المعركة تحت راية البخاري

والمجروح يخبر عن أمر باطن، وهذا شرط مهم؛ فإنهم لم يقبلوا الجرح إذا تعارض مع التعديل إلا إذا كان مفسرا، وهذا ما استقر عليه الاصطلاح.

يقول الدكتور نور الدين عتر: "لكن هذه القاعدة ليست على إطلاقها في تقديم الجرح، فقد وجدناهم يقدمون التعديل على الجرح في مواطن كثيرة، ويمكننا أن نقول: إن القاعدة مقيدة بالشروط الآتية:

1. أن يكون الجرح مفسرا، مستوفيا لسائر الشروط.

2. ألا يكون الجارح متعصبا على المجروح أو متعنتا في جرحه

3. أن يبين المعدل أن الجرح مدفوع عن الراوي، ويثبت ذلك بالدليل الصحيح.

وهذا يدل على أن اختلاف ملحظ النقاد يؤدي إلى اختلافهم في الجرح والتعديل، لذلك قال الذهبي وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال: "لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف ولا على تضعيف ثقة". وهذا؛ لأن الثقة إذا ضعف يكون ذلك بالنظر لسبب غير قادح، والضعيف إذا وثق يكون توثيقه من الأخذ بمجرد الظاهر.

وقال الحافظ ابن حجر: "والجرح مقدم على التعديل، وأطلق ذلك جماعة ولكن محله إن صدر مبينا من عارف بأسبابه؛ لأنه إن كان غير مفسر لم يقدم فيمن ثبتت عدالته، وإن صدر من غير عارف بالأسباب لم يعتبر به أيضا، فإن خلا المجروح عن تعديل قُبل الجرح فيه مجملا غير مبين السبب إذا صدر من عارف على المختار؛ لأنه إذا لم يكن فيه تعديل فهو في حيز المجهول، وإعمال قول المجروح أولى من إهماله".

سابعا : يجب أن يراعى عند الاختلاف حال المعدل والمجرح؛ لأن ذلك من القرائن التي يرجح بها عند الاختلاف في التوثيق والتضعيف.

قال الإمام الذهبي مبينا أقسام المتكلمين في الرجال من حيث التعنت والتوسط والاعتدال في الجرح والتعديل:

1. قسم منهم متعنت في الجرح، متثبت في التعديل، يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث، ويلين بذلك حديثه، وهذا إذا وثق شخصا فعض على قوله بنواجذك، وتمسك بتوثيقه، وإذا ضعف رجلا فانظر هل وافقه غيره على تضعيفه، فإن وافقه، ولم يوثق ذاك أحد من الحذاق، فهو ضعيف، وإن وثقه أحد فهذا الذي قالوا فيه: لا يقبل تجريحه إلا مفسرا، يعني لا يكفي أن يقول فيه ابن معين مثلا: هو ضعيف، ولم

يوضح سبب ضعفه، وغيره قد وثقه، فمثل هذا يتوقف في تصحيح حديثه، وهو إلى الحسن أقرب. وابن معين وأبو حاتم والجوزجاني متعنتون.

2. وقسم في مقابلة هؤلاء، كأبي عيسى الترمذي، وأبي عبد الله الحاكم، وأبي بكر البيهقي: متساهلون.

3. وقسم كالبخاري، وأحمد بن حنبل، وأبي زرعة، وابن عدي: معتدلون منصفون.

وبعد فعلماء الحديث لم ينطلقوا في توثيقهم وتجريحهم، وتصحيحهم وتضعيفهم من خواء وتخبط، وإنما انطلقوا من قواعد متينة وأرض صلبة، في أحكامهم؛ ولذلك برزت هذه الأحكام إلى الوجود في منتهى الدقة، متفقة فيما بينها، متحدة لا شذوذ فيها، منسجمة لا تباين يعتريها، ويعجز كل دعي أن ينقد ما أصلوه بنقد علمي لا مطعن فيه، وبحكم لا قادح فيه.

سابعا : قوله : " لنفترض مثلا أن مسلما روى في صحيحه ..."

كلام حشو مليء بالمغالطات و الأراجيف و كل من درس علم الحديث يقف على سخافة هذا الكلام المصادم للحقائق العلمية المثبتة في مصنفات أهل هذا الشأن .

ثم إن كلامه هذا منقول من مقال أستاذه احمد منصور مع وضع لإسم الإمام مسلم بدل الإمام البخاري ! و مجمل شبهته : أن مسلما لم يلتق بالرواة الأخرين الذي حدث عنهم شيخه و شيخ شيخه و هكذا .. و بالتالي تساءل الجهول كيف أمكن مسلما تصديقهم و إثبات صدق روايتهم و أنهم رووا هذا الحديث ، مع أنه لم يلتق بهم و لم يخبر أحوالهم بنفسه ؟ ليخلص في الأخير أن علم الرجال " خرافة و أكذوبة ، لا علاقة لها بالمنطق و العقل و بالمنهج العلمي الراجح !

و هذه جسارة من هذا الجهول أن يسم هذا العلم بالخرافة و الأكذوبة ..الخ ، و فيه طعن بأسياد الصنعة و نبغاء الأمة من المحدثين أمثال الإمام مالك و الشافعي و أحمد و البخاري و مسلم و شعبة و ابن ابي حاتم و الدارقطني و الذهبي و ابن حجر و النويي و غيرهم من فضلاء و علماء الأمة قديما و حديثا أنهم خرافيون يصدقون الخرافات و يروجون الأكاذيب .. لا منهج عندهم صائب يتبعونه و لا منطق او عقل يحتكمون اليه ..

و نكرر لو قرأ الجهول "الذي تزبب قبل أن يتحصرم "كتابا في علم الحديث لما فاه بهذا البهتان العظيم.

ثامنا : قوله : علم الرجال أكذوبة تاريخية تم التهويل بشأنها من أجل نسبة أحاديث للرسول هو بريء من أغلبها .

و هذا الكلام قاله قبله عماد حسن في مقاله " خرافة علم الرجال " حيث صرح قائلا :(.. وفي حقيقة الامر فإن ما يسمى بعلم الرجال والجرح والتعديل هو اكبر اكذوبة في تاريخ الاديان في العالم.)

فما كان من أيلال إلا أن سرقها كأنها من بنات أفكاره .و لست أجد قولا أشد دلالة على ضحالة عقل الكاتب و سيطرة الفكر الأسطوري و الخرافي عليه من هذا الذي خطته أنامله ..سبحان ربي هذا بهتان عظيم .. كيف أمكنه أن يصف أحد مفاخر علماء المسلمين و أحسن ما أبدعه العقل الإسلامي بالأكذوبة ؟ و قد اعترف كبار كبار المؤرخين غير المسلمين مثل أسد رستم في كتابه "مصطلح التاريخ"، و غيره بعلمية و ابداع المسلمين لهذا الفن العزيز . و أنه دليل قوي على عقل توثيقي راق عند المسلمين .

تاسعا : قوله : علم الرجال يعني ببساطة أن المحدثين يستدلون على الحقيقة بالرجال و يهتمون بمن قال أكثر مما قال ."

وهي عبارة بالنص أخذها بلا عزو عن صاحب كتاب "جناية البخاري" ص:19. و الذي سرق منه كذلك قولة : أن "علم الحديث سبب في تخلف الأمة وتعلقها بالخرافات. ص:26 من كتاب الجناية.

و قد تبين مما أوردنا سابقا تهافت طرحه و هزالة استدلالاته.

عاشرا : القول بعدم علمية (علم الجرح و التعديل)

إنما يصدر هذا الكلام عن الجهال ، الذين لا إطلاع لهم على منهج المحدثين في توثيق الراوي أو تجريحه ، و أن أقوالهم صادرة عن البحث و الإجتهاد لا التقليد .

و على أيلال أن يجيب على أسئلة جوهرية إن كان إعتراضه سليما و مبنيا على استقراء علمي لجهود المحدثين . ما هو الأسلوب العلمي الذي يرضاه ؟ و ما هي الوسيلة العلمية التي نعلم بها هل قال النبي لى الله عليه وسلم ذلك فعلا أم لا ؟ . و مادا كان على المحدثين أن يفعلوه ، و لم يفعلوه ، و لو فعلوه لقال أنهم استخدموا منهجا علميا ؟

وهل من العلمية أن يحاكم الحديث الى عقوله و ذوقه ، فما استحسنه عقله فهو الصحيح و ما استنكره فهو الموضوع المختلق ؟ و بالتالي تختلف عقول الناس و أذواقهم ، مما يترتب عليه اختلاف أحكامهم و تأثرها بالثقافة و الزمن و المكان .

قال الامام الباجي في بيان أصول الجرح و التعديل و منهج العلمي الذي اتبعه المحدثون فيه : " سأقدم بين يدي ذلك أبوابا ومقدمات تعلم بها منهج معرفة الجرح والتعديل فقد رأيت كثيرا ممن لا علم له بهذا الباب يعتقد أن هذا من جهة التقليد وأنه لا يدرك بالنظر والاجتهاد وأذكر بعد ذلك شيئا مما يتوصل به إلى معرفة الصحيح من السقيم إذ هو المقصود بعلم الجرح والتعديل .. حوال المحدثين في الجرح والتعديل مما يدرك بالاجتهاد ويعلم بضرب من النظر ووجه ذلك أن الإنسان إذا جالس الرجل وتكررت محادثته له وإخباره إياه بمثل ما يخبر ناس عن المعاني التي يخبر عنها تحقق صدقة وحكم بتصديقه فإن اتفق له أن يخبر في يوم من الأيام أو وقت من الأوقات بخلاف ما يخبر الناس عن ذلك المعنى أو بخلاف ما علم منه المخبر أعتقد فيه الوهم والغلط ولم يخرجه ذلك عنده عن رتبة الصدق الذي ثبت من حاله وعهد من خبره وإذا أكثرت مجالسة آخر وكثرت محادثته لك فلا يكاد أن يخبرك بشيء إلا ويخبرك أهل الثقة والعدالة عن ذلك المعنى بخلاف ما أخبرك به غلب على ظنك كثرة غلطه وقلة استثباته واضطراب أقواله وقلة صدقه ثم بعد ذلك قد يتبين لك من حاله العمد أو الغلط وبحسب ذلك تحكم في أمره فمن كان في أحد هذين الطرفين لا يختلف في جرحه أو تعديله وممن كان بين الأمرين مثل أن يوجد منه الخطأ والإصابة وقع الترجح فيه وعلى حسب قلة أحد الأمرين منه وكثرته يكون الحكم فيه فكذلك المحدث إذا حدثك عن الزهري مثل زمعة بن صالح بن الأخضر أو محمد بن إسحاق وحدثك عنه بذلك الحديث مالك وعبيد الله بن عمر ومعمر وسفيان بن عيينة ومن أشبههم من الأيمة الحفاظ المتقنين الذين علم حفظهم حديث الزهري وإتقانهم له واتفقوا على خلاف ما حدث أو خالفه أحد هؤلاء الأيمة وكثر ذلك فإنه يحكم بضعفهواضطراب حديثه وكثرة خطئه فإن انضاف إلى ذلك أن ينفرد بالأحاديث المناكير عن مثل الزهري وكثر ذلك منه جرح إلى أن يقال فيه منكر الحديث متروك الحديث وربما كثر ذلك منه حتى يتبين تعمده فينسب إلى الكذب وإذا رأيته لا يخالف هؤلاء الأيمة المتقنين الحفاظ ولا يخرج عن حديثهم حكم بصدقة وصحة حديثه فهذان الطرفان لا يختلف في من وجد أحدهما منه ومن وجد منه الموافقة والمخالفة وقع الترجيح فيه على كثرة أحد الأمرين منه وقلته وعلى قدر ما يحتمله حاله في علمه ودينه وفضله ولذلك يختلف أهل الجرح والتعديل في الرجل فيوثقه يحي بن سعيد القطان ويضعفه عبد الرحمن بن مهدي ويوثقه شعبة ويجرحه مالك وكذلك سائر من يتكلم في الجرح والتعديل ممن هو من أهل العلم

بذلك يقع اختلافهم في ذلك على هذا الوجه وقد روى أبو حاتم بن حبان البستي قال سمعت محمد بن إبراهيم بن أبي شيخ الملطي قال جاء يحيى بن معين إلى عفان يسمع منه حديث حماد بن سلمة فقال سمعته من غيري فقال نعم سمعته من سبعة عشر رجلا فأبى أن يحدثه به فقال إنما هو درهم وانحدر إلى البصرة وأسمعه من التبوذكي فقال له التبوذكي سمعته من غيري فقال نعم سمعته من سبعة عشر رجلا فقال ما تريد بذلك قال أريد أن أميز خطأ حماد بن سلمة من خطأ من روى عنه فإذا اتفق لي الجميع على خطإ عرفت أنه من حماد بن سلمة وإذا انفرد به بعض الرواة عنه عرفت أنه منه ."

الحادي عشر : شهادات لكبار المفكرين لعلمية و تميز علم الرجال :

ليوبولد فايس : قال: "إننا نتخطى نطاق هذا الكتاب إذا نحن أسهبنا في الكلام على وجه التفصيل في الأسلوب الدقيق الذي كان المحدثون الأوائل يستعملونه للتثبت من صحة كل حديث، ويكفي من أجل ما نحن هنا بصدده أن نقول: إنه نشأ من ذلك علم تام الفروع، غايته الوحيدة البحث في معاني أحاديث الرسول، وشكلها، وطريقة روايتها. ولقد استطاع هذا العلم في الناحية التاريخية أن يوجد سلسلة متماسكة لتراجم مفصلة لجميع الأشخاص الذين ذكروا عن أنهم رواة أو محدثون، إن تراجم هؤلاء الرجال والنساء قد خضعت لبحث دقيق من كل ناحية، ولم يعد منهم في الثقات إلا أولئك الذين كانت حياتهم وطريقة روايتهم للحديث تتفق تماما مع القواعد التي وضعها المحدثون، تلك القواعد التي تعتبر على أشد ما يمكن أن يكون من الدقة. فإذا اعترض أحد اليوم من أجل ذلك على صحة حديث بعينه أو على الحديث جملة، فإن عليه هو وحده أن يثبت ذلك".

دافيد صموئيل مرجليوث: القس المستشرق الإنجليزي وهو أحد أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق : فرغم عدائه الشهير للإسلام إلا أنه لم يتمالك نفسه إذ يقول في (المقالات العلمية ص 234- 253 : نقلاً عن تقدمة العلامة اليماني المعلمي في المعرفة لكتاب الجرح والتعديل) :" ليفتخر المسلمون ما شاؤوا بعلم حديثهم " .

وأما في كتابه (التطورات الأولى للإسلام : المحاضرة الثالثة ص 98) فيعترف برجوع سند الاحاديث لما قبل القرن الأول الهجري !!.. مخالفاً بذلك أكاذيب أترابه المستشرقين الحاقدين للطعن في علم الحديث والتي لا زال ينقلها جهلة منكري السنة عنهم إلى اليوم ، فيقول :

" حتى وإن لم نصدق أن جل السنة التي يعتمد عليها الفقهاء في استدلالاتهم صحيحة ، فإنه من الصعب أن نجعلها إختراعاً يعود إلى زمن لاحق للقرن الأول " .

العالم الألماني أشبره نكر ، يقول كما نقله عنه الشيخ (مصطفى صبري) في كتاب (موقف العقل والعلم والعالم 59/4) : " إن الدنيا : لم تر ولن ترى أمةً مثل المسلمين !! فقد دُرس بفضل علم الرجال الذى أوجدوه حياة نصف مليون رجل ".

الكاتب (**روبسون**) ففي كتابه (الإسناد في التراث الإسلامي ص 26) فيقول : " أن بعض المستشرقين فطنوا إلى أن ما يُروى عن كبار الصحابة من الحديث : هو أقل بكثير مما يروى عن صغارهم ، وقد رأى أن ذلك يحمل على الاعتقاد بصحة ما نقله المحدثون أكثر مما نتصور – أي مما يتصوره المستشرقون – إذ لو اختلق المحدثون الأسانيد : لكان بإمكانهم جعلها تعود إلى كبار الصحابة "

و قد كتب **الأستاذ الألماني** (**هارولد موتزكي**) عن طريقته التي أثبت من خلالها أنه : " بالإمكان إثبات أن مصنف عبد الرزاق : يرجع إلى الوقت الذي يزعمه المسلمون. ومن خلال بحثه : أصبح من الصعب على المستشرقين في هذا الوقت زعم أن المسلمين زيفوا الإسناد في بداية منتصف القرن الثاني وكما كانوا يزعمون ذلك من خلال دراسات قديمة قام بها مستشرقون من أمثال شاخت Schacht و جولدزهير Goldziher " . وتعتمد طريقة (هارولد موتزكي Harlod Motzki) على : " نقد الإسناد من خلال تبين أنه من المستحيل (من ناحية الاحتمالات) تزييف كل هذه الأسانيد التي تفرعت على هذه المدة الطويلة وعلى مناطق جغرافية شتى وعلى رجال بهذا العدد الكبير !! ولكن الإسناد بقي إلى درجة كبيرة متصلاً " . و بعد هذه المرحلة : يبدأ (موتزكي) بمقارنة الرويات التي تدور حول حديثٍ واحد ولا يقتصر على جمع كل الروايات من كتب الحديث فقط ولكنه يجمع أيضاً روايات من كتب التاريخ والطبقات : ثم يبين من خلال مقارنة النصوص أن هذا الاختلاف ليس اختلاف يرجع في مجموعه إلى مؤلفي الحديث ولكنه اختلاف نجم عن : " رواية من خلال السمع من شخصٍ إلى شخصٍ آخر " .

ويقول **الكاتب** (**برنارد لويس**) في كتابه (الإسلام في التاريخ ص 104- 105 عام 1993م) :

" في وقت مبكر أدرك علماء الإسلام خطر الشهادات الكاذبة والمذاهب الفاسدة فوضعوا علماً لانتقاد الأحاديث والتراث وهو (علم الحديث) كما كان يُدعى .. وهو يختلف لاعتبارات كثيرة عن علم النقد التاريخي الحديث !! ففي حين أثبتت الدراسات الحديثة اختلافاً دائماً في تقييم صحة ودقة السرد القديمة

(أي في غير الإسلام) نجد أن الفحص الدقيق له (أي لعلم الحديث) باعتنائه بسلاسل السند والنقل وجمعها وحفظها الدقيق من المتغيرات في السرد المنقول تعطي التأريخ العربي في القرون الوسطى احترافاً وتطوراً لم يسبق له مثيل في العصور القديمة !! ودون حتى أن نجد له مثيلاً في الغرب في عصوره الوسطى في ذلك الوقت !! والذي بمقارنته (أي علم الحديث عند المسلمين) بالتأريخ المسيحي اللاتيني : يبدو الأخير فقيراً وهزيلاً !! بل وحتى طرق التأريخ الأكثر تقدماً وتعقيداً في العالم المسيحي اليوناني : فلا تزال أقل من المؤلفات التاريخية للإسلام في مجموع تنوع وحجم وعمق التحليل " .

ويقول **الأستاذ (محمد بهاء الدين)** في رسالته العلمية (المستشرقون والحديث النبوي ص 30) :

" فالطريقة التي سلكها العلماء في التثبت من صحة الحديث سنداً ومتناً وما ابتدعوا لأجل ذلك من علوم كـ : علم أصول الحديث – وعلم الجرح والتعديل – وغيرهما من العلوم : طريقة أشاد بها كثير من الغربيين في تحقيق الراوية أمثال : باسورث سميث عضو كلية التثليث في اكسفورد، وكارليل، وبرنارد شو، والدكتور : سبرنكر كان .. فقد أعلن هؤلاء إعجابهم بالطريقة التي تم بها جمع الأحاديث النبوية، وبالعلم الخاص بذلك عند علماء المسلمين، وهو الجرح والتعديل ".

المؤرخ اللبناني الماروني (أسد رستم) عندما كتب كتابه (مصطلح التاريخ) وأراد أن يؤصل فيه لعلم حفظ الأخبار التاريخية لم يسعه إلا التأثر بقواعد علم مصطلح الحديث ، واعترف بأنها : " طريقة علمية حديثة : لتصحيح الأخبار والروايات ". وقال بعد أن ذكر وجوب التحقق من عدالة الراوي، والأمانة في خبره : " و مما يذكر مع فريد الإعجاب والتقدير ما توصل إليه علماء الحديث منذ مئات السنين في هذا الباب، وإليك بعض ما جاء في مصنفاتهم نورده بحرفه وحذافيره تنويهاً بتدقيقهم العلمي، اعترافاً بفضلهم على التاريخ " ثم أخذ ينقل نصوصاً عن بعض أئمة المسلمين في هذا الشأن ...!

وأما **الشيخ الدكتور (فاروق حمادة)** فيقول في طليعة كتابه (المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ص 14) : " وهذا البحث قد انفرد به المسلمون دون غيرهم، وشهد لهم بذلك كثير من باحثي الفرنجة وغيرهم، واعترافاتهم بذلك مشهورة مسطورة لا حاجة بي إلى التعريج عليها " .

شروط أيلال لقبول كتب الحديث

من خلال قراءة كتاب " صحيح البخاري نهاية أسطورة " تبين أن أيلال وضع شروطا لقبول كتب الحديث ، منها :

-1- أن توجد نسخة منه بخط المؤلف ، أو أحد تلامذته .

-2- أن لا يكون هناك إختلاف بين النسخ التي كتبها التلاميذ .

-3- أن لا يحوي نصوصا و مرويات تناقض العقل و الواقع و المالوف ..

هذه مجمل شروطه و التي يمكننا أن نحاكمه اليها ، و نلزمه أن يطبقها على القرآن الكريم ! و هل تتوفر فيه تلك الشروط التي وضعها .

أولا : لا توجد في العالم أجمع نسخة بخط أحد كتبة الوحي الأربعة (زيد بن ثابت ، سعيد بن العاص ، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عبد الله بن الزبير) الذين أوكل اليهم الخليفة عثمان جمع و نسخ القرآن .

و نطالبه بالمخطوط الأصلي الذي كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم على الصحف و اللخاف و العسف . فإن لم يأتي به نطالبه بنسخ الكتبة الأربعة ، أو نسخة من مصحف ابن مسعود الذي كتبه من فم النبي الأكرم .!فإن جاء بأحد هاته النسخ اتيناه بالنسخة الأصلية للصحيح بخط المؤلف .

ثانيا : إن قال أنه لا توجد مخطوطة أصلية بخط عثمان أو علي بن أبي طالب أو أحد الصحابة ، و إنما تواتر القرآن جيلا بعج جيل حفظا في الصدور و المصاحف . يقال له : كذلك القول في كتب أمهات الحديث و الفقه ، كالرسالة و الأم للشافعي ، و الموطأ للإمام مالك ، و المسند للإمام أحمد ، و الجامع الصحيح للإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم و غيرهم . فقد ثبت تواترهم و رواية العلماء لهم جيلا بعد جيل ، حفظا في الصدور

و تقييدا في الكتب و تدريسا و قراءة و شرحا في المجالس و المدارس و المعاهد من عصر مؤلفيها الى يومنا هذا .حتى حصل اليقين بثبوت نسبتها الى مؤلفيها بالسند المتصل .

ثالثا : ان الحرف الذي تقرا به الأمة منذ عهد عثمان الى اليوم ، هو حرف واحد ، و معلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر سبعة أحرف في حياته ، و بقي الأمر على ذلك الى عهد عثمان ، الذي أعاد كتابة المصحف على حرف واحد ، و أمر بإحراق كل المصاحف المخالفة لحرف قريش الذي أجمع عليه علماء الصحابة .

ثم إن هذا الحرف الواحد تفرعت منه قراءات متعددة بلغت عشرة ، و كل قراءة تفرعت عنها روايات و كل رواية لها طرق .فبأي الروايات يقرأ أيلال في مصحفه ؟ هل بقراءة نافع المدني ؟ أم بقراءة ابن كثير المكي ؟ أم بقراءة عاصم الكوفي ؟ أم بقراءة أبي عمرو البصري ؟ أم بقراءة ابن عامر الشامي ؟ أم بقراءة حمزة ؟ أم بقراءة الكسائي ؟ أم بقراءة بقية القراء المشهورين ؟

رابعا :   ما جوابه عن اختلاف القراءات في نفس الآية الواحدة ؟

قال ابن الجزري : " ذكر اختلافهم في سورة أم القرآن

اختلفوا في (مالك يوم الدين) فقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف بالألف مدا، وقرأ الباقون بغير ألف قصرا.
واختلفوا في: الصراط، وصراط. فرواه رويس حيث وقع وكيف أتى بالسين، واختلف، عن قنبل، فرواه عنه بالسين كذلك ابن مجاهد وهي رواية أحمد بن ثوبان، عن قنبل، ورواية الحلواني عن القواس، ورواه عنه ابن شنبوذ، وكذلك سائر الرواة، عن قنبل، وبذلك قرأ الباقون إلا حمزة .." 1

---

[11] النشر في القراءات العشر 1/271-272

المؤلف : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : 833 هـ)

المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ)

الناشر : المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]

(سُورَة الْإِخْلَاص)

قَرَأَ حَفْص: (كفوا) بِضَم الْفَاء وَفتح الْوَاو من غير همز، وَحَمْزَة وَخلف وَيَعْقُوب بِإِسْكَان الْفَاء مَعَ الْهمزَة فِي الْوَصْل فَإِذا وقف حَمْزَة أبدل الْهمزَة واوا مَفْتُوحَة اتبَاعا لِلْخَطِّ، وَالْقِيَاس أَن يلقِي حركتها على الْفَاء، وَالْبَاقُونَ بِضَم الْفَاء مَعَ الْهَمْز.2

(سُورَة الْفرْقَان)

قَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ وَخلف: (نَأْكُل مِنْهَا بالنُّون، وَالْبَاقُونَ بِالْيَاءِ.

ابْن كثير وَابْن عَامر وَأَبُو بكر: (وَيجْعَل لَك) بِرَفْع اللَّام، وَالْبَاقُونَ بجزمها (ضيقا) قد ذكر فِي الْأَنْعَام.

ابْن كثير وَأَبُو جَعْفَر وَيَعْقُوب وَحَفْص: (وَيَوْم يحشرهم) بِالْيَاءِ وَالْبَاقُونَ بالنُّون.

ابْن عَامر: (فَنَقُول ءأنتم) بالنُّون، وَالْبَاقُونَ بِالْيَاءِ.

حَفْص: (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ) بِالتَّاءِ، وَالْبَاقُونَ بِالْيَاءِ.

قلت: أَبُو جَعْفَر (أَن نتَّخذ من) بِضَم النُّون وَفتح الْخَاء، وَالْبَاقُونَ بِفَتْح النُّون وَكسر الْخَاء، وَالله الْمُوفق.

الْكُوفِيُّونَ وَأَبُو عَمْرو: (وَيَوْم تشقق السَّمَاء) هُنَا وَفِي ق بتَخْفِيف الشين وَالْبَاقُونَ بتشديدها.

ابْن كثير: (وننزل) بنونين، الثَّانِيَة سَاكِنة وَتَخْفِيف الزَّاي وَرفع اللَّام (الْمَلَائِكَة) بِالنّصب، وَالْبَاقُونَ بنُون وَاحِدَة وَتَشْدِيد الزَّاي وَفتح اللَّام وَرفع الْمَلَائِكَة. (وَثَمُود) قد ذكر فِي هود و (الرّيح) فِي الْبَقَرَة (وبشرا) ذكر فِي الْأَعْرَاف (وليذكروا) ، مَذْكُور قبل. [قلت: أَبُو جَعْفَر (بَلْدَة مَيتا) بتَشْديد الْيَاء هُنَا [وَفِي الزخرف] وق، وَالْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ، وَالله الْمُوفق] .

حَمْزَة وَالْكسَائِيّ: (لما يَأْمُرنَا) بِالْيَاءِ وَالْبَاقُونَ بِالتَّاءِ.

حَمْزَة وَالْكسَائِيّ / وَخلف: (فِيهَا سرجا) بِضَمَّتَيْنِ، وَالْبَاقُونَ بِكَسْر السِّين وَفتح الرَّاء وَألف بعْدهَا. حَمْزَة وَخلف: (أَن يذكر) بِإِسْكَان الذَّال وَضم الْكَاف مُخَفّفَة، وَالْبَاقُونَ بفتحهما مشدد.3

---

2 تحبير التيسير في القراءات العشر ص 620

المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)

المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة. الناشر: دار الفرقان - الأردن / عمان .الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000

3 نفس المصدر ص 484-485

و الأمثلة على ذلك كثيرة ، فما جوابه عن هذه الإختلافات في أيات الذكر الحكيم ؟

الباب الثالث   نقد مطاعن أيلال حول الصحابة

- ❖ هل في الصحابة منافقين ؟
  - ✓ عقيدة أهل السنة في الصحابة
  - ✓ في رحاب سورة التوبة
  - ✓ هل أهمل الصحابة دفن النبي ؟
- ❖ مطاعن أيلال في ابي هريرة

فصل : هل في الصحابة منافقين ؟

يقول أيلال : " وهنا يحق لنا أن نسأل كل ذي عقل حصيف ، هل كان الصحابة كلهم عدول ، وكلهم أتقياء ، وكلهم على مرتبة واحدة من العلم ، أم هم في الحقيقة أصناف وأنواع ، يجب أخذ الحيطة والحذر عند الأخذ منهم وعنهم؟

مجرد طرح هذا السؤال يساوي حملة مسعرة ،أسلحتها قنابل التكفير ، وصواريخ التفسيق ، وقذائف الزندقة ، لا يمنحك المقلد فرصة لتشرح موقفك وتقدم أدلتك ، لأنه لم يرب على النقاش والمحاجة والمحاورة ، بل برمج على القذف والسب ويرى في ذلك قربى يتقرب بها إلى الله ، وعبادة يتعبد بها لله ، ... وي !!! ومتى كان لعن الناس وإهانتهم وتلب أعراضهم من القربات؟ !!

ولمن يقدس الصحابة ما عليه إلا قراءة القرآن ، سيما سورة التوبة التي يسميها البعض بالفاضحة ، فقد ورد فيها كثيرا من الانتقاد لهم ، وأظهرت حقائق العديد منهم ، بل يمكنك أيها المقدس المقلد أن ترجع إلى الأحاديث التي تسميها صحيحة لتقف على رأي الصحابة في بعضهم البعض ، فستصدم من حجم السهام التي وجهها هؤلاء لبعضهم البعض.

وهنا أنقل لكم ما اورده الكاتب زكريا اوزون في كتابه "جناية البخاري" ص20 نقلا من تاريخ الذهبي وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه حول رأي الخليفة عمر بن الخطاب في الصحابي ابي هريرة ، يقول:"

وحين توفى النبى ولاه الخليفة عمر (عام 20 هـ) على البحرين بعد وفاة العلاء بن الحضرمى وسرعان ما عزله وولى مكانه عثمان بن أبى العاص الثقفى، أما السبب فى

ذلك فكان عندما أجاب الخليفة عمر بأنه–أبو هريرة–يملك عشرين ألفًا من بيت مال البحرين حصل عليها من التجارة (بقوله كنت أتجر) وكان رد الخليفة عمر: "عدوا لله والإسلام ، عدوا لله ولكتابه، سرقت مال الله، حين استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين ما رجعت بك أميمة (أمه) الا لرعاية الحمير" وضربه بالدرة حتى أدماه. وقد منعه تماما عن رواية الحديث النبوى بقوله: (لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القرود أو بأرض دوس).

ويؤكد أبو هريرة ذلك فيقول: "ما كنت أستطيع أن أقول قال رسول الله حتى قبض عمر" أو: لو كنت أحدث فى زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربنى بمخفقته". انتهى من كتاب جناية البخاري الصفحة 20 .

ولك أن تعجب من رأي الصحابة "العدول كلهم" في بعضهم البعض ، حيث نمنع نحن من قول أبسط من هذا وأقله عن بعضهم ، لكن من يستعمل عقله ولو لمرة واحدة ليقف على هاته الأكذوبة المسماة "علم الرجال" ؟ ...من ؟.[1]

[1] ص 51-52

أولا : عقيدة أهل السنة في الصحابة

وجوب محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، والأخذ بآثارهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وتقديم حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك كله، وقد دلت النصوص الكثيرة على وجوب حب الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، وقد فهم أهل السنة والجماعة ما دلت عليه النصوص في هذا واعتقدوا ما تضمنته مما يجب لهم من المحبة على وجه العموم رضي الله عنهم وأرضاهم، ومن تلك النصوص:

1- قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} 1.

وهذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفيء، روى ذلك عن مالك وغيره، قال مالك: "من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ}.

2- روى الترمذي بإسناده إلى عبد الله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه".

هذا الحديث تضمن الحث لكل إنسان يأتي بعد الصحابة في أن يحفظ حقهم، والمعنى: لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم، بل عظموهم ووقروهم، ولا تتخذوهم هدفاً ترمونهم بقبيح الكلام، كما يرمى الهدف بالسهم، وبين عليه الصلاة والسلام أن حبهم ما استقر في قلب إنسان إلا بسبب حبه للنبي صلى الله عليه وسلم، أو بسبب حب النبي صلى الله عليه وسلم إياهم وما وجد بغضهم في قلب إنسان إلا بسبب ما فيه من البغض للنبي صلى الله عليه وسلم، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن يأخذه": أي: يعاقبه في الدنيا أو في الآخرة. فالحديث دل على وجوب حب الصحابة رضي الله عنهم وخطورة بغضهم.

قال المناوي في قوله صلى الله عليه وسلم: "الله الله في أصحابي" أي: اتقوا الله فيهم ولا تلمزوهم بسوء أو اذكروا الله فيهم، وفي تعظيمهم وتوقيرهم، وكرره إيذاناً بمزيد الحث على الكف عن التعرض لهم بمنقص "فمن أحبهم فبحبي أحبهم" أي: فبسبب حبهم إياي، أو حبي إياهم، أي: إنما أحبهم لحبهم إياي، أو لحبي إياهم. "ومن أبغضهم فببغضي" أي: فبسبب بغضه إياي، "أبغضهم" يعني إنما أبغضهم لبغضه إياي ... وخص الوعيد بها لما اطلع عليه مما سيكون بعده من ظهور البدع وإيذاء بعضهم زعماً منهم الحب لبعض آخر، وهذا من باهر معجزاته، وقد كان في حياته حريصاً على حفظهم والشفقة عليهم.

أخرج البيهقي عن ابن مسعود: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر"، وإن تعرض إليهم ملحد وكفر نعمة قد أنعم الله بها عليهم، فجهل

منه وحرمان، وسوء فهم، وقلة إيمان، إذ لو لحقهم نقص لم يبق في الدين ساق قائمة لأنهم النقلة إلينا، فإذا جرح النقلة دخل من الآيات والأحاديث التي بها ذهاب الأنام، وخراب الإسلام إذ لا وحي بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم وعدالة المبلغ شرط لصحة التبليغ .

3- وروى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار"

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم هذا: "أن علامات كمال إيمان الإنسان، أو نفس إيمانه حب مؤمني الأوس والخزرج لحسن وفائهم بما عاهدوا الله عليه من إيواء نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره على أعدائه زمن الضعف والعسرة وحسن جواره ورسوخ صدقاتهم وخلوص مودتهم ولا يلزم منه ترجيحهم على المهاجرين الذين فارقوا أوطانهم وأهليهم وحرموا أموالهم حباً له وروماً لرضاه.."وآية النفاق" بالمعنى الخاص "بغض الأنصار"، صرح به مع فهمه مما قبله لاقتضاء المقام التأكيد، ولم يقابل الإيمان بالكفر الذي هو ضده، لأن الكلام فيمن ظاهره الإيمان، وباطنه الكفر فميزه عن ذوي الإيمان الحقيقي، فلم يقل آية الكفر لكونه غير كافر ظاهراً، وخص الأنصار بهذه المنقبة العظمى، لما امتازوا به من الفضائل، فكان اختصاصهم بها مظنة الحسد الموجب للبغض، فوجب التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم، وأبرز ذلك في هذين التركيبين المفيدين للحصر لأن المبتدأ والخبر فيهما معرفتان، فجعل

ذلك آية الإيمان والنفاق على منهج القصر الإدعائي، حتى كأنه: لا علامة للإيمان إلا حبهم، وليس حبهم إلا علامته، ولا علامة للنفاق إلا بغضهم، وليس بغضهم إلا علامته تنويهاً بعضيم فضلهم، وتنبيهاً على كريم فعلهم، وإن كان من شاركهم في المعنى مشاركاً لهم في الفضل كل بقسطه".

4- وروى مسلم بإسناده إلى عدي بن ثابت، قال: سمعت البراء يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الأنصار: "لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله".

قال شعبة: قلت لعدي: سمعته من البراء؟ قال: إياي حدث .

5- وروى أيضاً: بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر".

6- وروى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب الأنصار أحبه الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله"

7- وروى الحافظ الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحب الأنصار فبحبي أحبهم، ومن أبغض الأنصار فببغضي أبغضهم"

8- وروى الإمام أحمد بإسناده إلى البراء بن عازب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحب الأنصار إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله"

9- وروى أيضاً: بإسناده إلى سعد بن عبادة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الحي من الأنصار محنة حبهم إيمان وبغضهم نفاق"

10- وروى أيضاً: بإسناده إلى الحارث بن زياد الساعدي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو يبايع الناس على الهجرة فقال: يا رسول الله بايع

هذا، قال: "ومن هذا" قال: ابن عمي حوط بن يزيد أو يزيد بن حوط، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا أبايعك إن الناس يهاجرون إليكم ولا تهاجرون إليهم، والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لا يحب رجل الأنصار حتى يلقى الله تبارك وتعالى إلا لقي الله ـ تبارك وتعالى ـ وهو يحبه، ولا يبغض رجل الأنصار حتى يلقى الله ـ تبارك وتعالى ـ إلا لقي الله ـ تبارك وتعالى ـ وهو يبغضه" .

11- وروى الإمام مسلم بإسناده إلى علي رضي الله عنه أنه قال: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلى أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق"5.

فهذه الأحاديث كلها دلت على وجوب حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً مهاجرين وأنصار، ولا يقال إن ظاهر لفظها في الأنصار فلا يدخل فيها المهاجرون، بل الصحيح أنه يدخل فيها كل فرد من أفراد الصحابة لتحقق مشترك الإكرام لما لهم من حسن الغناء في الدين رضي الله عنهم أجمعين.

كما اشتملت على ذكر الجزاء الذي ينتظر من يكن لهم المحبة في قلبه ومن يكن لهم البغض، فمن أحبهم فاز بحب الله له، ومن أبغضهم أبغضه الله، وشتان بين الجزائين، كما دلت على أن القلب الذي امتلأ ببغضهم إنما هو قلب ينضح بالنفاق، خذل صاحبه بعدم الإيمان والعياذ بالله.[2]

[2] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم 2/757-762
ناصر بن علي عائض حسن الشيخ .مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية
الطبعة: الثالثة، 1421هـ/2000م

كل الصحابة عدول ثقات

أولاً: معنى العدالة في اللغة:

جاء في الصحاح للجوهري: "العدل خلاف الجور، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدلته، وفلان من أهل المعْدلة، أي: من أهل العدل، ورجل عدل، أي: رضا ومقنع في الشهادة، وهو في الأصل مصدر، وقوم عدل وعدول أيضاً: وهو جمع عدل وقد عدل الرجل بالضم عدالة.. إلى أن قال: وتعديل الشيء: تقويمه، يقال: عدلته فاعتدل، أي: قومته فاستقام".[3]

وجاء في لسان العرب : "رجل عدل بين العدل والعدالة: وصف بالمصدر معناه ذو عدل، قال في موضعين: {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ} 3، ويقال: رجل عدل ورجلان عدل، ورجال عدل، وامرأة عدل، ونسوة عدل، كل ذلك على معنى رجال ذوو عدل، ونسوة ذوات عدل، فهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فإن رأيته مجموعاً، أو مثنى أو مؤنثاً، فعلى أنه قد أجري مجرى الوصف الذي ليس بمصدر"[4] ..

ثانيا :تعريف العدالة في الاصطلاح:

أما تعريف العدالة في الاصطلاح فقد تنوعت فيها عبارات العلماء من محدثين وأصوليين وفقهاء:

1- روى الخطيب البغدادي بإسناده إلى القاضي أبي بكر محمد بن الطيب أنه قال: العدالة المطلوبة في صفة الشاهد والمخبر هي العدالة الراجعة إلى استقامة دينه، وسلامة مذهبه، وسلامته من الفسق، وما يجري مجراه مما اتفق على أنه مبطل العدالة من أفعال الجوارح والقلوب المنهي عنها [5].

---

[3] مختار الصحاح ص/415-416.
[4] 430/11.
[5] الكفاية ص/102.

2- وعرفها الخطيب البغدادي بقوله: "العدل هو من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به وتوقي ما نهى عنه، وتجنب الفواحش المسقطة وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته و التوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه وليس يكفيه في ذلك اجتناب كبائر الذنوب التي يسمى فاعلها فاسقاً حتى يكون مع ذلك متوقياً لما يقول كثير من الناس أنه لا يعلم أنه كبير[6].

3- وعرفها الغزالي بقوله: "والعدالة: عبارة عن استقامة السيرة والدين ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه فلا ثقة بقول من لا يخاف الله تعالى خوفاً وازعاً عن الكذب، ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي ولا يكفي أيضاً: اجتناب الكبائر بل من الصغائر ما يرد به كسرقة بصلة وتطفيف في حبة قصداً، وبالجملة كل ما يدل على ركاكة دينه إلى حد يستجريء على الكذب بالأغراض الدنيوية كيف وقد شرط في العدالة التوقي عن بعض المباحات القادحة في المروءة نحو الأكل في الطريق والبول في الشارع وصحبة الأراذل وإفراط المزح وضابط ذلك فيما جاوز محل الإجماع أن يرد إلى اجتهاد الحاكم فما دل عنده على جرأته على الكذب رد الشهادة به وما لا، فلا"[7]

و قد تضافرت –كما سبق – الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، و اختيار الله لهم لصحبة نبيه و

[6] الكفاية ص/103.
[7] المستصفى للغزالي 157/1.

نصرته و إلاء كلمة الله . كما أجمع علماء الأمة على تعديلهم و قبول روايتهم ، و قد نقل الإجماع على عدالتهم جم غفير من أهل العلم، ومن تلك النقول:

1- قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دلت على عدالة الصحابة وأنهم كلهم عدول، قال: "هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء"[8].

2- قال أبو عمر بن عبد البر: "ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول فواجب الوقوف على أسمائهم"[9]

ولا يعني هذا الحكم بعصمتهم من ارتكاب المعاصي فهذا لم يقل به أحد من أهل العلم ، إذ المعصوم عن ارتكاب الكبائر و المعاصي هو النبي عليه الصلاة و السلام . لكنهم – رضي الله عنهم – لم يثبت عن أحدهم الكذب عن رسول الله ، و لا تعمد الوقوع في بالمعاصي و المنكرات .

ثانيا : في رحاب سورة التوبة

نزلت آيات كثيرة من سورة براءة حول موضوع الغزوة، نزل بعضها قبل الخروج، وبعضها بعد الخروج، وهو في السفر، وبعضها بعد الرجوع إلى المدينة، وقد اشتملت على ذكر ظروف الغزوة، وفضل المجاهدين المخلصين، وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين، وفضح المنافقين، وكانت سورة التوبة من أشد ما نزل في المنافقين حتى كانت تسمى: "الفاضحة"، وتسمى: "المبعثرة" لما كشفت من سرائر المنافقين.

---

8 الكفاية ص/67.
9 الاستيعاب على حاشية الإصابة 8/1.

روى الشيخان في صحيحيهما عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة التوبة؟

قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تبق أحدا منهم إلا ذكر فيها.[10]

سورة التوبة فضحت المنافقين لا الصحابة

وظاهرة النفاق التي برزت من جديد. مستفحلة. منظمة، مخططة. بعد أن اختفت أو كادت تختفي قبل فتح مكة. ويكفي أن نلاحظ أن القرآن الكريم أفرد لها من المعالجة في سورة التوبة أكثر من نصف السورة. هي أمر طبيعي. تعكس ضخامة الامتداد البشري والمكاني للإسلام. والذي رافق قوة الإسلام وسيادته في الأرض. فلم يعد أمام الناس إلا الإسلام. وكانت وفود القبائل تترى لتعلن إسلامها وانضمامها للمعسكر النبوي، ولا شك أن بعض هذه القبائل أو قياداتها. لم يكن مخلصا في دخوله الإسلام. لكنه لابد أن ينحني للعاصفة، ويسعى بعد ذلك للمواجهة. خوفا على سلطانه، وخوفا على طغيانه أن ينتزع منه.

وبرزت مظاهر هذا النفاق في جوانب شتى.

(أ) في التخلف عن الجهاد. والاعتذار بأعذار واهية. فندها القرآن جميعا، وعراها وعرى أصحابها.

(ب) في التثبيط عن الجهاد، ودعوة الناس للقعود. وقالوا: لا تنفروا في الحر. قل نار جهنم أشد حرا.

(ج) في اللمز من المطوعين الذين لا يجدون إلا جهدهم. فيسخرون منهم.

---

[10] اللؤلؤ المكنون 370/4

(د) في اتهام المنفقين بالرياء. حتى. لا يسلم الصف الإسلامى. ويسود فيه اللغط والغيبة.

(ض) في التشكيك بالمعجزات النبوية أثناء الغزوة. والحرص على مخالفة الأوامر النبوية ما أمكنهم ذلك.

(و) في محاولة اغتيال رسول الله (ص). ورميه من العقبة عن ناقته.

(ز) في بناء مسجد الضرار لتفريق كلمة المؤمنين. وليكون مركزا لتخطيطاتهم. ووكرا لمؤامراتهم.

(ح) في الهزء والسخرية بالمؤمنين المجاهدين. ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب وغير ذلك من المؤامرات والأساليب التي ابتكرتها لهم قياداتهم.

السورة كشفت عن تفاوت المستويات الإيمانية في المجتمع الإسلامي مع الرفع من مكانة المهاجرين و الأنصار :

ولابد من الإشارة إلى أن غزوة تبوك كشفت تفاوت المستويات الإيمانية. خاصة. وهذه الأعداد الهائلة ليست على مستوى واحد من التربية. وظهرت طبقات شتى في المجتمع الإسلامي. ضمن الصف المؤمن نفسه. وهذه المستويات. هي غير المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وقد تتشابه المظاهر أحيانا بين المؤمنين الضعفاء وبين المنافقين.

يقول ابن كثير رحمه الله. كان المتخلفون عن غزوة تبوك أربعة أقسام:

(1) مأمورون مأجورون كعلي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة وابن أم مكتوم (وقد تخلفوا بأمر رسول الله (ص).

(2) معذورون وهم الضعفاء والمرضى والمقلون. وهم البكاؤون. (أي الذين لم يجدوا ما ينفقون لجهادهم).

(3) وعصاة مذنبون وهم الثلاثة. (كعب بن مالك، وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع (وقد تاب الله عليهم) وأبو لبابة وأصحابه المذكورون.

(4) وآخرون ملومون مذمومون. وهم المنافقون.

وطبقات هذا المجتمع الإسلامي. حين نأخذها عن سورة التوبة.

نلاحظ أنها كما يلي:

(1) {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم}.

(2) {وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم}.

(3) {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم}.

(4) {وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم}.

والطبقة الرابعة تاب الله عليها فيما بعد {وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم}.

(5) الذين عذرهم الله تبارك وتعالى ابتداء: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما يفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون}.

وهذه الطبقة الخامسة. تكاد تنضم إلى الطبقة الأولى. فقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم :(عن أنس بن مالك أن رسول الله رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: (إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم). فقالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال: (وهم بالمدينة. حبسهم العذر) .

وإذا كان الأمر يقتصر في النهاية على ثلاث طبقات هي: السابقون، والمقصرون، والمنافقون. لكن تفاوت المستويات الإيمانية يبقى كبيرا جدا بين السابقين الأولين والمقصرين. وكما يقول القرآن الكريم في موطن آخر: {... فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق للخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير} . لكن الذي نقوله: أن الطبقة الأولى هي الطبقة التي يقوم على أكتافها تربية الطبقة الثالثة. وهي التي تمثل القاعدة الصلبة للمجتمع الإسلامي. وهي التي تهضم الطبقة الثالثة. وتضمها إلى صفها. وكذلك تقلص الطبقة الثانية بحيث تكون قادرة على استيعاب عناصر جديدة. تجعل القاعدة الصلبة في اتساع دائم.[11]

و مما سبق يتبين أن أيلال جهل أمورا مهمة منها :

أن المنافقين كان أغلبهم معلوم عند النبي عليه السلام ، و عند صحابته الكرام ، و أن أفعالهم فضحتهم قبل الغزوة و أثناءها ثم بعدها .

[11] فقه السيرة النبوية ص 593-596 .منير محمد الغضبان الناشر: جامعة أم القرى الطبعة: الثانية، 1413هـ - 1992 م

استهزاء المنافقين بالمطوعين من الصحابة:

لما أنفق عبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنه– قال المنافقون: ما فعل هذا إلا رياء، ولما أنفق أبو عقيل، قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فأنزل الله في هؤلاء المنافقين قوله تعالى: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم}[12] .

تخلف المنافقين و تثبيطهم لهمم الصحابة :

لما أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الناس بالجهاز، ودعاهم إلى النفير، أخذ المنافقون في تثبيط همم الناس، وقالوا: إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لا طاقة له بالروم، والسفر بعيد، فرد عليهم الله سبحانه وتعالى، فقال سبحانه: {لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون} [13].

قال ابن إسحاق: وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكا في الحق، وإرجافا برسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فأنزل الله تعالى: {فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون} [14]. و ممن تخلف من كبرائهم : عبد الله بن سلول ، فلما مضى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– و ضرب عسكره في ثنية الوداع ، ضرب عبد الله بن أبي بن سلول، رئس المنافقين، عسكره على حدة أسفل منه نحو ذباب ، –وكان قد خرج في مجموعة من

[12] سورة التوبة آية (79) - وأخرج ذلك البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة - باب اتقوا النار ولو بشق تمرة - رقم الحديث (1415) - وأخرجه في كتاب التفسير - باب قوله تعالى: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين} - رقم الحديث (4668) - وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزكاة - باب العمل بأجرة يتصدق بها - رقم الحديث (1018).

[13] سورة التوبة آية (42).

[14] سورة التوبة آية (81 - 82) والخبر في سيرة ابن هشام (4/ 170).

المنافقين- فلما سار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نحو تبوك تخلف عنه ومعه المنافقون، وقال: يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد إلى ما لا طاقة له به، يحسب أن قتالهم معه اللعب! والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين بالحبال، إرجافا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه .[15]

و منهم المنافق الجد بن قيس:

قال ابن إسحاق: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم وهو في جهازه لغزوة تبوك للجد بن قيس أحد بني سلمة: "يا جد، هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟ " . فقال: يا رسول الله! أو تأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقال له: "قد أذنت لك"، فنزل قول الله تعالى في الجد بن قيس: {ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين}[16].

بناء المنافقين مسجد الضرار:

ووصلت الجرأة بالمنافقين على الله ورسوله أن يبنوا مسجدا قبيل غزوة تبوك ليجتمعوا فيه، ويديروا حلقات تآمرهم على المسلمين، وزعموا أنهم بنوه للمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة، ومن عجز عن المسير إلى مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان الذي أمرهم ببنائه أبو عامر الفاسق ، وكان واعدهم أن يعينهم بالمال والسلاح، وأن يأتيهم بقوة من الروم لإخراج الرسول -صلى الله عليه وسلم- من

---

[15] انظر سيرة ابن هشام (4/ 173) - الطبقات الكبرى لابن سعد (2/ 332). اللؤلؤ المكنون 298/4

[16] (5) سورة التوبة آية (49).

والخبر أخرجه عبد الرزاق في مصنفه - رقم الحديث (9403) - والطبري في تفسيره (6/ 386) - ابن إسحاق في السيرة (4/ 170) - وأورد طرقه الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة - رقم الحديث (2988) - وحسن إسناده.

المدينة، وكانوا قد طلبوا من الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يصلي فيه، ولكن الله فضح حقيقة نواياهم، فأنزل على رسوله -صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: {والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين}[17].

فامتنع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الصلاة فيه، وقال: "إني على جناح سفر، وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه"[18].

وكان نزول هذه الآيات عندما رجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من تبوك، فلما نزلت هذه الآيات أمر بإحراق مسجد الضرار كما سيأتي.

فهذا هو مسجد الضرار الذي اتخذ على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مكيدة للإسلام والمسلمين، لا يراد به إلا الإضرار بالمسلمين، وإلا الكفر بالله، وإلا ستر المتآمرين على الجماعة المسلمة، الكائدين لها في الظلام، وإلا التعاون مع أعداء هذا الدين على الكيد له تحت ستار الدين. . .[19]

محاولة إغتيال الرسول صلى الله عليه و سلم

وفي الطريق إلى المدينة تآمر اثنا عشر رجلا من المنافقين، وقيل: أربعة عشر، أو خمسة عشر، على الغدر برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومزاحمته على العقبة ،

[17] سورة التوبة آية (107 - 108).

[18] أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (6/ 471) - والبيهقي في دلائل النبوة (5/ 260) - وإسناده حسن - وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (4/ 183) بدون سند.

[19] اللؤلؤ المكنون 293/4-294

و لكن الله عصم رسوله –صلى الله عليه وسلم– منهم، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح على شرط مسلم عن أبي الطفيل –رضي الله عنه– قال: لما

أقبل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى: إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أخذ العقبة، فلا يأخذها أحد، فبينما رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقوده حذيفة، ويسوق به عمار، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل ، غشوا عمارا وهو يسوق برسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لحذيفة: "قد، قد" ، حتى هبط رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فلما هبط رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، نزل ورجع عمار، فقال –صلى الله عليه وسلم–: "يا عمار، هل عرفت القوم؟ ".

فقال: قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون، قال –صلى الله عليه وسلم–: "هل تدري ما أرادوا؟ "، قال عمار: الله ورسول أعلم.

فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أرادوا أن ينفروا برسول الله –صلى الله عليه وسلم– يطرحوه" وفي رواية البيهقي في دلائل النبوة قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أرادوا أن يزحموا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في العقبة، فيلقوه منها" .

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي الطفيل –رضي الله عنه– أنه قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة –رضي الله عنه– بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟

فقال حذيفة –رضي الله عنه–: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أن اثنى عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة، قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ولا علمنا بما أراد القوم .

وأنزل الله تعالى في هذه الحادثة قوله تعالى: {. . . وهموا بما لم ينالوا} .أي هموا بإلقاء رسول الله –صلى الله عليه و سلم– من العقبة ، لكنهم لم ينالوا ذلك .[20]

فهل يجد أيلال في جل هذه الوقائع أي إشارة الى أحد من الصحابة ، ممن إشتهرت صحبته و علت مكانته . أم أن من قام بذلك و حرض عليه منافقون ظاهري النفاق .

ثناء الله و تزكيته للصحابة في القرآن الكريم :

قال تعالى : { لَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (21) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (22)}

و قال : { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) }

و قال تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي

[20] اللؤلؤ المكنون 343/4-344

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)}

و قال سبحانه : { لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (89)}

و قال : { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (101) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (102) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (106)}

وقال : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111)}

و قال :{ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117)}. و قال سبحانه في سورة البقرة : { قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}الأية 143

و قال في سورة أل عمران : {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} الأية 110.

قال تعالى في سورة الأنفال : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} الآيات 72-74

و قال في سورة الفتح : { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19)} و فيها أيضا : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ

بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)}.

ثالثا : هل أهمل الصحابة دفن النبي ؟

قال أيلال : "كما لايجب أن ننسى أيضا أن كتب الحديث تخبرنا كما ورد في سير أعلام النبلاء للذهبي والمنتظم لابن الجوزي ان الصحابة أهملوا دفن الرسول ثلاثة أيام حتى انتفخ بطنه: "كانوا مشغولين بشيء أهم !! وهو الحصول على كرسي الحكم"

أولا : لم يثبت في كتب الحديث أن الصحابة أهملوا دفن النبي حتى انتفخ بطنه ، و نحن نتحداه أن يذكر لنا أين رووا ذلك ، و هذه موسوعات الحديث الشريف أماه : موطأ ملك و صحيح البخاري و صحيح مسلم ، مسند أحمد ، السنن الأربعة ، صحيح ابن خزيمة ، مسند الحميدي ، مسند اسحاق بن راهويه ، مسند البزار ، مصنف عبد الرزاق ، مصنف ابن ابي شيبة ..الخ

و القصة إنما ذكرت في كتب التراجم و التاريخ ، و حتى رواة السير الأوائل كابن هشام و ابن اسحاق لم يذكروها .

أول من ذكرها – حسب إطلاعي –يعقوب بن سفيان الفسوي (ت 277) في كتابه المعرفة و التاريخ [21] قال : وفي هذه السنة أو سنة خمس حدث وكيع بن الجراح بمكة عن عن إسماعيل بن أبي خالد عن البهي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات لم يدفن حتى وجأ بطنه وانثنى خنصره، وذكر غير هذا. فرفع إلى

[21] المعرفة و التاريخ 175/1 ت أكرم ضياء العمري .الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت .الطبعة: الثانية، 1401 هـ- 1981 م

العثماني فأرسل اليه فحبسه، وعزم على قتله وصلبه، وأمر بخشبة أن تنصب خارجا من الحرم"

ثم تلاه أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: 365هـ) ، في كتابه (الكامل في ضعفاء الرجال) في ترجمة عبد المجيد بن عبد العزيز . قال رحمه الله : " ونقم عَلَى عَبد المجيد أنه أفتى الرشيد بقتل وكيع بن الجراح.

وَالْحَدِيثُ فِي ذَلِكَ مَا، حَدَّثَنا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنا وَكِيعٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ عَبد اللَّهِ الْبَهِيِّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا مَاتَ لَمْ يدفن حتى ربا بطنه وأنتنت خَنْصَرَاهُ.."[22]

و من طريقه ذكرها ابن الجوزي في المنتظم[23]. و أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق علي بن خشرم عن وكيع 24 و عنه ذكرها الذهبي في سير اعلام النبلاء [25]و تاريخ الاسلام [26]

ثالثا : وكيع بن الجراح أحد الأئمة الأعلام والحفاظ الكرام محدث العراق ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : (ما رأيت أحداً أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع) ، وقال أيضاً (ما رأيت قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب مع خشوع وورع) ، وكان رحمه الله مع ذلك كثير الصلاة والصيام والقيام ، وكان يغشى عليه إذا سمع القرآن.

إلا أن هذا العالم العابد الإمام وقع في محنة غريبة بسبب روايته لخبر غريب في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وذلك أنه كان يحدِّث في مكة خبر وفاة النبي صلى الله

[22] الكامل ج7/48 ط الكتب العلمية - بيروت-لبنان .الطبعة الأولى، 1418هـ1997م

[23] 44/10

[24] 101/63 دار الفكر

[25] 9/159-160-161-162-163 ط الرسالة

[26] 13/244 ط التوفيقية

عليه وسلم فيقول : (أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله، وقال: " بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك "، ثم قال البهي: وكان ترك يوما وليلة حتى ربا بطنه، وانثنت خنصراه)!!

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة الإمام حافظ وقته وكيع بن الجراح

" محنة وكيع – وهي غريبة – تورط فيها، ولم يرد إلا خيراً، ولكن فاتته سكتة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع ، فليتق عبد ربه، ولا يخافن إلا ذنبه."

قال علي بن خشرم: حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي، أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله، وقال: " بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك "، ثم قال البهي: وكان ترك يوما وليلة حتى ربا بطنه، وانثنت خنصراه.

قال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا بمكة، اجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع، ونصبوا خشبة لصلبه، فجاء سفيان بن عيينة، فقال لهم: الله الله ! هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهها، وهذا حديث معروف.

قال سفيان: ولم أكن سمعته إلا أني أردت تخليص وكيع.

قال علي بن خشرم: سمعت الحديث من وكيع، بعدما أرادوا صلبه، فتعجبت من جسارته، وأخبرت أن وكيعاً احتج، فقال: إن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم عمر، قالوا: لم يمت رسول الله.

فأراد الله أن يريهم آية الموت.

رواها أحمد بن محمد بن علي بن رزين الباشاني قال: حدثنا علي ابن خشرم.

ورواها قُتَيْبة، عَنْ وكيع. وَ هَذِهِ هفوة مِن وكيع، كادت تَذهب فيها نفسه. فما لَهُ ولرواية هذا الخبر المنكرَ المنقطع؛ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ".
ولولا أنّ الحافظ ابن عساكر وغيره ساقوا القصّة في تواريخهم لتركتها وَلَمَا ذكرتها، ولكنْ فيها عِبرة.[27]

و قال في السير : " فهذه زلة عالم، فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الاسناد ! كادت نفسه أن تذهب غلطاً، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غضاً ما لمنصب النبوة، وهو في بادئ الرأي يوهم ذلك، ولكن إذا تأملته، فلا بأس إن شاء الله بذلك، فإن الحي قد يربوا جوفه، وتسترخي مفاصله، وذلك تفرع من الامراض، و " أشد الناس بلاء الانبياء " ، وإنما المحذور أن تجوز عليه تغير سائر موتى الآدميين ورائحتهم، وأكل الارض لاجسادهم، والنبي صلى الله عليه وسلم فمفارق لسائر أمته في ذلك، فلا يبلى، ولا تأكل الارض جسده، ولا يتغير ريحه، بل هو الآن، وما زال أطيب ريحاً من المسك، وهو حي في لحده حياة مثله في البرزخ، التي هي أكمل من حياة سائر النبيين، وحياتهم بلا ريب أتم وأشرف من حياة الشهداء الذين هم بنص الكتاب { أحياء عند ربهم يرزقون }[آل عمران: 169] وهؤلاء حياتهم الآن التي في عالم البرزخ حق، ولكن ليست هي حياة الدنيا من كل وجه، ولا حياة أهل الجنة من كل وجه، ولهم شبه بحياة أهل الكهف، ومن ذلك: اجتماع آدم وموسى، لما احتج عليه موسى، وحجه آدم بالعلم السابق , كان اجتماعهما حقاً، وهما في عالم البرزخ،

---

[27] تاريخ الايلام 244/13

وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رأى في السماوات آدم وموسى وإبراهيم وإدريس وعيسى، وسلم عليهم، وطالت محاورته مع موسى ، هذا كله حق.

والذي منهم لم يذق الموت بعد هو عيسى عليه السلام، فقد تبرهن لك أن نبينا صلى الله عليه وسلم ما زال طيباً مطيباً، وأن الارض محرم عليها أكل أجساد الانبياء، وهذا شئ سبيله التوقيف، وما عنف النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم لما قالوا له بلا علم: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ – يعني قد بليت – فقال: " إن الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء."

وهذا بحث معترض في الاعتذار عن إمام من أئمة المسلمين، وقد قام في الدفع عنه مثل إمام الحجاز سفيان بن عيينة، ولولا أن هذه الواقعة في عدة كتب، وفي مثل " تاريخ الحافظ ابن عساكر "، وفي "كامل الحافظ ابن عدي " لاعرضت عنها جملة، ففيها عبرة ..[28]

ثم قال :" قال قتيبة: فكان وكيع إذا ذكر فعل عبد المجيد، قال: ذاك جاهل، سمع حديثا لم يعرف وجهه، فتكلم بما تكلم .
قلت: فرضنا أنه ما فهم توجيه الحديث على ما تزعم، أفما لك عقل وورع؟ أما سمعت قول الإمام علي: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ أما سمعت في الحديث: (ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان فتنة لبعضهم) ؟[29]

[28] سير اعلام النبلاء 9/160-161-162
[29] 9/163-164

رابعا : موقف العلماء من هذه الرواية

- أنكرها العلماء في زمن وكيع حتى أفتوا بقتله ، وحتى سفيان بن عيينة إنما قال قولته ليدفع الموت عن وكيع .

الذهبي الذي ساقها في ترجمة وكيع قال : وَهَذِهِ هفوة مِن وكيع، كادت تَذهب فيها نفسه. فما لَهُ ولرواية هذا الخبر المنكرَ المنقطع؛ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ".
و قال : " فهذه زلة عالم، فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الاسناد ! كادت نفسه أن تذهب غلطاً، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غضاً ما لمنصب النبوة"

خامسا : ذكر بعض علل الرواية

- رواية منكرة تخالف الروايات الصحيحة المشهورة في صفة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، و التي أجمعت عليها كتب السيرة و الحديث .و منها ما ثبت عن علي رضي الله عنه ، قال : " غسلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلت أنظر ما يكون من الميت ، فلم أر شيئا ، و كان طيبا حيا و ميتا " [30]

و قال ابن اسحاق : ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت .

- راويه (البهي) ، هو عبد الله بن يسار مولى أل الزبير . تابعي لم يدرك الواقعة ، و في سماعه من عائشة نظر .قال ابن ابي حاتم : لا يحتج بالبهي و هومضطرب الحديث . و قال ابن حجر : صدوق يخطئ .

[30] أخرجه الحاكم في المستدرك برقم 4370 و صححه الألباني في الجنائز ص 30 و ذكرها ابن اسحاق في السيرة 662/2

فمثله لا يقبل منه اذا تفرد فكيف إذا كان خبرا منكرا منقطعا!
سادسا : قو له " أهملوا رسول الله ..." كيف علم بذلك ؟ و هل يعي معنى الإهمال ؟ و هذه كلمة لا تخرج من فم رجل قلبه ممتلئ حبا و تعظيما لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم . و في هذه العبارة من الطعن الصريح بصحابة النبي ووصفهم بالإنشغال بكرسي الحكم على دفن النبي ، و قد تلقف هذ الطعن من مواقع النصارى و الملحدين على شبكة النت ! بناءا على رواية حكم العلماء أنها باطلة منكرة .

و قد ذكر ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي آخر يوم الإثنين ، و لما بويع الصديق يوم الثلاثاء أقبل أهل بيته صلى الله عليه وسلم في جهازه و فرغ من غسله و تكفينه يوم الثلاثاء ، ووضع في بيته الطاهر ، و حفر له قبره الشريف في موضع وفاته ، و أخذ الناس يدخلون للسلام عليه حتى سلم عليه كل من كان في المدينة من الصحابة و الصحابيات و أبنائهم ، ثم دفن ليلة الأربعاء .

مطاعن أيلال في ابي هريرة :

قال : و لمن يقدس الصحابة ما عليه إلا قراءة القرآن ، سيما سورة التوبة التي يسميها البعض بالفاضحة ، فقد ورد فيها كثيرا من الانتقاد لهم ، وأظهرت حقائق العديد منهم ، بل يمكنك أيها المقدس المقلد أن ترجع إلى الأحاديث التي تسميها صحيحة لتقف على رأي الصحابة في بعضهم البعض ، فستصدم من حجم السهام التي وجهها هؤلاء لبعضهم البعض.

وهنا أنقل لكم ما اورده الكاتب زكريا اوزون في كتابه "جناية البخاري" ص20 نقلا من تاريخ الذهبي وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه حول رأي الخليفة عمر بن الخطاب في الصحابي ابي هريرة ، يقول:"

وحين توفى النبى ولاه الخليفة عمر (عام 20 هـ) على البحرين بعد وفاة العلاء بن الحضرمى وسرعان ما عزله وولى مكانه عثمان بن أبى العاص الثقفى، أما السبب فى ذلك فكان عندما أجاب الخليفة عمر بأنه-أبو هريرة-يملك عشرين ألفًا من بيت مال البحرين حصل عليها من التجارة (بقوله كنت أتجر) وكان رد الخليفة عمر: "عدوا لله والإسلام،عدوا لله ولكتابه، سرقت مال الله، حين استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين ما رجعت بك أميمة (أمه) الا لرعاية الحمير" وضربه بالدرة حتى أدماه. وقد منعه تماما عن رواية الحديث النبوى بقوله: (لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القرود أو بأرض دوس).

ويؤكد أبو هريرة ذلك فيقول: "ما كنت أستطيع أن أقول قال رسول الله حتى قبض عمر" أو: لو كنت أحدث فى زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربنى بمخفقته". انتهى من كتاب جناية البخاري الصفحة 20 .

ولك أن تعجب من رأي الصحابة "العدول كلهم" في بعضهم البعض ، حيث نمنع نحن من قول أبسط من هذا وأقله عن بعضهم ، لكن من يستعمل عقله ولو لمرة واحدة ليقف على هاته الأكذوبة المسماة "علم الرجال" ؟ ...من؟

الوقفة الأولى : كان عمر رضي الله عنه يحب للصحابة ما يحب لنفسه، فكان يكره لأحدهم أن يدخل عليه مال فيه رائحة شبهة، وله في ذلك أخبار معروفة في سيرته، كان معاذ بن جبل من خيار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يأتي معاذ يوم القيامة أمام العلماء برتوة» وقال أيضاً «وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» وكان معاذ سمحاً كريماً، فركبته ديون، فقسم النبي صلى الله عليه وسلم ماله بين غرمائه، ثم بعثه على اليمن ليجيره، فعاذ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومعه مال لنفسه، فلقيه عمر فأشار عليه أن يدفع المال إلى أبي بكر ليجعله في بيت المال، فأبى وقال: إنما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجيرني. ثم رأى رؤيا فسمحت نفسه لذهب إلى أبي بكر وبذل له المال، فقال أبو بكر: قد وهبته لك. فقال عمر: الآن حل وطاب. يعني أن الشبهه التي كانت فيه هي احتمال أن يكون فيه حق لبيت المال فلما طيبه له أبو بكر –وهو الإمام– صار كأنه أعطاه من بيت المال، لاعتقاده أنه مستحق، فبذلك حل وطاب (انظر ترجمة معاذ من الاستيعاب والمستدرك 272:3) فلما استخلف عمر جرى على احتياطه فكان يقاسم عماله أموالهم، فيجعل ما يأخذه في بيت المال، قال ابن سيرين «فكان يأخذ منهم ثم يعطيهم أفضل من ذلك» كما سيأتي، وكان عمر يخوف عليهم أن يكون الناس راعوهم في تجارتهم ومكاسبهم لأجل الإمارة،

فكان يأخذ منهم ما يأخذ ويعضه في بيت المال لتبرأ ذممهم، ثم يعطيهم بعد ذلك من بيت المال بحسب ما يرى من استحقاقهم، فيكون حلاً لهم بلا شبهة، وقد قاسم من خيارهم سعد بن أبي وقاص وغيره كما ذكره ابن سعد وغيره.

وكان عمر رضي الله عنه للصحابة بمنزلة الوالد، يعطف ويشفق ويؤدب ويشدد وكان الصحابة رضي الله عنهم قد عرفوا له ذلك، وقد تناول بدرّته بعض أكابرهم كسعد بن أبي وقاص وأبي بن كعب ولم يزده ذلك عندهم إلا حباً (انظر سنن الدارمي: باب من كره الشهرة والمعرفة. وطبقات ابن سعد: ترجمة عمر) فأهل العلم والإيمان ينظرون إلى ما جرى من ذلك نظرة غبطة وإكبار لعمر ولمن أدبه عمر. وأهل الأهواء ينظرون نظرة طعن على أحد الفريقين ..[31]

الوقفة الثانية : أما أبو هريرة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وأوصاه به خيرا / فاختار أن يكون مؤذنا كما في الإصابة والبداية وغيرهما. ثم رجع العلاء في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما في فتوح البلدان ص 92 ورجع معه أبو هريرة ثم بعث عمر سنة 20 أو نحوها قدامة بن مظعون على إمارة البحرين وبعث معه أبا هريرة على الصلاة والقضاء ثم جرت لقدامة قضية معروفة فعزله عمر وولى أبا هريرة الإمارة أيضاً، ثم قدم أبو هريرة بمال لبيت المال ومال له، قال ابن كثير في البداية 113:8 «قال عبد الزاق حدثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال أي عدو الله وعدو كتابه؟ فقال أبو هريرة: لست بعدو الله ولا عدو كتابه، ولكن عدو من عاداهما. فقال: فمن أين هي

[31] الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص: 213-214)

لك؟ قال: خيل نتجت وغلة رقيق لي وأعطية تتابعت علي، فنظروا، فوجدوه كما قال. فلما كان بعد ذلك دعاه ليستعمله فأبى أن يعمل له، فقال له: تكره العمل وقد طلبه من كان خيراً منك. طلبه يوسف عليه السلام. فقال: إن يوسف نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة ابن أميمة، وأخشى ثلاثاً واثنين. قال عمر: فهلا قلت خمسة (؟) قال أخشى أن أقول بغير علم وأقضي بغير حلم، أو يضرب ظهري وينتزع مالي ويشتم عرضي؟

والسند بغاية الصحة. وفي فتوح البلدان ص 93 من طريق يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن سيرين عن أبي هريرة لما قدم من البحرين ... فذكر أول القصة نحوه. وفيه «فقبضها منه» والسند صحيح أيضاً. وأخرجه أيضاً من طريق أبي هلال الراسبي عن ابن سيرين عن أبي هريرة، فذكر نحوه إلا أنه وقع فيه «اثنا عشر ألفاً» والصواب الأول لأن أبا هلال في حفظه شيء، وفيه «فلما صليت الغداة قلت: اللهم اغفر لعمر قال: فكان يأخذ منهم ويعطيهم أفضل من ذلك» وفي تاريخ الإسلام للذهبي 338:2 «همام بن يحيى حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أن عمر قال لأبي هريرة: كيف جدت الإمارة؟ قال: بعثني وأنا كاره، ونزعتني وقد أحببتها» وأتاه بأربعمائة ألف من البحرين فقال: أظلمت أحداً؟ قال: لا. قال: فما جئت به لنفسك؟ قال: عشرين ألفاً. قال من أين أصبتها؟

قال: كنت أتجر. قال: انظر رأس مالك ورزقك فخذه واجعل الآخر في بيت المال»

فكأنه قدم لنفسه بعشرين ألفاً فقاسمه عمر مكا كان يقاسم سائر عماله، فذكر ابن سيرين عشرة آلالاف المأخوذة لبيت المال . فقد تحقق بما قدمنا من الروايات الصحيحة أن المال الذي جاء به أبو هريرة لنفسه من البحرين كان من خيله ورقيقه وأعطيته، وأخذ عمر له أو لبعضه لا يدل على ما قدمنا من الاحتياط، ثم يعطيهم

خيراً منه. وبما يوضح براءة أبي هريرة في الواقع وعند عمر إظهاره المال وعزم عمر على توليته فيما بعد وامتناع أبي هريرة من ذلك .[32]

الوقفة الثالثة : زعم أن عمر تهدده بالنفي إلى بلاده أو إلى أرض القردة إن استمر يحدث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –،[33] فذلك دس منه وعبارة ابن كثير: وقال – عمر– لكعب الأحبار: «لتتركن الحديث (عن الأول) أو لألحقنك بأرض القردة» [34] فهو تهديد من عمر لكعب الأحبار ترك الحديث عن بني إسرائيل وأخبارهم لا تهديد لأبي هريرة بترك الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. على أن ابن كثير بعد أن ذكر نهي عمر لأبي هريرة عن التحديث قال: «وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطإ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك. وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك في التحديث» .

الوقفة الرابعة : الحاصل أن الذين عرفوا بكثرة الحديث من الصحابة كابن عباس وأبي هريرة وعائشة وجابر بن عبد الله. وابن مسعود معهم، لم يرو عنه أنه تعرض لهم بشيء بل روي أنه قال لأبي هريرة حين بدأ يكثر من الحديث: «أكنت معنا حين كان النبي – صلى الله عليه وسلم – في مكان كذا؟ قال: نعم، سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»، فقال له عمر: أما إذا ذكرت ذلك فاذهب فحدث». فكيف يعقل أن يترك أبا هريرة وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق، ثم يحبس مثل ابن مسعود وهو أقل

---

[32] الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص: 216-215)
[33] ابن أبي الحديد في "شرحه لنهج البلاغة " 1/ 360
[34] " البداية والنهاية ": 8/ 108

من أبي هريرة حديثا، أو مثل أبي الدرداء وأبي ذر، وهما لم يعرفا بين الصحابة بكثرة الحديث مطلقا. " [35]

الوقفة الخامسة : قال ابن عمر: "يا أبا هريرة، أنت كنت ألزمنا لرسول الله وأحفظنا لحديثه". رواه الترمذي (٣٧٧١)

وقال أبو طلحة: " أمّا أن يكون (أي أبو هريرة) سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نسمع عنه، وذاك أنه كان مسكيناً لا شيء له، ضيفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يده مع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ". رواه الترمذي .

و قال الحاكم رحمه الله في المستدرك : " وإنما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معاني الأخبار ، إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم – الذي هو كفر – فيشتمون أبا هريرة ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويهاً على الرعاع والسفل ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة .

وإما خارجي يرى السيف على أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – خلاف مذهبهم الذي هو ضلال ، لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان ، كان مفزعه الوقيعة في أبي هريرة . أو قدري اعتزل الإسلام وأهله ، وكفَّر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في إثبات القدر لم يجد بحجة يريد صحة مقالته التي هي كفر وشرك ، كانت حجته عند نفسه : أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها .

أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه وأخباره ، تقليداً بلا حجة ولا برهان ، تكلم في أبي هريرة ، ودفع أخباره التي تخالف مذهبه ، ويحتج بأخباره على مخالفيه ، إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه .

---

[35] مصطفى السباعي ص 65

وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخباراً لم يفهموا معناها ، أنا ذاكر بعضها بمشيئة الله تعالى " أهـ

لماذا الهجوم على الإمام البخاري

لماذا خص أيلال البخاري بالنقد

إعتبار سيرة البخاري سيرة أحلام

اتهام البخاري بالتدليس

إدعاؤه أن البخاري مجروح و متروك الحديث

إدعاؤه ذم ابن المديني للبخاري

إعاؤه أن فارسية البخاري مانعة له عن تأليف كتابه

إدعاؤه أن العلماء أثبتوا العصمة للبخاري

طعنه في حفظ البخاري

تهكمه من وصف البخاري بلقب أمير المؤمنين في الحديث

البخاري و بولس النصراني

التكذيب بالمدة التي استغرقها البخاري في تأليف صحيحه

لماذا الهجوم على الإمام البخاري

البخاري وسيلة و النبوة غاية

لماذا الهجوم على الإمام البخاري بالضبط.. الأمر واضح.. والهدف جلي، إنه التشكيك في الاصول، وزرع ثقافة الأفول.. وإنسان تمكن منه الشك سهل اختراقه.. يحاولون الوصول إلى التشكيك في كتاب الله من خلال التشكيك في أصح كتاب بعد كتاب الله، كما تلقت ذلك الأمة بالقبول[1]..

إن النقاش الذي نحن بصدده اليوم أكبر بكثير من أن يقتصر على طعن شخص بعيد كل البعد عن عالم الفكر والمعرفة في كتاب تجاوز القنطرة عند المتخصصين من علماء الحديث، وتلقته الأمة على اختلاف مذاهبها بالقبول، وأولته العناية اللائقة به كمرجع من مراجع الشريعة الإسلامية..

النقاش ليس أيضا حول بعض الأحاديث التي استحالتها عقول المنتسبين للعلمانية، وهي بالمناسبة أحاديث بسط الكلام حولها قديما وحديثا، وذلك بعد أن حاول مستشرقون ولادينيون، غربيون وعرب، المرور عبرها للطعن في صحيح البخاري من جهة، والقرآن وباقي كتب السنة من جهة أخرى، وقد باءت محاولاتهم بالفشل الذريع.

النقاش الحقيقي هو موقف التيار العلماني من النبوة أصالة، هل يؤمن المنتسبون إليه بأن محمدا –صلى الله عليه وسلم– رسول الله، وأن ما جاء به في التوحيد والتشريع والعقائد والعبادات حق؟

هل يقفون إزاء ما جاء به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– موقف المستسلم المنقاد، أم المستكبر المعاند؟

هل يؤمنون بأن الله تعالى حفظ الذكر (القرآن والسنة) من التحريف والتبديل، أم لا؟

[1] نفح الباري في محبة سيدنا الإمام البخاري." نشرها إمام مسجد الحسن الثاني الشيخ القزابري في صفحته على "فيسبوك"

هل يعتقدون أن الإسلام هو الدين الخاتم الذي لن يقبل الله من الإنسان يوم القيامة غيره؟!

بعد الجواب عن هذه الأسئلة المحورية في النقاش يمكننا بعد ذلك أن ندلف إلى مناقشة الجامع الصحيح للإمام البخاري، ولماذا يعتبر هذا الكتاب لدى المسلمين أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، وأصح كتاب جمعه إنسان، وما انتقده الدارقطني وأبي مسعود الدمشقي وأبي علي الغساني عن الجامع الصحيح، وما قد تحار فيه العقول من أحاديث تضمنها هذا الكتاب.

أما الاشتغال بشبه من لا يؤمن بالوحي أصلا، ويتوارى حول العلوم الإنسانية والمستجدات العلمية والوقتية، ويحكّم عقله النسبي القاصر على وحي الله المطلق الشامل، ويخرج بوجه صلف ليخبرنا بأن من حق المتخصصين في كل الأبواب تناول هذا المرجع الحديثي بالنقد والمساءلة، وأن هذه الأحاديث يقبلها العقل والمرجعية الغربية لحقوق الإنسان وهذه لا يقبلها، فهذا مضيعة للوقت وإهدار للجهد فيما لا طائل تحته، فكل يناقش الموضوع من زاويته ومن مرجعيته التي يعتقد أنها الحق.

ورحم الله العلامة المحقق ابن قيم الجوزية إذ قال) :المعارضة بين العقل ونصوص الوحي، لا تتأتى على قواعد المسلمين المؤمنين بالنبوة حقا، ولا على أصول أحد من أهل الملل المصدقين بحقيقة النبوة، وليست هذه المعارضة من الإيمان بالنبوة في شيء، وإنما تتأتى هذه المعارضة ممن يقر بالنبوة على قواعد الفلسفة) (الصواعق المرسلة 955/3.(

إن من يحارب الخرافة والأسطورة لا يتحالف مع غلاة الصوفية ويحيي عبادة القبور والموتى ويذكي الدجل والاعتقاد في الأقطاب والأوتاد والنجباء والأبدال، ويؤلف في ذلك الكتب ويعقد الندوات، ويحيي تراث ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين وجلال الدين الرومي.

من يحارب الخرافة لا يسكت عن انتهاكات حقوق الإنسان في المواسم والزوايا، ويشجع على سلوكات حاطة بالكرامة الإنسانية.

من يحارب الخرافة لا يقبل باستبداد الولي واستغلال الفقراء والضعفاء والسطو على أموالهم بدعوى تقديم القربان للضريح.

للأسف من يزعمون أنهم يحاربون الأسطورة والخرافة هم أكثر الناس دعما لها ولأهلها، وهذا ليس وليد اليوم فقد عني المستشرقون قديما عناية بالغة برموز التصوف وكتبهم في القرن التاسع عشر، بل إن لهم قدم السبق على معاصريهم من المتصوفة في تحقيق ونشر الكثير من تراث التصوف.[1]

إفتتح الكاتب هذا الفصل الموسوم ب " أسطورة البخاري " ، بتهييء القارئ لتقبل أحكامه و نتائجه دون أن يترك له خيار الإستنتاج .فقرر أن كل ما و روي عن البخاري خرافات و أساطير إختلق الرواة و المشايخ بمثابة سياج كهربائي حتى لا يتجرأ أحد على الإقتراب من شخصية البخاري بحثا أو نقدا . يقول : " سنتطرق فيه إلى أسطورة البخاري ، حيث سنقف على مجموعة من الخرافات المتعلقة بشخصية محمد بن إسماعيل البخاري ، و سيقف القارئ من أول وهلة عليها ليكتشف بدون عناء ، أنها أساطير ألصقت بهاته الشخصية ، فكانت بمثابة سياج كهربائي وضع حولها ، حتى لا يتجرأ أحد على إنتقادها ، أو حتى التفكير من الإقتراب منها بالتمحيص العقلي ، الذي يميز الخبيث من الطيب "[2]

لماذا خص أيلال البخاري بالنقد ؟ فيمكن تلخيص ذلك فيما يلي :

- نقد الموروث الديني : يقول " إن بحثنا في شخصية البخاري الموروثة و الكتاب المنسوب إليه ، لمن باب إهتمامنا بنقد الموروث الديني الدي ورثناه عن آبائنا و أجدادنا من غير مشورة منا ، نحاول جهدنا أن نتعرف عليه ، لنقف على شذراته اللماعة الصالحة لعصرنا و مصرنا للإنتفاع بها ، و تمييز غثه من سمينه ، و معقولاته من خرافاته ، و حقائقه من أساطيره "[3]
- تنقية شخصية البخاري من الأساطير التي حيكت حولها حتى غال فيه البعض – حسب زعمه – ليرفعه الى مقام الأنبياء . يقول : " و لعل الشخصية لدينية الأكثر تأثيرا

[1] البخاري يعري أساطير وخرافات اللادينيين نبيل غزال- الأثنين 06 نوفمبر 2017 هوية بريس

[2] ص 73

[3] ص 73-74

في التاريخ الإسلامي هي شخصية محمد بن إسماعيل البخاري لما حملته من ملامح جعلت البعض يغالي فيها ليرفعها إلى مقام الأنبياء أو أكثر ، و كذا الكتاب المنسوب إليه (صحيح البخاري) الذي تم رفعه الى مستوى يقارن بكتاب الله ".[1]

- أن شخصية البخاري " لم تعد ملك نفسها ، بل أصبحت ملكا لكل الباحثين و المهتمين ، لينبشوا فيها ، و يقفوا حول حقيقة ما يثار ولها ، و ما مدى صدقية ومصداقية ما أثر عنها من آثار ، و ما روي عنها من أخبار "[2]

- محاربة الفكر السلفي – و الذي يعتبر الإمام البخاري أحد أعلامه و رموزه — و إعتباره " من الطوام الكبرى التي جعلت أمة بكاملها تقع في المحظور هو قلبها للحقائق ، و تقديسها للماضي و رجاله ، حتى سارت الركبان بمقولة ددت على الألسن بدون وعي من قائليها ، و لا تمحيص (الخير في اتباع من سلف و الشر في ابتداع من خلف) .و بذلك أصبحت أمة المليار تسير الى الوراء ، بدل أن تسير الى الأمام ، فلا فهم إلا فهم السلف ، و لا علم إلا علمهم ، حتى غدا سؤال " هل لك سلف في هذا " ؟ من الأسئلة الملجمة لحرية الرأي و حرية الفكر التي هي أساس كل تقدم .."[3]

هل أثبت علماء الحديث العصمة للبخاري ؟

هل البخاري معصوم ؟

إشتدت حرب أفراخ الحداثة و العلمانية على السنة النبوية ، و لإسقاطها لابد أن يشككوا الناس في مصدرها ، فشنوا حملة شرسة قذرة على الصحيحين — خاصة صحيح الامام البخاري – بدعوى احتوائه على أحاديث و روايات خرافية و أساطير مكذوبة على النبي ، و تسيء الى الاسلام و النبي و تخالف العقل و العلم .. و إذا جوبه العلماني بأنه ولج الى ميدان ليس ميدانه و إقتحم علما ليس من أهله و حذاقه ، أجاب بلازمته المشهورة ، و هل

[1] ص74
[2] ص 74
[3] ص 75

البخاري معصوم ؟ ألم يضعف الدارقطني و غيره أحاديث في الصحيح ، وهم رجال و نحن رجال و أن له أسوة بمن سبق !

فنقول : شتان بين الثرى و الثريا ، فانتقادات أمثال الدارقطني و غيره إنتقادات علمية في حدود ضوابط البحث العلمي ووفق قواعد المحدثين ، أما هذا التضعيف الوافد فلا أصل له في مناهج البحوث الصحيحة ، و لا يعرفه الدارقطني و لا غيره من أئمة الحديث . فللحديث آليات و مناهج و ضوابط يعرفها أهله ، و يفقهها من أفنى عمره في تحصيله و تفهمه .[1]

ثم إنه لم يقل أحد من علماء الأمة – لا قديما و لا حديثا – أن البخاري معصوم عن الخطأ ، و لم يرفعوه لمرتبة الأنبياء ، بل الكل مجمع على أنه بشر يصيب و يخطئ و أن كتابه من أصح الكتب الحديثية . و هذا الحكم لم يطلقه البخاري على نفسه بل وسمه به كبار علماء الأمة و عباقرة محققيها ، على مر القرون ، و هذا الإجماع ليس ضربا من الهوى و العبث بل حصيلة جهود جبارة من التحقيق و الدراسة العلمية للصحيح : تحقيقا لرواياته و أسانيده و مدى التزامه بشروطه التي ألزم بها نفسه ،و تنقيبا عن رواته و إخضاعهم لعلم الجرح و التعديل ، و دراسة لمتونه من حيث انتفاء الشذوذ و العلة و غير ذلك من شروط قبول الرواية أو رفضها .

و يعتبر أيلال أن السبب الرئيسي وراء غلو المشايخ في البخاري و إضفاء العصمة عليه هو التأسيس لإضفاء الكمال على صحيحه و تقديسه يقول : " إن الغلو في شخصية البخاري وتحويلها إلى شخصية خرافية تتفوق على البشر في كل شيء ، حتى أنها باتت لدى بعض الشيوخ لاتخضع للمقياس البشري ، لانها تفوقت على هذا المقياس بالأحلام والأساطير المؤسسة لها ، لذلك فهذا الغلو يفضي في النهاية الى تقديس الكتاب المنسوب للشيخ البخاري ، والذي أطلق عليه اسم "الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه" ويطلق عليه الشيوخ اختصارا "الجامع الصحيح" أو "صحيح البخاري"، لتنسج خيوط التقديس حول هذا الكتاب كما نسجت حول محمد بن إسماعيل، وإني لأظن أن الخرافات التي نسجت حول شخصية البخاري كانت من أجل اضفاء شرعية خرافية على هذا الكتاب ، كعادة الشيوخ في الاستدلال على الحقيقة بالرجال، فعليهم أن

[1] الاحاديث المنتقدة في الصحيحين لأحمد حفو ص 13

يضفوا كل الكمال على شخصية البخاري، وبعدها يسهل عليهم أن يضفوا القداسة على الكتاب المنسوب إليه، وبما أن شخصية البخاري شخصية كاملة لاتخطئ ، فلا يمكن أن يصدر عنها الا الكمال والصواب، ومن هنا جاء تقديس صحيح البخاري ، وتم نسج الاسطورة المؤسسة لهذا الكتاب." [1]

يقول أحمد صبحي منصور – حداثي و كبير القرآنيين – في تعريف التقديس الذي يتهم به علماء الأمة :

التقديس يعنى أن تحب شخصا الى درجة التأليه . ومن ملامح تأليه شخص ما أن تعتقد عصمته من الخطأ ،بأن تتهيب نقده وتعتبر الهجوم عليه كفرا وجريمة دينية ، وتحاول تبرير جرائمه ، وتعتقد أنه جزء من دينك وإيمانك ، ولا تشعر بأنك تساويه فى الانسانية والبشرية ، بل هو يسمو عنك ومختلف عنك ، وأن له مكانة خاصة عند الله جل وعلا بحيث أنك مهما فعلت من الصالحات فلن تكون فى مستواه . [2]

لكن هل كون البخاري بشر يلزم وجود أخطاء في أي عمل يقوم به ؟

أجاب عن هذا السؤال الشيخ الشريف حاتم العوني. قال –حفظه الله – :3

والجواب الأوّل: أن قوله: "إن عمل الإنسان لا يمكن أن يكون متقنًا خالياً من الأخطاء"، لا أدري كيف أفهمه؟ لأن الإنسان قد يتقن عملاً ما إتقاناً لا ترى فيه خطأً، ولا أظن السائل سيفقد كثيراً جدًّا من الأعمال البشرية حوله، ومن الصنائع المتقنة غاية الإتقان، وتؤدّي الغرض منها على صورة بالغة الدقّة. فكيف ينكر أن يكون عملُ البخاري متقناً؟

أظن السائل قد استقرّ في ذهنه أن الإنسان عمومًا غير معصوم، فظنّ أن عدم عصمة الإنسان يستلزم أن يخطئ في كل عمل! وهذا غير صحيح؛ فإن غير المعصوم لا يكون غير معصوم في كل عمل، بمعنى أنه لن يخطئ في كل عمل، بل شأن الإنسان أن يصيب وأن يخطئ. فما الذي يمنع (عقلاً) أن يكون البخاري قد أصاب في صحيحه ولم يخطئ فيه، وإن كان يخطئ في مؤلفاته وأعماله الأخرى؟!!

إذن فمسألة العصمة لا علاقة لها بإتقان البخاري لصحيحه.

الجواب الثاني: ولو افترضنا أنّ العمل البشري كلّه لابدّ أن يكون فيه خطأ، وأنه لا يصحُّ

[1] ص 108
[2] http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_fatwa.php?main_id=2052
[3] فتوى بعنوان الجواب عن طعون في صحيح البخاري .موقع الاسلام اليوم http://www.islamtoday.net

العمل البشريّ مطلقًا= فإن للخطأ وجوهاً عديدةً. فقد يكون كل ما في كتاب البخاري صحيحًا ثابتًا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لكنّ خطأ البخاري الذي سيلزم عملَه البشري قد يكون في ترتيب كتابه، أو في فهمه –للأحاديث– الذي ذكره في عناوين أبوابه. فما الذي يُوجب أن يكون خطأ البخاري الذي سلّمنا (تنزُّلاً) بوجوب وقوعه في تصحيحه، دون ترتيبه أو تبويبه؟!! أو لا يكفي أن يقع الخطأ في الترتيب أو التبويب ليثبت وَصْفُ البشريّة على عمل البخاري؟!!

الجواب الثالث: من قال للسائل إن أهل السنّة يعتقدون أن كل أحاديث صحيح البخاري صحيحة؟ فهذا أحد العلماء الكبار في علوم السنة، وهو أبو عَمرو ابن الصلاح (ت 643هـ = 1245م)، يقول في كتابه (علوم الحديث): "إن ما انفرد به البخاري ومسلم مُنْدرجٌ في قبيل ما يُقطع بصحّته، لتلقّي الأمّة كل واحد من كتابيهما بالقبول، على الوجه الذي فصّلناه من حالهما فيما سبق، سوى أحرف يسيرة تكلّم عليها بعضُ أهل النقد الحفّاظ، كالدارقطني وغيره، وهي معروفة عند أهل هذا الشأن". علوم الحديث لابن الصلاح (29).

ومعنى هذا الكلام: أن غالب وعامة ما في صحيح البخاري صحيحٌ مقطوعٌ به، لا من جهة أنه جُهْدُ البخاري وحده، ولكن لأن علماء السنّة على مرّ العصور قد درسوا هذا الكتاب أعمق دراسة، وفحصوا أحاديثه أشد الفحص، فخرجوا بتأييد البخاري في أكثر الكتاب والأعمّ الأغلب منه. ومن دلائل إنصافهم وموضوعيتهم في تلك الدراسة وذلك الفحص الذي سبق ذكره أنهم خالفوا البخاري في بعض الأحاديث، كما فعل الإمام الدارقطني (ت 385هـ =995م)، حيث ألّف كتاباً فيما ينتقده على الصحيحين، وهو كتاب (التتبّع)، وهو كتاب مطبوع مشهور.

لكنيّ أنبِّه السائل إلى أنّ مخالفة بعض كبار النقّاد للبخاري في عدد قليل جدًّا من أحاديث كتابه، لا يبيح لمن لم يتعمّق في علم الحديث تعمُّق أولئك النقّاد أن ينتقد أحاديث أخرى لم ينتقدوها، ولا يجعل تضعيف أحاديث البخاري حقًّا مُشَاعًا لكل من أحب ذلك، بل لا شك أنه ليس من حقِّ غير العالم بالسنّة أن يُدخل نفسه في مناقشة الحديث الذي وقع فيه الاختلاف بين البخاري والإمام الآخر الذي خالفه؛ لأن هذه المناقشة تستلزم أن يُنصِّب نَفْسَه حَكَمًا بين علماء وأئمة السنّة، ومَنْ هو الذي يَتَصَوّر أن هذه المنزلة مُمكنةٌ لكل

أحد؟!

فانتقاد الدارقطني (وهو النَّقَّادُ الكبير) لقليل من أحاديث البخاري لا يجيزُ لمن لم يبلغ نحواً من منزلته في العلم بالسنة أن يفعل فعله؛ وذلك لسببين كبيرين:

الأول: أن كل علم من العلوم له أعماق سحيقةٌ وقِمَمٌ رفيعة، لا يغوص ولا يسمو إليها إلا كبار علماء ذلك العلم، فإن خاض فيها غيرهم أتى بالجهالات والعجائب؛ بسبب أنه يتكلم فيما يجهل، والكلام بجهل لا يقبله عاقل لنفسه ولا من غيره.

ومَثَلُ من يحتجّ بنقد الدارقطني وأمثاله من النقَّاد لبعض أحاديث البخاري ليمارس هو هذا النقد، مع عدم بلوغه قريبًا من منزلتهم في علمهم الذي مارسوه= مَثَلُ من يريد أن يُجْري عمليّةً جراحيّةً خطيرة لأحد الناس؛ بحجّة أن الطبيب العالمي فلان قد أجرى هذه العمليّة! هل يحق لأكبر مهندس أو أجل فيزيائي أن يفعل ذلك؟! بل هل يحق لطبيب غير جرّاح أن يفعل ذلك؟! بل هل يحق لجرّاح لا يصل إلى قريب من مهارة ذلك الطبيب العالمي أن يمارس عمليّةً تفوق مهاراته؟!!! هذه حقيقةُ ما يُريدُهُ أولئك القوم، الذين يُبيحون لأنفسهم الخوض في علوم السنة، بل في أعمق علوم السنة!!!

الثاني: أن إجماع علماء الأمة على تلقِّي الصحيحين بالقبول لا يمكن أن لا يكون له أثر، ولا يصحّ أن يتساوى كتابٌ لقي تلك العناية (كصحيح البخاري وصحيح مسلم) وكتابٌ آخر لم يَلْقَها، ولا يمكن أن يقبل منصفٌ أن يجعل المتَلَقّى بالقبول من علماء الأمّة كالذي لم يَنَلْ هذه المكانة السامية. ونَقْدُ بعض أحاديث الصحيحين لا يُلْغي تلك الحقوق؛ لأنه ما من كتاب (حاشا كتاب الله) إلا وقد وُجِّه إليه نقد. فماذا يمتاز به الكتاب الذي وُجه إلى قدر يسير منه نقد، مع اتّفاق الأمة على صحّة غير هذا القَدْر اليسير المُنْتَقَد؟

الجواب هو ما ذكره ابن الصلاح أن كل ما لم ينتقده الأئمةُ الحفّاظ الذين كانت لديهم أهليّة الخوض في أعمق مسائل علم الحديث، أنه داخلٌ ضمن إجماع الأمة على صحّته، وأن نجاته من نقد الناقدين يدل على قبوله عند هؤلاء الناقدين؛ ولذلك كان كل مالم ينتقده أولئك النقَّاد من أحاديث الصحيحين مفيدًا لليقين بصحّته عند علماء السنة، كما سبق عن ابن الصلاح. فما لم يُنْتَقد من أحاديثهما ليس فقط صحيحًا، ولا خرج عن أن يحق لغير كبار النقَّاد أن ينتقدوه فَحَسْب، بل تجاوز ذلك: إلى أن يكون مقطوعًا بصحّته مجزومًا بثُبوته عن

رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بدليل ذلك التلقّي بالقبول من علماء السنة لهذين الكتابين، بمن فيهم أولئك العلماء الذين انتقدوا، ممّا يدل على أن ذلك التلقّي لم يكن تقليدًا من علماء الأمة للبخاري ومسلم، بل هو موافقةٌ لصحّة النتائج التي توصّلا إليها بناءً على النظر في الأدلّة والبراهين التي أوصلتهم إلى تلك النتائج، ولذلك خالف أولئك العلماء في قليل من تلك الأحاديث، وبقي الجزء الأكبر من أحاديث الصحيحين عندهم صحيحًا لا يخالفون في ثبوت وصف الصحّة له.

وبهذا يصبح انتقادُ أولئك النقّاد لبعض أحاديث الصحيحين سببًا لمنع من لم يصل إلى درجتهم في العلم أن يلج هذه الساحة؛ وصار دليلاً ضِدّ هؤلاء المتجرئين!!

لكني أعود وأذكر السائل أنه نسب إلى علماء السنة أنهم لم ينتقدوا صحيح البخاري، وكأنّهم اعتقدوا فيه العصمة، مع أنّهم قد مارسوا النقد العلمي لصحيح البخاري، وخالفوه في أحاديث قليلة، ولهم في ذلك مؤلفات شهيرة، وهي مؤلفات طُبع عددٌ منها، ويعرفها عامة المشتغلين بالسنة أدنى اشتغال.

وهذا خطأ ثانٍ وقع فيه السائل، يدل على بعده الكبير عن علوم السنّة، ممّا يدلّه على أنه عليه أن يُنْصِفَ هذا العلمَ من نفسه، فلا يخوض فيما لا يعلم!

إطلاق العلماء لقب " أمير المؤمنين في الحديث " على البخاري ليصنعوا منه بطلا على الأوراق .

قوله : وأنا أتعجب من هاته الألقاب لأتساءل : و متى كانت للحديث إمارة ليكون عليها أمير ..[1]

تساءل مستهزءا ساخرا من إطلاق العلماء لقب أمير المؤمنين على الإمام البخاري !

[1] ص 73

و بما أنه يدعي نظم القوافي نسأله : متى كان للشعر امارة ليكون لها أمير ؟ و متى كان للبيان امارة ليكون له أمير ؟

إن علماء الحديث لما أطلقوا على البخاري هذا اللقب ،كان غايتهم الإعتراف بعظيم منزلته الحديثية بين المحدثين ، و أنه مقدم على غيره في معرفة الحديث و وكشف أحوال الرجال و التحاكم اليه في معرفة علله .

أما هل كانت للحديث دولة ؟ فنقول له : نعم كانت له دولة و هيبة ، و لجهابدته صولة و مكانة فاقت منزلة و هيبة الحكام ! و كل من استقرأ كتب التواريخ و التراجم يعلم أن سوقهم كانت نافقة لما كانت المساجد و المدارس بل و أزقة بغداد و البصرة و دمشق و مصر وبلاد ما وراء النهر تمتلئ بألاف المحابر لتدوين و كتابة الحديث من فم رواته .

و ليقرأ تاريخ بغداد كيف امتلأت أزقة بغداد و ازدحم العلماء و الطلبة و ذوي الرياسة لإستقبال البخاري و السماع منه !

وليقرأ كيف استقبل أهل خراسان و بخارى البخاري على بعد أميال وكيف احتفوا به ؟

و يجهل المعترض أن لقب " أمير المؤمنين في الحديث "كان يطلق على جهابذة المحدثين ، الذين كانت لهم المنزلة الرفيعة بين القوم لتقدمهم على غيرهم في معرفة علل الحديث و أحوال الرجال . وهذا اللقب لم يظفر به إلا الأفذاذ النوادر، الذين هم أئمة هذا الشأن والمرجع إليهم فيه.

و مما أطلق عليه هذا اللقب جمهرة من المحدثين منهم :

إسحاق بن راهويه و أحمد بن حنبل و الدارقطني والامام مالك و عبد الله ابن المبارك و يحي بن سعيد القطان و غيرهم . و قد ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ما يقارب 26 محدثا قيل فيهم أنهم أمراء المؤمنين في الحديث . من أمثلة ذلك :

مالك بن أنس قال يحي بن معين : مالك أمير المؤمنين في الحيث .

شعبة بن الحجاج ، قال سفيان الثوري : يا شعبة أنت أمير المؤمنين في الحديث .

محمد بن يحي الذهلي ، قال ابن أبي داود عنه : هو أمير المؤمنين في الحديث .

سفيان الثوري ، قال فيه شعبة و يحي بن معين و جماعة : سفيان أمير المؤمنين في الحديث .

علي بن المديني ، و صفه الذهبي بقوله : الشيخ الامام الحجة أمير المؤمنين في الحديث .

أبو الزناد عبد الله بن ذكوان ، كان سفيان يسميه أمير المؤمنين في الحديث .

ابن حجر العسقلاني ، وصفه غير واحد من العلماء بقولهم : شيخ الإسلام ، أمير المؤمنين في الحديث.

عبد الغني المقدسي ، وصفه الحافظ الضياء بقوله : كان الحافظ عبد الغني أمير المؤمنين في الحديث .

ابن حجر الهيتمي ، و صفه العلامة الألوسي بقوله : شيخ الإسلام أمير المؤمنين في الحديث.

أما إعتبار إجماع العلماء على مدحه و ذكر خصاله الفريدة العجيبة كمن يعمد الى " صناعة الأبطال الورقيين على طريقة الإعلام المعاصر ، فيمكنه أن يسبغ على من يريد ما يريد ، ما دام الأمر مجرد كلام ، و ما دام الإغراق في المديح صفة عربية بامتياز "[1] فكلام إنشائي ملأه الحقد و الضغينة على البخاري ، كمن يريد أن يحجب أشعة الشمس بالغربال كما يقول المثل .

ادعاء أيلال أن فارسية البخاري مانعة له من تأليف كتاب الجامع الصحيح !

[1] ص 47

قال أيلال : " أن الشيخ البخاري ذو أصل فارسي ، فاللغة العربية ليست لغته الأصلية ، و كل المؤرخين و الحفاظ و المحدثين و المترجمين و كتاب السير ، لم يتحدثوا لنا ضمن أسطةرة البخاري ، عن متى و كيف تعلم اللغة العربية ، بل جملة ما تحدثوا عنه ، هو شروعه في حفظ الحديث و هو صبي لم يتجاوز العشر سنين "[1]

أولا : إن الإمام البخاري من بلاد بخارى على نهر جيحون من بلاد ما وراء النهر، وبخارى الآن من بلاد جمهورية أوزبكستان في آسيا الوسطي، وقد دخل أهل بخارى الإسلام في أول خلافة يزيد بن معاوية (61هـ)، فتحها سلم بن زياد مع مدن أخرى حولها، وأحب أهلها الإسلام، وبذلوا الكثير في نصرته، وشاع العلم وذاع في هذه البلاد، ونبغ فيها كثير من أئمة الإسلام، تعلموا وعلموا.

ولا شك أن العربية انتشرت سريعا في هذه البلاد المفتوحة بسبب كثرة العرب الذين استقروا بها بعد فتحها، وحاجة أصحاب هذه البلاد إلى معرفة العربية لغة دينهم الجديد، فالعربية لغة وليست عرقا، فكل من نطق بالعربية فهو عربي، والبخاري من مجتمع يتكلم العربية ويعتنق الإسلام ، وكان من البارعين فيها العالمين بمداخلها ومخارجها.

واختلاف الجنسية أو اللغة لا يعوق عن تعلم اللغة العربية، فإن العربية قد برع فيها كثير من غير أهلها، وكذلك الإنجليزية والفرنسية، وعندنا سيبويه الذي يعد أول من ألف في النحو العربي وقعد له فارسي الأصل، وليس عربيا، فقد تعلم العربية وأجاد فيها، فما الإشكال في إجادة البخاري للعربية؟![2]

قال الدكتور كوركيس عواد – وهو نصراني عراقي – قولة حق : لقد أقبل أبناء الشرق و الغرب ، منذ القديم على تعلم العربية ، سعيا وراء الوقوف على ما تحتضنه هذه اللغة من جليل التصانيف و نفيس المباحث . هذا الى تفردها بمأثرة فائقة لا يدانيها فيها غيرها من لغات العالم . تلك هي أنها لغة القرآن الكريم ، الكتاب الأعظم ، و حامي حمى هذه اللغة الكريمة ، و رافع راية العرب في الخافقين .[3]

---

[1] ص 164

[2] . دفع الشبهات عن السنة النبوية، د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مكتبة الإيمان، القاهرة، 1421هـ/2001م، ص237. و ما بعدها .

[3] ص 5 -6

ثانيا: إن العبرة ليست بالأصل العربي أو الأعجمي، ولكن العبرة بالاجتهاد والعمل. و هذا يتضح في نبوغ كثير من أبناء العجم في العديد من الفنون حتى أصبحوا المرجع فيها و أصبحت أقوالهم قانونا يتبع .

قال ابن خلدون : " فكان صاحب صناعة النحو سيبويه ، و الفارسي من بعده ، و الزجاج من بعدهما ، و كلهم عجم في أنسابهم ، و إنما ربزا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى و مخالطة العرب ، و صيروه قوانين و فنا لمن بعدهم .

و كذا حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة و المربى لإتساع الفن بالعراق . و كان علماء أصول الفقه كلهم عجما كما يعرف ، و كذا حملة علم الكلام ، و كذا أكثر المفسرين . و لم يقم بحفظ العلم و تدوينه إلا الأعاجم .."[1] و بالتالي أصبح " حملة الشريعة أو عامتهم من العجم " [2]

و كان " أصاغر أبناء العجم الذين يربون مع العرب قبل أن تستحكم عجمتهم ، فتكون اللغة العربية كأنها السابقة لهم ، و لا يكون عندهم تقصير في فهم المعاني من اللغة العربية "[3]

ثالثا : ولادته و ترعرعه في جو علمي ، فقد كان أبوها أحد علماء بخارى المحدثين، وهذا يتضح من قول ابن حبان في كتابه "الثقات": "إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو الحسن، يروي عن مالك وحماد بن زيد، روى عنه العراقيون"[4].

وذكره البخاري في التاريخ الكبير فقال: "إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو الحسن، رأى حماد بن زيد، وصافح ابن المبارك بكلتا يديه، وسمع مالكا"[5]

وقال ابن حجر: "روى عن حماد بن زيد وابن المبارك، وروى عنه يحي بن جعفر البيكندي وغيره، ذكر ولده عنه ما يدل على أنه كان من الصالحين" .[6]

رابعا : لم يدخل البخاري في طلب الحديث إلا بعد إتقان اللغة وفروعها، ومما يدل على ذلك ما روي عنه أنه قال لرجل سأله أن يعلمه الحديث: "يابني لا تدخل في أمر إلا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره، فقال له: عرفني حدود ما قصدت له ومقادير ما

---

[1] مقدمة ابن خلدون ج 2 ص 361 .ت عبد الله الدرويش ط 1 . 2004
[2] المقدمة ج2 ص 364
[3] المقدمة ج2ص 365
[4] الثقات، ابن حبان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط1، 1393هـ/ 1973م، (98/8).
[5] التاريخ الكبير، البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د. ت، (342/1،343).
[6] تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ/ 1984م، (240/1).

سألتك عنه، قال: اعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه إلا بعد أن يتيقن من معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو"[1].

و قال في معرض نقده لشبه بعض المعترضين في مسألة أفعال العباد : " فإن إعترض جاهل لا يرتفع بقوله .. فإن لم يعلم هذا المعترض اللغة فليسأل أهل العلم من أصناف الناس كما قال الله عز وجل { يهدي الى الرشد } إن فقه و فهم . فما يحملنا على كثرة الإيضاح و الشرح إلا معرفتنا بعجمة كثير من الناس ، و لا قوة إلا بالله . قال الحسن البصري : إنما أهلكتهم العجمة [2].

خامسا : كثرة رحلات البخاري في الأقطار الإسلامية العربية ، و تلقيه العلم عن المشايخ في العواصم الإسلامية ، سبب في استحكام ملكاته العلمية و اتقانه للعلوم و الفنون . قال ابن خلدون : أن الرحلة في طلب العلوم و لقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم ، و السبب في ذلك أن البشر ياخذون معارفهم و أخلاقهم و ما ينتحلون به من المذاهب و الفصائل تارة علما و تعليما و إلقاء ، وتارة محاكاة و تلقينا بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة و التلقين أشد استحكاما و أقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات و رسوخها .."[3] إن أخذ الحديث من أفواه المشايخ جهابذة الرواية و أرباب الفصاحة و البيان ، و كثرة مذاكرة كتب الفنون و منها كتب اللغة ، كل ذلك ساهم في تقوية ملكات البخاري اللغوية و تنوع أساليبه البلاغية .

سادسا: اعتراف العلماء باتقانه للعربية

قال ابن حجر : " و كان صاحب فنون و معرفة باللغة العربية و التصريف " [4]

قال الشيخ عبد الغني عبد الخالق : "كان أديبا بالمعنى الأعم عند المتقدمين ، و هو من أدرك أسرار العربية ، و عرف الأساليب البلاغية ، و ألم بأهم القواعد النحوية ، و وقف على بعض خطب العرب و أمثالهم ، و حفظ شيئا من منثورهم و منظومهم ، سواء أزاول كتابة الرسائل و نظم الشعر ، أم لا " [5].

---

[1] تهذيب الكمال، المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1413هـ/ 1992م، (462/24، 463)
[2] خلق أفعال العباد ص 106
[3] مقدمة ابن خلدون 358/2
[4] هداية الساري ص 76 – التغليق 400/5
[5] البخاري و صحيحه ص 133

و قال ابن حجر – أيضا -: " و كتابه الجامع يشهد له بالتقدم في استنباط المسائل الدقيقة ، و بالإطلاع على اللغة و التوسع في ذلك ، و باتقان العربية و الصرف ، و بما يعجز عنه الواصف ، و من تأمل اختياراته الفقهية في جامعه علم أنه كان مجتهدا ، و إن كان كثير الموافقة للشافعي .."[1]

قال محمد بن أحمد البلخي رحمه الله : " و مع ما اشتمل عليه من الحفظ الغزير و ما يعجز عنه الواصف من معرفة الفن القاضي بأنه ليس له فيه نظير ، فكتابه يشهد له بالتقدم – أيضا – في استنباط المسائل الدقيقة ، و إزاحة الإشكالات بالكلمات اليسيرة الأنيقة ، كقوله : باب قول النبي (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته ، و قوله : باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه ."[2]

قال السخاوي : "كل هذا مع الإطلاع على اللغة و التوسع فيها ، و إتقان العربية و الصرف إيضاحا و توجيها .."[3]

قال الشيخ عبد السلام المباركفوري : " لم يكن البخاري شاعرا ، و لكنه كان يتلذذ أحيانا بالكلام الموزون ، و يصدر منه كلام موزونفي النصائح و الآداب .."[4]

قال الشيخ الدكتور عبد الغني عبد الخالق : : لم يكن البخاري من الكتاب المترسلين و لا فحول الشعراء المكثرين ، و ليس ذلك لنقص في قدرته ، أو ضعف في ملكاته ، فمواهبه جمة و ملكاته باهرة ، و قدراته نادرة ، و إنما السبب نشأته الحديثية الصرفة ، فكان يرى –كما يرى كثيرون غيره من الفقهاء و المحدثين – أن الإشتغال بالحديث و الفقه أولى و أفضل ، و أجدر بالتقديم ، و أعظم فائدة ، و أسلم عاقبة ، و كل ميسر لما خلق له "[5]

قال الشيخ عبد الستار الشيخ : "كان الإمام البخاري صافي القريحة ، متوقد الذهن ، زكي الجنان ، فصيح اللسان ، رفيع البيان ، صحيح العبارة ، دقيق الإشارة ،كما يدل على ذلك تصانيفه البديعة ، و تعبيراته المختارة ، و حسن ترصيفه للكلام ، و ما أثر عنه من كلمات مأثورة ، و أقوال مشهورة ، و كما يستلزمه حفظه لكتاب الله الكريم ، و حديث النبي صلى اله عليه وسلم ، و أقوال الصحابة و التابعين و خطبهم و مأثوراتهم العقلية ، حفظا مطبوعا

---

1 هداية الساري لسيرة البخاري ص 116 ت حسنين سليمان مهدي . دار البشلئر .دار الكمال المتحدة ط1 2011
2 عمدة القاري و السامع في ختم الصحيح الجامع للسخاوي ص 29 ت مبارك بن سيف الهاجري
3 عمدة القاري ص 29
4 سيرة الإمام البخاري سيد الفقهاء و امام المحدثين ج1ص 203 دار عالم الفوائد ط1
5 البخاري و صحيحه ص 135 الطبعة 1الناشر : دار المنارة

، إنظم إليه جودة الغوص على الأغراض و المقاصد ، و إظهار الكنوز و اللألئ بفهم صحيح و تذوق سليم "[1]

سابعا : أمثلة على إمتلاك البخاري لناصية اللغة ، و إتقانه لها ، و أنه مهر و تفنن فيها .

1- معرفة أصول الكلمة و تصريفها :

و من الأمثلة :

قال في قوله تعالى { إني براء مما يعبدون } (الزخرف 26) : " العرب تقول نحن منك البراء و الخلاء ، و الواحد و الإثنان و الجميع من المذكر و المؤنث ، يقال فيه براء لأنه مصدر ، و لو قال : { بريء} لقيل في الأنثى برئيان و الجميع برئيون ، و قرأ عبد الله { إني برئ} .[2]

قال تعالى : { فما اسطاعوا أن يظهروه و ما استطاعوا له نقبا } (الكهف 97) .قال البخاري : (اسطاع : استفعل من طعت له ، فلذلك فتح اسطاع يسطيع و قال بعضهم استطاع يستطيع) .[3]

قال تعالى : { رضوا بأن يكونوا مع الخوالف } (التوبة 87) . قال البخاري : الخوالف الذي خلفني فقعد بعدي ، و منه يخلفه في الغابرين، و يجوز أن يكون النساء من الخالفة ، و إن كان جمع الذكور ، فإنه لم يوجد على تقدير جمعه إلا حرفان : فارس و فوارس و هالك وهوالك .[4]

قال تعالى : { عربا أترابا لأصحاب اليمين } (الواقعة 37) . قال البخاري : عربا مثقلة و أحدها عروب مثل صبور و صبر ، يسميها أهل مكة : العربة ، و أهل المدينة : الغنمة ، و أهل العراق : الشكلة ، و العرب المحجبات الى أزواجهن .[5]

2- الغوص في المعاني اللغوية و الدلالية

من الأمثلة :

قوله تعالى : { هل أتى على الإنسان } قال البخاري : يقال معناه : أتى على الإنسان و (هل) تكون جحدا و تكون خبرا ، و هذا في الخبر يقول كان شيئا لم يكن مذكورا ، و ذلك حين خلقه من طين الى أن ينفخ فيه الروح . (أمشاج) : الأخلاط ، ماء المرأة و ماء الرجل

---

[1] الامام البخاري استاذ الاستاذين ..ص 290
[2] كتاب التفسير ج8ص 565
[3] كتاب الأنبياء ج 2 ص 381
[4] كتاب التفسير ج 8 ص 313
[5] كتاب بدء الخلق ج317/6 الفتح

، الدم و العلقة ، و يقال إذا خلط : مشيج كقولك خليط و ممشوط مخلوط . (القطرير) الشديد يوم قمطرير ، و يوم قماطر و العبوس ، و القمطرير و القماطر و العصيب أشد ما يكون من الأيام في البلاء .[1]

قوله تعالى { عظاما نخرة } (النازعات11) . قال البخاري : يقال الناخرة و النخرة سواء مثل الطامع و الطمع و الباخل و البخل . قال بعضهم : و النخرة البالية و الناخرة العظم المجوف الذي تمر فيه الريح فبنخر [2].

" المهارة اللغوية شرط أساسي لأي تفسير أصيل ، و لا تكاد تجد تفسيرا معتبرا إلا إذا كان مؤصلا تأصيلا لغويا قويا . و البخاري إمام متفنن و الجانب اللغوي في الجامع قد جاء محكم البيان غاية في افتقان ، شأنه في ذلك شأن بقية الفنون كالحديث و التفسير و الفقه ، و قد كان مجاز القرآن لأبي عبيدة و معاني القرآن للفراء متغلغلين في حافظة الإمام البخاري ، فأفرغ منهما في صحيحه كمية كافية ، و تكاد تكون الجوانب اللغوية التفسيرية في الجامع هي مادة الكتابين ، غير أن البخاري هذب كلاهما و اختصره إختصارا . بيد أنه غلبت عليه افستقلالية العلمية و النزعة الإجتهادية .." [3]

3- تبويبات البخاري دليل على امساكه زمام العربية :

كل من رزقه الله حظا من الفهم و التذوق للعربية ، يتعجب من صنيع البخاري في تبويبه للصحيح ، كيف أنه بقر العربية و استخرج منها معان عجز عنها أمثال أيلال أن يفهموها . من ذلك مثلا :

لم يكتب (الفلاحة و لا الزراعة) ، بل كتب (الحرث و المزارعة) .

و كذلك لم يكتب (كتاب القروض) بل كتب (كتاب الاستقراض) . و الأمثلة على ذلك كثيرة .

قال الدكتور زين العابدين رستم : " ولقد غاب عن الكاتب- وإنه لَغائبٌ- أن الثقافة العربية في ذاك العهد السحيق هي الثقافة الغالبة على شعوب المشرق العربي والعجمي، إذ ليس ينبغ عالم في أي مجال من مجالات العلم والمعرفة ما لم يكن ذا حظ عظيم في العربية إذ كانت العربية حينئذ لغةَ العلم وأسلوبَ التفكير فيه، ثم ما ظنُّ الكاتب بالبخاري اللغوي؟؟ لقد

---

[1] كتاب التفسير ج8ص 383 الفتح
[2] التفسير 690/8
[3] منهج البخاري في التفسير ص 403

أثبتت تراجم البخاري في كتابه تضلعه من العربية وشدة ميله إليها وغناءه فيها، بل لقد لاحظ المتتبعون لهذه التراجم أن واضعها كثيرا ما كان يشرح اللفظة الغريبة شرحا لغويا يذكر بما يفعله كبار أهل اللغة في أزمانهم.."[1]

البخاري متهم بالتدليس !

يقول : "إن الحافظ الذهبي اتهم البخاري بالتدليس في حيث قال في سير أعلام النبلاء، عند تعداد الرواة عن الذهلي ما نصه: روى عنه خلائق منهم .... محمد بن إسماعيل البخاري، ويدلّسه كثيرًا!!! ، لا يقول :محمد بن يحيى !!بل يقول محمد فقط !!أو محمد بن خالد !!أو محمد بن عبد الله، ينسبه إلى جده، ويعمّي اسمه، لمكان الواقع بينهما !!!غفر الله لهما[2]"

وعلامات التعجب من هذا الكاتب، وكأنه ظفر بما لم يظفر به أحد، فيقال له :التدليس الذي قصده هنا الذهبي ليس هو التدليس الذي يقدح في الرواية، ويجعل صاحبها مدلسا وفق اصطلاح المحدّثين، فيقولون في المدلس" :سمي بذلك لكون الراوي لم يسمّ من حدثه، وأوهم سماعه للحديث ممن لم يحدّثه به "[3] ومن التدليس ما يسمّى تدليس الشيوخ، وهو" أن يصف شيخه بما لم يشتهر به، من اسم أو لقب أو كنية أو نسبة إيهامًا للتكثير غالبًا، وقد يفعل ذلك لضعف شيخه "[4]

والبخاري لم يفعل هذا ليستكثر، فشيوخه كثر، وليس الذهلي بضعيف حتى يخشى من هذا، ولم يوهم أنه سمع حدي ا ثا ليس منه، فلا تشنيع في كل هذا وليس هو التدليس الاصطلاحي، وإنما كان هذا لما بين البخاري والذهلي، وهذا وإن ذكره الكاتب في سياق ذم، فهو المدح على التحقيق، حيث إن البخاري وإن أخطأ عليه الذهلي، ورماه بما ليس

[1] المعركة تحت راية البخاري .. المعركة 25
[2] صحيح البخاري نهاية الأسطورة، ص 51
[3] نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ابن حجر العسقلاني، تحقيق :عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الطبعةالاولى 2001 ، ص 103
[4] تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ابن حجر العسقلاني، تحقيق :عاصم بن عبد الله القريوتي، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، ص 17

فيه، فإن البخاري لم يسقط رواية الذهلي لحق نفسه، وكان قاد ا را أن يرميه بالضعف، فعلم أن هذا الكاتب لا يدري ما ينقله، حيث إنه ينقل واحدة من مناقب البخاري من حيث لا يريد[1].

قال الزركشي – رحمه الله – واعلم أنهم قد يفعلون ذلك – أي تدليس اسم الشيخ – لا لقادح في الشيخ بل لمعنى عند الراوي ، مثل محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري الإمام المشهور ، يروي عنه البخاري في الصحيح و لا يصرح بنسبه بل ينسبه مرة الى جدخ و مرة الى أبيه .

قال النسائي : هو ثقة مأمون ، و إنما فعل ذلك للفتنة الواقعة بينه و بينه فيما حكاه الخطيب في تاريخه ، و قول الذهلي : من كان يختلف إلى هذا الرجل فلا يختلف إلينا .

قال ابن المنير : و إنما أبهم البخاري إسمه في الصحيح لأنه لما اقتضى التحقيق عنده أن تبقى روايته عنه خشية كتم العلم ، و عذره في قدحه فيه بالتأويل خشي على الناس أن يقعوا فيه ، فإنه قد عدد من جرحه ، و ذلك يوهم أنه صدقه على نفسه فيجر ذلك و هنا إلى البخاري ، فأخفى إسمه و غطى وسمه و ما كتم عليه ، فجمع بين المصلحتين ، و الله أعلم بمراده .[2]

قال أبو زرعة ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم في كتابه (المدلسين) : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري صاحب الصحيح ، قال أبو عبد الله بن منده : قوله في صحيحه قال فلان تدليس . و ما علمنا لابن منده موافقا على ذلك ، و لم ينسب أحد البخاري إلى شيء من التدليس .[3]

قال برهان الدين العجمي : و قد أجاب شيخنا عن هذا في النكت على ابن الصلاح في النوع الحادي عشر ، و قد نقل شيخنا قبل القراءة على الشيخ عن أبي الحسن القطان في تدليس الشيوخ أنه قال : و أما البخاري فذاك عنه باطل .انتهى .[4]

---

[1] بيع الوهم ص 47
[2] النكت على مقدمة ابن الصلاح 2/ 79-80
[3] كتاب المدلسين ص 82-83
[4] التبيين لأسماء المدلسين ص 49

البخاري متهم في عقيدته

قال أيلال : " إن بعضهم اتهم البخاري في عقيدته ونسب إليه قولًا يفيد أن القرآن مخلوق بلفظه "

مع أنها هي قصته مع الذهلي، لكنه أراد استكثار الطعون، ومفادها :أن البخاري قال بأن أفعال العباد حركاتهم وأصواتهم وكتابتهم مخلوقة[1]، ففهم منه الذهلي أنه يقصد بأن القرآن مخلوق إذ هم يقرأونه ، فاتهمه[2] ، ولو كان هذا الباحث منصفا، لحاول أن يبحث في هذا التهمة ويعرف الحق فيها بدل أن يردد كل كلامٍ قيل، ولما يكون المبحث نقيض هواه يصيح بأنهم ليسوا معصومين ، فإن حسب أنه يمكنه الاستفادة مما نقله عنهم ولو كان الخطأ فيه واضحا، نقله ولم يبحث بصحة كلامهم من عدمه، وإلا فقد كان بإمكانه أن يرجع إلى كتاب البخاري المفرد في بيان موقفه من هذه المسألة، وهو كتاب(خلق أفعال العباد)، الذي لم يكلف هذا الكاتب أن يرجع إليه في كتابه ولو مرة واحدة، بل اكتفى بنقل الاتهامات دون تحقيق ولا تمحيص، يقول البخاري فيه عن القرآن" :ما قرئ و حفظ و كتب ليس بمخلوق"[3]

وعليه فيكون الذهلي فهم مقصده خطأ، فتهمته غير صحيحة، ورغم أنه أخطأ على البخاري إلا أن البخاري لم يترك روايته، لأن الحق كان عندهم فوق كل إنسان، وإنما لم يكن يسميه باسمه كاملا لثقل ما ناله من ذلك الاتهام، ولا يغش سامع

---

[1] سير أعلام النبلاء، ج 12 ، ص 455

[2] سير أعلام النبلاء، ج12 ، ص 456

[3] خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق :عبد الرحمن . عميرة، دار عكاظ، جدة-الرياض، الطبعة الثانية، ص 116

الرواية في هذا أبدا ، فإن كان السامع عا لما فهو يعلم أنه يرويه عن الذهلي، وإلا فالراوي ثقة، لم يضعفه لأنه اتهمه خطأ .

البخاري مجروح ومتروك الحديث

عقد أيلال فصلا مستقلا بعنوان : (البخاري مجروح ومتروك الحديث)

قال : " لم يقف الأمر عند هذا الحد في عدم اعتبار صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله ، ولا في تضعيف أحاديث في صحيح البخاري ، بل وصل ببعض كبار الشيوخ وأعلامهم في "علم" الحديث، إلى تجريح محمد بن إسماعيل البخاري نفسه، واعتباره مجروحا ومتروك الحديث، ولعل العديد ممن لا يغوص في بطون الكتب ليقف على الحقائق سيصدم مما نسرده هنا وننقله من الحقائق التي يحاول الشيوخ إخفاءها، ويكتفون بنقل الأساطير الممجدة للبخاري ، ويخفون الحقائق المرة التي تعاكس رواياتهم ، في الانتقاص من شخص البخاري ، واتهامه في دينه ، والحاقه بزمرة الضالين المضلين ، وأصحاب الزيغ والعقائد الفاسدة." [1]

أولا : الكاتب ليس ممن يغوص في بطون الكتب ، بل أقر على نفسه بالسطو على أبحاث الغير ، و اكتفى بالنسخ و اللصق .. و لو غاص في بطون الكتب لعلم علم اليقين قيمة الإمام البخاري و تزكية الأمة له رغم أنف الحساد الحاقدين .

ثانيا : اتهامه لعلماء الأمة بإخفاء تجريح بعض أهل العلم للبخاري ، إتهام باطل و كذب مفضوح .. يعلم كل من له اطلاع على كتب الحديث او شروح الصحيح أن العلماء عقدوا فصولا في ترجمة البخاري و رد الإتهامات الموجهة لشخصه ..، أما قوله: " ويخفون الحقائق المرة التي تعاكس رواياتهم ، في الانتقاص من شخص البخاري ، واتهامه في دينه ، والحاقه بزمرة الضالين المضلين ، وأصحاب الزيغ والعقائد الفاسدة." فمن هؤلاء الذين انتقصوا من

[1] صحيح البخاري نهاية الأسطورة، ص145

شخص البخاري و اتهموه في دينه و ألحقوه بزمرة الضالين المضلين و اصحاب العقائد الفاسدة ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، ستكتب مقالته هاته و يسأل عنها يوم الحساب !

فآنظر كيف اتخذ من محنة البخاري مع الذهلي ركيزة للطعن في دينه و الصاق التهم الجائرة الظالمة بحق البخاري .. و لو كان منصفا موضوعيا لرجع الى كتب التراجم و الشروح لمعرفة أسباب اتهام الذهلي للبخاري و موقف العلماء منها ، لكنه الحقد و الظلم ..

موقف الرازيان من البخاري :

قال أيلال : " ومن ذلك ما أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء : وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم في " الجرح والتعديل " قدم محمد بن إسماعيل الري سنة خمسين ومائتين ، وسمع منه أبي وأبو زرعة ، وتركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحي أنه أظهر عندهم بنيسابور أن لفظه بالقرآن مخلوق". سير أعلام النبلاء ط الرسالة"(12/ 462).

وعقب الذهبي على هذا بقوله:" قلت : إن تركا حديثه ، أو لم يتركاه ، البخاري ثقة مأمون محتج به في العالم" ."[1]

أولا : لم يثبت عن الإمام البخاري التلفظ بهذه المقالة ، بل أنكرها بشدة و كتب كتابه العظيم " خلق أفعال الهباد " للرد على من قال بذلك ، و تبيين الحق ي المسألة التي إختلفت فيها أنظار العلماء و وقع بسببها امتحان للناس و الطعن في دينهم و عدالتهم .

ثانيا : باستقراء ما جرى في محنة البخاري ظهر تحامل الذهلي على البخاري و إلزامه بما يقل ، و تأليب الناس عليه .

ثالثا : كان على الرازيين – و هما من أئمة علم الجرح و التعديل — أن يستقصيا الأمر و يفرغا جهدهما في الإستفسار عن صحة ما نسب الى شيخهما و رفيقهما في الطلب .

[1] صحيح البخاري نهاية الأسطورة، ص145

خصوصا أنهما يعلمان موقفه من الفرق و أهل الأهواء و إنتصاره لعقيدة السلف في كتابه " الجامع الصحيح " مع لعلم أن البخاري حي يرزق ، معلوم مكانه .

رابعا : كيف أمكنهما ترك حديثه وهما يعلمان صحة كتابه و قوة شرطه ، و أن كلام الذهلي كان في مسألة متعلقة بالعقائد ، و أنه لم يطعن في ضبط البخاري و لا في حفظه أو عدالته ، بل لم يثبت أن الذهلي طعن في كتاب البخاري .

خامسا : لا نستطيع تفسير صنيع الرازيين – رغم جلالتهما – إلا بما يكون بين الأقران ، و إلا كيف نفسر توثيق أبو حاتم للإمام مسلم و عدم ترك حديثه ، و قد كان على مذهب شيخه البخاري ، بل إنه ترك مجلس الذهلي جهرة إنتصارا لشيخه البخاري ، و رد كل ما كتب عن الذهلي من الحديث و لم يرو عنه في صحيحه .

قال ابن ابي حاتم : كان ثقة من الحفاظ ، له معرفة بالحديث سئل أبي عنه ، فقال : صدوق .[1]

سادسا : إن ترك الرواية عن البخاري جاء نتيجة تصديقهما لكتاب الذهلي إليهما ،" و على هذا فمتى سقطت صحة كلام الذهلي؛ سقط الترك رأسا، فمن رمى شخصا بتهمة ورتب أثارا على هذا، متى سقطت التهمة بعين التحقيق لم يعد للأثر من مسوغ ، ومن تمسك بأثر تهمة ساقطة فإنما يتمسك بنتيجة لا مقدمة لها[2].

محنة البخاري مع الذهلي :

قال أيلال: " قال ابن خلكان: محمد بن يحي المعروف بالذهلي من أكابر العلماء والحفاظ وأشهرهم، وهو أستاذ وشيخ البخاري ومسلم وأبي داود والتمرذي والنسائي وابن ماجة. (وفيات الأعيان لابن خلكان 4/ 282 ترجمة الذهلي). قال الكلاباذي الإصبهاني في كتابه

[1] الجرح و التعديل 8/182-183
[2] بيع الوهم 48

الجمع بين رجال الصحيحين في ترجمة الذهلي: روى عنه البخاري في الصوم والطب والجنائز والعتق وغير موضع في ما يقرب من ثلاثين موضعاً ... إنّ البخاري لما دخل نيسابور شغب عليه محمد بن يحيى الذهلي في مسألة خلق اللفظ وكان قد سمع منه فلم يترك الرواية عنه ولم يصرّح باسمه".

راجع: الجمع بين رجال الصحيحين: 2/ 465 ترجمة رقم 1787) . وقال: أحمد بن حنبل لابنه وأصحابه: اذهبوا إلى أبي عبد الله الذهلي واكتبوا عنه. (تاريخ بغداد: 416/3).

قال الخطيب البغدادي: "كان البخاري خلافاً لأكثر متكلّمي عصره يقول بأنّ لفظ القرآن مخلوق، ولما ورد مدنية نيسابور أفتى الذهلي – الذي تقلّد منصب الإفتاء والإمامة بنيسابور – قائلاً : ومن ذهب بعد مجلسنا هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتّهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلّا من كان على مثل مذهبه. (تاريخ بغداد:2/ 31) (ذهب أحمد بن حنبل إلى تكفير من يقول بخلق القرآن فقال: والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، فمن زعم أنّ القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل مخلوق ولا غير مخلوق فهو أخبث من الأوّل، ومن زعم أن تلفّظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوق والقرآن كلام الله فهو جهمي، ومن لم يكفر هؤلاء القوم والقائلين بخلق القرآن وكلام الله فهو مثلهم –كافر – راجع: كتاب السنة لأحمد بن حنبل 3/ 53). انتهى من كتاب أضواء على الصحيحين الصفحة 83-84

قال محمد بن يحيى: كتب إلينا من بغداد أنّ محمد بن إسماعيل يقول: بأنّ لفظ القرآن ليس قديما، وقد استتبناه في هذه ولم ينته: فلا يحقّ لأحد أن يحضر مجلسه بعد مجلسنا هذا. (تاريخ بغداد: 2/ 31، وإرشاد الساري: 1/ 38 و هدى الساري مقدمة فتح الباري: 491 وإستقصاء الأفهام: 9787).

لم يذهب الذهلي بفساد عقيدة البخاري فحسب، بل كان يرى انحراف صاحبه مسلم بن حجّاج – صاحب الصحيح – عن العقيدة السليمة، ولذا طرده عن مجلسه وحرّم على الناس

حضور مجلسه. (دائرة معارف القرن العشرين: 5/ 292 مادّة سلم، وتذكرة الحفّاظ: 589/2 ترجمة مسلم بن الحجاج رقم 613)

ويظهر من هذه الأقوال بأن البخاري ومسلم كانا محل رفض وطرد من قبل أهل نيسابور وعلماء بغداد وأهلها لاعتقادهما في القرآن بأنه مخلوق، وكان هذا سبباً لطردهما من نيسابور.

وقد حاول الذهبي في سير أعلام النبلاء الدفاع عن البخاري باتهام شيخه الذهلي –وهو من كبار الحفاظ المشهود لهم بالصلاح ، بل من الثقات في الحديث– بأن السبب في اتهامه لمحمد بن اسماعيل البخاري هو الحسد ، واذا كان هذا صحيحا فالواجب ترك التحديث عنه ، لكن البخاري حدث عنه ، وان كان قد دلس اسمه مرات عديدة في صحيح البخاري كما يعتقد هؤلاء الشيوخ .

وقد أورد الذهبي مجموعة من النقول توضح تجريح الإمام الذهلي لتلميذه البخاري ، وعزا ذلك للحسد الذي تولد لدى الذهلي ازاء تلميذه ، وهو الأمر الذي دفعه إلى طرده من بلده حيث جاء في سير اعلام النبلاء ص 461" قال أحمد بن منصور الشيرازي : سمعت محمد بن يعقوب الأخرم ، سمعت أصحابنا يقولون : لما قام مسلم وأحمد بن سلمة من مجلس الذهلي ، قال الذهلي : لا يساكنني هذا الرجل في البلد . فخشي البخاري وسافر" .

والقصة معروفة عند أهل الحديث بمحنة البخاري في مسألة:" لفظي بالقرآن مخلوق المنسوبة للبخاري".[1]

أولا : الإعتماد على كتاب " أضواء على الصحيحين " للرافضي النجمي ، بحيث نقل مطاعن الرافضي بتمامها [2]، بل إنه نقل كذلك أخطاء الرافضي و كذبه على أئمة أهل السنة ، و لم يكلف أيلال نفسه الرجوع الى مصادر أهل السنة لتوثيق الكلام المنسوب ! فهذا ثمرة جهد سنوات كما يحلو للناشر أن يتفاخر بذلك كذبا !

[1] ص 145-156-147
[2] ص 87 و ما بعدها

ثانيا : نقله لكذب الرافضي على الخطيب البغدادي دون التثبت من صحة النقل ، و بالرجوع الى تاريخ بغداد لم نجد هذا القول المنسوب زورا على لسان الخطيب ، و هذا صنيع الرافضة منذ القديم ، و صح قول علمائنا أنهم أكذب الطوائف ..

و ننقل للقارئ كلام الرافضي حتى ينكشف له ادعاءات أيلال الباطلة ، و أن لا صلة له بالبحث العلمي و أنه لبلاهته كحاطب ليل لا يدري ما تجمع يداه !

قال الرافضي : " وقال الخطيب البغدادي :كان يرى الذهلي وأكثر المتكلمين في كلام الله أنه قديم، وقد قالوا بكفر وارتداد مخالفيهم الذين يرون بأن كلام الله حديث.
وقالوا :ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، وخرج عن الإيمان، وبانت عنه امرأته، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وجعل ماله فيئا بين المسلمين، ولم يدفن في قبور المسلمين، ومن وقف وقال :لا أقول مخلوق أو غير مخلوق فقد ضاهى الكفر،
ومن زعم أن لفظ القرآن مخلوق فهذا مبتدع لا يجالس ولا يكلم.
وأضاف الخطيب قائلا: وكان البخاري خلافا لأكثر متكلمي عصره يقول بأن لفظ القرآن مخلوق، ولما ورد مدينة نيسابور أفتى الذهلي – الذي تقلد منصب الإفتاء والإمامة بنيسابور –قائلا: ومن ذهب بعد مجلسنا هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه .
وكان البخاري في نظر الذهلي وأكثر علماء نيسابور في ذلك العصر مطرودا ومضلا منحرفا في العقيدة، ووصل الانزجار والنفور منه إلى حد لم يمكنه البقاء في نيسابور فرحل عنها، وقال بعض :إنهم أبعدوه عن نيسابور، وتفرق عنه كل تلامذته وأصحابه عدا مسلم وأحمد بن مسلمة .وفروا منه كفرارهم من النار كيلا يمسهم لهيب الانزجار العام وغضب الناس كما أصاب البخاري.
ذكر أصحاب التراجم هذه القصة على أنها من أسوأ المصائب والآلام التي حلت بالبخاري ويمكن أن نستنتج من هذه الواقعة التاريخية، أن صحيح البخاري وكذلك صحيح صاحبه الأوحد مسلم بن حجاج النيسابوري قد وقعا معرض النقد والإبرام والذم ما لا

يوصف من قبل العلماء والحفاظ مثل الذهلي .وإن هذين الكتابين اللذين عرفا واشتهرا اليوم باسم الصحيحين ويعدان مرجعا للتعاليم الدينية عند أهل السنة، قد كان مؤلفاهما آنذاك محل انزجار واتهام المسلمين إياهما بالكفر والزندقة.

قال الخطيب البغدادي :قال محمد بن يحيى :كتب إلينا من بغداد أن محمد بن إسماعيل يقول :بأن لفظ القرآن ليس قديم، وقد استتبناه في هذه ولم ينته :فلا يحق لأحد أن يحضر مجلسه بعد مجلسنا هذا مسلم يرفض:

لم يذهب الذهلي بفساد عقيدة البخاري فحسب، بل كان يرى انحراف صاحبه مسلم بن حجاج – صاحب الصحيح – عن العقيدة السليمة، ولذا طرده عن مجلسه وحرم على الناس حضور مجلسه . ويظهر من هاتين القصتين أن البخاري ومسلم كانا محل رفض وطرد من قبل أهل نيسابور وعلماء بغداد وأهلها لاعتقادهما في القرآن بأنه مخلوق، وكان هذا سببا لطردهما من نيسابور[1]

ثالثا : كذبه المفضوح أن البخاري و مسلما قالا بخلق القرآن – تقليدا للرافضي – !

فهذه فرية و بهتان عظيم ، أول من قال بها مسلمة بن القاسم ، و هو اتهام باطل نقله عنه الحافظ في التهذيب ، و قال : " إنما أوردت كلام مسلمة هذا لأبين فساده ، فمن ذلك إطلاقه بأن البخاري كان يقول بخلق القرآن ، و هو شيء لم يسبقه إليه أحد ، و قد قدمنا ما يدل على بطلان ذلك " [2]

رابعا : هل طرد مسلم من مجلس الذهلي و من قبل علماء بغداد ؟

لقد أوتي أيلال من جهله و عدم اطلاعه على قصة البخاري مع الذهلي من مصادرها المعتبرة ، بل اكتفى بنقل كلام صاحب "أضواء على الصحيحين ط دون تثبت .

و لو كحل عينيه بمراجعة كتب التراجم و التواريخ لعلم أن مسلم كان مناصرا لشيخه البخاري ، و أنه ترك حلقة الذهلي و قام على رؤوس الأشهاد لما بالغ الذهلي في الحط من البخاري ،

---

[1] ص 82-83-84
[2] تهذيب التهذيب 9/46-47

بل أرسل إليه كل ما كتب عنه ، مع استحضار مكانة الذهلي في نيسابور و قوة سطوته و نفوذه .

قال محمد بن يعقوب بن الأخرم: لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم الاختلاف إليه، فلما وقع بين الذهلي وبين البخاري ما وقع ونادى عليه ومنع الناس عنه انقطع أكثرهم غير مسلم.

فقال الذهلي يوما: ألا من قال باللفظ لا يحل له أن يحضر مجلسنا. فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رءوس الناس. وبعث إلى الذهلي بما كتب عنه على ظهر حمال . وتبعه في القيام أحمد بن سلمة.[1]

خامسا : قوله : وقد حاول الذهبي في سير أعلام النبلاء الدفاع عن البخاري باتهام شيخه الذهلي –وهو من كبار الحفاظ المشهود لهم بالصلاح ، بل من التقات في الحديث- بأن السبب في اتهامه لمحمد بن اسماعيل البخاري هو الحسد ، واذا كان هذا صحيحا فالواجب ترك التحديث عنه ، لكن البخاري حدث عنه ، وان كان قد دلس اسمه مرات عديدة في صحيح البخاري كما يعتقد هؤلاء الشيوخ " فهذا قول جديد ابتدعه العلامة المحدث أيلال ، بحيث أصبح الحسد موجبا لترك الرواية عن الرواة ! فمن قال بهذا الرأي اللقيط ؟ ثم إن عدم ترك البخاري الرواية عن الذهلي رغم ظلمه له ، يعد من أكبر مناقبه و دليل على ورعه و كبير منزلته .

سادسا : قوله عن الإمام النووي (الفاضل النووي) خلافا لما إصطلح عليه العلماء ، بل هو نقل حرفي لما في كتاب "أضواء على الصحيحين " !

سابعا : لم يذكر أيلال أقوال البخاري في نفي هذه التهمة عن نفسه ، و هذه مخالفة صريحة لأبجديات البحث العلمي الموضوعي البعيد عن الهوى و الأحكام المسبقة . قال محمد بن

---

[1] تاريخ الإسلام للذهبي

نصر المروزي : سمعت محمد بن اسماعيل يقول : من قال عني إني قلت لفظي بالقرآن مخلوق ، فقد كذب .[1]

بين الذهلي و البخاري ..

تعظيم ثم جفاء

محمد بن يحيى الذهلي معدود في الطبقة الرابعة من شيوخ البخاري كعبد بن حميد و أحمد بن النضر و غيرهما ، و هم رفقاؤه في الطلب و من سمع قبله قليلا .[2] و إنما يخرج عنهم ما فاته عن مشايخه ، أو لم يجده عند غيرهم .

و الذهلي رحمه الله لم يطعن في حديث من أحاديث الصحيح ، رغم شدته على البخاري ، إذ لو وجد أي مطعن في طتاب الجامع الصحيح لاتخذه ذريعة قوية للنيل من مكانة البخاري الحديثية .

و تجمع التراجم أنه كان شديد التمسك بالسنة ، شديد على أهل البدع ، له منزلة و صولة في نيسابور ، كبير علمائها و اليه يرجع في الفتيا .

كما تجمع المراجع أنه كان من المعظمين للبخاري ، فقد أخرج الخطيب البغدادي بسنده الى الحسن بن محمد بن جابر قال : سمعت محمد ابن يحيى يقول: لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور قال: اذهبوا إلى هذا الرجل العالم الصالح فاسمعوا منه. ..[3]

و قد أرجع كثير من المؤرخين و العلماء تغير موقف الذهلي إلى ما يكون بين الأقران من المنافسة و الحسد .

قال أبو احمد بن عدي : ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل البخاري لما ورد نيسابور واجتمع الناس وعقد به المجلس حسده من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأوا إقبال الناس إليه واجتماعهم عليه فقيل يا أصحاب الحديث إن محمد بن إسماعيل

---

[1] تهذيب التهذيب 54/9
[2] الهدي 479
[3] تاريخ بغداد30/2 . تقييد المهمل34/1 . ابن عساكر 91/52. السبكي 228/2. التغليق 430/5

يقول اللفظ بالقرآن مخلوق فامتحنوه في المجلس فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أم غير مخلوق فأعرض عنه البخاري ولم يجبه فقال الرجل يا أبا عبد الله وأعاد عليه القول فأعرض عنه البخاري فلم يجبه ثم قال في الثالثة فالتفت إليه محمد بن إسماعيل فقال القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقه والإمتحان بدعة فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه وقعد البخاري في منزله.[1]

قال الحسن بن محمد بن جابر : سمعت محمد ابن يحيى يقول: لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور قال: اذهبوا إلى هذا الرجل العالم الصالح فاسمعوا منه. قال: فذهب الناس إليه واقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجالس محمد بن يحيى، فحسده بعد ذلك وتكلم فيه.[2]

قال ابن القم : و ساعد ذلك نوع حسد باطن للبخاري لما كان الله نشر له من الصيت و المحبة في قلوب الخلق و اجتماع الناس عليه حيث حل ، حتى هضم كثيرا من رياس أهل الهلم و امتضوا لذلك ، فوافق الهوى الباطن الشبهة الناشئة من القول المجمل ..[3]

قال التاج السبكي : و لا يرتاب المنصف في أن محمد بن يحيى الذهلي لحقته آفة الحسد التي م يسلم منها إلا أهل العصمة ..[4]

بل إن البخاري نفسه إعتبر ما أصابه من الذهلي سببه الحسد في العلم ، قال رحمه الله : كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم ، و العلم رزق الله يعطيه من يشاء ..[5]

قال أحمد بن سلمة النيسابوري : دخلت على البخاري فقلت يا أبا عبد الله إن هذا رجل يعني الذهلي مقبول بخراسان خصوصا في هذه المدينة وقد لح في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه فما ترى فقبض على لحيته ثم قال {وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد} اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور أشرا ولا بطرا ولا طلبا للرئاسة وإنما أبت

---

[1] اسامي من روى عنهم البخاري ص 64-65 . تقييد المهمل 49/1-50
[2] تاريخ بغداد30/2 . تقييذ المهمل34/1 . ابن عساكر 91/52. السبكي 228/2. التغليق 430/5
[3] مختصر الصواعق المرسلة ص 662
[4] طبقات الشافعية
[5] السير 456/12

علي نفسي الرجوع إلى الوطن لغلبة المخالفين وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير ثم قال يا أحمد إني خارج غدا لتتخلصوا من حديثه لأجلي.[1]

طرح الجرح المبني على تعصب مذهبي

قال السبكي : قاعدة في الجرح والتعديل ضرورية نافعة لا تراها في شيء من كتب الاصول فانك اذا سمعت ان الجرح مقدم على التعديل ورايت الجرح والتعديل وكنت غرا بالامور او فدما مقتصرا على منقول الاصول حسبت ان العمل على جرحه فاياك ثم اياك والحذر كل الحذر من هذا الحسبان بل الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندر جارحوه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة وإلا فلو فتحنا هذا الباب وأخذنا بتقديم الجرح على اطلاقه لما سلم لنا احد من الائمة اذ ما من امام الا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون.[2]

و قال أيضا : ومما ينبغي ان يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة الى الجارح والمجروح فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجره لذلك واليه اشار الرافعي بقوله وينبغي ان يكون المزكون براء من الشحناء والعصبية في المذهب خوفا من ان يحملهم ذلك على جرح عدل او تزكية فاسق وقد وقع هذا لكثير من الائمة جرحوا بناء على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب وقد اشار شيخ الاسلام سيد المتاخرين تقي الدين ابن دقيق العيد في كتابه الاقتراح الى هذا وقال اعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس المحدثون والحكام قلت ومن امثلة ما قدمنا قول بعضهم في البخاري تركه ابو زرعة وابو حاتم من اجل مسالة اللفظ فيالله والمسلمين أيجوز لاحد ان يقول البخاري متروك وهو حامل لواء الصانعة ومقدم اهل السنة والجماعة ثم يالله والمسلمين أتجعل ممادحه مذام فان الحق في

[1] السير 459/12.التغليق 434/5. الهدي 491
[2] قاعدة في الجرح و التعديل ص 19-20

مسالة اللفظ معه اذ لا يستريب عاقل من المخلوقين في ان تلفظه من افعاله الحادثة التي هي مخلوق لله تعالى وانما انكرها الامام احمد رضي الله عنه لبشاعة لفظها ..[1]

قال ابن عبد البر : الصحيح في هذا الباب أن من صحت عدالته و ثبتت فب العلم إمامته ، و بانت ثقته و بالعلم عنايته ، لم يلتفت فيه الى قول أحد إلا أن يأتي في جرحه ببينة عادلة يصح بها جرحه على طريق الشهادات ، و العمل فيها من المشاهدة و المعاينة لذل بما يوجب تصديقه فيما قاله لبراءته من الغل و الحسد و العداوة و المنافسة ، و سلامته من ذلك كله . فذلك كله يوجب قبول قوله من جهة الفقه و النظر ..[2] ثم ذكر أمثلة لكلام بعض العلماء في أقرانهم ، قال رحمه الله : و نحن نورد في هذا الباب من قول الأئمة الجلة الثقات السادة بعضهم في بعض مما لا يجب أن يلتفت فيهم إليه و لا يعرج عليه و ما يوضح صحة ما ذكرنا.[3]

فهل يترك عطاء و طاووس و مجاهد لكلام حماد بن أبي سليمان فيهم .؟

و هل يترك أبو الزناد و ربيعة لقول ابن شهاب الزهري .؟

و هل يترك إبراهيم النخعي لقول الشعبي فيه ؟ و يترك الشعبي لقول إبراهيم ؟.

و هل يترك عكرمة لكلام سعيد بن المسيب ؟.

و هل يترك ابن إسحاق و عبد الله بن زياد لكلام ملك فيهما ؟.

و هل يترك الشافعي لقول يحي بن معين ؟.

و هل يترك مالك لقول ابن ابي ذئب ؟.

و هل يترك أحمد لقول الكرابيسي ؟.

و هل يترك ابن المديني لقول أبي زرعة فيه ؟.

---

[1] قاعدة في الجرح و التعديل ص 35-36
[2] جامع بيان العلم و فضله ص 1093-1094 طبعة ابي الأشبال
[3] نفس المصدر

الطعن في البخاري مبني على إلزامه بما لم يقل

إتفق السلف أن كلام الله غير مخلوق ، و أن أفعال العباد مخلوقة ، و لكن هذه الجملة (لفظ العبد بالقرآن) و نحو هذا الكلام من الأقوال المجملة التي تحتمل عدة معان ، حصل بسببها نوع نزاع لأنها من الكلمات المجملة التي قد يراد باللفظ الملفوظ (القرآن) و قد يراد بها فعل العبد و حركاته . و لذلك وقع النزاع فيها و وقع الغلو من الطرفين ، المثبتة و النفاة . فقام الأئمة من التحذير و التنفير من التصريح به و الزجر عن الخوض فيه لما يجر ذلك من القول بمذهب المعتزلة .

و لما أوعز الذهلي الى بعض الناس بسؤال البخاري عن اللفظ بالقرآن ، قال : يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه فقال الرجل يا أبا عبد الله وأعاد عليه القول فأعرض عنه البخاري فلم يجبه ثم قال في الثالثة فالتفت إليه محمد بن إسماعيل فقال القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقه والإمتحان بدعة." و وقع بذلك تشغيب و ألزموا البخاري ما لم يقل و نسبوا إليه القول " لفظي بالقرآن مخلوق"

قال الذهبي في ترجمة علي بن حجر : و أما البخاري فكان من كبار الأئمة الأذكياء ، فقال : ما قلت ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، و إنما حركاتهم و أصواتهم و أفعالهم مخلوقة ، و القرآن المسموع المتلو الملفوظ المكتوب في المصاحف كلام الله غير مخلوق ، و صنف في ذلك كتاب (أفعال العباد) مجلد ، فأنكر عليه طائفة ، و ما فهموا مرامه ، كالذهلي و أبي زرعة و أبي حاتم و أبي بكر الأعين و غيرهم .[1]

إن الذي يضاف الى المرء هو ما قال أو رواه عنه ثقة ، و أما تقويل الإنسان ما لم يقل و إلزامه إياه ، و أخذ نتائج منه ، فهذا لا يدل عليه منقول ، و لا يؤيده معقول ، و لا جرى عليه التلبعون بإحسان .[2]

---

[1] السير 12/510-511
[2] تاريخ الجهمية و المعتزلة للقاسمي ص 35

حقيقة مذهب البخاري

- القرآن كلام الله غير مخلوق :

كان الإمام البخاري على عقيدة سليمة موافقة لما كان عليه أئمة السلف ، يثبت لله صفاته التي ثبتت في القرآن الكريم و السنة الصحيحة من غير تعطيل و لا تشبيه و لا تأويل . و من أمعن النظر في أبواب بعض كتب " الجامع الصحيح "مثل كتب الإيمان ، الفتن ، الأحكام ، الإعتصام بالكتاب و السنة ، التوحيد . يقف على عقيدة البخاري السلفية ، و يلمس في تراجم تلك الأبواب ردوده على أقوال الفرق و الطوائف القائمة في عصره ، و التنبيه على أخطاء أصحابها و أوهامهم دون ذكر بدعتهم أو إظهار أسمائهم ،و هذا أسلوب لا يقدر عليه إلا أولو العزم من الأئمة ، و هو منهج قرآني و مسلك نبوي .[1]

و قد أفرد رحمه الله كتابا مستقلا هو (خلق أفعال العباد) ، أسهب في الإستدلال و الرد على من زعم أن القرآن مخلوق ، و أن التلاوة و المتلو شيء واحد ، أي مخلوقان . و بين فيه معتقد الأئمة في هذه المسألة .

قال محمد بن أحمد بن محمد البخاري المعروف بغنجار : حدثنا أبو الحسين محمد بن مران بن موسى الجرجاني ، قال : سمعت أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البخاري – بالشاش – يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يقول : لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم ، أهل الحجاز ، و مكة ، و المدينة ، و الكوفة ، و البصرة ، و واسط ، و بغداد ، و الشام ، و مصر .. فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء : أن الدين قول و عمل ، و ذلك لقول الله تعالى { و ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة } (البينة 5) ، و أن القرآن كلام الله . قال أبو عبد الله : كلام غير مخلوق لقوله { إن ربكم الله الذي خلق السماوات و الأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا و الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره } (الأعراف 54) . قال أبو عبد الله : قال ابن

[1] راجع كتاب : البخاري أستاذ الأستاذين ص 92

عيينة : فبين الله الخلق من الأمر لقوله { ألا له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين } (الأعراف 54).[1]

قال أبو عبد الله الحاكم : سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول : سمعت محمد بن نعيم يقول : سألت محمد بن إسماعيل – لما وقع في شأنه ما وقع – عن الإيمان ؟ قال : قول و عمل ، و يزيد و ينقص ، والقرآن كلام الله غير مخلوق ..[2]

- مسألة أفعال العباد

إن البخاري صرح بأن أفعال العباد مخلوقة ، و لم يصح عنه أنه قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، مع أن هذه العبارة صحيحة نقلا و عقلا ، و الحق فيها بجانبه بكل حال صرح بها أم لم يصرح .[3]

قال أبو عبد الله: فأما أفعال العباد فقد حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا أبو مالك عن ربعي بن حراش، عن حذيفة رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» وتلا بعضهم عند ذلك: {والله خلقكم وما تعملون} [الصافات: 96] ، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة . حدثنا محمد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة رضي الله عنه: «إن الله خلق كل صانع وصنعته، إن الله خلق صانع الخزم وصنعته» رواه وكيع عن الأعمش .[4]

قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: سمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون: «إن أفعال العباد مخلوقة» قال أبو عبد الله: " حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بخلق، قال الله: {بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم} [العنكبوت: 49] " وقال إسحاق بن إبراهيم: «فأما الأوعية

[1] شرح أصول اعتقاد اهل السنة للالكائي 174/1-176 . ابن عساكر 58/52-60. السير 407/12 .الفتح 47/1
[2] التغليق 935/5. الهدي 491 . تهذيب التهذيب 45/9
[3] أستاذ الاستاذين ص 125
[4] خلق أفعال العباد ص 46

فمن يشك في خلقها؟» قال الله تعالى: {وكتاب مسطور في رق منشور} [الطور: 3] ، وقال: {بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ} [البروج: 21] «، فذكر أنه يحفظ ويسطر» . قال: {وما يسطرون} [القلم: 1][1]

حدثنا محمد بن كثير، حدثنا إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة وقال غيره ابن أبي المغيرة، عن سالم هو ابن أبي الجعد، عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي» قال أبو عبد الله: " فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الإبلاغ منه، وأن كلام الله من ربه، ولم يذكر عن أحد من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان خلاف ما وصفنا، وهم الذين أدوا الكتاب والسنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم قرنا بعد قرن، قال الله تعالى: {لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا} [البقرة: 143] " قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنتم شهداء الله في الأرض».

حدثنا إسحاق، حدثنا أبو أسامة، قال الأعمش: حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتسأل أمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقال: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} [البقرة: 143] قال أبو عبد الله: هم الطائفة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم» حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون» ويروى نحوه عن أبي هريرة، ومعاوية، وجابر، وسلمة بن نفيل، وقرة بن إياس رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو عبد الله: " ولم يكن بين أحد من أهل العلم في ذلك اختلاف، إلى زمن

[1] نفس المصدر ص 47

مالك، والثوري، وحماد بن زيد، وعلماء الأمصار ثم بعدهم ابن عيينة في أهل الحجاز، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي في محدثي أهل البصرة، وعبد الله بن إدريس، وحفص بن غياث، وأبو بكر بن عياش، ووكيع وذووهم ابن المبارك في متبعيه، ويزيد بن هارون في الواسطيين إلى عصر من أدركنا من أهل الحرمين مكة والمدينة، والعراقيين، وأهل الشام، ومصر، ومحدثي أهل خراسان، منهم محمد بن يوسف في منتابيه وأبو الوليد هشام بن عبد الملك في مجتبيه، وإسماعيل بن أبي أويس مع أهل المدينة، وأبو مسهر في الشاميين، ونعيم بن حماد مع المصريين، وأحمد بن حنبل مع أهل البصرة، والحميدي من قريش، ومن أتبع الرسول من المكيين، وإسحاق بن إبراهيم وأبو عبيد في أهل اللغة، وهؤلاء المعروفون بالعلم في عصرهم بلا اختلاف منهم، أن القرآن كلام الله، إلا من شذها، أو أغفل الطريق الواضح فعمي عليه، فإن مرده إلى الكتاب والسنة، قال الله تعالى: {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول} [النساء: 59] " حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا إسحاق بن جعفر بن محمد، حدثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب: «وإنكم ما اختلفتم في شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد».

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» ، حدثنا بذلك العلاء بن عبد الجبار، حدثنا عبد الله بن جعفر المخرمي، عن سعد بن إبراهيم، عن القاسم، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك «وأمر عمر رضي الله عنه أن ترد الجهالات إلى الكتاب والسنة» قال أبو عبد الله: " وكل من لم يعرف الله بكلامه أنه غير مخلوق فإنه يعلم، ويرد جهله إلى الكتاب والسنة، فمن أبى بعد العلم به، كان معاندا، قال الله تعالى: {وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون} [التوبة: 115] ، ولقوله: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا} [النساء: 115] ، فأما ما احتج به الفريقان لمذهب أحمد ويدعيه كل لنفسه، فليس بثابت كثير من أخبارهم، وربما لم يفهموا دقة مذهبه، بل المعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله غير مخلوق، وما سواه مخلوق، وأنهم كرهوا البحث والتنقيب

عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا أهل الكلام، والخوض والتنازع إلا فيما جاء فيه العلم، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم " حدثنا إسحاق، أنبأ عبد الرزاق، أنبأ معمر، عن الزهري، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوما يتدارءون فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا، فلا تضربوا بعضه بعضا، ما علمتم منه فقولوا، وما لا، فكلوه إلى عالمه» قال أبو عبد الله: «وكل من اشتبه عليه شيء فأولى أن يكله إلى عالمه» كما قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وما أشكل عليكم فكلوه إلى عالمه، ولا يدخل في المتشابهات إلا ما بين له» وقد حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا يزيد بن إبراهيم، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات} فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه منه فهم الذين عنى الله فاحذروهم» وقال ابن مسعود رضي الله عنه: " من علم علما فليقل به، ومن لا، فليقل: الله أعلم، فإن من علم الرجل أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه: {قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين} [ص: 86] "..[1]

و قال : قال أبو عبد الله: «ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخلق، وأن العرب لا تعرف الحي من الميت إلا بالفعل، فمن كان له فعل فهو حي ومن لم يكن له فعل فهو ميت، وأن أفعال العباد مخلوقة، فضيق عليه حتى مضى لسبيله، وتوجع أهل العلم لما نزل به، وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيما ومن نحا نحوه ليس بمفارق ولا مبتدع، بل البدع والرئيس بالجهل بغيرهم أولى، إذ يفتون بالآراء المختلفة، مما لم يأذن به الله»[2]

---

[1] نفس المصدر ص 60-63
[2] ص 85 خلق أفعال العباد

قال أبو عبد الله: " واختلف الناس في الفاعل والمفعول والفعل، فقالت القدرية: الأفاعيل كلها من البشر ليست من الله، وقالت الجبرية: الأفاعيل كلها من الله، وقالت الجهمية: الفعل والمفعول واحد، لذلك قالوا: لكن مخلوق، وقال أهل العلم: التخليق فعل الله، وأفاعيلنا مخلوقة لقوله تعالى: {وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق} [الملك: 13] ، يعني السر والجهر من القول، ففعل الله صفة الله، والمفعول غيره من الخلق، ويقال لمن زعم أني لا أقول: القرآن مكتوب في المصحف ولكن القرآن بعينه في المصحف، يلزمك أن تقول: إن من ذكر الله في القرآن من الجن والإنس والملائكة والمدائن ومكة والمدينة وغيرهما وإبليس وفرعون وهامان وجنودهما والجنة والنار عاينتهم بأعيانهم في المصحف، لأن فرعون مكتوب فيه، كما أن القرآن مكتوب، ويلزمك أكثر من هذا حين تقول في المصحف، وهذا أمر بين لأنك تضع يدك على هذه الآية وتراها بعينك: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} [البقرة: 255] ، فلا يشك عاقل بأن الله هو المعبود، وقوله: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} [البقرة: 255] هو قرآن، وكذلك جميع القرآن هو قوله، والقول صفة القائل موصوف به فالقرآن قول الله عز وجل، والقراءة والكتابة والحفظ للقرآن هو فعل الخلق لقوله: {فاقرءوا ما تيسر منه} فقوله: {فاقرءوا ما تيسر منه} والقراءة فعل الخلق وهو طاعة الله، والقرآن ليس هو بطاعة إنما هو الأمر بالطاعة، ودليله قوله: {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث} [الإسراء: 106] ، وقال: {إن الذين يتلون كتاب الله} [فاطر: 29] ، {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} [القمر: 17] " حدثنا أبو نعيم، ثنا زهير، عن أبي إسحاق أنه سمع رجلا سأل الأسود: " فهل من مذكر أو مدكر؟ فقال: سمعت عبد الله يقرؤها: «مدكر» ، وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها: «فهل من مدكر» دالا. حدثنا حفص بن عمر، ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: «فهل من مدكر» حدثنا عبدان، أخبرني أبي، عن شعبة بهذا. حدثنا خالد بن يزيد، ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق بهذا. حدثنا نصر بن علي، ثنا أبو أحمد، عن سفيان، عن أبي إسحاق بهذا قال أبو عبد الله: " وقال الله عز وجل: {بلغ ما أنزل إليك من ربك} [المائدة: 67] ، فذلك كله مما أمر به، ولذلك قال: {أقيموا

الصلاة} [البقرة: 43] ، فالصلاة بجملتها طاعة الله، وقراءة القرآن من جملة الصلاة، فالصلاة طاعة الله، والأمر بالصلاة قرآن وهو مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء على اللسان، والقراءة والحفظ والكتابة مخلوق، وما قرئ وحفظ وكتب ليس بمخلوق، ومن الدليل عليه أن الناس يكتبون الله ويحفظونه ويدعونه، فالدعاء والحفظ والكتابة من الناس مخلوق، ولا شك فيه، والخالق الله بصفته، ويقال له: أترى القرآن في المصاحف؟ فإن قال: نعم، فقد زعم أن من صفات الله ما يرى في الدنيا، وهذا رد لقول الله عز وجل: {لا تدركه الأبصار} [الأنعام: 103] في الدنيا {وهو يدرك الأبصار} [الأنعام: 103] وإن قال يرى كتابة القرآن فقد رجع إلى الخلق، ويقال له: هل تدرك الأبصار إلا اللون؟ فإن قال: لا، قيل له: وهل يكون اللون إلا في الجسم؟ فإن قال: نعم، فقد زعم أن القرآن جسم يرى ..".[1]

نفي البخاري التهمة عن نفسه

قال إبراهيم بن محمد : أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل لما أن مات بخرتنك، أردت حمله إلى مدينة سمرقند أن أدفنه بها فلم يتركني صاحب لنا فدفناه بها، فلما أن فرغنا ورجعت إلى المنزل الذي كنت فيه، قال لي صاحب القصر: سألته أمس فقلت: يا أبا عبد الله ما تقول في القرآن؟ فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال فقلت له إن الناس يزعمون أنك تقول ليس في المصاحف قرآن، ولا في صدور الناس قرآن. فقال: استغفر الله أن تشهد على بشيء لم تسمعه مني. أقول كما قال الله تعالى: والطور وكتاب مسطور

أقول في المصاحف قرآن وفي صدور الناس قرآن، فمن قال غير هذا يستتاب، فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر.[2]

[1] ص 114-115-116
[2] تاريخ بغداد 31/2

و عن أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالخفاف قال : كنا يوما عند محمّد بن إسحاق القيسي ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فقال محمّد ابن نصر: سمعته يقول: من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله. فقلت له: يا أبا عبد الله قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه؟ فقال: ليس إلا ما أقول وأحكي لك عنه. قَالَ أبو عمرو الخفاف فأتيت محمد بن إسماعيل فناظرته في شيء من الأحاديث حتى طابت نفسه، فقلت: يا أبا عبد الله، ها هنا أحد يحكى عنك أنك قلت هذه المقالة. فقال: يا أبا عمرو احفظ ما أقول لك، من زعم من أهل نيسابور، وقومس، والري، وهمذان، وحلوان، وبغداد، والكوفة، والمدينة، ومكة، والبصرة أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقل هذه إلا أني قلت:

أفعال العباد مخلوقة.[1]

من انتصر لمذهب البخاري و عقيدته :

ابن تيمية : قال رحمه الله موضحا عقيدة البخاري في اللفظ بالقرآن : " وكذلك يقولون: إنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه هو حديث، وهو أحسن الحديث، وليس بمخلوق باتفاقهم، ويسمى حديثًا وحادثًا. وهل يسمى محدثًا؟ على قولين لهم. ومن كان من عادته أنه لا يطلق لفظ المحدث إلا على المخلوق المنفصل .كما كان هذا الاصطلاح هوالمشهور عند المتناظرين الذين تناظروا في القرآن في محنة الإمام أحمد . رحمه الله . وكانوا لايعرفون للمحدث معنى إلا المخلوق المنفصل . فعلى هذا الاصطلاح لا يجوز عند أهل السنة أن يقال: القرآن محدث، بل من قال: إنه محدث، فقد قال: إنه مخلوق. ولهذا أنكر الإمام أحمد هذا الإطلاق على [داود] لما كتب إليه أنه تكلم بذلك، فظن الذين يتكلمون بهذا الاصطلاح أنه أراد هذا فأنكره أئمة السنة. وداود نفسه لم يكن هذا قصده، بل هو وأئمة أصحابه متفقون على أن كلام الله غير مخلوق، وإنما كان مقصوده أنه قائم بنفسه، وهو قول غير واحد من أئمة السلف، وهو قول البخاري وغيره.

[1] تاريخ بغداد 31/2. تقييد المهمل 37/1. طبقات الحنابلة 277/1-278 . ابن عساكر 95/52-96 . السير 457/12-458. طبقات السبكي 230/2 . التغليق433/5. الهدي 491

والنزاع في ذلك بين أهل السنة لفظي؛ فإنهم متفقون على أنه ليس بمخلوق منفصل، ومتفقون على أن كلام الله قائم بذاته، وكان أئمة السنة، كأحمد وأمثاله، والبخاري وأمثاله، وداود وأمثاله، وابن المبارك وأمثاله، وابن خزيمة، وعثمان بن سعيد الدارمي، وابن أبي شيبة وغيرهم، متفقين على أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، ولم يقل أحد منهم: إن القرآن قديم، وأول من شهر عنه أنه قال ذلك هو ابن كُلاب.

وكان الإمام أحمد يحذر من الكُلابية، وأمر بهجر الحارث المحاسبي لكونه كان منهم، وقد قيل عن الحارث: إنه رجع في القرآن عن قول ابن كُلاب، وإنه كان يقول: إن الله يتكلم بصوت. وممن ذكر ذلك عنه الكلاباذي في كتاب [التعرف لمذهب التصوف] .[1]

التاج السبكي : قال رحمه الله معقبا على قول الذهلي : (من زعم أن لفظى بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر) : و إنما أراد محمد بن يحيى والعلم عند الله ما أراده أحمد بن حنبل كما قدمناه فى ترجمة الكرابيسى من النهى عن الخوض فى هذا ولم يرد مخالفة البخارى وإن خالفه وزعم أن لفظه الخارج من بين شفتيه المحدثتين قديم فقد باء بأمر عظيم والظن به خلاف ذلك وإنما أراد هو وأحمد وغيرهما من الأئمة النهى عن الخوض فى مسائل الكلام وكلام البخارى عندنا محمول على ذكر ذلك عند الاحتياج إليه فالكلام فى الكلام عند الاحتياج واجب والسكوت عنه عند عدم الاحتياج سنة

فافهم ذلك ودع خرافات المؤرخين واضرب صفحا عن تمويهات الضالين الذين يظنون أنهم محدثون وأنهم عند السنة واقفون وهم عنها مبعدون وكيف يظن بالبخارى أنه يذهب إلى شئ من أقوال المعتزلة وقد صح عنه فيما رواه الفربرى وغيره أنه قال إنى لأستجهل من لا يكفر الجهمية

ولا يرتاب المنصف فى أن محمد بن يحيى الذهلى لحقته آفة الحسد التى لم يسلم منها إلا أهل العصمة

[1] شرح حديث النزول ص 154-155

وقد سأل بعضهم البخارى عما بينه وبين محمد بن يحيى فقال البخارى كم يعترى محمد بن يحيى الحسد فى العلم والعلم رزق الله يعطيه من يشاء

ولقد ظرف البخارى وأبان عن عظيم ذكائه حيث قال وقد قال له أبو عمرو الخفاف إن الناس خاضوا فى قولك لفظى بالقرآن مخلوق يا أبا عمرو احفظ ما أقول لك من زعم من أهل نيسابور وقومس والرى وهمذان وبغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة أنى قلت لفظى بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإنى لم أقله إلا أنى قلت أفعال العباد مخلوقة

قلت تأمل كلامه ما أذكاه ومعناه والعلم عند الله إنى لم أقل لفظى بالقرآن مخلوق لأن الكلام فى هذا خوض فى مسائل الكلام وصفات الله التى لا ينبغى الخوض فيها إلا للضرورة ولكنى قلت أفعال العباد مخلوقة وهى قاعدة مغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر فإن كل عاقل يعلم أن لفظنا من جملة أفعالنا وأفعالنا مخلوقة فألفاظنا مخلوقة لقد أفصح بهذا المعنى فى رواية أخرى صحيحة عنه رواها حاتم بن أحمد بن الكندى قال سمعت مسلم بن الحجاج فذكر الحكاية وفيها أن رجلا قام إلى البخارى فسأله عن اللفظ بالقرآن فقال أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا

وفى الحكاية أنه وقع بين القوم إذ ذاك اختلاف على البخارى فقال بعضهم قال لفظى بالقرآن مخلوق وقال آخرون لم يقل

قلت فلم يكن الإنكار إلا على من يتكلم فى القرآن

فالحاصل ما قدمناه فى ترجمة الكرابيسى من أن أحمد ابن حنبل وغيره من السادات الموفقين نهوا عن الكلام فى القرآن جملة وإن لم يخالفوا فى مسألة اللفظ فيما نظنه فيهم إجلالا لهم وفهما من كلامهم فى غير رواية ورفعا لمحلهم عن قول لا يشهد له معقول ولا منقول ومن أن الكرابيسى والبخارى وغيرهما من الأئمة الموفقين أيضا أفصحوا بأن لفظهم مخلوق لما احتاجوا إلى الإفصاح هذا إن ثبت عنهم الإفصاح بهذا وإلا فقد نقلنا لك قول البخارى أن من نقل عنه هذا فقد كذب عليه

فإن قلت إذا كان حقا لم لا يفصح به

قلت سبحان الله قد أنبأناك أن السر فيه تشديدهم فى الخوض فى علم الكلام خشية أن يجرهم الكلام فيه إلى ما لا ينبغى وليس كل علم يفصح به فاحفظ ما نلقيه إليك واشدد عليه يديك .[1]

الذهبي : قال في ترجمة علي بن حجر : و أما البخاري فكان من كبار الأئمة الأذكياء ، فقال : ما قلت ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، و إنما حركاتهم و أصواتهم و أفعالهم مخلوقة ، و القرآن المسموع المتلو الملفوظ المكتوب في المصاحف كلام الله غير مخلوق ، و صنف في ذلك كتاب (أفعال العباد) مجلد ، فأنكر عليه طائفة ، و ما فهموا مرامه ، كالذهلي و أبي زرعة و أبي حاتم و أبي بكر الأعين و غيرهم .[2]

و قال : كان الذهلي شديد التمسك بالسنة . قام على محمد بن إسماعيل لكونه أشار في مسألة خلق العباد إلى أن تلفظ القارئ بالقرآن مخلوق ، فلوح و ما صرح و الحق أوضح . و لكن أبى البحث في ذلك أحمد بن حنبل و أبو زرعة و الذهلي ، و التوسع في عبارات المتكلمين سدا للذريعة ، فأحسنوا أحسن الله جزاءهم . و سافر ابن إسماعيل مختفيا من يسابور ، و تألم من فعل محمد بن يحيى ، و ما زال كلام الكبار المتعاصرين بعضهم في بعض لا يلوى عليه بمفرده .[3]

ابن القيم : وقد اختلف الناس هل التلاوة غير المتلو أم هي المتلو؟ على قولين، والذين قالوا: التلاوة هي المتلو، فليست حركات الإنسان عندهم هي التلاوة، وإنما أظهرت التلاوة وكانت سببا لظهورها، وإلا فالتلاوة عندهم هي نفس الحروف والأصوات وهي قديمة، والذين قالوا التلاوة غير المتلو طائفتان:

إحداهما قالت: التلاوة هي هذه الحروف والأصوات المسموعة، وهي مخلوقة، والمتلو هي المعنى القائم بالنفس وهو قديم، وهذا قول الأشعري.

---

[1] طبقات الشافعية 231-239/2
[2] السير 511-510/12
[3] السير 286-285/12

والطائفة الثانية قالوا: التلاوة هي قراءتنا وتلفظنا بالقرآن، والمتلو هو القرآن العزيز والمسموع بالآذان بالأداء من في رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي (المص) (حم) (عسق) (كهيعص) حروف وكلمات وسور وآيات تلاه عليه جبرائيل كذلك وتلاه هو على الأمة كما تلاه عليه جبرائيل، وبلغه جبرائيل عن الله تعالى كما سمعه، وهذا قول السلف وأئمة السنة والحديث، فهم يميزون بين ما قام بالعبد وما قام بالرب، والقرآن عندهم جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، وأصوات العباد وحركاتهم، وأداؤهم وتلفظهم، كل ذلك مخلوق بائن عن الله.

فإن قيل: فإذا كان الأمر كما قررتم فكيف أنكر الإمام أحمد على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق. وبدعه ونسبه إلى التجهم، وهل كانت محنة أبي عبد الله البخاري إلا على ذلك حتى هجره أهل الحديث ونسبوه إلى القول بخلق القرآن.

قيل: معاذ الله أن يظن بأئمة الإسلام هذا الظن الفاسد، فقد صرح البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد) وفي آخر (الجامع) بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وقال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة، منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال البخاري: وقال أحمد بن الحسين حدثنا أبو نعيم حدثنا سليم القاري قال سمعت سفيان الثوري يقول: قال حماد بن أبي سليمان: أبلغ أبا فلان المشرك أني بريء من دينه، وكان يقول: القرآن مخلوق، ثم ساق قصة خالد بن عبد الله القسري وأنه ضحى بالجعد بن درهم وقال إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه.

هذا مذهب الإمام البخاري ومذهب الإمام أحمد وأصحابهما من سائر أهل السنة، فخفي تفريق البخاري وتمييزه على جماعة من أهل السنة والحديث، ولم يفهم بعضهم مراده وتعلقوا بالمنقول عن أحمد نقلا مستفيضا أنه قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي: ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع، وساعد ذلك نوع حسد باطن للبخاري لما كان الله نشر له من الصيت والمحبة في قلوب الخلق واجتماع الناس عليه حيث حل، حتى هضم كثير من رياسة أهل العلم وامتعضوا لذلك، فوافق الهوى الباطن الشبهة الناشئة من القول المجمل، وتمسكوا

بإطلاق الإمام أحمد وإنكاره على من قال لفظي بالقرآن مخلوق وأنه جهمي، فتركب من مجموع هذه الأمور فتنة وقعت بين أهل الحديث.

قال الحاكم أبو عبد الله: سمعت أبا القاسم طاهر بن أحمد الوراق يقول: سمعت محمد بن شاذان الهاشمي يقول: لما وقع بين محمد بن يحيي ومحمد بن إسماعيل دخلت على محمد بن إسماعيل فقلت: يا أبا عبد الله إيش الحيلة لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيي، كل من يختلف إليك يطرد من منزله وليس لكم منزل، قال: محمد بن يحيي كم يعتريه الحسد في العلم، والعلم رزق من الله تعالى يعطيه من يشاء، فقلت: يا أبا عبد الله، هذه المسألة التي تحكى عندك، فقال لي هذه مسألة مشئومة رأيت أحمد بن حنبل وما ناله من هذه المسألة جعلت على نفسي لا أتكلم فيها، والمسألة التي كانت بينهما كان محمد بن يحيي لا يجيب فيها إلا ما يحكيه عن أحمد بن حنبل، فسئل محمد بن إسماعيل فوقف عنها، وهي أن اللفظ بالقرآن مخلوق، فلما وقف عنها البخاري تكلم فيه محمد بن يحيي وقال: قد أظهر هذا البخاري قول اللفظية، واللفظية شر من الجهمية. قال الحاكم: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد العدل يقول: سمعت أبا حامد بن الشرقي يقول: سمعت محمد بن يحيي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وهو قول أئمتنا مالك بن أنس، وعبد الرحمن بن عمر والأوزاعي وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري، والكلام كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته، وحيث تصرف، فمن لزم ما قلنا استغنى عن اللفظ وعما سواه من الكلام في القرآن، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر وخرج من الإيمان وبانت منه امرأته يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وجعل ماله فيئا بين المسلمين، ولم يدفن في مقابر المسلمين، ومن زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يجالس ولا يكلم، ومن وقف وقال لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق فقد ضاهى الكفر، ومن ذهب بعد مجلسنا هذا إلى مجلس محمد بن إسماعيل فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه.

قال الحاكم: وسمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: سمعت محمد بن نعيم يقول سألت محمد بن إسماعيل البخاري لما وقع ما وقع من شأنه عن الإيمان فقال: الإيمان قول

وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأفضل أصحاب رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، على هذا حييت وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله تعالى، ثم قال أبو الوليد: أي عين أصابت محمد بن إسماعيل بما نقم عليه محمد بن يحيى، فقلت له إن محمد بن إسماعيل قد بوب في آخر الجامع الصحيح بابا مترجما (ذكر قراءة الفاجر والمنافق وأن أصواتهم لا تجاوز حناجرهم) نذكر فيه حديث قتادة عن أنس عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم " «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة» . . . " الحديث، وحديث أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم " «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان. . .» " الحديث، فقال لي كيف قلت؟ فأعدته عليه، فأعجبه ذلك، وقال: ما بلغني هذا عنه.

ومراد أبي عبد الله بهذا الاستدلال أن الثقل في الميزان والخفة على اللسان متعلق بفعل العبد وكسبه، وهو صوته وتلفظه لا يعود إلى ما قام بالرب تعالى من كلامه وصفاته، وكذلك قراءة البر والفاجر، فإن قراءة الفاجر لا تجاوز حنجرته، فلو كانت قراءته هي نفس ما قام بالرب من الكلام وهي غير مخلوقة لم تكن كذلك، فإنها متصلة بالرب حينئذ.

فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله، فإن الإمام أحمد سد الذريعة حيث منع إطلاق لفظ المخلوق نفيا وإثباتا على اللفظ، فقالت طائفة: أراد سد باب الكلام في ذلك، وقالت طائفة منهم ابن قتيبة: إنما كره أحمد ذلك ومنع ; لأن اللفظ في اللغة الرمي والإسقاط يقال لفظ الطعام من فيه ولفظ الشيء من يده إذا رمى به، فكره أحمد إطلاق ذلك على القرآن، وقال طائفة: إنما مراد أحمد أن اللفظ غير الملفوظ فلذلك قال: إن من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق فهو جهمي.

وأما منعه أن يقال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فإنما منع ذلك لأنه عدول عن نفس قول السلف، فإنهم قالوا القرآن غير مخلوق، والقرآن اسم يتناول اللفظ والمعنى، فإذا خص اللفظ بكونه غير مخلوق كان ذلك زيادة في الكلام أو نقصا من المعنى، فإن القرآن كله غير مخلوق،

فلا وجه لتخصيص ذلك بألفاظ خاصة، وهذا كما لو قال قائل: السبع الطوال من القرآن غير مخلوقة فإنه وإن كان صحيحا، لكن هذا التخصيص ممنوع منه، وكل هذا عدول عما أراده الإمام أحمد. وهذا المنع في النفي والإثبات من كمال علمه باللغة والسنة وتحقيقه لهذا الباب فإنه امتحن به ما لم يمتحن به غيره، وصار كلامه قدوة وإماما لحزب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، والذي قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران أحدهما: الملفوظ نفسه وهو غير مقدور للعبد ولا فعل له، الثاني: التلفظ به والأداء له وفعل العبد، فإطلاق الخلق على اللفظ قد توهم المعنى الأول وهو خطأ، وإطلاق نفي الخلق عليه قد يوهم المعنى الثاني وهو خطأ، فمنع الإطلاقين.

وأبو عبد الله البخاري ميز وفصل وأشبع الكلام في ذلك وفرق بين ما قام بالرب وبين ما قام بالعبد، وأوقع المخلوق على تلفظ العباد وأصواتهم وحركاتهم وأكسابهم، ونفى اسم الخلق عن الملفوظ وهو القرآن الذي سمعه جبرائيل من الله تعالى وسمعه محمد من جبرائيل، وقد شفى في هذه المسألة في كتاب (خلق أفعال العباد) وأتى فيها من الفرقان والبيان بما يزيل الشبهة، ويوضح الحق، ويبين محله من الإمامة والدين، ورد على الطائفتين أحسن الرد.[1]

هل ذم ابن المديني البخاري ؟

من الجهالات الفاضحة التي سطرها أيلال أنه إعتبر قول ابن المديني في مدح تلميذه البخاري (لم ير مثل نفسه) ذما للبخاري و ليس مدحا .

يقول المعترض : " يستشهد[2]بقول المديني شيخ البخاري : " دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه " و هذا القول و إن كان ورد من ابن حجر في سياق المدح إلا أن المتمعن فيه يجده ذنا صريحا للبخاري ، و اتهامه من شيخه بأنه كان لا يرى إلا نفسه ، لكن العقول تطمس في مثل عاته المناسبات لترى الذم مدحا ، على رغم أنف اللغة و على رغم أنف العقل ".[3]

[1] مختصر الصواعق المرسلة 509-513
[2] أي ابن حجر
[3] ص 90

فبهذا المتبجح بالعقل و اللغة لم ينقل السياق كما هو ، لو كان يتعامل باحترام مع القارئ على أقل تقدير ، و ها هو السياق : قال ابن حجر : " علي بن المديني كان أعلم أقرانه بعلل الحديث ، و عنه أذ البخاري ذلك حتى كان يقول ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني ، و مع ذلك فكان علي بن المديني إذا بلغه ذلك عن البخاري يقول : دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه " [1]

فهل يفهم من هذا السياق و من اصطلاح القوم أي إتهام لإبن المديني للبخاري بالعجب و التكبر كما حاول أيلال المتبجح بالعقل و اللغة ؟ و هل إمتلك أيلال ناصية اللغ ليحكم على لغة ابن المديني و ابن حجر ، و يفهم ما لم يفهموه و لا العلماء من بعدهم . فكل ما أوتي حظا من العلم و الفهم و لغة سليمة لم تتكدر بلوثة لغوية –كحال أيلال – الذي لا يكاد يبين ، يفهم أن البخاريكان يستصغر نفسه عند ابن المديني ، و هذا من تواضعه لشيخه و إكراما له . ابن المديني لما بلغه مقالة البخاري قال قولته المشهورة إعترافا منه بنبوغ تلميذه و أنه فاقه في معرفة الصحيح و العلل و الرجال ، و أنه لم ير مثل نفسه في العلم و الإتقان .

و هذه العبارة مشهورة عند أهل العلم ، يقولونها لمن فاق أقرانه و ظهر منه نبوغ عظيم و فاق رفاقه ذكاءا و حفظا و فهما . و لا يقصدون بها ذما كما إفترى أيلال .

أخرج الخطيب البغدادي بسنده الى إسحاق بن أحمد بن خلف يقول سمعت محمد بن إسماعيل غير مرة يقول: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي ابن المديني، ما سمعت الحديث من في إنسان أشهى عندي أن أسمعه من في علي .

وقال إسحاق حدثني حامد بن علي قال ذكر لعلي بن المديني قول محمد بن إسماعيل: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، فقال: ذروا قوله، هو ما رأى مثل نفسه.[2]

[1] هدي الساري ص 347 . دار الكتب السلفية . شرح علل الترمذي 495/1
[2] تاريخ الطبري 18/2 . تهذيب الكمال 451/24

و ممن قيل فيه هذه العبارة أعلام كبار منهم :

سفيان الثوري و ابن المبارك و أبو زرعةو عثمان بن سعيد الدارمي و الخليل الفراهيدي و الخطيب البغدادي و الدارقطني و ابن حجر و ابن تيمية .

قال أبو ثور : ما رأينا مثل الشافع و لا رأى مثل نفسه .

و قال الحاكم : ما رأى الدارقطني مثل نفسه .

و قال ابن فهد عن ابن حجر : لم تر العيون مثله و لا رأى مثل نفسه .

و قال ابن سعد: ما رأيت مثل إبراهيم بن أبي طالب و لا رأى مثل نفسه .

قال إبراهيم بن أورمة : ما رأى محمد بن عاصم مثل نفسه ، و لا رأيت مثل محمد بن عاصم . و قال ابن حجر عن شيخه البلقيني : و لم تر العين مثله و لا رأى مثل نفسه ، و اشتهر اسمه في الآفاق و بعد صيته الى أن صار يضرب به المثل في العلم .

و في هذا السياق جاءت مقولة علي بن المديني رحمه الله في البخاري ، فقد قال كلمته في سياق المدح و الثناء ، لا في معرض الذم و التجريح .

البخاري و بولس النصراني

قال أيلال : " بعد جولتنا في الأساطير المؤسسة لشخصية البخاري و ما رافقها من غلو ، جعلها في النهاية تتفوق على كل الشخصيات التاريخية ، بل و حتى او إني أكاد أجزم أن شخصية البخاري لدينا نحن معظم المسلمين ، توازي شخصية بولس الرسول لدى المسيحيين "[1]

هكذا قال ناطقا بالإفك و البهتان ، منهم العلماء الذين إعتبروا البخاري مثل بولس ؟ و كيف تيقن أن معظم المسلمين تعتقد في البخاري كما تعتقد النصارى في بولس ؟

[1] ص 108

لكن من هو بولس ؟

إن الشريعة التي جاء بها نبي الله عيسى عليه السلام إندثرت و حرفت و ضاع إنجيله بعد فترة قصيرة من وفاته و رفعه الى السماء . بحيث تزعم هذا الإنقلاب بولس اليهودي الذي كان من أشد أعداء عيسى و الساعي وفي قتل و اضطهاد أتباعه . فمن هو بولس هذا ؟

هو شاول بن كيساي ، من سبط بنيامين ، كان يعمل في صناعة الخيام في مدينة طرسوس ، وفي هذه المدينة ولد (شاول) والذي سمي باسم (بولس) فيما بعد. كان أبواه يهوديين (فيريسيين) وهي فرقة شديدة العنف مع المسيح ، وأشتهر بولس بعنفه في خصومته وعدائه الشديد لأتباع المسيح أعلن بولس فجأة تحوله إلى النصرانية وأعلن أنه آمن بالمسيح وأنه صار من أخلص أنصاره و أن عيسى تجلى له و غفر له خطاياه و أمره بنشر دينه و تعاليمه. وهكذا قبله أتباع المسيح ؛ فتمكن بمكره ودهائه أن يحول المسيحية بالنخر فيها حتى انقلبت رأساً على عقب ، وبهذا أفسد على النصارى دينهم إلى يومنا هذا . سعى بولس جاهدا في تغيير تعاليم المسيح فجاءت تعاليمه مصادمة للشرع و العقل ، وبذلك أسس بولس دينا جديدا باسم المسيح ، أساسه نسخ أحكام التوراة، وقوله إنها كانت لعنة تخلصنا منها إلى الأبد، وإن المسيح إله إبن إله ، جاء ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد،.و أنه صلب تكفيراً لخطايا البشر و أنه من الأموات و صعد وجلس عن يمين الله . أن جميع أحكام التوراة باتت منسوخة لأنها كانت لعنة خلصنا منها . و أن المسيحية دين عالمي ليس خاصاً ببني إسرائيل.

صلاة البخاري قبل كتابة الحديث

ومن صور كذبه على خصومه، قوله" :محمد بن إسماعيل البخاري لم يكن يكتب أي حديث أو ينتخب أي حديث من أحاديث الصحيح، من أصل أزيد من نصف مليون حديث، إلا بعد أن يغتسل ويستخير الله بصلاته ركعتين، ولكم أن تتخيلوا كم من مرة قام

البخاري بصلاة الاستخارة، ليكون الجواب هو 600 ألف مرة، أي مليون ومائتي ألف ركعة خلال ست عشرة سنة[1]"!!!

فهذا الرجل يرد على نفسه بنفسه، فيقول بأن البخاري كان يستخير كلما انتخب حديثا في الصحيح، ومعنى هذا أنه صلى بعدد أحاديث صحيح البخاري، كما هو واضح في كلامه. فكم عدد أحاديث صحيح البخاري بدون تكرار؟ على ما حرره ابن حجر، فإنها :2761 حديثا تشمل المعلقات التي لم يوصلها في موضع آخر، فصلى عند كل حديث منها ركعتين على مدى16 سنة، فأين الغرابة في هذا؟ ولكن لما لم تعجبه هذه الحسبة، طار إلى التشنيع، وجعله يصلي عند كل حديث قبل أي انتقاء، وبذا ناقض نفس ما ينقله، وهكذا دأبه في هذا الكتاب، مع التنبيه أن الحديث قد يكون واحدا وله عشرة أسانيد، فتسمى عشرة أحاديث، ولما يجري تضعيف طريق منها، يقال هذا حديث ضعيف، لكن قد يصح من وجه آخر، وهكذا، وهذا للتنبيه على سوء فهمه لهذا الأمر، وبداية النسخ واللصق والتهويل[2].

سيرة أفعال و أعمال لا أحلام

عقد أيلال فصلا سماه : (سيرة الأحلام) أتى فيه بالأوابد و الطامات ، و ملأه بالكذب و الطعن في الإمام ، و اعتبر سيرته التي نقلها الأئمة سيرة أحلام مبنية على الخرافة و الأسطورة . و كذب بالأحاديث التي جاءت في الرؤى و أسقط الإحتجاج بكل حديث أورده البخاري في كتاب تعبير الرؤيا و أنها من المبشرات .

و من سوء طويته أنه أبرز بعض الرؤى التي ذكرها المؤرخون في ترجمة البخاري ، ليشيد عليها أحكامه الباطلة و يلخص سيرة هذا الإمام العظيم في بعض الرؤى التي تدخل في باب

[1] ص 110
[2] بيع الوهم ص 55

المبشرات ، و يتجاهل ما كتبه المؤرخون عن سيرته العظيمة .. سيرة كفاح و عطاء و عمل و نكران للذات . سيرة رجل بأمة ..

قال أيلال : " إن الدارس لسيرة البخاري كما تناقلتها كتب التاريخ و تراجم الرجال ، سيجدها تركز على مجموعة من الأحلام لإبراز فضله و استثنائيته بشكل غريب ، و الأغرب منه أن من يورد هاته الأخبار التي لا تتجاوز كونها أضغاث أحلام ، يوردها على أنها الحقيقة التي لا حقيقة بعدها . و لعل القارئ سيصاب بالدهشة لما سنقف عليه من تقديس للشيخ البخاري ، المعتمد على أحلام ، و التي من المفروض ألا يبنى عليها شيء أبدا ، لكن الشيوخ بنوا معتقدهم في البخاري و كتابه على هاته الخرافات " [1] و قال : " الغريب في سيرة الإمام البخاري كان حضور الأحلام فيها بشكل كبير و مطرد .." [2]. و يقول : " إن من يقف لأول مرة على ما أوردناه ونورده سيندهش من هول المفاجأة ، فالعديد من الناس الذين يسمعون عن شخصية البخاري ، يظنون أن الأدلة المقدمة على علمه وصلاحه ونبوغه ، هي أدلة علمية ، وحقائق مؤيدة بالشواهد التاريخية ، ولم يكن لهم علم بأنها مجرد أضغاث أحلام ، تم تضخيمها ، أو تم اختلاقها . فإذا كان المقرر لدى الفقهاء أن الرؤى لا يبنى عليها تشريع ، فان المحدثون بنوا عليها معتقدات ، واعتبروها من حقائق التاريخ رغم أنفه ، واعتبروها من العلم رغم أنفه أيضا.." [3]

أولا : إختصار سيرة البخاري العظيمة في بعض الرؤى و الأحلام التي تدخل في باب المبشرات ، لمن الأمور التي لا يقبلها البحث العلمي الجاد الرصين . كيف أمكن الكاتب أن يمحو صفحات عظام مشرقة من سيرة البخاري ثابتة عنه بأسانيد الجياد .. صفحات من طلبه للعلم منذ نعومة أظافره و نبوغه على أقرانه ، ثم العديد من الشهادات الموثقة في الثناء على حفظه و ظبطه و فهمه من قبل شيوخه و علماء الأمصار .

[1] ص 77
[2] ص 78
[3] ص 82

ثانيا : أما إدعاء الكاتب أن العلماء بنوا معتقدهم في البخاري و صحيحه بناءا على الأحلام ، فهذا من البهتان العظيم ، و خطيئة لا يمكن أن تصدر من شخص يدعي البحث و التنقيب . فلو درس – فعلا – سيرة البخاري لعلم علم اليقين أن علو صحيح البخاري لم يتأتى من شخصية مؤلفه ، ل بناءا على دراسة العلماء للصحيح دراسة علمية متأنية ، و إنبهارهم من الصناعة الحديثية التي بثها البخاري في كتابه و قوة و متانة شرطه ، مع ما امتاز به الصحيح من عجيب التراجم و تناسق الأبواب .

ثالثا : إن مجال لرؤى و المنامات لم يكن بابا مشرعا عند العلماء بغير ضوابط ، بل احاطوه بشروط و أحكام ، حتى لا يتسرب الى ديننا الخرافات و يدعي كل واحد ما شاء بغير علم و لا فهم .و من هذه الضوابط :

أنه لا عبرة بالرؤى في عمل أو إعتقاد يخرم قاعدة شرعية . قال الشاطبي في الإعتصام 351/1:" أن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعا عل حال ." و قال ابن حزم في المحلى 507/6 : " الشرائع لا تؤخذ بالمنامات " . لأنها ليست مصدرا من مصادر التشريع و ليست دليلا لإستنباط الأحكام ، و إنما يستأنس بها فيما هو جائز أو مباح شرعا كالحث على فعل الخير ، أو لإستنهاض الهمم و شحذ النفوس ، أو للتحذير من فعل شر .. أما ما خرج ن ذلك من جنس الإخبار بالمغيبات أو ما استأثر الله بعلمه كالإخبار بموت أو حياة ، أو رؤية النبي و اخذ رائع و أحكام جديدة عنه . فهذا من الدجل و البهتان .

ثم إن الرؤى التي جاءت في ترجمة البخاري تدخل في باب الرؤيا الصادقة و هي حق . قال ابن عبد البر : " الرؤيا إذا لم تكن من الأضغاث و الأهاويا فهي الرؤيا الصادقة ، و قد تكون الرؤيا الصادقة من الكافر و من الفاسق كرؤيا الملك التي فسرها يوسف عليه السلام ، و رؤيا الفتيين في السجن ، و رؤيا بختنصر التي فسرها دانيال في ذهاب ملكه ، و رؤيا كسرى في ظهور النبي صلى الله عليه و سلم ، و رؤيا عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و مثل هذا كثير ، و قد قسم رسول الله الرؤيا أقساما تغني عن قول كل قائل ".

إن ما ساقه أيلال من روايات و حكايات عن البخاري و صحيحه ، لم يدع أحد من أهل العلم أنها هي الحجة على صدق ما في الصحيح و عظيم منزلة صاحبه .بل ذكروها من باب المبشرات و إظهار عناية الله به ، و بيان لكرامة والدته المؤمنة العابدة التي سهرت على تربيته و تعليمه .

و إذا وجد من يغلو في البخاري و كتابه ، فهذا ليس بملزم لغيره ، و كلامه مردود عليه و لا يقبل منه . و لا يجوز أن يتخذ مطعنا في الصحيح و صاحبه . و كم غلا الأتباع في علمائهم و رؤسائهم ، فهذا المالكي يغلو في إمامه و هكذا الحنفي و الشافعي و الحنبلي ، و المتصوف يغلو في الجنيد و الغزالي و الجيلاني و غيرهم . و هذا لا يحط من أقدار هؤلاء الأئمة . و قد وقف العلماء موقفا صارما من هذه الظاهرة ، فأثبتوا ما صح من مناقب و كرامات الأئمة دون غلو أو تفريط .

قال أيلال : " .. فالمعلوم المقطوع به أن شواهد التاريخ يجب أن تكون مبنية على حقائق لا خرافات ، فكيف يمكن التحقق من صدق هاته الرواية تاريخيا ؟ ما من سبيل ، لأنه لا يمكن أن نفتش في أحلام الناس ، لذلك يكون أمر تصديق هاته الخرافة أيضا مبني على انعدام الدليل ، و بالتالي يكون قبولها و تصديقها مجرد وهم ، و لا يمكن بأي حال من الأحوال الإستشهاد بنص كهذا على أساس أنه حقيقة تاريخية ." [1]

أما كيف يمكن التحقق من صدق هاته الروايات تاريخيا ؟

فهذا سؤال لا يجوز أن يسأل من كاتب يدعي التخصص في نقد الموروث الديني و مقارنة الأديان و دراسة علم التحقيق .

و لو أجهد الكاتب نفسه بمراجعة كتاب في مناهج تحقيق النصوص و الروايات ، لما فضح نفسه أمام المختصين . و من شروط قبول الخبر التاريخي :

---

[1] ص 78

أن تكون الحكاية مروية في المصادر المعتبرة كتب التاريخ و التراجم و الطبقات و كتب الحديث .

أن تكون الرواية مشهورة عند المؤرخين .

أن تكون صادرة من أناس مشهود لهم بالصدق و العدالة .

أن ضعف السند غير مؤثر في الخبر التاريخي المشهور .

تشدد العلماء في الأخبار المتعلقة بالحلال و الحرام و العقيدة .

تشددهم في قبول الأخبار التي فيها ثلب أو طعن في الصحابة أو العلماء .

تساهل المؤرخين في فبول الروايات في فضائل الأعمال و المناقب و التراجم .

الى غير ذلك من الشروط التي وضعها المحققون ، و بالتالي يمكن الإجابة عن تساءل أيلال بالقول أن : أن الرواية مشهورة في كتب التاريخ و التراجم ، و أنها مروية عن أم البخاري بأسانيد جيدة ، و هي المرأة العالمة العابدة ، الصادقة في ما أخبرت به . كما أنه لم يطعن أي عالم في هذا الخبر الذي يدخل في نطاق الكرامات .

الكذب على العلماء :

قال : فلو لم يحلم البخاري بنفسه يذب الذباب ..لماكنا الأن ننعم بالإسلام و لضاع الإسلام ، لأنه في نظرهم لا اسلام بدون صحيح البخاري .[1]

قال : و الطريف في القصة أن الذباب هو رمز الكذب على رسول الله ، و قد نسي علماء الجرح و التعديل ، أن يضيفوا اسم الذباب الى مصطلح الحديث و مصطلح تجريح الرجال ،

[1] ص79

فبدل أن يقال هذا رجل كذاب ، كان عليهم أن يقولوا هذا رجل ذباب ، تطبيقا لحلم البخاري ، و تعبير معبر الرؤى ..[1]

قال : إن من يقف على هاته الخرافات لأول مرة سيندهش من هول المفاجأة ، فالكثير من الناس الذين يسمعون عن شخصية البخاري ، يظنون أن الأدلة المقدمة على علمه و صلاحه و نبوغه ، هي أدلة علمية ، و حقائق مؤيدة بالشواهد التاريخية ، و لم يكونوا يعلمون أنها مجرد أضغاث أحلام تم تضخيمها أو تم اختلاقها . فإذا كان المقرر لدى الفقهاء أن الرؤى لا يتنى عليها تشريع ، فإن المحدثين بنوا عليها معتقدات ، واعتبروها من حقائق التاريخ رغم أنفه ، و اعتبروها من العلم رغم أنفه أيضا [2]

و قال عن صحيح البخاري : كتاب مجهول المؤلف اصلا [3]

التمسح بكلام العلامة المعلمي :

قال : "فرغم بعض الأصوات التي حاولت تنبيه الناس إلى أن الرؤى والاحلام لايحتج بها ولا تصلح للمحاججة ، كمثل قول المعلِّمي اليماني – رحمه الله تعالى : "اتفق أهل العلم على أنّ الرؤيا لا تصلح للحجة، وإنما هي تبشير وتنبيه، وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حُجّة شرعية صحيحة" "التنكيل" (242/2).

رغم كل ذلك إلا أن عباد الأشخاص، يقدمون الأحلام التي أوردناها ضمن بناء شخصية محمد بن إسماعيل البخاري ، وكأنها حقيقة تاريخية لاغبار عليها، لكن من يتعظ؟ بل من يعقل؟ !"

أولا : توثيق كلام المعلمي .

التنكيل ص 259ج2 دار الكتب السلفية القاهرة

---

[1] ص80
[2] ص82
[3] 81

ص 242ج2 القسم الرابع .مكتبة المعارف الرياض ط 1

القائد الى تصحيح العقائد ص 79-80-81 المكتب الاسلامي 1984

ثانيا : المعلمي لم يضعف أو يحكم بالوضع على أحاديث الرؤيا .

ثالثا المعلمي يعتقد خلافا لأيلال بأن الرؤيا من الوحي

قال : هذا والشرع يقضي بأن الكشف ليس مما يصلح الاستناد إليه في الدين، ففي (صحيح البخاري) من حديث أبي هريرة «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة» .

وورد نحوه من حديث جماعة من الصحابة ذكر في (فتح الباري) منها حديث ابن عباس عند مسلم وغيره، وحديث أم كرز عند أحمد وابن خزيمة وابن حبان، وحديث حذيفة بن أسيد عند أحمد والطبراني، وحديث عائشة عند أحمد، وحديث أنس عند أبي يعلي.

وفيه حجة على أنه لم يبق مما يناسب الوحي إلا الرؤيا، اللهم إلا يكون بقي ما هو دون الرؤيا فلم يعتد به، فدل ذلك أن التحديث والإلهام والفراسة والكهانة والكشف كلها دون الرؤيا، والسر في ذلك أن الغيب على مراتب.

الأولى: ما لا يعلمه إلا الله، ولم يعلم به أحداً أو أعلم به بعض ملائكته.

الثانية: ما قد علمه غير الملائكة من الخلق.

الثالثة: ما عليه قرائن ودلائل إذا تنبه لها الإنسان عرفه كما ترى أمثلة ذلك فيما يحكى من زكن إياس والشافعي وغيرهما، فالرؤيا قد تتعلق بما هو من المرتبة الأولى لكن الحديث يقضي أنه لم يبق منها إلا ما كان على وجه التبشير فقط وفي معناه التحذير، والفراسة تتعلق بالمرتبة الثالثة، وبقية الأمور بالمرتبة الثانية، وإنما الفرق بينها والله أعلم أن التحديث والإلهام من إلقاء الملك في الخاطر، والكهانة من إلقاء الشيطان، والكشف قوة طبيعية غريبة كما يسمى في هذا العصر قراءة الأفكار.

نعم قد يقال: أن الرياضة قد تؤهل صاحبها لأن يقع له في يقظته ما يقع له في نومه فيكون الكشف ضرباً من الرؤيا.

وأقول: إن صح هذا فقد تقدم أن الرؤيا قصاراها التبشير والتحذير، وفي الصحيح «أن الرؤيا قد تكون حقاً وهي المعدودة من النبوة، وقد تكون من الشيطان، وقد تكون من حديث النفس» ، والتمييز مشكل، ومع ذلك فالغالب أن تكون على خلاف الظاهر حتى في رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قص من ذلك في القرآن، وثبت في الأحاديث الصحيحة، ولهذه الأمور اتفق أهل العلم أن الرؤيا لا تصلح للحجة، وإنما هي تبشير وتنبيه وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة كما ثبت عن ابن عباس أنه كان يقول بمتعة الحج لثبوتها عنده بالكتاب والسنة، فرأى بعض أصحابه رؤيا توافق ذلك فاستبشر ابن عباس.

هذا حال الرؤيا فقس عليه حال الكشف إن كان في معناها. فأما إن كان دونها فالأمر أوضح.

حول دواعي تأليف البخاري لصحيحه .

قال أيلال : " إذن مازالت حلقات الأحلام تتواصل .. نجد هذه المرة البخاري نفسه ينسب إليه المؤرخون أنه رأى حلما ، مفاده أنه يذب عن وجه الرسول بواسطة مروحة ، فيخبره معبر الرؤى أنه يذب عن النبي الكذب !!فكانت هذه القصة المتعلقة بحلم أيضا هي السبب في تأليف البخاري للجامع الصحيح ، فلو لم يحلم البخاري بنفسه يذب "الذباب"-لأنه لا يذب عن الوجه الا الذباب والحشرات الطائرة مثل البعوض- عن وجه الرسول —حسب الرواية التي أوردنا- لما كنا الآن " ننعم " بالإسلام، ولضاع الإسلام ، لأنه في نظرهم لا إسلام بدون صحيح البخاري، في حين أن الرواية الأخرى تخبرنا أن سبب تأليف البخاري لهذا الكتاب هو ما دار في مجلس إسحاق بن راهويه ، الذي طلب من رواد مجلسه أن يجمعوا

كتابا مختصرا لصحيح سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك السبب في أن البخاري ألف الجامع الصحيح.

ولا نعلم نحن أي الروايتين نصدق، وكلتيهما منسوبتين للشيخ البخاري ، لكن العديد من شيوخنا اليوم يميلون إلى رواية الأحلام، لأنها تتفق كثيرا مع شخصية العديد منهم والتي تميل إلى الأحلام والرؤى والخرافات بشكل غريب، ولأنها أيضا تتفق مع الشخصية الاسطورية التي رسموها للشيخ البخاري..."[1]

من هم هؤلاء الشيوخ الذين مالوا إلى رواية الأحلام و رجحوها على واقعة مجلس شيخه ابن راهويه ؟ ثم أليس يعلم أيلال أن للعلماء معايير للتوفيق بين الروايات ، بحيث يمكن الجمع بينهما دون تعارض أو تكذيب بإحداهما . ما المانع عقلا أن يسمع البخاري في مجلس شيخه قولا يحفزه لجمع حديث رسول الله و تنقيته من الموضوع و الضعيف ، لما عرف عنه منذ الصغر من ميل فطري و إستعداد قبلي و حب كبير لسنة النبي الكريم ملأ عليه قلبه و حياته . ثم بعد ذلك تتوارد و تتابع المبشرات و المحفزات من الرؤى الصادقة ، لتقوي من عزيمته و تشد من عضده لهذه المهمة النبيلة الجليلة التي كرس لها وقته و أوقف عليها حياته .

الكذب على القاسمي : نسب أيلال الى العلامة القاسمي كلاما جاء فيه : " أما في كتاب قواعد التحديث للقاسمي أيضا قوله : صحيح البخاري عدل القرآن ، إذ لو قرئ هذا الكتاب بدار في زمن شاع فيه الوباء و الطاعون لكان أهله في مأمن من المرض " .[2]

و هذا الذي كتبه أيلال منقول بالحرف من كتاب (أضواء على الصحيحين) للرافضي صادق النجمي . و بالرجوع الى " الأضواء " نجد النجمي عقد فصلا سماه " المغالاة في الصحيحين " و مما ذكر فيه : " قال القاسمي في قواعد التحديث ...." ، ثم كتب في الهامش : قواعد التحديث ص 250. و بالرجوع الى كتاب القاسمي في طبعاته المختلفة

[1] ص 79
[2] ص 88

للتثبت من العزو ، نجد أن في صفحة 250 من طبعة دار الكتب العلمية يتحدث القاسمي عن مناهج العلماء في التصنيف و تفاوتهم في تحري الصحيح .

أما طبعة مؤسسة الرسالة ، و هي طبع محققة و قدم لها ثلة من كبار العلماء كرشيد رضا و شكيب أرسلان و محمد بهجة البيطار ، فنجد فيها : المبحث الثالث : معرفة الوضع و الحامل عليه .

فمن أين أخذا الرافضي و تلميذه أيلال كلام القاسمي ؟

بقراءة كتاب القواعد وقفنا على مبحث عقده القاسمي تحت عنوان : " قراءة البخاري لنازلة الوباء " [1] . و ليس في هذا المبحث هذا الكلام المنسوب للقاسمي ، بل نقل رحمه الله قول ابن ابي جمرة الذي أورده القسطلاني في مقدمة شرحه 29/1 ، قال : قال لي من لقيت من العارفين عمن لقيه من السادة المقر لهم أن صحيح البخاري ما قرئ في شدة إلا فرجت و لا ركب به في مركب فغرقت " . هذا ما قال ، و كر أن هذا كان إعتقاد كثير من العلماء و العامة إعتقادا ببركته و تقليدا لمن مضى من المشايخ .

ثم عقب على هذا بنقل مستفيض لمقالة لأحد علماء الأزهر – و هو الشيخ رشيد رضا – ناقش فيها هذا الإعتقاد و بين خطأه و مخالفته لما كان عليه علماء السلف .

فهل وجد القارئ فيما ذكره القاسمي أي تصريح بأن صحيح البخاري عدل القرآن ؟ سبحانك ربي هذا بهتان عظيم . فهذه هي الأمانة العلمية لكاتب يدعي البحث و التنقيب ، و أنه أجهد نفسه في دراسة ما كتب حول البخاري ، فكان لزاما عليه الرجوع الى المصدر و التثبت قبل أن ينسب الأقوال الى العلماء ، بدل الإعتماد على تقنية النسخ و اللصق .

توجيه كلام العلامة محمد فريد وجدي و إبراز ثنائه على البخاري و صحيحه .

[1] ص 455 ط الرسالة . ص 263 ط دار الكتب العلمية

أما العلامة المؤرخ محمد فريد وجدي فجاء كلامه واصفا حالة الأمة في زمن التقليد و غلبة الجهل ، و حال الناس في التعامل مع القرآن و السنة .

قال رحمه الله : " فاتخذوا القرآن أناشيد تتلى في المآتم و الأعراس يستأجرون لقراءته رجلا أو رجالا ممن لا خلاق لهم حوالي المقابر استدرارا للرحمات الإلهية . و غلا بعضهم فرأى أن يستأجر رجالا يقرأون الأحاديث النبوية في كتاب الإمام البخاري استجلابا للبركات السماوية ." ثم عقب على هذا الصنيع مستنكرا له ، و حاثا على تدبر القرآن و السنة و العمل بهما .قال رحمه الله : " و لا يخفى أن هذا و أمثاله من أغرب ما يروى عن جمود الأمم ، و هو أثر ظاهر من آثار عزل الأمة عن دينها ، و الفصل ما بينها و بينه . و فرق أن يعتقد الرجل أن القرآن و السنة نصائح إلهية و آداب يطلب إليه تدبرها و العمل بها ، و بين أن يخطئ في تقديسها ، فيراها عزائم تتلى لجلب المراحم و كبث المزاحم ، و قضاء الحاجات ..."[1]

و قد ترجمة للإمام البخاري ترجمة عطرة كلها تعظيم و إكبار ، يقول رحمه الله : " هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، صاحب الجامع الصحيح في الحديث و التاريخ . كان بعيد الهمة في تحري صحيح الأحاديث ، جاب من أجلها الأمصار و كابد الأخطار ، فرحل إلى خراسان و الجبال و مدن العراق و الحجاز و الشام و مصر . و هو في كل ه>ه لأقطار يلاقي الحفاظ ، و يجالس المحدثين ، فيسمع منهم ، و يأخذ عنهم ، و يقارن بين المتشابهات ، و يوفق بين المتخالفات ، و يرد الأشياء إلى مصادرها ، و يسرى على أبحاثه نقدا صارما حتى جمع كتابه المشهور في الحديث ، و لذلك لم ينل كتاب في الإسلام حظ كتابه من الشيوع و الإنتشار ، و لم يحظ مؤلف بمثل ما حظي به البخاري من الإعجاب و الإشتهار ..."[2]

قصة زيارة الشيخ عبد المعطي التونسي لقبر الرسول .

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية م 3 ص 482

[2] 56/2 دائرة المعارف الإسلامية

ذكر هذه الحكاية الشيخ أحمد النخلي في كتابه (بغية الطالبين لبيان المشايخ المحققين المعتمدين) ، و هو فهرس لمشايخه .

و الشيخ النخلي من العلماء الشافعية المتأخرين ، ولد سنة 1044 هـ و توفي سنة 1130 هـ ، اشتغل بالحديث و الفقه و التصوف ، حتى غلب عليه التصوف و عظمت منزلته بين القوم .و من خلال قراءة كتابه يتبن مدى تأثره بكبار مشايخ التصوف و تعظيمه لأقطابهم كابن عربي و الغزالة و الشاذلي و زروق و غيرهم . يقول عن الغزالي : "الإمام حجة الإسلام ". و يقول عن ابن عربي : " سيدنا و مولانا القطب الرباني و الفرد الصمداني محيي الدين محمد بن علي بن عربي رحمه الله رحمة واسعة في الدنيا و الأخرة " .

و كان كثير القراءة لكتب القوم ، شديد الحفاوة بها ، مؤمنا بما جاء فيها من حكايات و مناقب .1

و هذه القصة نقلها أيلال من كتاب " الأضواء " للرافضي النجمي 2 . و لم يذكر مصدرها بل إكتفى بالقول : و نقلت هذه القصة في كتب أخرى على نحو آخر أن الشيخ التنوسي لما زار قبر النبي صلى الله عليه و سلم ..."

و القصة ذكرها الشيخ النخلي بسنده قال : أخبرنا شيخنا السيد السند أحمد بن عبد القادر نفعنا الله تعالى به ، قال : أخبرنا شيخنا جمال الدين القيرواني عن شيخه الشيخ يحي الحطاب المالكي المكي ، قال : أخبرنا عمر الشيخ بركات الحطاب عن والده عن جده الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحطاب شارح مختصر خليل ،قال مشينا مع شيخنا العارف بالله الشيخ عبد المعطي التونسي لزيارة النبي صلى الله عليه و سلم فلما قربنا من الروضة الشريف ترجلنا فجعل الشيخ عبد المعطي يمشي خطوات و يقف حتى وقف تجاه القبر الشريف فتكلم بكلام لم نفهمه ، فلما انصرفنا سألناه عن وقفاته ، فقال : كنت أطلب الإذن من رسول الله صلى الله عليه و سلم في القدوم عليه فإذا قال لي أقدم قدمت ساعة ثم وقفت و هكذا حتى

1 يراجع مقدمة كتابه بغية الطالبين ص 5-6
2 ص 81-80 من الأضواء

وصلت إليه فقلت يارسول الله أكلما رواه البخاري عنك صحيح . فقال : نعم ، فقلت : أرويه عنك يارسول الله ، قال : أروه عني ."[1]

و هذا السند مسلسل بالمشايخ المتصوفة ، مع ما عرف عنهم من التساهل في حكاية المنامات و الكرامات المزعومة دون تثبت أو عرضها على الشرع الحنيف .

فكيف أمكن الطعن في صحيح البخاري بناءا على حكاية مبثوثة في كتب المتصوفة المتأخرين ، في عصر الجمود و التقليد .

الطعن في حفظ البخاري

عقد ايلال فصلا بعنوان " أسطورة الحفظ الأسطوري " قال فيه :

"في نفس سباق وسياق ولحاق سيرة الإمام البخاري المحفوفة بالأساطير ، نجد أن الرواة كي يكملوا تلك الحلقات الخرافية أضافوا اليها أيضا أسطورة الحفظ ، أوالحفظ الأسطوري..."[2]

و قال : " ولك ان تتصور الكم الهائل من الأحاديث "السبعون ألفا" التي كان يحفظها البخاري بتراجمها وأسانيدها وما قيل في رجال هذه الأحاديث فردا فردا، من جرح أو تعديل، ودرجة كل حديث من حيث الصحة أوالضعف ، إلى غير ذلك مما يرتبط بها وهو ما يزال صبيا في سن اللعب ، فعلى هذا يجب أن يكون البخاري قد بدأ حفظ الاحاديث قبل أن يولد ، حتى لو لم نأخذ بعين الاعتبار سنوات تعلمه اللغة و"علومها "، والفقه و"علومه "، والحديث و "علومه"، ولم نأخذ بالاعتبار سنوات رضاعه ، ثم تعلمه الحبو فالمشي فالهرولة ، ثم سنوات تعلمه النطق فالكلام ، ثم سنوات لعبه مع الاطفال ، فبالرغم من عدم أخذنا في الاعتبار بكل هذا، فإن مسألة حفظ البخاري ستبقى خرافة كخرافات أخرى نقلت الينا بدون تمحيص من ناقليها عبر كتب التراث المليئة بهذا الخبل "التاريخي" والذي يرمي بالأساس

[1] بغية الطالبين ص 13-14 ط 1 حيدر اباد
[2] ص 99

إلى خلق شخصية أسطورية عصية على النقد ، أو الطعن ، لهذا نسب إليها ما لايقبله عقل ولامنطق.."[1]

و قال : " قصص قوة الحفظ عند البخاري تناسلت كتناسل الفطر بشكل غريب لم يكلف المحدثين على غير عادتهم ، تمحيصها والنظر في أسانيدها لأن أنفسهم وقلوبهم تميل إلى جعل البخاري أسطورة حقيقية.."[2]

أولا : يؤكد أيلال على منهجه في التصحيح و التضعيف ، أنه قائم على التحسين و التقبيح العقليين ، فما قبله عقله فهو الصحيح و ما استنكره فهو الخرافة و الأسطورة . و قد طبق منهجه الحداثي -هدا- على أخبار المتواترة في حفظ البخاري و نبوغه ، فردها بأكملها بدعوى خالفتها للعقل و المنطق ، و الادعاء أن المحدثين لم يكلفوا أنفسهم عناء تمحيصها و النظر فيها .

ثانيا : تغافله عن إشتهار العرب بقوة الذاكرة و سعة الحفظ ، و قياسه لأحوال البخاري على ما عهده من همته القاصرة الفاترة .

قال الحاحظ في البيان و التبيين ص 366ج3 : " العرب أوعى لما تسمع ، و أحفظ لما تأتي " . و قال السخاوي في الجواهر و الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر 85/1: كان العرب مخصوصين بالحفظ ، مطبوعين عليه ، بحيث كان بعضهم يحفظ أشعار بعض في سمعة واحدة "

و قال جورجي زيدان في تاري التمدن الإسلامي 123/3 ، اشتهار كثير من الأدباء و رواة الشعر بالحفظ القوي : " تفرد جماعة بجمع كل أنواع الشعر ، و كانت لهم في الحفظ نوادر غريبة ، لتعود ذاكرتهم على ذلك مذ أخذ الناس في ذلك العصر بتعويد حوافظهم على حفظ

[1] ص 100
[2] ص 102

القرآن و الحديث ، لتجنب الكتابة . فكان فيهم من يحف بضعة و عشرين ألف قصيدة ، يرويها بأسانيدها و معاني ألفاظها "

و في عصرنا هذا أدرك الناس كثيرا من المشايخ ممن يحفظون في صدورهم علوما كثيرة ، و لو إطلع الكاتب على شيوخ و طلبة بلاد شنقيط لأصابه العجب . و قد انتشرت في وسائل التواصل االإجتماعي مقاطع لطلبة علم صغار و كبار ممن يحفظون القرآن الكريم حفظا تاما بالصفحات و رقم الأيات ، و منهم من يحفظ الكتب الستة و العديد من الأجزاء الحديثية حفظا عن ظهر قلب . فهل سيقول فيهم الكاتب أنهم خرافيون و أسطوريون .

و في مثل أيلال و أضرابه يقول العلامة الرافعي : " ولقد رأينا كثيرًا من أهل عصرنا يمضغون علماء العرب مضغًا، ويلوون ألسنتهم بعبارات من الإزراء على ما وردت به الرواية من أنباء حفظهم، لا يعجبون في أنفسهم من أن يكون ذلك صدقًا فحسب، ولكنهم يعجبونك من كذبه، وينبهونك على سخافة المغالاة فيه بزعمهم؛ لما يشق عليهم من النزوع إلى مثله والأخذ في ناحيته، ولقصر نظرهم عن الطموح إلى بعض مراتبه! فيأتونك بالكلام اعتسافًا، ويتخرصون بالأحكام جزافًا، ويزعمون أن أكثر ما روي عن علمائنا من الحفظ فهو إما تنفيق لهم في سوق التاريخ, أو تلفيق عليهم في مساقه؛ ولو أنك اعترضت الحجة في مدارج أنفاسهم لرأيتها هواء، أو كلامًا هراء: فهم يقيسون على ما في طباعهم من الكلال، وما في أنفسهم من الهَوْينا والوكال؛ ثم هم قوم لا يكشفون عن أسباب الحوادث العربية، ولا ينفذون بين معاقد تلك الأمور ومصادرها؛ وقد جهلوا تاريخ الرواية، وجهلوا معه الأسباب التي بعثت من تلك الهمم سوابق غاياتها، وأظهرت لها معجزات الحفظ خوارق آياتها، ورفعت للأجيار على قمة التاريخ العقلي خوافق راياتها؛ فهؤلاء لا نزيد على أن نقول فيهم: هؤلاء.

وليس تاريخ العرب وحدهم هو الذي امتاز بنوابغ الحفاظ، بل الحفظ موجود من أقدم أزمنة التاريخ؛ لأن الحافظة كانت وحدها عند القدماء كتاب التاريخ والتقاليد والشرائع والآداب وما إليها؛ فكانت هي صورة الفكر الإنساني على الحقيقة ... بيد أن تاريخ العرب إنما امتاز بسعة مادة المحفوظ وتنوعها، وبالأسباب الدينية التي بعثتهم على الحفظ، مما أومأنا إليه في

محله؛ ومن القواعد المطردة التي تبنيناها من البحث في التاريخ العربي، أن كل شيء للعرب إذا تعلق به سبب من الدين جاءوا فيه بالمعجزات التي يبزون فيها الأمم كافة ويجعلونها من أنفسهم طبقة التاريخ وحدها، ولم نر هذه القاعدة تخلفت في أمر من أمورهم؛ وهي بعض ما خص به هذا الدين الحنيف الذي وجد العالم في كتابه الكريم معجزته الخالدة.

وبعد: فإن الحافظة نفسها تتفاوت درجاتها في الناس؛ وتتفاوت في أدوار الحياة للشخص الواحد باعتبار الأسباب الوراثية والآفات والعلل وما يكون من الإهمال والاستعمال، كما تختلف قوة وضعفًا في بعض أنواع المحفوظات دون بعضها، على حسب ما ركب في الفطرة وما تمس إليه الحاجة؛ فليس ما يحفظه الرياضي، بالذي يستطيعه المحدث أو اللغوي، ولا حفظ هذين كحفظ غيرهم من أهل الطبقات الأخرى، وهلم جرا. وإن نوادر الحفظ التي تُروى عن العرب إنما جاءت عن أفراد رزقوا سمو هذه القوة الطبيعية، وتفرغوا لها برهة العمر مما يشغل الذرع، ويملك الطاقة، ويقسم القلب، ويشعث الفكر؛ فلم يكن من العجيب أن يحفظوا ما حفظوه، ولكن العجيب أن لا يكونوا قد حفظوا أكثر من ذلك؛ فأولئك قوم هيأهم الله لما برعوا فيه بالأسباب الآخذة إليه، والعلل المقصورة عليه؛ فاجتمعت له أنفسهم، وتوفرت قواهم، وفرغت أذهانهم؛ حتى لم يكن من هم أحدهم إلا أن يرى نفسه شخصًا للعلم الذي هو بسبيله، فيقال فلان صاحب الفن والفن هو فلان."[1]

ثالثا : تغافل الكاتب عن الأخبار الثابتة في تميز الكثير من أعلام الأمة و اشتهارهم بالحفظ . ومن اشتهر بالحفظ وقوة الذاكرة منهم:

1- ذَكَر صاحب كتاب "المنهل الصافي" (209/1) عن أحمدَ بن إبراهيم بن جعفر القِمني، الفقيه المفْتي الضرير.

[1] 196/1-197 تاريخ آداب العرب ط دار الكتاب العربي

وكان في الحفظ آيةً، يحفظ السطورَ الكثيرة والأبيات مِن سماعها مرَّةً واحدة، وكان يقعُد يوم الجمعة تحتَ الخطيب، فيحفظ الخُطبة، إلا أنَّه كان لا يثبُت حفظُه الذي مِن مرَّة واحدة، وكان فيه صلاحٌ وديانة، وله أدبٌ ونظْم. اهـ.

2- وقال صاحب "سير أعلام النبلاء" (539/15)، وياقوت في "معجم الأدباء" (129/1): إنَّ أبا القاسم إبراهيم بن عثمان بن الوزان، وكان يحفَظ كتابَ "العين" للخليل بن أحمد، وغريب المصنَّف لأبي عُبيد، وإصلاح المنطق لابن السِّكِّيت، وغيرها مِن كتب اللُّغة، وحَفِظ قبلَ ذلك كتاب سيبويه، ثم كُتب الفرَّاء. اهـ.

3- وذَكَر الذهبي في "تاريخ الإسلام"، والصفدي في "الوافي بالوفيات": قال الصولي: حدَّثَني الحسينُ بن علي الباقطائي قال: قال لنا أحمد بن إسرائيل: كنتُ في الديوان "أيَّام محمَّد الأمين"، فما كان أحدٌ مِن أهل الديوان أصغرَ مني، ولقد كنتُ أنسخ الكُتب، فلا أفرغه حتى أحفظَ ما فيه حرفًا حرفًا، وكنت ربما امتُحنتُ إذا فرغتُ من الكتاب بأن يُؤخَذ مِن يدي فيُقال: هاتِ ما فيه، وأسرده مِن أوَّله إلى آخرِه، فلا أسقط ممَّا فيه حرفًا واحدًا، فعلتُ هذا مرَّات كثيرة لا أُحصيها.

4- ونقل ابنُ الجَوْزي في "المنتظم" (163/14) قال: حدَّثَني أبو الحسن محمَّد بن يحيى العلوي، قال: كان المتنَبِّي وهو صبيٌّ ينزل في جوار بالكوفة، وكان أبوه يُعرَف بعبدان السقَّاء، يَسْتَقي لنا ولأهل المحلَّة، ونشأ هو محبًّا للعلم والأدب، وصَحِب الأعراب، فجاءَنا بعدَ سنين بدويًّا قُحًّا، وكان تعلَّمَ الكتابة والقراءة، وأكثر مِن ملازمة الورَّاقين.فأخْبَرني ورَّاقٌ كان يجلس إليه، قال لي: ما رأيتُ أحفظَ مِن هذا الفتى ابن عبدان، قلت له: كيف؟ قال: كان اليوم عندي وقدْ أحضر رجلٌ كتابًا مِن كتب الأصمعي نحو ثلاثين ورَقَة ليبيعَه، فأخَذَ ينظر فيه طويلاً، فقال له الرجل: يا هذا أريد بيعَه وقد قطعتَني عن ذلك، وإنْ كنت تريد حفظَه فهذا - إنْ شاء الله - سيكون بعدَ شهر، فقال له: فإنْ كنتُ قد حفظتُه في هذه المدة فمالي عليك، قال: أَهَبُ لك الكتاب، قال: فأخذتُ الدفتر مِن يدِه، فأقبل يتلو عليَّ إلى آخرِه، ثم

استلَمَه فجعَله في كمِّه، فقام صاحبُه وتعلَّق به وطالبَه بالثمن، فقال: ما إلى ذلك سبيلٌ قد وهبتَه لي فمنعْناه منه، وقلنا له: أنتَ شرطتَ على نفسِك هذا للغلام فترَكَه عليه.

5- نقل الصفدي في "الوافي بالوفيات" قال: قال ياقوت عن بديع الزمان الهمذاني: لم يستقصِ أحدٌ خبرَه أحسن مما اقتصَّه الثعالبيُّ، وكان قد لَقِيَه وكتب عنه قال: بديع الزمان مُعجزةُ همذان، ونادرة الفلك ولم نرَ نظيرَه في الذكاء وسُرعة الخاطر، وكان صاحبَ عجائب وبدائع، فمنها أنَّه كان يُنشَد الشعر لم يسمعْه قطُّ وهو أكثر مِن خمسين بيتًا مرَّةً واحدة، فيَحفظها كلَّها ويُؤدِّيها من أوَّلها إلى آخرِها لا يخرم حرفًا، وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق مِن كتاب لم يعرفْه ولا رآه نظرةً واحدةً خفيفة ثم يَهذُّها عن ظهْر قلبه هذًّا، ويُردُّها سردًا، وهذه حاله في الكُتب الواردة وغيرها. اهـ.

6- قال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (11/ 187).قال ابنُ أبي حاتم: قال سعيد بن عمرو: يا أبا زُرعة، أأنت أحفظ، أم أحمد بن حنبل؟ قال: بل أحمد.

قلت: كيف علمتَ؟ قال: وجدتُ كتبَه ليس في أوائلِ الأجزاء أسماء الذين حدَّثوه، فكان يحفَظ كلَّ جزء ممَّن سَمِعَه، وأنا لا أقْدِر على هذا. اهـ.

وحدَّثَنا عبدُالله بن أحمد، قال لي أبي: خُذْ أيَّ كتاب شِئت من كتب وكيع مِن المصنَّف، فإنْ شئتَ أن تسألني عن الكلامِ حتى أُخبرَك بالإسناد، وإنْ شئتَ بالإسناد حتى أخبرَك أنا بالكلام. اهـ.

7- وعن ابن المقَّري في "نفح الطِّيب" 2(/602): عن أبي عمر ابن عات، وهو أحمد بن هارون بن عات النَّفْزي، حُكِي أنَّه حضَر في جماعةٍ مِن طلبة العِلم لسماع السِّير على بعضِ شيوخهم، فغاب الكتابُ أو القارئ بكِتابه، فقال أبو عمر: أنا أقرأُ لكم، فقرأ لهم مِن حِفْظه، وقال أبو عمر عامر بن نذير: لازمتُه مُدَّة سِتَّة أشهر، فلم أرَ أحفظَ منه، وحضرت إسماع الموطأ وصحيح البخاري منه، فكان يقرأ من كلِّ واحد مِن الكتابَيْن نحوَ عشر أوراق عرضًا بلَفْظه كلَّ يوم عقِب صلاة الصُّبح، لا يتوقَّف في شيءٍ مِن ذلك. اهـ.

8- قال القاضي عِياض في "ترتيب المدارك" (459/1) قال أحمد بن سعيد الهمداني: قرأ علينا إسحاقُ بنُ الفُرات موطأ مالك من حِفْظه، فما أسقطَ حرفًا - فيما أعلم.

9- قال الإمامُ الذهبيُّ في "سير أعلام النبلاء" (247/7): عن ابن حميد قال: سمعتُ مِهرانَ الرازيَّ يقول: كتبتُ عن سفيانَ الثوريِّ أصنافَه، فضاع مني كتاب الديات، فذكرتُ ذلك له، فقال: إذا وجدتُني خاليًا فاذكُرْ لي حتى أُمليَه عليك، فحَجَّ، فلمَّا دخَل مكَّة، طاف بالبيت، وسعَى، ثم اضطجع فذكَّرتُه، فجَعَل يُملي عليَّ الكتاب، بابًا في إثر باب، حتى أملاه جميعَه من حِفظه، وقال عبدالرزَّاق وغيره، عن سفيان، قال: ما استودعتُ قلْبي شيئًا قط فخانني.

10- قال الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (144/18) عن ابن سِيدَه إمام اللُّغة، أبي الحسن، علي بن إسماعيل المرسي، الضرير، صاحِب كتاب "المحْكَم والمحيط الأعظم" في لسان العرَب، وأحد مَن يُضرَب بذكائِه المثَل.

قال أبو عمر الطَّلَمَنْكي: دخلتُ مرسية، فتشبَّث بي أهلُها ليسمعوا عليَّ "غريب المصنَّف"، فقلت: انظروا مَن يقرأ لكم، وأُمسِك أنا كتابي، فأتوني بإنسان أعْمَى يُعرَف بابن سيده، فقرأه عليَّ مِن أوَّله إلى آخره، فتعجبتُ مِن حفظه.

11- نقَل الصفديُّ في "الوافي بالوفيات": أنَّ عليَّ بن عباد أبا الحسن الأصبهاني، كان أديبًا فاضلاً شاعرًا، قال القاضي يحيى بن القاسم التِّكْرِيتي: كان يَحْفظ كثيرًا مِن الأراجيز والأشعار، حكَى لنا أنَّه يحفظ جميعَ أراجيز العجاج وولده رُؤبة، وجميع أراجيز أبي النَّجْم العِجلي، وكنَّا نمتحنه ونطلب منه أن يُنشِدنا أراجيزَ على حروف المعجَم، وكان ينشدنا على أيِّ حرْف طلبْنا منه، وكان يَدخُل على الوزير أبي المظفَّر ابن هُبَيرة فيحترمه ويرفع مجلسَه، ويقول له إذا دخَل: جاء رؤبة والعجاج، وكان يقول: أنا قادرٌ على أن أُصنِّف غريبَ القرآن وأستشهد على كلِّ كلمة فيه مِن الأراجيز.

12- ونقَل الذهبي في "تذكرة الحفَّاظ" (745/2) عن قرطمة الحافظ الباهِر أبي عبدالله محمَّد بن علي البغدادي، وكان آية في الحِفظ والرِّواية قال ابن عقدة: سمعت داودَ بن يحيى

يقول: الناس يقولون: أبو زرعة أبو حاتم في الحِفْظ، واللهِ ما رأيتُ أحفظَ مِن قرطمة؛ دخلتُ عليه فقال لي: ترى هذه الكتب خُذْ أيها شئتَ حتى أقرأ، قلت: كتاب الأشربة، فجَعَل يسرُد مِن آخرِ الباب إلى أوَّله حتى قرأَه كلَّه.

13- ذَكَر الخطيبُ البغداديُّ في "تاريخ بغداد" (475/13) عن يحيى بن مَعين قال:
سمعتُ وكيعَ بن الجرَّاح يقول: ما كتبتُ عن سفيانَ الثوريِّ حديثًا قطُّ كنتُ أحفظه، فإذا رجعتُ إلى المنزل كتبتُه.

14- وهذا يحيى بن سعيد القَطَّان الإمام الكبير، أمير المؤمنين في الحديث، أبو سعيد الحافظ.

قال الذهبي في "السير" (177/9): قال العباس بن عبدالعظيم: سمعتُ ابن مهديٍّ يقول: لما قَدِم الثوريُّ البصرة، قال: يا عبدالرحمن، جِئني بإنسان أُذاكره، فأتيته بيحيى بنِ سعيد القطان، فذاكَرَه، فلمَّا خرَج، قال: قلتُ لك: جِئني بإنسان، جِئتَني بشيطان - يعني: اندهَش سفيانُ مِن حِفْظه.

15- قال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (144/18): عن مَعْمَر بن راشد الإمام الحافِظ، شيخ الإسلام.

وقال محمَّد بن كثير، عن معمر، قال: سمعتُ مِن قتادة وأنا ابنُ أربعَ عشرةَ سَنَة، فما شيء سمعتُ في تلك السنين إلا وكأنَّه مكتوب في صَدْري.

قصة امتحان أهل بغداد للبخاري

من عجيب تناقضاته الطعن في علم حديث و ما تفرع عنه من علوم كعلم الجرح و التعديل ، بحيث يزيل عنه طابع العلمية ، و يسفه بانه مبني على القيل و القال و مبني على أهواء الرواة ..ثم لما أراد تكذيب قصة امتحان علماء بغداد للبخاري ، هرول صوب علم الحديث مستنجدا ببحث منشور في موقع الألوكة ، تحجر فيه صاحبه فطبق – بزعمه – منهج نقد الحديث على هذه الحكاية التاريخية .

و قد بينا سابقا خطأ هذا المنهج المستحدث من قبل بعض الباحثين ، و أنه مخالف لمنهج العلماء المحققين قديما و حديثا ، لما فيه من الجناية الكبرى على التاريخ الإسلامي و سير العلماء و الأعلام ، لأنه لو طبق منهج النقد الحديثي بشروطه لما بقي لدينا تاريخ أو سيرة نبوية أو ترجمة لأحد ، أو علم منسوب لأحد .

ثم إن هذه القصة المشهورة في كتب التاريخ و الترجم و تقبلها الأوائل ، إذا ما قورنت بعدد من الوقائع الأخرى الصحيحة مثل إشتهار أهل بغداد بإمتحان الحفاظ و تكرر ذلك ، يعزز من ثبوتها و صحتها .

البخاري سيء الحفظ

قال أيلال : [1]"إن شيوخنا و فقهاءنا مع كامل الأسف يعتبرون البخاري أقوى من رسولنا في الحفظ بأشواط ، فحتى قول الله سبحانه و تعالى في حق بيه في سورة القيامة { لا تحرك لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه و قرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه }. فالله يوضح لنبيه بأن لايحمل هما في حفظ كتابه المنزل عليه ، و أن لا يحرك لسانه ليعجل به ، لأنه الله تكفل بجمعه في صدر نبيه ، لكن صحيح البخاري ينسب لرسول الله نسيان كلامه ، وكأن الله أخلف للنبي وعده إياه – تعالى الله – لكن الشيوخ يعتقدون جازمين أن البخاري كان لا ينسى بل كان حفظه أسطوريا خرافيا ، بينما رسولنا الأعظم كان ينسى ، بل وصل به النسيان أن نسمي من القرآن آيات ، على عكس وعد الله له وإخباره إياه وعلى عكس أسطورة الحفظ الأسطوري للبخاري ! !

وما أستغرب له أيضا هو أن نفس الرواة رووا أن البخاري كان سيء الحفظ وكان يكتب كل ما يسمع وكان ينسى أسماء قريباته إلى غير ذلك ، فانظروا ما ورد في كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي : (وقال محمد: سمعت النجم بن الفضيل يقول: رأيت النبي –صلى الله عليه

---

[1] ص 107

وسلم- في النوم، كأنه يمشي، ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه، فكلما رفع النبي -صلى الله عليه وسلم- قدمه، وضع محمد بن إسماعيل قدمه في المكان الذي رفع النبي -صلى الله عليه وسلم- قدمه.

وقال: سمعت أبا عبد الله يقول: كان شيخ يمر بنا في مجلس الداخلي، فأخبره بالأحاديث الصحيحة مما يعرض علي، وأخبره بقولهم، فإذا هو يقول لي يوما، يا أبا عبد الله، رئيسنا في أبو جاد، وقال: بلغني أن أبا عبد الله شرب دواء الحفظ يقال له: بلاذر، فقلت له يوما خلوة: هل من دواء يشربه الرجل، فينتفع به للحفظ؟ فقال: لا أعلم، ثم أقبل علي، وقال: لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل، ومداومة النظر.

قال: وذاك أني كنت بنيسابور مقيما، فكان ترد إلي من بخارى كتب، وكن قرابات لي يقرئن سلامهن في الكتب، فكنت أكتب كتابا إلى بخارى، وأردت أن أقرئهن سلامي، فذهب علي أساميهن حين كتبت كتابي, لم أقرئهن سلامي، وما أقل ما يذهب عني من العلم. وقال: سمعته يقول: لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء. كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمله الحديث، إن كان الرجل فهما. فإن لم يكن سألته أن يخرج إلي أصله ونسخته. فأما الآخرون لا يبالون ما يكتبون، وكيف يكتبون.

وقال: سمعت العباس الدوري يقول: ما رأيت أحدا يحسن طلب الحديث مثل محمد بن إسماعيل، كان لا يدع أصلا ولا فرعا إلا قلعه. ثم قال لنا: لا تدعوا من كلامه شيئا إلا كتبتموه."

سير اعلام النبلاء - الذهبي –ج 21ص 406

و على هذا الكلام جملة من المآخذ منها :

- الإختلاق و الكذب على علماء الأمة :

من قال من العلماء أن البخاري لا ينسى و أن الرسول ينسى ؟

من قال منهم أن حفظ البخاري يفوق حفظ الرسول بأشواط ؟

كيف أجاز لنفسه عقد مقارنة بين الرسول و بين البخاري ؟

من إستنتج من العلماء من القصة أعلاه أن البخاري سيء الحفظ ؟

- توثيق النص

هذه القصة ذكرها الذهبي في ترجمة البخاري ، ضمن الطبقة الرابعة عشر من طبقات كتابه ، و التي إبتدأها بترجمة الإمام الذهلي المزداد سنة بضع و سبعين و مائة ، و سرد فيها تراجم طبقة البخاري و هم علماء القرن الثالث الهجري .[1] أما الجزء الواحد و العشرون فخصصه لطبقات 30و 31 و 32 و إبتدأه بترجمة الإمام أبي طاهر السلفي المولود سنة 475 هـ .

- الجهل بمدلول مصطلح " سيء الحفظ "

قال الحافظ في نزهة الفكر (ص/233): (ثم سوء الحفظ: وهو السبب العاشر من أسباب الطعن، والمراد به: من لم يَرْجُح جانب إصابته على جانب خطئه ، وهو على قسمين: إن كان لازما للراوي في جميع حالاته فهو الشاذ، على رأي بعض أهل الحديث .
أو إن كان سوء الحفظ طارئا على الراوي؛ إما لكبره، أو لذهاب بصره، أو لاحتراق كتبه أو عدمها بأن كان يعتمدها فرجع إلى حفظه فساء فهذا هو المختلِط . والحكم فيه أنما حدث به قبل الاختلاط إذا تميز قبل، وإذا لم يتميز توقف فيه، وكذا من اشتبه الأمر فيه، وإنما يعرف ذلك باعتبار الآخذين عنه).

قال الصنعاني في توضيح الأفكار (1/ 12): (ويدل لذلك أن المحدثين جعلوا من القوادح في الراوي فحش غلطه، أي كثرته، وسوء حفظه، وهو عبارة عمن يكون غلطة أكثر من إصابته، هكذا ذكره الحافظ في النخبة وشرحها فالذي ذكر المحدثون أربع صور: تام الضبط، خفيفه، كثير الغلط، من غلطة أكثر من حفظه، فالأوليان مقبول من اتصف بهما، والأخريان مردود من اتصف بهما).
قال الحافظ في "هدي الساري": (وأما الغلط فتارة يكثر من الراوي. وتارة يقل، وحيث يوصف بقلة الغلط كما يقال: سيء الحفظ، أو له أوهام، أو له مناكير ..)

[1] سير اعلام النبلاء طبعة مؤسسة الرسالة ج 12ص 406 سنة 1985

وفرق أيضا بينهما في هدي الساري بأن نفى وجود حديث كثير الغلط في البخاري، وجوز وجود حديث قليل الغلط في المتابعات، فقال: (وأما الغلط فتارة يكثر من الراوي وتارة يقل فحيث يوصف بكونه كثير الغلط ينظر فيما أخرج له إن وجد مرويا عنده أو عند غيره من رواية غير هذا الموصوف بالغلط علم أن المعتمد أصل الحديث لا خصوص هذه الطريق وأن لم يوجد إلا من طريقه فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هذا سبيله وليس في الصحيح بحمد الله من ذلك شيء وحيث يوصف بقلة الغلط كما يقال سيء الحفظ أوله أو أوهام أوله مناكير وغير ذلك من العبارات فالحكم فيه كالحكم في الذي قبله إلا أن الرواية عن هؤلاء في المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك).

فهل يصح عقلا أن يقال أن البخاري ممن كثر غلطه و سيء حفظه ، و الكل مجمع على قوة حفظه و ضبطه . ثم أليس جائزا عقلا أن يخطئ الحافظ في بعض الحديث ، و من قال من العلماء أنه يستحيل أن لا يخطأ الحافظ مهما كان ثبتا حافظا ، فهل يقال :إذا صدر منه خطأ ،أو أخطاء يسيرة – بجانب سعة حفظه- ،أنه سيء الحفظ . هذا مالم يقله أحد من المحدّثين النقّاد .

- ما يستفاد من القصة :

✓ ان نسيان أسماء قرابة البخاري أمر لا تعلق له برواية الحديث و ضبط أسماء الرواة ، بحيث عندما يتعلق الأمر بالرواية فإن الإمام لا يتساهل في منهجه ، قال رحمه الله : " كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمله الحديث، إن كان الرجل فهما. فإن لم يكن سألته أن يخرج إلي أصله ونسخته. فأما الآخرون لا يبالون ما يكتبون، وكيف يكتبون."

✓ أن ذهاب أسماء قرابته عن ذهنه كان حدثا منعزلا ، و إن هذا النسيان وقع حال كتابته للرسالة بدليل قوله : " فذهب علي أساميهن حين كتبت كتابي، " و يرجح أن واقعة النسيان هاته وقعت له مرة واحدة بدليل أنه رحمه الله لم يذكر تكررها مرة أخرى .

✓ بين رحمه الله أن السبيل الوحيد لتحصيل الحفظ و رسوخه هو إدامة النظر في الكتب و ترويض الذاكرة على الحفظ و نهمة الرجل و استعداده .

التكذيب بالمدة التي استغرقها البخاري في تأليف صحيحه

قال أيلال : " سنلاحظ أن صحيح البخاري بدأت عملية نسج الاساطير حوله منذ بداية تأليفه وحيثيات تأليفه حسب كتب التراث، حيث جاء على لسان البخاري ما نصه "صنفت كتابي الصحيح في ست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث" . كتابي تاريخ مدينة دمشق لابن هبة الله 52/ 72، والجامع لأخلاق الراوي 2/ 185

إذن فصحيح البخاري استغرق تأليفه ست عشرة سنة ، وكأن صحيح البخاري هذا بحث في علم البيولوجيا ، أو في علم الانثربولوجيا، أو غيره من العلوم التي جاءت بنظريات قلبت مفهوم الكون ، وأفادت البشرية بطريقة أنقذتها من الضلال إلى الهداية، وكل دارس للكتاب سيعلم بطريقة سهلة أنه من الغريب أن يقال عنه بأن البخاري استغرق16 سنة في تأليفه ، وأنه قد انتخبه من ستمائة ألف حديث، وسنناقش كل هذا في فصل سقوط الاسطورة ، لنقف على حقيقة الخرافات والأساطير التي حفت تأليف صحيح البخاري. في مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني "قال أبو الهيثم الكشميهني سمعت الفربري يقول سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول :"ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين" وعن البخاري قال:" صنفت الجامع من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله "وقال أبو سعيد الإدريسي أخبرنا سليمان بن داود الهروي سمعت عبد الله بن محمد بن هاشم يقول: قال عمر بن محمد بن بجير البجيري سمعت محمد بن إسماعيل يقول :"صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته" قلت: الجمع بين هذا وبين ما تقدم أنه كان يصنفه في البلاد، أنه ابتدأ تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده، وغيرها ويدل عليه قوله إنه أقام فيه ست عشرة سنة فإنه

لم يجاور بمكة هذه المدة كلها وقد روى بن عدي عن جماعة من المشايخ أن البخاري حول تراجم جامعه بين قبر النبي صلى الله عليه و سلم ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين قلت ولا ينافي هذا أيضا ما تقدم لأنه يحمل على أنه في الأول كتبه في المسودة وهنا حوله من المسودة إلى المبيضة " "هدي الساري ص 489".

.. وأن تأليف صحيح البخاري أيضا بدأ أو تم في المسجد الحرام على ما هنالك من تناقضات في هذا الشأن وتضارب ، رغم محاولة ابن حجر العسقلاني تبريرها تبريرا تعسفيا ، فالرواية التي تقول أنه استغرق في تأليف الصحيح وجمعه ست عشرة سنة تتناقض شكلا ومضمونا مع الرواية التي تؤكد أنه ألفه وهو مجاور لمكة، حيث لم يثبت تاريخيا عنه أنه مكث كل هذه المدة بمكة، لكن مقدسي الأساطير يجدون حلولا عجائبية لمثل هذه التناقضات، في حين أنهم يرفضون أقل منها إن وجدت عند غيرهم من المذاهب والعقائد ! " [1]
و اعتبر أن " عمره أقل بالنسبة للزمن و أرقام الحديث " و استنكر بعد أن أورد روايات حول حفظ البخاري و كثرة شيوخه ، أن يكون قد حفظ كل هذه الأحاديث في زمن قليل و بوسائل بدائية للسفر ، في حين بلغت مروياته –حسب تقديره الخيالي – عشرة ملايين حديث .يقول : " وبالنظر إلى هاته الخريطة يتضح جليا أن رحلة البخاري في جمع الحديث والتي استمرت لسنوات طوال ، حيث كانت وسائل التنقل هي الحمير والبغال والخيل والجمال، والسفن في البحر ، والقوارب في الأنهار، أي أن تحركه كان بطيئا جدا بشكل لايمكن مقارنته مع وسائل التنقل في عصرنا ، "يتضح جليا" أن كل هذا كذب وهراء."

أولا: يرى الكاتب أن مدة تأليف الجامع الصحيح التي تصل إلى ست عشرة سنة غير معقولة وأنها تنافي أن البخاري ألف كتابه في مكة في المسجد الحرام أو بين القبر والمنبر في المدينة المنورة.. قلت: وفي هذا ردٌّ على الكاتب وإبطال لدعواه أن الجامع الصحيح أسطورة، إذ لو كان كذلك لادَّعى البخاري أنه ألف كتابه في شهر أو أكثر، ولما كان زمن التأليف متباعدا وطويلا – فُهم منه أن الرجل كان ينظر فيما كتب وجمع وبوَّب نظرات تنقيح وتصحيح

[1] ص 108-109

وزيادة ونقصان...وليس يمنع أن يكون ابتدأ تأليف كتابه في مكة وكتب منه أشياء في المدينة وخلال رحلته في الأمصار، وهو أمر يفعله آحاد الكُتاب فينا إلى عصرنا هذا، فرُبَّ كتاب كان موضوعه وليد بلد، قد شُرِع في تأليفه في بلد، وانتُهي منه في بلد ثالث في مدة تزيد عن عشر سنين...فماذا في ذلك؟؟ وطول المدة في التأليف دليل على عدم العجلة فيه وقِصر المدة مظنة للعجلة مجلبة للوقوع في الخطأ والخطل...أفصارَ موجبُ المدح عند الكاتب قدحا والقادح في الأمر مدحا؟؟ وإذن انقلبت الموازين واختلط الحابل بالنابل؟؟؟[1]

ثانيا : أن الكاتب يتجاهل مقصود العلماء من تلك الأعداد الكبيرة للأحاديث، وما هو مرادهم من (الحديث) في ذلك السياق.. حيث إنهم يقصدون بذلك (أوّلاً): أحاديث النبي —صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين، ولذلك لما قال الإمام أحمد "صحّ من الحديث سبعمائة ألف، وكسر" فسّره البيهقي بقوله: "أراد ما صحّ من: الأحاديث، وأقاويل الصحابة وفتاوى من أخذ عنهم من التابعين". تهذيب الكمال للمزّي 19/96-97)، وانظر بمعناه في البحر الذي زخر للسيوطي (743/2).

ويقصدون ثانياً: الأسانيد المكرّرة والطرق المتعدّدة للحديث الواحد، فيعدّون كل إسنادٍ حديثاً، فتتعدّد الأحاديث (بمعنى الأسانيد) للمتن الواحد. وهذا ما فسّر به جماعةٌ من العلماء كلام البخاري وغيره؛ لأن هذا هو اصطلاحهم بالحديث. فانظر علوم الحديث لابن الصلاح (20-21)، والنكت للزركشي (181/1-182)، والنكت لابن حجر (297/1)، والبحر الذي زخر للسيوطي (743/2-748).

ومن ثَمَّ يكون العَدَدُ الذي هول به أيلال ليس المقصود به متون الأحاديث، حتى يتصّور ذلك التصوّر الذي جعله يستكثر تمكّن البخاري من نقدها؛ لأنّ ذلك العدد أكثره ممّا يُروى عن غير النبيّ —صلى الله عليه وسلم-، فهو لا يدخل في شرط البخاري في صحيحه، الذي اشترط أن يذكر فيه ما صحّ عن النبيّ —صلى الله عليه وسلم- دون غيره.

[1] العركة تحت راية البخاري 21

ثم إن هذا العدد سيتضاءل جدًّا أيضًا، إذا فهمناه كما كان المحدّثون يستعملونه، وهو أنهم أرادوا به الأسانيد، لا المتون. وإذا كان حديث "إنما الأعمال بالنيات..." قد رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري أكثر من ثلاثمائة راوٍ (كما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح البارى 11/1)، فكم رواه عن كل واحدٍ من هؤلاء الثلاثمائة؟! فهذه مئات الأحاديث لمتن واحد. والبخاري ليس مضطرًّا للنظر في كل تلك الأسانيد للحكم على الحديث بالصحّة، بل يكفيه منها ما يدلّ على عدم الوقوع في الكذب والخطأ، ليحكم بناءً على أدلّة موافقة ذلك الحديث للواقع أنه حديثٌ صحيح.

وقد أجاب الحافظ ابن حجر (ت851هـ=1447م) عن مسألة أخرى، فجاء جوابه كأنه جوابٌ على السائل، فقال في كتابه النكت على كتاب ابن الصلاح (297/1-298): "قد يطلقون هذه العبارة على الموقوفات والمقطوعات، والمكرّرات... ويزيد ذلك وضوحاً: أن الحافظ الجوزقي ذكر أنه استخرج على جميع ما في الصحيحين حديثًا حديثًا، فكان مجموع ذلك خمسة وعشرين ألف طريق وأربعمائة وثمانين طريقاً. فإذا كان الشيخان مع ضيق شرطهما بلغ جملةُ كتابيهما بالمكرّر هذا القدر، فما لم يخرجاه من الطرق للمتون التي أخرجاها لعله يبلغ هذا القدر أيضًا [أي يبلغ العددان خمسين ألفاً]. وما لم يخرجاه من المتون من الصحيح الذي لم يبلغ شرطهما لعله يبلغ هذا القدر أيضًا أو يقرب منه [أي تبلغ الأعداد الثلاثة 50 ألفًا + 50 ألفًا = مائة ألف]. فإذا انضاف إلى ذلك ما جاء من الصحابة والتابعين، تمّت العدّة التي ذكر البخاري أنه يحفظها". يعني: من الحديث الصحيح، وأمّا غير الصحيح، فإنه إذا بلغ الصحيح أكثر من مائة ألف إسناد، فالضعيف سيبلغ أضعاف هذا العدد.

وهذا الخطأ في فهم الكاتب لاصطلاحات العلماء بالحديث، وهو إصلاح من أوائل إصلاحات علوم الحديث، يدلُّهُ هو نفسه على أنه بعيدٌ كل البعد عن أن يكون له الحق في الخوض في علم لا يعرف عنه إلا تلك المعلومات السطحيّة.

والجواب الثاني: أن الكاتب لا يعرف منهج المحدّثين في التصحيح والتضعيف، وتمييز المقبول من غير المقبول، ولذلك كان تصوُّره خاطئاً.. فمِمّا ينبغي له علمه: أن المحدّثين ونقَّاد الحديث (كالبخاري) كانوا يسيرون في نقدهم للحديث الواحد ضمن خطوات دقيقة جدًّا، منها أنهم يحرصون كل الحرص على مشاورة أهل العلم سواهم، وسماع آرائهم حول ذلك الحديث، ومناقشتهم حول تلك الآراء. فليس (صحيح البخاري) جهدًا لشخص واحد دون أي إعانة من علماء عصره من شيوخه وأقرانه، بل يكاد يكون جهدًا جماعيًّا.

وقد نصَّ أحد قدماء المحدّثين على هذا المنهج الذي كان يتّبعه المحدثون لنقْدِ السنة، فقد قال أبو عبد الله الحاكم (ت 405هـ =1014م) في أثناء كلامه عن شروط الحكم على الحديث بالصحّة: "وليس لهذا النوع من العلم عونٌ أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة، ليظهر ما يَخْفَى من علّة الحديث". معرفة علوم الحديث للحاكم (238).

وقد قال أبو جعفر العقيلي (ت 322هـ =934م): "لما ألّف البخاري كتاب الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل ويحيي بن معين وعلي بن المديني وغيرهم، فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحّة إلا في أربعة أحاديث، والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة" هدي الساري لابن حجر (9).

وبمثل هذا التعاون لا يُستكثر على أحد عباقرة الأمّة الإسلاميّة، بل على أحد عباقرة البشر: أن يخرج عملاً عظيمًا ك (صحيح البخاري)، إذا ما توفّرت له أسبابُ الإتقانِ التي توفّرت له.[1]

ثالثا : يصرف الكاتب القول في هذا الفصل إلى عدة أمور منها قضية الأرقام التي يزعم أنها سلاح فتاك ضد البخاري وصحيحه ص119 ويقوم هذا العنصر الأول عند الكاتب على خبرين اثنين لم يفهمهما عقله فأراد أن يسقط من أجل الثقة بالبخاري وصحيحه، الخبر الأول:الذي فيه أن البخاري قد حفظ وهو غلام خمسة عشر ألف حديث في ستة عشر يوما، قال الكاتب وهذا الخبر خرافة ولا يستقيم إذ مفاده أن البخاري كان يحفظ 937

[1] يراجع مقالة الدكتور الشريف حاتم العوني . مصدر سابق

حديثا في كل يوم وهو ما لا يقبله عقل ولا منطق؟؟ قلت: القصة في سير أعلام النبلاء للذهبي 408/12 من طبعة الرسالة، وهي من غير سند، وهي لا تفيد ما توهمه المؤلف فيها من الخرافة والأسطورة بل إن مقصود أهل الصنعة بالحديث طرقه وليس متنه، إذ الطرق يقال لها حديث ، فقد يكون الحديث الواحد ذا طرق وأسانيد كثيرة فيقال لكل طريق حديث، وهو في واقع الحال متن واحد وألفاظ متقاربة، ولهذا لما غاب هذا المعنى الذي لا يعرفه إلا أرباب هذه الصنعة ظنَّ كثير من غير المتخصصين أن المقصود من بعض الروايات التي تذكر في كتب التواريخ والرجال حقيقة العدد، بينما الواقع بخلاف ذلك..

الخبر الثاني: أن البخاري قد أخد عن ألف شيخ، وروى عن كل شيخ عشرة آلاف حديث، قال الكاتب رادًّا هذا الخبر بأن على هذا يكون عدد ما روى البخاري عن شيوخه عشرة مليون حديث، قال وهو عدد مبالغ فيه لم يرد أصلا في كتب الحديث المختلفة التي وصلت إلينا، فيكون خرافة وأسطورة، وعلى هذا فكل حياة الإمام البخاري أسطورة وما يتعلق به وبصحيحه فهو كذلك. قلت: الخبر في تاريخ بغداد10/2 وأسنده الخطيب البغدادي، وطبقات الحنابلة275/1 وسير أعلام النبلاء407/12 ، والقول فيه كالقول في سابقه، إذ أهل الحديث يطلقون لفظ الحديث على طريق المتن، فالمراد بأعداد الحديث الطرق لا المتون..فقد يكون المتن واحدا لكن له طرق مختلفة، فتكثر الأحاديث بكثرة طرقها لا بمتونها..فيغيب هذا المعنى على الحداثي المعاصر فيظن حقيقة الأعداد فيما يروى من مثل هذا الخبر، فيغلط في ظنه فيبادر إلى ردِّ ما لم يصل إليه فهمه ولا وسِعه علمه.

في ص 123 يتحدث الكاتب عن رحلة البخاري في دول العالم التي كانت معروفة في عصره، ويدعي أن التنقل في ذلك العصر كان بوسائل بدائية ولذلك فرحلة البخاري كانت بطيئة جدا تستغرق مدة طويلة، ونسي الكاتب أن البلاد التي زارها البخاري حينئذ كانت مزدحمة بالعلماء والمحدثين، فكان الرجل الواحد منهم يعدل دولة واحدة في سعة الحفظ والمعرفة بهذا الشأن، فكأن البخاري كان ينتقل سريعا بالطائرة وسيلة هذا العصر في التنقل بين أرجاء العالم...ورتَّب الكاتب على دعوى بطء رحلة البخاري أن ما قيل من أنه قد جمع

في رحلته التي دامت ست عشر سنة ستمائة ألف حديث كله خرافة وأسطورة ليس يصح اعتمادا على ما كتبه د/ عبد الفتاح عساكر في منتدى الواحة المصرية من مقال سماه:" الأرقام لا تكذب"..قلت: الدكتور عبد الفتاح عساكر ليس ممن يعتمد عليه في النقل في موضوع السنة النبوية وجمع البخاري للحديث، لسبب واضح وهو أن الرجل قرآني يتبجح بذلك ولا يستره، بمعنى أنه يقول إن الوحي الوحيد الذي تعبدنا الله به هو القرآن، فلا حاجة لنا بالسنة النبوية ولا اعتماد عليها في التشريع والاستنباط..فهل يعتدُّ بمثل هذا الرجل في إثبات أو نفي أمر متعلِّق بسيد الصنعة الحديثية الإمام البخاري؟؟؟ ولذلك فما أورده هذا الرجل في مقاله المزعوم من أرقام وعمليات حسابية لدحض فرية أن البخاري قد روى ستمائة ألف حديث في تطوافه في رحلته التي دامت ستة عشر سنة – غير صحيح ويكفي في رده أن عصر الإمام البخاري كان عصر ازدحام الناس على أهل الحديث للأخذ عنهم، وهؤلاء كانوا متوافرين، فكان الرجل الواحد منهم كما مرَّ لنا آنفا بمثابة دولة من المحدثين، فيكفي أن يلقى البخاريُّ من هذا الضرب نموذجا واحدا فيكفيه عن الرحلة إلى غيره، إذ يقوم الواحد من هؤلاء المحدثين الحفاظ المسندين مقام عشرات من أهل الحديث، فيستغني البخاري بلقاء الحافظ الواسع الرواية عن لقاء غيره ممن هو أقل فيها وأدنى..[1]

أخطاء عساكر :

- جهله بحال السلف في الطلب و اسقاطه لحال همته الفاترة على حال البخاري :

أول خطأ فادح سقط فيه عساكر ، أنه قدر أن حفظ حديث واحد سيأخذ من البخاري خمس دقائق ، ليصل عدد الدقائق لحفظ ستمائة حديث ال ثلاثة ملايين دقيقة ، أي خمسين ألف ساعة . ثم قدر لو أن الحفظ كان يأخذ منه ثمان ساعات في اليوم ليخلص أنه يحتاج الى 6250 يوما ، أي ما يعادل سبعة عشر سنة و نيف .. بل ذهب يقدر و يفكر لو أن حفظ حديث واحد أخذ من البخاري عوض خمس دقائق ستا ، فكم سيحتاج من سنة ؟ سيحتاج الى واحد و عشرين سنة . أما سبع دقائق فسنصل الى أربع و عشرين سنة ، أما

[1] المعركة تحت راية لبخاري 22

ثمان فسنصل الى ثمان و عشرين سنة و نيف . أما تسع دقائق فسنصل الى واحد و ثلاثين سنة و نيف ، أما عشر دقائق فسيحتاج الى خمس و ثلاثين سنة و نيف . و كل هاته التخمينات لا أساس لها علمي و مخالفة لما ثبت و اشتهر من أحوال السلف في الطلب و الحفظ . و قد بينا ذلك سابقا بما لا يدع مجالا لأي طاعن .

و يستتبع هذا الفهم السقيم أن خمن أن الدراسة اليوم ي المدارس لا تزيد على ثمان ساعات ، و بالتالي فإن البخاري كان يحفظ ثمان ساعات في اليوم . و هذه سقطة معرفية لا تجوز من رجل تصدى لنقد حياة البخاري و هو جاهل بأحوال عصر البخاري و بيئته ، و طرائق تلقي العلم ، و كيف كان يقضي البخاري يومه و ليلته ، و حاله في أسفاره و حضره ...

صلاة البخاري قبل كتابة الحديث

قال : " ولإضفاء بعد قدسي روحاني أيضا على هذا الكتاب تم صياغة هذه الروايات التي تؤكد أن محمد بن إسماعيل البخاري لم يكن يكتب أي حديث أو ينتخب أي حديث من أحاديث الصحيح ، من أصل أزيد من نصف مليون حديث، إلا بعد أن يغتسل ويستخير الله في صلاته ركعتين، ولكم أن تتخيلوا كم من مرة قام البخاري بصلاة الاستخارة ، ليكون الجواب هو 600 ألف مرة ، أي مليون ومائتي ألف ركعة خلال ست عشرة سنة !!!"[1]

و هذا من صور كذبه على خصومه ، فهذا الرجل يرد على نفسه بنفسه، فيقول بأن البخاري كان يستخير كلما انتخب حديثا في الصحيح، ومعنى هذا أنه صلى بعدد أحاديث صحيح البخاري، كما هو واضح في كلامه. فكم عدد أحاديث صحيح البخاري بدون تكرار؟ على ما حرره ابن حجر، فإنها :2761 حديثا تشمل المعلقات التي لم يوصلها في موضع آخر، فصلى عند كل حديث منها ركعتين على مدى16 سنة، فأين الغرابة في

[1] ص 110

هذا؟ ولكن لما لم تعجبه هذه الحسبة، طار إلى التشنيع، وجعله يصلي عند كل حديث قبل أي انتقاء، وبذا ناقض نفس ما ينقله، وهكذا دأبه في هذا الكتاب، مع التنبيه أن الحديث قد يكون واحدا وله عشرة أسانيد، فتسمى عشرة أحاديث، ولما يجري تضعيف طريق منها، يقال هذا حديث ضعيف، لكن قد يصح من وجه آخر، وهكذا، وهذا للتنبيه على سوء فهمه لهذا الأمر، وبداية النسخ واللصق والتهويل[1].

[1] بيع الوهم ص 55

ابن حجر و صحيح البخاري

-1- الطعن في ابن حجر

قال : " يعتبر الحافظ ابن حجر العسقلاني من أشد المنافحين و المدافعين عن كتاب الجامع الصحيح ، و شرحه " فتح الباري" من أشهر الشروح و أكثرها اعتمادا لدى الشيوخ المعاصرين . و ابن حجر تحمل عبء تبرير مجموعة من المتناقضات التي تعتمل في هذا الكتاب ، كما حاول جاهدا أن يتصدى لحجم الإنتقادات التي تم توجيهها لكتاب صحيح البخاري ، لكن رغم ذلك كله وجد نفسه مرات عدة في ورطة ، جعلته يحار في الدفاع عن هذا الكتاب ، و اعترف مرات عدة أنه يتكلف أحيانا في الرد على المنتقدين . و سنقوم في هذا الفصل بتوضيح مجموعة من الأمور التي وجد ابن حجر نفسه غارقا فيها و هو يدافع عن الجامع الصحيح المنسوب لمحمد بن اسماعيل البخاري ." [1]

و هذا المقطع من الكلام كله طعن و تنقيص من الحافظ ابن حجر : " تحمل عبء تبرير مجموعة من المتناقضات " .. " حاول جاهدا .. لكنه وجد نفسه عدة مرات في ورطة جعلته يحار .." " اعترف مرات عدة أنه كان يتكلف ...غارقا "

-2- بعد أن قام بحشو كتابه بنقل صفحتين من مقدمة فتح الباري ، قال : " هاته أهم الإشكالات التي حاول ابن حجر الإجابة عنها في عصره ، و كلها اشكالات تتعلق بصحيح البخاري ، و فيها اعترافات ضمنية و بعضها تصريحية ، على أن صحيح البخاري يعاني من عدة طعون و مشاكل ، و انتقادات و اشكالات ، و فيه الغريب و التدليس و الشاذ أيضا ، بل هناك مشكل في رجال البخاري و الذين تم الطعن فيهم حسب قول ابن حجر العسقلاني . كل هذا الكلام يصعنا امام حقيقة يحاول الشيوخ اخفاءها ، و هي : أن هذا الكتاب الذي يقسونه أيما تقديس قد لقي معارضة شديدة على مر التاريخ منذ تأليفه .."[2]

و كلامه هذا احتوى ألوانا عدة من الكذب و البهتان :

[1] ص 261
[2] ص 236

-1- الحافظ لم يقل أن الصحيح يعاني من عدة طعون و مشاكل ..بل استهل مقدمة كتابه بالثناء العطر على الإمام البخاري و كتابه الجامع الصحيح ، ثم بين أنه ضم اليه " نبذا شارحة لفوائده موضحة لمقاصده كاشفة عن مغزاه في تقييد اوابده واقتناص شوارده ." و ذلك في عشرة فصول مباركة قيمة كلها تمجيد و تعظيم لعمل البخاري و المنافحة عنه و افجابة علة الإشكالات التي استشكلها بعض العلماء .

قال : " وقد رأيت الإمام أبا عبد الله البخاري في جامعه الصحيح ، قد تصدى للاقتباس من انوارهما البهية ، تقريرا واستنباطا ، وكرع من مناهلهما الروية انتزاعا وانتشاطا . ورزق بحسن نيته السعادة فيما جمع ، حتى اذعن له المخالف والموافق ، وتلقى كلامه في التصحيح بالتسليم المطاوع والمفارق .و قد استخرت الله تعالى في أن أضم إليه نبذا شارحة لفوائده، موضحة لمقاصده ،كاشفة عن مغزاه في تقييد اوابده ، واقتناص شوارده .

وأقدم بين يدي ذلك كله مقدمة في تبيين قواعده ،و تزيين فرائده ، جامعة وجيزة دون الاسهاب وفوق القصور، سهلة المأخذ تفتح المستغلق ، وتذلل الصعاب و تشرح الصدور، وينحصر القول فيها إن شاء الله تعالى في عشرة فصول :

الأول : في بيان السبب الباعث له على تصنيف هذا الكتاب .

الثاني : في بيان موضوعه و الكشف عن مغزاه فيه ، و الكلام على تحقيق شروطه وتقرير كونه من أصح الكتب المصنفة في الحديث النبوي . ويلتحق به الكلام على تراجمه البديعة المنال ، المنيعة المثال التي انفرد بتدقيقه فيها عن نظرائه ، واشتهر بتحقيقه لها عن قرنائه.
الثالث : في بيان الحكمة في تقطيعه للحديث واختصاره ، و فائدة اعادته للحديث وتكراره.
الرابع : في بيان السبب في إيراده الأحاديث المعلقة والآثار الموقوفة ، مع أنها تباين أصل موضوع الكتاب . و الحقت فيه سياق الأحاديث المرفوعة المعلقة ، و الإشارة لمن وصلها على سبيل الاختصار .

ابن حجر و صحيح البخاري

الخامس : في ضبط الغريب الواقع في متونه مرتبا له على حروف المعجم ، بألخص عبارة و أخلص إشارة ، لتسهل مراجعته و يخف تكراره.

السادس : في ضبط الأسماء المشكلة التي فيه ، و كذا الكنى والأنساب ...

الثامن : في سياق الأحاديث التي انتقدها عليه حافظ عصره ، أبو الحسن الدارقطني وغيره من النقاد ، والجواب عنها حديثا حديثا ، وإيضاح أنه ليس فيها ما يخل بشرطه الذي حققناه .

التاسع : في سياق أسماء جميع من طعن فيه من رجاله على ترتيب الحروف ،و الجواب عن ذلك الطعن بطريق الإنصاف و العدل، و الاعتذار عن المصنف في التخريج لبعضهم ممن يقوي جانب القدح فيه . أما لكونه تجنب ما طعن فيه بسببه ،و أما لكونه اخرج ما وافقه عليه من هو أقوى منه ، و أما لغير ذلك من الأسباب .

العاشر : في سياق فهرسة كتابه المذكور بابا بابا ، وعدة ما في كل باب من الحديث ،و منه تظهر عدة أحاديثه بالمكرر ، اوردته تبعا لشيخ الإسلام أبي زكريا النووي رضي الله عنه تبركا به ، ثم أضفت إليه مناسبة ذلك مما استفدته من شيخ الإسلام أبي حفص البلقيني رضي الله عنه . ثم اردفته بسياق أسماء الصحابة الذين اشتمل عليهم كتابه مرتبا لهم على الحروف و عد ما لكل واحد منهم عنده من الحديث . و منه يظهر تحرير ما اشتمل عليه كتابه من غير تكرير . ثم ختمت هذه المقدمة بترجمة كاشفة عن خصائصه و مناقبه ، جامعة لمآثره و مناقبه ، ليكون ذكره واسطة عقد نظامها وسرة مسك ختامها .

فإذا تحررت هذه الفصول وتقررت هذه الأصول ، افتتحت شرح الكتاب مستعينا بالفتاح الوهاب ، فأسوق إن شاء الله الباب وحديثه أولا ، ثم أذكر وجه المناسبة بينهما أن كانت خفية ، ثم أستخرج ثانيا ما يتعلق به غرض صحيح في ذلك الحديث ، من الفوائد المتنية

والاسنادية من تتمات و زيادات .و كشف غامض و تصريح مدلس، بسماع و متابعة سامع من شيخ اختلط قبل ذلك . منتزعا كل ذلك من أمهات المسانيد و الجوامع ، و المستخرجات و الأجزاء و الفوائد ، بشرط الصحة أو الحسن فيما أورده من ذلك . و ثالثا أصل ما انقطع من معلقاته و موقوفاته ، و هناك تلتئم زوائد الفوائد و تنتظم شوارد الفرائد . و رابعا أضبط ما يشكل من جميع ما تقدم أسماء و أوصافا ، مع إيضاح معاني الألفاظ اللغوية و التنبيه على النكت البيانية ونحو ذلك. و خامسا أورد ما استفدته من كلام الأئمة مما استنبطوه من ذلك الخبر من الأحكام الفقهية ، و المواعظ الزهدية و الآداب المرعية ، مقتصرا على الراجح من ذلك متحريا للواضح دون المستغلق في تلك المسالك ، مع الاعتناء بالجمع بين ما ظاهره التعارض مع غيره . و التنصيص على المنسوخ بناسخه ، و العام بمخصصه ،و المطلق بمقيده ، و المجمل بمبينه و الظاهر بمؤوله . و الإشارة إلى نكت من القواعد الاصولية ، و نبذ من فوائد العربية ، و نخب من الخلافيات المذهبية بحسب ما اتصل بي من كلام الأئمة ، و اتسع له فهمي من المقاصد المهمة ... "

و كل من قرأ مقدمة الفتح سيقف على أغلوطات أيلال و تقويل الحافظ ما لم يقل ، و أنه أطلق أحكاما جاهزة تنتقص من قيمة الصحيح ، و تحتقر عمل الحافظ و تصوره بأوصاف العجز و الإضطراب و العجز و الحيرة !

-2- العلماء لم يحاولوا اخفاء الإنتقادات التي وجحها بعض الحفاظ للصحيح ، بل ذكروا ذلك و أجابوا عليها انتقادا انتقادا ، و هذا معلوم لكل دارس للصحيح !

أما اتهامه للعلماء بتقديس البخاري أيما تقديس فبهتان عظيم يعلم كذبه كل من كان له اتصال بشروح الصحيح و دراسات العلماء حوله . و لو كان الصحيح مقدسا –كما زعم – لما تجرأ أحد من الحفاظ قديما و حديثا على انتقاد بعض أحاديثه !

ابن حجر و صحيح البخاري

-3- قوله : " بل من الأمور اللخطيرة التي أوردها ابن حجر في مقدمة الفتح و التي عنونها بهدي الساري : أنه توجد في صحيح البخاري أبواب لا يوجد فيها شيء ، بما يؤكد تأكيدا قويا على أن الشيخ البخاري مات دون أن يكمل هذا الكتاب المنسوب إليه " [3]

و قال طاعنا في الصحيح : " فكل هاته الزوبعة التي أثيرت حول الكتاب من تمجيد له يفوق الخيال ، و يتجاوز الوصف .. لكن عند التدقيق و التمحيص ، نكتشف أنها زوبعة في فنجان ، و أن قيمة الكتاب لا يجب أن تصل الى ما وصلت إليه من تقديس ، و أنهكتاب عادي جدا . و كل الأثار التي بين أيدينا و المرويات لا تقوى على أن تكون دليلا قاطعا على أن الشيخ البخاري ألف هذا الكتاب كما هو بين أيدينا .."

-4- قال : " ابن حجر إتهم البخاري بأنه يورد حديثا في الباب من أبواب الجامع الصحيح رغم أن الحديث لا تعلق له بذلك الباب (و أكثر منه حتى أنه ربما خرج الحديث الذي لا تعلق له بالباب جملة إلا ليبين سماع راو من شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئا معنعنا)"[4] . هكذا قال الكذوب مفتريا على الحافظ و مدلسا على قرائه ، باترا للكلام عن سياقه . و ها أنا أنقل للقارئ الكريم تمام كلام الحافظ ليتبين له أنه لا يحمل أي اتهام للبخاري و أن موضوعه غير ما زعم المفتري !

قال رحمه الله في معرض نقله لكلام الأئمة في تفضيل صحيح البخاري على مسلم " .. وأما من حيث التفصيل فقد قررنا أن مدار الحديث الصحيح على الاتصال وإتقان الرجال وعدم العلل وعند التامل يظهر أن كتاب البخاري أتقن رجالا وأشد اتصالا وبيان ذلك من أوجه أحدها : أن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربعمائة وبضع وثلاثون رجلا المتكلم فيه بالضعف منهم ثمانون رجلا والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ستمائة وعشرون رجلا المتكلم فيه بالضعف منهم مائة وستون رجلا ولا شك أن التخريج عمن لم

[3] ص 264
[4] ص 265

يتكلم فيه أصلا أولي من التخريج عمن تكلم فيه وأن لم يكن ذلك الكلام قادحا.

ثانيها : أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه لم يكثر من تخريج أحاديثهم وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها كلها أو أكثرها الا ترجمة عكرمة عن بن عباس بخلاف مسلم فإنه أخرج أكثر تلك النسخ كأبي الزبير عن جابر وسهيل عن أبيه والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه وحماد بن سلمة عن ثابت وغير ذلك

ثالثها : أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز جيدها من موهومها بخلاف مسلم فإن أكثر من تفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه ممن تقدم عن عصره من التابعين ومن بعدهم ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه ممن تقدم منهم.

رابعها : أن البخاري يخرج من أحاديث أهل الطبقة الثانية انتقاء ومسلم يخرجها أصولا كما تقدم ذلك من تقرير الحافظ أبي بكر الحازمي فهذه الأوجه الأربعة تتعلق باتقان الرواة وبقي ما يتعلق بالاتصال وهو الوجه الخامس وذلك أن مسلما كان مذهبه على ما صرح به في مقدمة صحيحه وبالغ في الرد على من خالفه أن الإسناد المعنعن له حكم الاتصال إذا تعاصر المعنعن ومن عنعن عنه وأن لم يثبت اجتماعهما الا أن كان المعنعن مدلسا والبخاري لا يحمل ذلك على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ولو مرة وقد أظهر البخاري هذا المذهب في تاريخه وجرى عليه في صحيحه وأكثر منه حتى أنه ربما خرج الحديث الذي لا تعلق له بالباب جملة إلا ليبين سماع راو من شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئا معنعنا وسترى ذلك واضحا في اماكنه إن شاء الله تعالى وهذا مما ترجح به كتابه لأنا وأن سلمنا ما ذكره مسلم من الحكم بالاتصال فلا يخفى أن شرط البخاري أوضح في الاتصال والله أعلم " 5

فهل في هذا الكلام أي اتهام للبخاري ؟ فالحافظ ناقش مسألة أفضلية صحيح البخاري على مسلم من ناحية اتصال السند و بين شرط البخاري أنه يخرج حديث راو سبق أن

5 هدي الساري ص 14

ابن حجر و صحيح البخاري

خرجه له معنعنا ليبين سماع الراوي من شيخه ، واعتبر صنيعه سليما و جيدا من ناحية الصناعة الحديثية التي لا يفقه المتعالم الكذوب شيئا فيها !

-5- قال : " من الإشكالات التي وجدها ابن حجر أيضا مشكل تفضيل بعض الأعلام لصحيح مسلم على صحيح البخاري ،" 6

* مناقشة الحافظ لمسألة الأصحية :

-1- نقل كلام الإمام أبي عمرو بن الصلاح في كتابه في علوم الحديث " أول من صنف في الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه فإنه يشارك البخاري في كثير من شيوخه وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز وأما ما رويناه عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال ما أعلم في الأرض كتابا في العلم أكثر صوابا من كتاب مالك قال ومنهم من رواه بغير هذا اللفظ يعني بلفظ أصح من الموطأ فإنما قال ذلك قبل وجود كتابي البخاري ومسلم ثم أن كتاب البخاري أصح الكتابين صحيحا واكثرهما فوائد وأما ما رويناه عن أبي على الحافظ النيسابوري أستاذ الحاكم أبي عبد الله الحافظ من أنه قال ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم بن الحجاج فهذا وقول من فضل من شيوخ المغرب كتاب مسلم على كتاب البخاري إن كان المراد به أن كتاب مسلم يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح فإنه ليس فيه بعد خطبته الا الحديث الصحيح مسرودا غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري في تراجم أبوابه من الأشياء التي لم يسندها على الوصف المشروط في الصحيح فهذا لا بأس به وليس يلزم منه أن كتاب مسلم أرجح فيما يرجع إلى نفس الصحيح على كتاب البخاري وإن كان المراد به أن كتاب مسلم أصح صحيحا فهذا مردود على من يقوله والله أعلم . "

---

[6] ص 265

قال الحافظ : " انتهى كلامه وفيه أشياء تحتاج إلى أدلة و بيان، فقد استشكل بعض الأئمة إطلاق أصحية كتاب البخاري على كتاب مالك ، مع اشتراكهما في اشتراط الصحة و المبالغة في التحري و التثبت ، و كون البخاري أكثر حديثا لا يلزم منه أفضلية الصحة .

و الجواب عن ذلك أن ذلك محمول على أصل اشتراط الصحة ، فمالك لا يرى الانقطاع في الإسناد قادحا، فلذلك يخرج المراسيل و المنقطعات و البلاغات في أصل موضوع كتابه . و البخاري يرى أن الانقطاع علة فلا يخرج ما هذا سبيله ، الا في غير أصل موضوع كتابه ، كالتعليقات و التراجم . و لا شك أن المنقطع و أن كان عند قوم من قبيل ما يحتج به ، فالمتصل أقوى منه إذا اشترك كل من رواتهما في العدالة والحفظ . فبان بذلك شفوف كتاب البخاري ، و علم أن الشافعي إنما أطلق على الموطأ أفضلية الصحة بالنسبة إلى الجوامع الموجودة في زمنه ، كجامع سفيان الثوري ، و مصنف حماد بن سلمة ،و غير ذلك ،و هو تفضيل مسلم لا نزاع فيه .

واقتضى كلام بن الصلاح : أن العلماء متفقون على القول بأفضلية البخاري في الصحة على كتاب مسلم ، الا ما حكاه عن أبي على النيسابوري من قوله المتقدم وعن بعض شيوخ المغاربة ، أن كتاب مسلم أفضل من كتاب البخاري من غير تعرض للصحة . فنقول روينا بالإسناد الصحيح عن أبي عبد الرحمن النسائي، وهو شيخ أبي على النيسابوري أنه قال : ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل ، و النسائي لا يعني بالجودة الا جودة الأسانيد كما هو المتبادر إلى الفهم من اصطلاح أهل الحديث . و مثل هذا من مثل النسائي غاية في الوصف مع شدة تحريه وتوقيه وتثبته في نقد الرجال وتقدمه في ذلك على أهل عصره ، حتى قدمه قوم من الحذاق في معرفة ذلك على مسلم بن الحجاج ، و قدمه الدارقطني و غيره على إمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة صاحب الصحيح ."

-2- ثم نقل قول الإسماعيلي في المدخل : " أما بعد فإني نظرت في كتاب الجامع الذي ألفه أبو عبد الله البخاري فرأيته جامعا كما سمي لكثير من السنن الصحيحة، و دالا على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة ، التي لا يكمل لمثلها الا من جمع إلى معرفة الحديث نقلته

والعلم بالروايات و عللها ، علما بالفقه و اللغة وتمكنا منها كلها وتبحرا فيها . و كان يرحمه الله الرجل الذي قصر زمانه على ذلك ، فبرع و بلغ الغاية فحاز السبق ، و جمع إلى ذلك حسن النية و القصد للخير ، فنفعه الله و نفع به . قال : وقد نحا نحوه في التصنيف جماعة منهم الحسن بن علي الحلواني ،لكنه اقتصر على السنن ، و منهم أبو داود السجستاني وكان في عصر أبي عبد الله البخاري ، فسلك فيما سماه سننا ذكر ما روى في الشيء و أن كان في السند ضعف إذا لم يجد في الباب غيره. ومنهم مسلم بن الحجاج و كان يقاربه في العصر ، فرام مرامه و كان يأخذ عنه أو عن كتبه الا أنه لم يضايق نفسه مضايقة أبي عبد الله ، وروى عن جماعة كثيرة يتعرض أبو عبد الله الرواية عنهم .و كل قصد الخير غير أن أحدا منهم لم يبلغ من التشدد مبلغ أبي عبد الله ،و لا تسبب إلى استنباط المعاني و استخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ما له وصلة بالحديث المروي فيه تسببه ، ولله الفضل يختص به من يشاء ."

-3- ثم نقل كلام الحاكم أبو أحمد النيسابوري" وهو عصرى أبي على النيسابوري و مقدم عليه في معرفة الرجال ، فيما حكاه أبو يعلى الخليلي الحافظ في الإرشاد ما ملخصه : رحم الله محمد بن إسماعيل فإنه ألف الأصول ، يعني أصول الأحكام من الأحاديث ، و بين للناس، و كل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه كمسلم بن الحجاج."

-4- " وقال الدارقطني لما ذكر عنده الصحيحان لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء. و قال مرة أخرى : و أي شيء صنع مسلم إنما أخذ كتاب البخاري فعمل عليه مستخرجا وزاد فيه زيادات ."

ثم قال : " وهذا الذي حكيناه عن الدارقطني جزم به أبو العباس القرطبي في أول كتابه المفهم في شرح صحيح مسلم ، و الكلام في نقل كلام الأئمة في تفضيله كثير ويكفى منه : اتفاقهم على أنه كان أعلم بهذا الفن من مسلم ، و أن مسلما كان يشهد له بالتقدم في ذلك

ابن حجر و صحيح البخاري

والامامة فيه والتفرد بمعرفة ذلك في عصره ، حتى هجر من أجله شيخه محمد بن يحيى الذهلي في قصة مشهورة ."

- مناقشة ابن حجر لمسألة الأفضلية

قال رحمه الله : " أطلق بعضهم الأفضلية و ذلك فيما حكاه القاضي ، أبو الفضل عياض في الالماع عن أبي مروان الطبني ، بضم الطاء المهملة ثم اسكان الباء .و أما قول أبي على النيسابوري فلم نقف قط على تصريحه بان كتاب مسلم أصح من كتاب البخاري ، بخلاف ما يقتضيه إطلاق الشيخ محيي الدين ، في مختصره في علوم الحديث و في مقدمة شرح البخاري أيضا ،حيث يقول : اتفق الجمهور على أن صحيح البخاري أصحهما صحيحا ، و اكثرهما فوائد. و قال أبو على النيسابوري و بعض علماء المغرب ، صحيح مسلم أصح . انتهى و مقتضى كلام أبي على نفى الأصحية عن غير كتاب مسلم عليه ، أما إثباتها له فلا. لأن إطلاقه يحتمل أن يريد ذلك ويحتمل أن يريد المساواة ، والله أعلم . والذي يظهر لي من كلام أبي على : أنه إنما قدم صحيح مسلم لمعنى غير ما يرجع إلى ما نحن بصدده من الشرائط المطلوبة في الصحة ، بل ذلك لأن مسلما صنف كتابه في بلده بحضور أصوله في حياة كثير من مشايخه ، فكان يتحرز في الألفاظ ويتحرى في السياق ، ولا يتصدى لما تصدى له البخاري من استنباط الاحكام ليبوب عليها . ولزم من ذلك تقطيعه للحديث في أبوابه ، بل جمع مسلم الطرق كلها في مكان واحد واقتصر على الأحاديث دون الموقوفات، فلم يعرج عليها الا في بعض المواضع على سبيل الندور تبعا لا مقصودا . فلهذا قال أبو على ما قال ، مع أني رأيت بعض أئمتنا يجوز أن يكون أبو على ما رأى صحيح البخاري ، وعندي في ذلك بعد ، والاقرب ما ذكرته . و أبو على لو صرح بما نسب إليه لكان محجوجا بما قدمناه مجملا ومفصلا، والله الموفق . و أما بعض شيوخ المغاربة فلا يحفظ عن أحد منهم

تقييد الأفضلية الموحدة بعدها نون ، قال كان بعض شيوخى يفضل صحيح مسلم على صحيح البخاري انتهى. وقد وجدت تفسير هذا التفضيل عن بعض المغاربة ، فقرأت في فهرسة أبي محمد القاسم بن القاسم النجيبي قال : " كان أبو محمد بن حزم يفضل كتاب مسلم على كتاب البخاري لأنه ليس فيه بعد خطبته الا الحديث السرد ". وعندي أن ابن حزم هذا هو شيخ أبي مروان الطبني ، الذي ابهمه القاضي عياض ويجوز أن يكون غيره .و محل تفضيلهما واحد ومن ذلك قول مسلم بن قاسم القرطبي ، وهو من أقران الدارقطني لما ذكر في تاريخه صحيح مسلم قال : " لم يضع أحد مثله فهذا محمول على حسن الوضع وجودة الترتيب ". و قد رأيت كثيرا من المغاربة ممن صنف في الأحكام بحذف الأسانيد كعبد الحق في احكامه و جمعه ، يعتمدون على كتاب مسلم في نقل المتون وسياقها دون البخاري لوجودها عند مسلم تامة وتقطيع البخاري لها ، فهذه جهة أخرى من التفضيل لا ترجع إلى ما يتعلق بنفس الصحيح والله أعلم ."

-6- قال " و انتقادهم كون الحديث الواحد تجده في كتاب الجامع الصحيح مقطعا على أبواب الكتاب ، فلا تتم كتابة الحديث بنصه الكامل ، بل يتم تقطيعه تقطيعا يفقد فيه قيمته و معناه ، و يبتر عن سياقه بشكل غريب .."

و هذا من أكذوباته الفاضحة أيضا ، و إن كان صادق فلينقل لنا كلام هؤلاء الأعلام الذين قالوا أن : تقطيع البخاري للحديث يفقده قيمته و معناه و يبتره عن سياقه !

- سبب تقطيع البخاري للحديث :

قال ابن الصلاح : " أما تقطيع المصنف متن الحديث الواحد و تفريقه ، فهو الى الجواز أقرب و من المنع أبعد . و قد فعله مالك و البخاري و غير واحد من أئمة الحديث ، و لا يخلو من كراهة .[7]

[7] مقدمة ابن الصلاح ص 399 .جار المعارف

ابن حجر و صحيح البخاري

عقب السخاوي على قول ابن الصلاح (و لا يخلو من كراهة) : ..لكن قد نازعه النووي فقال : ما أظن غيره يوافقه على ذلك ، بل بالغ الحافظ عبد الغني بن سعيد و كاد أن يجعله مستحبا .

قلت : لا سيما إذا كان المعنى المستنبط من تلك القطعة يدق ، فإن إيراده و الحالة هذه بتمامه يقتضي مزيد تعب في استخلاصه منه ، بخلاف الإقتصار على محل الإستشهاد ، ففيه تخفيف كما أشار إليه أبو داود " 8

قال النووي في شرح مسلم : " الصحيح الذي ذهب إليه الجماهير و المحققون من أصحاب الحديث و الفقه و الأصول : التفصيل و جواز ذلك من العارف ، إذا كان ما تركه غير متعلق بما رواه ، بحيث لا يختل البيان ، و لا تختلف الدلالة في تركه ، سواء جوزنا الرواية بالمعنى أم لا ، و سواء رواه قبل تاما أم لا . هذا إن إرتفعت منزلته عن التهمة ... و أما تقطيع المصنفين الحديث الواحد في الأبواب فهو بالجواز أولى ، بل يبعد طرد الخلاف فيه . و قد استمر عليه عمل الأئمة الحفاظ الأجلة من المحدثين و غيرهم من أصناف العلماء "9

قال الحافظ في شرح النخبة : " أما إختصار الحديث ، فالأكثرون على جوازه بشرط أن يكون الذي يختصره عالما ،لأن العالم لا ينقص من الحديث إلا ما لا تعلق له بما يبقيه منه ، بحيث لا تختلف الدلالة ، و لا يختل البيان ، حتى يكون المذكر و المحذوف بمنزلة خبرين ، أو يدل ما ذكره على ما حذفه ، بخلاف الجاهل فإنه قد ينقص ما له تعلق كترك الإستثناء."10

و كتاب البخاري كتاب فقه و عقيدة و تفسير و أدب و سيرة و مغازي . و لذلك إضطر إلى تقطيع الحديث الواحد ، و إيراده في أكثر من موضع لإستنباط مسائل الفقه و العقيدة

[8] فتح المغيث 157/3 ط1 مكتبة السنة 2003
[9] 49/1 ط 2 دار احياء التراث العربي
[10] نزهة النظر توضيح نخبة الفكر ص 119 ط1 طبعة الرياض

لأن الحديث قد يشمل على أكثر من معنى ، و كل معنى يندرج تحت باب معين بحيث أنه يحمل حكما معينا . فلهذا لا يكرر الحديث بكامله غالبا ، و إنما يذكر الجزء الذي يتضمن معنى الباب الذي يذكره تحته إلا إذا تعددت طرق الحديث ، فيذكر الحديث كاملا مع سنده أحيانا .11

- رأي الحافظ في هذه المسألة

عقد رحمه الله فصلا لهذه المسألة في مقدمته قال : " الفصل الثالث في بيان تقطيعه للحديث واختصاره وفائدة اعادته له في الأبواب وتكراره.

قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي فيما رويناه عنه في جزء سماه جواب المتعنت : أعلم أن البخاري رحمه الله كان يذكر الحديث في كتابه ، في مواضع ويستدل به في كل باب بإسناد آخر ،و يستخرج منه بحسن استنباطه و غزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه ،و قلما يورد حديثا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد وإنما يورده من طريق أخرى لمعان نذكرها ، والله أعلم بمراده :

-1- فمنها أنه يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر، و المقصود منه أن يخرج الحديث عن حد الغرابة ،و كذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية و الثالثة و هلم جرا إلى مشايخه ، فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار ، و ليس كذلك لاشتماله على فائدة زائدة .

-3- ومنها أنه صحح أحاديث على هذه القاعدة ، يشتمل كل حديث منها على معان متغايرة فيورده في كل باب من طريق غير الطريق الأولى .

-4- ومنها أحاديث يرويها بعض الرواة تامة ، و يرويها بعضهم مختصرة فيوردها كما جاءت ، ليزيل الشبهة عن ناقليها . ومنها أن الرواة ربما اختلفت عباراتهم فحدث راو بحديث فيه

---
11 الأصول الستة .رواياتها و نسخها ص 65

كلمة تحتمل معنى ، و حدث به آخر فعبر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتمل معنى آخر ، فيورده بطرقه إذا صحت على شرطه ويفرد لكل لفظة بابا مفردا .

-5- ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والإرسال ، و رجح عنده الوصل فاعتمده وأورد الإرسال منبها على أنه لا تأثير له عنده في الوصل.

-6- ومنها أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك.

-7- ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلا في الإسناد ونقصه بعضهم ، فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدثه به عن آخر، ثم لقي الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين .

-8- ومنها أنه ربما أورد حديثا عنعنه راويه فيورده من طريق أخرى مصرحا فيها بالسماع ، على ما عرف من طريقته في اشتراط ثبوت اللقاء في المعنعن . فهذا جميعه فيما يتعلق بإعادة المتن الواحد في موضع آخر أو أكثر ...

وأما تقطيعه للحديث في الأبواب تارة واقتصاره منه على بعضه أخرى ، فذلك لأنه إن كان المتن قصيرا أو مرتبطا بعضه ببعض، وقد اشتمل على حكمين فصاعدا فإنه يعيده بحسب ذلك مراعيا مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثية، وهي إيراده له عن شيخ سوى الشيخ الذي أخرجه عنه قبل ذلك كما تقدم تفصيله . فتستفيد بذلك تكثير الطرق لذلك الحديث ، وربما ضاق عليه مخرج الحديث حيث لا يكون له إلا يخرج كل جملة منها في باب مستقل فرارا من التطويل ، وربما نشط فساقه بتمامه فهذا كله في التقطيع . وقد حكى بعض شراح البخاري أنه وقع في أثناء الحج في بعض النسخ بعد باب قصر الخطبة بعرفة باب تعجيل الوقوف قال أبو عبد الله : يزاد في هذا الباب حديث مالك عن بن شهاب ولكني لا أريد أن أدخل فيه معادا انتهى .وهو يقتضي أنه لا يتعمد أن يخرج في كتابه حديثا معادا

ابن حجر و صحيح البخاري

بجميع إسناده ومتنه وإن كان قد وقع له من ذلك شيء فعن غير قصد وهو قليل جدا سأنبه على مواضعه من الشرح حيث أصل إليها إن شاء الله تعالى .

وأما اقتصاره على بعض المتن ثم لا يذكر الباقي في موضع آخر فإنه لا يقع له ذلك في الغالب ، إلا حيث يكون المحذوف موقوفا على الصحابي وفيه شيء قد يحكم برفعه ، فيقتصر على الجملة التي يحكم لها بالرفع ويحذف الباقي لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه ، كما وقع له في حديث هزيل بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، قال : إن أهل الإسلام لا يسيبون وإن أهل الجاهلية كانوا يسيبون هكذا أورده ، وهو مختصر من حديث موقوف أوله . جاء رجل إلي عبد الله بن مسعود فقال: أني أعتقت عبدا لي سائبة فمات وترك مالا ولم يدع وارثا ، فقال عبد الله : إن أهل الإسلام لا يسيبون وإن أهل الجاهلية كانوا يسيبون فأنت ولي نعمته فلك ميراثه، فإن تأثمت وتحرجت في شيء فنحن نقبله منك ونجعله في بيت المال. فاقتصر البخاري على ما يعطي حكم الرفع من هذا الحديث الموقوف وهو قوله إن أهل الإسلام لا يسيبون، لأنه يستدعى بعمومه النقل عن صاحب الشرع لذلك الحكم ، واختصر الباقي لأنه ليس من موضوع كتابه .

وهذا من أخفى المواضع التي وقعت له من هذا الجنس ، وإذا تقرر ذلك اتضح أنه لا يعيد إلا لفائدة حتى لو لم تظهر ، لإعادته فائدة من جهة الإسناد ولا من جهة المتن ، لكان ذلك لإعادته لأجل مغايرة الحكم التي تشتمل عليه الترجمة الثانية ، موجبا لئلا يعد مكررا بلا فائدة . كيف وهو لا يخليه مع ذلك من فائدة إسنادية ، و هي إخراجه للإسناد عن شيخ غير الشيخ الماضي أو غير ذلك على ما سبق تفصيله ، وهذا بين لمن استقرأ كتابه وأنصف من نفسه والله الموفق لا إله غيره"

-7- قال : " أما بالنسبة لي : فاختلاف لفظ الحديث بنفس السند ، أو رواية من طرق مختلفة بنفس اللفظ يدل على أن هذا الكتاب تدخل في كتابته أكثر من شخص واحد .

فلا يمكن أن يورد نفس المؤلف نفس الحديث بنفس اللفظ ، لكن بأسانيد مختلفة ، أو يروي نفس الحديث بنفس الإسناد لكن بألفاظ مختلفة . إلا إذا كان المؤلف غير المؤلف ، أي من أورد الحديث الأول ليس من أورد الثاني و هكذا " 12

لما قرأت هذا الكلام لأول مرة ، أعدت قراءته غير مصدق لما قرأت ! و لعمر الله إنها لقاصمة ظهر المتعالم الجهول .

من أنت حتى تقول " أما بالنسبة لي " ؟ و قد تبين جهلك الفاضح لأبسط قواعد علم الحديث ! يا هذا لو قرأت في علوم الحديث ، و درست كتب الشروح و التخريج لما جرأت على ما تفوهت به !

و لنضرب مثالا على ذلك : رواية الإمام أحمد لحديث " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان "

فقد رواه أحمد بأربعة أسانيد مختلفة عن ابن عمر ، مع زيادات في متون بعضها . وكل ذلك في كتاب واحد ، فهل سيقول أن مسند أحمد تدخل في كتابته عديدون ؟!

- 4798 - حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن يزيد بن بشر، عن ابن عمر قال: " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان " قال: فقال له رجل: والجهاد في سبيل الله؟ قال ابن عمر: «الجهاد حسن، هكذا حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم»

- 5672 - حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو عقيل، عن بركة بن يعلى التيمي، حدثني أبو سويد العبدي قال: أتينا ابن عمر فجلسنا ببابه ليؤذن لنا، قال: فأبطأ علينا الإذن، قال:

[12] ص 266

ابن حجر و صحيح البخاري

- فقمت إلى جحر في الباب فجعلت أطلع فيه، ففطن بي، فلما أذن لنا جلسنا، فقال: أيكم اطلع آنفا في داري، قال: قلت: أنا، قال: بأي شيء استحللت أن تطلع في داري؟ قال: قلت: أبطأ علينا الإذن، فنظرت فلم أتعمد ذلك، قال: ثم سألوه عن أشياء، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بني الإسلام على خمس» شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان " قلت: يا أبا عبد الرحمن ما تقول في الجهاد؟ قال: «من جاهد فإنما يجاهد لنفسه»

- 6015 – حدثنا هاشم، حدثنا عاصم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان "

- 6301 – حدثنا ابن نمير، حدثنا حنظلة، سمعت عكرمة بن خالد، يحدث طاوسا، قال: إن رجلا قال: لعبد الله بن عمر: ألا تغزو؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الإسلام بني على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت "

رواية مسلم للحديث :

- حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني، حدثنا أبو خالد يعني سليمان بن حيان الأحمر، عن أبي مالك الأشجعي، عن سعد بن عبيدة، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «بني الإسلام على خمسة، على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج»، فقال رجل: الحج، وصيام رمضان، قال: «لا، صيام رمضان، والحج» هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

- وحدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا يحيى بن زكرياء، حدثنا سعد بن طارق، قال: حدثني سعد بن عبيدة السلمي، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «بني الإسلام على خمس، على أن يعبد الله، ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»

- حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا عاصم وهو ابن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، قال: قال عبد الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»

- وحدثني ابن نمير، حدثنا أبي، حدثنا حنظلة، قال: سمعت عكرمة بن خالد، يحدث طاوسا، أن رجلا قال لعبد الله بن عمر: ألا تغزو؟ فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: " إن الإسلام بني على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت "

-8- قال : " و قد اعترف ابن حجر في كتابه فتح الباري بتدخل النساخ في صحيح البخاري حينما قال : (و لم أقف في شيء من نسخ البخاري على ترجمة لمناقب عبد الرحمن بن عوف و لا لسعيد بن زيد و هما من العشرة . و ان كان قد أفرد ذكر إسلام سعيد بن زيد بترجمة في أوائل السيرة النبوية . و أظن ذلك من تصرف الناقلين لكتاب البخاري . كما تقدم مرارا أنه ترك الكتاب مسودة ، فإن أسماء من ذكرهم هنا لم يقع فيهم مراعاة الأفضلية ولا السابقية ولا الأسنية وهذه جهات التقديم في الترتيب فلما لم يراع واحدا منها دل على أنه كتب كل ترجمة على حدة فضم بعض النقلة بعضها إلى بعض حسبما اتفق .13

[13] 93/7

ابن حجر و صحيح البخاري

قال الدكتور عبد الستار الشيخ :

" هذا ذهول من الحافظ رحمه الله تعالى ، و غلط ممن قلده فيه في هذا الموضع من الفتح . و الصحيح أن البخاري قد نقل كتابه الى المبيضة ، و أدلة ذلك كثيرة .."14 ثم ذكر بعض الأدلة ، منها :

-1- " قال عبد القدوس بن همام : سمعت عدة من المشايخ يقولون : حول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم و منبره ، و كان يصلي لكل ترجمة ركعتين ."

و لا يمكن القول بأن البخاري بيض عناوين التراجم فقط ، بل بيض التراجم و ما تتضمنه من آيات و أحاديث و آثار و غيرها . و الحافظ قد نقل هذا الكلام و أقره ، و قرر أن البخاري حول كتابه من المسودة الى المبيضة في الروضة الشريفة .15

-2- فرغ البخاري من تصنيف " الجامع الصحيح " قبل وفاته بأزيد من عشرين سنة ، حيث عرضه على جماعة من الأئمة كما سبق بيانه ، و لو سلمنا بأنه عرض عليهم كتابه مسودة ، فلا يعقل أنه تركه فيها طيلة عشرين سنة ، فلا يفعل هذا آحاد المصنفين ، ناهيك برجل مثل البخاري في علو همته و جلالة كتابه .16

-3- حدث البخاري بالجامع الصحيح في البلدان مرارا ، و سمعه منه أمم و خلائق ، و هو قد حدث الناس مبوبا مرتبا بلا شك . و لايمكن أن يتركه لإجتهاد النساخ يضمون تراجمه كيفما إتفق ، كما هو ظاهر كلام الحافظ .17

-4- إن قبول القول بأن البخاري (متب كل ترجمة على حدة ، فضم بعض النقلة بعضها الى بعض حسبما اتفق) ، يلغي الميزة الفذة التي تفرد بها البخاري في صحيحه ، المتمثلة في تناسق تراجمه و تناسبها في الكتاب الواحد ، و تناسق الكتب و ترابطها فيما بينها .

و قد نقل الحافظعن شيخه الإمام البلقيني كلاما رفيعل في هذا كما قدمناه ، بل إن الحافظ نفسه أطنب في إبراز هذه المعلمة عند البخاري و تفرده فيها ، و تكلم كثيرا في الفتح على

---

[14] الإمام البخاري أستاذ الأستاذين ..ص 374
[15] نفس المصدر ص 375
[16] ص 375-376
[17] ص376

ابن حجر و صحيح البخاري

براعة الإمام في ترتيب تراجمه و ترابطها و تناسقها في الكتاب الواحد كما قدمناه عنه . و هذه البراعة لم يدعها أحد من النقاد و الشراح لواحد من رواة البخاري أو نساخ صحيحه ، و لو أن أحدهم أو بعضهم كان بمكنته ذلك لما اتفقت جماعتهم على ترتيب واحد ، و لحدث في النسخ تباين واسع في السياق و الترتيب ، و واقع حال (الجامع الصحيح) يخالف ذلك .18

-5- و ما ذكره بعضهم من أنه (وقع من بعض من نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث الى حديث لم يذكر فيه باب ، فأشكل فهمه على الناظر فيه) . و كذلك دعوى من قال بأن البخاري ترك الكتاب نسودة . فهذا و ذاك قد أبطلهما الإمام بدر الدين بن جماعة ، فقال في كتابه (مناسبا تراجم البخاري) : " فإن الإمام ابا عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري سبق بوضع كتاب الجامع الصحيح الذي أجمع على صحته الأئمة من أهل التعديل و الجرح ، و ضمن تراجم بعض الأبواب ما يبعد فهمه من حديث ذلك الباب ، و أوقع ذلك بعض التباس على كثير من الناس ، فبعضهم مصوب له و متعجب من حسن فهمه ، و بعض نسبه الى التقصير في فهمه و علمه ، و هؤلاء ما أنصفوه لأنهم لم يعرفوه .

و بعض قال : لم يبيض الكتاب و هو قول مردود ، فإنه أسمع الكتاب مرارا على طريقة أهل هذا الشأن ، و أخذه عنه الأئمة الأكابر من البلدان . و بعض قال : جاء ذلك من تحريف النساخ ، و هو قول مردود ، فإنه لم يزل مرويا من أئمة الحديث على شرطهم ، من تصحيحهم له و ضبطهم ".19

-6- أن الحافظ قد نص في غير موضع من هدي الساري على أن البخاري قد نقل كتابه الى المبيضة ، و رد على من زعم خلاف ذلك ، ففي آخر الفصل الثاني بين بكلام نفيس مقاصد البخاري في تراجمه و ختم ذلك بقوله : " و للغفلة عن هذه المقاصد الدقيقة ، اعتقد من لم يمعن النظر ، أنه ترك الكتاب بلا تبييض ، و من تأمل ظفر ، و من جد وجد " . و

[1818] ص 376

[19] مناسبات تراجم البخاري 26-27 الدار السلفية ط 1 .1984

ابن حجر و صحيح البخاري

في موضع أخر ذكر الحافظ أن البخاري صنف الجامع الصحيح في البلاد و ابتدأ تصنيفه و ترتيبه في المسجد الحرام ، ثم كان يخرج الأحاديث في بلدته و غيرها ، ثم ذكر حكاية تحويله تراجمه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم و منبره ، فقال : " و لا ينافي هذا ما تقدم ، لأنه يحمل على أنه في الأول كتبه في المسودة ، و هنا حوله من المسودة الى المبيضة "

-7- و رد ذلك أيضا العلامة المحدث شهاب الدين القسطلاني في مقدمة شرحه " إرشاد الساري " محتجا بأن " الكتاب قرئ على مؤلفه ، و لا ريب أنه لم يقرأعليه إلامرتبا مبوبا ".

-9-قال : " لكن الإشكال الأكبر الذي عانى منه ابن حجر العسقلاني ، و بينه في مقدمة كتاب الفتح ، هو أنه حتى القرن التاسع الهجري أي بعد مرور ستة قرون على وفاة محمد بن اسماعيل البخاري ، فإلى ذلك العهد لم بكن هناك نسخة واحدة موحدة لصحيح البخاري ، بل وجد ابن حجر ثلاث عشرة نسخة ، و كل واحدة منها تختلف عن الأخرى ، و بعد أن أورد هاته النسخ و ذكر رواتها و أسانيدهاٌ ال : " فليقع الشروع في الشرح و الإقتصار على أتقن الروايات عندنا و هي رواية أبي ذر عن مشايخه الثلاثة لضبطه لها و تمييزه لإختلاف سياقها مع التنبيه إلى ما يحتاج إليه مما يخالفها " مقدمة الفتح ص 6.

و هذا معناه أن النسخ الأخرى كانت بالنسبة للبخاري غير موثوق بها ، مثل نسخة أبي ذر ، و أن شرحه لصحيح البخاري سيعتمد بالأساس على نسخة أبي ذر الهروي ، مع الإعتماد على النسخ الأخرى فيما يخالف نسخته . و هذا يهني أن ابن حجر صنع نسخة أخرى جديدة .، تعتمد في جوهرها على نسخة أبي ذر ، مع نفحة مختلطة من باقي النسخ التي لم تصل لدرجة الأوثق عنده " [20]

-1- كل من درس علم تحقيق الكتب يعلم أن وجود عدة نسخ لكتاب واحد أمر طبيعي ، و أن وجود إختلافات في هذه النسخ أمر لا في صحة الكتاب أو ينقص من قيمته ، ما لم توجد إختلافات تغير من مضمون الكتاب و محتواه .!

[20] ص 267

-2- معلوم أن البخاري درس كتابه و أسمعه أزيد من عشرين سنة ، و قد رواه عنه رواة حفاظ أمثال الفربري و ابن معقل و البزدوي و حماد بن شاكر . و قد رواه عن هؤلاء تلاميذهم . و طبيعي أن التلاميذ سمعوا الجامع الصحيح من شيوخهم في أوقات متفرقة و أماكن مختلفة ، مع ما يصاحب ذلك من اختلاف نسخهم عن شيخهم ، كما أنه لا يمكن أن يكون كل هؤلاء الرواة في درجة واحدة من الضبط و الإتقان ، بحيث لا يقع في سماعهم و كتابتهم أي اختلاف في الألفاظ أو التراجم ، أو سهو ، أو سقوط بعض الأحاديث .

-3- تكلم الحافظ على الرواية الأتقن عنده ، و لم يصف باقي الروايات الأخرى بأنها غير موثوقة –كما زعم أيلال – ، فهناك فرق بين نسخة متقنة و أخرى أقل إتقان ، كما يعرف ذلك كل من مارس أو درس علم تحقيق المخطوطات و نشر الكتب .

-4- الحافظ لم يخرج نسخة أخرى مختلطة ، بل طبق قواعد تحقيق النصوص ، فاعتمد على نسخة أتقن و جعلها هي الأصل ، ثم أورد عليها في الحواشي اختلاف النسخ الأخرى للمقارنة و الموازنة ، و هذا ما يجهله أو يتجاهله أيلال !

-5- جهود الحافظ في تحقيق الجامع الصحيح

أولا : الإحاطة بالجامع الصحيح رواية و دراية .

لقد إعتنى الحافظ بصحيح البخاري ما لم يعتن بغيره من الكتب ، و ما لم يعتن به عالم آخر بصحيح البخاري ، أو بغيره من كتب الإسلام ، فقد صنف الحافظ كتبا كثيرة جدا تتعلق بصحيح البخاري خاصة أو به مع غيره .

فالكتب التي ألفها و تخص الصحيح هي :

1. هدي الساري .
2. فتح الباري
3. تغليق التعليق.
4. التشويق.
5. التوفيق.
6. تجريد التفسير من صحيح البخاري.
7. بيان ما أخرجه البخاري عاليا .

ابن حجر و صحيح البخاري

8. ثلاثيات البخاري.
9. المهمل من شيوخ البخاري.
10. فوائد الإحتفال في بيان أحوال الرجال المذكورين في صحيح البخاري زيادة على ما في تهذيب الكمال .
11. بغية الراوي بأبدال البخاري.
12. النكت على تنقيح الزركشي .
13. انتقاص الإعتراض.
14. الإستنصار على الطاعن المعثار .
15. شرح كبير للبخاري. و أخر ملخص له .
16. الإعلام بمن ذكر في البخاري من الأعلام .

و من الكتب التي صنفها و تتعلق بالصحيح و غيره :

1. أطراف الصحيحين .
2. الجمع بين الصحيحين .
3. تلخيص الجمع بين الصحيحين .
4. النكت الظراف .
5. تهذيب التهذيب .
6. تقريب التهذيب .

و بهذا فإن الحافظ ابن حجر قد أحاط بالصحيح رواية و دراية ، و أصبح عارفا بكل وقائعه حتى أصبح – بحق – قيم صحيح البخاري ، و فكاك طلسماته ، و حلال غوامضه ، و كشاف خفاياه ، و مظهر فوائده ، و كنوزه ، و خباياه .[21]

ثانيا : حصره للنسخ و ذكره لأسانيده الى الجامع الصحيح .

صدر الحافظ شرحه للجامع الصحيح بذكر روايات الصحيح و أسانيده إليه . قال : " و قد رأيت أن أبدأ الشرح بأسانيدي إلى الصل ، بالسماع أو الإجازة ، و أن أسوقها على نمط

[21] الحافظ ابن حجر أمير المؤمنين في الحديث ص 491

مخترع ، فإني سمعت بعض الفضلاء يقول : الأسانيد أنساب الكتب ، فأحببت أن أسوق هذه الأسانيد مساق الأنساب . فأقول و بالله التوفيق :

إتصلت لنا رواية البخاري عنه من طريق :

-1- أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري ، و كانت وفاته في سنة عشرين و ثلاثمائة ، و كان سماعه للصحيح مرتين ، مرة بفربر سنة ثمان و أربعين ، و مرة ببخارى سنة اثنتين و خمسين و مائتين .

-2- و من طريق ابراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي ، و كان من الحفاظ و له تصانيف ، و كانت وفاته سنة أربع و تسعين و مائتين ، و كان فاته من الجامع أوراق رواها بالإجازة عن البخاري ، نبه على ذلك أبو علي الجياني في تقييد المهمل .

-3- و من طريق حماد بن شاكر النسوي ، و أظنه مات في حدود التسعين ، و له فيه فوت أيضا .

-4- و من رواية أبي طلحة منصور بن محمد بن علي بن قرينة ، بقاف و نون بوزن يسيرة – البزدوي – بفتح الموحدة و سكون الزاي – و كانت وفاته سنة تسع و عشرين و ثلاثمائة ، و هو آخر من حدث عن البخاري بصحيحه ، كما جزم به ابن ماكولا و غيره ، و قد عاش بعده ممن سمع من البخاري : القاضي الحسين بن اسماعيل المحاملي ببغداد ، و لكن لم يكن عنده الجامع الصحيح ، و انما سمع منه مجالس أملاها ببغداد في آخر قدمة قدمها البخاري ، و قد غلط من روى الصحيح من طريق المحتملي غلطا فاحشا "[22]

و بعد ذلك أخذ في ذكر أسانيده الى الصحيح :

قال : " فأما رواية الفربري فاتصلت إلينا عنه من طريق :

1. أبي علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن .
2. و الحافظ أبي اسحاق ابراهيم بن أحمد المستملي .
3. و أبي نصر أحمد بن محمد بن أحمد الأخسيكتي .
4. و الفقيه أبي زيد محمد بن أحمد المروزي .
5. و أبي علي محمد بن عمر بن شبويه .

---

[22] الفتح 1/7-8

ابن حجر و صحيح البخاري

6. و أبي أحمد محمد بم محمد الجرجاني .
7. و أبي محمد عبد الله بن أحمد السرخسي .
8. و أبي الهيثم محمد بن مكي الكشميهني .
9. و أبي علي اسماعيل بن محمد بن أحمد بن حاجب الكشاني ، و هو اخر من حدث بالصحيح عن الفربري .[23]

و لنأخذ مثالا على أحد أسانيده الى البخاري ، رواية الجهني عن ابن السكن ، و رواية أبي ذر ، ليقف القارئ على طرق تحمله و روايته للصحيح .

قال : " فأما رواية الفربري فاتصلت إلينا عنه من طريق أبي علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن ...

فأما رواية الجهني عن ابن السكن ، فأخبرنا بها أبو علي محمد بن أحمد بن علي ابن عبد العزيز مشافهة عن يحي بن محمد بن سعد و آخروين عن جعفر بن علي الهمداني عن عبد الله بن عبد الرحمن الديباجي عن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي الباهلي قال : حدثنا الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الجياني في كتاب تقييد المهمل له قال أخبرني بصحيح البخاري القاضي أبو عمر أحمد بن محمد بن الحذاء بقرائتي عليه و أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الحافظ إجازة قالا : حدثنا أبو محمد الجهني و كان ثقة ضابطا بسنده.

و أما رواية أبي ذر عن شيوخه الثلاثة فقرئ على أبي محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان المكي بها و أنا أسمع و أجاز لي ما فاتني منه ، قال : أنبأنا إمام المقام أبو أحمد ابراهيم بن محمد بن أبي بكر الطبري أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي حرمي المكي سماعا عليه بجميعه سوى من قوله : باب { و إلى مدين أخاهم شعيبا }إلى قوله : باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فإجازة ، أنبأنا أبو الحسن علي بن حميد بن عمار الطرابلسي أنبأنا أبو مكتوم عيسى با الحافظ أبي ذر عبد الله بن أحمد الهروي أنبأنا أبي ."

---

[23] الفتح 7/1

و بعد أن ساق أسانيده و بين اتصالها الى رواة الصحيح عن البخاري ، إختار رواية الفربري عن البخاري . و بعد دراسته للروايات عن الفربري ترجحت عنده رواية أبي ذر عن شيوخه الثلاثة لأنها الأتقن لما امتاز به راويها ابي ذر من الضبط و الحفظ و الإتقان . قال رحمه الله : " فليقع الشروع في الشرح و الإقتصار على أتقن الروايات عندنا و هي رواية أبي ذر عن مشايخه الثلاثة لضبطه لها و تمييزه لإختلاف سياقها مع التنبيه إلى ما يحتاج إليه مما يخالفها " .

-3- النسخة الأم المعتمدة عند الحافظ .

اتبع الحافظ منهجية علمية دقيقة في المقارنة بين نسخ الجامع التي وصلت إليه ، فأمعن النظر و التحقيق في هذه النسخ ، و الموازنة بينها لإنتخاب " النسخة الأم " الأكثر إتقانا و ضبطا . و انتهى رحمه الله من عملية الفرز بانتخاب نسخة الإمام الحافظ أبي ذر و جعلها اصلا لشرحه ، و بين السبب وراء هذا الإختيار ، و أنه راجع الى ضبط ابي زيد لروايته ، ثُم تمييزه – رحمه الله – لإختلاف سياقها .

و بعد جعله لهذه الرواية هي الأصل نبه انه عصد هذه الرواية بغيرها من الروايات ، فأبرز أوجه الإتفاق و الإختلاف ..

-4- براعته في مقابلة النسخ و مقارنة و تخريج الروايات .

أوفى الحافظ بما وعد في منهجه في التحقيق من اعتماده على نسخة الهروي مع " التنبيه الى ما ما يحتاج إليه مما يخالفها " . و من أمثلة ذلك :

- جاء في شرح حديث المسور بن مخرمة رقم 2581 باب الشروط في الجهاد و المصالحة مع أهل الكتاب 296/1 : قوله كانوا يقتتلون كذا لأبي ذر وللباقين كادوا بالدال وهو الصواب لأنه لم يقع بينهم قتال وإنما حكى ذلك عروة بن مسعود الثقفي لما رجع إلى قريش ليعلمهم شدة تعظيم الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ويمكن أن يكون أطلق القتال مبالغة ." فهنا نجد الحافظ يجعل رواية أبي ذر مرجوحة و غيرها هو الراجح !
- باب: هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟

ابن حجر و صحيح البخاري

حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثني ابن الأصبهاني، قال: سمعت أبا صالح ذكوان، يحدث عن أبي سعيد الخدري قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها، إلا كان لها حجابا من النار» فقالت امرأة: واثنتين؟ فقال: «واثنتين»

(قوله باب هل يجعل) : أي الإمام وللأصيلي وكريمة يجعل بضم أوله وعندهما يوم بالرفع لأجل ذلك قوله على حدة بكسر المهملة وفتح الدال المهملة المخففة أي ناحية وحدهن والهاء عوض عن الواو المحذوفة كما قالوا في عدة من الوعد"

- تحقيقه لحديث عائشة : حدثنا حجاج، حدثنا شعبة، ح وحدثني علي بن عبد الله، حدثنا شبابة، حدثنا شعبة، حدثنا أبو عمران، قال: سمعت طلحة بن عبد الله، عن عائشة رضي الله عنها، قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك بابا»
- قال الحافظ : (قوله باب أي الجوار أقرب).. قوله وحدثنا علي كذا للأكثر غير منسوب وفي رواية بن السكن وكريمة علي بن عبد الله ولا بن شبويه علي بن المديني ورجح أبو علي الحياني أنه علي بن سلمة اللبقي بفتح اللام والموحدة بعدها قاف وبه جزم الكلاباذي وبن طاهر وهو الذي ثبت في رواية المستملي وهذا يشعر بأن البخاري لم ينسبه وإنما نسبه من نسبه من الرواة بحسب ما ظهر له فإن كان كذلك فالأرجح أنه بن المديني لأن العادة أن الإطلاق إنما ينصرف لمن يكون أشهر وبن المديني أشهر من اللبقي ومن عادة البخاري إذا أطلق الرواية عن علي إنما يقصد به علي بن المديني.[24]
- -5- براعته في تتبع الروايات و تخريجها .

أما في تتبع الروايات و تخريجها ، فقد فاق أقرانه و أتى فيها بالعجب . و كمثال على ذلك ، تخريجه لحديث (إنما الأعمال بالنيات) .

[24] الفتح 438/4

قال رحمه الله : " روى أبو موسى المريني عن بعض مشايخه مذاكرة عن الحافظ أبي إسماعيل الأنصاري الهروي قال : كتبته من حديث سبعمائة من أصحاب يحي . قلت : و أنا أستبعد صحة هذا ، فقد تتبعت طرقه من الروايات المشهورة و الأجزاء المنثورة منذ طلبت الحديث على وقتي هذا ، فما قدرت على تكميل المائة ، و قد تتبعت طرق غيره ، فزادت على ما نقل عمن تقدم كما سيأتي كتال ذلك في الكلام على حديث ابن عمر في غسل الجمعة إن شاء الله تعالى " [25]

- ابن حجر و رجال الصحيح

قال أيلال : " بل هناك مشكل في رجال البخاري ، و الذين تم الطعن فيهم حسب قول ابن حجر العسقلاني " [26]

عقد الحافظ فصلا ماتعا مهما في مقدمته لمناقشة بعض الطعون التي وجهت لبعض رواة الصحيح . فقال : " الفصل التاسع في سياق أسماء من طعن فيه من رجال هذا الكتاب مرتبا لهم على حروف المعجم ، والجواب عن الاعتراضات موضعا موضعا ، وتمييز من إخرج له منهم في الأصول أو في المتابعات والاستشهادات مفصلا لذلك جميعه .
وقبل الخوض فيه ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين . وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح ، فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما .هذا إذا خرج له في الأصول ، فإما إن خرج له في المتابعات والشواهد والتعاليق ، فهذا يتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره ، مع حصول اسم الصدق لهم . وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنا ، فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام ، فلا يقبل إلا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي ، وفي ضبطه مطلقا أو في ضبطه لخبر بعينه .لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة ،منها ما يقدح ومنها ما لا يقدح . وقد كان الشيخ أبو

[25] الفتح 11/1
[26] ص 261

ابن حجر و صحيح البخاري

الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح : هذا جاز القنطرة ، يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه . قال الشيخ أبو الفتح القشيري في مختصره : وهكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه إلا بحجة ظاهرة ، وبيان شاف يزيد في غلبة الظن على المعنى الذي قدمناه من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما .

قلت فلا يقبل الطعن في أحد منهم إلا بقادح واضح لأن أسباب الجرح مختلفة ومدارها على خمسة أشياء : البدعة أو المخالفة أو الغلط أو جهالة الحال أو دعوى الانقطاع في السند بأن يدعي في الراوي أنه كان يدلس أو يرسل ، فأما جهالة الحال فمندفعة عن جميع من أخرج لهم في الصحيح ، لأن شرط الصحيح أن يكون راويه معروفا بالعدالة ، فمن زعم أن أحدا منهم مجهول فكأنه نازع المصنف في دعواه أنه معروف، ولا شك أن المدعي لمعرفته مقدم على من يدعي عدم معرفته لما مع المثبت من زيادة العلم.

ومع ذلك فلا تجد في رجال الصحيح ، أحدا ممن يسوغ إطلاق اسم الجهالة عليه أصلا كما سنبينه . وأما الغلط فتارة يكثر من الراوي ، وتارة يقل ، فحيث يوصف بكونه كثير الغلط ينظر فيما أخرج له ، إن وجد مرويا عنده أو عند غيره من رواية غير هذا الموصوف بالغلط، علم أن المعتمد أصل الحديث لا خصوص هذه الطريق ، وأن لم يوجد إلا من طريقه فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هذا سبيله، وليس في الصحيح بحمد الله من ذلك شيء . وحيث يوصف بقلة الغلط ، كما يقال سيء الحفظ أوله أو اهام أوله مناكير وغير ذلك من العبارات ، فالحكم فيه كالحكم في الذي قبله ، إلا أن الرواية عن هؤلاء في المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك .

وأما المخالفة وينشأ عنها الشذوذ والنكارة ، فإذا روى الضابط والصدوق شيئا فرواه من هو أحفظ منه ، أو أكثر عددا بخلاف ما روى بحيث يتعذر الجمع على قواعد المحدثين فهذا شاذ . وقد تشتد المخالفة أو يضعف الحفظ فيحكم على ما يخالف فيه بكونه منكرا وهذا ليس في الصحيح منه الا نزر يسير ، قد بين في الفصل الذي قبله بحمد الله تعالى .

وأما دعوى الانقطاع فمدفوعة عمن أخرج لهم البخاري ، لما علم من شرطه ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو إرسال أن تسبر أحاديثهم الموجودة عنده بالعنعنة ، فإن وجد التصريح بالسماع فيها اندفع الاعتراض وإلا فلا .

وأما البدعة فالموصوف بها أما أن يكون ممن يكفر بها أو يفسق ، فالمكفر بها لا بد أن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة، كما في غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الإلهية في علي أو غيره ، أو الإيمان برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك ، وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شيء البتة.

والمفسق بها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغلون ذلك الغلو ، وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأصول السنة خلافا ظاهرا ، لكنه مستند إلى تأويل ظاهرة سائغ ، فقد اختلف أهل السنة في قبول حديث من هذا سبيله ، إذا كان معروفا بالتحرز من الكذب مشهورا بالسلامه من خوارم المروأة ، موصوفا بالديانة والعبادة . فقيل يقبل مطلقا وقيل يرد مطلقا ، والثالث التفصيل بين أن يكون داعية أو غير داعية ، فيقبل غير الداعيه ويرد حديث الداعيه وهذا المذهب : هو الأعدل وصارت إليه طوائف من الأئمة ، وادعى بن حبان إجماع أهل النقل عليه ، لكن في دعوى ذلك نظر . ثم اختلف القائلين بهذا التفصيل فبعضهم أطلق ذلك وبعضهم زاده تفصيلا فقال: ان اشتملت رواية غير الداعيه على ما يشيد بدعته ويزينه ويحسنه ظاهرا فلا تقبل ، وأن لم تشتمل فتقبل. وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه في عكسه في حق الداعيه فقال : أن اشتملت روايته على ما يرد بدعته قبل وإلا فلا ، وعلى هذا إذا اشتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له ببدعته أصلا هل ترد مطلقا أو تقبل مطلقا ؟ مال أبو الفتح القشيري إلى تفصيل آخر فيه فقال : إن وافقه غيره فلا يلتفت إليه ، هو اخماد لبدعته واطفاء لناره . وأن لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث الا عنده مع ما وصفنا من صدقه وتحرزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته، فينبغي أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة اهانته وإطفاء بدعته والله أعلم .

وأعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد فينبغي التنبه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بحق ، وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا في أمر الدنيا

ابن حجر و صحيح البخاري

فضعفوهم لذلك ، ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط والله الموفق. وأبعد ذلك كله من الاعتبار تضعيف من ضعف بعض الرواة بأمر يكون الحمل فيه على غيره أو للتجامل بين الأقران، وأشد من ذلك تضعيف من ضعف من هو أوثق منه أو أعلى قدرا أو أعرف بالحديث ، فكل هذا لا يعتبر به وقد عقدت فصلا مستقلا سردت فيه أسماءهم في آخر هذا الفصل بعون الله." [27]

- أمثلة لبعض الرواة المتكلم فيهم :

أحمد بن بشير الكوفي أبو بكر مولى عمرو بن حريث المخزومي : قال النسائي ليس بذلك القوي ، وقال عثمان الدارمي متروك ، وقواه بن معين وأبو زرعة وغيرهما .أخرج له البخاري حديثا واحدا تابعه عليه مروان بن معاوية وأبو أسامة ، وهو في كتاب الطب . فأما تضعيف النسائي له فمشعر بأنه غير حافظ ، وأما كلام عثمان الدارمي فقد رده الخطيب بأنه اشتبه عليه بواو آخر اتفق اسمه واسم أبيه وهو كما قال الخطيب رحمه الله تعالى . وروى له الترمذي وابن ماجة .

أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي روى عنه البخاري أحاديث بعضها قال فيه حدثنا وبعضها قال فيه قال أحمد بن شبيب ، ووثقه أبو حاتم الرازي وقال بن عدي وثقه أهل العراق ، وكتب عنه علي بن المديني. وقال أبو الفتح الأزدي منكر الحديث غير مرضي ولا عبرة بقول الأزدي لأنه هو ضعيف فكيف يعتمد في تضعيف الثقات. وسيأتي في ترجمة أبيه ثناء بن عدي على أحاديثه، وقد روى له النسائي وأبو داود في كتاب الناسخ والمنسوخ .

أحمد بن صالح المصري أبو جعفر بن الطبري أحد أئمة الحديث الحفاظ المتقنين الجامعين بين الفقه والحديث ، أكثر عنه البخاري وأبو داود واعتمده الذهلي في كثير من أحاديث أهل الحجاز، ووثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فيما نقله عنه البخاري وعلي بن المديني و ابن نمير والعجلي وأبو حاتم الرازي وآخرون . وأما النسائي فكان سيء الرأي فيه ذكره مرة فقال ليس بثقة ولا مأمون ، أخبرني معاوية بن صالح قال: سألت يحيى بن معين عن أحمد بن صالح فقال: كذاب يتفلسف رأيته يخطئ في الجامع بمصر .

---

[27] 404-403

فاستند النسائي في تضعيفه إلى ما حكاه عن يحيى بن معين وهو وهم منه حمله على اعتقاده سوء رأيه في أحمد بن صالح ، فنذكر أولا السبب الحامل له على سوء رأيه فيه ثم نذكر وجه وهمه في نقله ذلك عن يحيى بن معين. قال أبو جعفر العقيلي : كان أحمد بن صالح لا يحدث أحدا حتى يسأل عنه فلما أن قدم النسائي مصر جاء إليه وقد صحب قوما من أهل الحديث لا يرضاهم أحمد ، فأبى أن يحدثه فذهب النسائي فجمع الأحاديث التي وهم فيها أحمد وشرع يشنع عليه، وما ضره ذلك شيئا . وأحمد بن صالح إمام ثقة وقال بن عدي كان النسائي ينكر عليه أحاديث وهو من الحفاظ المشهورين بمعرفة الحديث ، ثم ذكر بن عدي الأحاديث التي أنكرها النسائي وأجاب عنها وليس في البخاري مع ذلك منها شيء . وقال صالح جزرة لم يكن بمصر أحد يحفظ الحديث غير أحمد بن صالح ، وكان يذاكر بحديث الزهري ويحفظه . وقال بن حبان ما رواه النسائي عن يحيى بن معين في حق أحمد بن صالح فهو وهم ، وذلك أن أحمد بن صالح الذي تكلم فيه بن معين هو رجل آخر غير بن الطبري ، وكان يقال له الأشمومي وكان مشهورا بوضع الحديث ، وأما ابن الطبري فكان يقارب بن معين في الضبط والإتقان انتهى .

وهو في غاية التحرير ويؤيد ما نقلناه أولا عن البخاري ، أن يحيى بن معين وثق أحمد بن صالح بن الطبري ، فتبين أن النسائي انفرد بتضعيف أحمد بن صالح بما لا يقبل ،حتى قال الخليلي : اتفق الحفاظ على أن كلامه فيه تحامل وهو كما قال . وروى البخاري في الصحيح أيضا عن رجل عنه وكذا الترمذي ..

ابن حجر و صحيح البخاري

ابن حجر و انتقادات النقاد

عقد الحافظ الفصل الثامن لمناقشة انتقادات الدارقطني و غيره من النقاد ، بحيث أورد الأحاديث المنتقدة و اجاب عنها حديثا حديثا . و قبل الخوض في مناقشة النقاد صدر هذا الفصل بمقدمة ماتعة نافعة إحتوت دررا من المسائل الحديثية ، و أبانت على علو كعبه في علم الحديث و علله .

من هذه الفوائد :

1. أكثر هذه الإنتقادات لا تقدح في أصل موضوع الكتاب .

قال رحمه الله : " وقبل الخوض فيه ينبغي لكل منصف أن يعلم أن هذه الأحاديث وإن كان أكثرها لا يقدح في أصل موضوع الكتاب ، فإن جميعها وارد من جهة أخرى وهي ما ادعاه الإمام أبو عمرو بن الصلاح وغيره من الإجماع على تلقي هذا الكتاب بالقبول والتسليم لصحة جميع ما فيه "

و قال : " فهذه جملة أقسام ما انتقده الأئمة على الصحيح وقد حررتها وحققتها وقسمتها وفصلتها ، لا يظهر منها ما يؤثر في أصل موضوع الكتاب بحمد الله إلا النادر. "

2. الأحاديث المنتقدة مستثناة من الإجماع على تلقيه بالقبول :

قال : " فإن هذه المواضع متنازع في صحتها فلم يحصل لها من التلقي ما حصل لمعظم الكتاب ، وقد تعرض لذلك بن الصلاح في قوله إلا مواضع يسيرة انتقدها عليه الدارقطني وغيره . وقال في مقدمة شرح مسلم له : ما أخذ عليهما يعني على البخاري ومسلم وقدح فيه معتمد من الحفاظ فهو مستثنى مما ذكرناه لعدم الإجماع على تلقيه بالقبول انتهى وهو احتراز حسن. "

3. أجيب عن أكثر هاته الإنتقادات :

قال : " واختلف كلام الشيخ محي الدين في هذه المواضع فقال في مقدمة شرح مسلم ما نصه : فصل قد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلا فيها بشرطهما ونزلت عن درجة ما التزماه ، وقد ألف الدارقطني في ذلك ولأبي مسعود الدمشقي أيضا عليهما استدراك ولأبي علي الغساني في جزء العلل من التقييد استدراك عليهما. وقد أجيب عن

ذلك أو أكثره . وقال في مقدمة شرح البخاري : فصل قد استدرك الدارقطني على البخاري ومسلم أحاديث فطعن في بعضها ، وذلك الطعن مبني على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جدا مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول وغيرهم ، فلا تغتر بذلك . انتهى كلامه وسيظهر من سياقها والبحث فيها على التفصيل أنها ليست كلها كذلك ، وقوله في شرح مسلم :" وقد أجيب عن ذلك أو أكثره هو الصواب " ، فإن منها ما الجواب عنه غير منتهض كما سيأتي .

4. الأحاديث المعلقة ليست من موضوع الكتاب و لم يتعرض لها الدارقطني :

قال : " الجواب عما يتعلق بالمعلق سهل لأن موضوع الكتابين إنما هو للمسندات، والمعلق ليس بمسند ، ولهذا لم يتعرض الدارقطني فيما تتبعه على الصحيحين إلى الأحاديث المعلقة التي لم توصل في موضع آخر ، لعلمه بأنها ليست من موضوع الكتاب وإنما ذكرت استئناسا واستشهادا والله أعلم .

وقد ذكرنا الأسباب الحاملة للمصنف على تخريج ذلك التعليق، وأن مراده بذلك : أن يكون الكتاب جامعا لأكثر الأحاديث التي يحتج بها ، إلا أن منها ما هو على شرطه فساقه سياق أصل الكتاب ، ومنها ما هو على غير شرطه ، فغاير السياق في إيراده ليمتاز، فانتفى إيراد المعلقات وبقي الكلام فيما علل من الأحاديث المسندات. "

5. عدة الأحاديث المنتقدة :

قال : " وعدة ما اجتمع لنا من ذلك مما في كتاب البخاري ، وإن شاركه مسلم في بعضه مائة وعشرة أحاديث . منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا ، ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا ."

6. جواب الحافظ على هذه الإنتقادات :

قال : " والجواب عنه على سبيل الإجمال أن نقول :

لا ريب في تقديم البخاري ثم مسلم على أهل عصرهما ، ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمعلل فإنهم لا يختلفون في أن علي بن المديني كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وعنه أخذ البخاري ذلك حتى كان يقول ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني ومع ذلك فكان علي بن المديني إذا بلغه ذلك عن البخاري يقول دعوا قوله فإنه ما

رأى مثل نفسه وكان محمد بن يحيى الذهلي أعلم أهل عصره بعلل حديث الزهري وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعا ، وروى الفربري عن البخاري قال : ما أدخلت في الصحيح حديثا إلا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته . وقال مكي بن عبد الله : سمعت مسلم بن الحجاج يقول:" عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي فكل ما أشار أن له علة تركته " . فإذا عرف وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له ، أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما . فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهما ، ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة .

وأما من حيث التفصيل : فالأحاديث التي انتقدت عليهما تنقسم أقساما .

القسم الأول منها : ما تختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الإسناد ، فإن أخرج صاحب الصحيح الطريق المزيدة وعلله الناقد بالطريق الناقصة ، فهو تعليل مردود كما صرح به الدارقطني فيما سيحكيه عنه في الحديث الخامس والأربعين . لأن الراوي إن كان سمعه فالزيادة لا تضر لأنه قد يكون سمعه بواسطة عن شيخه ثم لقيه فسمعه منه ، وإن كان لم يسمعه في الطريق الناقصة فهو منقطع ، والمنقطع من قسم الضعيف والضعيف لا يعل الصحيح وستأتي أمثله ذلك في الحديث الثاني والثامن وغيرهما. وإن أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيدة تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيما صححه المصنف ، فينظر إن كان ذلك الراوي صحابيا أو ثقة غير مدلس ، قد أدرك من روى عنه إدراكا بينا أو صرح بالسماع إن كان مدلسا من طريق أخرى . فإن وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك وإن لم يوجد ، وكان الانقطاع فيه ظاهرا فمحصل الجواب عن صاحب الصحيح أنه : إنما أخرج مثل ذلك في باب ماله متابع وعاضد ، أو ما حفته قرينة في الجملة تقويه ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع كما سنوضح ذلك في الكلام على الحديث الرابع والعشرين من هذه الأحاديث وغيره. وربما علل بعض النقاد أحاديث أدعى فيها الانقطاع ، لكونها غير مسموعة كما في الأحاديث المروية بالمكاتبة والإجازة وهذا لا يلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالإجازة ، بل في تخريج صاحب الصحيح لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالإجازة عنده ، وقد أشرنا إلى ذلك في الحديث السادس والثلاثين وغيره .

ابن حجر و صحيح البخاري

القسم الثاني منها : ما تختلف الرواة فيه بتغيير رجال بعض الإسناد ، فالجواب عنه إن أمكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الراوي على الوجهين جميعا ، فأخرجهما المصنف ولم يقتصر على أحدهما حيث يكون المختلفون في ذلك متعادلين في الحفظ والعدد كما في الحديث الثامن والأربعين وغيره . وإن أمتنع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متقاربين في الحفظ والعدد ، فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير إليها كما في الحديث السابع عشر . فالتعليل بجميع ذلك من أجل مجرد الاختلاف غير قادح ، إذ لا يلزم من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الضعف ، فينبغي الإعراض أيضا عما هذا سبيله والله أعلم .

القسم الثالث منها : ما تفرد بعض الرواة بزيادة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضبط ممن لم يذكرها ، فهذا لا يؤثر التعليل به إلا إن كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر الجمع ، إما إن كانت الزيادة لا منافاة فيها بحيث تكون كالحديث المستقل فلا ، اللهم إلا إن وضح بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة في المتن من كلام بعض رواته، فما كان من هذا القسم فهو مؤثر كما في الحديث الرابع والثلاثين .

القسم الرابع منها : ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف من الرواة ، وليس في هذا الصحيح من هذا القبيل غير حديثين ، وهما السابع والثلاثون والثالث والأربعون كما سيأتي الكلام عليهما وتبيين أن كلا منهما قد توبع .

القسم الخامس منها : ما حكم فيه بالوهم على بعض رجاله ، فمنه ما يؤثر ذلك الوهم قدحا ومنه ما لا يؤثر كما سيأتي تفصيله .

القسم السادس منها : ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن ، فهذا أكثره لا يترتب عليه قدح لإمكان الجمع في المختلف من ذلك أو الترجيح ، على أن الدارقطني وغيره من أئمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء ذلك من الكتابين ، كما تعرضوا لذلك في الإسناد .فما لم يتعرضوا له من ذلك حديث جابر في قصة الجمل، وحديثه في وفاء دين أبيه ،وحديث رافع بن خديج في المخابرة ،وحديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين ، وحديث سهل بن سعد في قصة الواهبة نفسها ، وحديث أنس في افتتاح القراءة بالحمد لله رب العالمين ، وحديث بن عباس

في قصة السائلة عن نذر أمها وأختها ، وغير ذلك مما سنأتي إن شاء الله تعالى على بيانه عند شرحه في أماكنه .

فهذه جملة أقسام ما انتقده الأئمة على الصحيح وقد حررتها وحققتها وقسمتها وفصلتها لا يظهر منها ما يؤثر في أصل موضوع الكتاب بحمد الله إلا النادر. "

ثم قال – رحمه الله- بعض أن أجاب عن هذه الإنتقادات : " هذا جميع ما تعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الأسانيد المطلعون على خفايا الطرق ، وليست كلها من أفراد البخاري بل شاركه مسلم في كثير منها ،كما تراه واضحا ومرقوما عليه رقم مسلم وهو صورة م وعدة ذلك اثنان وثلاثون حديثا . فأفراده منها ثمانية وسبعون فقط وليست كلها قادحة ، بل أكثرها الجواب عنه ظاهر ، والقدح فيه مندفع ، وبعضها الجواب عنه محتمل ، واليسير منه في الجواب عنه تعسف ،كما شرحته مجملا في أول الفصل وأوضحته مبينا أثر كل حديث منها . فإذا تأمل المصنف ما حررته من ذلك، عظم مقدار هذا المصنف في نفسه ، وجل تصنيفه في عينه ،وعذر الأئمة من أهل العلم في تلقيه بالقبول والتسليم ، وتقديمهم له على كل مصنف في الحديث والقديم .وليسا سواء من يدفع بالصدر ، فلا يأمن دعوى العصبية ، ومن يدفع بيد الإنصاف على القواعد المرضية والضوابط المرعية . فلله الحمد الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والله المستعان وعليه التكلان. "

فانظر أخي القارئ لهذا الكلام الذي يفيض ثناءا و مدحا للصحيح وصاحبه ، و انظر دفاعه عن الصحيح بعدل و احسان ، و استهدي بنصيحته للباحث المنصف ، و لا تكن صاحب هوى و عصبية كصاحب الخرافة !

تفنيد شبه أيلال حول إختلاف النسخ

أولا : جهل أيلال بطرق رواية الكتب الحديثية

تجاسر أيلال على الخوض في علم يجهل أبجدياته ، ففضح نفسه عند أهل الإختصاص و المعرفة ، و ظهر جليا حهله باصول علم الرواية و أداب الضبط و الكتابة . و بما أن الجهل رحم بين أهله ، فإن المناوئ إنتشى طربا بأقوال منجانا التي تنم عن جهلهما بطرق و أصول الرواية و التحمل عند علماء المسلمين .

فهذا القاضي عياض مفخرة المالكية ألف كتابا عظيما سماه (الإلماع الى معرفة أصول الرواية و تقييد السماع) ، جاء فيه بما يبهر و قعد فيه قواعد لتحقيق النصوص و الكتب قبل أن يهتدي لذلك علماء الغرب بقرون عديدة !

قال رحمه الله : " اعلم أن طريق النقل ووجوه الأخذ وأصول الرواية على أنواع كثيرة ويجمعها ثمانية ضروب وكل ضرب منها له فروع وشعوب ومنها ما يتفق عليه في الرواية والعمل ومنها ما يختلف فيه فيهما جميعا أو في أحدها كما سنوضحه إن شاء الله تعالى:
أولها السماع من لفظ الشيخ ، وثانيها القراءة عليه ، وثالثها المناولة ، ورابعها الكتابة ، وخامسها الإجازة ، وسادسها الإعلام للطالب بأن هذه الكتب روايته ، وسابعها وصيته بكتبه له ، وثامنها الوقوف على خط الراوي فقط."[1]

- السماع من لفظ الشيخ :

يعد أعلى هذه الطرق و ألصقها بتوثيق المرويات و الكتب ، و قد فضله العلماء على باقي الطرق من أجل المحافظة على الأصول الخطية للكتاب الواحد و عدم السماح بتداخل الروايات بعضها في بعض.

1 لإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع .المحقق: السيد أحمد صقر
الناشر: دار التراث / المكتبة العتيقة - القاهرة / تونس
الطبعة: الأولى، 1379هـ - 1970م

قال عياض : " و هو منقسم الى إملاء أو تحديث ، و سواء كان من حفظه أو القراءة من كتابه ، و هو أرفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرين "[1]

- القراءة على الشيخ :

و هي أن يقرأ الراوي أو غيره من كتاب أو من حفظه ، و الشيخ حافظ لما يقرأ عليه أو ماسك بأصله . قال عياض : " لا خلاف أنها رواية صحيحة " [2]

و كاان الطلبة يسارعون في مجلس الشيخ بالقيام بأمور كثيرة لحفظ و تثبيت و توثيق مروياتهم و كتبهم ، منها : تقييد الرواية في كتاب حين السماع ، و معارضة نسخهم بنسخة شيخهم ، ثم حفظ مكتوبهم .

و كل هذه الوسائل طبقت على الصحيح : فقد سمع من مؤلفه مباشرة و قرئ في مجلسه مرات ، و كتب الطلبة لأنفسهم نسخا منه .. فهذا الفربري راوية الصحيح ثبت سماعه من البخاري في السنوات الأخيرة قبل موته رحمه الله ، و لا ريب أنه سمعه منه مرتبا مبوبا ، و عندما حصل على إحدى أصول الصحيح ووجد فيها بياضات قام بالحاق التراجم مع الأبواب تحت الأحاديث التي تخصها كما سمع ذلك من فم البخاري !

- المناولة

قال عياض : " أرفعها أن يدفع الشيخ كتابه الذي رواه أو نسخة منه وقد صححها أو أحاديث من حديثه وقد انتخبها وكتبها بخطه أو كتبت عنه فعرفها فيقول للطالب هذه روايتي فاروها عني ويدفعها إليه أو يقول له خذها فانسخها وقابل بها ثم اصرفها إلي وقد أجزت لك أن تحدث بها عني أو اروها عني أو يأتيه الطالب بنسخة صحيحة من رواية الشيخ أو بجزء من حديثه فيقف عليه الشيخ ويعرفه ويحقق جميعه وصحته ويجيزه له .فهذا كله عند مالك وجماعة من العلماء بمنزلة السماع ."[3]

و قال : " من المناولة أن يعرض الشيخ كتابه ويناوله الطالب ويأذن له في الحديث به عنه ثم يمسكه الشيخ عنده ولا يمكنه منه

---

[1] ص 69

[2] ص 70

[3] ص 79

تفنيد شبه أيلال حول إختلاف النسخ

فهذه مناولة صحيحة أيضا تصح بها الرواية والعمل على ما تقدم لكن بعد وقوع كتاب الشيخ ذلك للطالب بعينه أو انتساخه نسخه منه أو تصحيح كتابه متى أمكنه بكتابه أو بنسخه وثق بمقابلتها منه." [1]

- الوجادة :

و هي الوقوف على كتاب بخط المؤلف ، و اعتبر هذا الضرب أدنى مراتب الرواية و النقل .
و اشترطوا لقبوله شروطا منها :

- أن يكون الكتاب بخط مؤلفه .
- أن يكون خطه مشهورا معلوما .
- أن يتثبت من صحة خطه.
- أن لا يقول عند رواية الكتاب " حدثنا و أخبرنا " و إنما يقول : وجدت بخط فلان ، و قرأت في كتاب فلان بخطه .[2]

ثانيا : هل اختلاف نسخ الصحيح دليل على عدم أليف البخاري لكتابه ؟

قال : " من الضربان القاصمة الموجهة لكتاب صحيح البخاري مسالة اختلاف النسخ " [3]

فليذكر لنا المجهول كتابا حديثيا أو فقهيا أو في أي فن آخر لم تختلف نسخه ؟! ، و هل اختلاف النسخ أثر في أصل الكتاب و مضمونه ؟

ثم نقل كلام ابي الوليد الباجي تلبيسا على القراء ، مع أن كلام الباجي أورده الحافظ في مسألة إختلاف التراجم تقديما و تأخيرا !!

قال : " و اختلاف هاته الروايات اختلافا كبيرا بشكل لا يمكن تجاهله ، و ان حاول ابن حجر و غيره التقليل من شأن هاته المسألة ، لكن اختلاف النسخ له دلالة قوية على أن

---

[1] ص 82
[22] ص 116-117
[3] ص 269

صحيح البخاري الذي بين أيدينا لا يمكن الجزم بنسبته لشيخ محمد بن اسماعيل البخاري ، بل الإختلاف في هاته النسخ لمن الشواهد القوية التي تبرهن لنا عن براءة البخاري من هذا الكتاب .."

يمكن تصديق كلامه لو أثبت لنا أنه قام بدراسة علمية موضوعية هادئة للصحيح ، استقرأ من خلالها جميع نسخ و روايات الجامع الصحيح ، ثم خلص في نهاية بحثه الى أن اختلاف النسخ يعد اختلافا كبيرا مؤثرا في أصل الكتاب ؟!!

لكنه لم يبحث أو يدرس ، بل نقل كلام ابي رية و بنى عليه أحكاما باطلة مستهجنة بحجة أن العقل الراجح لا يتقبل أن النسخ جاءت مختلفة من أناس نسخوا من نفس المخطوطة !

ثم قام بحشو كتابه بنقول من بحث (الروايات المنتقدة بسبب اختلاف نسخ صحيح البخاري) في حدود ثلاث صفحات .[1]

فصاحب البحث المشار اليه يجل الإمام البخاري و كتابه الجامع الصحيح ، و يعتقد بعظيم إمامته و كبير منزلته بين جهابذة علماء الأمة ، و يرى أن الجامع الصحيح من تأليف إمام الصنعة ، و أن إختلاف النسخ أمر طبيعي لكتاب كثر رواته و ناقلوه ، و الغريب أنه ليس في البحث أي إشارة الى أن هاته الإختلافات مؤثرة في أصل الكتاب ، وأنها تدل على الكتاب الذي بأيدينا ليس من تأليف البخاري كما إفترى الجهول الكذوب !

إن سماع الصحيح من رواته و مقابلة نسخة الراوي على أصل شيخه من الصحيح من أقوى طرق حفظ الكتب و صحة نسبتها لصاحبها ، و لا يمكن الطعن بأي حال من الأحوال الطعن في نسبة الكتاب لمؤلفه بدعوى اختلاف النسخ .

قال العلامة ابن الوزير – رحمه الله –في معرض بيانه أن سماع الكتب المصنفة، يعد من أقوى المراسيل لوجوه– :

[1] من ص 271 الى 273

تفنيد شبه أيلال حول إختلاف النسخ

أحدها: أن الكتابَ معلومٌ بالضرورة على سبيل الإجمال أنه تأليف لصاحبه، فإنَّا نعلم بالضرورة أن محمدَ بن إسماعيل البخاري صنَّف كتاباً في الحديث، وأنه هذا المقروء المسموع المتداول بينَ الناس.

وثانيها: أن أهلَ الكذب والتحريف قد يئسُوا من الكذب في هذه الكتب المسموعة، فكما أنه لا يُمْكِنُ أحداً أن يُدْخِلَ في " اللمع " مسألة في جواز المسح على الخُفين ويقول: إنه مذهب الهادي –عليه السلام– ويخفي ذلك على حُفَّاظ مذهبه –عليه السلام– فكذلك لا يُمْكِنُ أحداً أن يزيدَ في صحيح البخاري حديثَ " القُرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق " ولا حديثَ " أبو بكر خليفتي على أمتي " ونحو ذلك من الموضوعات.

وثالثها: أن النُّسَخ المختلفة كالرواة المختلفين، واتفاقُها يدل على صحة ما فيها عن البخاري قطعاً، أو ظاهراً، فإنك إذا وجدتَ الحديثَ في نسخة منه نُسِخَتْ باليمنِ، ووجدتَه في نسخةٍ نسخت بالمغرب، وفي نسخةٍ نُسِخَتْ بالشام، ونحو ذلك، ووجدتَه في شرحه الذي شرحه عالم في بعض أقطار الإسلام، ووجدتَه في الكتب المستخرجة من الصَّحاح الجامعة لما فيها، والمختصرة منها فتجده في " جامع الأصول " لأبي السعادات ابن الأثير، وتجده في كتاب " المنتقى في الأحكام " لعبد السَّلام ابن تيميَّة، وتجدهُ في كتاب " الإلمام " للشيخ تقي الدِّين محمد بن علي القُشيري، وتجده في كتاب " الجمع بين الصحيحين " للحافظ الحُمَيْدِيّ. وتجده في كتب الفقه البسيطة التي يُشرح فيها مذاهبُ العلماء ويذكر فيها حُجَجُهُمْ.

وهذه الكتبُ قد تُوجدُ كُلُّها وقد يُوجد منها كثيرٌ، ولا شكَّ أن الناظر فيها إن لم يستفِدِ العلمَ الضَّروري باستحالة تواطؤ مصنِّفيها على محضِ الكذب والمباهتة، لأنه يستحيلُ اجتماعُهم واتفاقُهم على ذلك، لِتباعد أزمانِهم وبُلدانهم، واختلافِ أغراضهم ومذاهبهم، وأقلُّ الأحوال

أن ذلك يُفيدُ الظَّنَّ الغالِبَ المقارِبَ للعلم، فإذا كان الأئمةُ قد نصُّوا على قَبولِ المرسل مع خُلوِّهِ من هذه القرائن فكيف ينكر على من قَبِلَهُ مع هذه القرائن الكثيرة، فإذا كان المعتمد في الاجتهاد هو الظن المطلَق، فكيف يُنكر على من استند إلى مثل هذا الظنِّ القوي.[1]

[1] الكتاب: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم 1/306-307
المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: 840هـ)
حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط
الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت
الطبعة: الثالثة، 1415 هـ - 1994 م

تفنيد شبهات وإبطال أكذوبات أيلال حول نسخة منجانا

-1-الطعن في العلماء المحتفين بنسخة منجانا ، بحيث تعجب من تكلس عقولهم ، و تحجرها لأنهم لا يعرفون شيئا عنها ، و أنهم لو بحثوا لوجدوا أمورا لا تخدم حقا ما يحاولون إثباته ![1]

-2- الكذب على الدكتور السلوم ، و تقويله ما لم يقل !

قال : " الملاحظ أ، أحمد بن فارس السلوم غاضب جدا من منجانا و مخطوطة البخاري ، حيث قام بإضافة النسخة الى منجانا بتعبير يبرز أنه رافض رفضا باتا هاته النسخة و الدراسة المرافقة لها . فهو يعتبر أن ما جاء به منجانا مجرد أباطيل و حقد و حسد تندرج في اطار منهج المستشرقين المزيف "[2]

ليس في كلام الدكتور السلوم ما يشعر أنه غاضب ! و أنه يرفض هذه النسخة . فالدكتور كان بصدد بيان المنهج العلمي الذي يجب اتباعه في الرد على شبه المستشرقين عامة ، و على منجانا خاصة فيما أورده من شبه في دراسته على نسخة المروزي .

ثم كيف لمن لم يستطع فهم كلام الدكتور السلوم أن يبني عليه استنتاجات باطلة كاذبة ؟! أ لم يميز أيلال أن الدكتور لم يرفض النسخة ، و إنما رفض الشبه التي جاءت في دراسة منجانا ؟!و التي ترجع الى جهل هذا الأخير و اقتحامه لساحة ميدان ليس من فرسانه !

-3- عاد أيلال الى اسلوبه الأثير : أسلوب الارهاب و الإقصاء ، ما الداعي الى وصف الدكتور السلوم أنه "وهابي سلفي "في بحث بعيد عن مبحث العقائد و الفرق ؟ سوى الرغبة في تنفير القراء منه و وضع حاجز نفسي لتقبل كلام الدكتور بحجة انه وهابي متطرف متزمت كما يحلو للعلمانيين وصف خصومهم .

---

[1] ص 244
[2] ص246

ثم إن وصفه أنه من " شيوخ السلفية المعتمدين " فيه نظر . كان على ايلال أن يذكر لنا من قال بذلك ؟

فالدكتور السلوم من مواليد 1975 ، سوري الأصل تخرج من كلية القرآن في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ثم حصل على الماجستير من كلية الشريعة جامعة الكويت ، ثم الدكتوراه من كلية الأداب و العلوم الإنسانية بمدينة فاس المغربية .

فهو من العلماء الشباب ، فلماذا جعل من شيوخ الوهابية السلفية المعتمدين ؟

-4- من شبه منجانا

- عدم وجود نسخة بخط البخاري .

- وجود (أخبرنا البخاري) و اعتبر ذلك دليل على أن المؤلف لم يكن نفسه هو الذي كتب الكتاب ، بل أحد تلامذته .

و عقب على ذلك أيلال قائلا : فالقول ب : (حدثنا فلان أن فلانا قال) لا تعني بأي حال من الأحوال أن هناكإجازة من الراوي لمن يروي عنه بنسخ النص أو الكتاب . بل هي روايات تاريخية قد تكون صحيحة و قد تكون غير صحيحة على أن البخاري قال هذا الكلام .[1]

- اختلاف نسخة المروزي عن باقي النسخ (اختلاف في الألفاظ ، اختلاف في ترتيب الكتب).

- قال ايلال معقبا على كلام منجانا : " اذن لهؤلاء الذين يتغنون بمخطوطة منجانا لصحيح البخاري ، هاهو منجانا يصدمهم بالحقيقة المرة ، و هي أن أقدم مخطوطة لصحيح البخاري في العالم تختلف عن باقي مخطوطات الصحيح ، فأي المخطوطات نصدق ؟[2]

---

[1] ص 247
[2] ص248

تفنيد شبهات وإبطال أكذوبات أيلال حول نسخة منجانا

كلامه – هذا – يكشف بجلاء جهله الفاضح و عدم إطلاعه على ما كتب حول روايات الصحيح و نسخه . فما طار به فرحا ، و اعتبره صدمة بالحقيقة المرة ، أمر يعلمه صغار طلبة علم الحديث ، و هي وجود نسخ للصحيح – و لغيره من الكتب الحديثية – مختلفة . و لو راجع أيلال ما كتبه القاضي عياض ، اليونيني ، ابن حجر ، النووي ، القسطلاني و غيرهم من شراح الصحيح لما كشف لنا عن عورته !

-5- من المضحكات المبكيات إعتبار أيلال كلام الدكتور السلوم "كلاما ركيكا غريبا " . فكيف يصف أيلال كلام السلوم ركيكا و هو الذي فاض كتابه لحنا و ركاكة !

ثم إن الدكتور عندما تكلم عن اختلاف النسخ و بين أسبابه فهو عليم بما يقول ، دارس و متبحر في ميدانه ، بقر بطون الكتب و استقرأ كلام العلماء ، ثم خلص الى هاته النتائج التي ذكرها في بحثه .

أما أيلال فمقلد لما قاله منجانا من غير فهم ، فأين إعمال العقل و تحكيمه من الرضوخ لما كتبه منجانا من غير دراسة أو بحث ؟!و هو الذي قال معترضا على ما ذكره الدكتور (و هذا كلام فيه خبء معناه أنه ليس لنا عقول) [1]

-5- اعتبر منجانا أن : شراح البخاري لم تتوفر لديهم نسخة قديمة لصحيح البخاري ، بل لم تتوفر لهم حتى نسخ تلاميذه . و ذهب أن استقرار نص البخاري في شكله النهائي كان على يد أبي ذر و أبي الوقت ، و اعتبرهم من الرواة المحققين الأوائل . و اعتبر عملهم من ناحية النقل القديم لنص البخاري ليس له قيمة كبيرة .

و علق أيلال على هذا الكلام بالقول : " فكل متمعن في هذا الكلام يرى كيف حاول منجانا من خلال دراسته أن يبرز أن صحيح البخاري كان تأليفه تدريجيا و عبر العصور ، فكل شيخ من شيوخ الحديث الذين تعاملوا مع هذا الكتاب زادوا فيه أو نقصوا ليستقر

[11] ص 249

بشكله النهائي – حسب منجانا – خلال أواسط القرن السادس الهجري ، أي بعد مرور أزيد من 300 سنة على وفاة البخاري ."[1]

أولا : استنتاجات منجانا الباطلة راجعة الى أمور منها :

- أنه ليس من علماء التحقيق و هذا ظاهر في مخالفته لقواعد تحقيق المخطوط كما ذهب الى ذلك علماء الغرب و علماء المسلمين . و من القواعد المقررة عندهم :
  - لم يوجبوا وجود نسخة بخط المؤلف
  - اعتبارهم بوجود نسخة بخط عالم أو قرئت على عالم
  - اختلاف النسخ أمر طبيعي اذا لم يكن اختلافا مؤثرا على أصل الكتاب .
- جهله بطرائق التحمل و نقل الكتب عند العلماء المسلمين .
- أن كتاب البخاري كان معروفا مشتهرا بين الناس و له نسخ معروفة بأيدي العلماء و عليها سماعاتهم .

ثانيا : أيلال و منهج التلفيق و الكذب :

- لم يذكر منجانا أن الرواة زادوا في الصحيح و نقصوا منه ، بل تكلم على اختلاف نسخ الرواة قبل أبي ذر و أبي الوقت !
- كذبه الصراح أن الصحيح كان تأليفه تدريجيا عبر العصور حتى أواسط القرن السادس
- الزيادات التي ذكرها منجانا ، و تغنى فرحا بها أيلال ، ليس مجهولة عند المتخصصين ، و غير مؤثرة في نص الصحيح و لو نظر في عمل اليونيني أو ابن حجر لعلم طريقة العلماء المحققين في توثيق نصوص الكتب و الموازنة بين النسخ والترجيح بينها .
- -6- هل النسخة التي نشرها منجانا هي فعلا نسخة للمروزي ؟

قال : " بعد هذا نطرح السؤال المجهري هنا ، حول ما إذا كانت هاته النسخة التي جاء بها منجانا هي فعلا للمروزي تلميذ الفربري .. كيف نعرف على أنها للمروزي أو بروايته في

[1] ص 250

تفنيد شبهات وإبطال أكذوبات أيلال حول نسخة منجانا

غياب اسم ناسخها و لا تاريخ النسخ ؟ ..هل اعتمدوا على الوسائل العلمية الكيميائية في التعرف على تاريخ المخطوطات ؟ لا أبدا فقد اعتمدوا التخمين فقط و اعتمدوا على الظن[1]

لعلماء التحقيق طرق لإثبات النص الى صاحبه منها :

- قدم الخط و انه من خطوط تلك الفترة الزمنية .فالخط في نسخة منجانا – حسب الدكتور السلوم – أشبه ما يكون بخطوط القرن الرابع.
- سوق الإسناد المتصل الى صاحب الكتاب : " بدأ الناسخ أول الجزء بالتصريح بالسماع من أبي زيد وكذلك أوائل الكتب، وهذا ما أعلمنا بنسب النسخة وإسنادها وقدمها.

قال أول الجزء: أخبرنا أبو زيد محمد بن أحمد قال: حدثنا محمد بن يوسف قال أخبرنا البخاري...

ثم يبدأ في أول إسناد كل حديث بقوله: أخبرنا البخاري قال.... "

- كتابتها في حياة صاحبها : " وأما ما ورد في دراسة منجانا وتبعه سزكين وغيره من تحديد تاريخ كتابتها سنة 370 فهذا لم أجد في النسخة ما يدل عليه، وقد استنتجه منجانا استنتاجا كما يظهر من دراسته ولم يجده نصا، حيث جعله قبل تاريخ وفاة أبي زيد بسنة واحدة ، فإن ابا زيد توفي سنة 371 ، فافترض أن النسخة مكتوبة في زمانه لأجل التصريح باسمه فيها فجعله قبيل وفاته بسنة.

ولكن قدم الخط أولا، وسوق الإسناد من أبي زيد ثانيا قد يدل على هذا التاريخ ، وعلى أن النسخة كتبت في حياة أبي زيد أو على الأقل في حياة راوٍ عن أبي زيد، والأول أرجح .."

وجود سماعات على النسخة ." على النسخة سماعات عدة ، بعضها على الصفحة الأولى وبعضها في تضاعيف الكتاب.

[1] ص251

المقابلات والمراجعات:

ثبت في الصفحة الأولى من النسخة ما صورته :

قال محمد بن أحمد المصعولي(في دراسة منجانا المصعوبي): قابلت نسختي هذه بنسخة مقابلة بأصل عليه خط أبي الوقت وعلمت له: قت، ولماسقط عنده : س قت، هكذا ليعلم ذلك. وكان معنا نسخة بأصل أبي ذر فما كان فيه أيضا من الخلاف عليه : ذ فإنه له، وما كان عليه خ فإنه له نسخة ، والله الموفق.

فالمصعولي هذا قابل النسخة، وليست النسخة الأصل بخطه، بل حشاها بالمقابلة على روايتين أخريين ، هما رواية ابي الوقت وأبي ذر، وخطه في النسخة مميز من خط الأصل.

وهذه الطريقة التي اعتمدها هي طريقة العلماء في ضبط البخاري وتحقيقه، وسأبين ذلك بمزيد بسط في المبحث الآتي الذي يتكلم عن منهج العلماء في تحقيق البخاري .

- منهج ناسخ نسخة أبي زيد :

قال الدكتور فارس السلوم :" وفي نسختنا هذه، اعتمد في الأصل رواية أبي زيد المروزي، وهي من أحسن الروايات، وهو من أضبط الرواة، وإسناد النسخة ثابت في الأصل، ثم قام الناسخ (وإن شئت قلت: المحقق أو الباحث) بسوق إسناد روايات أخرى ليست في أصل الكتاب ، فذكر رواية كريمة وأبي الوقت، وهما مقيدان عنده في كتاب آخر، ثم اطلع على نسخة ابي ذر ولم يكن له فيها إسناد فيذكر وهذا كتاب آخر، فتحصل له نحو اربع كتب أي نسخ من صحيح البخاري، فاختار كتاب أبي زيد لما ذكرته عنه وعن روايته، ولحسن خطها وضبطها، فاعتمدها أصلا للتحقيق، ثم عمد إلى نسخ البخاري فرمز لها رموزا، وأثبت في هوامش النسخة الأصل فروقات هذه النسخ، فاستغنى بكتاب عن أربع كتب، جمع فيه ما تيسر له من روايات البخاري.

وقد وجد بالاستقراء أن الاختلاف بين النسخ يكون بإبدال كلمة مكان كلمة، أو زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، وقد تعامل نساخ البخاري مع هذه الفروقات، فالكلمة المختلف فيها يعيدون كتابتها في الهامش بالرواية الأخرى ويكتبون فوقها رمز الرواية.

تفنيد شبهات وإبطال أكذوبات أيلال حول نسخة منجانا

والسقط يرمزون له بـ: س ، ويحددونه بـ: من لا ، أو : ليس ثم يذكرون النسخة مرموزا لها، ويحددونه بـ: من إلى ونحو ذلك.

وأما التقديم والتأخير فيحددونه كتابة في الهامش.

وإذا اختلفت النسخ في ضبط الكلمة بحيث لا يمكن جمع الضبط في المتن فصل في الهامش، كما في نسختنا هذه لما ضبط "كخ كخ " بتنوين الكسر والضم وبالإسكان كتبه كله بالهامش مفصلا.

وكذلك ما كان مضروبا عليه يكتب ضرب عليه في نسخة كذا من إلى.

مثاله: قول البخاري: " وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فِي الْمُرِي ذَبَحَ الْخَمْرَ النِّينَانُ وَالشَّمْسُ " هذا ثابت في رواية أبي زيد وغيره ولكن في أصل القابسي مضروب عليه، وهو ثابت في أصل الأصيلي، بين ذلك تلميذهما المهلب في كتاب النصيح، ثم علل ضرب القابسي عليه في نسخته بأنه لم يعرف معناه إذ كان قد تصحف عليه! "

و قال عن هذا المنهج : " وهذا المنهج في تحقيق البخاري هو المعتمد عند العلماء، المستعمل بينهم. وهذه النسخة القديمة من رواية أبي زيد من أوضح الحجج على هذا المنهج " .

خطيئة لا خطأ

-1- قام بحشو كتابه بنقل حرفي لبحث الدكتور ابراهيم اليحيى بعنوان : " بيان النسخ الأصلية للجامع الصحيح للبخاري المحفوظة بمكتبة الملك عبد العزيز بالرياض " ، نقله عن موقع " أهل الحديث " من الصفحة 164 الى 239 ، في حدود 75 صفحة من حجم كتابه !!

و بعد هذا الحشو الذي لا طائل من ورائه سوى تكثير صفحات الكتاب ، و التلبيس على قرائه – الذين أغلبهم غير متخصص في علم التحقيق و دراسة المخطوطات – ، قام أيلال بمغالطات كبيرة لا يجسر على ارتكابها صغار طلبة العلم !! و لكن هذا المتعالم المنتفخ جهلا فضح نفسه و أزرى بمقامه عند ارباب التخصص !

يقول : " يتأكد لنا ....."

لما تجاسر المتعالم على الخوض في علم لا يفقه أبجدياته ، ظن أن ليس هناك من سيفضح جهالاته بل حمقه .

أولا : الاستاذ ابراهيم عبد العزيز اليحيى ، عالم بالمخطوطات و متخصص في علم التحقيق و الأرشفة ، فعندما يطلق لفظة (نسخ أصلية) فهو يعلم جيدا ما يكتب ، و يحترم مصطلحات علمه و فنه ، و هو الأن من الخبراء في تحقيق المخطوطات .

ثانيا : نقول العلماء في معنى (النسخة الأصلية)

--- علماء الغرب :

لم يشترط علماء الغرب وجود نسخة خطية بخط المؤلف ، حتى يثبتوا صحة الكتاب لمؤلفه ، بحيث كان ديدنهم أنهم إذا وجدوا نسخة من كتاب قديم منسوب لصاحبه قاموا بطبعه ، لا يبحثون عن نسخة المؤلف أو نسخ تلاميذه !

فيذكر (لا نجلوا) الفرنسي : " أن العلماء المحصلين أنفسهم – و مهمتهم أن ينشروا الوثائق – لم يكتشفوا فن تصحيح النصوص من أول وهلة ، فمنذ عهد غير بعيد كانت الوثائق تنشر عادة وفقا لأية مخطوطات إتفقت للناشر ! صحيحة كانت أو سقيمة ، مختلطة و مصصحة ، كما إتفقت ." 1

و بين (لانجلوا) أن منهجهم كان قائما على : الاستعانة بأية منخسة تقع في متناول اليد ، و إذا كانت النسخ المختلفة ليست من عصر واحد فيستعان بأقدمها 2

يقول الدكتور محمد حمدي البكري : " ..حينما إهتم القوم في أوربا بإحياء الأداب اليونانية و الاتينية ، فكانوا يومئذ إذا وجدوا كتابا من كتب القدماء قاموا بطبعه ، لا يبحثون عن النسخ الأخرى لهذا الكتاب ، و لا يصححون إلا أخطاءه البسيطة . فلما إرتقى علم الأداب القديمة عمدوا إلى جمع النسخ المتعددة لكتاب من كتب القدماء ، و إلى المقابلة بين هذه النسخ المتعددة . و كانوا كلما تخالفت النسخ في موضع من المواضع اختاروا إحدى الروايات المختلفة ، ووضعوها في نص الكتاب ، و قيدوا ما بقي من الروايات في الهوامش . و لكنهم مع ذلك تعمدوا انتقاء المهم منها ، و استنتجوا إصطلاحات حدسية ، يخالفون بها ما هو مروي في النسخ ...3

و مازال الأمر على هذا المنوال حتى أواسط القرن التاسع عشر ، حين بدأوا في وضع قواعد و أصول علمية لنشر الكتب متأثرين بما كتبه العلماء المسلمين .

و من هذه القواعد التي ذكرها (برجستراسر) في تةثيق النسخ :

-1- الأسلم أن يكون المؤلف هو كاتبها بيده ..4

---

[1] النقد التاريخي ص 75

[2] نفس المصدر ص 81

[3] أصول نقد النصوص و نشر الكتب ص 11

[4] أصول نقد النصوص و نشر الكتب ص 16

-2- الأهم من ذلك أن يكون الذي نقل النص ثقة مشهورا بفضله و علمه ..[1]

-3- ان لكل عالم مشهور طالبا نقل عنه سماعا أو استملاءا أو استنساخا ، و هذه الطرق كلها جيدة كافية بشرط أن يبذل الأستاذ جهده في التصحيح ، و أن يبذل الطلبة جهدهم في الكتابة و أن لا يجيز الأستاذ الكتاب إلا بعد قراءته كله .[2]

-4- المخطوط الذي نسخه عالم ثقة ، أو كان في حوزة عالم ، أو أكثر من الثقاة ، فقد كان يعتبر أنه يشتمل على نص موثوق به .[3]

-5- أن قدم التاريخ ليس وحده مبررا لتفضيلها .[4]

-6- ظهور نسخة كتبت بعد وفاة المؤلف لا يطعن في صحة الكتاب لمؤلفه

-7- ما كتبه النساخ دون نسخة العالم و الطالب .[5]

-8- قلة الأخطاء و التحريف في أسماء الأعلام دليل قوي على وثاقة الكتاب .[6]

-9- تناسب النسخ و عدم اختلافها إختلافا يغير مضمون الكتاب .[7]

-10- و كان يعتبر أن النسخة التي إنتسخت منها نسخ أخرى تسمى " نسخة أصلية " أو " النسخة الأم " [8]

و ذكر برجستراسر أمثلة لأخراج كتب دون إشتراط الحصول على نسخة بخط المؤلف :

-1- عيون الأنباء في طبقات الأطباء : لأبي أصيبعة نشره المستشرق (موللر) ، ألفه صاحبه سنة 643 هـ بدمشق ، ة استمر في تأليفه حتى و فاته سنة 668 هـ .

[1] أصول نقد النصوص و نشر الكتب ص 17

[2] نفس المصدر ص 17

[3] نفس المصدر ص 17

[4] ص 16

[5] ص18

[6] ص 18-19

[7] ص 23

[8] ص 19-20-25-26

قال برجستراسر : أقدم نسخة لهذا الكتاب كتبت سنة 712 هـ ، أي بعد و فاة مؤلفه بأقل من نصف قرن ، و لكنها كثيرة الخطأ ، و أحسن منها نسخة أخرى أحدث منها بثلاث قرون كتبت سنة 1017 هـ ، فهي و إن كانت فاسدة في بعض أجزائها إلا أنه يظهر أنها نسخت من أصل قديم قيم ، لأن أخطاءها قليلة .[1]

-2- كتاب اللمع : لأبي نصر عبد الله بن علي الطوسي ، المتوفي سنة 378 هـ .

قال برجستراسر : نشره نيكلسون في ليدن سنة 1914 م ، و له مخطوطتان : كتبت أقدمها سنة 548 هـ ، و كتبت الأخيرة منها سنة 683 هـ ، و القديمة و إن كانت غير كاملة في الظاهر ، فيها نقص في مواضع كثيرة تبلغ ثلث الكتاب ، و الموجود من هذه النسخة مرتب على ترتيب غير مفهوم ، فبنى الناشر طبعته على النسخة الحديثة ، و لم يستعمل النسخة القديمة إلا في تصحيح النص .[2]

-3- " قضاة مصر " " تسمية ولاة مصر " للكندي : نشرهما روبن جوست عن نسخة وحيدة للكتابين نسخت سنة 324 هـ .[3]

--- علماء المسلمين :

-1- لم يشترط العلماء الوقوف على نسخة بخط المؤلف ، حتى يتم نسبة الكتاب الى صاحبه .و كل من استقرأ كتب التراجم و الفهارس و المشيخات يقف على هذه الحقيقة .. بحيث ينسبون الكتب الى أصحابها بمجرد اشتهارها عنهم و ثبوت رواية المشايخ و الطلبة للكتاب عن صاحبه بالأسانيد المشهورة المعتمدة .

- امثلة لرواية بعض العلماء لكتاب صحيح البخاري

- منهج ابن النديم في نسبة الكتب لأصحابها من خلال كتابه " الفهرست "

---

[1] ص 16
[2] ص16
[3] ص 18

خطيئة لا خطأ

قال –رحمه الله -: " هذا فهرست كتب جميع الأمم، من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها، في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها، وطبقات مؤلفيها، وأنسابهم وتاريخ مواليدهم، ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم، منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة.[1]

و ذكر في كتابه أخبار جميع الطوائف و المذاهب الموجودة في العالم الإسلامي ، و ذكر مؤلفات أصحابها ، و نسبها إليهم دون إشتراط و جود نسخ منها بخط مؤلفيها .

و عندما تحدث عن أخبار فقهاء أصحاب الحديث ، ذكر منهم البخاري ، قال : " البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري من علماء المحدثين الثقات وله م من الكتب كتاب التاريخ الكبير كتاب التاريخ الصغير كتاب الأسماء والكني كتاب الضعفاء كتاب الصحيح كتاب السنن في الفقه كتاب الأدب كتاب التاريخ الأوسط كتاب خلق أفعال العباد كتاب القراءة خلف الامام."

و عن مسلم قال : مسلم بن الحجاج: أبو الحسين القشيري النيسابوري من المحدثين العلماء بالحديث والفقه وله من الكتب كتاب الصحيح كتاب الأسماء والكنى كتاب الاوحاد كتاب المفرد كتاب التاريخ كتاب الطبقات.[2] و هكذا دواليك يذكر لكل عالم كتبه المشهورة عنه . كما أنه يبين ما إذا كان أحد الكتب منسوبا لعالم ، قال في ترجمة يحيى بن معين : وتوفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وله من الكتب كتاب التاريخ عمله أصحابه عنه ولم يعمله هو.[3] و قال في ترجمة الخليل بن أحمد ، عند الكلام على كتاب " العين " المنسوب إليه : قرأت بخط أبي الفتح النحوي صاحب بني الفرات وكان صدوقا منقرا بحاثا قال أبو بكر بن دريد وقع بالبصرة كتاب العين سنة ثمان وأربعين قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية وأربعين جزءا فباعه بخمسين دينارا وكان سمع بهذا الكتاب أنه بخراسان في خزائن الطاهرية حتى قدم

[1] الفهرست ص 7 – دار المعرفة بيروت ط 2
[2] ص 282
[3] نفسه 282

به هذا الوراق وقيل ان الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان فوجه به إلى العراق من خزائن الطاهرية ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل أحد ولا روى في شيء من الاخبار أنه عمل هذا البتة وقيل أن الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة وان الخليل عمله له وأحذاه طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث.[1]

و على هذا المنهج صار العلماء حتى اليوم ، و نتحداه أن يثبت لنا بالنقل الصحيح الصريح إشتراط العلماء : الوقوف على أصل المؤلف بخطه كدليل على صحة الكتاب إلى صاحبه ! و هذه كتب التراجم و الفهارس و المشيخات أمامه !!

■ العلامة المحقق عبد السلام هارون :

قال رحمه الله : " أعلى النصوص هي المخطوطات التي وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب واسم مؤلفه، وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه، أو يكون قد أشار بكتابتها، أو أملاها، أو أجازها؛ ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعها عليها أو إقراره لها...وأمثال هذه النسخ تسمى نسخة الأم.

.. وتلى نسخة الأم النسخة المأخوذة منها، ثم فرعها ثم فرع فرعها وهكذا.. وهذا الضرب الثاني من المخطوطات يعد أصولا ثانوية إن وجد معهما الأصل الأول؛ وأما إذا عدم الأصل الأول فإن أوثق المخطوطات يرتقي إلى مرتبته، ثم يليه ما هو أقل منه وثوقا.[2]

كما أنه أطلق صفة الأصل على الكتب الموجودة ضمن كتب أخرى ، قال : " وهناك نوع من الأصول هو كالأبناء الأدعياء، وهي الأصول القديمة المنقولة في أثناء أصول أخرى؛ فقد جرى بعض المؤلفين على أن يضمنوا كتبهم -إن عفوا وإن عمدًا- كتابا أخرى أو جمهورًا عظيمًا منها.

ومن هؤلاء ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة، فقد ضمن ذلك الشرح كتبا كثيرة، أذكر منها وقعة صفين التي أمكنني أن أستخرجها نسخة كاملة لا ينقصها إلا نحو عشرين صفحة

---

[1] ص 65

[2] تحقيق النصوص و نشرها . مكتبة الخانجي ص 29 ط 7 .1998

خطيئة لا خطأ

من نحو 350 صفحة بعد أن قضيت في ذلك قرابة الشهر، وقد بينت ذلك الأرقام في مقدمتي لوقعة صفين التي نشرتها "سنة: 1365"1.

ومنها جمهور كبير من كتاب المغازي للواقدي، انتبسه في أثناء كتابه، وهو في الجزء الثالث من ص318-407 أي نحو مائة صفحة كبيرة تبلغ ثلاثمائة صفحة صغيرة.

ولعل أظهر مثال للأصول المضمنة ما أورده البغدادي صاحب خزانة الأدب، فقد أودعها كثيرا من صغار الكتب النادرة، منها كتاب فرحة الأديب لأبي محمد الأسود الأعرابي، وكتاب اللصوص لأبي سعيد السكري؛ كما تضمن قدرا صالحا من كتب النحو وكتب شرح الشواهد النحوية." 1

و ذكر أن بعض المحققين يطلق صفة " أصل ثانوي " على النسخ المطبوعة التي فقدت أصولها أو تعذر الوصول اليها .2 ثم قال : وإني لأذهب إلى هذا الرأي مع تحفظ شديد، وهو أن يتحقق الاطمئنان إلى ناشر المطبوعة والثقة به، فما نشره أمثال المصححين القدماء كالعلامة نصر الهوريني، والشيخ قطة العدوى، وكذا أعلام المستشرقين الثقات أمثال وستنفلد1 الألماني "fedrinand wuustenfeld" 1808-1899 وجاير الألماني "rudolf ceyer" 1861-1929 وبيفان الهولندي "bevan" 1859-1934 ولايل الإنجليزي "chrles lyall" 1845-1920 جدير بأن يكون أصولا "ثانوية"، كما تعد رواياتهم لأصولهم -إن لم نتمكن من الظفر بتلك الأصول -رواية ينتفع بها في مقابلة النصوص، لأنهم منزلون بمنزلة الرواة الثقات، ورواياتهم منزلة منزلة ما يسمية المحدثون بالوجادة.

وأما الطبعات التي تخرج للتجارة ولا يقول عليها محقق أمين فهي نسخ مهدرة بلا ريب، ومن الإخلال بأمانة العلم والأداء أن يعتمد عليها في التحقيق.3

أما المصورات من النسخ فهي بمنزلة أصلها ما كانت الصورة واضحة تامة تؤدي أصلها كل الأداء، فمصورة النسخة الأولى هي نسخة أولى، ومصورة الثانوية ثانوية أيضا. وهكذا.4

■ العلامة المحقق صلاح الدين المنجد

---

[1] ص 30
[2] ص 31
[3] ص31-32
[4] ص32

قال رحمه الله : ما يجب على المشتغل بالتحقيق معرفته : نشأة التدوين ، علم الخطوط ، علم المصادر و اصطلاحات الناسخين ، مصطلح الحديث .[1]

و قال في مبحث ترتيب النسخ :

-1- أحسن نسخة تعتمد للنشر نسخة كتبها المؤلف نفسه ، فهذه هي الأم . عند العثور على نسخة المؤلف يجب أن نبحث إذا كان المؤلف ألف كتابه على مراحل أو دفعة واحدة ، لنتأكد أن النسخة التي بين أيدينا هي آخر صورة كتب المؤلف بها كتابه .

-2- بعد نسخة المؤلف تأتي نسخة قرأها المصنف أو قرئت عليه ، و أثبت بخطه أنه قرئت عليه .

-3- ثم نسخة نقلت على نسخة المصنف أو عورضت بها و قوبلت عليها .

-4- ثم نسخة كتبت في عصر المصنف عليها سماعات العلماء .

-5- ثم نسخة كتبت في عصر المؤلف ليس عليها سماعات .

-6- نسخ أخرى كتبت بعد عصر المؤلف ، و في هذه النسخ يفضل الأقدم على المتأخر ، و التي كتبها عالم أو قرئت على عالم .

و قد تعرض حالات فنصادف نسخة متأخرة صحيحة مضبوطة ، تفضل نسخة أقدم منها ، فيها تصحيف أو تحريف . أو نسخة متأخرة جدا نسخت نسخا جيدا عن نسخة المصنف رأسا ، أو عن نسخة من عصر المصنف ، أو غير ذلك من الحالات الخاصة .[2]

■ شيخ المحققين الدكتور بشار عواد :

يرى أن النص الصحيح المطابق لما كتبه مؤلفه يتحقق بما يلي :

- الوصول الى النسخة التي كتبها المؤلف بخطه ، و أنه آخر ما ارتضاه لكتابه .
- أو إجتماع النسخ المعتمدة على قراءة واحدة ، أو أي وسيلة أخرى .[3]

---

[1] قواعد تحقيق المخطوطات ص 11

[2] قواعد تحقيق المخطوطات . ص 13 دار الكتاب الجديد بيروت ط 7 .1987

[3] تحقيق النصوص بين أخطاء المؤلفين و إصلاح الرواة و النساخ و المحققين . دار الغرب الإسلامي ط1 ص 9

أين هي نسخة البخاري الأصلية ؟

بحشو بالغ، بدأ يعرض شيئا من نسخ صحيح البخاري ليحكم بعدها بأنه كتاب غريب المصدر مجهول الأثر حيث إنه لم يعثر على نسخة البخاري نفسه، فيقال له: ما تقوله لو كان حجة، فإن الأمر يمتد إلى القرآن نفسه، فيقدر أي أحدٍ أن يقول أين هي النسخة التي كانت عند حفصة؟، وأين هي اللخاف والرقاع ونحوها مما كتب عليه القرآن أول مرة؟، ويظهر وقتها أن الخصومة ليس مع السنة فحسب! وإلا فإن الأمر لا يشترط له نسخة موقعة من البخاري نفسه، أو أن تبقى نسخة القرآن التي أودعت عند حفصة، فقد كان الحفظة موجودين، وليس هذا في القرآن فحسب، بل ولا الحديث فحسب، فحتى كتب الفقه، كان هناك من المعتنين بها، والحافظين لها، إلى درجة أن يقول القاضي الروياني على سبيل المثال: "لو احترقت كتب الشافعي كنت أمليتها من حفظي!") [1]

لعل أقوى حجج الكاتب زعمه أنه لا توجد نسخة لصحيح البخاري بخط صاحبه، وأقام الدنيا ولم يقعدها، وتحدى علماء الأمة أن يأتوا بنسخة بخطه، وهو أمر مضحك، يدل على كما أشرت سابقا الى عدم تمكنه من علم المخطوطات و التحقيق فليس هناك عاقل ولا باحث في علم "الكوديكولوجي" زعم أن ذلك شرط، . يعرف علماء المسلمين طريقتين لتلقي الطالب العلم والحديث من الشيخ، باللفظ المسموع والكتاب المقروء، أما اللفظ فأن يؤخذ العلم المسموع من لفظ الشيخ يمليه على الطلبة، يستظهره من حفظه أو من كتابه، أو يقرأ عليه الطلبة كتابه وهو يتابعهم مصححا ومقررا، وأما الخط فأن يناول الشيخ نسخة مصححة من كتابه لطالب فيمتلكها، أو يعيرها له لينتسخ منها، أو يرسلها إليه أو يوصي له بها، وكل هذا مع الإذن له بروايتها وهي الإجازة.

وقد شدد العلماء في ضبط الكتاب وتصحيحه حفظا للسنة من التصحيف والتحريف والزيادة والنقص، وقد بين أوجه ذلك القاضي عياض المالكي في ''الإلماع'' ألطف بيان وأحسنه.

[1] بيع الوهم ص 57

أخذ عن البخاري صحيحه جملةٌ من المحدثين الفضلاء، وقد اشتهر عند العلماء منهم محمد بن يوسف الفربري المتوفى سنة (320 هـ) وإبراهيم بن معقل النسفي (المتوفى سنة 295هـ) وحماد بن شاكر النسوي (المتوفى سنة 311هـ) وأبو طلحة منصور بن محمد البزدوي وأبو عبد الله المحاملي وآخرون.

وقد انتشرت روايتهم عند العلماء واعتمدوا عليها، ودخل الأندلس منها روايتان، رواية الفربري ورواية النسفي كما قال القاضي عياض في "الغنية"، وتميز الفربري بأن ملّكه البخاري نسخته الأصلية، فبقيت عنده ونقل منها عدد من الرواة، وقد انتشرت بين العلماء اثنا عشر رواية عنه، وهذا يكفي في الرد على "كاتبهم" المغربي، ويراجع في هذا كتاب قيم جدا بعنوان "روايات الجامع الصحيح ونسخه" للدكتور جمعة فتحي عبد الحليم.

سذاجة السؤال

من الأمور المؤسفة أننا نعيش في عصر يُطرح فيه مثل هذا السؤال الساذج؛ إذ مَن الذي يسأل عن النُّسخ الأصلية للكتب اليوم؟ فإذا بدأنا بالقرآن الكريم، فنحن نثق ثقة مطلقة بحفظ كتاب الله ومع ذلك لا نجد بين أيدينا النسخة الأصلية المكتوبة على عين الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا حتى النسخة الأصلية لمصحف عثمان! بل وعندما اكتشف العلماء في ألمانيا مخطوطة قديمة للقرآن تعود للعهد الراشدي، وأكّدوا أنها مطابقة لما بين يدينا من القرآن اليوم؛ لم يزدْ ذلك من يقيننا في كتاب الله شيئا! فإذا مضينا للكتب البشرية، وجدنا أنّ السذّج فقط هم من يعتبرون وجود النسخة الأصلية المكتوبة بخط الكاتب هو الدليل على صحة نسبة الكتاب إليه! كم كتابا قرأتم من عصرنا هذا أو من عصور سالفة لا توجد له نسخة أصلية بخط الكاتب؟! إنّ وجود النسخة الخطية لكاتب الكتاب لم تكن يوما ولن تكون مرجعا في إثبات موثوقية نسبة الكتاب إليه، وعلى هذا تواضع البشر منذ قرون، ذلك أنّ مسالك إثبات النسبة للكاتب تتعلق بتواتر نقل الكتاب وإثباته في عدة مراجع، وليس في وجود نسخة الكاتب الخطية.[1]

[1] شريف محمد جابر أين اختفتْ نسخة صحيح البخاري الأصلية؟ مدونات الجزيرة

أين هي نسخة البخاري الأصلية ؟

الطعن الأعوج

لعل أقوى حجج الكاتب زعمه أنه لا توجد نسخة لصحيح البخاري بخط صاحبه، وأقام الدنيا ولم يقعدها، وتحدى علماء الأمة أن يأتوا بنسخة بخطه، وهو أمر مضحك، يدل على جهله الفاضح بعلم المخطوطات و التحقيق فليس هناك عاقل ولا باحث في علم "**الكوديكولوجي**" زعم أن ذلك شرط، . يعرف علماء المسلمين طريقتين لتلقي الطالب العلم والحديث من الشيخ، باللفظ المسموع والكتاب المقروء، أما اللفظ فأن يؤخذ العلم المسموع من لفظ الشيخ يمليه على الطلبة، يستظهره من حفظه أو من كتابه، أو يقرأ عليه الطلبة كتابه وهو يتابعهم مصححا ومقررا، وأما الخط فأن يناول الشيخ نسخة مصححة من كتابه لطالب فيمتلكها، أو يعيرها له لينتسخ منها، أو يرسلها إليه أو يوصي له بها، وكل هذا مع الإذن له بروايتها وهي الإجازة.

وقد شدد العلماء في ضبط الكتاب وتصحيحه حفظا للسنة من التصحيف والتحريف والزيادة والنقص، وقد بين أوجه ذلك القاضي عياض المالكي في" **الإلماع** "ألطف بيان وأحسنه.

و قد إعتبر الدكتور محمد السايح أن صنيع أيلال و زمرته " طعنا أعوجا " غايته

الشك في المصادر الحافظة للحديث الموجودة بأيدينا الآن، وأنها ليست موثوقة في التعرف على السنة الصحيحة، فيدعي الطاعن، أن ما يشكل معناه من الأحاديث الصحيحة المتداولة في هذه المصادر، يستحيل صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه مخالف للقرءان المنزل عليه، أو مخالف للعقل، فوجوده في تلك المصادر مع مخالفته، لا يفسَّر إلا بدخول التحريف عليها، وأنه زيد فيها ما لم يقله النبي صلى الله عليه وسلم. فلا دليل على ثبوته فيها، حتى نعثر على النسخ الأصلية لتلك المصادر، كنسخة صحيح البخاري مثلا بخط بيده.

فإذا تعذر الحصول على تلك النسخ، فيسقط الاحتجاج بما في أيدينا من المصادر المتفرعة عنها، فتصير مجرد أساطير منسوجة، منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، عبر مؤلفين، لا يبعد أن يكونوا هم مجرد أساطير أيضا.

.. وهو يكرر التحدي للمسلمين جميعا، أن يعثروا على نسخة البخاري بخط يده، ويعلن في دروسه وتصريحاته الصحفية، أنه وصل إلى هذه النتيجة بعد سنوات من البحث، في مصادر علوم الحديث نفسها، ويحشد في سياق طعنه، نصوصا منتقاة من كلام نقاد الحديث القدامى، كالباجي وابن حجر وابن القيم وابن حزموالجياني وغيرهم، لإثبات علمية النقد.

.. ثم يتوعد باقي مصادر السنة،بعد القضاء على البخاري، بالتشكيك نفسه، لتلقى المصير نفسه، أي الدخول في عالم الأساطير.يقول في كتابه ص 243: "وللإشارة فقط فما قلناه حول مخطوطات صحيح البخاري ينطبق على كل كتب الحديث بلا استثناء ونحن اتخذنا صحيح البخاري نموذجا فقط لباقي هذه الكتب المسماة كتب الحديث".[1]

كيف نُقل إلينا صحيح البخاري؟

لا شكّ أنّ الإمام البخاري رحمه الله كتب جامعه الصحيح بخط يده، ولكنه قرأه على جمع غفير من التلاميذ الذين كانوا يسمعونه منه ويكتبون الكتاب كاملا، ثم يطابقونه بعد الانتهاء على نُسخته، بحيث تكون نُسخهم طبق الأصل عن نسخة البخاري. ثم جاء بعدهم جيل آخر سمع الكتاب من تلاميذ البخاري وقابلوا نُسخهم على نُسخ تلاميذ البخاري، وهكذا، حتى تواترت نسبة الكتاب، ولو ضاع الأصل الذي خطّه البخاري بيده فلن يعني ذلك شيئا؛ لكون الكتاب قد انتشر وفشا بين التلاميذ، وكثرتْ نُسخه التي على كلّ منها إسنادٌ يتصل بالبخاري، وكُتبت عليه الشروحات، وتطابقتْ جميع نُسخه بفضل الله. أما الاختلافات اليسيرة في الألفاظ فهي تشبه – إلى حدّ معيّن – ما في القرآن من اختلاف القراءات، وهي

---

[1] صحيح البخاري وبؤس الطاعنين

أين هي نسخة البخاري الأصلية ؟

في الواقع عاملُ زيادة في الموثوقية؛ ذلك أنّها تؤكد أنّ النقل قد تعدّد من مصادر مختلفة وصولا إلى الإمام البخاري..

فلو كان المعتمَد في صحيح البخاري نسخة متأخرة جدا عن البخاري لكان النسخ والطبع اللاحق عنها متطابقا دون أي اختلاف وإنْ كان هامشيّا، فانظر كيف أنّ هذه الاختلافات (اليسيرة جدا والهامشية) تزيد من موثوقية النقل لا العكس! ثم إنّ نسخة الإمام الفربري – تلميذ البخاري – قد اشتهرت، فشاع النقل عنها، لا لكون النقل محصورا بها، فقد نُقل صحيح البخاري بطرق أخرى، وهذا الإمام الخطابي (319-388 هـ) يقول في شرحه لصحيح البخاري "أعلام الحديث" إنّه سمع معظم الكتاب من خلف بن محمد الخيام عن إبراهيم بن معقل النسفي (ت 295 هـ) تلميذ البخاري الذي سمع الكتاب منه، أي من طريق آخر غير الفربري. وكذلك كان الأمر عند المتقدّمين، فقد شاع بينهم سماع الصحيح وروايته من طرق مختلفة غير تلك المشهورة اليوم، وتطابقتْ رواياتهم للصحيح مع تلك النسخة.

إنّ تطابقَ روايات صحيح البخاري ونُسخه مع تباعد الأقطار واختلاف الأزمنة وتعدّد المصادر عن البخاري؛ لهو خير دليل على تواتر الصحيح وموثوقية نقله عنه. ثم إنّ العلماء (كما هو حال معظم المنتجات العلمية) تشتهر بينهم نسخة معينة أو عدة نُسخ، لا لكونها الأصح أو لأنّ فيها ما ليس في غيرها، بل تلك طبيعة الأشياء. كما لو أنّ كاتبا معاصرا كتب كتابا قبل عشرات السنين، ثم طبعته عدة دور للنشر، ثم بعد عشرات السنين لم يبق على طباعته سوى إحدى تلك الدور، واشتهر كتابه من طبعة تلك الدار لأنّها الأجود طباعة وتحقيقا مثلا، مع نفاد نُسخ دور النشر الأخرى أو إهمال طباعتها، فلا يعني هذا أنّ مضمون هذه الطبعة مختلف عن بقية الطبعات!

وخلاصة الأمر في هذا الباب أنّ صحيح البخاري قد نُقل بالتواتر بعد مؤلّفه، ولم يكن باستطاعة أحد أصحاب النُسخ أن يضع فيها حديثا لم يروه البخاري أو يحرّف دون أن ينكشف أمره؛ فالعلماء من مختلف المذاهب لديهم الصحيح ويعرفون ما فيه، وأي رواية دخيلة سينكشف

أمرها لاختلافها عما لديهم، ولمعرفتهم بالأسانيد والرجال. فانظر إلى هذا الملمح المهم من التاريخ العلمي لأمتنا، وهو منهج الرواية والتدقيق ومقابلة النُّسخ اللاحقة على السابقة، والذي لن تجد له مثيلا في بقية الأمم الأخرى! وهذا يعني أنّ اختفاء النسخة الخطية التي كتبها الإمام البخاري لا يعني شيئا، بل هي طبيعة الأشياء؛ فنادرا ما تحتمل المخطوطات العوامل البيئة والتاريخية والعسكرية والسياسية وتنجو بعد 1200 عام![1]

لو جرت العادة في نقل العلم، بأن كل من صنف تأليفا، فإن وراثة ذلك العلم عنه، متوقفة على بقاء مصنفه بخط يده على مر العصور، ولا ينوب عن ذلك، أن تنسخ منه نسخٌ وعنها نسخٌ أخرى، يكتبها جيل بعد جيل. فلو توقفت الوراثة على ذلك، لما بقي من العلم القديم، شيءٌ يعول عليه؛ فأين كتب الفلاسفة القدماء، وأين كتب الرياضيين والفلكيين والأطباء بخطوط أيديهم؟ فلما وجدنا هذا العلم يُنقل، علمنا أنه قد حمل في معظمه، في غير المصنفات الأصلية، خصوصا عند اشتهار المصنفين وكثرة تلاميذهم. وهكذا وقع في المصنفات الحديثية أيضا. بل نزيد فنقول: إن المسلمين منعوا الاكتفاء بما يوجد من المصنفات الأصلية بخطوط أصحابها، حتى نستيقن بالرواية المتصلة عنهم، أنها لهم، فلا يكفي أن يجدوها دون رواية لها، متصلة بأصحابها."[2]

وجود النسخة ليس أقوى مما هو موجود من نقل الصحيح اليوم!

لو وجدت اليوم مخطوطة من البخاري في مكتبة من مكتبات العالم، وأثبت المتخصصون في دراسة المخطوطات، أنها مكتوبة في زمان البخاري، لما كان ذلك دليلا على نسبتها للبخاري رحمه الله، ولو كُتب فيها أنها نسخته، إلا إذا كان لهذه المخطوطة لسان ناطق يقول عند فتحها: كتبني البخاري بيده. وإذن فلا يعوِّل المحدثون على ما يُهيّج به الطاعن عوام الناس، من حاجة صدقِ كتب الحديث، إلى النسخ الأصلية بخطوط مؤلفيها."[3]

---

[1] أين اختفتْ نسخة صحيح البخاري الأصلية؟ شريف محمد جابر
[2] محمد السايح
[3] السايح

أين هي نسخة البخاري الأصلية ؟

لو افترضنا أنّ منهج الرواية من عدة طرق، ومقابلة نُسخ التلاميذ على نُسخ شيوخهم، وسماع الجيل اللاحق من السابق وصولا إلى البخاري.. لو افترضنا أنّ هذا المنهج كله لم يكن موجودا في تاريخ الأمة، وأنّنا حافظنا على نسخة خطّية ننسبها للبخاري؛ لَما كان ذلك أقوى مما لدينا الآن من صحيح البخاري! بل كان أضعف في الموثوقية؛ ذلك أنك تحتاج حينذاك إلى توثيق نسبة المخطوطة للبخاري، وستكون عندك من طريق واحد لكونها نسخة واحدة فعليّا، فأيّ تشكيك حينذاك بصحّة نسبتها للبخاري سيشكّك بما لدينا من صحيح البخاري كله اليوم! ولذلك فطريقة النقل التي اعتمدها العلماء هي أفضل الطرق العلمية التي كان بالإمكان من خلالها حفظ كتاب صنّفه صاحبه![1]

تواتر الجامع الصحيح

-1- وجود نسخة خاصة بالامام البخاري :

- قال الإمام البخاري : أخرجت هذا الكتاب- يعني «الصحيح» - من زهاء ستمائة ألف حديث .

وقال إِبْرَاهِيم بْن معقل سمعت مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل البخاري يقول: ما أدخلت في كتابي «الجامع» إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول.

و قال أبو الهيثم الكشميهني سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول قال لي محمّد ابن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب «الصحيح» حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.2

[1] شريف محمد جابر
[2] تاريخ بغداد 9/2 – التهذيب 442/24

و قال محمد بن أبي حاتمَ : قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ قال لا يخفى على جميع ما فيه .[1]

و قال البخاري: صنفت كتابي «الصحيح» لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى[2]

و قال : صنفت جميع كتبي ثلاث مرات .[3]

لما رجع البخاري الو موطنه ، و أخذ بالتحديث بكتابه بعث اليه أمير بخارى : أن أحمل إلي كتاب الجامع و التاريخ و غيرهما لأسمع منك . فرد عليه البخاري بقوله : أنا لا أذل العلم و لا أحمله إلى أبواب الناس ، فإن كانت لك الى شيء منه حاجة ، فاحضرني في مسجدي أو في داري ، و إن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة لأني لا أكتم العلم "[4] و كان هذا أحد أسباب الوحشة بينهما . و هذا دليل قوي كذلك على وجود كتاب الجامع و اشتهاره في زمن صاحبه ، و أن البخاري كان يدرسه في مسجده . و لا يمكن أن يكون إلا مرتبا مبوبا كاملا غير ناقص ، و أنه – رحمه الله – لم يترك كتابه لإجتهاد النساخ أو التلاميذ.

-2- وجود أحد أصول الصحيح عند الفربري :

قال أبو اسحاق المستملي:" انتسخت كتاب البخاري من أصله ، كان عند محمد بن يوسف الفربري "[5]

قال القاضي عياض : " .. و كتبه الأصيلي في كتابه ثم ضرب عليه ، و قال : لم يكن عند أبي زيد ، و قال عن الفربري : كان في الأصل مضروبا عليه "[6]

---

[1] تاريخ بغداد 10/2- التهذيب 443/24

[2] نفسه 14/2- التهذيب 448/24-449

[3] سير اعلام النبلاء 403/12

[44] تاريخ بغداد 355/2-356

[5] التعديل و التجريح لأبي الوليد الباجي 310/1

[6] مشارق الأنوار على صحاح الآثار 338/2-339

و قال ابن رشيد الفهري : "كان عنده أصل البخاري ، و منه أصحاب الفربري ، فكان ذلك حجة له عاضدة ، و بصدقه شاهدة ." [1]

و قد ثبت سماعه للصحيح أكثر من مرة ، كما نص على ذلك غير واحد من العلماء.
الحافظ أبي نصر الكلاباذي (398) هـ .قال: كان سماع محمد بن يوسف الفَرَبْرِيّ لهذا الكتاب من محمد بن إسماعيل البخاري مرتين: مرة بفربر سنة ثمان وأربعين ومائتين، ومرة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومائتين. اهـ.
وله كما يقول الذَّهَبِيّ معرفة بـ «صحيح البُخارِيّ» وهو صاحب كتاب: «الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البُخارِيّ في جامعه» .
وعن الكلاباذي: اشتهرت هذه المقالة حتى إنك لا تجد شارحًا لـ «الصحيح» إلا ونقل هذا القول عن الكلاباذي.
وممن روى هذا القول عن الكلاباذي راوي «الصحيح» عن الفَرَبْرِيّ أبو الهيثم محمد بن المكي الكُشْمِيهَني المتوفى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة؛ رواه عنه أبو ذر الهَرَوِيّ المتوفى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، رواه عنه بإسناده أبو علي الجَيّانيّ في «تقييد المهمل» كما رواه من طريق أبي ذر أيضًا ابن رشيد الفهري في «إفادة النصيح».
ورواه عن الكلاباذي أيضا أبو الحسين عبد الملك بن الحسين بن شياوش الكازروني رواه عنه بسنده ابن النقطة في «التقييد» 2

-3- كمال نسخة الفربري :

قال أبو علي الجَيّانيّ في «تقييد المهمل»: وروينا عن أبي الفضل صالح بن محمد بن شاذان الأصبهاني، عن إبراهيم بن مَعْقِل أن البُخارِيّ أجاز له آخر الديوان، من أول كتاب الأحكام إلى آخر ما رواه النَّسفي من «الجامع» لأن في رِواية إبراهيم النَّسفي نقصان أوراق من آخر الديوان عن رِواية الفَرَبْرِيّ: قد علَّمتُ على الموضع من كتابي، وذلك في باب قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ} [الفتح: 15] 3

---

[1] إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح ص 18
[2] روايات الجامع الصحيح ونسخه «دراسة نظرية تطبيقية» ط 1 2013.
[3] 62/1

وقال الخَطّابِيّ في «أعلام الحديث»: وقد سمعنا معظم هذا الكتاب من رِواية إبراهِيم بن مَعْقِل النَّسفي عنه، وسمعنا سائر الكتاب إلا أحاديث من آخره من طريق محمد بن يوسف الفَرَبْرِيّ. اهـ.[1]

و قال ابن حجر : " نسخة الأصل من البخاري كانت عند الفربري "[2]

و سئل أبو عبد الرحمن- يعني النسائي- عن العلاء وسهيل فقال: هما خير من فليح، ومع هذا فما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل البخاري .[3]

قال القسطلاني : " ..أن الكتاب قرئ عاى مؤلفه ، و لا ريب أنه لم يقرأ عليه إلا مبوبا ، فالعبرة بالرواية لا بالمسودة .."[4]

-4- انتشار أصل الفربري و تحديث الرواة به :

و ممن حدث بأصل الفربري :

- الحافظ أبو علي سعيد بن السكن المتوفي سنة 353هـ :

قال الحافظ الذهبي: سمع بخراسان «صحيح البخاري» من محمد بن يوسف الفربري، فكان أول من جلب «الصحيح» إلى مصر، وحدث به .[5]

- الامام الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن احمد المستملي (376) هـ.

كان سماعه لـ «الصحيح» سنة أربع عشرة وثلاثمائة.

وروى عنه «الصحيح»: الحافظ أبو ذر عبد بن أحمد الهروي (434) ، وعبد الرحمن بن عبد الله الهمداني (411).

قال رحمه الله:" انتسخت كتاب البخاري من أصله ، كان عند محمد بن يوسف الفربري " [6]

---

[1] 106-105/1

[2] انتقاض الإعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري 368/2

[3] تاريخ بغداد 9/2 – التهذيب 442/24

[4] ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري 24/1

[5] سير اعلام النبلاء 117/16

[6] التعديل و التجريح لأبي الوليد الباجي 310/1

تواتر الجامع الصحيح

- الإمام الحافظ أبو زيد محمد بن أحمد المروزي (371) هـ

قال الخطيب البغدادي: خرج أبو زيد إلى مكة فجاور بها، وحدث هناك بكتاب «صحيح البخاري» عن محمد بن يوسف الفربري، وأبو زيد أجل من روى ذلك الكتاب.

وروى عنه «الصحيح»: الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (430)، والحافظ أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (392) ، والإمام أبو الحسن علي بن محمد القابسي (403).

الشيخ الامام ، أبو علي، محمد بن عمر بن شبويه الشبويي، المروزي سمع «الصحيح» في سنة ست عشرة وثلاثمائة من أبي عبد الله الفربري، وحدث بمرو بـ «الصحيح» في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة على ما ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء.

- الإمام المحدث الصدوق المسند، أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن حمويه بن يوسف بن أعين، الحموي خطيب سرخس (381) هـ.

سمع في سنة خمس عشرة وثلاثمائة «الصحيح» من الفربري. وروى عنه «الصحيح»: أبو ذر (434) أيضا، وأبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي (467).

- المحدث الثقة، أبو الهيثم، محمد بن مكي بن محمد بن مكي بن زراع الكشميهني المتوفى سنة 389 هـ

وقد ذكر الكشميهني أنه سمع الكتاب من الفربري بفربر في ربيع الأول سنة عشرين وثلاثمائة كما في «تقييد المهمل».

-5- الرواة الأخرون عن البخاري

- الحافظ الثقة إبراهيم بن معقل النسفي (295) هـ

قال أبو يعلى الخليلي: حافظ، ثقة ... وأخذ هذا الشأن عن البخاري .[1]

[1] الإرشاد في معرفة علماء الحديث 3/ 968 (896).

قال الذهبي: له «المسند الكبير»، و «التفسير» وغير ذلك، وحدث بـ «صحيح البخاري» عنه، وكان فقيها مجتهدا.[1] و قد اشتهرت روايه إبراهيم بن معقل النسفي من طريق أبي صالح، خلف بن محمد الخيام محدث ما وراء النهر .

وممن روى «الصحيح» من رواية خلف بن محمد عن إبراهيم النسفي الإمام الكبير أبو سليمان الخطابي صاحب كتاب (أعلام الحديث) المتوفى سنة 388 هـ.

قال الخطابي في كتابه «أعلام الحديث»: وقد سمعنا معظم هذا الكتاب (يعني بذلك «صحيح البخاري») من رواية إبراهيم بن معقل النسفي حدثناه خلف بن محمد الخيام، قال: حدثنا إبراهيم بن معقل عنه.

سمعنا سائر الكتاب إلا أحاديث من آخره من طريق محمد بن يوسف الفربري ...[2]

وممن ذكر رواية إبراهيم أيضا الإمام الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الغساني الجياني المتوفى سنة 498 هـ، حيث قال في كتاب «تقييد المهمل»[3] : وما كان في كتابي من رواية أبي إسحاق إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي عن البخاري: فأخبرني بها أبو العاصي حكم بن محمد بن حكم الجذامي، قال: نا أبو الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي، بمكة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، قال لي: سمعت بعضه وأجاز لي سائره، قال: نا أبو صالح خلف بن محمد بن إسماعيل البخاري، قال: نا إبراهيم بن معقل النسفي، قال: نا أبو عبد الله البخاري.

- المحدث حماد بن شاكر النسفي (311)

ورواية حماد بن شاكر لـ «الصحيح» نص غير واحد على أن بها نقص في الأحاديث بمقدار مائتي حديث .

قال الحاكم: قدم نيسابور فعقدت مجلس الإملاء، وقرأت عليه «صحيح البخاري»، وقد أقام بصعدة من اليمن زمانا، ثم قدم وأكرموه، وأكثروا عنه ببغداد، وما المثل فيه إلا كما قال يحيى بن معين: لو ارتد عبد الرزاق ما تركنا حديثه، وقد سألته المقام بنيسابور .... .

---

[1] «سير أعلام النبلاء» 13/ 493.

[2] 1/ 105 - 106.

[3] 1/ 61-62

إدعاء أيلال عدم الإجماع على صحة البخاري

كذبة الاجماع

قال : " سور آخر يعتبره عباد التراث الديني ، بمثابة الحصن المنيع الذي يتحصن به صحيح البخاري ، وهو أن الأمة الإسلامية تلقت صحيح البخاري بالإجماع ، وأن الأمة الإسلامية تعتبر أن كل ما في صحيح البخاري صحيح لا غبار عليه ، وهي مجمعة على هذا ، وبالتالي من أنكر حديث من أحاديث البخاري فمأواه جهنم وبئس المصير ، لتنبعث فتاوى التكفير التي نقلنا بعضها في كتابنا هذا ، حتى لا نتهم بأننا نفتري على الشيوخ الكذب، والحقيقة التي لاتقبل الجدل ، كما سنبينها بعد قليل، هي أن رواية الإجماع حول صحيح البخاري ، ليست إلا كذبة ، من الكذب الكثير ، الذي تعج به كتب التراث ، وليس إلا خرافة من الخرافات المؤسسة لهذه الأسطورة التي وجب أن ننسفها نسفا، بنقول من كتب التراث نفسه، والتي يقدسها هؤلاء الشيوخ الذين تمكنت منهم الوهابية المكفرة المقلدة أيما تمكن ، فسخرتهم للدفاع عن باطلها ، فكان الثمن غاليا، وهو تشويه الإسلام السمح الداعي إلى استعمال العقل والمنطق ، والتفكر والتدبر ، بدل التقليد الأعمى غير المتبصر."

أولا : الطعن في علماء الأمة و اعتبارهم (عباد التراث الديني) ، و (تمكنت منهم الوهابية المكفرة المقلدة أيما تمكن ، فسخرتهم للدفاع عن باطلها ، فكان الثمن غاليا، وهو تشويه الإسلام السمح الداعي إلى استعمال العقل والمنطق ، والتفكر والتدبر ، بدل التقليد الأعمى غير المتبصر).شيوخ الظلام ، الكهنوت ...

ثانيا : كذبه المفضوح و اتهام العلماء بالباطل ، فمن قال: أن من أنكر حديث من أحاديث البخاري فمأواه جهنم وبئس المصير ؟

ثالثا : اعتباره أن القول بالإجماع على صحة أحاديث الصحيحين (ليست إلا كذبة ، من الكذب الكثير ، الذي تعج به كتب التراث ، وليس إلا خرافة من الخرافات المؤسسة لهذه الأسطورة التي وجب أن ننسفها نسفا، بنقول من كتب التراث نفسه .) و في هذا طعن

واضح و صريح في أئمة الدين الذين تقبلوا الصحيح و أجمعوا على صحة ما جاء فيه ، منذ عصر البخاري الى يوم الناس هذا .

قوله : (ولإسقاط الخرافة يكفي أن يعلم أي انسان ، أن الشيعة وهم نسبة مهمة من المسلمين ، لايؤمنون بصحيح البخاري ، ويكذبون كل ما جاء فيه ، فأين هو الإجماع الذي يدعيه هؤلاء إذن؟ ، إلا اذا اعتبرنا الشيعة كفارا ، وأخرجناهم من دائرة الإسلام ، ولم نعتبرهم من أهل القبلة ، وصدقا سنجد العديد من الشيوخ يهون عليهم إخراج ملايين المسلمين من الملة حتى لا يسقط الادعاء القائل بأن الأمة أجمعت على أن صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله ، وأنها تلقته بالقبول و أن كل ما فيه صحيح) .

فيقال له : " إذ يدعي الكاتب أنه بمجرد مخالفة الشيعة لأهل السنة في دعوى الإجماع على أن أصح كتاب بعد كتاب الله هو الجامع الصحيح للإمام البخاري فإن دعوى الإجماع تنتقض، وليس الأمر على ما قد توهم الكاتب وأمّل، فالشيعة يخالفون أهل السنة وهم الغالبية العظمى لجماعة المسلمين في أمور أشد تعقيدا وأدخل في باب العقائد منها في باب الإجماعات المتحققة في مسائل من العلم، فإذا كان الخلاف بيننا وبين الشيعة عقديا فكيف نريد منهم تسليما بما نقول في مسألة خاصة من مسائل العلم عندنا معاشر أهل السنة والجماعة، ثم إن المعتبر في الإجماع كما هو مقرر عند أهل الأصول الإجماع الخاص بطائفة معينة من أهل الإسلام وهي هنا أهل السنة والجماعة لا مطلق من يقول لا إله إلا الله ويخالف في بعض العقائد وله نوع فكر خاص، فالمراد أهل السنة وعليهم وفيهم يكون الإجماع من عدمه.." [1]

" لو أن رجلا قيل له أجمع العرب على أن من نصب الفاعل، فقال :قال محمدا ، بأنه أخطأ، هل يصح أن يقال له لنقض كلامه :ولكني أعرف رجلا من دولة عربية قال بل يصح!، فالحديث هنا عن علماء اللغة، لا العامة الذين قد يلحنون، فهم لا يعتبر بهم إجماعٌ

[1] المعركة تحت راية البخاري الجولة 23

ولا خلاف. أما الشيعة، فهل الشيعة أ صلا من أهل العلم بالحديث حتى يحتج بأنهم اتفقوا أو اختلفوا؟ فيقال ما أول كتاب في علم الحديث لهم؟

إن أقدم كتاب للشيعة الإمامية يعود إلى القرن العاشر الهجري، توفي صاحبه سنة 966 هـ[1] ، ومجمل بحوثهم فيه ضعيفة إلى الغاية مقارنة بمؤلفات وقواعد وكتب أهل السنة، فأين هذا من ذاك؟، فلا يعتبرون في الوفاق والخلاف فيما ليسوا أهلا له، ثم إن كان يعتبر الخلاف والوفاق مع الشيعة، فقد وقع خلاف بينهم هل القرآن الذي بين أيدينا محفوظ أم وقع فيه تحريف!

فعلى سبيل المثال قال المجلسي" :الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة "[2] فعلى هذا فهو يعتبر حفظ القرآن محل خلاف، ألم يحتج بخلاف الشيعة مع البخاري؟ فيوجد فيهم(ولا أنسبه إليهم كلهم)من يثبت التحريف في القرآن، فعلى هذا لا إجماع عنده على أن القرآن غير محرّف..."

قوله : " ولنبدأ بمقولة "صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله "، فالعديد من الشيوخ يوهموننا أن جميع الفقهاء والشيوخ المتقدمين والمتأخرين يعتقدون بهذه المقولة ، والحقيقة أن هذا مجانب للواقع، حيث أن العديد من الشيوخ يرون أن الموطأ هو أصح كتاب بعد كتاب الله ويفضلونه بأشواط على صحيح البخاري ويقولون أنه لايضاهيه شرفا ولا منزلة ، وهذا عند جماعة من كبار محدثي هذه الأمة وفقهائها، حيث يرون أن موطأ الامام مالك ، أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى فهو عند هؤلاء العلماء مقدم على صحيح الإمام البخاري فما دونه.

---

[1] انظر :أصول الحديث، عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير للدراسات، لبنان-بيروت، الطبعة الثانية 2011 ص 25.

[2] مرآة العقول شرح أخبار الرسول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران، الطبعة الثانية، ج 12 ص525.

يقول الإمام المطلبي –رحمه الله– : " ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك "، وفي لفظ : " ما على ظهر الأرض كتاب هو أقرب إلى القرآن من كتاب مالك "، وفي لفظ : " ما بعد كتاب الله أكثر صوابا من موطأ مالك " وفي لفظ : " ما بعد كتاب الله أنفع من الموطأ ".(شرح الإمام الزرقاني على الموطأ) 8/1.و (تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك) للسيوطي . المطبوع مع المدونة الكبرى ص 43.

و قد جاء في منتدى الأزهري نقلا عن الشيخ محمد العمراوي المالكي ما نصه:" لو قال احدهم –ممن لا اعتناء له بالموطأ وانما درسه ولم ينظره بعين الانصاف– : إن قول الشافعي هذا في الموطأ ، كان قبل تأليف الإمام البخاري لجامعه الصحيح .

وجوابه: أن كثيراً من الأئمة الأعلام، قد تتابعوا على قول الشافعي هذا، وجعلوه في صدر حديثهم عن الموطأ، مما يدل على تسليمهم له، وقبولهم به، حتى بعد ظهور الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله .

قال الحافظ ابن عبد البر –رحمه الله– : " الموطأ لا مثيل له، ولا كتاب فوقه بعد كتاب الله عز وجل ".

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي : " اعلموا أنار الله أفئدتكم أن كتاب الجعفي — أي البخاري– هو الأصل الثاني في هذا الباب، والموطأ هو الأول واللباب، وعليهما بناء الجميع كالقشيري — أي مسلم– والترمذي فما دونهما" عارضة الأحوذي

وقد نحى هذا المنحى وانتهج هذا النهج كثير من المتأخرين ، كالعلامة المحدث محمد حبيب الله الشنقيطي، والمحدث الشهير الشيخ صالح الفُلاّني، والعلامة ولي الله الدهلوي، وقد أطال النفس في ذلك وقال ما هذه خلاصته : " فالطبقة الأولى من كتب الحديث، منحصرة بالاستقراء في ثلاثة كتب : الموطأ والصحيحين...واتفق أهل الحديث على أن جميع ما فيه — أي الموطأ – صحيح على رأي مالك ومن وافقه. وأما على رأي غيره، فليس فيه مرسل ولا

منقطع، إلا وقد اتصل السند به من طرق أخرى. فلا جرم أنها صحيحة من هذا الوجه ".
انظر (حجة الله البالغة)385/1

وقال في مقام آخر : " لقد انشرح صدري وحصل لي اليقين، بأن الموطأ أصح كتاب يوجد على وجه الأرض بعد كتاب الله –عز وجل- ". انظر مقدمة المصفى في شرح الموطأ. بصدر كتاب (المسوى في شرح الموطا) 29/1.

وأجلى من هذا اعتراض بعض أهل الاختصاص على ابن الصلاح في قوله : " أول من ألف في الصحيح المجرد البخاري ". وقد تبع الناس في ذلك ابن الصلاح – رحمه الله - كما تبعوه في أشياء أخرى تتعلق بهذا الفن الشريف". انتهى

أولا : ذكر في صفحته على الفيسبوك بعد هذا النقل من منتدى الأزهري ما يلي : " . من منتدى الأزهريين قسم الحديث وعلومه على هذا الرابط
http://www.azahera.net/showthread.php?t=353

واسترسل الشيخ محمد العمراوي المالكي في سرد أسماء الأعلام ممن له باع في الحديث ليثبت أن دعوى الإجماع مجرد وهم من الأوهام المعشش في عقل الكثيرين تقليدا لا تمحيصا."
و هذا كذب على الشيخ العمراوي[1] و تقويله ما لم يقل ، بحيث لم يقل الشيخ العمراوي في مقالته ما افتراه أيلال كذبا : " أن العديد من الشيوخ يرون أن الموطأ هو أصح كتاب بعد كتاب الله ويفضلونه بأشواط على صحيح البخاري ويقولون أنه لا يضاهيه شرفا ولا منزلة ."

[1] فقيه وعالم مغربي معاصر ، ولد بسجلماسة ، عضو مشارك في العديد من المجالس العلمية ، و له مشاركات علمية في الفقه المالكي . حصل على التزكية في اختصاص الإمامة والخطابة من المجلس العلمي بوجدة. حصل على شهادة التأهيل في العلوم الشرعية والعقلية والأدبية من معهد البعث الإسلامي بوجدة.
حصل على التزكية في اختصاص الوعظ والإرشاد من المجلس العلمي بالرباط. حصل على شهادة التثقيف الشرعي بامتياز من المركز الدولي للعلوم الإسلامية بألمانيا
حصل على إجازتين إحداهما في رواية صحيح البخاري،وثانيتهما في رواية جامع الترمذي. حصل على شهادة إنهاء الدروس من معهد البعث الإسلامي بوجدة.
و يشغل عدة وضائف مهام علمية منها :

و حاشا الشيخ أن يعتقد هذا أو يكتبه ، و كل من يعرف الشيخ و جهوده في نصرة الصحيح تدريسا و قراءة ، يعلم كذب و بهتان أيلال .

و بالرجوع الى مقالة الشيخ نجده قد حشد نصوصا لبعض العلماء في اعتبار الموطأ أصح كتب الحديث ، و نقل عن بعض العلماء أن منزلته مثل منزلة صحيح البخاري و فوق كتب السنن الأخرى !

و قد صدر للشيخ كتاب في نصرة الصحيح و الدفاع عن البخاري سماه " القول الرجيح في تواتر الجامع الصحيح " . قد أثبت فيه بالحجة القاطعة والأدلة الناصعة تواتر الجامع الصحيح إلى الإمام أبي عبد الله البخاري رحمه الله ، مفندا بذلك الدعاوى الباطلة ، والافتراءات الكاذبة ، والمزاعم الساقطة المشككة في نسبة هذا الكتاب إلى صاحبه. مع مناقشة الشبه التي يوردها بعض أدعياء العلم في الكلام على جملة من أحاديث الصحيح .[1]

ثانيا : من تناقضات المناوئ أنه ينكر مقولة (صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله) ، في حين يثبتها للموطأ و لا ينكر على من قال بها ! بل حشد نقولا لإظهار منزلة الموطأ و صحة أحاديثه ، بل عنون مبحثه ب(موطأ مالك أصح الكتب) ، و هذا عين التناقض و التخبط .

ثم هل يعتقد أيلال بصحة أحاديث الموطأ ؟ و هل يسلم بتقديمه على صحيح البخاري ؟ فإن أجاب بالإيجاب فقد هدم بنيان كتابه و نسف جميع شبهاته – بنفسه- !

و هل سيطعن في الموطأ و يعتبر القول بتأليف الامام مالك له (أسطورة) لإختلاف نسخ التلاميذ ؟؟ قال الحافظ صلاح الدين العلائي : روى الموطأ عن مالك جماعات كثيرة ، و

عضو رابطة علماء المغرب سابقا. منسق فرع المجلس العلمي بإقليم القنيطرة سابقا . خطيب الجمعة بسيدي سليمان. المدير المؤسس لمعهد الإمام مالك للتعليم العتيق بسيدي سليمان و رئيسه . رئيس المجلس العلمي المحلي لإقليم سيدي سليمان سابقا أستاذ الفقه بمعهد أبي بكر الصديق للتعليم النهائي العتيق بفاس.
أستاذ مادة أصول المذهب المالكي بماستر الفقه المالكي قواعده ومصطلحاته بكلية الشريعة بفاس

[1] https://www.facebook.com معهد الإمام مالك للتعليم العتيق سيدي سليمان المغرب

بين رواياتهم اختلاف من تقديم و تأخير و زيادة و نقص ، و أكبرها رواية القعنبي ، و من أكبرها و أكثرها زيادات رواية أبي مصهب ، فقد قال ابن حزم في رواية أبي مصعب زيادة على سائر الموطآت نحو مائة حديث . و قال السيوطي : في رواية محمد بن الحسن أحاديث يسيرة زيادة على سائر الموطآت ..[1]

و الجواب الذي ندين الله به أن المناوئ : لا يؤمن بصحة الموطأ و لا غيره من كتب الحديث المعتمدة ، و الأدلة على ذلك كثيرة مبثوثة في صفحات كتابه منها :

اعتباره الأحاديث مرويات بشرية تاريخية .سخريته من المحدثين و كتبهم و اعتبارها كتبا تناقض العلم و تصطدم مع العقل ، انكاره لأحاديث صحيحة بشبه واهية .. اعتباره تدوين الحديث آفة !

ثالثا : القول بأن موطأ الإمام مالك هو أصح كتاب بعد كتاب الله، وعلى هذا فيزحزح صحيح البخاري عن مكانته ويحل محله الموطأ، ولقد كان يقبل هذا القول من الكاتب لو كان ذا نية صحيحة في كتب أهل الحديث، إذ قد عرفنا من خلال ما قد سبق له في كتابه رأيه في تدوين السنة وفي عناية أهل الصدر الأول بالحديث مما يفهم منه يقينا أنه سيء الظن بالحديث وأهله وكتبه، والموطأ منها، فما ينتقده الكاتب من أحاديث لم يفهمها عقله الحداثي في صحيح البخاري توجد نظيراتها في موطأ مالك، فما الفرق إذن؟ ينوه بكتاب ويجعل أولا في الرتبة بعد كتاب الله، وينبذ كتاب وتؤخر رتبته ؟؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم؟؟ ثم يأتي الكاتب بنقول عن أئمة يمدحون الموطأ ويوهم ظاهر قولهم تقديمهم له على البخاري من مثل ما قد ورد عن الشافعي :" ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك" وقول ابن عبد البر:" الموطأ لا مثيل له" وقول ابن العربي المعافري:" الموطأ هو الأول واللباب.." إلى آخر الأقوال التي حشرها الكاتب ناقلا لها من منتدى الأزهري على الشبكة العنكبوتية؟؟؟ ونحن هنا نسائله وهو يزعم أنه ينسف أسطورة ويهدم تاريخا ويبني عليه تاريخا آخر مليئا بالأحلام والأماني التي لا تصدق إلا في قلبه ونفسه ورأسه- أليس من المنطق أن

[1] شرح الزرقاني على موطأ الامام مالك ج 1 ص 10 ط دار الفكر 1996

لا ينقل إلا مباشرة من الكتب التي قد وردت فيها هذه الأقول والنقول، لأنه ربما سقط منها ما قد يكون دليلا عليه لا دليلا له فكيف وهو يهدُّ نظرية ويبني في مكانها نظرية جديدة ...لامفر له إذن من أن يعمد إلى الكتب المؤلفة في هذا الشأن وينقل منها بنفسه...وإني هنا أظنُّ ظنًّا أنا فيه مُستيقنٌ غير شاك أن المؤلف ليس يعرف هذه الكتب ولا حلم أن يظفر بها فضلا عن أن يقرأ منها أو ينقل من نصوص أصحابها...كما أنني أظنُّ ظنا أنا فيه مستيقنٌ غير شاك ولا مرتاب أن الكاتب ليس يعرف أصحاب هذه النقول ولا قرأ لهم ...إذ لو فعل لعلم أن ابن عبد البر النمري القرطبي فخر الأندلس وإمامها ما كان إلا معظِّما لجاه الصحيح وجامعه، وأن ابن العربي المعافري فخر إشبيلية ورحالتها المفسر المحدث الفقيه لم يعرف إلا معظما لجناب البخاري وكتابه؟ وأما مقالة الشافعي فكانت قبل تأليف البخاري لكتابه فالإمام قد صدر منه هذا الحكم ونزل وفق الواقع في زمانه، ولا علْم له بما سيأتي ، ولو تأخر به الزمانُ فأدرك البخاريَّ ووقف على كتابه لكان قال فيه القولَ المقبولَ المعتبر.

على أن هناك جوابا عاما يذكره كثير من العلماء عندما يعرضون للموازنة بين الصحيحين والموطأ فإنهم يقولون إن الموطأ أصح صحيحا باعتبار التقدم في الزمان والأسبقية في التأليف على ما فيه من أقوال الصحابة والتابعين وفقه ونظر الإمام مالك الذي لا ينبغي الإعراض عن ذكره، وأما الصحيحان فإنهما أصح وأولى بالتقديم لأنهما اختصا بصحيح الحديث خاصة وليس فيهما من الفقه ما في الموطأ، فلذلك كان القول المعتبر المنصور أنهما يليا القرآن الكريم في الأصحيَّة والقبول ويقدم منهما صحيح البخاري لأنه أصح صحيحا وأعلى شرطا وأدق وأضبط ويليه بعد صحيح مسلم وهو وإن كان صحيحا فالصحة درجات بعضها فوق بعض وهو يقع فيها ثانيا بعد صحيح البخاري.[1]

قال : ووجدنا من الشيوخ من يعطي الأفضلية لمسلم و صحيحه ...[2]

و ماذا بعد ؟

---

[1] المعركة تحت راية البخاري الحلقة 23
[2] ص 132

قال النووي : اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الامة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة وقد صح أن مسلما كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الاتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث وقال أبو علي الحسين بن علي النيسابوري الحافظ شيخ الحاكم أبي عبد الله بن البيع كتاب مسلم أصح ووافقه بعض شيوخ المغرب والصحيح الاول وقد قرر الامام الحافظ الفقيه النظار أبو بكر الاسماعيلي رحمه الله في كتابه المدخل ترجيح كتاب البخاري وروينا عن الامام أبي عبد الرحمن النسائي رحمه الله أنه قال ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخاري قلت ومن أخصر ما ترجح به اتفاق العلماء على ان البخاري أجل من مسلم وأعلم بصناعة الحديث منه وقد انتخب علمه ولخص ما ارتضاه في هذا الكتاب وبقي في تهذيبه وانتقائه ست عشرة سنة وجمعه من ألوف مؤلفة من الاحاديث الصحيحة وقد ذكرت دلائل هذا كله في أول شرح صحيح البخاري ومما ترجح به كتاب البخاري ان مسلما رحمه الله كان مذهبه بل نقل الاجماع في أول صحيحه أن الاسناد المعنعن له حكم الموصول بسمعت بمجرد كون المعنعن والمعنعن عنه كانا في عصر واحد وان لم يثبت اجتماعهما والبخاري لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما وهذا المذهب يرجح كتاب البخاري ..[1]

قال : وقد وجدت مقالة جامعة منشورة على منتدى السودان تؤكد بما لايدع مجالا للشك بأن مقولة تلقي الأمة لصحيح البخاري بالقبول ، كذبة ما بعدها كذبة ، وهذه المقالة التي جمعت نقولا عن أئمة أعلام في عدم تلقي صحيح البخاري بالإجماع ، هي بعنوان : "الرد الملجم علي من ادعي إجماع الأمه علي البخاري و مسلم"

أولا :

1- الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول مقطوع بصحته ، سواء كان في كتب السنن أو الصحيحين :

[1] شرح النووي على مسلم 1/14-15 دار احياء التراث العربي بيروت ط 2

نقل الإمام البلقيني في " محاسن الإصطلاح " أن هذا مذهب جماعات من الأصوليين و الفقهاء . ثم قال ما نصه :" و أهل الحديث قاطبة ، و مذهب السلف عامة أنهم يقطعون بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول " .[1]و ذهب الى هذا الحافظ ابن طاهر المقدسي ، قال الحافظ في " النكت على ابن الصلاح " : " و سبق ابن طاهر الى القول بذلك جماعة من المحدثين كأبي بكر الجوزقي ، و أبي عبد الله الحميدي ، بل نقله ابن تيمية عن أهل الحديث قاطبة " [2]

و نص كلام ابن تيمية في" النكت " : " الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول تصديقا له و عملا بموجبه ، أفاد العلم عند جماهير العلماء من السلف و الخلف " ثم أخذ يذكر أسماء من قال بذلك على إختلاف مناهجهم و مذاهبهم ، ثم قال : و هو مذهب أهل الحديث قاطبة .[3]

و يقول في " الفتاوى " [4]: فلا يسلم كتاب من الغلط إلا القرآن. وأجل ما يوجد في الصحة "كتاب البخاري " وما فيه متن يعرف أنه غلط على الصاحب لكن في بعض ألفاظ الحديث ما هو غلط وقد بين البخاري في نفس صحيحه ما بين غلط ذلك الراوي كما بين اختلاف الرواة.."

2- صحة أحاديث الصحيحين :

قال النووي : اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الامة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة وقد صح أن مسلما كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الاتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث .[5]

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله جميع ما حكم مسلم رحمه الله بصحته فى هذا الكتاب فهو مقطوع بصحته والعلم النظرى حاصل بصحته فى نفس الأمر وهكذا ما حكم

1 محاسن الإصطلاح ص 101
2 النكت على ابن الصلاح ج1 ص380
3 النكت 374/1
4 الفتاوى 73/18
5 19-1

البخارى بصحته فى كتابه وذلك لان الأمة تلقت ذلك بالقبول سوى من لا يعتد بخلافه ووفاقه فى الاجماع .. والذى نختاره أن تلقى الأمة للخبر المنحط عن درجة التواتر بالقبول يوجب العلم النظرى بصدقه خلافا لبعض محققى الاصوليين حيث نفى ذلك بناء على أنه لا يفيد فى حق كل منهم الا الظن وانما قبله لانه يجب عليه العمل بالظن والظن قد يخطىء قال الشيخ وهذا مندفع لان ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطىء والامة في اجماعها معصومة من الخطأ ... وقد اتفقت الأمة على أن ما اتفق البخاري ومسلم على صحته فهو حق وصدق .[1]

قال النووي : وانما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحا لا يحتاج إلى النظر فيه بل يجب العمل به مطلقا وما كان في غيرهم لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح .[2]

و قال الحافظ العلائي : " الأمة اتفقت على أن كل ما أسنده البخاري و مسلم في كتابيهما الصحيحين ، فهو صحيح لا ينظر فيه "

قال ابن حجر في النكت : فقول الشيخ محيي الدين النووي: "خالف ابن الصلاح المحققون والأكثرون". غير متجه.

بل تعقبه شيخنا شيخ الإسلام في محاسن الاصطلاح فقال: "هذا ممنوع فقد نقل بعض الحفاظ المتأخرين عن جمع من الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة أنهم يقطعون بصحة الحديث الذي تلقته الأمة بالقبول".

قلت: وكأنه عني بهذا الشيخ تقي الدين بن تيمية فإني رأيت فيما حكاه عن بعض ثقات أصحابه ما ملخصه: الخبر إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له وعملا بموجبه أفاد العلم عند جماهير العلماء من السلف والخلف وهو الذي ذكره جمهور المصنفين في أصول الفقه كشمس الأئمة السرخسي وغيره من الحنفية والقاضي عبد الوهاب وأمثاله من المالكية، والشيخ أبي حامد الإسفرائيني والقاضي أبي الطيب الطبري والشيخ أبي إسحاق الشيرازي وسليم الرازي وأمثالهم من الشافعية، وأبي عبد الله بن حامد و القاضي أبي يعلى وأبي الخطاب وغيرهم من الحنبلية وهو قول أكثر أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم كأبي إسحاق الإسفرائيني وأبي بكر

---

[1] نفس المصدر 20/1

[2] نفس المصدر

ابن فورك وأبي منصور التميمي وابن السمعاني وأبي هاشم الجبائي وأبي عبد الله البصري قال: وهو مذهب أهل الحديث قاطبة وهو معنى ما ذكره ابن الصلاح في مدخله إلى علوم الحديث – فذكر ذلك استنباطا وافق فيه هؤلاء الأئمة وخالفه في ذلك من ظن أن الجمهور على خلاف قوله لكونه لم يقف إلا على تصانيف من خالف في ذلك كالقاضي أبي بكر الباقلاني والغزالي وابن عقيل وغيرهم، لأن هؤلاء يقولون إنه لا يفيد العلم مطلقا. وعمدتهم أن خبر الواحد لا يفيد العلم بمجرده، والأمة إذا عملت بموجبه فالوجوب العمل بالظن عليهم وأنه لا يمكن جزم الأمة بصدقه في الباطن، لأن هذا جزم بلا علم.

والجواب: أن إجماع الأمة معصوم عن الخطأ في الباطن.. وإجماعهم على تصديق الخبر كإجماعهم على وجوب العمل به، والواحد منهم وإن جاز عليه أن يصدّق في نفس الأمر من هو كاذب أو غالط فمجموعهم معصوم عن هذا كالواحد من أهل التواتر يجوز عليه بمجرده الكذب والخطأ، ومع انضمامه إلى أهل التواتر ينتفي الكذب والخطأ عن مجموعهم ولا فرق، (انتهى كلامه) .

وأصرح من رأيت كلامه في ذلك ممن نقل الشيخ تقي الدين عنه ذلك فيما نحن بصدده – الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني فإنه قال: "أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بها عن صاحب الشرع وإن حصل الخلاف في بعضها فذلك خلاف في طرقها ورواتها".

و قال : قوله "ما ادعاه من أن ما أخرجه الشيخان مقطوع بصحته قد سبقه إليه أبو الفضل بن طاهر وأبو نصر بن يوسف". أقول: أراد الشيخ بذكر هذين الرجلين كونهما من أهل الحديث وإلا فقد قدمنا من كلام جماعة من أئمة الأصول موافقته على ذلك وهم قبل ابن الصلاح.

نعم، وسبق ابن طاهر إلى القول بذلك جماعة من المحدثين كأبي بكر الجوزقي وأبي عبد الله الحميدي بل نقله ابن تيمية كما تقدم عن أهل الحديث قاطبة."

فإذا تقرر أن الحديث يحكم له بالصحة اذا تلقته الأمة بالقبوا ، فما بالك بالأحاديث التي أجمع أنها أصح الصحيح ؟!

3- ما أستثني من الإجماع لإنتقاد بعض الحفاظ !

قال الحافظ في "شرح النخبة " : و من ثم[1] قدم صحيح البخاري على غيره من الكتب المصنفة في الحديث ، ثم صحيح مسلم لمشاركته البخاري في اتفاق العلماء على تلقي كتابه بالقبول أيضا ، سوى ما علل ".[2]

و قال في مقدمة الفتح – في الفصل الثامن الذي عقده في سياق بيان الاتحاديث التي انتقدها الدارقطني و غيره – : ينبغي لكل منصف أن يعلم أن هذه الأحاديث وإن كان أكثرها لا يقدح في أصل موضوع الكتاب فإن جميعها وارد من جهة أخرى وهي ما ادعاه الإمام أبو عمرو بن الصلاح وغيره من الإجماع على تلقي هذا الكتاب بالقبول والتسليم لصحة جميع ما فيه فإن هذه المواضع متنازع في صحتها فلم يحصل لها من التلقي ما حصل لمعظم الكتاب وقد تعرض لذلك بن الصلاح في قوله إلا مواضع يسيرة انتقدها عليه الدارقطني وغيره وقال في مقدمة شرح مسلم له ما أخذ عليهما يعني على البخاري ومسلم وقدح فيه معتمد من الحفاظ فهو مستثنى مما ذكرناه لعدم الإجماع على تلقيه بالقبول انتهى وهو احتراز حسن واختلف كلام الشيخ محي الدين في هذه المواضع فقال في مقدمة شرح مسلم ما نصه فصل قد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلا فيها بشرطهما ونزلت عن درجة ما التزماه وقد ألف الدارقطني في ذلك ولأبي مسعود الدمشقي أيضا عليهما استدراك ولأبي علي الغساني في جز العلل من التقييد استدراك عليهما وقد أجيب عن ذلك أو أكثره أه وقال في مقدمة شرح البخاري فصل قد استدرك الدارقطني على البخاري ومسلم أحاديث فطعن في بعضها وذلك الطعن مبني على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جدا مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول وغيرهم فلا تغتر بذلك هـ كلامه وسيظهر من سياقها والبحث فيها على التفصيل أنها ليست كلها كذلك وقوله في شرح مسلم وقد أجيب عن ذلك أو أكثره هو الصواب فإن منها ما الجواب عنه غير منتهض[3]

---

[1] عند كلامه على أرجحية شرط البخاري على غيره
[2] شرح النخبة ص 32
[3] مقدمة الفتح 346

و قال في " النكت" تعقيبا على قول شيخه العراقي في " التقييد و الايضاح" : " أن ما استثناه – ابن الصلاح – من المواضع قد أجاب العلماء عنها " قال ابن حجر : و أما كونها يمكن الجواب عنها فلا يمنع ذلك استثناءها ، لأن من تعقبها من جملة من ينسب إليه الإجماع على التلقي ، فالمواضع المذكورة متخلفة عنده من التلقي ، فيتعين إستثناؤها ، وقد اعتنى أبو الحسن الدارقطني بتتبع ما فيهما من الأحاديث المعللة فزادت على المائتين.

ولأبي مسعود الدمشقي في أطرافه انتقاد عليهما. ولأبي الفضل بن عمار تصنيف لطيف في ذلك وفي كتاب التقييد لأبي علي الجياني جملة في ذلك.

والكلام على هذه الإنتقادات من حيث التفصيل من وجوه:

منها: ما هو مندفع بالكلية.

ومنها: ما قد يندفع:

1- فمنها: الزيادة التي تقع في بعض الأحاديث إذا انفرد بها ثقة من الثقات ولم يذكرها من هو مثله أو أحفظ منه فاحتمال كون هذا الثقة غلط ظن مجرد وغايتها أنها زيادة ثقة فليس فيها منافاة لما رواه الأحفظ والأكثر فهي مقبولة.

2- ومنها: الحديث المروي من حديث تابعي مشهور عن صحابي سمع منه. فيعلل بكونه روي عنه بواسطة كالذي يروى عن سعيد المقبري عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

ويروى عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة.

وأن مثل هذا لا مانع أن يكون التابعي سمعه بواسطة ثم سمعه بدون ذلك الواسطة. ويلتحق بذلك ما يرويه التابعي عن الصحابي، فيروى من روايته عن صحابي آخر، فإن هذا يكون سمعه منهما فيحدث به تارة عن هذا وتارة عن هذا.

كما قال علي بن المديني في حديث رواه عاصم عن أبي قلابة عن أبي الأشعث عن شداد بن أوس.

ورواه يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان - رضي الله تعالى عنه - قال ما أرى الحديثين إلا صحيحين لإمكان أن يكون أبو قلابة سمعه من كل منهما

قلت هذا إنما يطرد حيث يحصل الاستواء في الضبط والاتقان

3 – ومنها ما يشير صاحب الصحيح الى علته كحديث يرويه مسندا ثم يشير الى أنه يروى مرسلا فذلك مصير منه الى ترجيح رواية من أسنده على من أرسله

4 – ومنها ما تكون علته مرجوحة بالنسبة الى صحته كالحديث الذي يرويه ثقات متصلا ويخالفهم ثقة فيرويه منقطعا أو يرويه ثقة متصلا ويرويه ضعيف منقطعا

ومسألة التعليل بالإنقطاع وعدم اللحاق قل أن تقع في البخاري بخصوصه لأنه معلوم أن مذهبه عدم الاكتفاء في الإسناد المعنعن بمجرد إمكان اللقاء وإذا اعتبرت هذه الأمور من جملة الأحاديث التي انتقدت عليهما لم يبق بعد ذلك مما انتقد عليهما سوى مواضع يسيرة جدا ومن أراد حقيقة ذلك فليطلع المقدمة التي كتبتها لشرح صحيح البخاري فقد بينت فيها ذلك بيانا شافيا بحمد الله تعالى".

ثانيا : نظرة في انتقادات بعض الحفاظ للأحاديث الصحيحين

– 1- ابن عمار الشهيد و انتقاده لبعض احاديث صحيح مسلم :

صنف الإمام أبو الفضل محمد بن أبي الحسين ابن عمار الحافظ الشهيد كتابه (علل الأحاديث في كتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج) ، أعل فيه – رحمه الله – ستة و ثلاثون حديثا من الناحية الحديثية الصرفة ، مثل : تكلمه في بعض الرواة ، أو استدراكه على مسلم طرقا و روايات أخرى ، أو تكلمه على بعض الأحاديث من ناحية الزيادة أو التفرد .

و كجهد بشري فقد أصاب – رحمه الله- في بعض انتقاداته ، و أخطأ في بعض ! و حتى ما أصاب فيه فهو محتمل و لا يؤثر في صحة الحديث لوروده من طرق أخرى .

من أمثلة اعتراضاته :

– وجدت في كتاب مسلم الذي سماه كتاب الصحيح عن أبي غسان المسمعي عن معاذ بن هشام عن أبيه عن يحي بن أبي كثير عن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(ليس على الرجل نذر فيما لا يملك ولعن المؤمن كقتله ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة)

زاد فيه كلاما لم يجئ به أحد عن معاذ بن هشام ولا عن هشام الدستوائي وهو قوله :" من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة ومن حلف على يمين صبر فاجرة " هذا الكلام لا أعلم أحدا ذكره غيره وقد روى هذا الحديث عن يحيى بن أبي كثير جماعة غير هشام أيضا لم يذكروا فيه هذه الزيادة وليست هذه الزيادة عندنا محفوظة في حديث ثابت بن الضحاك أكبر وهمي أن الغلط من أبي غسان المسمعي.[1]

و قد أجاب العلماء عن هذا الإعتراض : بأن أبا غسان لم يتفرد بهذه الزيادة بل توبع عليها.

– وقال وجدت عن يوسف بن يعقوب الصفار عن علي بن عثام عن سعير بن الخمس عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الوسوسة وليس هذا الحديث عندنا بالصحيح لأن جرير بن عبد الحميد وسليمان التميمي روياه عن مغيرة عن إبراهيم ولم يذكرا علقمة ولا ابن مسعود وسعير ليس هو ممن يحتج به لأنه أخطأ في غير حديث مع قلة ما أسند من الأحاديث.[2]

أعل ابن عمار هذا الحديث بالإرسال و ضعف أحد رواته . و قد أجاب العلماء عن هذا :

الإرسال : أصاب ابن عمار في ترجيح الإرسال في هذه الرواية ، لكن لمتن الحديث شواهد عدة ، منها ما أخرجه مسلم في الصحيح و أبو داود و النسائي و أبو عوانة و ابن منده و الطيالسي من طرق عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة . و في الباب عن علئشة و غيرها .

ضعف الراوي " سعير " فقد قال ابن أبي حاتم سألت ابي عنه فقال : صالح الحديث ، يكتب حديثه و لا يحتج به ."

لكن و ثقه ابن معين و الترمذي و الدارقطني .[3]

-2- أبو علي الغساني الجياني

خصص في كتابه (تقييد المهمل) جزءا لذكر " العلل الواقعة في أسانيد مسلم " قال – رحمه الله – في مقدمة هذا الفصل : و هذا الكتاب يتضمن التنبيه على ما في كتاب أبي الحسين مسلم بن الحجاج – رضي الله عنه – من الأوهام لرواة الكتاب عنه ، أو لمن فوقهم من

[1] العلل ص 37-41
[2] نفس المصدر ص 42-44
[3] انظر هامش ص 44 من تحقيق الشيخ علي الحلبي لكتاب العلل لابن عمار.

شيوخ مسلم و غيرهم مما لم يذكره أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في كتاب " الإستدراك ". قال النووي : ..فيه استدراك ،أكثره على الرواة عنهما ، و فيه ما يلزمهما و قد أجيب عن كل ذلك أو أكثره .[1]

-3- أبو مسعود الدمشقي

ألف رسالة صغيرة سماها " الأجوبة عما أشكل الشيخ الدارقطني على صحيح مسلم بن الحجاج " . و يرتكز الكتاب على ثلاثة محاور :

الأول : ذكر أحاديث إنتقد الدارقطني مسلما في إخراجها في الصحيح و الجواب عنها ، و هذا النوع هو غالب الكتاب ، حيث أورد أربعة و عشرين حديثا و أجاب عنها .

الثاني : إيراد بعض الأحاديث التي ذكر الدارقطني أنه يلزم مسلما إخراجها لإنطباق شرطه في صحيحه عليها .. و هي أحاديث قليلة تبين أن الدارقطني مخطئ في تعقبه على مسلم.

الثالث : إيراده تعقب الدارقطني على مسلم في الرواية عن بعض الرواة في صحيحه ، مع رميهم بالضعف ، و جوابه عن ذلك و عددهم قليل أيضا .

إن معضم هذه الإنتقادات تتعلق بالأسانيد ، دون أن يؤثر ذلك على علة في المتن ، و عشرة منها فقط تتعلق بالمتن ،و الصواب فيها الى جانب مسلم .

-4- الإمام الدارقطني :

- كتاب (الإلزامات)

قال- رحمه الله – في مقدمته : " ذكرن ما حضرني ذكره مما أخرجه البخاري ومسلم أو أحدهما من حديث بعض التابعين وتركا من حديثه شبيهاً به، ولم يخرجاه، أو من حديث نظير له من التابعين الثقات ما يلزم إخراحه على شرطهما ومذهبهما، فيما نذكره إن شاء الله تعالى. وبالله التوفيق."

قال الشيخ مقبل – رحمه الله- : ..فينبغي أن يعلم أنهما لم يلتزما إخراج جميع الصحيح ، فقد قال البخاري رحمه الله : لم أخرج في هذا الكتاب إلا الصحيح ، و ما تركت من الصحيح أكثر ، كما في مقدمة الفتح ص 7 ، و صرح مسلم أنه ليس كل صحيح أخرجه ... و قال

---

[1] شرح مسلم 27/1

الحاكم في المستدرك ص 2 : و لم يحكما و لا واحد منهما أنه لم يصح من الحديث غير ما أخرجه ".

فعلى هذا فلا يلزمهما رحمهما الله ما ألزمهما الإمام الدارقطني رحمه الله .[1]

- كتاب (التتبع)

إن الناظر في انتقادات الدترقطني يرى أنها تنصب في غالبها على السند من حيث الإختلاف أو الإرسال ، أو الكلام في الرواة ، و قد أصاب في بعض هذه الملاحظات رغم صحة المتن الذي جاء صحيحا .و لم يسلم له باقي الإعتراضات ، قال السيوطي :

وانتقدوا عليهما يسيرا .....فكم ترى نحوهما نصيرا

قال العلامة المحدث أحمد شاكر :

الحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين ، و ممن اهتدى بهديهم ، و تبعهم على بصيرة من الأمر : أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها ، ليس في واحد منها مطعن أو ضعف ، و إنما انتقد الدارقطني و غيره من الحفاظ بعض الأحاديث على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ الدرجة العليا التي التزمها كل واحد منهما في كتابه ، و أما صحة الحديث نفسه ، فلم يخالف أحد فيها ، فلا يهولنك ارجاف المرجفين و زعم الزاعمين أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة ..[2]

-5- ابو زرعة الرازي

قال النووي : " عاب عائبون مسلما بروايته في صحيحه عن جماعة من الضعفاء والمتوسطين الواقعين في الطبقة الثانية الذين ليسوا من شرط الصحيح ولا عيب عليه في ذلك بل جوابه من أوجه ذكرها الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله .

أحدها : أن يكون ذلك فيمن هو ضعيف عند غيره ثقة عنده ولا يقال الجرح مقدم على التعديل لان ذلك فيما اذا كان الجرح ثابتا مفسر السبب والا فلا يقبل الجرح اذا لم يكن كذا وقد قال الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي وغيره ما احتج البخارى ومسلم وأبو داود به من جماعة علم الطعن فيهم من غيرهم محمول على أنه لم يثبت الطعن المؤثر مفسر السبب .

---

[1] الإلزامات و التتبع .ص 116 تحقيق العلامة مقبل الوادعي .

[2] تعليقه على مختصر علوم الحديث لابن كثير ص 35

الثاني : أن يكون ذلك واقعا في المتابعات والشواهد لافي الأصول وذلك بأن يذكر الحديث أولا باسناد نظيف رجاله ثقات ويجعله أصلا ثم يتبعه باسناد آخر أو أسانيد فيها بعض الضعفاء على وجه التأكيد بالمتابعة أو لزيادة فيه تنبه على فائدة فيما قدمه وقد اعتذر الحاكم أبو عبد الله بالمتابعة والاستشهاد في اخراجه عن جماعة ليسوا من شرط الصحيح منهم مطر الوراق وبقية بن الوليد ومحمد بن إسحاق بن يسار وعبد الله بن عمر العمرى والنعمان بن راشد وأخرج مسلم عنهم في الشواهد في أشباه لهم كثيرين . الثالث : أن يكون ضعف الضعيف الذى احتج به طرأ بعد أخذه عنه باختلاط حدث عليه فهو غير قادح فيما رواه من قبل في زمن استقامته كما في أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن أخي عبد الله بن وهب فذكر الحاكم أبو عبد الله أنه اختلط بعد الخمسين ومائتين بعد خروج مسلم من مصر فهو في ذلك كسعيد بن أبي عروبة وعبد الرازق وغيرهما ممن اختلط آخرا ولم يمنع ذلك من صحة الاحتجاج في الصحيحين بما أخذ عنهم قبل ذلك الرابع أن يعلو بالشخص الضعيف اسناده وهو عنده من رواية الثقات نازل فيقتصر على العالى ولا يطول باضافة النازل إليه مكتفيا بمعرفه أهل الشأن في ذلك وهذا العذر قد رويناه عنه تنصيصا وهو خلاف حاله فيما رواه عن الثقات أولا ثم أتبعه بمن دونهم متابعة وكأن ذلك وقع منه على حسب حضور باعث النشاط وغيبته ."

و هذا القسم هو الذي انتقده أبو زرعة ، قال ابن الصلاح : روينا عن سعيد بن عمرو البرذعى أنه حضر أبا زرعة الرازي وذكر صحيح مسلم وانكار أبي زرعة عليه روايته فيه عن اسباط بن نصر وقطن بن نسير وأحمد بن عيسى المصرى وأنه قال أيضا يطرق لاهل البدع علينا فيجدون السبيل بأن يقولوا اذا احتج عليهم بحديث ليس هذا في الصحيح .

قال سعيد بن عمرو : فلما رجعت إلى نيسابور ذكرت لمسلم انكار أبي زرعة فقال لي مسلم : انما قلت صحيح وانما أدخلت من حديث اسباط وقطن وأحمد ما قد رواه الثقات عن شيوخهم الا أنه ربما وقع إلى عنهم بارتفاع ويكون عندي من رواية أوثق منهم بنزول فأقتصر على ذلك وأصل الحديث معروف من رواة الثقات .

قال سعيد وقدم مسلم بعد ذلك الرى فبلغنى أنه خرج إلى أبي عبد الله محمد بن مسلم بن وارة فجفاه وعاتبه على هذا الكتاب وقال له نحوا مما قاله لى أبو زرعة ان هذا يطرق لاهل

البدع فاعتذر مسلم وقال انما أخرجت هذا الكتاب وقلت هو صحاح ولم أقل ان ما لم أخرجه من الحديث فى هذا الكتاب فهو ضعيف وانما أخرجت هذا الحديث من الصحيح ليكون مجموعا عندى وعند من يكتبه عنى ولا يرتاب فى صحته فقبل عذره وحمده."

وقد قدمنا عن مسلم أنه قال : عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته وكل ما قال انه صحيح وليس له علة فهو هذا الذى أخرجته .

قال الشيخ فهذا مقام وعر وقد مهدته بواضح من القول لم أره مجتمعا فى مؤلف ولله الحمد قال وفيما ذكرته دليل على أن حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عنه فى صحيحه بأنه من شرط الصحيح عند مسلم فقد غفل وأخطأ بل يتوقف ذلك على النظر فى أنه كيف روى عنه على ما بيناه من انقسام ذلك والله أعلم " [1]

قال النووي : " قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله روينا عن أبي قريش الحافظ قال كنت عند أبي زرعة الرازي فجاء مسلم بن الحجاج فسلم عليه وجلس ساعة وتذاكرا فلما قام قلت له هذا جمع أربعة آلاف حديث في الصحيح قال أبو زرعة فلمن ترك الباقي قال الشيخ أراد أن كتابه هذا أربعة آلاف حديث أصول دون المكررات وكذا كتاب البخاري ذكر أنه أربعة آلاف حديث باسقاط المكرر وبالمكرر سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا[2]...

-6- ابن تيمية و ابن القيم

قال رحمه الله في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم) : " وأما ما يوجد في كتب المسلمين في هذه الأوقات من الأحاديث التي يذكرها صاحب الكتاب مرسلة؛ فلا يجوز الحكم بصحتها باتفاق أهل العلم، إلا أن يعرف أن ذلك من نقل أهل العلم بالحديث، الذين لا يحدثون إلا بما صح كالبخاري في المعلقات التي يجزم فيها بأنها صحيحة عنده، وما وقفه كقوله: وقد ذكر عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده " ونحو ذلك، فإنه حسن عنده.

هذا، وليس تحت أديم السماء بعد القرآن كتاب أصح من البخاري." [3]

---

1 27-026/1 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج .. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
الطبعة: الثانية

2 21/1

3 ص 350ج2

و قال : "كتب الإسلام التي تقرأ في المجالس الخاصة والعامة، كصحيحي البخاري ومسلم، و موطأ مالك ، و مسند الإمام أحمد ، و سنن أبي داود ، و الترمذي ، و النسائي ، وأمثال ذلك من كتب المسلمين."[1]

و قال في مجموع الفتاوى :" وكذلك تصحيح الترمذي والدارقطني وابن خزيمة وابن منده وأمثالهم فيمن يصحح الحديث. فإن هؤلاء وإن كان في بعض ما ينقلونه نزاع فهم أتقن في هذا الباب من الحاكم ولا يبلغ تصحيح الواحد من هؤلاء مبلغ تصحيح مسلم ولا يبلغ تصحيح مسلم مبلغ تصحيح البخاري بل كتاب البخاري أجل ما صنف في هذا الباب؛ والبخاري من أعرف خلق الله بالحديث وعلله مع فقهه فيه وقد ذكر الترمذي أنه لم ير أحدا أعلم بالعلل منه ولهذا كان من عادة البخاري إذا روى حديثا اختلف في إسناده أو في بعض ألفاظه أن يذكر الاختلاف في ذلك لئلا يغتر بذكره له بأنه إنما ذكره مقرونا بالاختلاف فيه. ولهذا كان جمهور ما أنكر على البخاري مما صححه يكون قوله فيه راجحا على قول من نازعه... ولكن جمهور متون الصحيحين متفق عليها بين أئمة الحديث تلقوها بالقبول وأجمعوا عليها وهم يعلمون علما قطعيا أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها. وبسط الكلام في هذا له موضع آخر.[2]

و قال : " ابتدأ البخاري صحيحه ببدء الوحي ونزوله؛ فأخبر عن صفة نزول العلم والإيمان على الرسول أولا ثم أتبعه بكتاب الإيمان الذي هو الإقرار بما جاء به ثم بكتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به فرتبه الترتيب الحقيقي. وكذلك الإمام أبو محمد الدارمي صاحب (المسند) : ابتدأ كتابه بدلائل النبوة وذكر في ذلك طرفا صالحا. وهذان الرجلان: أفضل بكثير من مسلم؛ والترمذي ونحوهما؛ ولهذا كان أحمد بن حنبل: يعظم هذين ونحوهما؛ لأنهم فقهاء في الحديث أصولا وفروعا."[3]

[1] شرح حديث النزول ص 5

[2] مجموع الفتاوى 1/255-256-257

[3] الفتاوى 4/2

و قال ابن القيم عن البخاري : إمام أهل السنة والحديث محمد بن إسماعيل البخاري[1] . " حافظ الإسلام "[2] و قال في نونيته ص 91 :

وانظر إلى ما في صحيح محمد ... ذاك البخاري العظيم الشان.

حديث ينشئ لها خلقا آخرين ...[3]

قال ابن تيمية في مقدمة في أصول التفسير: أن ما وقع في بعض طرق البخاري: «أن النار لا تمتلئ حتى ينشئ الله لها خلقًا آخر» مما وقع فيه الغلط.

و قال في منهاج السنة النبوية : " وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " «لا يزال يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية فيضع قدمه عليها فتقول: قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض " أي تقول: حسبي حسبي. وأما الجنة فيبقى فيها فضل، فينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة.». هكذا روي في الصحاح من غير وجه، ووقع في بعض طرق البخاري غلط قال فيه: " «وأما النار فيبقى فيها فضل»[4] "

---

[1] الصواعق المرسلة 1395/4

[2] الصواعق 1432/4

[3] حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: (وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا) في البخاري 138/6 – 139; مسلم 2186/4 – 2187. وفي مسلم 2188/6 عن أنس رضي الله عنه: (يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى، ثم ينشئ الله تعالى لها خلقا مما يشاء) وعن أنس رضي الله عنه رواية أخرى جاء فيها: (ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة) وهي في البخاري 117/9 وفي مسلم 2188/4

[4] لعله يقصد ما رواه في كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: (إن رحمة الله قريب من المحسنين) . عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: (وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها: قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول: هل من مزيد؟ ثلاثا، حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلى بعض وتقول: قط قط قط) وذكر ابن حجر في شرحه للحديث فتح الباري 436/13 – 437: وقال أبو الحسن القابسي: المعروف في هذا الموضع أن الله ينشئ للجنة خلقا، وأما النار فيضع فيها قدمه، قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقا إلا هذا. انتهى، وقد قال جماعة من الأئمة: إن هذا الوضع مقلوب، وجزم ابن القيم بأنه غلط، واحتج بأن الله تعالى أخبر بأن جهنم تمتلئ من إبليس وأتباعه، وكذا أنكر الرواية شيخنا البلقيني واحتج بقوله: (ولا يظلم ربك أحدا) ثم قال: وحمله على أحجار تلقى في النار أقرب من حمله على ذي روح يعذب بغير ذنب. انتهى. و جزم ابن القيم بأن هذا غلط من الراوي .قال رحمه الله : وأما اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة وانه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد فغلط من بعض الرواة

والبخاري رواه في سائر المواضع على الصواب ليبين غلط هذا الراوي، كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواة غلط في لفظ، ذكر ألفاظ سائر الرواة التي يعلم بها الصواب، وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب، بخلاف مسلم فإنه وقع في صحيحه عدة أحاديث غلط، أنكرها جماعة من الحفاظ على مسلم. والبخاري قد أنكر عليه بعض الناس تخريج أحاديث، لكن الصواب فيها مع البخاري، والذي أنكر على الشيخين أحاديث قليلة جدا، وأما سائر متونهما فمما اتفق علماء المحدثين على صحتها وتصديقها وتلقيها بالقبول لا يستريبون في ذلك." [1]

-7- ابن حزم :

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، من كبار علماء أهل السنة ، فقيه حافظ متفنن.

أولا : تعظيم ابن حزم للصحيحين :

لأبي محمد تعظيما كبيرا لكتب الحديث و خاصة الصحيحين ، يستشفه كل من قرأ كتب الإمام . و قد ذكر له قول من يقول : " أجل المصنفات الموطأ " فقال : " بل أولى الكتب بالتعظيم صحيحا البخاري و مسلم ..."كما ذكر الذهبي في ترجمته من السير .

و قال تلميذه الحميدي : " قد جرى ذكر الصحيحين فعظم منهما و رفع من شأنهما ، و حكى أن سعيد بن السكن إجتمع إليه يوما من أصحاب الحديث فقالوا له : " إن الكتب من الحديث قد كثرت علينا فلو دلنا الشيخ على شيء نقتصر عليه منها ؟ فسكت عنهم و دخل إلى بيته فأخرج أربع رزم و وضع بعضها على بعض و قال : " هذه قواعد الإسلام :

انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القران يرده فان الله سبحانه واخبر أنه يملا جهنم من إبليس واتباعه فانه لا يعذب ألا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ} ولا يظلم الله أحدا من خلقه." هادي الأرواح ص 394

1 منهاج السنة النبوية ج5 ص 101-102

كتاب مسلم و كتاب البخاري و كتاب أبي داود و كتاب النسائي . ثم جرى الكلام فقال لنا أبو محمد : و ما وجدنا للبخاري و مسلم رحمهما الله في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا إلا حديثين لكل واحد منهما حديث .." [1]

ثانيا : السنة وحي واجب إتباعها .

قال ابن حزم : قد تيقنا وجوب طاعة الله عز وجل ورسوله عليه السلام علينا فحرام علينا الخروج عن طاعتهما في شيء مما امر به أو أن نقول في شيء مما ألزمنا إنه منسوخ ساقط بعد وجوبه إلا ببيان جلي لا شك فيه.[2]

و قال : ونحن إنما أطعنا أمر نبينا عليه السلام لعلمنا أنه كله من عند الله عز وجل وأنه لا يقول من تلقاء نفسه شيئا قال الله عز وجل {وما ينطق عن لهوى * إن هو إلا وحي يوحى}[3]

و قال : لما بينا أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه في الشرائع نظرنا فيه فوجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفا لرسوله صلى الله عليه وسلم {وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى} فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم على قسمين أحدهما وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام وهو القرآن والثاني وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء وهو الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا قال الله تعالى {بلبينات ولزبر وأنزلنا إليك لذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون} ووجدناه تعالى قد أوجب طاعة هذا الثاني كما أوجب طاعة القسم الأول الذي هو القرآن ولا فرق فقال تعالى {يا أيها لذين آمنوا أطيعوا لله وأطيعوا لرسول وأولي لأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى لله ولرسول إن كنتم تؤمنون بلله وليوم لآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} فكانت الأخبار التي ذكرنا أحد الأصول الثلاثة التي ألزمنا طاعتها في الآية الجامعة لجميع الشرائع أولها عن أخرها وهي قوله تعالى {يا أيها لذين آمنوا أطيعوا لله وأطيعوا لرسول وأولي لأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى لله ولرسول إن كنتم

---

1 نوادر الامام ابن حزم 5/2 لابن عقيل الظاهري

2 الاحكام 81/1

3 الاحكام 94/1

تؤمنون بلله وليوم لآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} فهذا أصل وهو القرآن ثم قال تعالى {يا أيها لذين آمنوا أطيعوا لله وأطيعوا لرسول وأولي لأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى لله ولرسول إن كنتم تؤمنون بلله وليوم لآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} فهذا ثان وهو الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى

{يا أيها لذين آمنوا أطيعوا لله وأطيعوا لرسول وأولي لأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى لله ولرسول إن كنتم تؤمنون بلله وليوم لآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} فهذا ثالث وهو الإجماع المنقول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه وصح لنا بنص القرآن أن الأخبار هي أحد الأصلين المرجوع إليهما عند التنازع قال تعالى {يا أيها لذين آمنوا أطيعوا لله وأطيعوا لرسول وأولي لأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى لله ولرسول إن كنتم تؤمنون بلله وليوم لآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} .و البرهان على أن المراد بهذا الرد إنما هو إلى القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الأمة مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا وإلى كل من يخلق ويركب روحه في جسده إلى يوم القيامة من الجنة والناس كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من أتى بعده عليه السلام وقبلنا ولا فرق وقد علمنا علم ضرورة أنه لا سبيل لنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى لو شغب مشغب بأن هذا الخطاب إنما هو متوجه إلى من يمكن لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمكنه هذا الشغب في الله عز وجل إذ لا سبيل لأحد إلى مكالمته تعالى فبطل هذا الظن وصح أن المراد بالرد المذكور في الآية التي نصصنا إنما هو إلى كلام الله تعالى وهو القرآن وإلى كلام نبيه صلى الله عليه وسلم المنقول على مرور الدهر إلينا جيل بعد جيل .[1]

و قال : فلم يسع مسلما يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن يأتي عما وجد فيهما فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق وأما من فعله مستحلا للخروج عن أمرهما وموجبا لطاعة أحد دونهما فهو كافر شك عندنا في ذلك وقد ذكرنا محمد بن نصر المروزي أن إسحاق بن راهويه كان يقول من بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر ولم نحتج في

1 الاحكام 1/96-97-98

هذا بإسحاق وإنما أوردناه لئلا يظن جاهل أننا منفردون بهذا القول وإنما احتججنا في تكفيرنا من استحل خلاف ما صح عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} قال علي هذه كافية لمن عقل وحذر وآمن بالله واليوم الآخر وأيقن أن هذا العهد عهد ربه تعالى إليه ووصيته عز وجل الواردة عليه فليفتش الإنسان نفسه فإن وجد في نفسه مما قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل خبر يصححه مما قد بلغه أو وجد نفسه غير مسلمة لما جاءه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد نفسه مائلة إلى قول فلان وفلان أو قياسه واستحسانه وأوجد نفسه تحكم فيما نازعت فيه أحدا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم متى صاحت فمن دونه فليعلم أن الله تعالى قد أقسم وقوله الحق إنه ليس مؤمنا وصدق الله تعالى وإذا لم يكن مؤمنا فهو كافر ولا سبيل إلى قسم ثالث..[1]

ثالثا : خبر الواحد يوجب العمل و اليقين بصحته .

قال رحمه الله : القسم الثاني من الأخبار ما نقله الواحد عن الواحد فهذا إذا اتصل برواية العدول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب العمل به ووجب العلم بصحته أيضا وبين هذا وبين شهادة العدول فرق نذكره إن شاء الله تعالى وهو قول الحارث بن أسد المحاسبي والحسين بن علي الكرابيسي وقد قال به أبو سليمان وذكره ابن خويز منداد عن مالك بن أنس..[2] ثم ذكر الأدلة على صحة ما ذهب إليه من القرآن و السنة و عمل الصحابة و التابعين . ثم حكى الإجماع على ذلك ، قال : فصح بهذا إجماع الأمة كلها على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم يجزي على ذلك كل فرقة في علمها كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك...[3]

رابعا : توجيه كلام ابن حزم رحمه الله :

1 الاحكام 99/1

2 الاحكام 108/1

3 الاحكام 113-1/114

قال الحميدي وهو أحد تلامذة ابن حزم رحمهم الله تعالى: سمعت الفقيه أبا محمد علي ابن أحمد بن سعيد الحافظ –وهو ابن حزم الأندلسي – وقد جرى ذكر الصحيحين فعظم منهما ورفع من شأنهما , وحكى أن سعيد بن السكن اجتمع إليه يوماً قوم من أصحاب الحديث فقالوا له: إن الكتب من الحديث قد كثرت علينا فلو دلنا الشيخ على شيء نقتصر عليه منها؟. فسكت عنهم ودخل إلى بيته فأخرج أربع رزم ووضع بعضها على بعض وقال: هذه قواعد الإسلام كتاب مسلم , وكتاب البخاري , وكتاب أبي داوود , وكتاب النسائي , ثم جرى الكلام. فقال لنا أبو محمد: " وما وجدنا للبخاري ومسلم – رحمهما الله – في كتابهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا حديثين لكل واحد منهما حديث.

فأما الذي في كتاب مسلم فأخرجه عن عباس بن عبد العظيم , وأحمد بن جعفر المعقري: عن النضر بن محمد اليماني: عن عكرمة – هو ابن عمار –: عن أبي زميل وهو سماك الحنفي: عن ابن عباس قال: "كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه. فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يانبي الله ثلاث أعطنيهن.

قال: نعم

قال: عندي أحسن نساء العرب و أجملهن أم حبيبة بينت أبي سفيان أزوجكها.

قال: نعم.

قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك.

قال: نعم.

قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال: نعم

قال أبو زميل: ولولا أنه طلب ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطاه ذلك , لأنه لم يسأل شيئاً إلا قال نعم."

قال لنا ابن حزم: وهذا حديث موضوع لاشك في وضعه , والآفة فيه من عكرمة بن عمار , ولا يختلف اثنان من أهل المعرفة بالأخبار في أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج أم حبيبة إلا قبل الفتح بدهر وهي بأرض الحبشة وأبوها أبو سفيان كافر هذا ما لا شك فيه.

وأما الذي في كتاب البخاري وقد تابعه مسلم عليه فهو قبل تمام الكتاب بأوراق في باب ترجمة (وكلم الله موسى تكليما) – سورة النساء – ذكره عن عبد العزيز بن عبد الله: عن

سليمان هو ابن بلال: عن شريك بن عبد الله قال: سمعت أنس بن مالك يقول :" ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه." هكذا قال , ثم مضى في الحديث وفيه: حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة "

قال ابن حزم: فهذه ألفاظ معجمة منكرة والآفة من شريك في ذلك.

أولها: قوله: قبل أن يوحى إليه وأنه حينئذ فرضت عليه الخمسون صلاة.

وهذا بلا خلاف من أحد من أهل العلم: إنما كان قبل الهجرة بسنة بعد أن أوحي إليه بنحو اثنتي عشرة سنة. فكيف يكون ذلك قبل أن يوحى إليه .

أولا : هذا الكلام المنقول عن ابن حزم لا يوجد في مؤلفاته المطبوعة بأيدينا ! بل هي حكاية نقلها عنه تلميذه الحميدي في أحد مجالس مدارسة الحديث و الفقه ، و يدل على ذلك قول الحميدي : " سمعت الفقيه أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد الحافظ و قد جرى ذكر الصحيحين ..."

قال الحافظ العراقي في التبصرة 135/1 : " و روينا عن محمد بن طاهر المقدسي و من خطه نقلت ، قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ببغداد يقول : قال لنا أبو محمد بن حزم : و ما وجدنا للبخاري و مسلم في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا إلا حديثين لكل واحد منهما حديث ، تم عليه في تخريجه الوهم مع اتقانهما و حفظهما و صحة معرفتهما ".

و العجب من الطاعن في صحة ثبوت تأليف البخاري لجامعه الصحيح بدعوى عدم وجود نسخة خطية أصلية بخط البخاري ! و بذلك كم على صحيح البخاري بالوضع و الإختلاق و أن صاحبه أسطورة . فكيف يستدل بكلام منسوب لابن حزم لم يخطه بيمينه ، و لا وجد في أحد مصنفاته ، بل منقول عنه !؟ و المخطوطة التي ذكر فيها كلام ابن حزم وجدت بمكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم 624/7 ، و هي من خطوط القرن التاسع الهجري ، كما قال محققها الشيخ ابن عقيل الظاهري – رحمه الله – في كتابه (نوادر ابن حزم) 5/2 . و تم نشرها كذلك في مجلة عالم الكتب مجلد1 ص 595 العدد الرابع .

فكان على الطاعن إحتراما لمنهجه الذي إتبعه في الطعن في الصحيح : أن يثبت أولا أن هذا الكلام المنسوب لابن حزم كلامه حقيقة ، و أنه و قف على نسخة من كلام ابن حزم بخط يده أو عليها توقيع أو إجازته !

ثانيا : إختلاف قول ابن حزم في الحكم على الحديث الأول ، فمرة ينقل عنه أنه قال : " موضوع " ، و مرة قال : "هذا الحديث وهم من بعض الرواة " و شتان بين الوهم و الوضع !

قال النووي : وقال بن حزم هذا الحديث وهم من بعض الرواة لأنه لا خلاف بين الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر وهي بأرض الحبشة وأبوها كافر وفي رواية عن بن حزم أيضا أنه قال موضوع قال والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن أبي زميل وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله هذا على بن حزم وبالغ في الشناعة عليه قال وهذا القول من جسارته فإنه كان هجوما على تخطئة الأئمة الكبار وإطلاق اللسان فيهم قال ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلى وضع الحديث وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما وكان مستجاب الدعوة .[1]

ثالثا : قوله رحمه الله : " و ما وجدنا للبخاري و مسلم في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا إلا حديثين .." ، يفيد أن جميع الأحاديث التي انتقدت على الصحيحين هي صحيحة عند ابن حزم ! . فلماذا لم يذكر الطاعن هذا الإعتراف الواضح البين الذي يعلي من مكانة الصحيحين ، و يبطل كل دعاوى الطاعنين ؟!

وشتان بين عالم محقق يعتقد بصحة ما في الصحيحين ، مع الثناء الجميل العطر على الشيخين ، و بين كاتب صحف شكك في وجود البخاري واعتبر ما أحيط به من مناقب " أساطير الرواة و المحدثين " لإختلاق أحاديث و نسبتها للرسول لكريم صلى الله عليه وسلم .

رابعا : مع جلالة ابن حزم و نبوغه في شتى العلوم الشرعية خاصة الفقه و الحديث و المنطق ، إلا أنه رحمه الله أنتقدت عليه كثير من أحكامه على الأحاديث و الرجال .

1 شرح مسلم 63/16 دار احياء التراث العربي ط 2

قال الذهبي : و لي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح و معرفته به ، و إن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال و العلل ..[1]

و قال ابن القيم : قالوا وأما تصحيح أبي محمد بن حزم له فما أجدره بظاهريته وعدم التفاته إلى العلل والقرائن التي تمنع ثبوت الحديث بتصحيح [مثل] هذا الحديث وما هو دونه في الشذوذ والنكارة فتصحيحه للأحاديث المعلولة وإنكاره لنقلتها نظير إنكاره للمعاني والمناسبات والأقيسة التي يستوي فيها الأصل والفرع من كل وجه والرجل يصحح ما أجمع أهل الحديث على ضعفه وهذا بين في كتبه لمن تأمله .[2]

و لهذا يتوقف العلماء في أحكامه على الرواة خاصة إذا كان غير مسبوق إليها . لعلمهم أنه ليس ممن يعتمد عليه في الجرح و التعديل إذا انفرد .

حديث مسلم

لم يوافق ابن حزم أحد من العلماء في ما نسب إليه من القول بوضع الحديث ، و اشتد إنكارهم عليه خصوصا اتهامه لعكرمة بن عمار بوضع الحديث .

و ما نسب إليه منتقد لوجوه منها :

أنه مخالف لإجماع النقاد على عصمة الصحيحين من الوضع و الإختلاق . ثم أنه مخالف لإجماع النقاد –كذلك – على براءة كعرمة من الوضع .

قال ابن الصلاح : " و لا نعلم أحدا من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار الى وضع الحديث ، و قد وثقه وكيع و يحي بن معين و غيرهما .."

و سئل أحمد بن حنبل : هل كان باليمامة أحد يقدم على عكرمة اليمامي مثل أيوب بن عتبة و ملازم بن عمرو و هؤلاء ، فقال : عكرمة فوق هؤلاء .

---

1 السير 18/201-202

2 الفروسية ص 246 دار الأندلس ط 1 .1993

قال يحي بن معين : ثقة . ثبت .

و قال ابن المديني : كان عكرمة من أصحابنا ثقة ثبتا .

و قال العجلي : ثقة . و قال النسائي : ليس به بأس ، إلا ي حديث يحي بن أبي كثير .[1]

و قد أجاب العلماء على ما أستشكل من الحديث :

قال النووي : واعلم أن هذا الحديث من الاحاديث المشهورة بالاشكال ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة وهذا مشهور لا خلاف فيه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل..[2]

قال القاضي عياض : قال القاضي والذي وقع في مسلم من هذا غريب جدا عند أهل الخبر ..[3] و قد تكلف بعض أهل العلم في الإجابة لتصويب هذا الخطأ ، و تعددت إجاباتهم و اختلفت . و الذي تطمئن له النفس ما ذهب إليه ابن القيم و ابن كثير و آخرون : أن الحديث صحيح ، لكن الغلط وقع من أحد الرواة في تسمسة أم حبيبة ، و إنما سأله أن يزوجه أختها عزة ، و خفاء التحريم عليه غير مستبعد ...[4]

حديث البخاري

و هذا الحديث أستشكلت بعض ألفاظه ، قال النووي : وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث في الكتاب أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله فقدم وأخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه..[5]

قال ابن حزم : " فهذه ألفاظ معجمة منكرة والآفة من شريك في ذلك.

---

1 يراجع : تهذيب التهذيب 7/261-263 و الكاشف 2/276

2 16/63

3 اكمال المعلم بفوائد مسلم 7/546

4 يراجع البداية و النهاية 4/144-145 زاد المعاد 1/111-112

5 2/209

أولها: قوله: قبل أن يوحى إليه وأنه حينئذ فرضت عليه الخمسون صلاة.

وهذا بلا خلاف من أحد من أهل العلم: إنما كان قبل الهجرة بسنة بعد أن أوحي إليه بنحو اثنتي عشرة سنة. فكيف يكون ذلك قبل أن يوحى إليه ."

أولا : ما ذهب إليه ابن حزم من أ، الإسراء كان قبل الهجرة بسنة ، و أنه لا خلاف في هذا بين أهل العلم ، فيه نظر إذ يوجد خلاف في تاريخ وقوع الإسراء .

قال النووي : الإسراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربي كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال بن إسحاق أسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل وأشبه هذه الأقوال قول الزهري وبن إسحاق إذ لم يختلفوا أن خديجة رضي الله عنها صلت معه صلى الله عليه وسلم بعد فرض الصلاة عليه ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة قيل بثلاث سنين وقيل بخمس ومنها أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء..[1]

و قال في فتاويه : و كان الاسراء سنة خمس أو ست من النبوة ، و قيل سنة إثنتي عشرة منها ، و قيل بعد سنة و ثلاثة أشهر منها ، و قيل غير ذلك .[2]

ثانيا: اتهام شريك بالتفرد

قال ابن حجر : وصرح المذكورون بأن شريكا تفرد بذلك وفي دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بمعجمة ونون مصغر عن أنس كما أخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في كتاب المغازي من طريقه .[3]

---

1 210-209/2

2 فتاوى النووي 18/17

3 الفتح 480/13

قال أبو الفضل بن طاهر : قال أبو الفضل بن طاهر تعليل الحديث بتفرد شريك ودعوى بن حزم أن الآفة منه شيء لم يسبق إليه فإن شريكا قبله أئمة الجرح والتعديل ووثقوه ورووا عنه وأدخلوا حديثه في تصانيفهم واحتجوا به وروى عبد الله بن أحمد الدورقي وعثمان الدارمي وعباس الدوري عن يحيى بن معين لا بأس به وقال بن عدي مشهور من أهل المدينة حدث عنه مالك وغيره من الثقات وحديثه إذا روى عنه ثقة لا بأس به إلا أن يروي عنه ضعيف. وحديثه هذا رواه عنه ثقة وهو سليمان بن بلال قال وعلى تقدير تسليم تفرده قبل أن يوحى إليه لا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع من الحديث لا يسقط جميع الحديث ولا سيما إذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور ولو ترك حديث من وهم في تاريخ لترك حديث جماعة من أئمة المسلمين ولعله أراد أن يقول بعد أن أوحي إليه فقال قبل أن يوحى إليه انتهى.[1]

قال الحافظ : وقد سبق إلى التنبيه على ما في رواية شريك من المخالفة مسلم في صحيحه فإنه قال بعد أن ساق سنده وبعض المتن ثم قال فقدم وأخر وزاد ونقص وسبق بن حزم أيضا إلى الكلام في شريك أبو سليمان الخطابي كما قدمته وقال فيه النسائي وأبو محمد بن الجارود ليس بالقوي وكان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه نعم قال محمد بن سعد وأبو داود ثقة فهو مختلف فيه فإذا تفرد عد ما ينفرد به شاذا وكذا منكرا على رأي من يقول المنكر والشاذ شيء واحد والأولى التزام ورود المواضع التي خالف فيها غيره والجواب عنها إما بدفع تفرده وإما بتأويله على وفاق الجماعة ..[2]

---

[1] الفتح 485/13

[2] 485/13

الشيخ الألباني

في محاولة من أيلال لحشد الأدلة المؤيدة لطرحه ، ذ هب يتمسح بكلام للعلامة الألباني حول بعض أحاديث الصحيحين . و هذا الإستدلال لا يخدم في الحقيقة غاية أيلال ، إذا علم موقف الشيخ من الصحيحين ، و جهوده في الدفاع عن أحاديثهما أمام مطاعن المبتدعة ، و تم تحقيق مسألة تضعيفه لبعض أحاديث الصحيحين .

أولا : تعظيم الشيخ للصحيحين

قال رحمه الله : " الصحيحان هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى باتفاق علماء المسلمين من المحدثين وغيرهم، فقد امتازا على غيرهما من كتب السنة يتفردهما بجمع أصح الأحاديث الصحيحة، وطرح الأحاديث الضعيفة والمتون المنكرة، على قواعد متينة، وشروط دقيقة، وقد وفقوا في ذلك توفيقًا بالغًا لم يوفق إليه من بعدهم ممن نحا نحوهم في جمع الصحيح، كابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم حتى صار عرفًا عاما أن الحديث إذا أخرجه الشيخان أو أحدهما، فقد جاوز القنطرة، ودخل في طريق الصحة والسلامة, ولا ريب في ذلك، وأنه هو الأصل عندنا، وليس معنى ذلك أن كل حرف أو لفظة أو كلمة في "الصحيحين" هو بمنزلة ما في "القرآن" لا يمكن أن يكون فيه وهم أو خطأ في شيء من ذلك من بعض الرواة، كلا فلسنا نعتقد العصمة لكتاب بعد كتاب الله تعالى أصلا، فقد قال الإمام الشافعي وغيره: "أبى الله أن يتم إلا كتابه"، ولا يمكن أن يدعي ذلك أحد من أهل العلم ممن درسوا الكتابين

دراسة تفهم وتدبر مع نبذ التعصب، وفي حدود القواعد العلمية الحديثة، لا الأهواء الشخصية، أو الثقافة الأجنبية عن الإسلام وقواعد علمائه.."[1]

و قال في الصحيحة : " إن حديثا يخرجه الإمام البخاري في المسند الصحيح ، ليس من السهل الطعن في صحته لمجرد ضعف إسناده ، لاحتمال أن يكون له شواهد تأخذ بعضده و تقويه " [2]

و قال في تمام المنة : " ينبغي لمن يشتغل بكتب السنة أن يجعل عمدته على الصحيحين ، لإتفاق الأمة عليهما ، و إعتنائها بروايتهما أكثر من غيرهما من كتب السنة الأخرى " [3]

ثانيا : تضعيف الشيخ الألباني اجتهاد منه، قابل للقبول والرد

إجتهد الشيخ و تكلم على أحاديث قليلة جدا في صحيح البخاري ، و كان مدار تعقباته هو الإسناد من حيث التكلم في أحد رجاله أو الاضطراب فيه . ويعض ألفاظ المتون من حيث غرابتها أو شذوذها أو نكارتها .

ولكن لا يلزم من تضعيف الشيخ لها أن تكون ضعيفة بالفعل، بل قد تكون صحيحة كما ذهب إلى ذلك البخاري من قبل، وقد تكون ضعيفة فعلا. و هذا ما أقر به الشيخ عندما رد على الشيخ محمود سعيد المصري ، حيث قال : " في كتاب له سماه (تنبيه المسلم الى تعدي الالباني على صحيح مسلم) إنتقد فيه تضعيفي لأحاديث من رواية ابي الزبير عن جابر و غيرها ، و لو أنه سلك فيه طريق أهل العلم المخلصين في بيان ما يمكن أن أكون قد أخطأت فيه ، فإنه لا عصمة لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم لشكرته على ذلك .."[4]

ثالثا : تخوفه الشديد من رد أحاديث الصحيحين بدعاوى باطلة كمخالفتها للواقع !

---

1 شرح الطحاوية ص 22-23 طبع المكتب الإسلامي

2 الصحيحة رقم 1640 ج4ص 185

3 تمام المنة ص 291

4 أداب الزفاف ص 49

قال في معرض تعقبه على قول الشيخ أبي الفيض الغماري : " و منها أحاديث الصحيحين ، فإن فيها ا هو مقطوع ببطلانه فلا تغتر بذلك ، و لا تتهيب الحكم عليه بالوضع ، لما يذكرونه من الإجماع على صحة ما فيهما ، فإنها دعوى فارغة لا تثبت عند البحث و التمحيص . فإن الإجماع على صحة جميع أحاديث الصحيحين غير مقبول و لا واقع و لتقرير ذلك موضع آخر ، و ليس معنى هذا أن أحاديثهما ضعيفة أو باطلة أو يوجد فيها ذلك بكثرة ، بل المراد أنه يوجد فيهما أحاديث غير صحيحة لمخالفتها للواقع "

فقال الشيخ : " و هذا مما لا يشك فيه كل باح متمرس في هذا العلم .. غير أني أتخوف من قول الغماري أخيرا " لمخالفتها للواقع " .

فالشيخ أقر الغماري على عدم صحة الإجماع على صحة كل حديث في الصحيحين ، كما أقره على كلامه الأخير أنه ليس معنى هذا أن أحاديثهما ضعيفة أو باطلة . لكنه لم يقره على شرط مخالفة الواقع ، الذي وضعه الغماري كمعيار لرد أحاديث الصحيحين . و هذه الجملة الأخيرة لم ينقلها أيلال لأنها تهدم غايته و هدفه !

رابعا : تحرزه الشديد و تريثه في الكلام على أحاديث الصحيحين حتى التي تكلم فيها بعض النقاد السابقين .

لما تعرض رحمه الله للكلام على بعض الأحاديث التي تكلم فيها بعض الأئمة ، و تبين له أنها صحيح خلافا لمن تكلم عليها ، قال رحمه الله : " إن حديثا يخرجه الإمام البخاري في المسند الصحيح ليس من السهل الطعن في صحته لمجرد ضعف في إسناده ، لإحتمال أن يكون له شواهد تأخذ بعضده و تقويه "

خامسا : تشديده النكير على كل من تعدى على حديث واحد من أحاديث الصحيحين .

و منهم هؤلاء : الغماريين و محمد زاهد الكوثري [1]. و العقلانيين كأبي رية .

[1] أنظر أداب الزفاف ص 50 و ما بعدها . شرح العقيدة الطحاوية ص 50 - 51 .

قال رحمه الله : " وفي مقابل هؤلاء بعض الناس ممن لهم مشاركة في بعض العلوم، أو في الدعوة إلى الإسلام- ولو بمفهومهم الخاص- يتجرؤون على رد ما لا يعجبهم من الأحاديث الصحيحة وتضعيفها، ولو كانت مما تلقته الأمة بالقبول، لا اعتمادا منهم على أصول هذا العلم الشريف، وقواعده المعروفة عند المحدثين، أو لشبهة عرضت لهم في بعض رواتها؛ فإنهم لا علم لهم بذلك، ولا يقيمون لأهل المعرفة به والاختصاص وزنا، وإنما ينطلقون في ذلك من أهوائهم، أومن ثقافاتهم البعيدة عن الإيمان الصحيح، القائم على الكتاب والسنة الصحيحة؛ تقليدا منهم للمستشرقين أعداء الدين، ومن تشبه بهم في ذلك من المستغربين أمثال أبي ريا المصري، وعز الدين بليق اللبناني، والشيخ محمد الغزالي، وغيرهم ممن ابتليت بهم الأمة في العصر الحاضر بإنكار الأحاديث الصحيحة بأهوائهم، وبلبلوا أفكار بعض المسلمين بشبهاتهم.

وقريب من هؤلاء بعض المشتغلين بهذا العلم؛ إلا أنهم لغلبة التعصب المذهبي عليهم، وتمكن الأهواء منهم؛ فإنهم في كثير من الأحيان يضعفون الأحاديث الصحيحة؛ كالشيخ الكوثري، وعبد الله الغماري، وأخيه الشيخ أحمد، والشيخ إسماعيل الأنصاري، ومن شاء الاطلاع على شيء من ذلك؛ فليرجع إلى مقدمتي على "شرح الطحاوية"، ومقدمتي لكتاب "آداب الزفاف في السنة المطهرة" وغيرها؛ يجد العجب العجاب.

والله تعالى هو المستعان والمسؤول أن يحفظ السنة من أيدي الجاهلين

والعابثين بها، والجاعلين لها تبعا للأهواء، وأن يعرفنا بقدر جهود سلف أئمتنا في

خدمتها، الذين وضعوا لنا أصولا وقواعد لمعرفة صحيحها من سقيمها، من التزمها؛

كان على المحجة البيضاء، ومن حاد عنها؛ ضل ضلالا بعيدا.

ورحم الله الإمام البخاري، الذي كان له السبق في هذا المجال، فوضع لنا كتابه هذا "الصحيح"؛ منقيا إياه من الألوف المؤلفة من أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم –، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء."[1]

ساسا : تفصيله القول في أحاديث البخاري .

قال رحمه الله : " من المقرر في علم الحديث أن أحاديث "صحيح البخاري" تنقسم إلى قسمين:

الأول: هي التي يسندها البخاري إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أي يسوق أسانيدها متصلة منه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا القسم كله صحيح عند العلماء إلا أحرفًا يسيرة جدًّا وهم فيها بعض الرواة.

والآخر: هي التي يذكرها بدون إسناد متصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وله صور كثيرة لا مجال لذكرها الآن، وهذا القسم يسمى بالحديث المعلق، وقد اتفقوا أن فيه الصحيح والحسن والضعيف، ولا يمكن العلم بمعرفة رتبة هذا القسم من مجرد إيراد البخاري إياه في "صحيحه" بخلاف القسم الأول، اللهم إلا إذا صدر الحديث المعلق بصيغة الجزم مثل «قال وروى وذكر» ونحوها، فإنه يدل على أنه صحيح عنده، وإذا صدره بصيغة التمريض، مثل «رُوي» و «ذكر» ونحوهما، فإنه يدل على ضعفه عنده، على أن هذا ليس مضطردًا عنده، فكثيرًا ما يصدره بصيغة الجزم، ويكون ضعيفًا، وقد يصدره بصيغة التمريض وهو عنده صحيح لأسباب لا مجال لذكرها الآن، وقد أوردها الحافظ ابن حجر العقلاني في "مقدمة فتح الباري" فمن شاء الاطلاع عليها فليرجع إليه.

وإنما الطريق الوحيد لمعرفة ذلك الرجوع إلى سند الحديث الذي علقه البخاري، في كتب السنة الأخرى كالسنن وغيرها، فيدرس سنده ثم يعطى ما يستحقه من رتبة.

---

[1] مختصر صحيح البخاري2/8-10

إذا عرفنا هذا، فإن كثيرًا من الناس ممن لا علم عندهم بهذا التفصيل في أحاديث البخاري ، يتوهم أن كل حديث فيه صحيح، وعلى ذلك فهو ينقل منه بعض الأحاديث المعلقة، ثم يعزوها إليه عزوًا مطلقًا، فيوهم الناس ما توهمه هو نفسه أن الحديث صحيح، وقد يكون ضعيفًا، فيخطئ ويكون سببًا لخطأ غيره، من أجل ذلك اتفق علماء الحديث على أنهم إذا نقلوا من صحيح البخاري حديثًا من القسم الثاني ، أن يشار إلى ذلك بمثل قولهم «رواه البخاري معلقًا»، أو «ذكره البخاري بدون إسناد» وذلك لكي لا يوهموا الناس أن الحديث من القسم الأول الصحيح!

وقد أخل بذلك كثير من المصنفين، خاصة منهم المتأخرين، مثل مؤلف كتاب "الجامع للأصول الخمسة"، فكثيرًا ما رأيناه يقول في تخريجه لبعض الأحاديث «رواه البخاري»، وهي عنده معلقة! وجرى على نسقه الشيخ الكتاني، فوجب التنبيه عليها، مع ذكر الصحيح والضعيف منها."[1]

سابعا : عدم تحكيم العقل و الهوى في رد الحديث الصحيح

قال رحمه الله : " وبعد فقط أطلت الكلام على هذا الحديث وراويه دفاعا عن السنة ولكي لا يتقول متقول، أو يقول قائل من جاهل أوحاسد أومغرض:

إن الألباني قد طعن في " صحيح البخاري " وضعف حديثه، فقد تبين لكل ذي بصيرة أنني لم أحكم عقلي أو رأيي كما يفعل أهل الأهواء قديما وحديثا، وإنما تمسكت بما قاله العلماء في هذا الراوي وما تقتضيه قواعدهم في هذا العلم الشريف ومصطلحه من رد حديث الضعيف، وبخاصة إذا خالف الثقة. والله ولي التوفيق."[2]

ثامنا : خطأ أغلب الإنتقادات الموجهة لأحاديث الصحيح

---

[1] نقد نصوص حديثية ص 7-8

[2] سلسلة الأحاديث الضعيفة 465/3

قال رحمه الله : " واعلم أن "صحيح البخاري" مع جلالته وتلقي العلماء له بالقبول كما سبق ذكره في المقدمة؛ فإنه لم يسلم من النقد من بعض العلماء، وإن كان غالبه مجانبا للصواب؛ كما شرحه الحافظ ابن حجر في مقدمة "الفتح"، ومن أسباب ذلك أن الناقد يقف في نقده عند خصوص إسناد البخاري، وهو في هذه الحالة مصيب، ولكنه يكون مخطئا حين لم يتجاوزه إلى غيره؛ كما فعل ابن حزم.."[1]

[1] مختصر صحيح مسلم 4/2

الفصل السادس   تفنيد شبهات أيلال حول أحاديث الصحيح

رد الأحاديث بدعوى إساءتها للرسول .

الرسول يسحر فيهذي

قال أيلال : ورد في صحيح البخاري تحت رقم 5433 حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَت:" سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ ثُمَّ قَالَ أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ قُلْتُ وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ قَالَ فِيمَا ذَا قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ قَالَ فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبِئْرِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ قَالَ لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ وَشَفَانِي وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ".

وقد عقب ابن حجر العسقلاني في فتح الباري تعليقا على هذا الحديث بقوله:" ثم ذكر المصنف في الباب سبعة وعشرين حديثا الأول حديث عائشة قالت : " سحر النبي صلى الله عليه وسلم " الحديث ، وسيأتي شرحه في كتاب الطب ، ووجه إيراده هنا من جهة أن السحر إنما يتم باستعانة الشياطين على ذلك ، وسيأتي إيضاح ذلك هناك ، وقد أشكل ذلك على بعض الشراح ." بمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس من المخلصين ، فقد قال تعالى : (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)(الحجر:40)

وهاته إساءة بالغة لنبينا عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم. و بالإضافة الى هذه الإساءة فهذا الحديث يخالف جملة وتفصيلا عصمة الرسول وحفظ الله له ، كما يخالف قوله تعالى :

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (الاسراء:47) فالله ينفي عن نبيه أنه سحر ، ويقول عمن يقول بأن الرسول مسحور بأنه ظالم ، بل وصلت بهؤلاء وقاحتهم أن اعتقدوا أن رسول الله كان يخيل إليه أنه يقوم بالعمل وهو لم يقم به ، فهو كان يتوهم –حاشاه– أنه يجامع نساءه رغم أنه لم يقم بذلك ، وذلك من الهذيان ، وهي إساءة من الإساءات التي لم يتورع من ألف هذا الكتاب عن تدوينها فيه ، لكن مادام هذا الحديث في صحيح البخاري فلا يمكن تكذيبه ، وأن من يعتقد بما في القرآن وينفي عن الرسول بأنه سحر ، وينكر هذا الحديث المسيء لنبينا فهو كافر بفتوى شيوخ الوهابية ، كما أوردنا نقلا عنهم في هذا الكتاب."[1]

أولا : تخريج الحديث

الحديث لم يتفرد به البخاري[2] حتى يزعم أيلال أنه من تأليفات كاتب الصحيح ! فقد أخرجه جمع من الأئمة قبل البخاري و بعده منهم :

الحميدي في مسنده رقم 261 و ابن ابي شيبة في مصنفه رقم 23519 واسحق بن راهويه في مسنده رقم 737 ، و احمد في المسند رقم 24237-24300-24347-24348-24650 ، و مسلم في صحيحه رقم 2189 ، و النسائي في السنن الكبرى 7569 ، وابن ابي يعلى في مسنده رقم 4882 ، و ابن حبان في صحيحه رقم 6583-6584 ، و الطحاوي في شرح مشكل الأثار رقم 5934 ،و البيهقي في السنن الكبرى رقم 16494 ، و السنن الصغرى رقم 3130

---

[1] ص 154-153

[2] صحيح البخاري رقم 3175-3268-5763-5765-5766-6063-6064-6391

ثانيا : هذا الحديث طعن فيه المعتزلة و قالوا : أن ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر باطل لا يصح ، بل هو من وضع الملحدين ! و ممن ذهب الى ذلك أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن .[3]

فالتقف هذه الدعوى دعاة العقلانية في العصر الحاضر كأبي رية و احمد صبحي منصور و زكريا أوزون و غيرهم فعلت أصواتهم طعنا في السنة و تشابهت أقوالهم ، غير أن تلميذهم أيلال فاقهم جرأة في الطعن و التكذيب و سفالة في التعبير !

ثالثا : أين قال العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابه الهذيان ؟ و من قال بهذا ؟ وهذا الذي قاله كذب صراح على العلماء . فالهذيان هو" :كلام غير معقول مثل كلام المبرسم والمعتوه" 4 فأين الهذيان في تخيل شيء حصل وهو لم يحصل!

ألم تقل إنك تسلّم بصحة القرآن؟ فإننا نجد في الذكر الحكيم ذكر السحر و أثره و ضرره و كفر فاعله ، و أنه يفرق بين المرء و زوجه ، و أنه لا يضر إلا بإذن الله و قضائه و قدره ككل شر و ضر في هذا الوجود . فإذا أنكر أيلال إخراج البخاري و غيره لهذا الحديث لأنه ينكر السحر و حقيقته ، فمشكلته مع القرآن لا مع البخاري !

و إن كان ينكر أن يكون له تأثير على النبي صلى الله عليه وسلم و لو بمجرد تخيله في شأن أمر دنيوي كالجماع فقد أخبر القرآن عن موسى أنه خيل له من سحر سحرة فرعون أن الحبال و العصي تسعى قال الله تعالى فيه :﴿قَا لوا يَا موسَى إِ ما أَن تلقي وَإِ ما أَن تكونَ أول مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقوا فَإِذَا حبالهم وَعِصِيهمْ يخَيل إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَ نهَا تَسْعى

[3] احكام القرآن ص 58-59

[4] لسان العرب لابن منظور ج 15 ص 360

*فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسَى * قلْنَا لَا تَخَفْ إِ نكَ أَنتَ ا لأَعْلَى ﴾[5] . فعلى كلام أيلال فإن قوله : (يخيل إليه من سحرهم) أنه هذيان ! فما جوابه ؟

و قد جاء في القرآن الكريم أن الأنبياء و الرسل بشر ..{ قل انما أنا بشر مثلكم } و يسألون الله الشفاء { و إذا مرضت فهو يشفين } و يصيبهم ما يصيب بقية البشر من الألام و الأسقام و الأمراض و يتعرضون للأذى من أعدائهم من الجن و الإنس { إني مسني الشيطان بنصب و عذاب} و قد قتل اليهود أنبياءهم و آذوهم { و قتلهم الأنبياء}{ أوكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم و فريقا تقتلون }و قال موسى { لم تؤذونني و قد تعلمون أني رسول الله اليكم }. و كل هذا لا دخل له في عصمتهم عن الخطأ في تبليغ الرسالة ، و العصمة من الفواحش و المعاصي و ليس للشيطان عليهم سبيل من جهة الإغواء و الإضلال .

رابع : إدعاؤه تكفير الوهابية لمنكر حديث السحر !

ما دخل الوهابية بما قرره العلماء من تصحيح الحديث أو تضعيفه أو شرحه قبل أن يولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقرون ؟ ثم من أفتى بكفر من نفى عن النبي صلى الله عليه وسلم السحر ؟ و لو صح تكفير من أنكر حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم لكفر العلماء علماء كبار جهابذة كأبي بكر الجصاص و الزمخشري و محمد عبده و رشيد رضا و القاسمي ، لكن هذا لم يقع فعلم أن هذا مما لا يكفر صاحبه .

خامسا : جواب العلماء على هذا الإعتراض .

أن ما تعرض له النبي – صلى الله عليه وسلم – من سحر، هو مرض من الأمراض، وعارض من العلل، وهذه تجوز على الأنبياء كغيرهم من البشر، وهي مما لا ينكر ولا يقدح في النبوة، ولا يخل بالرسالة أو الوحي، والله سبحانه إنما عصم نبيه – صلى الله عليه وسلم – مما يحول بينه وبين الرسالة وتبليغها، وعصمه من القتل، دون العوارض التي تعرض للبدن. و أن السحر

---

[5] سورة طه الآيات 65-68

إنما تسلط على ظاهر النبي – صلى الله عليه وسلم – وجوارحه، لا على قلبه واعتقاده وعقله، ومعنى الآية: عصمة القلب والإيمان، دون عصمة الجسد عما يرد عليه من الحوادث الدنيوية.

قال الإمام المازري [6] : أهل السنة وجمهور العلماء من الأمة مجمعون على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقائق غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكره ونفى حقيقته وأضاف ما يتفق منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما يشير إلى أنه مما يكفر به وأنه يفرق به بين المرء وزوجه وهذا كله مما لا يمكن أن يكون فيما لا حقيقة له وكيف يتعلم ما لا حقيقة له.

وهذا الحديث أيضا فيه إثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت وهذا كله يبطل ما قالوه. والذي يعرف بالعقل من هذا أن إحالة كونه من الحقائق محال وغير مستنكر في العقل أن يكون الباري سبحانه يخرق العادات عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب مالا يعرفه إلا الساحر ومن شاهد بعض الأجسام منها قتالة كالسموم ومنها مسقمة كالأدوية الحادة، ومنها مصحة كالأدوية المضادة للمرض لم يبعد في عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة.

وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث من طريق ثابتة ، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع ولعله يتخيل إليه جبريل –عليه السلام– وليس ثم ما يراه أو أنه أوحى إليه وما أوحي إليه وهذا الذي قالوه باطل وذلك أن الدليل قد قام على صدقه فيما يبلغه عن الله سبحانه وعلى عصمته فيه والمعجزة شاهدة بصدقه وتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان رسولا مفضلا من أجلها هو في كثير منه عرضة لما يعترض البشر فغير بعيد أن يخيل إليه في أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قال بعض الناس إنما المراد بالحديث أنه كان يخيل إليه أنه وطىء زوجاته وليس بواطىء وقد

---

[6] المعلم بفوائد مسلم 3/158–159 الدار التونسية للنشر ط 2 –1991

يتخيل في المنام للإنسان مثل هذا المعنى ولا حقيقة له فلا يبعد أن يكون – صلى الله عليه وسلم – يتخيله في اليقظة وإن لم يكن حقيقة وقال بعض أصحابنا يمكن أن يكون يخيل إليه الشيء أنه فعله وما فعله ولكنه لا يعتقد ما تخيله أنه صحيح فتكون اعتقاداته كلها على السداد فلا يبقى لاعتراض الملحد طريق .

أما القاضي عياض فقد بوب في الشفا باب (فيما يخصهم في الأمور الدنيوية و ما يطرأ عليهم من العوارض البشرية) [7] ، قال رحمه الله : " قد قدمنا أنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والرسل من البشر ، وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات و التغييرات والآلام ، والأسقام وتجزع كأس الحمام ما يجوز على البشر .و هذا كله ليس بنقيصة فيه ، لأن الشئ إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه، وقد كتب الله تعالى على أهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون . و خلق جميع البشر بمدرجة الغير، فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى وأصابه الحر، والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب ، والضجر وناله الإعياء والتعب ومسسه الضعف والكبر، وسقط فجحش شقه وشجه الكفار ، وكسروا رباعيته وسقي السم ، وسحر وتداوى واحتجم ، وتنشر وتعوذ ، ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى . وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها، وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه ، فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير، ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات ومنهم من عصمه ،كما عصم نبينا من الناس ، فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف .فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور ، وأمسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ، ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية . وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى ، وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ، ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم ، وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم ، لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصاري بعيسى ابن مريم وليكون في محنهم تسلية

---

[7] الشفا بتعريف حقوق المصطفى 2/178-179-180-181-182-183 ط دار الفكر1988

لأممهم و وفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم، قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية ، المقصود بها مقاومة البشر ومعناة بني آدم لمشاكلة الجنس ، وأما بواطنهم فمنزهه غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملإ الأعلى والملائكة ، لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم . قال : وقد قال صلى الله عليه وسلم (إن عيني تنامان ولا ينام قلبي) وقال (إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني) وقال (لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي) فأخبر أن سره وباطنه وروحه خلاف جسمه وظاهره ، وأن الآفات التي تحل ظاهرة من ضعف، وجوع وسهر و نوم ، لا يحل منها شئ باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن ، لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته ، حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه، لكون قلبه يقظان كما ذكرناه. وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه ، وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته ، وهو صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك ، وأنه بخلافهم لقوله (إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه .

فصل فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي عليه قال نا حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن خلف نا محمد بن أحمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد ابن إسماعيل نا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشئ وما فعله وفي رواية أخرى حتى كان يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن (الحديث) . وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث ، وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير، وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ، ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر، وروي نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم

وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه (الحديث) ، قال عبد الرزاق: حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره، وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة، فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه ويكون معني قوله: يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، أي: يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذه السحر فلم يقدر على إتياهن كما يعتري من أخذ واعترض، ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله: وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشئ وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشئ طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا .

قال ابن بطال : قال المهلب: وأيضًا فإن ذلك السحر لم يضره (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأنه لم يفقده شيئًا من الوحى، ولا دخلت عليه داخلة فى الشريعة، وإنمااعتراه شيء من التخيل والتوهم، ثم لم يتركه الله على ذلك، بل تداركه ثم عصمه وأعلمه بموضع السحر، وأمره باستخراجه وحله عنه، فعصمه الله من الناس ومن شرهم، كما وعده، وكما دفع عنه أيضًا ضر السم بعد أن أطلعه الله على المكيدة فيه، بأنه أظهرها إليه معجزة من كلام الذراع. وقد اعترض بعض الملحدين بحديث عائشة، وقالوا: وكيف يجوز السحر على النبى، والسحر كفر وعمل من أعمال الشياطين، فكيف يصل ضره إلى النبى مع حياطة الله له وتسديده إياه بملائكته، وصون الوحى من الشياطين؟ وهذا اعتراض يدل على جهل وغباوة من قائله وعناد للقرآن؛ لأن الله قال لرسوله: (قل أعوذ برب الفلق) إلى قوله: (ومن شر النفاثات فى العقد) والنفاثات: السواحر ينفثن فى العقد كما ينفث الراقى فى الرقية، فإن كانوا أنكروا ذلك؛ لأن الله لا يجعل للشياطين سبيلا على النبى، فقد قال تعالى: (وما أرسلنا من رسول ولا نبى إلا

إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) يريد إذا تلا ألقى الشيطان. وقد روى عن النبى – (صلى الله عليه وسلم) أن عفريتًا تغلب عليه ليلة ليقطع عليه الصلاة حتى هم أن يربطه إلى سارية من سوارى المسجد فذكر قول سليمان: (رب اغفر لى وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى) فرده خاسئًا. وليس فى جواز ذلك على النبى ما يدل أن ذلك يلزمه أبدًا، أو يدخل معه عليه داخلة فى شيء من حاله أو شريعته، وإنما ناله من ضر السحر ما ينال المريض من ضر الحمى والبرسام من غير سحر، من الضعف عن الكلام، وسوء التخيل،ثم زال ذلك عنه، وأفاق منه، وأبطل الله كيد السحرة، وقد أجمع المسلمون أنه معصوم فى الرسالة فسقط اعتراض الملحدة .[8]

و بهذا قال جمهور العلماء من المحدثين و المفسرين و المؤرخين و للزيادة يراجع : الخطابي [9]،و وابن القيم [10]، والعيني [11]، والسندي[12]، وابن حجر الهيتمي[13]و الحجوي [14] و قد فصلت في الموضوع في كتاب (مسالك المالكية في الجواب عما أشكل من أحاديث الصحيحين) .

[8] شرح صحيح البخاري لابن بطال 358/5-359-360 مكتبة الرشد ط 2 .
[9] اعلام الحديث 1501/2
[10] بدائع الفوائد 192/2
[11] عمدة القاري 98/15
[12] حاشية السندي على سنن النسائي 113/7
[13] الزواجر عن اقتراف الكبائر، للهيتمي (2/ 163 . 164).
[14] الدفاع عن الصحيحين

الرسول يحاول الانتحار !

قال أيلال : -الرسول يحاول الانتحار

في " صحيح البخاري برقم (6581) من كتاب " التعبير " ، باب " أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة " "قَالَ الزُّهْرِيُّ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : ... وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ ، فَيَرْجِعُ ؛ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ " .

الحديث ورد في كتاب من كتب صحيح البخاري ، وهو يتهم الرسول بمحاولة الانتحار ، ومحاولة الانتحار لاتنتج عن إنسان سوي ، فهي نتيجة لاضطرابات نفسية ، فكيف يسوغ لإنسان مسلم أن يتهم رسوله بهذا ، ورغم المحاولة التي قام بها ابن حجر العسقلاني وغيره لتبرير رواية البخاري لبلاغ إقدام الرسول على محاولات الانتحار مرات عدة ، معتبرا أن الزياد "فيما بلغنا" وما بعدها ليست من كلام عائشة بل هي زيادة للزهري ، لكن رغم أن هذا تأويل مجرد تأويل ، فالكذب على رسول الله واضح من خلال الرواية الموجودة في صحيح البخاري ، لكن عباد الأسطورة لا يتورعون عن القول :"إن كل ما في صحيح البخاري صحيح"[15]

و قال أيضا : من بلاغات صحيح البخاري في أول كتاب منه يتهم الرسول بمحاولة الانتحار -حاشاه صلى الله عليه وسلم- وإليكم نص ما ورد بصحيح البخاري بكتاب

---

[15] ص 149-150

التعبير باب أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة بالحديث رقم [6581] [حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال]. لكن مازال البعض يعتقد أن كل ما في صحيح البخاري صحيح ، افلا تعقلون؟!!!![16]

تخريج رواية البلاغ :

البخاري رقم 6982 ج 9ص 29 و احمد في المسند رقم 25959 ج 43/112-113 . عبد الرزاق في المصنف 323/5 ابن عوانة في المستخرج رقم 328 ج102/1 و ابن حبان في الصحيح رقم 33 ج 216/1 ، ابن منده في الإيمان 692/2 ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة 835/4 ، ابو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة 214 ، الدولابي في الذرية الطاهرة 33، ابن عبد البر في اختصار المغازي و السير 33 و ذكره القاضي عياض في الشفا 244/2 و ابن كثير في السيرة 386/1 و البغوي في الأنوار في شمائل النبي المختار 17.

- صنيع البخاري رحمه الله :

أخرج هذه الرواية في صحيحه في مواضع متعددة و لم يذكر في واحد منها ما ذكره في رواية باب أول نا بدئ به رسول الله صلة الله عليه وسلم ! فمن ذلك أنه أخرجه من حديث الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة الى قوله : " ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، و فتر الوحي . قال ابن شهاب : و أخبرني ابو سلمة ... ." دون ذكر محاولة التردي .

ثم أخرجه في (باب واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) رقم 3392 ج151/4

---

[16] ص 68-69

عن ابن شهاب أيضا و ليس فيه ذكر بلاغ محاولة التردي . و أخرجه في (باب ما ودعك ربك و ما قلى) رقم 4953 ج 173/6 عن ابن الشهاب عن عروة عن عائشة و فيه : " ثم لم ينشب ورقة أن توفي و فتر الوحي حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذه الزيادة ليست من شرطه في الصحيح " و لعل البخاري ذكرها لينبهنا الى مخالفتها لما صح عنده من حديث بدء الوحي الذي لم تذكرفيه هذه الزيادة .[17]

– أنها من بلاغات الزهري و ليست موصولة

قال ابن حجر : وقوله هنا فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا هذا وما بعده من زيادة معمر على رواية عقيل ويونس وصنيع المؤلف يوهم أنه داخل في رواية عقيل وقد جرى على ذلك الحميدي في جمعه فساق الحديث إلى قوله وفتر الوحي ثم قال انتهى حديث عقيل المفرد عن بن شهاب إلى حيث ذكرنا وزاد عنه البخاري في حديثه المقترن بمعمر عن الزهري فقال وفتر الوحي فترة حتى حزن فساقه إلى آخره والذي عندي أن هذه الزيادة خاصة برواية معمر فقد أخرج طريق عقيل أبو نعيم في مستخرجه من طريق أبي زرعة الرازي عن يحيى بن بكير شيخ البخاري فيه في أول الكتاب بدونها وأخرجه مقرونا هنا برواية معمر وبين أن اللفظ لمعمر وكذلك صرح الإسماعيلي أن الزيادة في رواية معمر وأخرجه أحمد ومسلم والإسماعيلي وغيرهم وأبو نعيم أيضا من طريق جمع من أصحاب الليث عن الليث بدونها .
ثم إن القائل فيما بلغنا هو الزهري ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة وهو من بلاغات الزهري وليس موصولا.
وقال الكرماني[18] هذا هو الظاهر ويحتمل أن يكون بلغه بالإسناد المذكور ووقع عند بن مردويه في التفسير من طريق محمد بن كثير عن معمر بإسقاط قوله فيما بلغنا ولفظه فترة حزن النبي صلى الله عليه وسلم منها حزنا غدا منه إلى آخره فصار كله مدرجا على رواية الزهري وعن عروة عن عائشة ، والأول هو المعتمد قوله فيها .[19]

---

[17] السيرة النبوية في ضوء القرآن و السنة 265/1

[18] انظر الكواكب الدراري 97/24

[19] الفتح 359/12

قال الدكتور أبو شهبة : هذه الرواية ليست على شرط الصحيح ، لأنها من البلاغات ، و هي من قبيل المنقطع ، و المنقطع من أنواع الضعيف ، و البخاري لا يخرج إلا الأحاديث المسندة برواية العدول الضابطين ، و لعل البخاري ذكرها لينبهنا الى مخالفتها لما صح عنده من حديث بدء الوحي الذي لم تذكرفيه هذه الزيادة .[20]

قال الألباني – رحمه الله – : إن لهذه الزيادة علتين :

الأولى تفرد معمر بها دون يونس و عقيل ، فهي شاذة .

الأخرى : أنها مرسلة معضلة ، فإن القائل (فيما بلغنا) إنما هو الزهري ، كما هو ظاهر من السياق ، و بذلك جزم الحافظ في الفتح ، و قال : و هو من بلاغات الزهري و ليس موصولا .[21]

أما قوله طاعنا في ابن حجر : " ورغم المحاولة التي قام بها ابن حجر العسقلاني وغيره لتبرير رواية البخاري لبلاغ إقدام الرسول على محاولات الانتحار مرات عدة ، معتبرا أن الزياد "فيما بلغنا" وما بعدها ليست من كلام عائشة بل هي زيادة للزهري ، لكن رغم أن هذا تأويل مجرد تأويل ، فالكذب على رسول الله واضح من خلال الرواية الموجودة في صحيح البخاري "

فما قام به ابن حجر و غيره من العلماء و المحدثين إنما نقد حديثي صرف خاضع لقواعد علم الحديث و هو الظاهر ، و ليست تأويل !. فالتأويل لا يكون للظاهر إلى المعنى البعيد، وليس إلى المتبادر، فهذا الصحفي العقلاني لا يفرق بين الظاهر و التأويل و لا يستطيع فهم عبارات و مصطلحات العلماء ثم يستدرك و يعقب عليهم بهذه الطريقة الصبيانية .

فالعلماء انما انتقدوا هذه الزيادة التي تفرد بها معمر من دون باقي الرواة عن الزهري .

---

[20] السيرة النبوية في ضوء القرآن و السنة 265/1

[21] دفاع عن الحديث النبوي و السيرة 41-42

الرسول البذيء

قال أيلال : تحت هذا العنوان [22] : " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الجُعْفِيُّ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ يَعْلَى بْنَ حَكِيمٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا أَتَى مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ، أَوْ نَظَرْتَ» قَالَ: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَنِكْتَهَا». لاَ يَكْنِي، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ" هذا الحديث في صحيح البخاري يبرز أن الرسول كان بذيئا ، وكان صلوات الله عليه ينطق بالكلام الفاحش ، حيث ورد في حديث آخر أنه قال لشخص " اعضض هن أبيك" ، وفي حديث اخر" من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا" بل منسوب للرسول في صحيح البخاري أنه كان يسب المؤمنين كما في حديث عن أبي هريرة ": (سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة) . فإذا كان الله تعالى في محكم كتابه يقول في حق نبيه" إنك لعلى خلق عظيم" فالرسول كان أكثر الناس أدبا ، وأوفرهم خلقا ، وأرقهم عفة ، وأكثرهم أناقة في اللفظ والقول، لكن عباد الأساطير ، يفضلون الإساءة لرسولنا الكريم على أن يطعن في أسطورة صحيح البخاري ، ويقولون في تبجح غريب وقلة أدب لاتوصف بأن هذا حديث صحيح والرسول قال هذا الكلام وأمر به ، وأنا أفضل ألف مرة أن أنسب هذا الفحش لخطأ الراوي على أن أنسبه للرسول ، وأحكم على الحديث بالوضع والتلفيق."

أولا : الحديث أخرجه البخاري في صحيحه 167/8 رقم 6824 ، و لم يتفرد به ، فقد رواه جمع من الأئمة منهم :

مسلم في صحيحه 1319/3 ، ابن ابي شيبة في مصنفه 520/5 ،ابو داود في سننه 147/4 ، النسائي في السنن الكبرى 418/6 ،الطبراني في المعجم الأوسط 81/3 ،

[22] ص 150

الدارقطني في سننه 133/4 ، الحاكم في مستدركه 402/4 ، البيهقي في معرفة السنن و الأثار 305/12 ، عبد بن حميد في المنتخب من سننه ص 199

ثانيا : تصديره لهذا الحديث و لغيره كما مر سابقا بعناوين مستفزة ، غرضه إيهام القارئ أن البخاري يسيء الى مقام النبوة ، ليصل بذلك الى خلق نفرة و فجوة بين القارئ و البخاري.

ثالثا : لو درس أيلال هذا الحديث جيدا و تتبعه في كتب الحديث لعلم أن المحدثين ساقوا هذا الحديث في كتاب الحدود للتدليل على أن القاضي يجب عليه المبالغة في التحري إذ المقام مقام حد من حدود الله . فالبخاري ذكره في كتاب الحدود باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت.

و مسلم في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى .

ابو داود في كتاب الحدود باب رجم ماعز بن مالك .

النسائي في كتاب الرجم . مسألة المعترف بالزنا عن كيفيته ..

و كذلك أخرجه الدارقطني و الحاكم و غيرهما في كتاب الحدود .

ثالثا : لم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم التلفظ بهذا الكلام إلا لضرورة ومصلحة شرعية ، قال الشوكاني " كان – صلى الله عليه وسلم – يتحاشى عن التكلم به في جميع حالاته ولم يسمع منه إلا في هذا الموطن " أما الإعتراض على الحديث بأنه يتعارض مع ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حياء ، والذي يجهله المعترض أن " محل وجود الحياء منه صلى الله عليه وسلم في غير حدود الله ولهذا قال للذي اعترف بالزنا أنكتها لا يكني "[23]

رابعا : فهم العلماء للحديث

---

[23] 577/6

قال الحافظ : هذه الترجمة معقودة لجواز تلقين الإمام المقر بالحد ما يدفعه عنه وقد خصه بعضهم بمن يظن به أنه أخطأ أو جهل

.. قوله لما أتى ماعز بن مالك في رواية خالد الحذاء أن ماعز بن مالك أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه زنى فأعرض عنه فأعاد عليه مرارا فسأل قومه أمجنون هو قالوا ليس به بأس وسنده على شرط البخاري وذكر الطبراني في الأوسط أن يزيد بن زريع تفرد به عن خالد الحذاء .

قوله قال له لعلك قبلت حذف المفعول للعلم به أي المرأة المذكورة ولم يعين محل التقبيل وقوله أو غمزت بالغين المعجمة والزاي أي بعينك أو يدك أي أشرت أو المراد بغمزت بيدك الجس أو وضعها على عضو الغير وإلى ذلك الإشارة بقوله لمست بدل غمزت وقد وقع في رواية يزيد بن هارون عن جرير بن حازم عند الإسماعيلي بلفظ لعلك قبلت أو لمست قوله أو نظرت أي فأطلقت على أي واحدة فعلت من الثلاث زنا ففيه إشارة إلى الحديث الآخر المخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة العين تزني وزناها النظر وفي بعض طرقه عندهما أو عند أحدهما ذكر اللسان واليد والرجل والأذن زاد أبو داود والفم وعندهم والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وفي الترمذي وغيره عن أبي موسى الأشعري رفعه كل عين زانية .

قوله أنكتها بالنون والكاف لا يكني أي تلفظ بالكلمة المذكورة ولم يكن عنها بلفظ آخر وقد وقع في رواية خالد بلفظ أفعلت بها وكأن هذه الكناية صدرت منه أو من شيخه للتصريح في رواية الباب بأنه لم يكن ..[24]

قال القرطبي : " (قوله: أزنيتَ؟ فقال: نعم) جاء هذا المعنى في كتاب أبي داود بأوضح من هذا: قال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: (أنكتها؟) قال: نعم. قال: (حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟) قال: نعم. قال: (كما يغيب المِروَد في المكحُلَة، والرِّشاء في البِئر؟)

---

[24] الفتح 136/12

قال: نعم. قال: (هل تدري ما الزنى؟) قال: نعم، أتيتُ منها حرامًا ما يأتي الرَّجُل من أهله حلالًا) (1). وهذا منه – صلى الله عليه وسلم – أخذ لماعز بغاية النصّ الرافع لجميع الاحتمالات كلها تحقيقًا للأسباب، وسعيًا في صيانة الدماء. ثمَّ لما فرغ – صلى الله عليه وسلم – من استفصاله (2) عن ذلك سأله عن الإحصان. فقال: (هل أحصنت؟) قال: نعم؛ يعني: هل تزوجت تزويجًا صحيحًا، ووطئت وطئًا مباحًا؟ فعندما أجابه بنعم، أمر برجمه، وذلك عند تحقق السبب الذي هو الزنى بشرطه؛ الذي هو الإحصان. وقد أخذ علماؤنا من حديث أبي داود: أن شهود الزنى يصفون الزنى كما وصف ماعز، فيقول الشاهد: رأيت فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة. وإليه ذهب معاوية، والزهري، ومالك، والشافعي، وأبو ثور، وأصحاب الرأي." [25]

قال ابن بطال : قال المهلب وغيره: فى هذا الحديث دليل على جواز تلقين المقر فى الحدود ما يدرأ بها عنه ألا ترى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال لماعز: (لعلك غمزت أو قبلت) ليدرأ عنه الحد إذ لفظ الزنا يقع على نظرالعين وجميع الجوارح، فلما أتى ماعز بلفظ مشترك لم يحده النبى (صلى الله عليه وسلم) حتى وقف على صحيح ما أتاه بغير إشكال؛ لأن من سننه (صلى الله عليه وسلم) درء الحدود بالشبهات، فلما أفصح وبين أمر برجمه. قال غيره: وهذا يدل أن الحدود لا تقام إلا بالإفصاح دون الكنايات، ألا ترى لو أن الشهود شهدوا على رجل بالزنا، ولم يقولوا رأيناه أولج فيها كان حكمهم حكم من قذف لا حكم من شهد، رفقًا من الله بعباده وسترًا عليهم ليتوبوا.[26]

قال النووي : و قد يستعملون صريح الإسم لمصلحة راجحة و هي إزالة اللبس أو الإشتراك أو نفي المجاز أو نحو ذلك كقوله تعالى { الزانية و الزاني } و كقوله صلى الله عليه وسلم (أنكتها) و كقوله صلى الله عليه وسلم (أدبر الشيطان و له ضراط) و كقول أبي هريرة رضي الله عنه عن الحدث (فساء ، أو ضراط) و نظائر ذلك كثيرة .[27]

---

[25] المفهم 91/2

[26] شرح صحيح البخاري 444/8-445

[27] المنهاج 238/1

قال الشوكاني : " ذكر هذا اللفظ صريحا ولم يكن عنه بلفظ آخر كالجماع. .. وفي هذا من المبالغة في الاستثبات والاستفصال ما ليس بعده في تطلب بيان حقيقة الحال فلم يكتف بإقرار المقر بالزنا بل استفهمه بلفظ لا أصرح منه في المطلوب وهو لفظ النيك الذي كان – صلى الله عليه وسلم – يتحاشى عن التكلم به في جميع حالاته ولم يسمع منه إلا في هذا الموطن، ثم لم يكتف بذلك بل صوره تصويرا حسيا، ولا شك أن تصوير الشيء بأمر محسوس أبلغ في الاستفصال من تسميته بأصرح أسمائه وأدلها عليه. وقد استدل بهذين الحديثين على مشروعية الاستفصال للمقر بالزنا، وظاهر ذلك عدم الفرق بين من يجهل الحكم ومن يعلمه ومن كان منتهكا للحرم ومن لم يكن كذلك لأن ترك الاستفصال ينزل منزلة العموم في المقال "[28]

- بين نكح و ناك

جاء في لسان العرب : " والْعَرَبُ تَقُولُ: فُلَانٌ خِطْبُ فُلانة إِذَا كَانَ يَخْطُبها. ويقُول الخاطِبُ: خِطْبٌ فيَقُولُ المخْطُوب إِلَيْهِمْ: نِكْحٌ وَهِيَ كَلِمَةٌ كانتِ الْعَرَبُ تتزوَّجُ بِهَا. وَكَانَتِ امرأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ يُقَالَ لَهَا: أُمُّ خارجِة، يُضْرَبُ بِهَا المثَل، فيُقَالُ: أَسْرَعُ مِنْ نِكاحِ أُمّ خَارِجَة. وَكَانَ الخاطِب يَقُومُ عَلَى بَابِ خِبائِها فيَقُولُ: خِطْبٌ فتَقُولُ: نِكْحٌ وخُطْبٌ فيُقَال: نُكحٌ " [29] . و قال : نكح: نَكَحَ فُلَانٌ امرأَة يَنْكِحُها نِكاحاً إِذا تزوجها. ونَكَحَها يَنْكِحُها: بَاضعَهَا أَيضاً، وَكَذَلِكَ دَحَمها وخَجأَها؛ وَقَالَ الأَعشى فِي نَكَحَ بِمَعْنَى تَزَوَّجَ:

وَلَا تَقْرَبَنَّ جَارَةً، إِنَّ سِرَّها ... عَلَيْكَ حرامٌ، فانْكِحَنْ أَو تَأَبَّدا .الأَزهري: وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ؛ تأْويله لَا يَتَزَوَّجُ الزَّانِي إِلا زَانِيَةً، وَكَذَلِكَ الزَّانِيَةُ لَا يَتَزَوَّجُهَا إِلا زَانٍ؛ وَقَدْ قَالَ قومٌ: مَعْنَى النِّكَاحِ هَاهُنَا الْوَطْءُ، فَالْمَعْنَى عِنْدَهُمْ: الزَّانِي لَا يطأُ إِلا زَانِيَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يطؤُها إِلا زَانٍ؛ قَالَ: وَهَذَا الْقَوْلُ يَبْعُدُ لأَنه لَا يُعْرَفُ شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ النِّكَاحِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِلا عَلَى مَعْنَى التَّزْوِيجِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَأَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ ؛ فَهَذَا تَزْوِيجٌ لَا شَكَّ فِيهِ؛ وَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا

[28] نيل الأوطار 119/7
[29] 360/1

نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ؛ فَأَعْلَمَ أَن عَقْدَ التَّزْوِيجِ يُسَمَّى النِّكَاحَ، وأَكثر التَّفْسِيرِ أَن هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فُقَرَاءَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ بِهَا بَغَايَا يَزْنِين ويأْخذن الأُجرة، فأَرادوا التزويج بِهِنَ وعَوْلَهنَّ، فأَنزل اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَحْرِيمَ ذَلِكَ. قَالَ الأَزهري: أَصل النِّكَاحِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْوَطْءُ، وَقِيلَ لِلتَّزَوُّجِ نِكَاحٌ لأَنه سَبَبٌ لِلْوَطْءِ الْمُبَاحِ. الْجَوْهَرِيُّ: النِّكَاحُ الْوَطْءُ وَقَدْ يَكُونُ العَقْدَ، تَقُولُ: نَكَحْتُها ونَكَحَتْ هِيَ أَي تزوَّجت؛ وَهِيَ نَاكِحٌ فِي بَنِي فُلَانٍ أَي ذَاتُ زَوْجٍ مِنْهُمْ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: النِّكاحُ البُضْعُ، وَذَلِكَ فِي نَوْعِ الإِنسان خَاصَّةً، وَاسْتَعْمَلَهُ ثَعْلَبٌ فِي الذُّباب؛ نَكَحَها يَنكِحُها نَكْحاً ونِكاحاً، وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ فَعَلَ يَفْعِلُ مِمَّا لَامُ الْفِعْلِ مِنْهُ حَاءٌ إِلا يَنْكِحُ ويَنْطِحُ ويَمْنِحُ ويَنْضِحُ ويَنْبِحُ ويَرْجِحُ ويأْنِحُ ويأْزِحُ ويَمْلِحُ. وَرَجُلٌ نُكَحَةٌ ونَكَحٌ: كَثِيرُ النِّكَاحِ. قَالَ: وَقَدْ يَجْرِي النِّكَاحُ مَجْرَى التَّزْوِيجِ؛ وَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ: لستُ بنُكَحٍ طُلَقَةٍ أَي كَثِيرِ التَّزْوِيجِ وَالطَّلَاقِ، وَالْمَعْرُوفُ أَن يُقَالَ نُكَحة وَلَكِنْ هَكَذَا رُوِيَ، وفُعَلَةٌ مِنْ أَبنية الْمُبَالَغَةِ لِمَنْ يَكْثُرُ مِنْهُ الشَّيْءُ. وأَنْكَحه المرأَة: زوَّجَه إِياها. وأَنْكَحَها: زوَّجها، وَالِاسْمُ النُّكْحُ والنِّكْحُ؛ وَكَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يأْتي الحيَّ خَاطِبًا فَيَقُومُ فِي نَادِيهِمْ فَيَقُولُ: خِطْبٌ أَي جِئْتُ خَاطِبًا، فَيُقَالُ لَهُ: نِكْحٌ أَي قَدْ أَنكحناك إِياها؛ وَيُقَالُ: نُكْحٌ إِلَّا أَن نِكْحاً هُنَا لِيُوَازِنَ خِطْباً، وَقَصَرَ أَبو عُبَيْدٍ وَابْنُ الأَعرابي قَوْلَهُمْ خِطْبٌ، فَيُقَالُ نِكْحٌ عَلَى خَبَرِ أُمِّ خَارِجَةَ؛ كَانَ يأْتيها الرَّجُلُ فَيَقُولُ: خِطْبٌ، فَتَقُولُ هِيَ: نِكْحٌ، حَتَّى قَالُوا: أَسرعُ مِنْ نِكَاحِ أُمِّ خَارِجَةَ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: النِّكْحُ والنُّكْحُ لُغَتَانِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ كَانَتِ الْعَرَبُ تتزوَّج بِهَا. ونِكْحُها: الَّذِي يَنْكِحُها، وَهِيَ نِكْحَتُه؛ كِلَاهُمَا عَنِ اللِّحْيَانِيِّ. قَالَ أَبو زَيْدٍ: يُقَالُ: إِنه لَنُكَحَة مِنْ قَوْمٍ نُكَحاتٍ إِذا كَانَ شَدِيدَ النِّكَاحِ. وَيُقَالُ: نَكَحَ المطرُ الأَرضَ إِذا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا. ونَكَحَ النُّعاسُ عينَه، وناكَ المطرُ الأَرضَ، وَنَاكَ النُّعاسُ عينه إِذا غَلب عَلَيْهَا. وامرأَة نَاكِحٌ، بِغَيْرِ هَاءٍ: ذَاتُ زَوْجٍ؛ قَالَ:

أَحاطتْ بخُطَّابِ الأَيامى، وطُلِّقتْ، ... غداةَ غَدٍ، منهنَّ مَنْ كَانَ ناكِحا

وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّعْرِ ناكِحةٌ عَلَى الْفِعْلِ؛ قَالَ الطِّرِمَّاحُ:

ومثْلُكَ ناحتْ عَلَيْهِ النساءُ، ... مِنْ بينِ بِكْرٍ إِلى ناكِحه

ويقوِّيه قَوْلُ الْآخَرِ:

لَصَلْصَلَةُ اللجامِ برأْسِ طِرْفٍ ... أَحبُّ إِليَّ مِنْ أَن تَنْكِحِيني

وَفِي حَدِيثِ
قَيْلَة: انطلقتُ إِلى أُخت لِي ناكحٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ
أَي ذاتِ نِكَاحٍ يَعْنِي مُتزَوِّجَةً، كَمَا يُقَالُ حَائِضٌ وطَاهِرٌ وَطَالِقٌ أَي ذَاتُ حَيْضٍ وَطَهَارَةٍ وَطَلَاقٍ؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: وَلَا يُقَالُ نَاكِحٌ إِلا إِذا أَرادوا بِنَاءَ الِاسْمِ مِنَ الْفِعْلِ فَيُقَالُ: نَكَحتْ، فَهِيَ نَاكِحٌ؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ سُبَيْعَةَ: مَا أَنتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تنقضيَ العدَّة.
واسْتَنْكَحَ فِي بَنِي فُلَانٍ: تزوَّج فِيهِمْ، وَحَكَى الْفَارِسِيُّ اسْتَنْكَحَها كنَكَحها؛ وأَنشد:
وهمْ قَتَلوا الطائيَّ، بالحِجْرِ عَنْوَةً، ... أَبا جابرٍ، واسْتَنْكَحُوا أُمَّ جابرِ[30]

و كان ببلاد المغرب الى عهد قريب رسم الزواج يطلق عليه عقد نكاح ، الى أن غير مؤخرا بعقد زواج .
و رغم أن ألفاظ نكاح ، جماع ، وطء ، مباضعة ، يمكن أن تطرق سمع المرء سواء في خطب الجمعة أو محاضرة و درس علمي ، دون أي حرج أو استهجان . لكن لا يمكن أن يمر التلفظ بها أمام الأهل دون استنكار لما أصبح تحمله في المخيلة الجمعية لدى العوام من حمولة جنسية !
و كذلك لفظ (النيك) التي لها مدلولات عدة في لغة العرب منها الوطء كذلك ، مع أن كثيرا من معانيها تدل على الخصب ! و تدل على نيك المطر للأرض ، و تدل على حميمية الرجل و المرأة الذي يشبه عناق الأجفان عند النوم .
قال العلامة صديق حسن خان في كتاب (نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان) : ان النيك بالعربية الجماع ، و لكن خص المتأخرون منهم هذه اللفظة بالفواحش في عرف هذا الزمان "
و بالرجوع الى لسان العرب و تاج العروس و القاموس المحيط نجده تتشابه في شرح كلمة النيك .
جاء في تاج العروس : {ناكها} يَنيكُها {نَيكًا: جامَعَها: وَهُوَ أَصْرَح من الجِماع.

---

[30] لسان العرب ر225/2-226

و النَّيّاكُ كشَدّاد: المُكْثِرُ مِنْهُ شُدِّدَ للكَثْرَةِ وَفِي المَثَل قالَ: مَنْ {يَنكِ العَيرَ ينكْ} نَيّاكًا. يُضْرَبُ فِي مُغالَبَةِ الغَلابِ.

وَمن المجازِ: تَنايَكُوا: غَلَبَهُم النعاسُ.

ومِنْه أَيْضًا: تَنايَكَت الأَجْفانُ انْطَبَقَ بَعْضُها عَلَى بَعْضٍ.

وَمِمَّا يُستدْرَكُ عَلَيْهِ: ناكَ المَطَرُ الأَرضَ.وناكَ النُّعاسُ عَينَه: إِذا غَلَب عَلَيها نَقَلَه الأَزْهَرِيُّ فِي تَرْجمَة نكح.[31]

ورع زائف من حداثي متحرر !

و قديما صور الجاحظ حال قوم يصطنعون الورع الزائف عند ذكر مثل هذه الألفاظ كحال صاحبنا ، { تشابهت قلوبهم } .

قال الجاحظ : " وبعض من يظهر النسك والتقشّف إذا ذكر الحر والأير والنّيك تقزّز وانقبض. وأكثر من تجده كذلك فإنما هو رجل ليس معه من المعرفة والكرم، والنّبل والوقار، إلّا بقدر هذا التصنّع.

ولو علم أنّ عبد الله بن عباس أنشد في المسجد الحرام وهو محرم:

وهنّ يمشين بنا هميسا ... إن تصدق الطّير ننك لميسا

فقيل له: إنّ هذا من الرّفث! فقال: إنما الرّفث ما كان عند النساء وقول عليّ رضوان الله عليه ودخل على بعض أهل البصرة، ولم يكن في حسبه بذاك، فقال: من في هذه البيوت؟ فقال: عقائل من عقائل العرب. فقال: «من يطل أير أبيه ينتطق به» .

فعلى عليّ في التّنزّه يعوّل.

وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لبديل بن ورقاء يوم الحديبية، وقد تهدّد رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عضضت ببظر اللات، أنحن نخذله؟!» .

وقول حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه: «وأنت يا ابن مقطّعة البظور ممن يكثّر علينا!» .

وحديث مرفوع: «من عذيري من ابن أمّ سباع مقطّعة البظور» .

---

[31] 381/27

ولو تتبّعت هذا وشبهه وجدته كثيرا.

وإنّما وضعت هذه الألفاظ ليستعملها أهل اللغة، ولو كان الرأي ألّا يلفظ بها ما كان لأوّل كونها معنى، ولكان في التّحريم والصّون للغة العرب أن ترفع هذه الأسماء والألفاظ منها.

وقد أصاب كلّ الصّواب من قال: «لكلّ مقام مقال» .

ولو كان ممّن يتصوّف ويتقشّف، علم قول امرأة رفاعة القرظيّ تجبهه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير محتشمة: إنّي تزوّجت عبد الرحمن بن الزّبير، وإنّما معه مثل هدبة الثّوب، وكنت عند رفاعة فطلّقني- ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على التبسّم حتى قضت كلامها- فقال: «تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتّى تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك» .

ورواه ابن المبارك عن معمر عن الزّهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها- لعلم أنّه على سبيل التّصنّع والرّياء..[32]

[32] كتاب مفاخرة الجواري و الغلمان ص 165 ضمن الرسائل الأدبية للجاحظ.

الرسول جاء بالذبح

قال أيلال : " جاء في صحيح البخاري معلقا حديث منسوب للرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه : (لقد جئتكم بالذبح) ، ففي الوقت الذي تقرأ ليل نهار قوله تعالى { و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } (الانبياء 107) نجد هاته الرواية التي تسير على عكس التيار ، و تبرز أن رسولنا كان دمويا ، و أنه جاء بالذبح . و من هنا جاءت داعش ، و جاءت كل التصورات الإرهابية من هذا الموروث الديني ، الذي إتخذ قداسة أكبر من قداسة كتاب الله الداعي الى المحبة و الرحمة ، فاستعاض الناس بهاته المرويات عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه . و الغريب أن عباد الأسطورة حاولوا أن يبرروا هذا الحديث حتى لا يخطئوا الراوي ، بأن المقصود به المشركين ، و نسوا أن الرسول أرسله الله رحمة للعالمين ، لكل الناس بمختلف انتماءاتهم ، و اعتقاداتهم ، و نسوا أن الرسول كان أرحم الناس بالمشركين و الكفار ، و كل المخالفين ، و له مواقف كثيرة معهم ، فكيف ينسب إليه أنه يقول (لقد جئتكم بالذبح) لكن ماذا يمكن أن يقال بعد أن وجدنا في المسلمين من يؤمن بأن الرسول فعلا قال هذا الكلام .[33]

أولا : هذا الحديث ليس في صحيح البخاري كما إفترى أيلال ، و هذا دليل على كذبه في إدعاء البحث العلمي و أنه أجهد نفسه في قراءة صحيح البخاري و دراسة أحاديثه ! و دليل قوي على أنه حاطب ليل لا يدري ما تنقل يداه ، بل يكتفي بالقص و اللصق دون مراجعة أو تثبت !

ثانيا : هذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه جمع من الأئمة منهم :

البخاري في خلق أفعال العباد ص 75 ط دار المعارف السعودية .

الأمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص برقم (7036)[34]

---

[33] ص 151

[34] المسند 609/11 ط مؤسسة الرسالة بتحقيق شعيب الأرنؤوط

قال يعقوب: حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، قال: وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله، فيما كانت تظهر من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا: قال: فبينما هم كذلك، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشي، حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مر بهم الثانية، غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مر بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فقال: «تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح» ، فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشدا، فوالله ما كنت جهولا، قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان الغد، اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، أنا الذي أقول ذلك» ، قال: فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه، قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، دونه، يقول وهو يبكي: {أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله} [غافر: 28] ؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط. "

و رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم 15197 ج 8 ص2698 . و البزار في مسنده رقم 2497 ج 6ص456 . و ابن حبان في صحيحه رقم 6567 ج 14 ص 525 .و البيهقي في دلائل النبوة ج2 ص 275. ابن هشام في السيرة 1/309-310 .

و ذكره كثير من اصحاب السير و التفاسير

ثالثا : الذي في صحيح البخاري ليس فيه ذكر للذبح و لا للقتل ، فقد أخرج رحمه الله في الجامع الصحيح في ثلاث مواضع :

في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " لو كنت متخذا خليلا " رقم 3678 ج 10/5
و باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه من المشركين بمكة . رقم 3856 ج 5 /46 . و باب قوله { و نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون}رقم 4815 ج127/6

قال البخاري : حدثنا عياش بن الوليد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم التيمي، قال: حدثني عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال: «بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدا» فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: {أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله} [غافر: 28] الآية، تابعه ابن إسحاق، حدثني يحيى بن عروة، عن عروة، قلت: لعبد الله بن عمرو، وقال: عبدة، عن هشام، عن أبيه، قيل لعمرو بن العاص، وقال: محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، حدثني عمرو بن العاص.[35]

رابعا : إن ما يقوم به أيلال من إيراد حديث واحد ، ثم بناءا على فهمه السقيم للحديث ، يملأ الدنيا صياحا و طعنا في المحدثين ، يعد منهجا مختلا غير علمي . فالحديث يجب أن يفهم في ضوء سياقه ، و نوع المخاطبين به و الحادثة الي تفسره . و كذلك ينظر في طرقه و شواهده ثم استقراء الأحاديث التي لها علاقة بالموضوع لفهم الموقف الشرعي من المسألة التي يعالجها الحديث .

---

[35] صحيح البخاري 46/5

خامسا: أما إعتراضه على الحديث بحجة أن فيه طعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم عليه المبعوث بالرحمة ، فالجواب ما سقناه في الجواب على الحديث السالف .و أن معنى الرحمة إفاضة النعم على المحتاجين والشفقة عليهم واللطف بهم وقد أعطى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم وأمته منها ما لم يعطه أحدًا من العالمين ويكفي من ذلك قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)} [الأنبياء: 107] فهو أعظم كل رحمة وأمته القابلة لما جاء به قد حصلت على أعظم حظ من هذه الرحمة وشفاعته يوم القيامة لأهل الموقف أعم كل رحمة ولأهل الكبائر أجل كل نعمة وخاتمة ذلك شفاعته في ترفيع منازل أهل الجنة، و هو نبي الملحمة التي بسببها عمت الرحمة وثبتت المرحمة اه من المفهم، قال الأبي: ووقع في غير مسلم ونبي الملاحم معطوفًا على نبي الرحمة والملاحم جمع ملحمة وهي الحرب ولذلك أورد الخطابي فقال: فإن قيل كيف الجمع بين كونه نبي الرحمة ونبي الملحمة لا سيما مع قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)} ومع قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا رحمة مهداة" وأجاب عنه بأن بعثه صلى الله عليه وسلم بالسيف والحرب من وجوه الرحمة لأن الله تعالى أيد رسله صلى الله عليهم وسلم بالمعجزات وجرت عادته تعالى في الأمم السابقة بأنهم إذا كذبوا عوجلوا بالعذاب المستأصل إثر التكذيب واستؤني بهذه الأمة ولم يعاجلوا بالعذاب المستأصل وأُمر بجهادهم ليرتدعوا عن الكفر ولم يجاحوا بالسيف لأن السيف له بقية وليس للعذاب المستأصل بقية، ورُوي أن قومًا من العرب قالوا: يا رسول الله أفنانا السيف، قال: "إنه أبقى لأجركم" هذا معنى الرحمة المبعوث بها صلى الله عليه وسلم، ومن وجوه الرحمة ما صح أنه صلى الله عليه وسلم جاءه ملك الجبال فقال: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، قال: "أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يوحده ولا يشرك به"، ومن وجوهها أيضًا أن الله تعالى وضع على أمته الإصر والأغلال التي كانت على الأمم قبلها كما قال تعالى في قصة موسى – عليه السلام – {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ} إلى قوله تعالى: {الَّتِي كَانَتْ عَلَيهِمْ} اهـ .

- الرسول يصلي بدون وضوء

ورد في كتاب الأذان من صحيح البخاري، 660 "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرٌو ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : " نِمْتُ عِنْدَ مَيْمُونَةَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ عَلَى يَسَارِهِ فَأَخَذَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ " ، قَالَ عَمْرٌو : فَحَدَّثْتُ بِهِ بُكَيْرًا ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي كُرَيْبٌ بِذَلِكَ" .

و هاته إساءة أخرى تبرز أن رسولنا الكريم الطاهر ، ينهض للصلاة بعد نوم عميق ، ليصلي بدون وضوء ، وهو الشيء الذي يستحيل في حق نبينا ، والمعلوم من ديننا وكما تواتر عن نبينا ، أن النوم من نواقض الوضوء، ، فكيف يخالف الرسول أمرا هو من جاء به ، و هو من أمر به ، لكن العقول تتوقف ، واحترام الرسول يتوقف عندما يتعلق الأمر برواية من روايات الكتاب المقدس "صحيح البخاري" [36]

أولا الحديث لم يتفرد به البخاري ، فقد رواه جمع من الأئمة المحدثين منهم :

البخاري رقم 117-138-183-697-726-859-992-6316 ، و رواه في الأدب المفرد ص 241 .مسلم رقم 763 ، المنتخب من مسند عبد بن حميد ص 209 .عبد الرزاق في مصنفه 404/2 . الحميدي في مسنده 428/1. ابن ابي شيبة 124/1 . احمد في المسند في مواضع كثيرة منها 394/3و 505 -58/4-475و76-339/4-454/5و473 . الشافعي في السنن المأثورة ص 149 . البزار في مسنده 383/11. النسائي في السنن الكبرى 234/1 . ابن حبان في صحيحه 363/6 و غيرهم

---

[36] ص155

ثانيا : أقوال العلماء في فقه الحديث

قال ابن عبد البر رحمه الله : واختلف العلماء في النوم هل هو حدث كسائر الأحداث أم له حكم منفرد في ذلك[37] – ثم ذكر أقوال العلماء و ناقشها ، ثم قال – ليس بنا حاجة إلى هذا في النبي صلى الله عليه وسلم لأنه محفوظ مخصوص بأن تنام عيناه ولا ينام قلبه صلى الله عليه وسلم وإنما النوم الموجب للوضوء ما غلب على القلب أو خالطه وقد روي عن أبي هريرة قال من استحق النوم فعليه الوضوء "[38]

قال القاضي عياض : وربما احتج لهذا المذهب بصلاة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد نومه حتى نفخ (1)، والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلاف غيره لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إن عينى تنامان ولا ينام قلبى "[39]

قال الحافظ في الفتح : " قوله فصلى ولم يتوضأ فيه دليل على أن النوم ليس حدثا بل مظنة الحدث لأنه صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه فلو أحدث لعلم بذلك ولهذا كان ربما توضأ إذا قام من النوم وربما لم يتوضأ قال الخطابي وإنما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي يأتيه في منامه " [40]

قال النووي : " هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن نومه مضطجعا لا ينقض الوضوء لأن عينيه تنامان ولا ينام قلبه فلو خرج حدث لأحس به بخلاف غيره من الناس" [41]

قوله : " والمعلوم من ديننا وكما تواتر عن نبينا ، أن النوم من نواقض الوضوء "

معلوم لدى صغار طلبة الحديث أن " النوم من نواقض الوضوء " ليس حديثا متواترا ! و هل يميز أيلال بين الحديث و أقوال الفقهاء ؟ و هل يعرف الفرق بين الحديث المتواتر و غير

---

[37] التمهيد 241/18

[38] التمهيد 250/18

[39] اكمال المعلم بفوائد مسلم 233/2

[40] الفتح 239/1

[41] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 45/44/6

الرسول يصلي بدون وضوء

ورد في كتاب الأذان من صحيح البخاري، 660 "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرٌو ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ

ورد في كتاب الأذان من صحيح البخاري، 660 "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرٌو ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : " نِمْتُ عِنْدَ مَيْمُونَةَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ عَلَى يَسَارِهِ فَأَخَذَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ " ، قَالَ عَمْرٌو : فَحَدَّثْتُ بِهِ بُكَيْرًا ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي كُرَيْبٌ بِذَلِكَ" .

و هاته إساءة أخرى تبرز أن رسولنا الكريم الطاهر ، ينهض للصلاة بعد نوم عميق ، ليصلي بدون وضوء ، وهو الشيء الذي يستحيل في حق نبينا ، والمعلوم من ديننا وكما تواتر عن نبينا ، أن النوم من نواقض الوضوء، ، فكيف يخالف الرسول أمرا هو من جاء به ، و هو من أمر به ، لكن العقول تتوقف ، واحترام الرسول يتوقف عندما يتعلق الأمر برواية من روايات الكتاب المقدس "صحيح البخاري" [42]

أولا الحديث لم يتفرد به البخاري ، فقد رواه جمع من الأئمة المحدثين منهم :

البخاري رقم 117-138-183-697-726-859-992-6316

و رواه في الأدب المفرد ص 241 . مسلم رقم 763 ، المنتخب من مسند عبد بن حميد ص 209 .عبد الرزاق في مصنفه 404/2 . الحميدي في مسنده 428/1 . ابن ابي شيبة 124/1 . احمد في المسند في مواضع كثيرة منها 394/3و 505 -58/4 -475و76-339/4-454/5و473

[42] ص155

الشافعي في السنن المأثورة ص 149 . البزار في مسنده 383/11. النسائي في السنن الكبرى 234/1 . ابن حبان في صحيحه 363/6 و غيرهم

ثانيا : أقوال العلماء في فقه الحديث

قال ابن عبد البر رحمه الله : واختلف العلماء في النوم هل هو حدث كسائر الأحداث أم له حكم منفرد في ذلك[43] – ثم ذكر أقوال العلماء و ناقشها ، ثم قال – ليس بنا حاجة إلى هذا في النبي صلى الله عليه وسلم لأنه محفوظ مخصوص بأن تنام عيناه ولا ينام قلبه صلى الله عليه وسلم وإنما النوم الموجب للوضوء ما غلب على القلب أو خالطه وقد روي عن أبي هريرة قال من استحق النوم فعليه الوضوء "[44]
قال القاضي عياض : وربما احتج لهذا المذهب بصلاة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد نومه حتى نفخ ، والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلاف غيره لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إن عينى تنامان ولا ينام قلبى "[45]
قال الحافظ في الفتح : " قوله فصلى ولم يتوضأ فيه دليل على أن النوم ليس حدثا بل مظنة الحدث لأنه صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه فلو أحدث لعلم بذلك ولهذا كان ربما توضأ إذا قام من النوم وربما لم يتوضأ قال الخطابي وإنما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي يأتيه في منامه " [46]

قال النووي : " هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن نومه مضطجعا لا ينقض الوضوء لأن عينيه تنامان ولا ينام قلبه فلو خرج حدث لأحس به بخلاف غيره من الناس" [47]
قوله : " والمعلوم من ديننا وكما تواتر عن نبينا ، أن النوم من نواقض الوضوء "

---

[43] التمهيد 241/18
[44] التمهيد 250/18
[45] اكمال المعلم بفوائد مسلم 233/2
[46] الفتح 239/1
[47] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 45/44/6

معلوم لدى صغار طلبة الحديث أن " النوم من نواقض الوضوء " ليس حديثا متواترا ! و هل يميز أيلال بين الحديث و أقوال الفقهاء ؟ و هل يعرف الفرق بين الحديث المتواتر و غير المتواتر ؟ و ما المعيار الذي اتبعه لقبول بعض الاحاديث و هو الذي رفض السنة و اعتبرها ليست دينا ؟ ثم أين يجد في القرآن الكريم أن النوم من نواقض الوضوء ؟

قال أيلال في صفحته على الفيسبوك : والأغرب أن الروايات تنقض بعضها، في هذه المسألة مما جعل الفقهاء يختلفون اختلافا شديدا في النوم هل هو من نواقض الوضوء أم لا، على عكس الجمهور الذي يأخذ ما تواتر عن الرسول تواترا عمليا لا روائيا."

قلت ماذا يقصد أيلال بالجمهور ؟ هل هم جمهور العلماء ؟ أم جمهور الناس من العوام ؟ ، فإن قصد جمهور العلماء فلماذا أخرج الفقهاء من زمرتهم و فيهم فقهاء محدثين ؟ و إن قصد بالجمهور عوام المسلمين ، فلعمرو الله إنها لسقطة كبيرة و لفضيحة علمية أن يتجرأ على نقد الصحيح و الطعن في علماء المسلمين من جعل معياره لقبول الأحكام عمل جمهور عوام الناس !

نسيان الرسول

قال" :صحيح البخاري ينسب لرسول الله نسيان كلامه، وكأن الله أخلف للنبي وعده إياه [48]، مع أن الله في كتابه يقول :﴿سنقر ئكَ فَلَا تَنسى * إِ لا مَا شَاءَ الله إِنه يعلم الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾[49] ، ويقول مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم :﴿وَإِ ما ينسِيَن كَ الشيْطَا ن فَلَا تَقْعدْ بَعْدَ الذكْرَ ى مَعَ الْقَوْمِ الظالِمِينَ ﴾[50] ، ويقال في الاستثناء، والنسيان هنا ما قيل في سابقه.

و قال : " وعند البخاري أيضا " في كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن وكذلك باب من لا يرى بأساً أن يقول سورة كذا وكذا وأخرج مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا .. عن عائشة قالت : سمع رسول الله (ص) رجلاً يقرأ في سورة بالليل ، فقال : يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أُنسيتها من سورة كذا وكذا. ولعل القارئ الحصيف والعاقل الأريب من خلال هذا الأسلوب المبهم من كذا وكذا إلى كذا وكذا، سيصل إلى أن هذا مجرد افتراء على نبي الرحمة ، الذي كلف بتبليغ الوحي للناس كل الناس ، فكيف لهذا الرسول الكريم أن ينسى آية من كتاب ربه ، فيتذكرها من شخص آخر من أفراد أمته ، غريب أمر هؤلاء الذين يقبلون مثل هذا الكلام على نبيهم ، مخافة ان يكذبوا كتابا لا نعرف من ألفه، ولم تثبت نسبته إلى البخاري أصلا ، كما سنقف بعد قليل من خلال الفصول القادمة من هذا الكتاب.

إننا نجد انفسنا مضطرين لرفض هذا الغثاء ، كما نجد أنفسنا مضطرين أيضا للصبر على ما ينعتنا به هؤلاء الذين لم ينقص إيمانهم ، بقدر ما نقص علمهم وعقلهم عن العقل عن الله والفهم عن رسوله الكريم الأكرم..[51]

[48] صحيح البخاري نهاية الأسطورة، ص 107
[49] سورة الأعلى، الآية6-7
[50] سورة الأنعام، الآية68
[51] ص63-64

- تخريج الحديث :

أخرجه البخاري (2655) (5042)، ومسلم (788)، أبو داود (3970)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8006)، وأحمد (24335) باختلاف يسير، وابن حزم في ((الإحكام)) (481/4)

- توجيه العلماء للحديث

قال الحافظ في الفتح : "كنت أنسيتها هي مفسرة لقوله أسقطتها فكأنه قال أسقطتها نسيانا لا عمدا وفي رواية معمر عن هشام عند الإسماعيلي كنت نسيتها بفتح النون ليس قبلها همزة قال الإسماعيلي النسيان من النبي صلى الله عليه وسلم لشيء من القرآن يكون على قسمين أحدهما نسيانه الذي يتذكره عن قرب وذلك قائم بالطباع البشرية وعليه يدل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بن مسعود في السهو إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون والثاني أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله قال فأما القسم الأول فعارض سريع الزوال لظاهر قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون وأما الثاني فداخل في قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها على قراءة من قرأ بضم أوله من غير همزة قلت وقد تقدم توجيه هذه القراءة وبيان من قرأ بها في تفسير البقرة وفي الحديث حجة لمن أجاز النسيان على النبي صلى الله عليه وسلم فيما لبس طريقه البلاغ مطلقا وكذا فيما طريقه البلاغ لكن بشرطين أحدهما أنه بعد ما يقع منه تبليغه والآخر أنه لا يستمر على نسيانه بل يحصل له تذكره إما بنفسه وإما بغيره وهل يشترط في هذا الفور قولان فأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلا.."[52]
فالقصة كلها باختصار أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فوجد أحد قراء اصحابه يصلي قيام الليل و يقرأ القرآن جهرا فسمعه النبي يقرأ آيي من كتاب الله فتذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (يرحمه الله ذكرني آية كذا و كذا كنت انسيتها) ، و في لفظ

---

[52] فتح الباري 86/9

(نسيتها) .. و في هذا الحديث إثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر ينسى كما ينسى البشر و لم ينف عنه القرآن هذه الصفة البشرية ، و قد أكدها القرآن في قوله تعالى { واذكر ربك إذا نسيت } ، و لا يطعن ذلك فيه صلى الله عليه وسلم ، و لا في القرآن الذي جاء به من عند الله ، إذ الله عصمه حين البلاغ ، فإذا نزل عليه الوحي دعا الكتاب و أصحابه الحفاظ فأخذوا عنه القرآن كتابة و حفظا ، فلو نسي منه شيء بعد ذلك فإنه لا يضره إذ سيذكرونه به و سيذكره فورا ، كما **إذا** صلى بهم و نسي الآية فتحوا عليه بها ، كما أن جبريل يراجعه في رمضان القرآن كاملا كل سنة ليثبته فيه ، فلا خوف على القرآن فقد تكفل الله بحفظه { ة إنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد } .[53]

أما قوله : " و لعل القارئ الحصيف والعاقل الأريب من خلال هذا الأسلوب المبهم من كذا وكذا إلى كذا وكذا، سيصل إلى أن هذا مجرد افتراء على نبي الرحمة.." ، معتبرا قول (سورة كذا و كذا) أسلوبا مبهما !!

و هذا الرجل لا يدري ما يخط بيده ، و يتجاسر على الخوض في مسائل لا يحسنها و لا يفقه كنهها ، ثم لا يستحي بعدها أن يتهجم على البخاري و المحدثين .

أولا : عبارة (أذكرني أية كذا و كذا من سورة كذا وكذا) هو كناية عن آية من الآيات و سورة كذا كناية عن غسم سورة من السور ، و لم يكن القصد من هذه العبارة إلا بيان نسيان النبي صلى الله عليه وسلم لشيء من الأيات من إحدى السور ، و تذكره لها حين سمعها من أحد أصحابه عندما قرأ بها ، فبدل أن يذكر الراوي الأية كاملة و قد تكون طويلة أو لم يعد يتذكرها ، فعبر بأسلوب عربي فصيح يستعمله العرب للكناية أو الإختصار .

---

[53] جناية أوزون ص 188

و بنا أنه زاهد في كتب العلم فقد جهل مدلولات عبارة (كذا وكذا) ، و لو رجع الى أحد كتب اصول الفقه لوجد أن الفقهاء يعقدون لهذه اللفظة مباحث مطولة في تفسيرها و بيان المعاني الخاصة بها .

ثانيا : البخاري بوب هذا الباب بقوله : (باب من لا يرى بأسا أن يقول سورة كذا و كذا) ،- و كما قيل فقه البخاري في تراجم أبوابه – لبيان جواز تسمية السور كسورة البقرة و سورة النساء و سورة الرحمن و كذا تسمية اليات كآية الدين و آية الربا و ذلك لأن من أهل العلم قديما من كره ذلك .

قال الحافظ : " أشار بذلك الرد على من كره ذلك ، و قال : لا يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا ... و قال بعض السلف يكره و الصواب الأول و هو قول الجماهير و الأحاديث فيه أكثر من أن تحصر .."[54]

---

[54] الفتح 87/9

الشيطان يطعن رسول الله عند ولادته

قال أيلال تحت عنوان : الشيطان يطعن رسول الله عند ولادته .

" وفي صحيح البخاري أيضا من كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده حديث رقم 3286 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ".

هذا الحديث في صحيح البخاري يعتبر من الطوام الكبرى المسيئة للرسول ولدينه ، فهو يؤكد عصمة رسول الله عيسى بن مريم عليهما السلام، وهذا أمر مقبول ولا نرفضه، لكنه يؤكد في الآن نفسه، على عدم عصمة نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالله هنا لم يستثن من طعن الشيطان في الجنبين من كل خلقه إلا عيسى بن مريم عليهما السلام ، ورسولنا داخل في عموم أولئك الذين مسهم وطعنهم الشيطان ، بل ورد في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى:" واذكر في الكتاب مريم..." ما يلي:3431 :" قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مس الشيطان غير مريم وابنها. ثم يقول أبو هريرة: وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم". فهذا الحديث يلحق مريم وابنها عيسى عليهما السلام بزمرة من لايمسهم الشيطان ، بينما رسولنا الكريم كباقي البشر قد مسه الشيطان ، وهذا تطاول على نبينا ما بعده تطاول ، وتفضيل مريم الصديقة ورسول الله عيسى بن مريم على نبي الإسلام ، وهذا مخالف لقوله تعالى آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (البقرة :285)

وهذا غيض من فيض التنقيص في حق الرسول ، فهل بعد هذا يمكن الحديث عما فعله الآخرون من إساءة لنبينا في عصرنا، والإساءة الأكبر موجودة في هذا الذي يصفونه بأنه

أصح الكتب، ويكفرون ويتهمون ويشنون الحملات الشعواء ضد كل من ينتقده، لذلك فإني أندهش أيما اندهاش عندما انبرى هؤلاء الشيوخ المقدسون لصحيح البخاري للدفاع عن الرسول ضد كاريكاتير الدنمارك المسيء للنبي ، وضد صحيفة شارلي إيبدو الفرنسية المسيئة لنبينا ، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ، إزاء هذه الإساءات التي أعتبرها أشد وأنكى ضد نبينا في صحيح البخاري ، ذلك لأن هؤلاء الشيوخ يعتبرون ضمنيا أن قداسة هذا الكتاب أقدس من الرسول نفسه مع كامل الأسف"[55]

تخريج الحديث :

حديث البخاري 125/4 باب صفة ابليس و جنوده (3286).

البخاري 164/4 باب قول الله تعالى {واذكر في الكتاب مريم}(3431)

مسلم 1838/4(2366) و احمد في مسند ابي هريرة (7182-7708-7879-7915-8254-10773)

مصنف ابن ابي شيبة (31496) ابن حبان (6234-6235) و غيرهم .

إجابة العلماء على هذا الإعتراض .

أنه خصوصية لعيسى عليه السلام و أن المزية لا تقتضي التفضيل : ذهب الى هذا الرأي جماهير العلماء من المحدثين و المفسرين . قال الحافظ : قال القرطبي هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى ووقع في رواية معمر عن الزهري عند مسلم إلا نخسه الشيطان بنون وخاء معجمة ثم مهملة قوله فيستهل صارخا من مس الشيطان في رواية معمر المذكورة من نخسة الشيطان أي سبب صراخ الصبي أول ما يولد الألم

[55] ص 156-157

من مس الشيطان إياه والاستهلال الصياح قوله غير مريم وابنها تقدم في باب إبليس بذكر عيسى خاصة فيحتمل أن يكون هذا بالنسبة إلى المس وذاك بالنسبة إلى الطعن في الجنب

ويحتمل أن يكون ذاك قبل الإعلام بما زاد وفيه بعد لأنه حديث واحد وقد رواه خلاس عن أبي هريرة بلفظ كل بني آدم قد طعن الشيطان فيه حين ولد غير عيسى وأمه جعل الله دون الطعنة حجابا فأصاب الحجاب ولم يصبها والذي يظهر أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر والزيادة من الحافظ مقبولة .[56]

قال القرطبي : قال علماؤنا: وإن لم يكن كذلك بطلت الخصوصية بهما، ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال الممسوس وإغواؤه فإن ذلك ظن فاسد، فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والإغواء ومع ذلك فعصمهم «3» الله مما يرومه الشيطان، كما قال تعالى:" إن عبادي ليس لك عليهم سلطان" [الحجر: 42] «4». هذا مع أن كل واحد من بني آدم قد وكل به قرينه من الشياطين، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمريم وابنها وإن عصما من نخسه فلم يعصما من ملازمته لهما ومقارنته. والله أعلم.[57]

أنها خصوصية لعيسى و يشاركه فيها غيره من الأنبياء ، ذهب الى ذلك القاضي عياض رحمه الله و الزمخشري .

قال القاضي عياض : ظاهره أنه منع من ذلك إجابة لدعوة زكريا - عليهما السلام - وأيضًا فإن الأنبياء معصومون من الشيطان بكل وجه .[58]

قال الزمخشري في الكشاف : وما يروى من الحديث «ما من مولود يولد

إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها» فاللَّه أعلم بصحته. فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها، فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى: (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَكَ

---

[56] الفتح 470/6

[57] الجامع لاحكام القرآن 68/4

[58] اكمال المعلم بفوائد مسلم 338/7 المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل

الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصرالطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م

مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) واستهلاله صارخاً من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول: هذا ممن أغويه، ونحوه من التخييل قول ابن الرومي:

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا ... يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا، ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه[59]

و قال الحافظ : وقد طعن صاحب الكشاف في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال إن صح هذا الحديث فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين وكذلك من كان في صفتهما لقوله تعالى إلا عبادك منهم المخلصين قال واستهلال الصبي صارخا من مس الشيطان تخييل لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه وأما صفة النخس كما يتوهمه أهل الحشو فلا ولو ملك إبليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخا انتهى وكلامه متعقب من وجوه والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء بل ظاهر الخبر أن إبليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا واستثنى من المخلصين مريم وابنها فإنه ذهب يمس علىعادته فحيل بينه وبين ذلك فهذا وجه الاختصاص ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين وأما قوله لو ملك إبليس إلخ فلا يلزم من كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع أن يستمر ذلك في حق كل أحد وقد أورد الفخر الرازي هذا الإشكال وبالغ في تقريره على عادته وأجمل الجواب فما زاد على تقريره أن الحديث خبر واحد ورد على خلاف الدليل لأن الشيطان إنما يغوي من يعرف الخير والشر والمولود بخلاف ذلك وأنه لو مكن من هذا القدر لفعل أكثر من ذلك من إهلاك وإفساد وأنه لا اختصاص لمريم وعيسى بذلك دون غيرهما إلى آخر كلام الكشاف ثم

---

[59] الكشاف 356/1-357

أجاب بأن هذه الوجوه محتملة ومع الاحتمال لا يجوز دفع الخبر انتهى وقد فتح الله تعالى بالجواب كما تقدم .[60]

أما الزعم بأنه يطعن في العصمة فمردود، يقول المعلمي" :من قال إن النخسة دعاء للشر؟ بل إن كانت للإيلام فقط فذلك من خبث الشيطان مكن منها كما مكن مما أصاب أيوب، وكما يمكن الكفار من قتل المسلمين حتى الأنبياء وذبح أطفالهم" ويقول" :أين يذهب أبو رية من تدلية الشيطان لآدم إلى أن كان ما ذكره تعالى بقوله :﴿وعصى آدم ربه فغوى ﴾ [61]، ومن قول موسى بعد قتله القبطي :﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشيْطَانِ إ نه عَد و مضِل مبينٌ *قَالَ رَ ب إِ ني ظَلَمْت نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَه إ نه هوَ الْغَفور الرحِيم ﴾ [62]، وقول أيوب :﴿ أَني مَسنِيَ الشيْطَان بِنصب وَعَذَابٍ ﴾ [63]، وقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم :﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأمرْ بِالْعرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِ ما يَنزَغَنكَ مِنَ الشيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِ نه سَمِيعٌ عَليمٌ * إِ ن الذِينَ ا تقَوْا إِذَا مَسهمْ طَائِفٌ منَ الشيْطَانِ تَذَكروا فَإِذَا هم مبْصرونَ ﴾[64]

---

[60] الفتح 212/8

[61] سورة طه الآية 121

[62] القصص الأية 15-16

[63] سورة ص الآية 41

[64] الأعراف الأيات : 199-200-201

الشيطان يعلم الدين والرسول يقر على التعلم منه .

قال أيلال[65]: " الشيطان يعلم الدين والرسول يقر على التعلم منه . في كتاب الوكالة من صحيح البخاري باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل :"وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ الهَيْثَمِ أَبُوعَمْرٍو حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعْنِي فَإِنِي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيّ القَيُّومُ حَتى تَخْتِمَ الآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتى تُصبح فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتى تَخْتِمَ الآيَةَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتى تُصْبحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيءٍ عَلَى الخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

[65] 157-158-159

أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لا، قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ" . لإظهار الطوام الكبرى التي في هذا الحديث الوارد في صحيح البخاري، نحتاج إلى صفحات كثيرة لكن نكتفي بذكر بعضها، فهذا الحديث يبرز أن أبا هريرة ضبط حالة سرقة ، وسامح السارق بدون موجب حق ، وكأنه كان يسرق من ماله في حين هي أموال المسلمين ، فالواجب تقديمه للرسول ليحاكمه ، وتتكرر عملية السرقة مرات ، ويعمل أبا هريرة على إطلاق سراح السارق ، بل حتى الرسول لم يعتب على أبي هريرة ، عندما ضبط السارق وسامحه ، رغم معرفة الرسول المسبقة بأن السارق كذاب وسيعود للسرقة !!

لكن الأغرب في هذا أن أبا هريرة صدق السارق بأنه لن يعود للسرقة، رغم أن الرسول سبق أن أخبره بأنه كذاب وسيعود للسرقة ، لكن في المرة الثالثة يقوم السارق الذي ليس إلا شيطانا بتعليم أبي هريرة أمرا من أمور الدين، و ذلك في نص الحديث :" قَالَ دَعْني أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَي القَيُّومُ حَتى تَخْتِمَ الآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتى تُصْبحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ" وفعلا يتم إخلاء سبيله من طرف الصحابي ! لكن الأنكى من ذلك [66]، هو ما نسب للرسول في نهاية الحديث بأن من علم أمر من أمور الدين للصحابي هو شيطان ، وأقر الرسول تعليمه وصادق عليه، وهاته عجيبة من عجائب صحيح البخاري التي تسيل الدماء دون إنكار حديث من أحاديثه .

وقد علق على هذا الكاتب إسلام بحيري في مقالة له نشرت على موقع اليوم السابع جاء فيها:"أما الطامة الكبرى فإفصاح النص عن إقرار النبى لهذه الكلمات التى علمها السارق – الذى سيتضح فى النهاية أنه شيطان– للصحابى, وذلك بقوله: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ» ثم يفصح النص عن المفاجأة: «تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ

[66] في صفحته على الفيسبوك زاد عبارة " في هذه القصة البخارية "

لا قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ»، وهذا ما يدخلنا فى إشكاليات لا حصر لها، أولها أن الرسول أقر السارق على قول قاله فى الدين لم يعلمه رسول الله فلو كان يعلمه لكان أولى بقوله من السارق -أو من الشيطان-، وثانيها أن الشيطان هو الذى يعلم المسلمين القرآن وفضائله، بل يقره النبي على ذلك، وثالثهما أن الشيطان يحفظ القرآن جيدا، ويعرف بدايات الآيات ونهاياتها بدقة، وغير هذا من الخرافات التى لا يقبلها عقل ولا شرع، والغريب أن مقدسي الخرافات وشارحيها قد أكدوا على أنه فى ذلك فائدة مهمة من الحديث وهي أن الكافر يؤخذ منه الحق، وقد قاسوا الكافر بالشيطان وهو قياس فاسد باطل لا داعي لشرح عواره، بل الشيطان لا يعلمنا الإسلام ولا يقره النبى على علمه، ولنذكر جيدا أننا ترخصنا مع هذه الخرافة التى تدعي أن الشيطان يتصور بالإنسان ويكلمه فقط لتبيين العلل الفاسدة فى النص وإلا فإن هذا الإدعاء بأن الشياطين تتمثل كبشر هو علة فى ذاته نرد بها هذا الحديث كلية، والحقيقة أن الذهول والعجب يتملكنا، كيف أخرج البخاري هذه الخرافات؟ وكيف لم يردها عليه كل الشراح والنقاد؟ بل كيف دافعوا ونافحوا عن ضلالاتها؟ بل إننا نستطيع أن نستبين فحش الكذب فى الرواية من خلال استقراء بسيط لمكانة «آية الكرسى« منذ نزلت فى أوائل الهجرة للمدينة، وذلك بأحاديث صحيحة علمها للمسلمين سيد الخلق المنزل عليه القرآن."

ويضيف إسلام:"وأخيرا فقد أبى من دس هذه الخرافة أن يختمها إلا بعلة قادحة فى الحديث، فباستقراء الحديث نجد أن به إدراج -كلام من الرواة- ليس من أصله، وهناك اضطراب ظاهر شديد فيه، فيقول النص: «وَكَانُواْ أَحْرَصَ شَىْءٍ عَلَى الخَيْرِ»، فالمفترض هنا أن يقول الصحابى «وكنا أحرص الناس» ولا يقول «وكانوا»، وهو ما أشار له «ابن حجر» على استحياء فى «فتح الباري» ولم يعقب على هذا الإدراج الظاهر إلا بقول هامس لم يتوقف فيه، وذلك من التكلف الشديد فى الدفاع عن هذا الحديث الواهي الذى أخرجه البخارى" .

انتهى من موقع اليوم السابع.

أولا : الحديث لم يتفرد به البخاري

فقد أخرجه كل من :ابن الضريس الرازي في فضائل القرآن رقم 195 ص .93النسائي في السنن الكبرى رقم 10729 ج9 ص351 و في عمل اليوم و الليلة ص 532.ابن خزيمة في الصحيح رقم 2424 ج4ص91 .اللالكائي في شرح أصول إعتقاد أهل السنة و الجماعة رقم 2281 ج7ص1292 .ابو القاسم بن بشران في أماليه رقم 546 ص239

البيهقي في الدعوات الكبير رقم 406 ص 521ج1 و في شعب الإيمان رقم 2170ج53/4 و في دلائل النبوة ج107/7 . ابو نعيم الأصفهاني في دلائل النبوة رقم 267 ج1ص368 و في معرفة الصحابة رقم 4763 ج1891/4 .و البغوي في شرح السنة ج460/4

ثانيا : قول ايلال : الأغرب من هذا أن أبا هريرة صدق السارق بأنه لن يعود ...

و هذا غريب منه ! ألم يقرأ كلام أبا هريرة (فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إنه سيعود، فرصدته) ؟

قول البحيري : أن الرسول أقر السارق على قول قاله في الدين لم يعلمه رسول الله ، فلو كان يعلمه لكان أولى بقوله من السارق – أو من الشيطان – و ثانيها أن الشيطان هو الذي يعلم المسلمين القرآن و فضائله ...

و على هذا الكلام ملاحظات منها :

أولا : فضل آية الكرسي كان معلوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقد صح عنه أحاديث في فضلها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ آية الكرسي، وفاتحة حم المؤمن إلى قوله: {غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير} [غافر: 3] لم ير شيئا يكرهه حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي، لم ير شيئا يكرهه حتى يصبح "[67]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ حم المؤمن إلى {إليه المصير} [غافر: 3] وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح ": " هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة المليكي من قبل حفظه. وزرارة بن مصعب هو: ابن عبد الرحمن بن عوف وهو جد أبي مصعب المدني "[68]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء»[69]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ آية الكرسي، وحم الأول - يعني المؤمن - حتى ينتهي إلى {إليه المصير} [غافر: 3] حتى يمسي، حفظ بهما حتى يصبح، ومن قرأ بهما مصبحا حفظ بهما حتى يمسي "[70]

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء»[71]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ في يومه ذلك حتى يمسي، وإن قرأها حين يمسي حفظ في ليلته تلك حتى يصبح "[72]

---

[67] سنن الدارمي ج2132/4 رقم 3429

[68] سنن الترمذي رقم 2879 ج157/5

[69] الدعاء للطبراني رقم 322 ص 122

[70] عمل اليوم و الليلة لابن السني رقم 76 ص 70

[71] عمل اليوم والليلة رقم 687 ص 634

[72] شعب الإيمان للبيهقي رقم 2244ج101/4

الشيطان يعلم الدين والرسول يقر على التعلم منه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ هاتين الآيتين آية الكرسي، وحم الأولى حتى ينتهي {إليه المصير} [غافر: 3] حفظ بهما حتى يصبح، ومن قرأهما مصبحا حفظ بهما حتى يمسي "[73]

وجاء في فضلها أيضا

عن أبي بن كعب، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أي آية في كتاب الله أعظم؟» فقال: الله ورسوله أعلم، يكررها مرارا، ثم قال أبي: آية الكرسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليهنك العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده إن لها للسانا وشفتين تقدسان للملك عند ساق العرش»[74]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لكل شيء سناما، وسنام القرآن سورة البقرة، وفيه آية سيدة آي القرآن آية الكرسي، لا تقرأ في بيت وفيه شيطان إلا خرج»[75]

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة، فيها آية سيدة آي القرآن، لا تقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه آية الكرسي»[76]

ثانيا : إستخرج العلماء من هذه الحادثة دررا من الفوائد و الأحكام ، ما يستطيع العقل الحداثي إستيعابها أو فهمها !

قال الحافظ : (قوله باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل)

فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز أورد فيه حديث أبي هريرة في حفظه زكاة رمضان قال المهلب مفهوم الترجمة أن الموكل إذا لم يجز ما فعله الوكيل مما لم يأذن له فيه فهو غير جائز قال وأما قوله وأن أقرضه إلى أجل مسمى جاز أي إن أجازه الموكل أيضا قال ولا أعلم خلافا

---

[73] شعب الايمان رقم 2245ج102/4

[74] مصنف عبد الرزاق رقم 6001 370/3 –مسند احمد رقم 21278 ج200/35

[75] مصنف عبد الرزاق رقم 6019 376/3

[76] مسند الحميدي رقم 1024 ج207/2

أن المؤتمن إذا أقرض شيئا من مال الوديعة وغيرها لم يجز له ذلك وكان رب المال بالخيار قال وأخذ ذلك من حديث الباب بطريق أن الطعام كان مجموعا للصدقة وكانوا يجمعونه قبل إخراجه وإخراجه كان ليلة الفطر فلما شكا السارق لأبي هريرة الحاجة تركه فكأنه أسلفه له إلى أجل وهو وقت الإخراج وقال الكرماني تؤخذ المناسبة من حيث إنه أمهله إلى أن رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم كذا قال..[77]

و قال رحمه الله : وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم :

- أن الشيطان قد يعلم ما ينتفع به المؤمن وأن الحكمة قد يتلقاها الفاجر فلا ينتفع بها وتؤخذ عنه فينتفع بها وأن الشخص قد يعلم الشيء ولا يعمل به وأن الكافر قد يصدق ببعض ما يصدق به المؤمن ولا يكون بذلك مؤمنا وبأن الكذاب قد يصدق وبأن الشيطان من شأنه أن يكذب وأنه قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته وأن قوله تعالى إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها.

- وأن من أقيم في حفظ شيء سمي وكيلا و أن الجن يأكلون من طعام الإنس وأنهم يظهرون للإنس لكن بالشرط المذكور وأنهم يتكلمون بكلام الإنس وأنهم يسرقون ويخدعون.

- وفيه فضل آية الكرسي وفضل آخر سورة البقرة وأن الجن يصيبون من الطعام الذي لا يذكر اسم الله عليه .

- وفيه أن السارق لا يقطع في المجاعة ويحتمل أن يكون القدر المسروق لم يبلغ النصاب ولذلك جاز للصحابي العفو عنه قبل تبليغه إلى الشارع .

- وفيه قبول العذر والستر على من يظن به الصدق وفيه اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على المغيبات ووقع في حديث معاذ بن جبل أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بذلك وفيه جواز جمع زكاة الفطر قبل ليلة الفطر وتوكيل البعض لحفظها وتفرقتها.[78]

قول البحيري مستنكرا أن يكون الشيطان عالما بالقرآن أو يتحول الى صورة إنسان ...

---

[77] 487/4

[78] الفتح 489/4

و هذا الطعن مردود بصريح القرآن الكريم ، قال تعالى { وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (الآنفال 48). قال المفسرون أنه جاءهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه .[79]

و قوله تعالى { قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)} فالشيطان يؤمن بيوم البعث و يعلم أن هناك صراطا مستقيما ..و أن الشكر من القربات التي يحبها الله و تدخل العبد الى الجنة .
و الشيطان يقسم بعزة الله و يفرق بين العباد المخلصين و غيرهم من المشركين و الكافرين و المنافقين .. قال تعالى ذاكرا قول ابليس { قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين } .

أما استنكار البحيري أن يظهر الشيطان للإنسان ، فهو فهم مستنكر منه إذ أن قوله تعالى { إنه يراكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم } (الاعراف 27) فهو مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها . قَالَ فِى الْفَتْح: «وَهَذَا مَحْمُول: على من يدعى رُؤْيَتهمْ: على صورهم الَّتِي خلقُوا عَلَيْهَا. وَأما من ادّعى: أَنه يرى شَيْئا مِنْهُم-: بعد أَن يتَصَوَّر على صور شَتَّى: من الْحَيَوَان.-: فَلَا يقْدَح فِيهِ وَقد تواردت الْأَخْبَار: بتطورهم فى الصُّور.»
قال القرطبي : قال بعض العلماء: في هذا دليل على أن الجن لا يرون، لقوله" من حيث لا ترونهم" قيل: جائز أن يروا، لأن الله تعالى إذا أراد أن يريهم كشف أجسامهم حتى ترى. قال النحاس:" من حيث لا ترونهم" يدل على أن الجن لا يرون إلا في وقت نبي، ليكون ذلك دلالة على نبوته، لأن الله جل وعز خلقهم خلقا لا يرون فيه، وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم. وذلك من المعجزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. قال القشيري: أجرى الله العادة بأن بني آدم لا يرون الشياطين اليوم. وفي الخبر (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم). وقال تعالى:" الذي يوسوس في صدور الناس ". وقال عليه

[79] أنظر تفسير الطبري 7/13

السلام: (إن للملك لمة وللشيطان لمة- أي بالقلب- فأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق وأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق (. وقد تقدمفي البقرة. وقد جاء في رؤيتهم أخبار صحيحة. وقد خرج البخاري عن أبي هريرة قال: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، وذكر قصة طويلة، ذكر فيها أنه أخذ الجني الذي كان يأخذ التمر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (ما فعل أسيرك البارحة). وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة) – في العفريت الذي تفلت عليه.[80]

قال الشوكاني : " وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على أن رؤية الشياطين غير ممكنة، وليس في الآية ما يدل على ذلك، وغاية ما فيها أنه يرانا من حيث لا نراه، وليس فيها أنا لا نراه أبدا، فإن انتفاء الرؤية منا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفاءها مطلقا، ثم أخبر الله سبحانه بأنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون من عباده وهم الكفار."[81]

قال محمد رشيد رضا : روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى الجن الذين استمعوا القرآن منه مستدلا بقوله تعالى: (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن) ولكنروي عن ابن مسعود أنه رآهم، وفي أحاديث أخرى أنه كان يرى الشياطين، وكان الشافعي رحمه الله يرى أن رؤيتهم من الخوارق الخاصة بالأنبياء، فقد روى البيهقي في مناقبه عن صاحبه الربيع أنه سمعه يقول: من زعم أنه يرى الجن رددنا شهادته إلا أن يكون نبيا. وخصه بعضهم برؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها، واختلفت فرق المسلمين في تشكلهم بالصور، فالجمهور يثبتونه ولكن بعضهم يقول: إنه تخييل لا حقيقة.." [82]

قول البحيري : " وهناك اضطراب ظاهر شديد فيه، فيقول النص: «وَكَانُواْ أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ»، فالمفترض هنا أن يقول الصحابى «وكنا أحرص الناس» ولا يقول «وكانوا»، وهو ما أشار له «ابن حجر» على استحياء فى «فتح الباري» ولم يعقب على هذا الإدراج الظاهر إلا بقول هامس لم يتوقف فيه.."

---

[80] الجامع لاحكام القرآن 7/186-187

[81] فتح القدير 2/225

[82] تفسير المنار 8/327-328

لم يذكر البحيري كلام ابن حجر لينظر فيه القارئ ، و يرى هل أجاب بقول ظاهر بين أم بهمس كما يدعي البحيري ؟

قال الحافظ : " (لو كانوا) أي الصحابة (أحرص شيء على الخير) فيه إلتفات إذ السياق يقتضي أن يقول (و كنا أحرص شيء على الخير) . و يحتمل أن يكون هذا الكلام مدرجا من كلام بعض رواته ، و على كل حال فهو مسوق للإعتذار عن تخلية سبيله بعد المرة الثالثة حرصا على تعليم ما ينفع " . و لو وقف البحيري عند لفظة الحافظ (و فيه التفات) و فهم مدلولها لما إستدرك على الحافظ !

قال السيوطي معرفا الإلتفات : " نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعني من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منه بعد التعبير بالأول و هذا هو المشهور .و قال السكاكي : إما ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره ، و له فوائد منها : تطرية الكلام و صيانة السمع عن الضجر و الملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات ، و السآمة من الإستمرار على منوال واحد ، و هذه فائدته العامة . و يختص كل موضع بنكت و لطائف باختلاف محله كما سنبينه ، مثاله من التكلم الى الخطاب ووجهه حث السامع على الإستماع حيث أقبل المتكلم عليه و أعطاه فضل عناية تخصيص بالمواجهة ، قوله تعالى : { و مالي لا أعبد الذي فطرني و إليه ترجعون } ، و الأصل (و إليه أرجع) فالتفت من المتكلم إلى الخطاب . و نكتته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه و هو يريد نصح قومه ، تلطفا و إعلاما أنه يريد لهم ما يريد لنفسه ، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم و دعوتهم إلى الله تعالى "[83]

---

[83] الاتقان في علوم القرآن 289/3

الرسول يدخل على امرأة أجنبية عنه ويختلي بها في غيبة من زوجها ، وينام عندها ..

قال أيلال : " وكتب لم تقف عند هذا الحد بل عمدت إلى الإساءة لنبينا في غير ما مرة كمثل هذا الحديث في صحيح البخاري يتهم الرسول فيه انه يدخل على أم حرام زوج عبادة بن الصامت في غيبة من زوجها طبعا ويأكل عندها وينام عندها وتفلي رأسه ، إذن فالرسول يختلي بامرأة في غيبة زوجها ، وينام عندها ويأكل ، وتفلي رأسه من القمل ، أطهر الناس وأكمل الناس فيه قمل –حاشاه-، لكن كالعادة سينبري عباد البشر للدفاع عن هذا التلفيق للرسول وسيشبعوننا سبا وشتما ، ، نقول لهم سبابكم وشتمكم يعود عليكم ونحن بالمرصاد للدفاع عن رسولنا الأعظم ضد روايات تسيء اليه وتنتقص من نبوته وأخلاقه واليكم نص الحديث كما عند البخاري 6600.

حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها يوما فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك يا رسول الله قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة شك إسحاق قالت فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت ما يضحكك يا رسول الله قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله كما قال في الأولى قالت فقلت يا

رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من الأولين فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت" [84]

و قال :" لا يستطيع مسلم نقي الفطرة ، سليم العقل ، يحترم دينه ونبيه ، أن يصدق بأن رسوله الكريم الأكرم صلى الله عليه وسلم ، يدخل على امرأة أجنبية عنه ويختلي بها في غيبة من زوجها ، وينام عندها ، وتقوم هي بفلي رأسه ، والفلي يعني تنظيف الرأس من القمل ، أي أن رسول الله –حاشاه– كان قذرا ، وغير نظيف ، ورأسه مليء بالقمل ، لا يستطيع مسلم واضح الإسلام أن يقبل على رسوله هذا الكلام ، لكن شيوخ التعصب للموروث الديني ، الذي نتج عن تقديس الرجال ، ولو على حساب رسولنا الكريم ، يصدقون هذا عن نبيهم ، ويعتبرون فعلا أنه قام بهذا العمل الشنيع ، ونحن نقول كلا وألف كلا ، رسولنا أسمى من هذه الترهات ، وقد حاول صناع الروايات أن يبرروا هذا بالا دعاء أن أم حرام كانت خالة رسول الله من الرضاعة، رغم أنه لادليل على ذلك قوي، وتبقى هذه الرواية إلى جانب كثير من الروايات التي تنتقص من قيمة أشرف خلق الله ، وما ورد في صحيح البخاري محض كذب على الرسول ، واستخفاف بالعقول.[85]

- تخريج الحديث :

أولا : الحديث لم يتفرد به البخاري بل رواه غيره من أئمة الحديث و السـنة ، فقد رواه : مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد (464/2رقم39)، ومن طريقه:

- البُخَاريّ في صحيحه في مواضع:

---

[84] ص 66 . و قال بعد ذلك :" وقد حاول الكثير منهم تبرير هذا الخبل بقولهم إن أم حرام كانت من محارم رسول الله فهي خالته من الرضاعة وهذا القول هو محاولة لتبرير الكذب على رسول الله فيختلقون الروايات كي لا يتهموا شيوخهم بالكذب على الرسول الكريم." صفحته على الفيسبوك

[85] ص 156

كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء،(1027/3 رقم2636). وكتاب التعبير، باب رؤيا النهار(2570/6رقم6600) عَنْ عبد الله بن يوسف[86].

كتاب الاستئذان، باب من زار قوما فَقَالَ عندهم (2316/5رقم5926) عَنْ إسماعيل بن أبي أويس.

-ومُسلِم في صحيحه، كتاب الإمارة، (1518/3رقم1912) عَنْ يحيى بن يحيى.

-وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب فضل الغزو في البحر (6/3رقم2491) عَنْ عبد الله بن مسلمة القعنبي.

-والترمذي في جامعه، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في غزو البحر (178/4رقم1645) عَنْ معن بن عيسى.

-والنسائيُّ في سننه (المجتبى)، كتاب الجهاد، فضل الجهاد في البحر (40/6) من طريق عبدالرحمن بن القاسم.

- وعبد الله بنُ المبارك في الجهاد (ص157رقم201).

-ومحمد بن سعد في الطبقات الكبرى (435/8) عَنْ معن بن عيسى.

-وأحمد بن حنبل في مسنده (240/3) عَنْ أبي سلمة منصور بن سلمة .

-وأبو عَوَانة في مستخرجه، كتاب الجهاد، بيان فضل الغزو في البحر (494/4رقم7459) من طريق عبد الله بن وَهَب.

-و ابن حبان في صحيحه -كما في الإحسان (51/15 رقم6667)- من طريق أبي مصعب أحمد بن أبي بكر.

---

(86)وقد أخرج البخاريُّ الحديثَ في كتابه "الأدب المفرد"(ص328) بابٌ هل يفلي أحدٌ رأسَ غيرِهِ، عَنْ عبد الله بن يوسف.

-واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (1438/8) من طريق مصعب الزبيري والوليد بن مُسلِم.

-وأبو نُعَيم في حلية الأولياء (61/2) ومعرفة الصحابة (3481/6رقم7894)، وفي دلائل النبوة (555/2) من طريق القعنبي ويحي بن بكير.

-و البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب فضل من مات في سبيل الله (165/9) من طريق يحيي بن يحيي.

-وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (211/70) من طريق أبي مصعب أحمد بن أبي بكر، وأحمد بن إسماعيل، ومصعب الزبيري.

جميعهم عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَس عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك.

فهل تواطأ كلهم على الكذب عن رسول الله ، و انتقاص قدره و الطعن فيه ، حتى جاء العلامة أيلال " نقي الفطرة ، سليم العقل ، يحترم دينه و نبيه "فلم يصدق رواية البخاري ، و كشف زيفها و اختلاقها !

- ثانيا : إجابات العلماء على الحديث :

"إنّ المرءَ المستقيمَ ليسمع الحديثَ الصحيحَ فيدركه على وجههِ إنْ كان سليم النفس، حَسَن الطوية، وهو ينحرفُ به إذا كان إنساناً مريض النفس معوجا، وهل ينضح البئر إلاّ بما فيه، وهل يمكن أن نتطلب من الماء جذوة نار؟ أو نغترف من النار ماء؟ وقديما قالوا: إنّ كل إناء بما فيه ينضح، أشهد أنّ الله قد قَالَ في نبيه ﷺ { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }(القلم:4)"[87].

- خلوة الرسول بأم حرام :

أجيب عنه أنّ الحَدِيثَ ليسَ فيه التصريح بالخلوة أو عدم الخلوة فإذا كان كذلك رجع إلى

(87)مقتبس من كلام الدكتور:طه الدسوقي في كتابه السنة في مواجهة أعدائها (ص205).

الأصل وهو تحريمه ﷺ القطعيّ للخلوة بالمرأة الأجنبية، وقد أشار إلى هذا المعنى اِبْن عَبْد الْبَرّ فَقَالَ بعد أن ذكر المحرمية:((والدليل على ذلك – ثم ساق حَدِيث جابر، وعمر بن الخطاب، وابن عباس،وعبد الله بن عمرو بن العاصي، وعقبة بن عامر في النهي عن الخلوة– وهذه آثار ثابتة بالنهي عن ذلك، ومحال أنْ يأتي رسولُ الله ما ينهى عنه))[88].

وَقَالَ الدِّمْيَاطِيّ:((لَيْسَ فِي الْحَدِيث مَا يَدُلّ عَلَى الْخَلْوَة بها فلعل ذاك كَانَ مَعَ وَلَد أَوْ خَادِم أَوْ زَوْج أَوْ تَابِع، والعادةُ تقتضي المخالطة بين الْمَخْدُوم وَأَهْل خَادِم، سيّما إذا كنَّ مسنَّات مع ما ثبت له عليه من العصمة))[89]، قَالَ ابنُ حَجَر:((قُلْتُ: وَهُوَ اِحْتِمَال قَوِيّ))[90].

ولو ثبتت الخلوة صراحة في الحَدِيث لم تضر لأنّ أُمّ حَرَام خالة للنبي ﷺ من الرَّضَاعَ أو أنَّ ذلك من خصائصه .

- بخصوص أم حرام : أجاب العلماء عن هذا بأجوبة منها :

– أنها كانت من محارمه :

قال النووي : اتفق العلماء على أنها كانت محرما له صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى كيفية ذلك فقال بن عبد البر وغيره كانت إحدى خالاته من الرضاعة وقال آخرون بل كانت خالة لأبيه أو لجده[91]

قال ابن عبد البر : أم حرام هذه خالة أنس بن مالك أخت أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك وقد ذكرناها ونسبناها وذكرنا أشياء من أخبارها في كتابنا كتاب الصحابة فأغنى عن ذكره ها هنا وأظنها أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أم سليم أرضعت رسول الله

---

(88) " التمهيد" (226/1).

(89) عمدة القاري (86/14).

(90)فتح الباري (78/11).

تنبيهٌ: جميع النقول عن ابنِ حَجَر – التي لم أوثقها في هذا المطلب – من هذا الموضع في الفتح فلا حاجة للتكرار.

[91] شرح النووي ج 13 ص58

صلى الله عليه وسلم فحصلت أم حرام خالة له من الرضاعة فلذلك كانت تفلي رأسه وينام عندها وكذلك كان ينام عند أم سليم وتنال منه ما يجوز لذي المحرم أن يناله من محارمه ولا يشك مسلم أن أم حرام كانت من رسول الله لمحرم فلذلك كان منها ما ذكر في هذا الحديث والله أعلم وقد أخبرنا غير واحد من شيوخنا عن أبي محمد الباجي عبد الله بن محمد بن علي أن محمد بن فطيس أخبره عن يحيى بن إبراهيم بن مزين قال إنما استجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تفلي أم حرام رأسه لأنها كانت منه ذات محرم من قبل خالاته لأن أم عبد المطلب بن هاشم كانت من بني النجار وقال يونس بن عبد الأعلى قال لنا ابن وهب أم حرام إحدى خالات النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فلهذا كان يقيل عندها وينام في حجرها وتفلي رأسه قال أبو عمر أي ذلك كان فأم حرام محرم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك ما حدثنا عبد الله (*) بن محمد بن أسد قال حدثنا حمزة بن محمد قال حدثنا أحمد بن شعيب قال حدثنا على ابن حجر قال أخبرنا هشيم عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يبيتن رجل عند امرأة إلا أن يكون ناكحا أو ذا محرم وروى عمر بن الخطاب عن النبي عليه السلام قال لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخلون رجل بامرأة إلا أن تكون منه ذات محرم وروى عبد الله بن عمرو بن العاصي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخلون رجل على مغيبة إلا ومعه رجل أو رجلان وحدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا محمد بن معاوية قال حدثنا أحمد بن شعيب قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالإياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار أرأيت الحمو قال الحمو الموت وهذه آثار ثابتة بالنهي عن ذلك ومحال أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينهى عنه .[92]

قال ابن حجر : وجزم أبو القاسم بن الجوهري والداودي والمهلب فيما حكاه بن بطال عنه بما قال بن وهب قال وقال غيره إنما كانت خالة لأبيه أو جده عبد المطلب وقال بن الجوزي

[92] التمهيد ج 1 ص227-228

سمعت بعض الحفاظ يقول كانت أم سليم أخت آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة[93]

- أنها من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم :

اتفق العلماء على أنَّ النَّبِيّ ﷺ قد خُص في أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد في باب الفرض والتحريم والتحليل مزيةً على الأمة، وهيبة له، ومرتبة خص بها ففرضت عليه أشياء لم تفرض على غيره، وحرمت عليه أشياء وأفعال لم تحرم عليهم، وحللت له أشياء لم تحلل لهم، منها متفق عليه، ومنها مختلف فيه، وهذه الخصائص منها ما ثبت بالقرآن، ومنها ما ثبت بالسنة، ومنها ما يفهم من منطوق النصوص، ومنها ما يفهم من خلال الجمع والموازنة بين النصوص.قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:((خُصَّ النَّبِيّ بِمُوجَبَاتٍ وَمَحْظُورَاتٍ وَمُبَاحَاتٍ وَكَرَامَات))(94).

و ذكرنا هذا ليعلم أن من قال بأنَّ ما وقع للنبي ﷺ مع أُمّ حَرَام كَانَ من خصائصه ﷺ له حظٌ من النظر، وإنْ كان الأرجح أنَّ أُمّ حَرَام خالة للنبي ﷺ من الرَّضَاعَ كما ذهب الى ذلك أكثر أهل العلم

قال السندي : قيل كَانَت محرما مِنْهُ صلى الله تَعَالَى عَلَيْهِ وَسلم بِوَاسِطَة أَن أمه من بني النجار وَقيل بل هُوَ من خَصَائِصه.[95]

قال إبن عبد البر: أنه صلى الله عليه وسلم معصوم ليس كغيره ولا يقاس به سواه .[96]

---

[93] الفتح ج 11 ص78

(94)الفروع (121/5)، الإنصاف (88/20).

[95] حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن) ص40 ج 6

المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: 1138هـ)

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب

الطبعة: الثانية، 1406 – 1986

96 الاستذكار ج 5 ص 125

المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)

تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض

الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

وقال القرطبي: يمكن أن يقال: إنه صلى الله عليه وسلم كان لا تستتر منه النساء لأنه كان معصوما، بخلاف غيره.[97]

قال ابن حجر : وحكى بن العربي ما قال بن وهب ثم قال وقال غيره بل كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما يملك أربه عن زوجته فكيف عن غيرها مما هو المنزه عنه وهو المبرأ عن كل فعل قبيح وقول رفث فيكون ذلك من خصائصه .. ورد عياض الأول بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال وثبوت العصمة مسلم لكن الأصل عدم الخصوصية وجواز الاقتداء به في أفعاله حتى يقوم على الخصوصية دليل.

وبالغ الدمياطي في الرد على من ادعى المحرمية .. ثم قال وإذا تقرر هذا فقد ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه إلا على أم سليم فقيل له فقال أرحمها قتل أخوها معي يعني حرام بن ملحان وكان قد قتل يوم بئر معونة قلت وقد تقدمت قصته في الجهاد في باب فضل من جهز غازيا وأوضحت هناك وجه الجمع بين ما أفهمه هذا الحصر وبين ما دل عليه حديث الباب في أم حرام بما حاصله أنهما أختان كانتا في دار واحدة كل واحدة منهما في بيت من تلك الدار وحرام بن ملحان أخوهما معا فالعلة مشتركة فيهما وإن ثبت قصة أم عبد الله بنت ملحان التي أشرت إليها قريبا فالقول فيها كالقول في أم حرام وقد انضاف إلى العلة المذكورة كون أنس خادم النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرت العادة بمخالطة المخدوم خادمه وأهل خادمه ورفع الحشمة التي تقع بين الأجانب عنهم ثم قال الدمياطي على أنه ليس في الحديث ما يدل على الخلوة بأم حرام ولعل ذلك كان مع ولد أو خادم أو زوج أو تابع قلت وهو احتمال قوي لكنه لا يدفع الإشكال من أصله لبقاء الملامسة في تفلية الرأس وكذا النوم في الحجر وأحسن الأجوبة دعوى الخصوصية ولا يردها كونها لا تثبت إلا بدليل لأن الدليل على ذلك واضح والله أعلم.[98]

- بخصوص فلي أم حرام رأس النبي، أجاب العلماء على هذا بأجوبة منها :
  - أن النبي صلى الله عليه وسلم محرم لأم حرام كما سبق ذكره .

الطبعة: الأولى، 1421 – 2000

[97] نفس المصدر

[98] الفتح ج 11 ص 78

- أنها من خصوصياته : قال ابن حجر :(وَالَّذِي وَضَحَ لَنَا بِالْأَدِلَّةِ الْقَوِيَّة أَنَّ مِنْ خَصَائِص النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَاز الْخَلْوَة بِالْأَجْنَبِيَّةِ وَالنَّظَر إِلَيْهَا , وَهُوَ الْجَوَاب الصَّحِيح عَنْ قِصَّة أُمّ حَرَام بِنْت مِلْحَان فِي دُخُوله عَلَيْهَا وَنَوْمه عِنْدهَا وَتَفْلِيَتهَا رَأْسه وَلَمْ يَكُنْ بَيْنهمَا مَحْرَمِيّة وَلَا زَوْجِيَّة))[99].
- أن هذا خاص بأم حرام و أختها أم سليم . قَالَ ابن الملقن:((ومن أحاط علماً بنسب النَّبِيّ ﷺ ونسب أُمّ حَرَام علم أن لا محرمية بينهما، وقد بين ذلك الحافظ شرفُ الدين الدِّمْيَاطِيّ في جزء مفرد ، وَقَالَ: وهذا خاص بأُمّ حَرَام وأختها أُمّ سُلَيْم، وقد ذكرتُ ذلكَ عنه في كتابي المسمى "العُدّة في معرفة رجالِ العمدة"))[100].

هل تفلية الرأس يشترط وجود قمل ؟؟!

لم يجيء ذكر " القمل " في أي رواية من روايات الحديث ، حتى يقال أن الفلي كان لوجود القمل في شعر رسول الله. بل كان من باب الإحتراز كما نقوم نحن الآن بتمشيط رؤوسنا , ونضع شمبوهات لغسل رؤوسنا ووقاية شعرنا من الحكة أو الحشرات كالقمل و غيره ، ولا يتصور مع هذا أننا قذرون و غير نظيفين .

هذا و رسول الله كما أخبرت عنه أمنا عائشة "كَانَ بَشَرًا منَ البشَرِ، يَفْلِي ثَوْبَهُ، ويَحْلُبُ شَاتَهُ، ويَخْدُمُ نفسَهُ."

ثالثا : يتبجح المعترض أنه صاحب فطرة نقية و عقل سليم و يحترم دينه و نبيه ، فكان الواجب عليه التأني في اصدار أحكامه و الرجوع الى ذوي الإختصاص و المعرفة بالحديث و السنة ، ليقف على إجاباتهم و شروحاتهم لما أستشكل عليه ! أما أن يحكم عقله و يطعن في علماء السنة و ينبزهم بأنهم " شيوخ التعصب للموروث الديني " و أنهم يقدسون الرجال و لو على حساب الدين .. فهذه بضاعة كل مفلس جاهل .

(99)فتح الباري (203/9).

(100) "خصائص النَّبِيّ ﷺ" لابن الملقن(ص137)

قال الدكتور طه حبيشي في رده على أحمد صبحي منصور : " أما قصة أم حرام فقد وردت في صحيح البخاري نفسه ثلاث عشرة مرة ، تأتي مختصرة و مطولة أخرى ، و الذي يذكره الكاتب و لا يعرف معناه أن هناك بيت آخر هو بيت أم سليم ،كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه و يأكل و يشرب و ينام أحيانا إلى وقت الظهيرة ، و يسيل عرقه على قطعة من جلد فتجمعه أم سليم من فوق الجلد و تجعله في طيبها ، و النبي صلى الله عليه و سلم يعلم ذلك و لا ينكره .

إلى هنا و الكاتب قد يعلم بعض ما ذكرناه و لا يتورع أن يتخذ منه تكأة للتشويش على شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، و هو يوهم البسطاء أنه من المحبين له المدافعين عنه ، و هو لا يعلم أن التفصيل في نفي النقص عن الكاملين نقص ، خصوصا ؛ذا دخل في شيء من التفصيل الممل ، أو لعل صاحبنا يعلم هذه الجزئية ، و يستغلها في تشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم ، و التقليل من هيبته في نفوس أتباعه ، و هذا مطمع قد طمع فيه من هم أكثر من صاحبنا بصرا بالمناهج ، و من هم أكثر منه حيطة بأساليب البحث و الدرس ، و من هم أشد منه قوة و أعز منه نفرا ، فما استطاعوا أن ينالوا من جدار العز للنبي صلى الله عليه وسلم نقبا . و الشيء الذي لم يعرفه هؤلاء ، أن الروايات مجمعة تقريبا على أن النبي كان يكثر من التردد ، و الأكل و الشرب ، عند أم سليم ، و أم حرام . و الباحث الحصيف يسأل : هل هناك شيء من العلاقة بين هاتين المرأتين الجليلتين ؟

و الروايات تجيب أن أم سليم ، و أم حرام أختان ، يقال لأحدهما الرميصاء ، و للأخرى الغميصاء ، لا بعينها، فمنهم من يقول : إن الرميصاء بالراءهي أم حرام ، و الغميصاء بالغين هي أم سليم ، و منهم من يعكس . و الرميصاء و الغميصاء ، لفظان يدلان على حالتين في العين متشابهتين ، و هما حالتان خلقيتان ليس بالعين معهما من بأس .

و أم سليم هي أم أنس بن مالك رضي الله عنه ، و أم حرام خالته ، و أنس بن مالك كان في صباه يخدم النبي عشر سنين و كان النبي يعامله معاملة تناسب أخلاق النبوة ، يقول أنس : خدمت النبي عشر سنين ، فما قال لي لشيء لم فعلته ، و لا لشيء تركته لم تركته .

هؤلاء ثلاثة لسوا من المجاهيل في الصحابة و الصحابيات ، و ما الذي جعل علاقة النبي بهم على هذا المستوى من الاهتمام ، و كثرة السؤال عنهم ؟

إن هذا لا يكون إلا في حالة واحدة ، و هي أن تكون هناك درجة من القرابة تجعل المرأتين من محارم النبي صلى الله عليه وسلم ، سواء أكان ذلك من جهة النسب – كما قال بعض المؤرخين – أو كان من جهة الرضاعة – كما قال البعض الآخر "-[101]

انكاره طواف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه بغسل واحد

قال أيلال : " ومن الأحاديث المنتقصة من قدر النبي في صحيح البخاري حديث يقول أن رسول الله كان يمارس الجنس مع نسائه الإحدى عشر خلال ساعة زمنية ، سبحان الله ، هل كان الراوي متتبعا متجسسا على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة ؟، وهل كان رسول الله آلة جنسية وحاشاه ، اقرأوا نص الحديث في صحيح البخاري كتاب الغسل 265 : حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال قلت لأنس أوكان يطيقه ؟ قال كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين وقال سعيد عن قتادة إن أنسا حدثهم تسع نسوة".[102]

أولا : الحديث لم يتفرد به البخاري ، بل أخرجه جمه من الأئمى منهم :

---

[101] السنة في مواجهة اعدائها ص 202-205

[102] ص 68

مسلم في صحيحه 249/1 .ابن ماجه في سننه 193/1.احمد في مسنده 472/21 .الترمذي في سننه 259/1.ابوداود في سننه 56/1.ابي يعلى في مسنده 456/5.ابن حبان في صحيحه 8/4 و غيرهم

ثانيا : قد ذهب كثير من أهل العلم أنه لا يدل على العادة المستمرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول : أنه قد ورد في السنة الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من عادته أن يقسم لزوجاته فيبيت عند كل واحدة منهن ليلة ، إلا أنه يدور عليهن جميعا كل يوم ليسأل عليهن ، ويؤنسهن ، إلا أنه لا يجامع أي واحدة منهن إلا في ليلتها.

وقد دل على ذلك ما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت :(كان رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم لا يُفضِّلُ بعضنا على بعضٍ في القَسمِ ، من مُكثه عِندنا ، وكان قلَّ يومٌ إلا وهو يَطُوفُ علينا جميعاً ، فيدنو مِنْ كُلِّ امرأة ، مِن غير مَسِيسٍ ، حتى يَبْلُغَ إلى التي هو يَوْمُها فيبيتُ عندها)[103]

ومضع الشاهد في الحديث قولها :" فيدنو من كل امرأة من غير مسيس "، أي من غير جماع.

الأمر الثاني : أن كثيرا من أهل العلم حملوا لفظ "كان " ، والتي تدل على الاستمرار ، على أنه كان في أوقات مخصوصة ، بل حمله بعضهم على أنه حدث مرة واحدة ، جمعا بين الأدلة . قال ابن عبد البر في "الاستذكار" : " وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ طَافَ عَلَى نِسَائِهِ فِي غُسْلٍ وَاحِدٍ ، وَهَذَا مَعْنَاهُ فِي حِينِ قُدُومِهِ مِنْ سَفَرٍ أَوْ نَحْوِهِ ، فِي وَقْتٍ لَيْسَ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمٌ مُعَيَّنٌ مَعْلُومٌ ، فَجَمَعهن حِينَئِذٍ ، ثُمَّ دَارَ بِالْقِسْمِ عَلَيْهِنَّ بَعْدُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لِأَنَّهُنَّ

[103] "صحيح أبي داود" للألباني رقم (1852)

كُنَّ حَرَائِرَ ، وَسُنَّتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِنَّ الْعَدْلُ فِي الْقَسْمِ بَيْنَهُنَّ ، وَأَلَّا يَمَسَّ الْوَاحِدَةَ فِي يَوْمِ الْأُخْرَى ، وَهَذَا قول جماعة الفقهاء ". [104]

و في حديث عائشة ما يشعر بأن ذلك إنما كان يقع منه عند إرادته الإحرام ، قالت :" كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيطوف على نسائه ، فيصبح محرما ينضح طيبا ". انتهى.

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: إن هذه واقعة حجة الوداع قبل الإحرام ، وكان غرضه قضاء حاجتهن ، وإن عبرها الراوي بطريق الاستمرار ولفظ العادة ". [105]

وأكد الصنعاني ذلك في "التنوير شرح الجامع الصغير" ، فقال :" واعلم أن ظاهر "كان يطوف " : أنه كان يداوم على ذلك ، وفي الحديث المتفق عليه ما يؤخذ منه بأن ذلك إنما كان يقع منه عند إرادة الإحرام ، ولفظه عن عائشة "كنت أطيب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا " . [106]

ثم إن الساعة المذكورة في الحديث هي الجزء من الزمان ، وليست الساعة الزمنية المعروفة اليوم. قال ابن حجر : " قوله في الساعة الواحدة المراد بها قدر من الزمان لا ما اصطلح عليه أصحاب الهيئة قوله من الليل والنهار الواو بمعنى أو جزم به الكرماني ويحتمل أن تكون على بابها بأن تكون تلك الساعة جزءا من آخر أحدهما وجزءا من أول الآخر" [107]

---

[104] (300/1)

[105] ذكره الكشميري في "العرف الشذي" (159/1)

[106] (592/8)

[107] الفتح 377/1

قصة انتفاخ بطن النبي !!

قال أيلال : "كما لايجب أن ننسى أيضا أن كتب الحديث تخبرنا كما ورد في سير أعلام النبلاء للذهبي والمنتظم لابن الجوزي ان الصحابة أهملوا دفن الرسول ثلاثة أيام حتى انتفخ بطنه: "كانوا مشغولين بشيء أهم !! وهو الحصول على كرسي الحكم"[108]

أولا : لم يثبت في كتب الحديث أن الصحابة أهملوا دفن النبي حتى انتفخ بطنه ، و نحن نتحداه أن يذكر لنا أين رووا ذلك ، و هذه موسوعات الحديث الشريف أماه : موطأ ملك و صحيح البخاري و صحيح مسلم ، مسند أحمد ، السنن الأربعة ، صحيح ابن خزيمة ، مسند الحميدي ، مسند اسحاق بن راهويه ، مسند البزار ، مصنف عبد الرزاق ، مصنف ابن ابي شيبة ..الخ

و القصة إنما ذكرت في كتب التراجم و التاريخ ، و حتى رواة السير الأوائل كابن هشام و ابن اسحاق لم يذكروها .

أول من ذكرها – حسب إطلاعي –يعقوب بن سفيان الفسوي (ت 277) في كتابه المعرفة و التاريخ[109]قال : وفي هذه السنة أو سنة خمس حدث وكيع بن الجراح بمكة عن عن إسماعيل بن أبي خالد عن البهي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات لم يدفن حتى وجأ بطنه وانثنى خنصره، وذكر غير هذا. فرفع إلى العثماني فأرسل اليه فحبسه، وعزم على قتله وصلبه، وأمر بخشبة أن تنصب خارجا من الحرم"

---

[108] ص69

[109] المعرفة و التاريخ 175/1 ت أكرم ضياء العمري

الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت

الطبعة: الثانية، 1401 هـ- 1981 م

ثم تلاه أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: 365هـ) ، في كتابه (الكامل في ضعفاء الرجال) في ترجمة عبد المجيد بن عبد العزيز . قال رحمه الله : " ونقم عَلَى عَبد المجيد أنه أفتى الرشيد بقتل وكيع بن الجراح.

وَالْحَدِيثُ فِي ذَلِكَ مَا، حَدَّثَنا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنا وَكِيعٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ عَبد اللَّهِ الْبَهِيّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا مَاتَ لَمْ يدفن حتى ربا بطنه وأنتنت خَنْصَرَاهُ.."[110]

و من طريقه ذكرها ابن الجوزي في المنتظم[111]. و أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق علي بن خشرم عن وكيع [112] و عنه ذكرها الذهبي في سير اعلام النبلاء [113]و تاريخ الاسلام [114]

ثالثا : وكيع بن الجراح أحد الأئمة الأعلام والحفاظ الكرام محدث العراق ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : (ما رأيت أحداً أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع) ، وقال أيضاً (ما رأيت قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب مع خشوع وورع) ، وكان رحمه الله مع ذلك كثير الصلاة والصيام والقيام ، وكان يغشى عليه إذا سمع القرآن.

إلا أن هذا العالم العابد الإمام وقع في محنة غريبة بسبب روايته لخبر غريب في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وذلك أنه كان يحدِّث في مكة خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : (أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله، وقال: " بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك "، ثم قال البهي: وكان ترك يوما وليلة حتى ربا بطنه، وانثنت خنصراه)!!

---

[110] الكامل ج48/7 ط الكتب العلمية – بيروت–لبنان

الطبعة الأولى، 1418هـ1997م

44/10

[112] 101/63 دار الفكر

[113] 163-162-161-160-159/9 ط الرسالة

[114] 244/13 ط التوفيقية

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة الإمام حافظ وقته وكيع بن الجراح " محنة وكيع – وهي غريبة – تورط فيها، ولم يرد إلا خيراً، ولكن فاتته سكتة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع ، فليتق عبد ربه، ولا يخافن إلا ذنبه." قال علي بن خشرم: حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي، أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله، وقال: " بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك "، ثم قال البهي: وكان ترك يوما وليلة حتى ربا بطنه، وانثنت خنصراه.

قال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا بمكة، اجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع، ونصبوا خشبة لصلبه، فجاء سفيان بن عيينة، فقال لهم: الله الله ! هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهها، وهذا حديث معروف.

قال سفيان: ولم أكن سمعته إلا أني أردت تخليص وكيع.

قال علي بن خشرم: سمعت الحديث من وكيع، بعدما أرادوا صلبه، فتعجبت من جسارته، وأخبرت أن وكيعاً احتج، فقال: إن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم عمر، قالوا: لم يمت رسول الله. فأراد الله أن يريهم آية الموت.

رواها أحمد بن محمد بن علي بن رزين الباشاني قال: حدثنا علي ابن خشرم. ورواها قُتَيْبَة، عَنْ وكيع. وَهَذِهِ هفوة مِن وكيع، كادت تَذهب فيها نفسه. فما لَهُ ولرواية هذا الخبر المنكرَ المنقطع؛ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ".

ولولا أنّ الحافظ ابن عساكر وغيره ساقوا القصّة في تواريخهم لتركتها وَلَمَا ذكرتها، ولكنْ فيها عِبرة.[115]

[115] تاريخ الايلام 244/13

و قال في السير : " فهذه زلة عالم، فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الاسناد ! كادت نفسه أن تذهب غلطاً، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غضاً ما لمنصب النبوة، وهو في بادئ الرأي يوهم ذلك، ولكن إذا تأملته، فلا بأس إن شاء الله بذلك، فإن الحي قد يربوا جوفه، وتسترخي مفاصله، وذلك تفرع من الامراض، و " أشد الناس بلاء الانبياء " ، وإنما المحذور أن تجوز عليه تغير سائر موتى الآدميين ورائحتهم، وأكل الارض لاجسادهم، والنبي صلى الله عليه وسلم فمفارق لسائر أمته في ذلك، فلا يبلى، ولا تأكل الارض جسده، ولا يتغير ريحه، بل هو الآن، وما زال أطيب ريحاً من المسك، وهو حي في لحده حياة مثله في البرزخ، التي هي أكمل من حياة سائر النبيين، وحياتهم بلا ريب أتم وأشرف من حياة الشهداء الذين هم بنص الكتاب { أحياء عند ربهم يرزقون }[آل عمران: 169] وهؤلاء حياتهم الآن التي في عالم البرزخ حق، ولكن ليست هي حياة الدنيا من كل وجه، ولا حياة أهل الجنة من كل وجه، ولهم شبه بحياة أهل الكهف، ومن ذلك: اجتماع آدم وموسى، لما احتج عليه موسى، وحجه آدم بالعلم السابق , كان اجتماعهما حقاً، وهما في عالم البرزخ، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رأى في السماوات آدم وموسى وإبراهيم وإدريس وعيسى، وسلم عليهم، وطالت محاورته مع موسى ، هذا كله حق.

والذي منهم لم يذق الموت بعد هو عيسى عليه السلام، فقد تبرهن لك أن نبينا صلى الله عليه وسلم ما زال طيباً مطيباً، وأن الارض محرم عليها أكل أجساد الانبياء، وهذا شئ سبيله التوقيف، وما عنف النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم لما قالوا له بلا علم: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ – يعني قد بليت – فقال: " إن الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء."

وهذا بحث معترض في الاعتذار عن إمام من أئمة المسلمين، وقد قام في الدفع عنه مثل إمام الحجاز سفيان بن عيينة، ولولا أن هذه الواقعة في عدة كتب، وفي مثل " تاريخ الحافظ ابن عساكر "، وفي "كامل الحافظ ابن عدي " لاعرضت عنها جملة، ففيها عبرة ..[116]

ثم قال :" قال قتيبة: فكان وكيع إذا ذكر فعل عبد المجيد، قال: ذاك جاهل، سمع حديثا لم يعرف وجهه، فتكلم بما تكلم .

قلت: فرضنا أنه ما فهم توجيه الحديث على ما تزعم، أفما لك عقل وورع؟ أما سمعت قول الإمام علي: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ أما سمعت في الحديث: (ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان فتنة لبعضهم) ؟[117]

رابعا : موقف العلماء من هذه الرواية

أنكرها العلماء في زمن وكيع حتى أفتوا بقتله ، وحتى سفيان بن عيينة إنما قال قولته ليدفع الموت عن وكيع .

الذهبي الذي ساقها في ترجمة وكيع قال : وَهَذِهِ هفوة مِن وكيع، كادت تَذهب فيها نفسه. فما لَهُ ولرواية هذا الخبر المنكرَ المنقطع؛ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ".

و قال : " فهذه زلة عالم، فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الاسناد ! كادت نفسه أن تذهب غلطاً، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غضاً ما لمنصب النبوة"

خامسا : ذكر بعض علل الرواية

---

[116] سير اعلام النبلاء 9/160-161-162

[117] 9/163-164

- رواية منكرة تخالف الروايات الصحيحة المشهورة في صفة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، و التي أجمعت عليها كتب السيرة و الحديث .و منها ما ثبت عن علي رضي الله عنه ، قال : " غسلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلت أنظر ما يكون من الميت ، فلم أر شيئا ، و كان طيبا حيا و ميتا " [118]

و قال ابن اسحاق : ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت .

- راويه (البهي) ، هو عبد الله بن يسار مولى أل الزبير . تابعي لم يدرك الواقعة ، و في سماعه من عائشة نظر .قال ابن ابي حاتم : لا يحتج بالبهي و هومضطرب الحديث . و قال ابن حجر : صدوق يخطئ .

فمثله لا يقبل منه اذا تفرد فكيف إذا كان خبرا منكرا منقطعا!

سادسا : قو له " أهملوا رسول الله ..." كيف علم بذلك ؟ و هل يعي معنى الإهمال ؟ و هذه كلمة لا تخرج من فم رجل قلبه ممتلئ حبا و تعظيما لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم . و في هذه العبارة من الطعن الصريح بصحابة النبي ووصفهم بالإنشغال بكرسي الحكم على دفن النبي ، و قد تلقف هذ الطعن من مواقع النصارى و الملحدين على شبكة النت ! بناءا على رواية حكم العلماء أنها باطلة منكرة .

و قد ذكر ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي آخر يوم الإثنين ، و لما بويع الصديق يوم الثلاثاء أقبل أهل بيته صلى الله عليه وسلم في جهازه و فرغ من غسله و تكفينه يوم الثلاثاء ، ووضع في بيته الطاهر ، و حفر له قبره في موضه وفاته ، و أخذ الناس يدخلون للسلام عليه حتى سلم عليه كل من كان في المدينة من الصحابة و الصحابيات و أبنائهم ، ثم دفن ليلة الأربعاء .

---

[118] أخرجه الحاكم في المستدرك برقم 4370 و صححه الألباني في الجنائز ص 30 و ذكرها ابن اسحاق في السيرة 662/2

الفصل السادس   تفنيد شبهات أيلال حول أحاديث الصحيح

رد الأحاديث بدعوى إساءتها للرسول .

الرسول يسحر فيهذي

قال أيلال : ورد في صحيح البخاري تحت رقم 5433 حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَت:" سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ ثُمَّ قَالَ أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ قُلْتُ وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ قَالَ فِيمَا ذَا قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ قَالَ فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبِئْرِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ قَالَ لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ وَشَفَانِي وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ".

وقد عقب ابن حجر العسقلاني في فتح الباري تعليقا على هذا الحديث بقوله:" ثم ذكر المصنف في الباب سبعة وعشرين حديثا الأول حديث عائشة قالت : " سحر النبي صلى الله عليه وسلم " الحديث ، وسيأتي شرحه في كتاب الطب ، ووجه إيراده هنا من جهة أن السحر إنما يتم باستعانة الشياطين على ذلك ، وسيأتي إيضاح ذلك هناك ، وقد أشكل ذلك على بعض الشراح ." بمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس من المخلصين ، فقد قال تعالى : (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)(الحجر:40)

وهاته إساءة بالغة لنبينا عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم. و بالإضافة الى هذه الإساءة فهذا الحديث يخالف جملة وتفصيلا عصمة الرسول وحفظ الله له ، كما يخالف قوله تعالى :

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (الاسراء:47) فالله ينفي عن نبيه أنه سحر ، ويقول عمن يقول بأن الرسول مسحور بأنه ظالم ، بل وصلت بهؤلاء وقاحتهم أن اعتقدوا أن رسول الله كان يخيل إليه أنه يقوم بالعمل وهو لم يقم به ، فهو كان يتوهم –حاشاه– أنه يجامع نساءه رغم أنه لم يقم بذلك ، وذلك من الهذيان ، وهي إساءة من الإساءات التي لم يتورع من ألف هذا الكتاب عن تدوينها فيه ، لكن مادام هذا الحديث في صحيح البخاري فلا يمكن تكذيبه ، وأن من يعتقد بما في القرآن وينفي عن الرسول بأنه سحر ، وينكر هذا الحديث المسيء لنبينا فهو كافر بفتوى شيوخ الوهابية ، كما أوردنا نقلا عنهم في هذا الكتاب."[1]

أولا : تخريج الحديث

الحديث لم يتفرد به البخاري[2] حتى يزعم أيلال أنه من تأليفات كاتب الصحيح ! فقد أخرجه جمع من الأئمة قبل البخاري و بعده منهم :

الحميدي في مسنده رقم 261 و ابن ابي شيبة في مصنفه رقم 23519 واسحق بن راهويه في مسنده رقم 737 ، و احمد في المسند رقم 24237-24300-24347-24348-24650 ، و مسلم في صحيحه رقم 2189 ، و النسائي في السنن الكبرى 7569 ، وابن ابي يعلى في مسنده رقم 4882 ، و ابن حبان في صحيحه رقم 6583-6584 ، و الطحاوي في شرح مشكل الأثار رقم 5934 ،و البيهقي في السنن الكبرى رقم 16494 ، و السنن الصغرى رقم 3130

---

[1] ص 154-153

[2] صحيح البخاري رقم 3175-3268-5763-5765-5766-6063-6064-6391

ثانيا : هذا الحديث طعن فيه المعتزلة و قالوا : أن ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر باطل لا يصح ، بل هو من وضع الملحدين ! و ممن ذهب الى ذلك أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن .[3]

فالتقف هذه الدعوى دعاة العقلانية في العصر الحاضر كأبي رية و احمد صبحي منصور و زكريا أوزون و غيرهم فعلت أصواتهم طعنا في السنة و تشابهت أقوالهم ، غير أن تلميذهم أيلال فاقهم جرأة في الطعن و التكذيب و سفالة في التعبير !

ثالثا : أين قال العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابه الهذيان ؟ و من قال بهذا ؟ وهذا الذي قاله كذب صراح على العلماء . فالهذيان هو" :كلام غير معقول مثل كلام المبرسم والمعتوه" 4 فأين الهذيان في تخيل شيء حصل وهو لم يحصل!

ألم تقل إنك تسلّم بصحة القرآن؟ فإننا نجد في الذكر الحكيم ذكر السحر و أثره و ضرره و كفر فاعله ، و أنه يفرق بين المرء و زوجه ، و أنه لا يضر إلا بإذن الله و قضائه و قدره ككل شر و ضر في هذا الوجود . فإذا أنكر أيلال إخراج البخاري و غيره لهذا الحديث لأنه ينكر السحر و حقيقته ، فمشكلته مع القرآن لا مع البخاري !

و إن كان ينكر أن يكون له تأثير على النبي صلى الله عليه وسلم و لو بمجرد تخيله في شأن أمر دنيوي كالجماع فقد أخبر القرآن عن موسى أنه خيل له من سحر سحرة فرعون أن الحبال و العصي تسعى قال الله تعالى فيه :﴿قَا لوا يَا موسَى إِ ما أَن تلقي وَإِ ما أَن تكونَ أولَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقوا فَإِذَا حباهلم وَعِصِيهمْ يخَيل إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَ نهَا تَسْعى

---

[3] احكام القرآن ص 58-59

[4] لسان العرب لابن منظور ج 15 ص 360

*فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِ نكَ أَنتَ ا لأَعْلَى ﴾[5] . فعلى كلام أيلال فإن قوله : (يخيل إليه من سحرهم) أنه هذيان ! فما جوابه ؟

و قد جاء في القرآن الكريم أن الأنبياء و الرسل بشر ..{ قل انما أنا بشر مثلكم } و يسألون الله الشفاء { و إذا مرضت فهو يشفين } و يصيبهم ما يصيب بقية البشر من الألام و الأسقام و الأمراض و يتعرضون للأذى من أعدائهم من الجن و الإنس { إني مسني الشيطان بنصب و عذاب} و قد قتل اليهود أنبياءهم و آذوهم { و قتلهم الأنبياء} { أوكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم و فريقا تقتلون }و قال موسى { لم تؤذونني و قد تعلمون أني رسول الله اليكم }. و كل هذا لا دخل له في عصمتهم عن الخطأ في تبليغ الرسالة ، و العصمة من الفواحش و المعاصي و ليس للشيطان عليهم سبيل من جهة الإغواء و الإضلال .

رابع : إدعاؤه تكفير الوهابية لمنكر حديث السحر !

ما دخل الوهابية بما قرره العلماء من تصحيح الحديث أو تضعيفه أو شرحه قبل أن يولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقرون ؟ ثم من أفتى بكفر من نفى عن النبي صلى الله عليه وسلم السحر ؟ و لو صح تكفير من أنكر حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم لكفر العلماء علماء كبار جهابذة كأبي بكر الجصاص و الزمخشري و محمد عبده و رشيد رضا و القاسمي ، لكن هذا لم يقع فعلم أن هذا مما لا يكفر صاحبه .

خامسا : جواب العلماء على هذا الإعتراض .

أن ما تعرض له النبي – صلى الله عليه وسلم – من سحر، هو مرض من الأمراض، وعارض من العلل، وهذه تجوز على الأنبياء كغيرهم من البشر، وهي مما لا ينكر ولا يقدح في النبوة، ولا يخل بالرسالة أو الوحي، والله سبحانه إنما عصم نبيه – صلى الله عليه وسلم – مما يحول بينه وبين الرسالة وتبليغها، وعصمه من القتل، دون العوارض التي تعرض للبدن. و أن السحر

---

[5] سورة طه الآيات 65-68

إنما تسلط على ظاهر النبي – صلى الله عليه وسلم – وجوارحه، لا على قلبه واعتقاده وعقله، ومعنى الآية: عصمة القلب والإيمان، دون عصمة الجسد عما يرد عليه من الحوادث الدنيوية.

قال الإمام المازري [6] : أهل السنة وجمهور العلماء من الأمة مجمعون على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقائق غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكره ونفى حقيقته وأضاف ما يتفق منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما يشير إلى أنه مما يكفر به وأنه يفرق به بين المرء وزوجه وهذا كله مما لا يمكن أن يكون فيما لا حقيقة له وكيف يتعلم ما لا حقيقة له.

وهذا الحديث أيضا فيه إثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت وهذا كله يبطل ما قالوه. والذي يعرف بالعقل من هذا أن إحالة كونه من الحقائق محال وغير مستنكر في العقل أن يكون الباري سبحانه يخرق العادات عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب مالا يعرفه إلا الساحر ومن شاهد بعض الأجسام منها قتالة كالسموم ومنها مسقمة كالأدوية الحادة، ومنها مصحة كالأدوية المضادة للمرض لم يبعد في عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة.

وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث من طريق ثابتة ، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع ولعله يتخيل إليه جبريل –عليه السلام– وليس ثم ما يراه أو أنه أوحى إليه وما أوحي إليه وهذا الذي قالوه باطل وذلك أن الدليل قد قام على صدقه فيما يبلغه عن الله سبحانه وعلى عصمته فيه والمعجزة شاهدة بصدقه وتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان رسولا مفضلا من أجلها هو في كثير منه عرضة لما يعترض البشر فغير بعيد أن يخيل إليه في أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قال بعض الناس إنما المراد بالحديث أنه كان يخيل إليه أنه وطىء زوجاته وليس بواطىء وقد

---

[6] المعلم بفوائد مسلم 3/158-159 الدار التونسية للنشر ط 2 -1991

يتخيل في المنام للإنسان مثل هذا المعنى ولا حقيقة له فلا يبعد أن يكون – صلى الله عليه وسلم – يتخيله في اليقظة وإن لم يكن حقيقة وقال بعض أصحابنا يمكن أن يكون يخيل إليه الشيء أنه فعله وما فعله ولكنه لا يعتقد ما تخيله أنه صحيح فتكون اعتقاداته كلها على السداد فلا يبقى لاعتراض الملحد طريق .

أما القاضي عياض فقد بوب في الشفا باب (فيما يخصهم في الأمور الدنيوية و ما يطرأ عليهم من العوارض البشرية) [7] ، قال رحمه الله : " قد قدمنا أنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والرسل من البشر ، وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات و التغييرات والآلام ، والأسقام وتجزع كأس الحمام ما يجوز على البشر .و هذا كله ليس بنقيصة فيه ، لأن الشئ إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه، وقد كتب الله تعالى على أهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون . و خلق جميع البشر بمدرجة الغير، فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى وأصابه الحر، والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب ، والضجر وناله الإعياء والتعب ومسسه الضعف والكبر، وسقط فجحش شقه وشجه الكفار ، وكسروا رباعيته وسقي السم ، وسحر وتداوى واحتجم ، وتنشر وتعوذ ، ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى . وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها، وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه ، فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير، ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات ومنهم من عصمه ،كما عصم نبينا من الناس ، فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف .فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور ، وأمسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ، ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية . وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى ، وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ، ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم ، وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم ، لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصاري بعيسى ابن مريم وليكون في محنهم تسلية

[7] الشفا بتعريف حقوق المصطفى 2/178-179-180-181-182-183 ط دار الفكر1988

لأممهم و وفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم، قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية ، المقصود بها مقاومة البشر ومعناة بني آدم لمشاكلة الجنس ، وأما بواطنهم فمنزهه غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملإ الأعلى والملائكة ، لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم . قال : وقد قال صلى الله عليه وسلم (إن عيني تنامان ولا ينام قلبي) وقال (إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني) وقال (لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي) فأخبر أن سره وباطنه وروحه خلاف جسمه وظاهره ، وأن الآفات التي تحل ظاهرة من ضعف، وجوع وسهر و نوم ، لا يحل منها شئ باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن ، لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته ، حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه، لكون قلبه يقظان كما ذكرناه. وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه ، وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته ، وهو صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك ، وأنه بخلافهم لقوله (إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه .

فصل فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي عليه قال نا حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن خلف نا محمد بن أحمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد ابن إسماعيل نا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشئ وما فعله وفي رواية أخرى حتى كان يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن (الحديث) . وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث ، وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير، وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ، ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر، وروي نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم

وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيي بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه (الحديث) ، قال عبد الرزاق: حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره، وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة، فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه ويكون معني قوله: يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، أي: يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذه السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض، ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله: وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشئ وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشئ طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا . قال ابن بطال : قال المهلب: وأيضًا فإن ذلك السحر لم يضره (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأنه لم يفقده شيئًا من الوحى، ولا دخلت عليه داخلة فى الشريعة، وإنمااعتراه شيء من التخيل والتوهم، ثم لم يتركه الله على ذلك، بل تداركه ثم عصمه وأعلمه بموضع السحر، وأمره باستخراجه وحله عنه، فعصمه الله من الناس ومن شرهم، كما وعده، وكما دفع عنه أيضًا ضر السم بعد أن أطلعه الله على المكيدة فيه، بأنه أظهرها إليه معجزة من كلام الذراع. وقد اعترض بعض الملحدين بحديث عائشة، وقالوا: وكيف يجوز السحر على النبى، والسحر كفر وعمل من أعمال الشياطين، فكيف يصل ضره إلى النبى مع حياطة الله له وتسديده إياه بملائكته، وصون الوحى من الشياطين؟ وهذا اعتراض يدل على جهل وغباوة من قائله وعناد للقرآن؛ لأن الله قال لرسوله: (قل أعوذ برب الفلق) إلى قوله: (ومن شر النفاثات فى العقد) والنفاثات: السواحر ينفثن فى العقد كما ينفث الراقى فى الرقية، فإن كانوا أنكروا ذلك؛ لأن الله لا يجعل للشياطين سبيلا على النبى، فقد قال تعالى: (وما أرسلنا من رسول ولا نبى إلا

إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) يريد إذا تلا ألقى الشيطان. وقد روى عن النبى – (صلى الله عليه وسلم) أن عفريتًا تغلب عليه ليلة ليقطع عليه الصلاة حتى هم أن يربطه إلى سارية من سوارى المسجد فذكر قول سليمان: (رب اغفر لى وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى) فرده خاسئًا. وليس فى جواز ذلك على النبى ما يدل أن ذلك يلزمه أبدًا، أو يدخل معه عليه داخلة فى شيء من حاله أو شريعته، وإنما ناله من ضر السحر ما ينال المريض من ضر الحمى والبرسام من غير سحر، من الضعف عن الكلام، وسوء التخيل،ثم زال ذلك عنه، وأفاق منه، وأبطل الله كيد السحرة، وقد أجمع المسلمون أنه معصوم فى الرسالة فسقط اعتراض الملحدة .[8]

و بهذا قال جمهور العلماء من المحدثين و المفسرين و المؤرخين و للزيادة يراجع : الخطابي [9]،و وابن القيم [10]، والعيني [11]، والسندي[12]، وابن حجر الهيتمي[13]و الحجوي [14] و قد فصلت في الموضوع في كتاب (مسالك المالكية في الجواب عما أشكل من أحاديث الصحيحين) .

[8] شرح صحيح البخاري لابن بطال 5/358-359-360 مكتبة الرشد ط 2 .
[9] اعلام الحديث 2/1501
[10] بدائع الفوائد 2/192
[11] عمدة القاري 15/98
[12] حاشية السندي على سنن النسائي 7/113
[13] الزواجر عن اقتراف الكبائر، للهيتمي (2/ 163 . 164).
[14] الدفاع عن الصحيحين

الرسول يحاول الانتحار !

قال أيلال : -الرسول يحاول الانتحار

في " صحيح البخاري برقم (6581) من كتاب " التعبير " ، باب " أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة " "قَالَ الزُّهْرِيُّ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : ... وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ ، فَيَرْجِعُ ؛ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ " .

الحديث ورد في كتاب من كتب صحيح البخاري ، وهو يتهم الرسول بمحاولة الانتحار ، ومحاولة الانتحار لاتنتج عن إنسان سوي ، فهي نتيجة لاضطرابات نفسية ، فكيف يسوغ لإنسان مسلم أن يتهم رسوله بهذا ، ورغم المحاولة التي قام بها ابن حجر العسقلاني وغيره لتبرير رواية البخاري لبلاغ إقدام الرسول على محاولات الانتحار مرات عدة ، معتبرا أن الزياد "فيما بلغنا" وما بعدها ليست من كلام عائشة بل هي زيادة للزهري ، لكن رغم أن هذا تأويل مجرد تأويل ، فالكذب على رسول الله واضح من خلال الرواية الموجودة في صحيح البخاري ، لكن عباد الأسطورة لا يتورعون عن القول :"إن كل ما في صحيح البخاري صحيح"[15]

و قال أيضا : من بلاغات صحيح البخاري في أول كتاب منه يتهم الرسول بمحاولة الانتحار -حاشاه صلى الله عليه وسلم- وإليكم نص ما ورد بصحيح البخاري بكتاب

---

[15] ص 149-150

التعبير باب أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة بالحديث رقم [6581] [حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال]. لكن مازال البعض يعتقد أن كل ما في صحيح البخاري صحيح ، افلا تعقلون؟!!!![16]

تخريج رواية البلاغ :

البخاري رقم 6982 ج 9ص 29 و احمد في المسند رقم 25959 ج 43/112-113 . عبد الرزاق في المصنف 323/5 ابن عوانة في المستخرج رقم 328 ج102/1 و ابن حبان في الصحيح رقم 33 ج 216/1 ، ابن منده في الإيمان 692/2 ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة 835/4 ، ابو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة 214 ، الدولابي في الذرية الطاهرة 33، ابن عبد البر في اختصار المغازي و السير 33 و ذكره القاضي عياض في الشفا 244/2 و ابن كثير في السيرة 386/1 و البغوي في الأنوار في شمائل النبي المختار 17.

- صنيع البخاري رحمه الله :

أخرج هذه الرواية في صحيحه في مواضع متعددة و لم يذكر في واحد منها ما ذكره في رواية باب أول نا بدئ به رسول الله صلة الله عليه وسلم ! فمن ذلك أنه أخرجه من حديث الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة الى قوله : " ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، و فتر الوحي . قال ابن شهاب : و أخبرني ابو سلمة ... ." دون ذكر محاولة التردي .

ثم أخرجه في (باب واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) رقم 3392 ج151/4

[16] ص 68-69

عن ابن شهاب أيضا و ليس فيه ذكر بلاغ محاولة التردي . و أخرجه في (باب ما ودعك ربك و ما قلى) رقم 4953 ج 173/6 عن ابن الشهاب عن عروة عن عائشة و فيه : " ثم لم ينشب ورقة أن توفي و فتر الوحي حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذه الزيادة ليست من شرطه في الصحيح " و لعل البخاري ذكرها لينبهنا الى مخالفتها لما صح عنده من حديث بدء الوحي الذي لم تذكرفيه هذه الزيادة .[17]

- أنها من بلاغات الزهري و ليست موصولة

قال ابن حجر : وقوله هنا فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا هذا وما بعده من زيادة معمر على رواية عقيل ويونس وصنيع المؤلف يوهم أنه داخل في رواية عقيل وقد جرى على ذلك الحميدي في جمعه فساق الحديث إلى قوله وفتر الوحي ثم قال انتهى حديث عقيل المفرد عن بن شهاب إلى حيث ذكرنا وزاد عنه البخاري في حديثه المقترن بمعمر عن الزهري فقال وفتر الوحي فترة حتى حزن فساقه إلى آخره والذي عندي أن هذه الزيادة خاصة برواية معمر فقد أخرج طريق عقيل أبو نعيم في مستخرجه من طريق أبي زرعة الرازي عن يحيى بن بكير شيخ البخاري فيه في أول الكتاب بدونها وأخرجه مقرونا هنا برواية معمر وبين أن اللفظ لمعمر وكذلك صرح الإسماعيلي أن الزيادة في رواية معمر وأخرجه أحمد ومسلم والإسماعيلي وغيرهم وأبو نعيم أيضا من طريق جمع من أصحاب الليث عن الليث بدونها .
ثم إن القائل فيما بلغنا هو الزهري ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة وهو من بلاغات الزهري وليس موصولا.
وقال الكرماني[18] هذا هو الظاهر ويحتمل أن يكون بلغه بالإسناد المذكور ووقع عند بن مردويه في التفسير من طريق محمد بن كثير عن معمر بإسقاط قوله فيما بلغنا ولفظه فترة حزن النبي صلى الله عليه وسلم منها حزنا غدا منه إلى آخره فصار كله مدرجا على رواية الزهري وعن عروة عن عائشة ، والأول هو المعتمد قوله فيها .[19]

---

[17] السيرة النبوية في ضوء القرآن و السنة 265/1

[18] انظر الكواكب الدراري 97/24

[19] الفتح 359/12

قال الدكتور أبو شهبة : هذه الرواية ليست على شرط الصحيح ، لأنها من البلاغات ، و هي من قبيل المنقطع ، و المنقطع من أنواع الضعيف ، و البخاري لا يخرج إلا الأحاديث المسندة برواية العدول الضابطين ، و لعل البخاري ذكرها لينبهنا الى مخالفتها لما صح عنده من حديث بدء الوحي الذي لم تذكرفيه هذه الزيادة .[20]

قال الألباني – رحمه الله – : إن لهذه الزيادة علتين :

الأولى تفرد معمر بها دون يونس و عقيل ، فهي شاذة .

الأخرى : أنها مرسلة معضلة ، فإن القائل (فيما بلغنا) إنما هو الزهري ، كما هو ظاهر من السياق ، و بذلك جزم الحافظ في الفتح ، و قال : و هو من بلاغات الزهري و ليس موصولا .[21]

أما قوله طاعنا في ابن حجر : " ورغم المحاولة التي قام بها ابن حجر العسقلاني وغيره لتبرير رواية البخاري لبلا غ إقدام الرسول على محاولات الانتحار مرات عدة ، معتبرا أن الزياد "فيما بلغنا" وما بعدها ليست من كلام عائشة بل هي زيادة للزهري ، لكن رغم أن هذا تأويل مجرد تأويل ، فالكذب على رسول الله واضح من خلال الرواية الموجودة في صحيح البخاري "

فما قام به ابن حجر و غيره من العلماء و المحدثين إنما نقد حديثي صرف خاضع لقواعد علم الحديث و هو الظاهر ، و ليست تأويل !. فالتأويل لا يكون للظاهر إلى المعنى البعيد، وليس إلى المتبادر، فهذا الصحفي العقلاني لا يفرق بين الظاهر و التأويل و لا يستطيع فهم عبارات و مصطلحات العلماء ثم يستدرك و يعقب عليهم بهذه الطريقة الصبيانية .

فالعلماء انما انتقدوا هذه الزيادة التي تفرد بها معمر من دون باقي الرواة عن الزهري .

---

[20] السيرة النبوية في ضوء القرآن و السنة 265/1

[21] دفاع عن الحديث النبوي و السيرة 41-42

الرسول البذيء

قال أيلال : تحت هذا العنوان [22] : " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الجُعْفِيُّ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ يَعْلَى بْنَ حَكِيمٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا أَتَى مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ، أَوْ نَظَرْتَ» قَالَ: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَنِكْتَهَا». لاَ يَكْنِي، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ" هذا الحديث في صحيح البخاري يبرز أن الرسول كان بذيئا ، وكان صلوات الله عليه ينطق بالكلام الفاحش ، حيث ورد في حديث آخر أنه قال لشخص " اعضض هن أبيك" ، وفي حديث اخر" من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا" بل منسوب للرسول في صحيح البخاري أنه كان يسب المؤمنين كما في حديث عن أبي هريرة ": (سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة) . فإذا كان الله تعالى في محكم كتابه يقول في حق نبيه" إنك لعلى خلق عظيم" فالرسول كان أكثر الناس أدبا ، وأوفرهم خلقا ، وأرقهم عفة ، وأكثرهم أناقة في اللفظ والقول، لكن عباد الأساطير ، يفضلون الإساءة لرسولنا الكريم على أن يطعن في أسطورة صحيح البخاري ، ويقولون في تبجح غريب وقلة أدب لاتوصف بأن هذا حديث صحيح والرسول قال هذا الكلام وأمر به ، وأنا أفضل ألف مرة أن أنسب هذا الفحش لخطأ الراوي على أن أنسبه للرسول ، وأحكم على الحديث بالوضع والتلفيق."

أولا : الحديث أخرجه البخاري في صحيحه 167/8 رقم 6824 ، و لم يتفرد به ، فقد رواه جمع من الأئمة منهم :

مسلم في صحيحه 1319/3 ، ابن ابي شيبة في مصنفه 520/5 ،ابو داود في سننه 147/4 ، النسائي في السنن الكبرى 418/6 ،الطبراني في المعجم الأوسط 81/3 ،

---

[22] ص 150

الدارقطني في سننه 133/4 ، الحاكم في مستدركه 402/4 ، البيهقي في معرفة السنن و الأثار 305/12 ، عبد بن حميد في المنتخب من سننه ص 199

ثانيا : تصديره لهذا الحديث و لغيره كما مر سابقا بعناوين مستفزة ، غرضه إيهام القارئ أن البخاري يسيء الى مقام النبوة ، ليصل بذلك الى خلق نفرة و فجوة بين القارئ و البخاري.

ثالثا : لو درس أيلال هذا الحديث جيدا و تتبعه في كتب الحديث لعلم أن المحدثين ساقوا هذا الحديث في كتاب الحدود للتدليل على أن القاضي يجب عليه المبالغة في التحري إذ المقام مقام حد من حدود الله . فالبخاري ذكره في كتاب الحدود باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت.

و مسلم في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى .

ابو داود في كتاب الحدود باب رجم ماعز بن مالك .

النسائي في كتاب الرجم . مسألة المعترف بالزنا عن كيفيته ..

و كذلك أخرجه الدارقطني و الحاكم و غيرهما في كتاب الحدود .

ثالثا : لم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم التلفظ بهذا الكلام إلا لضرورة ومصلحة شرعية ، قال الشوكاني " كان – صلى الله عليه وسلم – يتحاشى عن التكلم به في جميع حالاته ولم يسمع منه إلا في هذا الموطن " أما الإعتراض على الحديث بأنه يتعارض مع ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حياء ، والذي يجهله المعترض أن " محل وجود الحياء منه صلى الله عليه وسلم في غير حدود الله ولهذا قال للذي اعترف بالزنا أنكتها لا يكني "[23]

رابعا : فهم العلماء للحديث

---

[23] 577/6

قال الحافظ : هذه الترجمة معقودة لجواز تلقين الإمام المقر بالحد ما يدفعه عنه وقد خصه بعضهم بمن يظن به أنه أخطأ أو جهل

.. قوله لما أتى ماعز بن مالك في رواية خالد الحذاء أن ماعز بن مالك أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه زنى فأعرض عنه فأعاد عليه مرارا فسأل قومه أمجنون هو قالوا ليس به بأس وسنده على شرط البخاري وذكر الطبراني في الأوسط أن يزيد بن زريع تفرد به عن خالد الحذاء .

قوله قال له لعلك قبلت حذف المفعول للعلم به أي المرأة المذكورة ولم يعين محل التقبيل وقوله أو غمزت بالغين المعجمة والزاي أي بعينك أو يدك أي أشرت أو المراد بغمزت بيدك الجس أو وضعها على عضو الغير وإلى ذلك الإشارة بقوله لمست بدل غمزت وقد وقع في رواية يزيد بن هارون عن جرير بن حازم عند الإسماعيلي بلفظ لعلك قبلت أو لمست قوله أو نظرت أي فأطلقت على أي واحدة فعلت من الثلاث زنا ففيه إشارة إلى الحديث الآخر المخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة العين تزني وزناها النظر وفي بعض طرقه عندهما أو عند أحدهما ذكر اللسان واليد والرجل والأذن زاد أبو داود والفم وعندهم والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وفي الترمذي وغيره عن أبي موسى الأشعري رفعه كل عين زانية .

قوله أنكتها بالنون والكاف لا يكني أي تلفظ بالكلمة المذكورة ولم يكن عنها بلفظ آخر وقد وقع في رواية خالد بلفظ أفعلت بها وكأن هذه الكناية صدرت منه أو من شيخه للتصريح في رواية الباب بأنه لم يكن ..[24]

قال القرطبي : " (قوله: أزنيتَ؟ فقال: نعم) جاء هذا المعنى في كتاب أبي داود بأوضح من هذا: قال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: (أنكتها؟) قال: نعم. قال: (حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟) قال: نعم. قال: (كما يغيب المِروَد في المِكحُلَة، والرِّشاء في البِئر؟)

---

[24] الفتح 136/12

قال: نعم. قال: (هل تدري ما الزنى؟) قال: نعم، أتيتُ منها حرامًا ما يأتي الرَّجُل من أهله حلالًا) (1). وهذا منه – صلى الله عليه وسلم – أخذ لماعز بغاية النصّ الرافع لجميع الاحتمالات كلها تحقيقًا للأسباب، وسعيًا في صيانة الدماء. ثمَّ لما فرغ – صلى الله عليه وسلم – من استفصاله (2) عن ذلك سأله عن الإحصان. فقال: (هل أحصنت؟) قال: نعم؛ يعني: هل تزوجت تزويجًا صحيحًا، ووطئت وطئًا مباحًا؟ فعندما أجابه بنعم، أمر برجمه، وذلك عند تحقق السبب الذي هو الزنى بشرطه؛ الذي هو الإحصان. وقد أخذ علماؤنا من حديث أبي داود: أن شهود الزنى يصفون الزنى كما وصف ماعز، فيقول الشاهد: رأيت فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة. وإليه ذهب معاوية، والزهري، ومالك، والشافعي، وأبو ثور، وأصحاب الرأي." [25]

قال ابن بطال : قال المهلب وغيره: فى هذا الحديث دليل على جواز تلقين المقر فى الحدود ما يدرأ بها عنه ألا ترى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال لماعز: (لعلك غمزت أو قبلت) ليدرأ عنه الحد إذ لفظ الزنا يقع على نظرالعين وجميع الجوارح، فلما أتى ماعز بلفظ مشترك لم يحده النبى (صلى الله عليه وسلم) حتى وقف على صحيح ما أتاه بغير إشكال؛ لأن من سننه (صلى الله عليه وسلم) درء الحدود بالشبهات، فلما أفصح وبين أمر برجمه. قال غيره: وهذا يدل أن الحدود لا تقام إلا بالإفصاح دون الكنايات، ألا ترى لو أن الشهود شهدوا على رجل بالزنا، ولم يقولوا رأيناه أولج فيها كان حكمهم حكم من قذف لا حكم من شهد، رفقًا من الله بعباده وسترًا عليهم ليتوبوا.[26]

قال النووي : و قد يستعملون صريح الإسم لمصلحة راجحة و هي إزالة اللبس أو الإشتراك أو نفي المجاز أو نحو ذلك كقوله تعالى { الزانية و الزاني } و كقوله صلى الله عليه وسلم (أنكتها) و كقوله صلى الله عليه وسلم (أدبر الشيطان و له ضراط) و كقول أبي هريرة رضي الله عنه عن الحدث (فساء ، أو ضراط) و نظائر ذلك كثيرة .[27]

---

[25] المفهم 91/2

[26] شرح صحيح البخاري 444/8-445

[27] المنهاج 238/1

قال الشوكاني : " ذكر هذا اللفظ صريحا ولم يكن عنه بلفظ آخر كالجماع. .. وفي هذا من المبالغة في الاستثبات والاستفصال ما ليس بعده في تطلب بيان حقيقة الحال فلم يكتف بإقرار المقر بالزنا بل استفهمه بلفظ لا أصرح منه في المطلوب وهو لفظ النيك الذي كان – صلى الله عليه وسلم – يتحاشى عن التكلم به في جميع حالاته ولم يسمع منه إلا في هذا الموطن، ثم لم يكتف بذلك بل صوره تصويرا حسيا، ولا شك أن تصوير الشيء بأمر محسوس أبلغ في الاستفصال من تسميته بأصرح أسمائه وأدلها عليه. وقد استدل بهذين الحديثين على مشروعية الاستفصال للمقر بالزنا، وظاهر ذلك عدم الفرق بين من يجهل الحكم ومن يعلمه ومن كان منتهكا للحرم ومن لم يكن كذلك لأن ترك الاستفصال ينزل منزلة العموم في المقال "[28]

- بين نكح و ناك

جاء في لسان العرب : " والْعَرَبُ تَقُولُ: فُلَانٌ خِطْبُ فُلانة إِذَا كَانَ يَخْطُبها. ويقُول الخاطِبُ: خِطْبٌ فَيَقُولُ المخْطُوب إِلَيْهِمْ: نِكْحٌ وَهِيَ كَلِمَةٌ كانتِ الْعَرَبُ تتزوَّجُ بِهَا. وَكَانَتِ امرأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ يُقَالَ لَهَا: أُمُّ خارجة، يُضْرَبُ بِهَا المثَل، فَيُقَالُ: أَسْرَعُ مِنْ نِكاحِ أُمّ خَارِجَةَ. وَكَانَ الخاطِب يَقُومُ عَلَى بَابِ خِبائِها فَيَقُولُ: خِطْبٌ فتَقُولُ: نِكْحٌ وخُطْبٌ فَيُقَالُ: نُكحٌ "[29] . و قال : نكح: نَكَحَ فُلَانٌ امرأَة يَنْكِحُها نِكاحاً إِذا تزوجها. ونَكَحَها يَنْكِحُها: بَاضَعَهَا أَيضاً، وَكَذَلِكَ دَحَمَها وخَجأَها؛ وَقَالَ الأَعشى فِي نَكَح بِمَعْنَى تَزَوَّجَ:

وَلَا تَقْرَبَنَّ جَارَةً، إِنَّ سِرَّها ... عَلَيْكَ حرامٌ، فانْكِحَنْ أَو تَأَبَّدا .الأَزهري: وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ؛ تأْويله لَا يَتَزَوَّجُ الزَّانِي إِلا زَانِيَةً، وَكَذَلِكَ الزَّانِيَةُ لَا يَتَزَوَّجُها إِلا زَانٍ؛ وَقَدْ قَالَ قومٌ: مَعْنَى النِّكَاحِ هَاهُنَا الْوَطْءُ، فالْمَعْنَى عِنْدَهُمْ: الزَّانِي لَا يطأُ إِلا زَانِيَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يطؤُها إِلا زانٍ؛ قَالَ: وَهَذَا الْقَوْلُ يَبْعُدُ لأَنه لَا يُعْرَفُ شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ النِّكَاحِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِلا عَلَى مَعْنَى التَّزْوِيجِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَأَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ ؛ فَهَذَا تَزْوِيجٌ لَا شَكَّ فِيهِ؛ وَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا

[28] نيل الأوطار 119/7
[29] 360/1

نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ؛ فَأَعْلَمَ أَن عَقْدَ التَّزوِيجِ يُسَمَّى النِّكَاحَ، وأَكثر التَّفْسِيرِ أَن هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فُقَرَاءَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ بِهَا بَغَايَا يَزْنِينَ ويأْخذن الأُجرة، فأَرادوا التزويج بِهِنَ وعَوْلَهُنَّ، فأَنزل اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَحْرِيمَ ذَلِكَ. قَالَ الأَزهري: أَصل النِّكَاحِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْوَطْءُ، وَقِيلَ لِلتَّزَوُّجِ نِكَاحٌ لأَنه سَبَبٌ لِلْوَطْءِ الْمُبَاحِ. الْجَوْهَرِيُّ: النِّكَاحُ الْوَطْءُ وَقَدْ يَكُونُ العَقْدَ، تَقُولُ: نَكَحْتُها ونَكَحَتْ هِيَ أَي تزوَّجت؛ وَهِيَ نَاكِحٌ فِي بَنِي فُلَانٍ أَي ذَاتُ زَوْجٍ مِنْهُمْ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: النِّكاحُ البُضْعُ، وَذَلِكَ فِي نَوْعِ الإِنسان خَاصَّةً، وَاسْتَعْمَلَهُ ثَعْلَبٌ فِي الذُّباب؛ نَكَحَها يَنكِحُها نَكْحاً ونِكاحاً، وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ فَعَلَ يَفْعِلُ مِمَّا لَامُ الْفِعْلِ مِنْهُ حَاءٌ إِلا يَنْكِحُ ويَنْطِحُ ويَمْنِحُ ويَنْضِحُ ويَنْبِحُ ويَرْجِحُ ويَأْنِحُ ويَأْزِحُ ويَمْلِحُ. وَرَجُلٌ نُكَحَةٌ ونَكَحٌ: كَثِيرُ النِّكَاحِ. قَالَ: وَقَدْ يَجْرِي النِّكَاحُ مَجْرَى التَّزْوِيجِ؛ وَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ: لستُ بنُكَحٍ طُلَقَةٍ أَي كَثِيرِ التَّزْوِيجِ وَالطَّلَاقِ، وَالْمَعْرُوفُ أَن يُقَالَ نُكَحة وَلَكِنْ هَكَذَا رُوِيَ، وفُعَلَةٌ مِنْ أَبنية الْمُبَالَغَةِ لِمَنْ يَكْثُرُ مِنْهُ الشَّيْءُ. وأَنْكَحه المرأَة: زوَّجه إِياها. وأَنْكَحَها: زوَّجها، وَالِاسْمُ النُّكْحُ والنِّكْحُ؛ وَكَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يأْتي الحيَّ خَاطِبًا فَيَقُومُ فِي نَادِيهِمْ فَيَقُولُ: خِطْبٌ أَي جِئْتُ خَاطِبًا، فَيُقَالُ لَهُ: نِكْحٌ أَي قَدْ أَنكحناك إِياها؛ وَيُقَالُ: نُكْحٌ إِلَّا أَن نِكْحاً هُنَا لِيُوَازِنَ خِطْباً، وَقَصَرَ أَبو عُبَيْدٍ وَابْنُ الأَعرابي قَوْلَهُمْ خِطْبٌ، فَيُقَالُ نِكْحٌ عَلَى خَبَرِ أُمِّ خَارِجَةَ؛ كَانَ يأْتيها الرَّجُلُ فَيَقُولُ: خِطْبٌ، فَتَقُولُ هِيَ: نِكْحٌ، حَتَّى قَالُوا: أَسرعُ مِنْ نِكَاحِ أُمِّ خَارِجَةَ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: النِّكْحُ والنُّكْحُ لُغَتَانِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ كَانَتِ الْعَرَبُ تتزوَّج بِهَا. ونِكْحُها: الَّذِي يَنْكِحُها، وَهِيَ نِكْحَتُه؛ كِلَاهُمَا عَنِ اللِّحْيَانِيِّ. قَالَ أَبو زَيْدٍ: يُقَالُ: إِنه لَنُكَحَة مِنْ قَوْمٍ نُكَحاتٍ إِذا كَانَ شَدِيدَ النِّكَاحِ. وَيُقَالُ: نَكَحَ المطرُ الأَرضَ إِذا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا. ونَكَحَ النُّعاسُ عينَه، وناكَ المطرُ الأَرضَ، وَنَاكَ النُّعاسُ عينه إِذا غلب عَلَيْهَا. وامرأَة نَاكِحٌ، بِغَيْرِ هَاءٍ: ذَاتُ زَوْجٍ؛ قَالَ:

أَحاطتْ بخُطَّابِ الأَيامى، وطُلِّقتْ، ... غداةَ غَدٍ، منهنَّ مَنْ كَانَ ناكِحا

وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّعْرِ ناكِحةٌ عَلَى الْفِعْلِ؛ قَالَ الطِّرِمَّاحُ:

ومِثْلُكَ ناحتْ عَلَيْهِ النساءُ، ... مِنْ بينِ بِكْرٍ إِلى ناكِحه

ويقوّيه قَوْلُ الْآخَرِ:

لَصَلْصَلَةُ اللجامِ برأْسِ طِرْفٍ ... أَحبُّ إِليَّ مِنْ أَن تَنْكِحِيني

وَفِي حَدِيثِ
قَيْلَةَ: انطلقتُ إِلى أُخت لِي ناكحٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ
أَي ذاتِ نِكَاحٍ يَعْنِي مُتَزَوِّجَةً، كَمَا يُقَالُ حَائِضٌ وطَاهِرٌ وَطَالِقٌ أَي ذَاتُ حَيْضٍ وَطَهَارَةٍ وَطَلَاقٍ؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: وَلَا يُقَالُ نَاكِحٌ إِلا إِذا أَرادوا بِنَاءَ الِاسْمِ مِنَ الْفِعْلِ فَيُقَالُ: نَكَحتْ، فَهِيَ نَاكِحٌ؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ سُبَيْعَةَ: مَا أَنتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تنقضيَ العدَّة.
واسْتَنْكَحَ فِي بَنِي فُلَانٍ: تزوَّج فِيهِمْ، وَحَكَى الْفَارِسِيُّ اسْتَنْكَحَها كَنَكَحها؛ وأَنشد:
وهمْ قَتَلوا الطائيَّ، بالحِجْرِ عَنْوَةً، ... أَبا جابرٍ، واسْتَنْكَحُوا أُمَّ جابرِ[30]

و كان ببلاد المغرب الى عهد قريب رسم الزواج يطلق عليه عقد نكاح ، الى أن غير مؤخرا بعقد زواج .

و رغم أن ألفاظ نكاح ، جماع ، وطء ، مباضعة ، يمكن أن تطرق سمع المرء سواء في خطب الجمعة أو محاضرة و درس علمي ، دون أي حرج أو استهجان . لكن لا يمكن أن يمر التلفظ بها أمام الأهل دون استنكار لما أصبح تحمله في المخيلة الجمعية لدى العوام من حمولة جنسية !

و كذلك لفظ (النيك) التي لها مدلولات عدة في لغة العرب منها الوطء كذلك ، مع أن كثيرا من معانيها تدل على الخصب ! و تدل على نيك المطر للأرض ، و تدل على حميمية الرجل و المرأة الذي يشبه عناق الأجفان عند النوم .

قال العلامة صديق حسن خان في كتاب (نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان) : ان النيك بالعربية الجماع ، و لكن خص المتأخرون منهم هذه اللفظة بالفواحش في عرف هذا الزمان "

و بالرجوع الى لسان العرب و تاج العروس و القاموس المحيط نجده تتشابه في شرح كلمة النيك .

جاء في تاج العروس : {ناكها} يَنيكُها {نَيكًا: جامَعَها: وَهُوَ أَصْرَح من الجِماع.

---

[30] لسان العرب ر225/2-226

و النَّيّاكُ كشَدّاد: المكْثِرُ مِنْهُ شُدِّدَ للكَثْرَةِ وَفِي المِثَل قالَ: مَنْ {يَنكِ العَيرَ ينكْ} نَيّاكًا. يُضْرَبُ فِي مُغالَبَةِ الغَلاب.

وَمن المِجازِ: تَنايَكُوا: غَلَبَهُم النعاسُ.

ومِنْه أَيْضًا: تَنايَكَت الأَجْفانُ انْطَبَقَ بَعْضُها عَلَى بَعْضٍ.

وَمِمَّا يُستدْرَكُ عَلَيْهِ: ناكَ المِطَرُ الأَرضَ.وناكَ النُّعاسُ عَينَه: إِذا غَلَب عَلَيها نَقَلَه الأَزْهَرِيُّ فِي تَرْجمة نكح.[31]

ورع زائف من حداثي متحرر !

و قديما صور الجاحظ حال قوم يصطنعون الورع الزائف عند ذكر مثل هذه الألفاظ كحال صاحبنا ، { تشابهت قلوبهم } .

قال الجاحظ : " وبعض من يظهر النسك والتقشّف إذا ذكر الحر والأير والنّيك تقزّز وانقبض. وأكثر من تجده كذلك فإنما هو رجل ليس معه من المعرفة والكرم، والنّبل والوقار، إلّا بقدر هذا التصنّع.

ولو علم أنّ عبد الله بن عباس أنشد في المسجد الحرام وهو محرم:

وهنّ يمشين بنا هميسا ... إن تصدق الطّير ننك لميسا

فقيل له: إنّ هذا من الرّفث! فقال: إنما الرّفث ما كان عند النساء وقول عليّ رضوان الله عليه ودخل على بعض أهل البصرة، ولم يكن في حسبه بذاك، فقال: من في هذه البيوت؟ فقال: عقائل من عقائل العرب. فقال: «من يطل أير أبيه ينتطق به» .

فعلى عليّ في التّنزّه يعوّل.

وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لبديل بن ورقاء يوم الحديبية، وقد تهدّد رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عضضت ببظر اللات، أنحن نخذله؟!» .

وقول حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه: «وأنت يا ابن مقطّعة البظور ممن يكثّر علينا!» .

وحديث مرفوع: «من عذيري من ابن أمّ سباع مقطّعة البظور» .

---

[31] 381/27

ولو تتبّعت هذا وشبهه وجدته كثيرا.

وإنّما وضعت هذه الألفاظ ليستعملها أهل اللغة، ولو كان الرأي ألّا يلفظ بها ما كان لأوّل كونها معنى، ولكان في التّحريم والصّون للغة العرب أن ترفع هذه الأسماء والألفاظ منها.

وقد أصاب كلّ الصّواب من قال: «لكلّ مقام مقال» .

ولو كان ممّن يتصوّف ويتقشّف، علم قول امرأة رفاعة القرظيّ تجبهه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير محتشمة: إنّي تزوّجت عبد الرحمن بن الزّبير، وإنّما معه مثل هدبة الثّوب، وكنت عند رفاعة فطلّقني- ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على التبسّم حتى قضت كلامها- فقال: «تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتّى تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك» .

ورواه ابن المبارك عن معمر عن الزّهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها- لعلم أنّه على سبيل التّصنّع والرّياء..[32]

[32] كتاب مفاخرة الجواري و الغلمان ص 165 ضمن الرسائل الأدبية للجاحظ.

الرسول جاء بالذبح

قال أيلال : " جاء في صحيح البخاري معلقا حديث منسوب للرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه : (لقد جئتكم بالذبح) ، ففي الوقت الذي تقرأ ليل نهار قوله تعالى { و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } (الانبياء 107) نجد هاته الرواية التي تسير على عكس التيار ، و تبرز أن رسولنا كان دمويا ، و أنه جاء بالذبح . و من هنا جاءت داعش ، و جاءت كل التصورات الإرهابية من هذا الموروث الديني ، الذي إتخذ قداسة أكبر من قداسة كتاب الله الداعي الى المحبة و الرحمة ، فاستعاض الناس بهاته المرويات عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه . و الغريب أن عباد الأسطورة حاولوا أن يبرروا هذا الحديث حتى لا يخطئوا الراوي ، بأن المقصود به المشركين ، و نسوا أن الرسول أرسله الله رحمة للعالمين ، لكل الناس بمختلف انتماءاتهم ، و اعتقاداتهم ، و نسوا أن الرسول كان أرحم الناس بالمشركين و الكفار ، و كل المخالفين ، و له مواقف كثيرة معهم ، فكيف ينسب إليه أنه يقول (لقد جئتكم بالذبح) لكن ماذا يمكن أن يقال بعد أن وجدنا في المسلمين من يؤمن بأن الرسول فعلا قال هذا الكلام .[33]

أولا : هذا الحديث ليس في صحيح البخاري كما إفترى أيلال ، و هذا دليل على كذبه في إدعاء البحث العلمي و أنه أجهد نفسه في قراءة صحيح البخاري و دراسة أحاديثه ! و دليل قوي على أنه حاطب ليل لا يدري ما تنقل يداه ، بل يكتفي بالقص و اللصق دون مراجعة أو تثبت !

ثانيا : هذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه جمع من الأئمة منهم :

البخاري في خلق أفعال العباد ص 75 ط دار المعارف السعودية .

الأمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص برقم (7036)[34]

---

[33] ص 151

[34] المسند 609/11 ط مؤسسة الرسالة بتحقيق شعيب الأرنؤوط

قال يعقوب: حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، قال: وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله، فيما كانت تظهر من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا: قال: فبينما هم كذلك، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشي، حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مر بهم الثانية، غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مر بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فقال: «تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح» ، فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشدا، فوالله ما كنت جهولا، قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان الغد، اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، أنا الذي أقول ذلك» ، قال: فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه، قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، دونه، يقول وهو يبكي: {أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله} [غافر: 28] ؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط. "

و رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم 15197 ج 8 ص2698 . و البزار في مسنده رقم 2497 ج 6ص456 . و ابن حبان في صحيحه رقم 6567 ج 14 ص 525 .و البيهقي في دلائل النبوة ج2 ص 275. ابن هشام في السيرة 1/309-310 .

و ذكره كثير من اصحاب السير و التفاسير

ثالثا : الذي في صحيح البخاري ليس فيه ذكر للذبح و لا للقتل ، فقد أخرج رحمه الله في الجامع الصحيح في ثلاث مواضع :

في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " لو كنت متخذا خليلا " رقم 3678 ج 10/5

و باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه من المشركين بمكة . رقم 3856 ج 5 /46 . و باب قوله { و نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون }رقم 4815 ج127/6

قال البخاري : حدثنا عياش بن الوليد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم التيمي، قال: حدثني عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال: «بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدا» فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: {أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله} [غافر: 28] الآية، تابعه ابن إسحاق، حدثني يحيى بن عروة، عن عروة، قلت: لعبد الله بن عمرو، وقال: عبدة، عن هشام، عن أبيه، قيل لعمرو بن العاص، وقال: محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، حدثني عمرو بن العاص.[35]

رابعا : إن ما يقوم به أيلال من إيراد حديث واحد ، ثم بناءا على فهمه السقيم للحديث ، يملأ الدنيا صياحا و طعنا في المحدثين ، يعد منهجا مختلا غير علمي . فالحديث يجب أن يفهم في ضوء سياقه ، و نوع المخاطبين به و الحادثة الي تفسره . و كذلك ينظر في طرقه و شواهده ثم استقراء الأحاديث التي لها علاقة بالموضوع لفهم الموقف الشرعي من المسألة التي يعالجها الحديث .

---

[35] صحيح البخاري 46/5

خامسا: أما إعتراضه على الحديث بحجة أن فيه طعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم عليه المبعوث بالرحمة ، فالجواب ما سقناه في الجواب على الحديث السالف .و أن معنى الرحمة إفاضة النعم على المحتاجين والشفقة عليهم واللطف بهم وقد أعطى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم وأمته منها ما لم يعطه أحدًا من العالمين ويكفي من ذلك قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)} [الأنبياء: 107] فهو أعظم كل رحمة وأمته القابلة لما جاء به قد حصلت على أعظم حظ من هذه الرحمة وشفاعته يوم القيامة لأهل الموقف أعم كل رحمة ولأهل الكبائر أجل كل نعمة وخاتمة ذلك شفاعته في ترفيع منازل أهل الجنة، و هو نبي الملحمة التي بسببها عمت الرحمة وثبتت المرحمة اهـ من المفهم، قال الأبي: ووقع في غير مسلم ونبي الملاحم معطوفًا على نبي الرحمة والملاحم جمع ملحمة وهي الحرب ولذلك أورد الخطابي فقال: فإن قيل كيف الجمع بين كونه نبي الرحمة ونبي الملحمة لا سيما مع قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)} ومع قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا رحمة مهداة" وأجاب عنه بأن بعثه صلى الله عليه وسلم بالسيف والحرب من وجوه الرحمة لأن الله تعالى أيد رسله صلى الله عليهم وسلم بالمعجزات وجرت عادته تعالى في الأمم السابقة بأنهم إذا كذبوا عوجلوا بالعذاب المستأصل إثر التكذيب واستؤني بهذه الأمة ولم يعاجلوا بالعذاب المستأصل وأُمر بجهادهم ليرتدعوا عن الكفر ولم يجاحوا بالسيف لأن السيف له بقية وليس للعذاب المستأصل بقية، ورُوي أن قومًا من العرب قالوا: يا رسول الله أفنانا السيف، قال: "إنه أبقى لأجركم" هذا معنى الرحمة المبعوث بها صلى الله عليه وسلم، ومن وجوه الرحمة ما صح أنه صلى الله عليه وسلم جاءه ملك الجبال فقال: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، قال: "أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يوحده ولا يشرك به"، ومن وجوهها أيضًا أن الله تعالى وضع على أمته الإصر والأغلال التي كانت على الأمم قبلها كما قال تعالى في قصة موسى – عليه السلام – {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ} إلى قوله تعالى: {الَّتِي كَانَتْ عَلَيهِمْ} اهـ .

- الرسول يصلي بدون وضوء

ورد في كتاب الأذان من صحيح البخاري، 660 "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرٌو ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : " نِمْتُ عِنْدَ مَيْمُونَةَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ عَلَى يَسَارِهِ فَأَخَذَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ " ، قَالَ عَمْرٌو : فَحَدَّثْتُ بِهِ بُكَيْرًا ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي كُرَيْبٌ بِذَلِكَ" .

و هاته إساءة أخرى تبرز أن رسولنا الكريم الطاهر ، ينهض للصلاة بعد نوم عميق ، ليصلي بدون وضوء ، وهو الشيء الذي يستحيل في حق نبينا ، والمعلوم من ديننا وكما تواتر عن نبينا ، أن النوم من نواقض الوضوء، ، فكيف يخالف الرسول أمرا هو من جاء به ، و هو من أمر به ، لكن العقول تتوقف ، واحترام الرسول يتوقف عندما يتعلق الأمر برواية من روايات الكتاب المقدس "صحيح البخاري" [36]

أولا الحديث لم يتفرد به البخاري ، فقد رواه جمع من الأئمة المحدثين منهم :

البخاري رقم 117-138-183-697-726-859-992-6316 ، و رواه في الأدب المفرد ص 241 .مسلم رقم 763 ، المنتخب من مسند عبد بن حميد ص 209 .عبد الرزاق في مصنفه 404/2 . الحميدي في مسنده 428/1. ابن ابي شيبة 124/1 . احمد في المسند في مواضع كثيرة منها 394/3و 505 -58/4-475و76-339/4-454/5و473 . الشافعي في السنن المأثورة ص 149 . البزار في مسنده 383/11. النسائي في السنن الكبرى 234/1 . ابن حبان في صحيحه 363/6 و غيرهم

[36] ص155

ثانيا : أقوال العلماء في فقه الحديث

قال ابن عبد البر رحمه الله : واختلف العلماء في النوم هل هو حدث كسائر الأحداث أم له حكم منفرد في ذلك[37] – ثم ذكر أقوال العلماء و ناقشها ، ثم قال – ليس بنا حاجة إلى هذا في النبي صلى الله عليه وسلم لأنه محفوظ مخصوص بأن تنام عيناه ولا ينام قلبه صلى الله عليه وسلم وإنما النوم الموجب للوضوء ما غلب على القلب أو خالطه وقد روي عن أبي هريرة قال من استحق النوم فعليه الوضوء "[38]

قال القاضي عياض : وربما احتج لهذا المذهب بصلاة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد نومه حتى نفخ (1)، والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلاف غيره لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إن عينى تنامان ولا ينام قلبى "[39]

قال الحافظ في الفتح : " قوله فصلى ولم يتوضأ فيه دليل على أن النوم ليس حدثا بل مظنة الحدث لأنه صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه فلو أحدث لعلم بذلك ولهذا كان ربما توضأ إذا قام من النوم وربما لم يتوضأ قال الخطابي وإنما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي يأتيه في منامه " [40]

قال النووي : " هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن نومه مضطجعا لا ينقض الوضوء لأن عينيه تنامان ولا ينام قلبه فلو خرج حدث لأحس به بخلاف غيره من الناس" [41]

قوله : " والمعلوم من ديننا وكما تواتر عن نبينا ، أن النوم من نواقض الوضوء "

معلوم لدى صغار طلبة الحديث أن " النوم من نواقض الوضوء " ليس حديثا متواترا ! و هل يميز أيلال بين الحديث و أقوال الفقهاء ؟ و هل يعرف الفرق بين الحديث المتواتر و غير

[37] التمهيد 241/18

[38] التمهيد 250/18

[39] اكمال المعلم بفوائد مسلم 233/2

[40] الفتح 239/1

[41] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 45/44/6

الرسول يصلي بدون وضوء

ورد في كتاب الأذان من صحيح البخاري، 660 "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرٌو ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ

ورد في كتاب الأذان من صحيح البخاري، 660 "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرٌو ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : " نِمْتُ عِنْدَ مَيْمُونَةَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ عَلَى يَسَارِهِ فَأَخَذَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ " ، قَالَ عَمْرٌو : فَحَدَّثْتُ بِهِ بُكَيْرًا ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي كُرَيْبٌ بِذَلِكَ" .

و هاته إساءة أخرى تبرز أن رسولنا الكريم الطاهر ، ينهض للصلاة بعد نوم عميق ، ليصلي بدون وضوء ، وهو الشيء الذي يستحيل في حق نبينا ، والمعلوم من ديننا وكما تواتر عن نبينا ، أن النوم من نواقض الوضوء، ، فكيف يخالف الرسول أمرا هو من جاء به ، و هو من أمر به ، لكن العقول تتوقف ، واحترام الرسول يتوقف عندما يتعلق الأمر برواية من روايات الكتاب المقدس "صحيح البخاري" [42]

أولا الحديث لم يتفرد به البخاري ، فقد رواه جمع من الأئمة المحدثين منهم :

البخاري رقم 117-138-183-697-726-859-992-6316

و رواه في الأدب المفرد ص 241 . مسلم رقم 763 ، المنتخب من مسند عبد بن حميد ص 209 .عبد الرزاق في مصنفه 404/2 . الحميدي في مسنده 428/1 . ابن ابي شيبة 124/1 . احمد في المسند في مواضع كثيرة منها 394/3و 505 -58/4-475و76-339/4-454/5و473

---

[42] ص155

الشافعي في السنن المأثورة ص 149 . البزار في مسنده 383/11. النسائي في السنن الكبرى 234/1 . ابن حبان في صحيحه 363/6 و غيرهم

ثانيا : أقوال العلماء في فقه الحديث

قال ابن عبد البر رحمه الله : واختلف العلماء في النوم هل هو حدث كسائر الأحداث أم له حكم منفرد في ذلك[43] – ثم ذكر أقوال العلماء و ناقشها ، ثم قال – ليس بنا حاجة إلى هذا في النبي صلى الله عليه وسلم لأنه محفوظ مخصوص بأن تنام عيناه ولا ينام قلبه صلى الله عليه وسلم وإنما النوم الموجب للوضوء ما غلب على القلب أو خالطه وقد روي عن أبي هريرة قال من استحق النوم فعليه الوضوء "[44]

قال القاضي عياض : وربما احتج لهذا المذهب بصلاة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد نومه حتى نفخ ، والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلاف غيره لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إن عينى تنامان ولا ينام قلبى "[45]

قال الحافظ في الفتح : " قوله فصلى ولم يتوضأ فيه دليل على أن النوم ليس حدثا بل مظنة الحدث لأنه صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه فلو أحدث لعلم بذلك ولهذا كان ربما توضأ إذا قام من النوم وربما لم يتوضأ قال الخطابي وإنما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي يأتيه في منامه " [46]

قال النووي : " هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن نومه مضطجعا لا ينقض الوضوء لأن عينيه تنامان ولا ينام قلبه فلو خرج حدث لأحس به بخلاف غيره من الناس" [47]

قوله : " والمعلوم من ديننا وكما تواتر عن نبينا ، أن النوم من نواقض الوضوء "

---

[43] التمهيد 241/18

[44] التمهيد 250/18

[45] اكمال المعلم بفوائد مسلم 233/2

[46] الفتح 239/1

[47] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 45/44/6

معلوم لدى صغار طلبة الحديث أن " النوم من نواقض الوضوء " ليس حديثا متواترا ! و هل يميز أيلال بين الحديث و أقوال الفقهاء ؟ و هل يعرف الفرق بين الحديث المتواتر و غير المتواتر ؟ و ما المعيار الذي اتبعه لقبول بعض الاحاديث و هو الذي رفض السنة و اعتبرها ليست دينا ؟ ثم أين يجد في القرآن الكريم أن النوم من نواقض الوضوء ؟

قال أيلال في صفحته على الفيسبوك : والأغرب أن الروايات تنقض بعضها، في هذه المسألة مما جعل الفقهاء يختلفون اختلافا شديدا في النوم هل هو من نواقض الوضوء أم لا، على عكس الجمهور الذي يأخذ ما تواتر عن الرسول تواترا عمليا لا روائيا."

قلت ماذا يقصد أيلال بالجمهور ؟ هل هم جمهور العلماء ؟ أم جمهور الناس من العوام ؟ ، فإن قصد جمهور العلماء فلماذا أخرج الفقهاء من زمرتهم و فيهم فقهاء محدثين ؟ و إن قصد بالجمهور عوام المسلمين ، فلعمرو الله إنها لسقطة كبيرة و لفضيحة علمية أن يتجرأ على نقد الصحيح و الطعن في علماء المسلمين من جعل معياره لقبول الأحكام عمل جمهور عوام الناس !

نسيان الرسول

قال" :صحيح البخاري ينسب لرسول الله نسيان كلامه، وكأن الله أخلف للنبي وعده إياه [48]، مع أن الله في كتابه يقول :﴿سنقر ئكَ فَلَا تَنسى * إِ لا مَا شَاءَ الله إِنه يعلم الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾[49] ، ويقول مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم :﴿وَإِ ما ينسِيَن كَ الشيْطَا ن فَلَا تَقْعدْ بَعْدَ الذكْرَ ى مَعَ الْقَوْمِ الظالِمِينَ ﴾[50] ، ويقال في الاستثناء، والنسيان هنا ما قيل في سابقه.

و قال : " وعند البخاري أيضا ‘‘ في كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن وكذلك باب من لا يرى بأساً أن يقول سورة كذا وكذا وأخرج مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا .. عن عائشة قالت : سمع رسول الله (ص) رجلاً يقرأ في سورة بالليل ، فقال : يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أُنسيتها من سورة كذا وكذا. ولعل القارئ الحصيف والعاقل الأريب من خلال هذا الأسلوب المبهم من كذا وكذا إلى كذا وكذا، سيصل إلى أن هذا مجرد افتراء على نبي الرحمة ، الذي كلف بتبليغ الوحي للناس كل الناس ، فكيف لهذا الرسول الكريم أن ينسى آية من كتاب ربه ، فيتذكرها من شخص آخر من أفراد أمته ، غريب أمر هؤلاء الذين يقبلون مثل هذا الكلام على نبيهم ، مخافة ان يكذبوا كتابا لا نعرف من ألفه، ولم تثبت نسبته إلى البخاري أصلا ، كما سنقف بعد قليل من خلال الفصول القادمة من هذا الكتاب.

إننا نجد انفسنا مضطرين لرفض هذا الغثاء ، كما نجد أنفسنا مضطرين أيضا للصبر على ما ينعتنا به هؤلاء الذين لم ينقص إيمانهم ، بقدر ما نقص علمهم وعقلهم عن العقل عن الله والفهم عن رسوله الكريم الأكرم..[51]

[48] صحيح البخاري نهاية الأسطورة، ص 107
[49] سورة الأعلى، الآية6-7
[50] سورة الأنعام، الآية68
[51] ص63-64

- تخريج الحديث :

أخرجه البخاري (2655) (5042)، ومسلم (788)، أبو داود (3970)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8006)، وأحمد (24335) باختلاف يسير، وابن حزم في ((الإحكام)) (481/4)

- توجيه العلماء للحديث

قال الحافظ في الفتح : "كنت أنسيتها هي مفسرة لقوله أسقطتها فكأنه قال أسقطتها نسيانا لا عمدا وفي رواية معمر عن هشام عند الإسماعيلي كنت نسيتها بفتح النون ليس قبلها همزة قال الإسماعيلي النسيان من النبي صلى الله عليه وسلم لشيء من القرآن يكون على قسمين أحدهما نسيانه الذي يتذكره عن قرب وذلك قائم بالطباع البشرية وعليه يدل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بن مسعود في السهو إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون والثاني أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله قال فأما القسم الأول فعارض سريع الزوال لظاهر قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون وأما الثاني فداخل في قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها على قراءة من قرأ بضم أوله من غير همزة قلت وقد تقدم توجيه هذه القراءة وبيان من قرأ بها في تفسير البقرة وفي الحديث حجة لمن أجاز النسيان على النبي صلى الله عليه وسلم فيما لبس طريقه البلاغ مطلقا وكذا فيما طريقه البلاغ لكن بشرطين أحدهما أنه بعد ما يقع منه تبليغه والآخر أنه لا يستمر على نسيانه بل يحصل له تذكره إما بنفسه وإما بغيره وهل يشترط في هذا الفور قولان فأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلا.."[52]

فالقصة كلها باختصار أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فوجد أحد قراء اصحابه يصلي قيام الليل و يقرأ القرآن جهرا فسمعه النبي يقرأ آيى من كتاب الله فتذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (يرحمه الله ذكرني آية كذا و كذا كنت انسيتها) ، و في لفظ

---

[52] فتح الباري 86/9

(نسيتها) .. و في هذا الحديث إثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر ينسى كما ينسى البشر و لم ينف عنه القرآن هذه الصفة البشرية ، و قد أكدها القرآن في قوله تعالى { واذكر ربك إذا نسيت } ، و لا يطعن ذلك فيه صلى الله عليه وسلم ، و لا في القرآن الذي جاء به من عند الله ، إذ الله عصمه حين البلاغ ، فإذا نزل عليه الوحي دعا الكتاب و أصحابه الحفاظ فأخذوا عنه القرآن كتابة و حفظا ، فلو نسي منه شيء بعد ذلك فإنه لا يضره إذ سيذكرونه به و سيذكره فورا ، كما **إذا** صلى بهم و نسي الآية فتحوا عليه بها ، كما أن جبريل يراجعه في رمضان القرآن كاملا كل سنة ليثبته فيه ، فلا خوف على القرآن فقد تكفل الله بحفظه { ة إنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد } .[53]

أما قوله : " و لعل القارئ الحصيف والعاقل الأريب من خلال هذا الأسلوب المبهم من كذا وكذا إلى كذا وكذا، سيصل إلى أن هذا مجرد افتراء على نبي الرحمة.." ، معتبرا قول (سورة كذا و كذا) أسلوبا مبهما !!

و هذا الرجل لا يدري ما يخط بيده ، و يتجاسر على الخوض في مسائل لا يحسنها و لا يفقه كنهها ، ثم لا يستحي بعدها أن يتهجم على البخاري و المحدثين .

أولا : عبارة (أذكرني أية كذا و كذا من سورة كذا وكذا) هو كناية عن آية من الآيات و سورة كذا كناية عن غسم سورة من السور ، و لم يكن القصد من هذه العبارة إلا بيان نسيان النبي صلى الله عليه وسلم لشيء من الأيات من إحدى السور ، و تذكره لها حين سمعها من أحد أصحابه عندما قرأ بها ، فبدل أن يذكر الراوي الأية كاملة و قد تكون طويلة أو لم يعد يتذكرها ، فعبر بأسلوب عربي فصيح يستعمله العرب للكناية أو الإختصار .

[53] جناية أوزون ص 188

و بنا أنه زاهد في كتب العلم فقد جهل مدلولات عبارة (كذا وكذا) ، و لو رجع الى أحد كتب اصول الفقه لوجد أن الفقهاء يعقدون لهذه اللفظة مباحث مطولة في تفسيرها و بيان المعاني الخاصة بها .

ثانيا : البخاري بوب هذا الباب بقوله : (باب من لا يرى بأسا أن يقول سورة كذا و كذا) ،- و كما قيل فقه البخاري في تراجم أبوابه – لبيان جواز تسمية السور كسورة البقرة و سورة النساء و سورة الرحمن و كذا تسمية اليات كآية الدين و آية الربا و ذلك لأن من أهل العلم قديما من كره ذلك .

قال الحافظ : " أشار بذلك الرد على من كره ذلك ، و قال : لا يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا ... و قال بعض السلف يكره و الصواب الأول و هو قول الجماهير و الأحاديث فيه أكثر من أن تحصر .."[54]

---

[54] الفتح 87/9

الشيطان يطعن رسول الله عند ولادته

قال أيلال تحت عنوان : الشيطان يطعن رسول الله عند ولادته .

" وفي صحيح البخاري أيضا من كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده حديث رقم 3286 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ".

هذا الحديث في صحيح البخاري يعتبر من الطوام الكبرى المسيئة للرسول ولدينه ، فهو يؤكد عصمة رسول الله عيسى بن مريم عليهما السلام، وهذا أمر مقبول ولا نرفضه، لكنه يؤكد في الآن نفسه، على عدم عصمة نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالله هنا لم يستثن من طعن الشيطان في الجنبين من كل خلقه إلا عيسى بن مريم عليهما السلام ، ورسولنا داخل في عموم أولئك الذين مسهم وطعنهم الشيطان ، بل ورد في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى:" واذكر في الكتاب مريم..." ما يلي:3431 :" قال أبو هريرة . رضى الله عنه .: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مس الشيطان غير مريم وابنها. ثم يقول أبو هريرة: وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم". فهذا الحديث يلحق مريم وابنها عيسى عليهما السلام بزمرة من لايمسهم الشيطان ، بينما رسولنا الكريم كباقي البشر قد مسه الشيطان ، وهذا تطاول على نبينا ما بعده تطاول ، وتفضيل مريم الصديقة ورسول الله عيسى بن مريم على نبي الإسلام ، وهذا مخالف لقوله تعالى آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (البقرة :285)

وهذا غيض من فيض التنقيص في حق الرسول ، فهل بعد هذا يمكن الحديث عما فعله الآخرون من إساءة لنبينا في عصرنا، والإساءة الأكبر موجودة في هذا الذي يصفونه بأنه

أصح الكتب، ويكفرون ويتهمون ويشنون الحملات الشعواء ضد كل من ينتقده، لذلك فإني أندهش أيما اندهاش عندما انبرى هؤلاء الشيوخ المقدسون لصحيح البخاري للدفاع عن الرسول ضد كاريكاتير الدنمارك المسيء للنبي ، وضد صحيفة شارلي إيبدو الفرنسية المسيئة لنبينا ، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ، إزاء هذه الإساءات التي أعتبرها أشد وأنكى ضد نبينا في صحيح البخاري ، ذلك لأن هؤلاء الشيوخ يعتبرون ضمنيا أن قداسة هذا الكتاب أقدس من الرسول نفسه مع كامل الأسف"[55]

تخريج الحديث :

حديث البخاري 125/4 باب صفة ابليس و جنوده (3286).

البخاري 164/4 باب قول الله تعالى {واذكر في الكتاب مريم}(3431)

مسلم 1838/4(2366) و احمد في مسند ابي هريرة (7182-7708-7879-7915-8254-10773)

مصنف ابن ابي شيبة (31496) ابن حبان (6234-6235) و غيرهم .

إجابة العلماء على هذا الإعتراض .

أنه خصوصية لعيسى عليه السلام و أن المزية لا تقتضي التفضيل : ذهب الى هذا الرأي جماهير العلماء من المحدثين و المفسرين . قال الحافظ : قال القرطبي هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى ووقع في رواية معمر عن الزهري عند مسلم إلا نخسه الشيطان بنون وخاء معجمة ثم مهملة قوله فيستهل صارخا من مس الشيطان في رواية معمر المذكورة من نخسة الشيطان أي سبب صراخ الصبي أول ما يولد الألم

[55] ص 156-157

من مس الشيطان إياه والاستهلال الصياح قوله غير مريم وابنها تقدم في باب إبليس بذكر عيسى خاصة فيحتمل أن يكون هذا بالنسبة إلى المس وذاك بالنسبة إلى الطعن في الجنب

ويحتمل أن يكون ذاك قبل الإعلام بما زاد وفيه بعد لأنه حديث واحد وقد رواه خلاس عن أبي هريرة بلفظ كل بني آدم قد طعن الشيطان فيه حين ولد غير عيسى وأمه جعل الله دون الطعنة حجابا فأصاب الحجاب ولم يصبها والذي يظهر أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر والزيادة من الحافظ مقبولة .[56]

قال القرطبي : قال علماؤنا: وإن لم يكن كذلك بطلت الخصوصية بهما، ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال الممسوس وإغواؤه فإن ذلك ظن فاسد، فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والإغواء ومع ذلك فعصمهم «3» الله مما يرومه الشيطان، كما قال تعالى:" إن عبادي ليس لك عليهم سلطان" [الحجر: 42] «4». هذا مع أن كل واحد من بني آدم قد وكل به قرينه من الشياطين، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمريم وابنها وإن عصما من نخسه فلم يعصما من ملازمته لهما ومقارنته. والله أعلم.[57]

أنها خصوصية لعيسى و يشاركه فيها غيره من الأنبياء ، ذهب الى ذلك القاضي عياض رحمه الله و الزمخشري .

قال القاضي عياض : ظاهره أنه منع من ذلك إجابة لدعوة زكريا – عليهما السلام – وأيضًا فإن الأنبياء معصومون من الشيطان بكل وجه .[58]

قال الزمخشري في الكشاف : وما يروى من الحديث «ما من مولود يولد

إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها» فاللَّه أعلم بصحته. فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها، فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى: (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَكَ

---

[56] الفتح 470/6

[57] الجامع لاحكام القرآن 68/4

[58] اكمال المعلم بفوائد مسلم 338/7 المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل

الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصرالطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م

مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) واستهلاله صارخاً من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول: هذا ممن أغويه، ونحوه من التخييل قول ابن الرومي:

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا ... يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا، ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه[59]

و قال الحافظ : وقد طعن صاحب الكشاف في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال إن صح هذا الحديث فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين وكذلك من كان في صفتهما لقوله تعالى إلا عبادك منهم المخلصين قال واستهلال الصبي صارخا من مس الشيطان تخييل لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه وأما صفة النخس كما يتوهمه أهل الحشو فلا ولو ملك إبليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخا انتهى وكلامه متعقب من وجوه والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء بل ظاهر الخبر أن إبليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا واستثنى من المخلصين مريم وابنها فإنه ذهب يمس علىعادته فحيل بينه وبين ذلك فهذا وجه الاختصاص ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين وأما قوله لو ملك إبليس إلخ فلا يلزم من كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع أن يستمر ذلك في حق كل أحد وقد أورد الفخر الرازي هذا الإشكال وبالغ في تقريره على عادته وأجمل الجواب فما زاد على تقريره أن الحديث خبر واحد ورد على خلاف الدليل لأن الشيطان إنما يغوي من يعرف الخير والشر والمولود بخلاف ذلك وأنه لو مكن من هذا القدر لفعل أكثر من ذلك من إهلاك وإفساد وأنه لا اختصاص لمريم وعيسى بذلك دون غيرهما إلى آخر كلام الكشاف ثم

---

[59] الكشاف 1/356-357

أجاب بأن هذه الوجوه محتملة ومع الاحتمال لا يجوز دفع الخبر انتهى وقد فتح الله تعالى بالجواب كما تقدم .[60]

أما الزعم بأنه يطعن في العصمة فمردود، يقول المعلمي" :من قال إن النخسة دعاء للشر؟ بل إن كانت للإيلام فقط فذلك من خبث الشيطان مكن منها كما مكن مما أصاب أيوب، وكما يمكن الكفار من قتل المسلمين حتى الأنبياء وذبح أطفالهم" ويقول" :أين يذهب أبو رية من تدلية الشيطان لآدم إلى أن كان ما ذكره تعالى بقوله :﴿وعصى آدم ربه فغوى ﴾[61]، ومن قول موسى بعد قتله القبطي :﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشيْطَانِ إ نه عَد و مضِل مبينٌ *قَالَ رَ ب إِ ني ظَلَمْت نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَه إ نه هوَ الْغَفور الرحِيم ﴾[62]، وقول أيوب :﴿ أَني مَسنِيَ الشيْطَان بِنصب وَعَذَابٍ ﴾[63]، وقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم :﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأمرْ بِالْعرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِ ما يَنزَغَنكَ مِنَ الشيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِ نه سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِ ن الذِينَ ا تقَوْا إِذَا مَسهمْ طَائِفٌ منَ الشيْطَانِ تَذَكروا فَإِذَا هم مبْصرونَ ﴾[64]

---

[60] الفتح 212/8

[61] سورة طه الآية 121

[62] القصص الأية 15-16

[63] سورة ص الآية 41

[64] الأعراف الأيات : 199-200-201

الشيطان يعلم الدين والرسول يقر على التعلم منه .

قال أيلال[65]: " الشيطان يعلم الدين والرسول يقر على التعلم منه . في كتاب الوكالة من صحيح البخاري باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل :"وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ الهَيْثَمِ أَبُوعَمْرٍو حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعْنِي فَإِنِي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيّ القَيُّومُ حَتى تَخْتِمَ الآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِ مِنْ أَوَّلِهَا حَتى تَخْتِمَ الآيَةَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[65] 159-158-157

أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لا، قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ" . لإظهار الطوام الكبرى التي في هذا الحديث الوارد في صحيح البخاري، نحتاج إلى صفحات كثيرة لكن نكتفي بذكر بعضها، فهذا الحديث يبرز أن أبا هريرة ضبط حالة سرقة ، وسامح السارق بدون موجب حق ، وكأنه كان يسرق من ماله في حين هي أموال المسلمين ، فالواجب تقديمه للرسول ليحاكمه ، وتتكرر عملية السرقة مرات ، ويعمل أبا هريرة على إطلاق سراح السارق ، بل حتى الرسول لم يعتب على أبي هريرة ، عندما ضبط السارق وسامحه ، رغم معرفة الرسول المسبقة بأن السارق كذاب وسيعود للسرقة !!

لكن الأغرب في هذا أن أبا هريرة صدق السارق بأنه لن يعود للسرقة، رغم أن الرسول سبق أن أخبره بأنه كذاب وسيعود للسرقة ، لكن في المرة الثالثة يقوم السارق الذي ليس إلا شيطانا بتعليم أبي هريرة أمرا من أمور الدين، و ذلك في نص الحديث :" قَالَ دَعْني أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَي القَيُّومُ حَتى تَخْتِمَ الآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتى تُصْبحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ" وفعلا يتم إخلاء سبيله من طرف الصحابي ! لكن الأنكى من ذلك [66]، هو ما نسب للرسول في نهاية الحديث بأن من علم أمر من أمور الدين للصحابي هو شيطان ، وأقر الرسول تعليمه وصادق عليه، وهاته عجيبة من عجائب صحيح البخاري التي تسيل الدماء دون إنكار حديث من أحاديثه .

وقد علق على هذا الكاتب إسلام بحيري في مقالة له نشرت على موقع اليوم السابع جاء فيها:"أما الطامة الكبرى فإفصاح النص عن إقرار النبى لهذه الكلمات التى علمها السارق – الذى سيتضح فى النهاية أنه شيطان– للصحابى, وذلك بقوله: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ» ثم يفصح النص عن المفاجأة: «تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ

---

[66] في صفحته على الفيسبوك زاد عبارة " في هذه القصة البخارية "

لا قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ»، وهذا ما يدخلنا فى إشكاليات لا حصر لها، أولها أن الرسول أقر السارق على قول قاله فى الدين لم يعلمه رسول الله فلو كان يعلمه لكان أولى بقوله من السارق -أو من الشيطان-، وثانيها أن الشيطان هو الذى يعلم المسلمين القرآن وفضائله، بل يقره النبي على ذلك، وثالثهما أن الشيطان يحفظ القرآن جيدا، ويعرف بدايات الآيات ونهاياتها بدقة، وغير هذا من الخرافات التى لا يقبلها عقل ولا شرع، والغريب أن مقدسي الخرافات وشارحيها قد أكدوا على أنه فى ذلك فائدة مهمة من الحديث وهي أن الكافر يؤخذ منه الحق، وقد قاسوا الكافر بالشيطان وهو قياس فاسد باطل لا داعي لشرح عواره، بل الشيطان لا يعلمنا الإسلام ولا يقره النبى على علمه، ولنذكر جيدا أننا ترخصنا مع هذه الخرافة التى تدعي أن الشيطان يتصور بالإنسان ويكلمه فقط لتبيين العلل الفاسدة فى النص وإلا فإن هذا الإدعاء بأن الشياطين تتمثل كبشر هو علة فى ذاته نرد بها هذا الحديث كلية، والحقيقة أن الذهول والعجب يتملكنا، كيف أخرج البخاري هذه الخرافات؟ وكيف لم يردها عليه كل الشراح والنقاد؟ بل كيف دافعوا ونافحوا عن ضلالاتها؟ بل إننا نستطيع أن نستبين فحش الكذب فى الرواية من خلال استقراء بسيط لمكانة «آية الكرسى« منذ نزلت فى أوائل الهجرة للمدينة، وذلك بأحاديث صحيحة علمها للمسلمين سيد الخلق المنزل عليه القرآن."

ويضيف إسلام:"وأخيرا فقد أبى من دس هذه الخرافة أن يختمها إلا بعلة قادحة فى الحديث، فباستقراء الحديث نجد أن به إدراج -كلام من الرواة- ليس من أصله، وهناك اضطراب ظاهر شديد فيه، فيقول النص: «وَكَانُواْ أَحْرَصَ شَئْءٍ عَلَى الخَيْرِ»، فالمفترض هنا أن يقول الصحابى «وكنا أحرص الناس» ولا يقول «وكانوا»، وهو ما أشار له «ابن حجر» على استحياء فى «فتح الباري» ولم يعقب على هذا الإدراج الظاهر إلا بقول هامس لم يتوقف فيه، وذلك من التكلف الشديد فى الدفاع عن هذا الحديث الواهي الذى أخرجه البخارى" .

انتهى من موقع اليوم السابع.

أولا : الحديث لم يتفرد به البخاري

فقد أخرجه كل من :ابن الضريس الرازي في فضائل القرآن رقم 195 ص .93النسائي في السنن الكبرى رقم 10729 ج9 ص351 و في عمل اليوم و الليلة ص 532.ابن خزيمة في الصحيح رقم 2424 ج4ص91 .اللالكائي في شرح أصول إعتقاد أهل السنة و الجماعة رقم 2281 ج7ص1292 .ابو القاسم بن بشران في أماليه رقم 546 ص239

البيهقي في الدعوات الكبير رقم 406 ص 521ج1 و في شعب الإيمان رقم 2170ج53/4 و في دلائل النبوة ج107/7 . ابو نعيم الأصفهاني في دلائل النبوة رقم 267 ج1ص368 و في معرفة الصحابة رقم 4763 ج1891/4 .و البغوي في شرح السنة ج460/4

ثانيا : قول ايلال : الأغرب من هذا أن أبا هريرة صدق السارق بأنه لن يعود ...

و هذا غريب منه ! ألم يقرأ كلام أبا هريرة (فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إنه سيعود، فرصدته) ؟

قول البحيري : أن الرسول أقر السارق على قول قاله في الدين لم يعلمه رسول الله ، فلو كان يعلمه لكان أولى بقوله من السارق – أو من الشيطان – و ثانيها أن الشيطان هو الذي يعلم المسلمين القرآن و فضائله ...

و على هذا الكلام ملاحظات منها :

أولا : فضل آية الكرسي كان معلوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقد صح عنه أحاديث في فضلها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ آية الكرسي، وفاتحة حم المؤمن إلى قوله: {غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير} [غافر: 3] لم ير شيئا يكرهه حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي، لم ير شيئا يكرهه حتى يصبح "[67]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ حم المؤمن إلى {إليه المصير} [غافر: 3] وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح ": " هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة المليكي من قبل حفظه. وزرارة بن مصعب هو: ابن عبد الرحمن بن عوف وهو جد أبي مصعب المدني "[68]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء»[69]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ آية الكرسي، وحم الأول - يعني المؤمن - حتى ينتهي إلى {إليه المصير} [غافر: 3] حتى يمسي، حفظ بهما حتى يصبح، ومن قرأ بهما مصبحا حفظ بهما حتى يمسي "[70]

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء»[71]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ في يومه ذلك حتى يمسي، وإن قرأها حين يمسي حفظ في ليلته تلك حتى يصبح "[72]

---

[67] سنن الدارمي ج2132/4 رقم 3429

[68] سنن الترمذي رقم 2879 ج157/5

[69] الدعاء للطبراني رقم 322 ص 122

[70] عمل اليوم و الليلة لابن السني رقم 76 ص 70

[71] عمل اليوم والليلة رقم 687 ص 634

[72] شعب الإيمان للبيهقي رقم 2244ج101/4

الشيطان يعلم الدين والرسول يقر على التعلم منه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ هاتين الآيتين آية الكرسي، وحم الأولى حتى ينتهي {إليه المصير} [غافر: 3] حفظ بهما حتى يصبح، ومن قرأهما مصبحا حفظ بهما حتى يمسي "[73]

وجاء في فضلها أيضا

عن أبي بن كعب، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أي آية في كتاب الله أعظم؟» فقال: الله ورسوله أعلم، يكررها مرارا، ثم قال أبي: آية الكرسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليهنك العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده إن لها للسانا وشفتين تقدسان للملك عند ساق العرش»[74]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لكل شيء سناما، وسنام القرآن سورة البقرة، وفيه آية سيدة آي القرآن آية الكرسي، لا تقرأ في بيت وفيه شيطان إلا خرج»[75]

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة، فيها آية سيدة آي القرآن، لا تقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه آية الكرسي»[76]

ثانيا : إستخرج العلماء من هذه الحادثة دررا من الفوائد و الأحكام ، ما يستطيع العقل الحداثي إستيعابها أو فهمها !

قال الحافظ : (قوله باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل)

فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز أورد فيه حديث أبي هريرة في حفظه زكاة رمضان قال المهلب مفهوم الترجمة أن الموكل إذا لم يجز ما فعله الوكيل مما لم يأذن له فيه فهو غير جائز قال وأما قوله وأن أقرضه إلى أجل مسمى جاز أي إن أجازه الموكل أيضا قال ولا أعلم خلافا

---

[73] شعب الايمان رقم 2245ج102/4

[74] مصنف عبد الرزاق رقم 6001 370/3 –مسند احمد رقم 21278 ج200/35

[75] مصنف عبد الرزاق رقم 6019 376/3

[76] مسند الحميدي رقم 1024 ج207/2

أن المؤتمن إذا أقرض شيئا من مال الوديعة وغيرها لم يجز له ذلك وكان رب المال بالخيار قال وأخذ ذلك من حديث الباب بطريق أن الطعام كان مجموعا للصدقة وكانوا يجمعونه قبل إخراجه وإخراجه كان ليلة الفطر فلما شكا السارق لأبي هريرة الحاجة تركه فكأنه أسلفه له إلى أجل وهو وقت الإخراج وقال الكرماني تؤخذ المناسبة من حيث إنه أمهله إلى أن رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم كذا قال..[77]

و قال رحمه الله : وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم :

- أن الشيطان قد يعلم ما ينتفع به المؤمن وأن الحكمة قد يتلقاها الفاجر فلا ينتفع بها وتؤخذ عنه فينتفع بها وأن الشخص قد يعلم الشيء ولا يعمل به وأن الكافر قد يصدق ببعض ما يصدق به المؤمن ولا يكون بذلك مؤمنا وبأن الكذاب قد يصدق وبأن الشيطان من شأنه أن يكذب وأنه قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته وأن قوله تعالى إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها.

- وأن من أقيم في حفظ شيء سمي وكيلا و أن الجن يأكلون من طعام الإنس وأنهم يظهرون للإنس لكن بالشرط المذكور وأنهم يتكلمون بكلام الإنس وأنهم يسرقون ويخدعون.

- وفيه فضل آية الكرسي وفضل آخر سورة البقرة وأن الجن يصيبون من الطعام الذي لا يذكر اسم الله عليه .

- وفيه أن السارق لا يقطع في المجاعة ويحتمل أن يكون القدر المسروق لم يبلغ النصاب ولذلك جاز للصحابي العفو عنه قبل تبليغه إلى الشارع .

- وفيه قبول العذر والستر على من يظن به الصدق وفيه اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على المغيبات ووقع في حديث معاذ بن جبل أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بذلك وفيه جواز جمع زكاة الفطر قبل ليلة الفطر وتوكيل البعض لحفظها وتفرقتها.[78]

قول البحيري مستنكرا أن يكون الشيطان عالما بالقرآن أو يتحول الى صورة إنسان ...

---

[77] 487/4

[78] الفتح 489/4

و هذا الطعن مردود بصريح القرآن الكريم ، قال تعالى { وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (الآنفال 48). قال المفسرون أنه جاءهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه .[79]

و قوله تعالى { قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)} فالشيطان يؤمن بيوم البعث و يعلم أن هناك صراطا مستقيما ..و أن الشكر من القربات التي يحبها الله و تدخل العبد الى الجنة . و الشيطان يقسم بعزة الله و يفرق بين العباد المخلصين و غيرهم من المشركين و الكافرين و المنافقين .. قال تعالى ذاكرا قول ابليس { قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين } .

أما استنكار البحيري أن يظهر الشيطان للإنسان ، فهو فهم مستنكر منه إذ أن قوله تعالى { إنه يراكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم } (الاعراف 27) فهو مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها . قَالَ فِى الْفَتْح: «وَهَذَا مَحْمُول: على من يدعى رُؤْيَتهمْ: على صورهم الَّتِي خلقُوا عَلَيْهَا. وَأما من ادّعى: أَنه يرى شَيْئا مِنْهُم-: بعد أَن يتَصَوَّر على صور شَتَّى: من الْحَيَوَان.-: فَلَا يقْدَح فِيهِ وَقد تواردت الْأَخْبَار: بتطورهم فِى الصُّور.»

قال القرطبي : قال بعض العلماء: في هذا دليل على أن الجن لا يرون، لقوله" من حيث لا ترونهم" قيل: جائز أن يروا، لأن الله تعالى إذا أراد أن يريهم كشف أجسامهم حتى ترى. قال النحاس:" من حيث لا ترونهم" يدل على أن الجن لا يرون إلا في وقت نبي، ليكون ذلك دلالة على نبوته، لأن الله جل وعز خلقهم خلقا لا يرون فيه، وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم. وذلك من المعجزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. قال القشيري: أجرى الله العادة بأن بني آدم لا يرون الشياطين اليوم. وفي الخبر (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم). وقال تعالى:" الذي يوسوس في صدور الناس ". وقال عليه

---

[79] أنظر تفسير الطبري 7/13

السلام: (إن للملك لمة وللشيطان لمة- أي بالقلب- فأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق وأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق (. وقد تقدمفي البقرة. وقد جاء في رؤيتهم أخبار صحيحة. وقد خرج البخاري عن أبي هريرة قال: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، وذكر قصة طويلة، ذكر فيها أنه أخذ الجني الذي كان يأخذ التمر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (ما فعل أسيرك البارحة). وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة) – في العفريت الذي تفلت عليه.[80]

قال الشوكاني : " وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على أن رؤية الشياطين غير ممكنة، وليس في الآية ما يدل على ذلك، وغاية ما فيها أنه يرانا من حيث لا نراه، وليس فيها أنا لا نراه أبدا، فإن انتفاء الرؤية منا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفاءها مطلقا، ثم أخبر الله سبحانه بأنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون من عباده وهم الكفار."[81]

قال محمد رشيد رضا : روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى الجن الذين استمعوا القرآن منه مستدلا بقوله تعالى: (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن) ولكنروي عن ابن مسعود أنه رآهم، وفي أحاديث أخرى أنه كان يرى الشياطين، وكان الشافعي رحمه الله يرى أن رؤيتهم من الخوارق الخاصة بالأنبياء، فقد روى البيهقي في مناقبه عن صاحبه الربيع أنه سمعه يقول: من زعم أنه يرى الجن رددنا شهادته إلا أن يكون نبيا. وخصه بعضهم برؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها، واختلفت فرق المسلمين في تشكلهم بالصور، فالجمهور يثبتونه ولكن بعضهم يقول: إنه تخييل لا حقيقة.." [82]

قول البحيري : " وهناك اضطراب ظاهر شديد فيه، فيقول النص: «وَكَانُواْ أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ»، فالمفترض هنا أن يقول الصحابى «وكنا أحرص الناس» ولا يقول «وكانوا»، وهو ما أشار له «ابن حجر» على استحياء فى «فتح الباري» ولم يعقب على هذا الإدراج الظاهر إلا بقول هامس لم يتوقف فيه.."

---

[80] الجامع لاحكام القرآن 186/7-187

[81] فتح القدير 225/2

[82] تفسير المنار 327/8-328

لم يذكر البحيري كلام ابن حجر لينظر فيه القارئ ، و يرى هل أجاب بقول ظاهر بين أم بهمس كما يدعي البحيري ؟

قال الحافظ : " (لو كانوا) أي الصحابة (أحرص شيء على الخير) فيه إلتفات إذ السياق يقتضي أن يقول (و كنا أحرص شيء على الخير) . و يحتمل أن يكون هذا الكلام مدرجا من كلام بعض رواته ، و على كل حال فهو مسوق للإعتذار عن تخلية سبيله بعد المرة الثالثة حرصا على تعليم ما ينفع " . و لو وقف البحيري عند لفظة الحافظ (و فيه التفات) و فهم مدلولها لما إستدرك على الحافظ !

قال السيوطي معرفا الإلتفات : " نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعني من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منه بعد التعبير بالأول و هذا هو المشهور .و قال السكاكي : إما ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره ، و له فوائد منها : تطرية الكلام و صيانة السمع عن الضجر و الملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات ، و السآمة من الإستمرار على منوال واحد ، و هذه فائدته العامة . و يختص كل موضع بنكت و لطائف باختلاف محله كما سنبينه ، مثاله من التكلم الى الخطاب ووجهه حث السامع على الإستماع حيث أقبل المتكلم عليه و أعطاه فضل عناية تخصيص بالمواجهة ، قوله تعالى : { و مالي لا أعبد الذي فطرني و إليه ترجعون } ، و الأصل (و إليه أرجع) فالتفت من المتكلم إلى الخطاب . و نكتته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه و هو يريد نصح قومه ، تلطفا و إعلاما أنه يريد لهم ما يريد لنفسه ، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم و دعوتهم إلى الله تعالى "[83]

[83] الاتقان في علوم القرآن 289/3

الرسول يدخل على امرأة أجنبية عنه ويختلي بها في غيبة من زوجها ، وينام عندها ..

قال أيلال : " وكتب لم تقف عند هذا الحد بل عمدت إلى الإساءة لنبينا في غير ما مرة كمثل هذا الحديث في صحيح البخاري يتهم الرسول فيه انه يدخل على أم حرام زوج عبادة بن الصامت في غيبة من زوجها طبعا ويأكل عندها وينام عندها وتفلي رأسه ، إذن فالرسول يختلي بامرأة في غيبة زوجها ، وينام عندها ويأكل ، وتفلي رأسه من القمل ، أطهر الناس وأكمل الناس فيه قمل –حاشاه-، لكن كالعادة سينبري عباد البشر للدفاع عن هذا التلفيق للرسول وسيشبعوننا سبا وشتما ، ، نقول لهم سبابكم وشتمكم يعود عليكم ونحن بالمرصاد للدفاع عن رسولنا الأعظم ضد روايات تسيء اليه وتنتقص من نبوته وأخلاقه واليكم نص الحديث كما عند البخاري 6600.

حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها يوما فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك يا رسول الله قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة شك إسحاق قالت فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت ما يضحكك يا رسول الله قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله كما قال في الأولى قالت فقلت يا

رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من الأولين فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت" [84]

و قال :" لا يستطيع مسلم نقي الفطرة ، سليم العقل ، يحترم دينه ونبيه ، أن يصدق بأن رسوله الكريم الأكرم صلى الله عليه وسلم ، يدخل على امرأة أجنبية عنه ويختلي بها في غيبة من زوجها ، وينام عندها ، وتقوم هي بفلي رأسه ، والفلي يعني تنظيف الرأس من القمل ، أي أن رسول الله –حاشاه– كان قذرا ، وغير نظيف ، ورأسه مليء بالقمل ، لا يستطيع مسلم واضح الإسلام أن يقبل على رسوله هذا الكلام ، لكن شيوخ التعصب للموروث الديني ، الذي نتج عن تقديس الرجال ، ولو على حساب رسولنا الكريم ، يصدقون هذا عن نبيهم ، ويعتبرون فعلا أنه قام بهذا العمل الشنيع ، ونحن نقول كلا وألف كلا ، رسولنا أسمى من هذه الترهات ، وقد حاول صناع الروايات أن يبرروا هذا بالا دعاء أن أم حرام كانت خالة رسول الله من الرضاعة، رغم أنه لادليل على ذلك قوي، وتبقى هذه الرواية إلى جانب كثير من الروايات التي تنتقص من قيمة أشرف خلق الله ، وما ورد في صحيح البخاري محض كذب على الرسول ، واستخفاف بالعقول.[85]

- تخريج الحديث :

أولا : الحديث لم يتفرد به البخاري بل رواه غيره من أئمة الحديث و السـنة ، فقد رواه : مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد (464/2رقم39)، ومن طريقه:

- البُخَاريّ في صحيحه في مواضع:

---

[84] ص 66 . و قال بعد ذلك :" وقد حاول الكثير منهم تبرير هذا الخبل بقولهم إن أم حرام كانت من محارم رسول الله فهي خالته من الرضاعة وهذا القول هو محاولة لتبرير الكذب على رسول الله فيختلقون الروايات كي لا يتهموا شيوخهم بالكذب على الرسول الكريم." صفحته على الفيسبوك

[85] ص 156

كتاب الجهاد والسـير، باب الدعاء بالجهاد والشـهادة للرجال والنسـاء،(1027/3 رقم2636). وكتـاب التعبير، باب رؤيا النهـار(2570/6رقم6600) عَنْ عبـد الله بن يوسف[86].

كتاب الاستئذان، باب من زار قوما فَقَالَ عندهم (2316/5رقم5926) عَنْ إسماعيل بن أبي أويس.

-ومُسلِم في صحيحه، كتاب الإمارة، (1518/3رقم1912) عَنْ يحيى بن يحيى.

-وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب فضل الغزو في البحر (6/3رقم2491) عَنْ عبد الله بن مسلمة القعنبي.

-والترمذي في جامعه، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في غزو البحر (178/4رقم1645) عَنْ معن بن عيسى.

-والنسائيُّ في سننه (المجتبى)، كتاب الجهاد، فضل الجهاد في البحر (40/6) من طريق عبدالرحمن بن القاسم.

- وعبد الله بنُ المبارك في الجهاد (ص157رقم201).

-ومحمد بن سعد في الطبقات الكبرى (435/8) عَنْ معن بن عيسى.

-وأحمد بن حنبل في مسنده (240/3) عَنْ أبي سلمة منصور بن سلمة .

-وأبو عَوَانة في مستخرجه، كتاب الجهاد، بيان فضل الغزو في البحر (494/4رقم7459) من طريق عبد الله بن وَهَب.

-و ابن حبان في صحيحه -كما في الإحسان (51/15 رقم6667)- من طريق أبي مصعب أحمد بن أبي بكر.

---

(86)وقد أخرج البخاريُّ الحديثَ في كتابه "الأدب المفرد"(ص328) بابٌ هل يفلي أحدٌ رأسَ غيرِهِ، عَنْ عبد الله بن يوسف.

-واللإلكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (1438/8) من طريق مصعب الزبيري والوليد بن مُسلِم.

-وأبو نُعَيم في حلية الأولياء (61/2) ومعرفة الصحابة (3481/6رقم7894)، وفي دلائل النبوة (555/2) من طريق القعنبي ويحي بن بكير.

-و البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب فضل من مات في سبيل الله (165/9) من طريق يحي بن يحي.

-وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (211/70) من طريق أبي مصعب أحمد بن أبي بكر، وأحمد بن إسماعيل، ومصعب الزبيري.

جميعهم عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَس عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك.

فهل تواطأ كلهم على الكذب عن رسول الله ، و انتقاص قدره و الطعن فيه ، حتى جاء العلامة أيلال " نقي الفطرة ، سليم العقل ، يحترم دينه و نبيه "فلم يصدق رواية البخاري ، و كشف زيفها و اختلاقها !

- ثانيا : إجابات العلماء على الحديث :

"إنّ المرءَ المستقيمَ ليسمع الحديثَ الصحيحَ فيدركه على وجههِ إنْ كان سليم النفس، حَسَن الطوية، وهو ينحرفُ به إذا كان إنساناً مريض النفس معوجا، وهل ينضح البئر إلاّ بما فيه، وهل يمكن أن نتطلب من الماء جذوة نار؟ أو نغترف من النار ماء؟ وقديما قالوا: إنّ كل إناء بما فيه ينضح، أشهد أنّ الله قد قَالَ في نبيه ﷺ { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }(القلم:4)"[87].

- خلوة الرسول بأم حرام :

أجيب عنه أنّ الحَدِيثَ ليسَ فيه التصريح بالخلوة أو عدم الخلوة فإذا كان كذلك رجع إلى

(87)مقتبس من كلام الدكتور:طه الدسوقي في كتابه السنة في مواجهة أعدائها (ص205).

الأصل وهو تحريمه ﷺ القطعيّ للخلوة بالمرأة الأجنبية، وقد أشار إلى هذا المعنى اِبْن عَبْد الْبَرِّ فَقَالَ بعد أن ذكر المحرمية:((والدليل على ذلك – ثم ساق حَدِيث جابر، وعمر بن الخطاب، وابن عباس،وعبد الله بن عمرو بن العاصي، وعقبة بن عامر في النهي عن الخلوة– وهذه آثار ثابتة بالنهي عن ذلك، ومحال أنْ يأتي رسولُ الله ما ينهى عنه))[88].

وَقَالَ الدِّمْيَاطِيّ:((لَيْسَ فِي الْحَدِيث مَا يَدُلّ عَلَى الْخَلْوَة بها فلعل ذاك كَانَ مَعَ وَلَد أَوْ خَادِم أَوْ زَوْج أَوْ تَابِع، والعادةُ تقتضي المخالطة بين الْمَخْدُوم وَأَهْل خَادِم، سيّما إذا كنَّ مسنَّات مع ما ثبت له عليه من العصمة))[89]، قَالَ ابنُ حَجَر:((قُلْتُ: وَهُوَ اِحْتِمَال قَوِيّ))[90].

ولو ثبتت الخلوة صراحة في الحَدِيث لم تضر لأنّ أُمّ حَرَام خالة للنبي ﷺ من الرَّضَاعَ أو أنَّ ذلك من خصائصه .

- بخصوص أم حرام : أجاب العلماء عن هذا بأجوبة منها :
  - أنها كانت من محارمه :

قال النووي : اتفق العلماء على أنها كانت محرما له صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى كيفية ذلك فقال بن عبد البر وغيره كانت إحدى خالاته من الرضاعة وقال آخرون بل كانت خالة لأبيه أو لجده[91]

قال ابن عبد البر : أم حرام هذه خالة أنس بن مالك أخت أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك وقد ذكرناهما ونسبناهما وذكرنا أشياء من أخبارهما في كتابنا كتاب الصحابة فأغنى عن ذكره ها هنا وأظنها أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أم سليم أرضعت رسول الله

---

(88) " التمهيد" (226/1).

(89) عمدة القاري (86/14).

(90)فتح الباري (78/11).

تنبيهٌ: جميع النقول عن ابنِ حَجَر – التي لم أوثقها في هذا المطلب – من هذا الموضع في الفتح فلا حاجة للتكرار.

[91] شرح النووي ج 13 ص58

صلى الله عليه وسلم فحصلت أم حرام خالة له من الرضاعة فلذلك كانت تفلي رأسه وينام عندها وكذلك كان ينام عند أم سليم وتنال منه ما يجوز لذي المحرم أن يناله من محارمه ولا يشك مسلم أن أم حرام كانت من رسول الله لمحرم فلذلك كان منها ما ذكر في هذا الحديث والله أعلم وقد أخبرنا غير واحد من شيوخنا عن أبي محمد الباجي عبد الله بن محمد بن علي أن محمد بن فطيس أخبره عن يحيى بن إبراهيم بن مزين قال إنما استجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تفلي أم حرام رأسه لأنها كانت منه ذات محرم من قبل خالاته لأن أم عبد المطلب بن هاشم كانت من بني النجار وقال يونس بن عبد الأعلى قال لنا ابن وهب أمحرام إحدى خالات النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فلهذا كان يقيل عندها وينام في حجرها وتفلي رأسه قال أبو عمر أي ذلك كان فأم حرام محرم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك ما حدثنا عبد الله (*) بن محمد بن أسد قال حدثنا حمزة بن محمد قال حدثنا أحمد بن شعيب قال حدثنا على ابن حجر قال أخبرنا هشيم عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يبيتن رجل عند امرأة إلا أن يكون ناكحا أو ذا محرم وروى عمر بن الخطاب عن النبي عليه السلام قال لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخلون رجل بامرأة إلا أن تكون منه ذات محرم وروى عبد الله بن عمرو بن العاصي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخلون رجل على مغيبة إلا ومعه رجل أو رجلان وحدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا محمد بن معاوية قال حدثنا أحمد بن شعيب قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالإياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار أرأيت الحمو قال الحمو الموت وهذه آثار ثابتة بالنهي عن ذلك ومحال أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينهى عنه .[92]

قال ابن حجر : وجزم أبو القاسم بن الجوهري والداودي والمهلب فيما حكاه بن بطال عنه بما قال بن وهب قال وقال غيره إنما كانت خالة لأبيه أو جده عبد المطلب وقال بن الجوزي

---

[92] التمهيد ج 1 ص227-228

سمعت بعض الحفاظ يقول كانت أم سليم أخت آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة[93]

- أنها من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم :

اتفق العلماء على أنَّ النَّبِيّ ﷺ قد خُص في أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد في باب الفرض والتحريم والتحليل مزيةً على الأمة، وهيبة له، ومرتبة خص بها ففرضت عليه أشياء لم تفرض على غيره، وحرمت عليه أشياء وأفعال لم تحرم عليهم، وحللت له أشياء لم تحلل لهم، منها متفق عليه، ومنها مختلف فيه، وهذه الخصائص منها ما ثبت بالقرآن، ومنها ما ثبت بالسنة، ومنها ما يفهم من منطوق النصوص، ومنها ما يفهم من خلال الجمع والموازنة بين النصوص.قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:((خُصَّ النَّبِيّ بِمُوجَبَاتٍ وَمَحْظُورَاتٍ وَمُبَاحَاتٍ وَكَرَامَات))[94].

و ذكرنا هذا ليعلم أن من قال بأنَّ ما وقع للنبي ﷺ مع أُمّ حَرَام كَانَ من خصائصه ﷺ له حظٌ من النظر، وإنْ كان الأرجح أنَّ أُمّ حَرَام خالة للنبي ﷺ من الرَّضَاعَ كما ذهب الى ذلك أكثر أهل العلم

قال السندي : قيل كَانَت محرما مِنْهُ صلى الله تَعَالَى عَلَيْهِ وَسلم بِوَاسِطَة أَن أمه من بني النجار وَقيل بل هُوَ من خَصَائِصه.[95]

قال إبن عبد البر: أنه صلى الله عليه وسلم معصوم ليس كغيره ولا يقاس به سواه .[96]

---

[93] الفتح ج 11 ص78

(94)الفروع (121/5)، الإنصاف (88/20).

[95] حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن) ص40 ج 6

المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: 1138هـ)

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب

الطبعة: الثانية، 1406 - 1986

96 الاستذكار ج 5 ص 125

المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)

تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض

الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

وقال القرطبي: يمكن أن يقال: إنه صلى الله عليه وسلم كان لا تستتر منه النساء لأنه كان معصوما، بخلاف غيره.[97]

قال ابن حجر : وحكى بن العربي ما قال بن وهب ثم قال وقال غيره بل كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما يملك أربه عن زوجته فكيف عن غيرها مما هو المنزه عنه وهو المبرأ عن كل فعل قبيح وقول رفث فيكون ذلك من خصائصه .. ورد عياض الأول بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال وثبوت العصمة مسلم لكن الأصل عدم الخصوصية وجواز الاقتداء به في أفعاله حتى يقوم على الخصوصية دليل.

وبالغ الدمياطي في الرد على من ادعى المحرمية .. ثم قال وإذا تقرر هذا فقد ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه إلا على أم سليم فقيل له فقال أرحمها قتل أخوها معي يعني حرام بن ملحان وكان قد قتل يوم بئر معونة قلت وقد تقدمت قصته في الجهاد في باب فضل من جهز غازيا وأوضحت هناك وجه الجمع بين ما أفهمه هذا الحصر وبين ما دل عليه حديث الباب في أم حرام بما حاصله أنهما أختان كانتا في دار واحدة كل واحدة منهما في بيت من تلك الدار وحرام بن ملحان أخوهما معا فالعلة مشتركة فيهما وإن ثبت قصة أم عبد الله بنت ملحان التي أشرت إليها قريبا فالقول فيها كالقول في أم حرام وقد انضاف إلى العلة المذكورة كون أنس خادم النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرت العادة بمخالطة المخدوم خادمه وأهل خادمه ورفع الحشمة التي تقع بين الأجانب عنهم ثم قال الدمياطي على أنه ليس في الحديث ما يدل على الخلوة بأم حرام ولعل ذلك كان مع ولد أو خادم أو زوج أو تابع قلت وهو احتمال قوي لكنه لا يدفع الإشكال من أصله لبقاء الملامسة في تفلية الرأس وكذا النوم في الحجر وأحسن الأجوبة دعوى الخصوصية ولا يردها كونها لا تثبت إلا بدليل لأن الدليل على ذلك واضح والله أعلم.[98]

- بخصوص فلي أم حرام رأس النبي، أجاب العلماء على هذا بأجوبة منها :
  - أن النبي صلى الله عليه وسلم محرم لأم حرام كما سبق ذكره .

الطبعة: الأولى، 1421 – 2000

[97] نفس المصدر

[98] الفتح ج 11 ص 78

- أنها من خصوصياته : قال ابن حجر :(وَالَّذِي وَضَحَ لَنَا بِالْأَدِلَّةِ الْقَوِيَّة أَنَّ مِنْ خَصَائِص النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَاز الْخَلْوَة بِالْأَجْنَبِيَّةِ وَالنَّظَر إِلَيْهَا , وَهُوَ الْجَوَاب الصَّحِيح عَنْ قِصَّة أُمّ حَرَام بِنْت مِلْحَان فِي دُخُوله عَلَيْهَا وَنَوْمه عِنْدهَا وَتَفْلِيَتهَا رَأْسه وَلَمْ يَكُنْ بَيْنهمَا مَحْرَمِيّة وَلا زَوْجِيَّة))[99].

- أن هذا خاص بأم حرام و أختها أم سليم . قَالَ ابن الملقن:((ومن أحاط علماً بنسب النَّبِيّ ﷺ ونسب أُمّ حَرَام علم أن لا محرمية بينهما، وقد بين ذلك الحافظ شرفُ الدين الدِّمْيَاطِيّ في جزء مفرد ، وَقَالَ: وهذا خاص بأُمّ حَرَام وأختها أُمّ سُلَيْم، وقد ذكرتُ ذلكَ عنه في كتابي المسمى "العُدّة في معرفة رجالِ العمدة"))[100].

هل تفلية الرأس يشترط وجود قمل ؟؟!

لم يجيء ذكر " القمل " في أي رواية من روايات الحديث ، حتى يقال أن الفلي كان لوجود القمل في شعر رسول الله. بل كان من باب الإحتراز كما نقوم نحن الآن بتمشيط رؤوسنا , ونضع شمبوهات لغسل رؤوسنا ووقاية شعرنا من الحكة أو الحشرات كالقمل و غيره ، ولا يتصور مع هذا أننا قذرون و غير نظيفين .

هذا و رسول الله كما أخبرت عنه أمنا عائشة "كَانَ بَشَرًا منَ البشَرِ، يَفْلِي ثَوْبَهُ، ويَحلُبُ شَاتَهُ، ويَخدُمُ نفسَهُ."

ثالثا : يتبجح المعترض أنه صاحب فطرة نقية و عقل سليم و يحترم دينه و نبيه ، فكان الواجب عليه التأني في اصدار أحكامه و الرجوع الى ذوي الإختصاص و المعرفة بالحديث و السنة ، ليقف على إجاباتهم و شروحاتهم لما أستشكل عليه ! أما أن يحكم عقله و يطعن في علماء السنة و ينبزهم بأنهم " شيوخ التعصب للموروث الديني " و أنهم يقدسون الرجال و لو على حساب الدين .. فهذه بضاعة كل مفلس جاهل .

(99)فتح الباري (203/9).

(100) "خصائص النَّبِيّ ﷺ" لابن الملقن(ص137)

قال الدكتور طه حبيشي في رده على أحمد صبحي منصور : " أما قصة أم حرام فقد وردت في صحيح البخاري نفسه ثلاث عشرة مرة ، تأتي مختصرة و مطولة أخرى ، و الذي يذكره الكاتب و لا ييعرف معناه أن هناك بيت آخر هو بيت أم سليم ،كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه و يأكل و يشرب و ينام أحيانا إلى وقت الظهيرة ، و يسيل عرقه على قطعة من جلد فتجمعه أم سليم من فوق الجلد و تجعله في طيبها ، و النبي صلى الله عليه و سلم يعلم ذلك و لا ينكره .

إلى هنا و الكاتب قد يعلم بعض ما ذكرناه و لا يتورع أن يتخذ منه تكأة للتشويش على شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، و هو يوهم البسطاء أنه من المحبين له المدافعين عنه ، و هو لا يعلم أن التفصيل في نفي النقص عن الكاملين نقص ، خصوصا ُذا دخل في شيء من التفصيل الممل ، أو لعل صاحبنا يعلم هذه الجزئية ، و يستغلها في تشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم ، و التقليل من هيبته في نفوس أتباعه ، و هذا مطمع قد طمع فيه من هم أكثر من صاحبنا بصرا بالمناهج ، و من هم أكثر منه حيطة بأساليب البحث و الدرس ، و من هم أشد منه قوة و أعز منه نفرا ، فما استطاعوا أن ينالوا من جدار العز للنبي صلى الله عليه وسلم نقبا . و الشيء الذي لم يعرفه هؤلاء ، أن الروايات مجمعة تقريبا على أن النبي كان يكثر من التردد ، و الأكل و الشرب ، عند أم سليم ، و أم حرام . و الباحث الحصيف يسأل : هل هناك شيء من العلاقة بين هاتين المرأتين الجليلتين ؟

و الروايات تجيب أن أم سليم ، و أم حرام أختان ، يقال لأحدهما الرميصاء ، و للأخرى الغميصاء ، لا بعينها، فمنهم من يقول : إن الرميصاء بالراءهي أم حرام ، و الغميصاء بالغين هي أم سليم ، و منهم من يعكس . و الرميصاء و الغميصاء ، لفظان يدلان على حالتين في العين متشابهتين ، و هما حالتان خلقيتان ليس بالعين معهما من بأس .

و أم سليم هي أم أنس بن مالك رضي الله عنه ، و أم حرام خالته ، و أنس بن مالك كان في صباه يخدم النبي عشر سنين و كان النبي يعامله معاملة تناسب أخلاق النبوة ، يقول أنس : خدمت النبي عشر سنين ، فما قال لي لشيء لم فعلته ، و لا لشيء تركته لم تركته .

هؤلاء ثلاثة لسوا من المجاهيل في الصحابة و الصحابيات ، و ما الذي جعل علاقة النبي بهم على هذا المستوى من الاهتمام ، و كثرة السؤال عنهم ؟

إن هذا لا يكون إلا في حالة واحدة ، و هي أن تكون هناك درجة من القرابة تجعل المرأتين من محارم النبي صلى الله عليه وسلم ، سواء أكان ذلك من جهة النسب – كما قال بعض المؤرخين – أو كان من جهة الرضاعة – كما قال البعض الآخر "–[101]

انكاره طواف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه بغسل واحد

قال أيلال : " ومن الأحاديث المنتقصة من قدر النبي في صحيح البخاري حديث يقول أن رسول الله كان يمارس الجنس مع نسائه الإحدى عشر خلال ساعة زمنية ، سبحان الله ، هل كان الراوي متتبعا متجسسا على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة ؟، وهل كان رسول الله آلة جنسية وحاشاه ، اقرأوا نص الحديث في صحيح البخاري كتاب الغسل 265 : حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال قلت لأنس أوكان يطيقه ؟ قال كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين وقال سعيد عن قتادة إن أنسا حدثهم تسع نسوة".[102]

أولا : الحديث لم يتفرد به البخاري ، بل أخرجه جمه من الأئمى منهم :

---

[101] السنة في مواجهة اعدائها ص 202-205

[102] ص 68

مسلم في صحيحه 249/1 .ابن ماجه في سننه 193/1.احمد في مسنده 472/21 .الترمذي في سننه 259/1.ابوداود في سننه 56/1.ابي يعلى في مسنده 456/5.ابن حبان في صحيحه 8/4 و غيرهم

ثانيا : قد ذهب كثير من أهل العلم أنه لا يدل على العادة المستمرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول : أنه قد ورد في السنة الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من عادته أن يقسم لزوجاته فيبيت عند كل واحدة منهن ليلة ، إلا أنه يدور عليهن جميعا كل يوم ليسأل عليهن ، ويؤنسهن ، إلا أنه لا يجامع أي واحدة منهن إلا في ليلتها.

وقد دل على ذلك ما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت :(كان رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم لا يُفضِّلُ بعضنا على بعضٍ في القَسمِ ، من مُكثه عِندنا ، وكان قلَّ يومٌ إلا وهو يَطُوفُ علينا جميعاً ، فيدنو مِنْ كُلِّ امرأة ، مِن غير مَسِيسٍ ، حتى يَبْلُغَ إلى التي هو يَوْمُها فيبيتُ عندها)[103]

ومموضع الشاهد في الحديث قولها :" فيدنو من كل امرأة من غير مسيس "، أي من غير جماع.

الأمر الثاني : أن كثيرا من أهل العلم حملوا لفظ "كان " ، والتي تدل على الاستمرار ، على أنه كان في أوقات مخصوصة ، بل حمله بعضهم على أنه حدث مرة واحدة ، جمعا بين الأدلة . قال ابن عبد البر في "الاستذكار" : " وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – أَنَّهُ طَافَ عَلَى نِسَائِهِ فِي غُسْلٍ وَاحِدٍ ، وَهَذَا مَعْنَاهُ فِي حِينِ قُدُومِهِ مِنْ سَفَرٍ أَوْ نَحْوِهِ ، فِي وَقْتٍ لَيْسَ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمٌ مُعَيَّنٌ مَعْلُومٌ ، فَجَمَعهن حِينَئِذٍ ، ثُمَّ دَارَ بِالْقِسْمِ عَلَيْهِنَّ بَعْدُ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ – لِأَنَّهُنَّ

[103] "صحيح أبي داود" للألباني رقم (1852)

كُنَّ حَرَائِرَ ، وَسُنَّتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِنَّ الْعَدْلُ فِي الْقَسْمِ بَيْنَهُنَّ ، وَأَلَّا يَمَسَّ الْوَاحِدَةَ فِي يَوْمِ الْأُخْرَى ، وَهَذَا قول جماعة الفقهاء ". [104]

و في حديث عائشة ما يشعر بأن ذلك إنما كان يقع منه عند إرادته الإحرام ، قالت :" كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيطوف على نسائه ، فيصبح محرما ينضح طيبا ". انتهى.

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: إن هذه واقعة حجة الوداع قبل الإحرام ، وكان غرضه قضاء حاجتهن ، وإن عبرها الراوي بطريق الاستمرار ولفظ العادة ". [105]

وأكد الصنعاني ذلك في "التنوير شرح الجامع الصغير" ، فقال :" واعلم أن ظاهر "كان يطوف " : أنه كان يداوم على ذلك ، وفي الحديث المتفق عليه ما يؤخذ منه بأن ذلك إنما كان يقع منه عند إرادة الإحرام ، ولفظه عن عائشة "كنت أطيب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا " . [106]

ثم إن الساعة المذكورة في الحديث هي الجزء من الزمان ، وليست الساعة الزمنية المعروفة اليوم. قال ابن حجر : " قوله في الساعة الواحدة المراد بها قدر من الزمان لا ما اصطلح عليه أصحاب الهيئة قوله من الليل والنهار الواو بمعنى أو جزم به الكرماني ويحتمل أن تكون على بابها بأن تكون تلك الساعة جزءا من آخر أحدهما وجزءا من أول الآخر" [107]

---

[104] (300/1)

[105] ذكره الكشميري في "العرف الشذي" (159/1)

[106] (592/8)

[107] الفتح 377/1

قصة انتفاخ بطن النبي !!

قال أيلال : "كما لايجب أن ننسى أيضا أن كتب الحديث تخبرنا كما ورد في سير أعلام النبلاء للذهبي والمنتظم لابن الجوزي ان الصحابة أهملوا دفن الرسول ثلاثة أيام حتى انتفخ بطنه: "كانوا مشغولين بشيء أهم !! وهو الحصول على كرسي الحكم"[108]

أولا : لم يثبت في كتب الحديث أن الصحابة أهملوا دفن النبي حتى انتفخ بطنه ، و نحن نتحداه أن يذكر لنا أين رووا ذلك ، و هذه موسوعات الحديث الشريف أماه : موطأ ملك و صحيح البخاري و صحيح مسلم ، مسند أحمد ، السنن الأربعة ، صحيح ابن خزيمة ، مسند الحميدي ، مسند اسحاق بن راهويه ، مسند البزار ، مصنف عبد الرزاق ، مصنف ابن ابي شيبة ..الخ

و القصة إنما ذكرت في كتب التراجم و التاريخ ، و حتى رواة السير الأوائل كابن هشام و ابن اسحاق لم يذكروها .

أول من ذكرها – حسب إطلاعي –يعقوب بن سفيان الفسوي (ت 277) في كتابه المعرفة و التاريخ[109] قال : وفي هذه السنة أو سنة خمس حدث وكيع بن الجراح بمكة عن عن إسماعيل بن أبي خالد عن البهي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات لم يدفن حتى وجأ بطنه وانثنى خنصره، وذكر غير هذا. فرفع إلى العثماني فأرسل اليه فحبسه، وعزم على قتله وصلبه، وأمر بخشبة أن تنصب خارجا من الحرم"

---

108 ص69

109 المعرفة و التاريخ 175/1 ت أكرم ضياء العمري

الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت

الطبعة: الثانية، 1401 هـ- 1981 م

ثم تلاه أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: 365هـ) ، في كتابه (الكامل في ضعفاء الرجال) في ترجمة عبد المجيد بن عبد العزيز . قال رحمه الله : " ونقم عَلَى عَبد المجيد أنه أفتى الرشيد بقتل وكيع بن الجراح.

وَالْحَدِيثُ فِي ذَلِكَ مَا، حَدَّثَنا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنا وَكِيعٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ عَبد اللَّهِ الْبَهِيِّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا مَاتَ لَمْ يدفن حتى ربا بطنه وأنتنت خَنْصَرَاهُ.."[110]

و من طريقه ذكرها ابن الجوزي في المنتظم[111]. و أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق علي بن خشرم عن وكيع [112] و عنه ذكرها الذهبي في سير اعلام النبلاء [113]و تاريخ الاسلام [114]

ثالثا : وكيع بن الجراح أحد الأئمة الأعلام والحفاظ الكرام محدث العراق ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : (ما رأيت أحداً أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع) ، وقال أيضاً (ما رأيت قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب مع خشوع وورع) ، وكان رحمه الله مع ذلك كثير الصلاة والصيام والقيام ، وكان يغشى عليه إذا سمع القرآن.

إلا أن هذا العالم العابد الإمام وقع في محنة غريبة بسبب روايته لخبر غريب في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وذلك أنه كان يحدِّث في مكة خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : (أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله، وقال: " بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك "، ثم قال البهي: وكان ترك يوما وليلة حتى ربا بطنه، وانثنت خنصراه)!!

---

[110] الكامل ج7/48 ط الكتب العلمية - بيروت-لبنان
الطبعة الأولى، 1418هـ1997م
44/10

[112] 101/63 دار الفكر
[113] 159/9-160-161-162-163 ط الرسالة
[114] 244/13 ط التوفيقية

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة الإمام حافظ وقته وكيع بن الجراح " محنة وكيع – وهي غريبة – تورط فيها، ولم يرد إلا خيراً، ولكن فاتته سكتة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع ، فليتق عبد ربه، ولا يخافن إلا ذنبه." قال علي بن خشرم: حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي، أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله، وقال: " بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك "، ثم قال البهي: وكان ترك يوما وليلة حتى ربا بطنه، وانثنت خنصراه.

قال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا بمكة، اجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع، ونصبوا خشبة لصلبه، فجاء سفيان بن عيينة، فقال لهم: الله الله ! هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهها، وهذا حديث معروف.

قال سفيان: ولم أكن سمعته إلا أني أردت تخليص وكيع.

قال علي بن خشرم: سمعت الحديث من وكيع، بعدما أرادوا صلبه، فتعجبت من جسارته، وأخبرت أن وكيعاً احتج، فقال: إن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم عمر، قالوا: لم يمت رسول الله. فأراد الله أن يريهم آية الموت.

رواها أحمد بن محمد بن علي بن رزين الباشاني قال: حدثنا علي ابن خشرم. ورواها قُتَيْبة، عَنْ وكيع. وَهَذِهِ هفوة مِن وكيع، كادت تَذهب فيها نفسه. فما لَهُ ولرواية هذا الخبر المنكرَ المنقطع؛ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ".

ولولا أنّ الحافظ ابن عساكر وغيره ساقوا القصّة في تواريخهم لتركتها وَلَمَا ذكرتها، ولكنْ فيها عِبرة.[115]

[115] تاريخ الايلام 244/13

و قال في السير : " فهذه زلة عالم، فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الاسناد ! كادت نفسه أن تذهب غلطاً، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غضاً ما لمنصب النبوة، وهو في بادئ الرأي يوهم ذلك، ولكن إذا تأملته، فلا بأس إن شاء الله بذلك، فإن الحي قد يربوا جوفه، وتسترخي مفاصله، وذلك تفرع من الامراض، و " أشد الناس بلاء الانبياء " ، وإنما المحذور أن تجوز عليه تغير سائر موتى الآدميين ورائحتهم، وأكل الارض لاجسادهم، والنبي صلى الله عليه وسلم فمفارق لسائر أمته في ذلك، فلا يبلى، ولا تأكل الارض جسده، ولا يتغير ريحه، بل هو الآن، وما زال أطيب ريحاً من المسك، وهو حي في لحده حياة مثله في البرزخ، التي هي أكمل من حياة سائر النبيين، وحياتهم بلا ريب أتم وأشرف من حياة الشهداء الذين هم بنص الكتاب { أحياء عند ربهم يرزقون }[آل عمران: 169] وهؤلاء حياتهم الآن التي في عالم البرزخ حق، ولكن ليست هي حياة الدنيا من كل وجه، ولا حياة أهل الجنة من كل وجه، ولهم شبه بحياة أهل الكهف، ومن ذلك: اجتماع آدم وموسى، لما احتج عليه موسى، وحجه آدم بالعلم السابق , كان اجتماعهما حقاً، وهما في عالم البرزخ، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رأى في السماوات آدم وموسى وإبراهيم وإدريس وعيسى، وسلم عليهم، وطالت محاورته مع موسى ، هذا كله حق.

والذي منهم لم يذق الموت بعد هو عيسى عليه السلام، فقد تبرهن لك أن نبينا صلى الله عليه وسلم ما زال طيباً مطيباً، وأن الارض محرم عليها أكل أجساد الانبياء، وهذا شئ سبيله التوقيف، وما عنف النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم لما قالوا له بلا علم: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ – يعني قد بليت – فقال: " إن الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء."

وهذا بحث معترض في الاعتذار عن إمام من أئمة المسلمين، وقد قام في الدفع عنه مثل إمام الحجاز سفيان بن عيينة، ولولا أن هذه الواقعة في عدة كتب، وفي مثل " تاريخ الحافظ ابن عساكر "، وفي "كامل الحافظ ابن عدي " لاعرضت عنها جملة، ففيها عبرة ..[116]

ثم قال :" قال قتيبة: فكان وكيع إذا ذكر فعل عبد المجيد، قال: ذاك جاهل، سمع حديثا لم يعرف وجهه، فتكلم بما تكلم .

قلت: فرضنا أنه ما فهم توجيه الحديث على ما تزعم، أفما لك عقل وورع؟ أما سمعت قول الإمام علي: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ أما سمعت في الحديث: (ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان فتنة لبعضهم) ؟[117]

رابعا : موقف العلماء من هذه الرواية

أنكرها العلماء في زمن وكيع حتى أفتوا بقتله ، وحتى سفيان بن عيينة إنما قال قولته ليدفع الموت عن وكيع .

الذهبي الذي ساقها في ترجمة وكيع قال : وَهَذِهِ هفوة مِن وكيع، كادت تَذهب فيها نفسه. فما لَهُ ولرواية هذا الخبر المنكرَ المنقطع؛ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ".

و قال : " فهذه زلة عالم، فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الاسناد ! كادت نفسه أن تذهب غلطاً، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غضاً ما لمنصب النبوة"

خامسا : ذكر بعض علل الرواية

[116] سير اعلام النبلاء 9/160-161-162

[117] 9/163-164

- رواية منكرة تخالف الروايات الصحيحة المشهورة في صفة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، و التي أجمعت عليها كتب السيرة و الحديث .و منها ما ثبت عن علي رضي الله عنه ، قال : " غسلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلت أنظر ما يكون من الميت ، فلم أر شيئا ، و كان طيبا حيا و ميتا " [118]

و قال ابن اسحاق : ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت .

- راويه (البهي) ، هو عبد الله بن يسار مولى أل الزبير . تابعي لم يدرك الواقعة ، و في سماعه من عائشة نظر .قال ابن ابي حاتم : لا يحتج بالبهي و هومضطرب الحديث . و قال ابن حجر : صدوق يخطئ .

فمثله لا يقبل منه اذا تفرد فكيف إذا كان خبرا منكرا منقطعا!

سادسا : قو له " أهملوا رسول الله ..." كيف علم بذلك ؟ و هل يعي معنى الإهمال ؟ و هذه كلمة لا تخرج من فم رجل قلبه ممتلئ حبا و تعظيما لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم . و في هذه العبارة من الطعن الصريح بصحابة النبي ووصفهم بالإنشغال بكرسي الحكم على دفن النبي ، و قد تلقف هذ الطعن من مواقع النصارى و الملحدين على شبكة النت ! بناءا على رواية حكم العلماء أنها باطلة منكرة .

و قد ذكر ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي آخر يوم الإثنين ، و لما بويع الصديق يوم الثلاثاء أقبل أهل بيته صلى الله عليه وسلم في جهازه و فرغ من غسله و تكفينه يوم الثلاثاء ، ووضع في بيته الطاهر ، و حفر له قبره في موضه وفاته ، و أخذ الناس يدخلون للسلام عليه حتى سلم عليه كل من كان في المدينة من الصحابة و الصحابيات و أبنائهم ، ثم دفن ليلة الأربعاء .

---

[118] أخرجه الحاكم في المستدرك برقم 4370 و صححه الألباني في الجنائز ص 30 و ذكرها ابن اسحاق في السيرة 662/2

رد أحاديث بدعوى مخالفتها للقرآن الكريم

الرسول يكره الناس ليكونوا مؤمنين

روى البخاري و مسلم عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلَه إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى". و هاته إساءة أخرى لرسولنا الأعظم ، لأنه محال أن يخالف أمر الله له في كتابه الكريم ، في العديد من الأيات نورد بعضا منها ، فقد قال الله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) يونس : 99

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). البقرة256

(وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا). الكهف: 29 . (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ(21)لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ(22)إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ(23)فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ(24)إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26).) الغاشية21-26 . (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) ق :45.

كل هاته الآيات الواضحة تبين لنا أن الإسلام دين يدعو إلى الاختيار ، في أمور العقفيدة ، لا إلى الجبر ، فمتى أمر الله نبيه بقتال الناس من أجل عقائدهم ؟ لكن عباد الأصنام التراثية ، لايتورعون عن أن ينسبوا هذا الكلام الإرهابي لرسول المحبة والرحمة ، ويتساءل العديد من الناس : لماذا كل هذه الإساءة للرسول من طرف غربيين ؟ والحقيقة التي لا يعرفونها أن هاته الإساءات أجمعها مأخوذة من مثل هاته الكتب التي يقال عنها بأنها أصح الكتب ، وأن كل ما فيها صحيح لا غبار عليه. ومن الاحاديث الداعية الى الكراهية والاكراه في الدين ما ورد في صحيح البخاري

باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة : "6924 حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله قال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق".

إن هاته المرويات يستحيل الجمع بينها وبين أمر الله البين الواضح الجلي في كتابه بأن لايكره الناس على اعتناق العقيدة بل الأصل فيها الاختيار لا الجبر ، لكن من يسمع مادام صحيح البخاري قد قال؟ ![1]

أولا : الحديث لم يتفرد به الشيخان بل رواه جمع من الأئمة منهم :

مصنف عبد الرزاق رقم 10022 -18718 ، و مصنف ابن ابي شيبة رقم 37054 ، و مسند أحمد رقم 117-239-335 ، البخاري رقم 1399-6924 و مسلم رقم 20 ، الأموال لابن زنجويه 92 ، سنن ابي داود رقم 1556 ، و سنن الترمذي رقم 2607 ، و مسند البزار 217 ، السنن الكبرى للنسائي رقم 2235-3418-3421-3423-4284-4285-4286 ، سنن النسائي 2443-3091-3092-3093-3970-3973-3975 و صحيح ابن حبان 216-217 و غيرهم .[2]

[1] ص 151-152
[2] يراجع السلسلة الصحيحة 1/764-770

ثانيا : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد في سبيله لما طغى المشركون و الملأ من قريش ، و أبوا قبول الحق و كف الظلم عن المسلمين فقال تعالى { أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و أن الله على نصرهم لقدير } و قال عز وجل { و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله} الأنفال 39 .

قال الطبري : " حتى لا يكون شرك و لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض و هو الفتنة .. حتى تكون الطاعة و العبادة كلها لله خالصة دون غيره ." و قال تعالى {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون } التوبة 29. فجاهد المؤمنون المشركين من أهل البطر و الكفر و الطغيان ، و قال النبي صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ...) و المقصود بالناس هنا هم مشركو العرب و مشركو قريش خاصة ، و ليس كل أمم الأرض ، و ليس المقصود –كذلك- أن يسلم جميع الناس و يؤمنوا فهذا ما نفاه الله شرعا و قدرا أنه لا إكراه في الدين ، و أخبر قدرا أنهم لا يزالون مختلفين الى يوم الدين !

فلفظ الناس من العام الذي أريد به الخاص ، كقوله تعالى { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم} ال عمران 173. قال مجاهد و عكرمة : هو نعيم بن مسعود . قال الفارسي : و مما يقوي أن المراد به واحد قوله {إنما ذلكم الشيطان} فوقعت الإشارة بقوله {ذلكم} الى واحد بعينه ، و لو كان المعنى جمعا لقال إنما أولئكم الشيطان .

قال الزمخشري في الكشاف : فإن قلت كيف قيل (الناس) إن كان نعيم هو المثبط وحده ؟ قلت : قيل ذلك لأنه جنس الناسكما يقال فلان يركب الخيل و يلبس البرد و ماله إلا فرس واحد و برد فرد . أو لأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ، و يصلون جناح كلامه و يثبطون كثل تثبيطه .[3]

---

[3] الكشاف 441/1

قال أبو بكر الجصاص : فأطلق الله تعالى اسم الناس على الواحد على قول من تأوله على أنه كان رجلا واحدا فهذا على أنه أطلق لفظ العموم وأراد به الخصوص . لما كان الناس اسما للجنس وكان من المعلوم أن الناس كلهم لم يقولوا ذلك تناول ذلك أقلهم وهو الواحد منهم

لأنه لفظ الجنس وعلى هذا قال أصحابنا فيمن قال إن كلمت الناس فعبدي حر إنه على كلام الواحد منهم لأنه لفظ الجنس ومعلوم أنه لم يرد به استغراق الجنس فيتناول الواحد منهم[4] و إطلاق لفظ الناس مرادا به واحد أو نحوه مستعمل في القرآن ، و منه قوله تعالى { أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله } النساء 54 ، و منه قوله تعالى { ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس } قال ابن عباس : ابراهيم عليه السلام . و قوله تعالى { يا أيها الناس اتقوا ربكم } يخص منه غير المكلف .

أما ما ذهب اليه أيلال أن الحديث فيه دعوة الى قتال جميع العالم ! فهذا ما لم يقله أحد من العلماء ، و لا فهموا من الحديث هذا الفهم السقيم .و هو مخالف لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و سنته ، إذ معلوم بالضرورة القطعية أنه لم يقاتل نصارى نجران بل عاهدهم ، و قبل منهم الجزية ، و جادلوه في مسجده في التثليت و صالحهمو لم يأمر بقتلهم أو قتالهم . و كذا لم يتعرض صلى الله عليه وسلم ليهود اليمن و لا مجوس هجر و لا غيرهم من أهل الكتاب بل اخذ منهم الجزية . أما محاربته ليهود المدينة فكان ذلك بعد نكثهم للعهود و تحالفهم مع أعداء المسلمين لإجتثات دولتهم و قتل الرسول !

ثالثا : إختلف العلماء في حديث (أمرت أن أقاتل الناس) بعد إجماعهم على أن عمومه غير مراد ، فقيل هو منسوخ بآية الجزية للذميين و بأحكام المعاهدين ، و قيل هو من العام المخصوص و دخله التخصيص بنصوص أخرى ، و قيل بل هو من العام لفظا الخاص معنى ، و قيل غير ذلك في تأويله مع احماعهم على أنه ليس على ظاهره و عمومه .[5]

---

[4] احكام القرآن 333/2
[5] أنظر فتح الباري

و لم يرد في لفظ الحديث (أمرت أن أقتل الناس) و إنما جاء فيه (أمرت أن أقاتل الناس) وكل من له حظ من العربية يعلم الفرق بين القتل و القتال ! قال الحافظ : وقال الشيخ محيي الدين النووي في هذا الحديث إن من ترك الصلاة عمدا يقتل ثم ذكر اختلاف المذاهب في ذلك وسئل الكرماني هنا عن حكم تارك الزكاة وأجاب بأن حكمهما واحد لاشتراكهما في الغاية وكأنه أراد في المقاتلة أما في القتل فلا والفرق أن الممتنع من إيتاء الزكاة يمكن أن تؤخذ منه قهرا بخلاف الصلاة فإن انتهى إلى نصب القتال ليمنع الزكاة قوتل وبهذه الصورة قاتل الصديق مانعي الزكاة ولم ينقل أنه قتل أحدا منهم صبرا وعلى هذا ففي الاستدلال بهذا الحديث على قتل تارك الصلاة نظر للفرق بين صيغة أقاتل وأقتل والله أعلم وقد أطنب بن دقيق العيد في شرح العمدة في الإنكار على من استدل بهذا الحديث على ذلك وقال لا يلزم من إباحة المقاتلة إباحة القتل لأن المقاتلة مفاعله تستلزم وقع القتال من الجانبين ولا كذلك القتل وحكى البيهقي عن الشافعي أنه قال ليس القتال من القتل بسبيل فقد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله .[6]

فلا الحديث يامر بقتال كل الناس و كلمة الناس تعني كل الناس لا في لغة العرب و لا في خطاب القرآنو لا في خطاب النبي صلى اله عليه وسلم ، بل قد يطلق على الواحد و على الجماعة ، و كم من مرة خطب في أصحابه و قال لهم (أشيروا علي أيها الناس) و إنما يقصد أصحابه الذين يخاطبهم لا كل الناس في الأرض . و قال : (لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه) أي لا يتحدث أعدائي من المشركين أو المنافقين بأني اقتل أصحابي ، و كذا قوله (أمرت أن أقاتل الناس) أي الذين قاتلوه من المشركين .. [7]

رابعا : إن قوله تعالى { وإنك لعلى خلق عظيم } وصف قرآني ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم ثبوتا مطلقا في جميع أحواله ، فهو على خلق عظيم في سلمه ، و في حربه و قتاله ، و

[6] الفتح 76/1
[7] جناية أوزون ص 281

في عهوده و في كل شؤونه ، و ليس الأمر متوقف على ما يستبشعه أيلال أو لا حسب عقله و هواه .

" ثم إن كون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لا يعني أنه لا يجاهد الكفار و المنافقين و لا يغلظ عليهم ، فالله الذي و صفه بأنه رحمة للعالمين ، و أنه على خلق عظيم ، هو

الذي قال له : { و قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك و حرض المؤمنين} و قال { واضربوا منهم كل بنان }، و قال في شأنه و أصحابه { محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} . فرحمته بالعالمين تقتضي أن يكون قويا بالعدل شديدا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم فلا يترك الطواغيت و الجبابرة يسومون الخلق سوء العذاب ، و يعسفونهم عسف العبيد ، و يتسلطون عليهم بالباطل . و إنما الرحمة أن يرفع الآصار و الأغلال و يحرر الخلق و ينصف المظلوم ممن ظلمه و يقيم حكم الله فيهم ، و يردع الظالم و يقاتله إن لم يرتدبالحكمة و الموعظة الحسنة ، و يقتله بالحق فهذا كله من رحمته بالعالمين "[8].

فاستشكال أحاديث الصحيحين و الطعن فيها بالهوى و الباطل لن يحل المشكلة ، إذ سيظطر أيلال إلى الجواب على مئات الأيات الصريحة الواضحة التي تحث على الجهاد و قتال من يعتدي على المسلمين ، فكيف سيتعامل معها حينئذ ؟

ألم يقرأ أيلال سورة الأنفال و سورة براءة و سورة الفتح ؟ ألم يقرأ قوله تعالى { و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله } و قوله تعالى { و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم } و قوله تعالى { يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال } و قوله تعهالى { الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله و الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان } .

و ليس في السنة النبوية في شأن الجهاد ما ليس في القرآن ، و قد نصر الله رسوله بالرعب بنص القرآن كما في قوله تعالى في غزوة بدر { سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب } و

[8] جناية أوزون ص 201

قوله تعالى في غزوة بني النضير { فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا و قذف في قلوبهم الرعب } .و قال تعالى في الغنائم { يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله و الرسول } و قال { فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا } .

فكيف سيجيب أيلال على أيات الذكر الحكيم التي تدعو الى الجهاد في سبيل الله و يشرع أحكامه إبتداء من نبذ العهد للعدو حين خيانته ، ثم إعلان الحرب عليه ، ثم الإرصاد له ، و قطع الطريق عليه و قتاله و قتله ، و أحكام أسراه و غنائمه ..؟

و ما هي المعايير التي سيعتمدها في الجمع و التوفيق بين هذه الأيات و بين قوله تعالى { لا إكراه في الدين } و قوله تعالى { أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة } و قوله تعالى { و جادلهم بالتي هي أحسن } ؟

حظ ابن آدم من الزنا

قال أيلال : " في صحيح البخاري يؤكد المؤ على أن الله كتب على جميع البشر حظهم من الزنا ، أي أن البشر مسير لا مخير ، وبالتالي فمبدأ الاختيار الواضح في قوله تعالى :" وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة " أصبح لا معنى له ، والأخطر أيضا هنا أنه لم يعد أي معنى لقوله تعالى :" ولا تقربوا الزنا" ، كيف ينهانا الله عن شيء قد كتبه علينا!!! بل نستنتج من خلال هذا الحديث أن جميع الرسل لديهم حظهم من الزنا باعتبارهم من بني آدم ، بما فيهم رسولنا الكريم ، وأيضا الصحابة الكرام والسلف الصالح ، الكل له حظه من الزنا ، فنحن زناة من نسل زناة ، هذا هو الحديث في أصح الكتب كما يتبجحون : روى البخاري (6243) عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي ، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ) .[9]

أولا : التخريج

اخرجه البخاري في صحيحه (6243) (6612) ومسلم في صحيحه (2657) وأبو داود في سننه (2152) وابن خزيمة في صحيحه (30) وابن حبان في صحيحه (4419-4420-4421-4422-4423) والحاكم في المستدرك (3752) و عبد الرزاق في المصنف (3680) و اسحق بن راهويه في المسند (30)(248) و احمد في المسند (8598-8843-8932-9331-9331-9563-10829-1091-10920- - 8215-8356-8539-7719) و ابن ابي عاصم في السنة (193) و النسائي في السنن الكبرى (11480) و ابي يعلى في المسند (6425) (6501) و

[9] ص 66

الطحاوي في مشكل الأثار (2713) (2714) و البيهقي في السنن الكبرى (13509)(13510)(13511) (20747) و الصغرى (2359) و غيرهم ..

ثانيا : قوله صلى اله عليه وسلم (إن الله كتب على ابن أدم) من ألفاظ العموم الذي يدخله التخصيص ، و هذا أمر يعلمه كل من درس أصول الفقه ! و قد أشار الى ذلك الإمام الشافعي في الرسالة : (باب ما نزل من الكتاب عام الظاهر ، يراد به كله الخاص) [10] . وهو العام الذي صحبته قرينة تنفي بقاءه على عمومه، وتبين أن المراد منه بعض أفراده، مثل قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: 97]، فالناس في هذا النص عام، ولكن يراد به خصوص المستطيعين، لقرينة قوله تعالى: {مَنِ اسْتَطَاعَ} كما أن ليس كل مستطيع مطالبًا بالحج؛ لأن العقل يقضي بخروج المجنون، والمراد المكلَّفون فقط، فالمكلف هو البالغ العاقل، ومثل قوله تعالى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ} [التوبة: 120]، فأهل المدينة والأعراب لفظان عامان، ويراد بكل منهما خصوص المكلفين؛ لأن العقل يقضي بخروج العجزة، فذلك عام يراد به الخصوص قطعًا.[11]

أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "كل ابن آدم يأكله التراب ، إلا عجب الذنب منه خلق و فيه يركب " هذا لفظ مسلم ، و في لفظ البخاري :

---

[10] الرسالة ص 58 المحقق: أحمد شاكر

الناشر: مكتبه الحلبي، مصر

الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م

[11] الوجيز في أصول الفقه الإسلامي 57/2

المؤلف: الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي

الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا

الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م

" ليس من الإنسان شيئ إلا يبلى ، إلا عظما واحدا و هو عجب الذنب ، و منه يركب الخلق يوم القيامة " .[12]

حظ ابن آدم من الزنا

فخرج الأنبياء من هذا العموم ، لما صح عن أوس بن أوس قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فإن صلاتكم معروضة علي، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت، أي يقولون: قد بليت، قال: إن الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام." [13]

قال ابن عبد البر : وظاهر هذا الحديث وعمومه يوجب أن يكون بنو آدم في ذلك كلهم سواء، إلا أنه قد روي في أجساد الأنبياء وأجساد الشهداء أن الأرض لا تأكلهم ؛ وحسبك ما جاء في شهداء أحد وغيرهم، وهذا دليل على أن اللفظ في ذلك لفظ عموم يراد به الخصوص.[14]

قال الحافظ العراقي : كون ابن آدم يأكله التراب عام مخصوص فإن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لا تبلى أجسامهم الكريمة، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» واستثنى ابن عبد البر معهم الشهداء قال وحسبك ما جاء في شهداء أحد وغيرهم، ثم ذكر حديث جابر لما نقل أباه في خلافة معاوية حين أراد إجراء العين التي في أسفل أحد وقوله «فأخرجناهم رطابا يتسنون فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فتقطر الدم» واقتصر القاضي عياض على قوله وكثير من الشهداء فدل على أنه

---

[12] مسلم 2271/4- البخاري 165/6

[13] أخرجه الدارمي (1572)، وأبو داود (1047 م) وابن ماجه (1085)، والنسائي في الكبرى (1666)، والبيهقي: 3/ 248.

[14] الاستذكار 89/3 و التمهيد 173/18

يرى أن بعض الشهداء قد تأكل الأرض جسده ولعله أشار بذلك إلى المبطون ونحوه من الملحقين بالشهداء وضم أبو العباس القرطبي إلى الصنفين المؤذن المحتسب لقوله – عليه الصلاة والسلام – «المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه وإن مات لم يدود في قبره» قال وظاهر هذا أن الأرض لا تأكل أجساد المؤذنين المحتسبين فللحديث تأويلان (أحدهما) قال ابن عبد البر كأنه قال كل من تأكله الأرض فإنه لا تأكل منه عجب الذنب قال: وإذا جاز ألا تأكل الأرض عجب الذنب جاز أن لا تأكل الشهداء.
(الثاني) قال القاضي عياض يريد أن جميع الإنسان مما تأكله الأرض وإن كانت لا تأكل أجساما كثيرة كالأنبياء وكثير من الشهداء.[15]

قال ابن حجر : (قوله باب زنا الجوارح دون الفرج) أي أن الزنا لا يختص إطلاقه بالفرج بل يطلق على ما دون الفرج من نظر وغيره وفيه إشارة إلى حكمة النهي عن رؤية ما في البيت بغير استئذان لتظهر مناسبته الذي قبله...

قوله (لم أر شيئا أشبه باللمم من قول أبي هريرة) . قال بن بطال سمي النظر والنطق زنا لأنه يدعو إلى الزنا الحقيقي ولذلك قال والفرج يصدق ذلك ويكذبه قال بن بطال استدل أشهب بقوله (والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) على أن القاذف إذا قال زنت يدك لا يحد وخالفه بن القاسم فقال يحد وهو قول للشافعي وخالفه بعض أصحابه واحتج للشافعي فيما ذكر الخطابي بأن الأفعال تضاف للأيدي لقوله تعالى { فبما كسبت أيديكم } وقوله { بما قدمت يداك } وليس المراد في الآيتين جناية الأيدي فقط بل جميع الجنايات اتفاقا فكأنه إذا قال زنت يدك وصف ذاته بالزنا لأن الزنا لا يتبعض اه وفي التعليل الأخير نظر والمشهور عند الشافعية أنه ليس صريحا .[16]

قال القسطلاني : (إن الله كتب) قدر (على ابن آدم حظه) بالحاء المهملة والظاء المعجمة نصيبه بما قدر عليه (من الزنا أدرك ذلك لا محالة) بفتح الميم والحاء المهملة واللام المخففة لا

[15] طرح التثريب في شرح التقريب 308/3.زين الدين العراقي .دار إحياء التراث العربي
[16] الفتح 26/11

حيلة له في التخلص من إدراك ما كتب عليه ولا بد له منه (فزنا العين) بالإفراد ولأبي ذر عن الحموي والمستملي العينين (النظر) بشهوة (وزنا اللسان المنطق) بالميم ولأبي ذر عن الكشميهني النطق أي فيما يستلذ به من محادثة ما لا يحل له وفي حديث أبي الضحى عن ابن مسعود عند ابن جرير قال: زنا العينين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي (والنفس تمنى) بحذف إحدى التاءين، ولأبي ذر عن الكشميهني تتمنى بإثباتها (وتشتهي) . قال ابن بطال: سمي النظر والنطق زنا لأنه يدعو إلى الزنا الحقيقي ولذا قال: (والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه) ولأبي ذر عن الكشميهني: أو يكذبه واستدلّ به من قال: إنه إذا قال لرجل: زنت يدك أو رجلك أنه لا يكون قذفًا فلا حدّ، وبه قال أشهب من أئمة المالكية. وفي الروضة إذا قال: زنى يدك أو عينك أو رجلك فكناية على المذهب. وقال ابن القاسم: يحد ووجه بأن الأفعال: من فاعلها تضاف إلى الأيدي قال تعالى: {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم} [الشورى: 30] فكأنه إذا قال: زنت يدك ووصف ذاته بالزنا لأنه الزنا لا يتبعض، وقال في الكواكب فإن قلت: التصديق والتكذيب من صفات الأخبار فما معناهما هنا؟ وأجاب: بأنه لما كان التصديق هو الحكم بمطابقة الخبر للواقع والتكذيب الحكم بعدمها فكأنه هو الموقع أو الواقع فهو تشبيه أو لما كان الإيقاع مستلزمًا للحكم بهما عادة فهو كناية.[17]

قال النووي : معنى الحديث أن بن آدم قدر عليه نصيب من الزنى فمنهم من يكون زناه حقيقيا بإدخال الفرج في الفرج الحرام ومنهم من يكون زناه مجازا بالنظر الحرام اوالاستماع إلى الزنى وما يتعلق بتحصيله أو بالمس باليد بأن يمس أجنبية بيده أو يقبلها أو بالمشي بالرجل إلى الزنى اوالنظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ونحو ذلك أو بالفكر بالقلب فكل هذه انواع من الزنى المجازي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه معناه أنه قد يحقق الزنى بالفرج وقد لا يحققه بأن لا يولج الفرج في الفرج وإن قارب ذلك والله اعلم واما قول بن عباس ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة فمعناه تفسير قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة ومعنى الآية والله أعلم الذين يجتنبون المعاصي غير

[17] ارشاد الساري ج 13 ص 246-247 دار الكتب العلمية 1996

اللمم يغفر لهم اللمم كما في قوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فمعنى الآيتين أن اجتناب الكبائر يسقط الصغائر وهي اللمم وفسره بن عباس بما في هذا الحديث من النظر واللمس ونحوهما وهو كما قال هذا هو الصحيح في تفسير اللمم وقيل أن يلم بالشئ ولا يفعله وقيل الميل إلى الذنب ولا يصر عليه وقيل غير ذلك مما ليس بظاهر واصل اللمم والالمام الميل إلى الشئ وطلبه من غير مداومة والله اعلم. [18]

قال محمد فؤاد عبد الباقي : (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى) معنى الحديث أن ابن آدم قدر عليه نصيب من الزنى فمنهم من يكون زناه حقيقيا بإدخال الفرج في الفرج الحرام ومنهم من يكون زناه مجازا بالنظر الحرام أو الاستماع إلى الزنى وما يتعلق بتحصيله أو بالمس باليد بأن يمس أجنبية بيده أو يقبلها أو بالمشي بالرجل إلى الزنى أو النظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ونحو ذلك أو بالفكر بالقلب فكل هذه أنواع من الزنى المجازي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه معناه أنه قد يحقق الزنى بالفرج وقد لا يحققه بأن لا يولج الفرج في الفرج وإن قارب ذلك.[19]

فالحاصل من كلام العلماء أن الزنا المذكور في الحديث من الزنى المجازي ما لم يصاحب ذلك الوطء المحرم . و هذا هو الذي استفسر عنه النبي صلى الله عليه وسلم ماعز عندما جاء معترفا بالزنا ، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم تصريحا لا كناية (أنكتها) لإحتمال توهم ماعز أن التقبيل أو اللمس أو المفاخدة زنا!

---

[18] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج206/16 . دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، 1392

[19] حاشية صحيح مسلم 2046/4 دار احياء التراث العربي بيروت

إنكار أيلال قراءة ابن مسعود { و الذكر و الأنثى} .

أنكر أيلال قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه { و الذكر و الأنثى } ساخرا بقوله : " أين ذهبت { و ما خلق }فشتان بين و الذكر و الأنثى و بين و ما خلق الذكر و الأنثى تعالى الله عما يفترون " [20]

قال الإمام ابن الجزري رحمه الله : " قال الإمام أبو محمد مكي في مصنفه الذي ألحقه بكتابه " الكشف " له: فإن سأل سائل فقال: فما الذي يقبل من القرآن الآن فيقرأ به؟ وما الذي لا يقبل ولا يقرأ به؟ وما الذي يقبل ولا يقرأ به؟ فالجواب أن جميع ما روي في القرآن على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال، وهن: أن ينقل عن الثقات عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن سائغا، ويكون موافقا لخط المصحف. فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به وقطع على مغيبه وصحته وصدقه ; لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقة خط المصحف، وكفر من جحده.
قال: (والقسم الثاني) ما صح نقله عن الآحاد وصح وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين: إحداهما أنه لم يؤخذ بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد، والعلة الثانية أنه مخالف لما قد أجمع عليه فلا يقطع على مغيبه وصحته وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به، ولا يكفر من جحده، ولبئس ما صنع إذا جحده.
قال (والقسم الثالث) هو ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف، قال: ولكل صنف من هذه الأقسام تمثيل تركنا ذكره اختصارا.
(قلت) : ومثال القسم الأول مالك و (ملك) و (يخدعون) ويخادعون (وأوصى) ووصى و (يطوع) وتطوع ونحو ذلك من القراءات المشهورة. ومثال القسم الثاني قراءة عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: (والذكر والأنثى) في وما خلق الذكر والأنثى وقراءة ابن عباس (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وأما الغلام فكان كافرا) ونحو ذلك مما ثبت

[20] ص 63

بروايات الثقات، (واختلف العلماء) في جواز القراءة بذلك في الصلاة، فأجازها بعضهم لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرءون بهذه الحروف في الصلاة، وهذا أحد القولين لأصحاب الشافعي وأبي حنيفة وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد. وأكثر العلماء على عدم الجواز ; لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وإن ثبتت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني، أو أنها لم تنقل إلينا نقلا يثبت بمثله القرآن أو أنها لم تكن من الأحرف السبعة، كل هذه مآخذ للمانعين، (وتوسط بعضهم) فقال: إن قرأ بها في القراءة الواجبة وهي الفاتحة عند القدرة على غيرها لم تصح صلاته ; لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة لعدم ثبوت القرآن بذلك، وإن قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل ; لأنه لم يتيقن أنه أتى في الصلاة بمبطل لجواز أن يكون ذلك من الحروف التي أنزل عليها القرآن، وهذا يبتنى على أصل، وهو أن ما لم يثبت كونه من الحروف السبعة، فهل يجب القطع بكونه ليس منها؟

فالذي عليه الجمهور أنه لا يجب القطع بذلك، إذ ليس ذلك مما وجب علينا أن يكون العلم به في النفي والإثبات قطعيا وهذا هو الصحيح عندنا، وإليه أشار مكي بقوله: ولبئس ما صنع إذا جحده. وذهب بعض أهل الكلام إلى وجوب القطع بنفيه حتى قطع بعضهم بخطأ من لم يثبت البسملة من القرآن في غير سورة النمل، وعكس بعضهم فقطع بخطأ من أثبتها ; لزعمهم أن ما كان من موارد الاجتهاد في القرآن فإنه يجب القطع بنفيه، والصواب أن كلا من القولين حق، وأنها آية من القرآن في بعض القراءات وهي قراءة الذين يفصلون بها بين السورتين، وليست آية في قراءة من لم يفصل بها والله أعلم. وكان بعض أئمتنا يقول: وعلى قول من حرم القراءة بالشاذ يكون عالم من الصحابة وأتباعهم قد ارتكبوا محرما بقراءتهم بالشاذ، فيسقط الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرم دائما وهم نقلة الشريعة الإسلامية، فيسقط ما نقلوه فيفسد على قول هؤلاء نظام الإسلام والعياذ بالله.

قال: ويلزم أيضا أن الذين قرءوا بالشواذ لم يصلوا قط ; لأن تلك القراءة محرمة والواجب لا يتأدى بفعل المحرم وكان مجتهد العصر أبو الفتح محمد بن علي بن دقيق العيد يستشكل الكلام في هذه المسألة ويقول: الشواذ نقلت نقل آحاد عن رسول الله – صلى الله عليهوسلم

إنكار أيلال قراءة ابن مسعود { و الذكر و الأنثى} .

-، فيعلم ضرورة أنه – صلى الله عليه وسلم – قرأ بشاذ منها وإن لم يعين، قال: فتلك القراءة تواترت وإن لم تتعين بالشخص، فكيف يسمى شاذا والشاذ لا يكون متواترا؟[21]

قال الإمام ابن العربي : " الآية الأولى قوله تعالى: {وما خلق الذكر والأنثى} [الليل: 3].

فيها مسألتان:

المسألة الأولى في معنى القسم ..

الثاني: أن معنى قوله تعالى: {وما خلق الذكر والأنثى} [الليل: 3] والشفع والوتر كما تقدم يعني آدم وحواء، وآدم خلق وحده قبل خلق حواء حسبما سبق بيانه.

المسألة الثانية قراءة العامة وصورة المصحف {وما خلق الذكر والأنثى} [الليل: 3] وقد ثبت في الصحيح أن أبا الدرداء وابن مسعود، كانا يقرآن: والذكر والأنثى. قال إبراهيم: قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قالوا: كلنا. قال تقرءون: {والليل إذا يغشى} [الليل: 1]؟ قال علقمة: والذكر والأنثى. قال: أشهد أني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدون أن أقرأ: وما خلق الذكر والأنثى، والله لا أتابعهم.

قال القاضي: هذا مما لا يلتفت إليه بشر، إنما المعول عليه ما في الصحف؛ فلا تجوز مخالفته لأحد، ثم بعد ذلك يقع النظر فيما يوافق خطه مما لم يثبت ضبطه، حسبما بيناه في موضعه؛ فإن القرآن لا يثبت بنقل الواحد، وإن كان عدلا؛ وإنما يثبت بالتواتر الذي يقع به العلم، وينقطع معه العذر وتقوم به الحجة على الخلق.[22]

قال ابن أبي شامة : " قال أبو محمد مكي ..أن الذي في أيدينا من القرآن هو ما في مصحف عثمان رضي الله عنه الذي أجمع المسلمون عليه.

"والذي في أيدينا من القراءات هو ما وافق خط ذلك المصحف من القراءات التي نزل بها القرآن وهو من الإجماع أيضا. وسقط العمل بالقراءات التي تخالف خط المصحف، فكأنها منسوخة بالإجماع على خط المصحف".

---

[21] النشر في القراءات العشر 1/14-15

[22] أحكام القرآن 4/404-405 ط العلمية .

"والنسخ للقرآن بالإجماع فيه اختلاف، فلذلك تمادى بعض الناس على القراءة بما يخالف خط المصحف مما ثبت نقله، وليس ذلك بجيد ولا صواب؛ لأن فيه مخالفة الجماعة، وفيه أخذ القرآن بأخبار الآحاد، وذلك غير جائز عند أحد من الناس" .

قلت(أي ابن ابي شامة) : مثال هذا ما ثبت في الصحيحين من قراءة عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: "والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى" (2) . وقراءة الجماعة على وفق خط المصحف: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}[23]

و قديما أجاب الإمام ابن حزم على مثل هذا الإعتراض الصادر عن النصارى !

قال : " واعترضوا أيضا بأن قالوا كيف تحققون نقلكم لكتابكم وأنتم مختلفون أشد الاختلاف في قراءتكم له وبعضكم يزيد حروفا كثيرة وبعضكم يسقطها فهذا باب وأيضا فإنكم تروون بأسانيد عندكم في غاية الصحة أن طوائف من أصحاب نبيكم عليه السلام ومن تابعيهم الذين تعظمون وتأخذون دينكم عنهم قرؤا القرآن بألفاظ زائدة ومبدلة لا تستحلون أنتم القراءة بها وإن مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفكم وأيضا فإن طوائف من علمائكم الذين تعظمون وتأخذون عنهم دينكم يقولون إن عثمان بن عفان أبطل قراءات كثيرة صحيحة وأسقطها إذ كتب المصحف الذي جمعكم عليه وعلى حرف واحد من الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن عندكم وأيضا فإن الروافض يزعمون أن أصحاب نبيكم بدلوا القرآن وأسقطوا منه وزادوا فيه

قال أبو محمد كل هذا لا متعلق لهم بشيء منه على ما نبين بما لا إشكال فيه على أحد من الناس وبالله التوفيق

أما قولهم إننا مختلفون في قراءة كتابنا فبعضنا يزيد حروفا وبعضنا يسقطها : فليس هذا اختلافا بل هو اتفاق منا صحيح لأن تلك الحروف وتلك القراءات كلها مبلغ بنقل الكواف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها نزلت كلها عليه فأي تلك القراءات قرأنا فهي صحيحة وهي محصورة كلها مضبوطة معلومة لا زيادة فيها ولا نقص فبطل التعلق بهذا الفصل ولله تعالى الحمد .

---

[23] المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص 153-154 ط دار صادر بيروت 1975

وأما قولهم أنه قد روى بأسانيد صحاح عن طائفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن التابعين الذين نعظم ونأخذ ديننا عنهم قرءوا في القرآن قراءات لا نستحل نحن القراءة بها فهذا حق ونحن وإن بلغنا الغاية في تعظيم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوان الله عليهم وتقربنا إلى الله عز وجل بمحبتهم فلسنا نبعد عنهم الوهم والخطأ ولا نقلدهم في شيء مما قالوه إنما نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو عندهم بالمشاهدة والسماع لما ثبت من عدالتهم وثقتهم وصدقهم وأما عصمتهم من الخطأ فيما قالوه برأى وبظن فلا نقول بذلك ولو أنكم أنتم فعلتم كذلك بأحباركم وأساقفتكم الذين بينكم وبين الأنبياء عليهم السلام ما عنفناكم بل كنتم على صواب وهدى متبعين للحق المنزل مجانبين للخطأ المهمل لكن لم تفعلوا هكذا بل قلدتموهم في كل ما شرعوه لكم فهلكتم في الدنيا والاخرة وتلك القراءات التي ذكرتم إنما هي موقوفة على الصاحب أو التابع فهي ضرورة وهم من الصاحب والوهم لا يعري منه أحد بعد الأنبياء عليهم السلام أو وهم ممن دونه في ذلك .

وأما قولهم أن مصحف عبد الله ابن مسعود خلاف مصحفنا فباطل وكذب وإفك !

مصحف عبد الله بن مسعود إنما فيه قراءته بلا شك وقراءته هي قراءة عاصم المشهورة عند جميع أهل الإسلام في شرق الدنيا وغربها نقرأ بها كما ذكرنا وبغيرها قد صح أنه كله منزل من عند الله تعالى فبطل تعلقهم بهذا والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم إن طائفة من علمائنا الذين أخذنا عنهم ديننا ذكروا إن عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ كتب المصحف الذي جمع الناس عليه أسقط ستة أحرف من الأحرف المنزلة واقتصر على حرف منها فهو مما قلنا وهو ظن ظنه ذلك القائل أخطأ فيه وليس كما قال بل كل هذا باطل ببرهان كالشمس وهو أن عثمان رضي الله عنه لم يحكم إلا وجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين والمصاحف والمساجد والقراء يعلمون الصبيان والنساء وكل من دب وهب واليمن كلها وهي في أيامه مدن وقرى البحرين كذلك وعمان كذلك وهي بلاد واسعة مدن وقرى وملكها عظيم ومكة والطائف والمدينة والشام كلها كذلك والجزيرة كذلك ومصر كلها كذلك والكوفة والبصرة كذلك في كل هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وحده فلو رام عثمان ما ذكروا ما قدر على ذلك أصلا وأما قولهم أنه جمع الناس على

مصحف فباطل ما كان يقدر على ذلك لما ذكرنا ولا ذهب عثمان قط إلى جمع الناس على مصحف كتبه إنما خشي رضي الله عنه أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين أو أن يهم وهم من أهل الخير فيبدل شيئا من المصحف يفعل ذلك عمدا وهذا وهما فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال فكتب مصاحف مجتمعا عليها وبعث إلى كل أفق مصحفا لكي إن وهم واهم أو بدل مبدل رجع إلى المصحف المجتمع عليه فانكشف الحق وبطل الكيد والوهم فقط .
وأما قول من قال أبطل الأحرف الستة فقد كذب من قال ذلك ولو فعل عثمان ذلك أو أراده لخرج عن الإسلام ولما مطل ساعة بل الأحرف السبعة كلها موجودة عندنا قائمة كما كانت مثبوتة في القراءات المشهورة المأثورة والحمد لله رب العالمين وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القراءات فإن الروافض ليسوا من المسلمين إنما هي فرق حدث أولها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة وكان مبدؤها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر وهي طوائف أشدهم غلوا يقولون بإلهية علي بن أبي طالب والآلهية جماعة معه وأقلهم غلوا يقولون إن الشمس ردت على علي بن أبي طالب مرتين فقوم هذا أقل مراتبهم في الكذب أيستشنع منهم كذب يأتون به وكل من يزجره عن الكذب ديانة أو نزاهة نفس أمكنه أن يكذب ما شاء وكل دعوى بلا برهان فليس يستدل بها عاقل سواء كانت له أو عليه ونحن إن شاء الله تعالى نأتي بالبرهان الواضح الفاضح لكذب الروافض فيما افتعلوه من ذلك..[24]

[24] لفصل في الملل والأهواء والنحل 2/64-65 .مكتبة الخانجي – القاهرة

إنكار حديث عائشة في صلاة العصر

قال في مبحث " جناية الحديث " و هنا ارتأيت أن أقدم اليك – أختي القارئة أخي القارئ – نماذج مما جناه الحديث على القرآن و على أمة الإسلام ، و على البشرية جمعاء [25] . ثم سرد جملة من الأحاديث ، الى أن قال : " و قريب من هذا ما نسب لأم المؤمنين عائشة في فتح الباري لإبن حجر العسقلاني أنه روى مسلم عن عائشة أنها أملت في مصحفها { حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى صلاة العصر } . قالت : سمعتها من رسول صلى الله عليه وسلم .(فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج 8 ص 158) .[26]

ثم قال بعد ذلك : .. إننا نجد أنفسنا مضطرين لرفض هذا الغثاء ..[27]

-1- الحديث عند مسلم : حديث رقم 1044 كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ .

حدثنا يحيى بن يحيى التميمي، قال: قرأت على مالك، عن زيد بن أسلم، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي يونس، مولى عائشة، أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا، وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني: {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى} [البقرة: 238] فلما بلغتها آذنتها فأملت علي: " {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى} [البقرة: 238]، وصلاة العصر، {وقوموا لله قانتين} [البقرة: 238] "، قالت عائشة: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا يحيى بن آدم، حدثنا الفضيل بن مرزوق، عن شقيق بن عقبة، عن البراء بن عازب، قال: نزلت هذه الآية: {حافظوا على الصلوات} [البقرة: 238] وصلاة العصر، فقرأناها ما شاء الله، ثم نسخها الله، فنزلت: {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى} [البقرة: 238]، " فقال رجل كان جالسا عند شقيق له: هي إذن صلاة العصر، فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت، وكيف نسخها الله، والله أعلم "، قال مسلم: ورواه الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن الأسود بن قيس، عن شقيق بن عقبة،

[2525] ص 61
[26] ص 63
[27] ص 64

عن البراء بن عازب، قال: قرأناها مع النبي صلى الله عليه وسلم زمانا بمثل حديث فضيل بن مرزوق .

-2- تخريج الحديث :

اخرجه : أبو داود في سننه 147/2 برقم 363 والنسائي في الصغرى 294/5 برقم 472 . والترمذي في جامعه 1918/47 برقم 3055 . ومالك في الموطأ 80/8 برقم 320 . والنسائي في الكبرى 3553/74 برقم 9676 و4/207 برقم 363 .
والبيهقي في السنن الكبير 31/3 برقم 2018 . والطحاوي في مشكل الآثار 319/5-320 برقم 1746.1744 والطحاوي في شرح معاني الآثار 36/3 برقم 616 . وأبو عوانة في مستخرجه 125/5 برقم 810. وأبو عمر الدوري في جزء فيه قراءات النبي 2/0 برقم 25 . وابن أبي شيبة في مصنفه1073/6 برقم 8489 و 6/1073 برقم 8471 . وسعيد بن منصور في سننه 80/2 برقم 379 . ومحمد بن عبدالله الأنصاري في حديثه 6/0برقم 13 . وعبدالرزاق في مصنفه 132/3 برقم 2126 . والشافعي في السنن المأثورة 2/0 برقم 22 . المصاحف لابن أبي داود 208

-3- جواب العلماء على هذا الإعتراض

قال العلامة الطحاوي : باب بيان مشكل ما روي عن عائشة , وحفصة , زوجي النبي صلى الله عليه وسلم , وعن أم كلثوم , عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية: {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى} [البقرة: 238] وصلاة العصر .

:" فكان فيما روينا عن عائشة وحفصة وأم كلثوم رضي الله عنهن إثبات صلاة العصر في التلاوة , فنظرنا في ذلك: هل روي ما قد دل على نسخه منها وإخراجه من القرآن وإعادته إلى السنة كما قد ذكرنا في غيرها فوجدنا أبا شريح محمد بن زكريا بن يحيى وعبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم قد حدثانا قالا: حدثنا الفريابي قال: حدثنا فضيل بن مرزوق قال:

إنكار حديث عائشة في صلاة العصر

حدثنا شقيق بن عقبة , عن البراء بن عازب قال: " نزلت: حافظوا على الصلوات وصلاة العصر , قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم , ثم نسخها الله فأنزل: {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى} [البقرة: 238] فوقفنا بذلك على أن: " وصلاة العصر " المذكور ذلك في أحاديث عائشة وحفصة وأم كلثوم عنهن مما قد كان قرآنا فنسخ , ورد إلى ما في مصاحفنا , وكذلك كل ما روي مما ذكر فيه أنه من القرآن ولا نجده في مصاحفنا , فهو مما قد كان قرآنا ونسخ , فأخرج من القرآن وأعيد إلى السنة فصار منها , والله عز وجل نسأله التوفيق ."[28]

قال النووي : " قوله في حديث عائشة فأملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر هكذا هو في الروايات وصلاة العصر بالواو واستدل به بعض أصحابنا على أن الوسطى ليست العصر لأن العطف يقتضي المغايرة لكن مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتج بها ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع وإذا لم يثبت قرآنا لا يثبت خبرا والمسألة مقررة في أصول الفقه وفيها خلاف بيننا وبين أبي حنيفة رحمه الله تعالى."[29]

قال ابن عبد البر : وفي هذا الحديث (أي حديث مالك) دليل على صحة مذهب من ذهب إلى أن القرآن نسخ منه ما ليس في مصحفنا اليوم . ومن قال بهذا يقول إن النسخ على ثلاثة أوجه في القرآن

أحدها : نسخ الخط والتلاوة والرسم مبينا ولا يعرف ولا يقرأ إلا أنه ربما رويت منه أشياء على سبيل الرواية لا يقطع شيء منها على الله تعالى ..

والوجه الثاني أن ينسخ خطه ويبقى حكمه نحو قول عمر بن الخطاب قد قرأنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة الحديث على ما ذكر في التمهيد وغيره . ومن هذا قوله وصلاة العصر عند من ذهب إلى هذا

[28] شرح مشكل الآثار 5/319-320.تحقيق: شعيب الأرنؤوط .الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - 1415 هـ، 1494 م

[29] شرح النووي لمسلم 5/130-131

والوجه الثالث أن ينسخ حكمه ويبقى خطه يتلى في المصحف وهذا كثير نحو قوله : {والذين يتوفون منكم ويذرون أزوجا وصية لأزوجهم متعا إلى الحول غير إخراج } (البقرة 240) نسختها {يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا } (البقرة 234) وهو من الناسخ والمنسوخ والمجتمع عليه .

وقد أنكر قوم أن يكون قوله وصلاة العصر من باب الناسخ والمنسوخ وقالوا إنما هو من معنى السبعة أحرف التي أنزل القرآن عليها وخير رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقال صلى الله عليه وسلم كلها أنزلت فاختار الصحابة في زمن عثمان لما خافوا على من دخل في الدين من سائر الناس غير العرب (أن يلحنوا فيه فجمعوا) الناس عليه وهو حرف زيد بن ثابت وسنبين ذلك في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فمن الأحرف السبعة التي هي في معنى وصلاة العصر قراءة عمر (بن الخطاب) وعبد الله بن مسعود { فامضوا إلى ذكر الله} وقراءة بن مسعود { فلا جناح عليه ألا يطوف بهما} وقراءة أبي بن كعب وبن عباس { وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين} وقراءة بن مسعود { فلما خر تبينت الإنس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين} .

ومثل هذا كثير قد جمعه جماعة من علماء هذا الشأن وقد أنكر آخرون أن يكون شيء من القرآن إلا ما بين لوحي مصحف عثمان بن عفان

وقد ذكرنا أقوالهم ووجوهها في التمهيد .[30]

و قال في التمهيد : وقد أبت طائفة أن يكون شيء من القرآن إلا ما بين لوحي مصحف عثمان واحتجوا بقول الله عز وجل إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون إلى أشياء احتجوا بها يطول ذكرها وأجمع العلماء أن ما في مصحف عثمان بن عفان وهو الذي بأيدي المسلمين اليوم في أقطار الأرض حيث كانوا هو القرآن المحفوظ الذي لا يجوز لأحد أن يتجاوزه ولا تحل الصلاة لمسلم إلا بما فيه وإن كل ما روي من القرآت في الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أبي أو عمر بن الخطاب أو عائشة أو ابن مسعود أو ابن عباس أو غيرهم من الصحابة مما يخالف مصحف عثمان المذكور لا يقطع بشيء من ذلك على الله عز وجل

---

30 الاستذكار 2/ 186-187-188 دار الكتب العلمية ط1 -2000

ولكن ذلك في الأحكام يجري في العمل مجرى خبر الواحد وإنما حل مصحف عثمان رضي الله عنه هذا المحل لإجماع الصحابة وسائر الأمة عليه ولم يجمعوا على ما سواه وبالله التوفيق ويبين لك هذا أن من دفع شيئا مما في مصحف عثمان كفر ومن دفع ما جاء في هذه الآثار وشبهها من القراءات لم يكفر ومثل ذلك من أنكر صلاة من الصلوات الخمس واعتقد أنها ليست واجبة عليه كفر ومن أنكر أن يكون التسليم من الصلاة أو قراءة أم القرآن أو تكبيرة الإحرام فرض لم يكفر ونوظر فإن بان له فيه الحجة وإلا عذر إذا قام له دليله وإن لم يقم له على ما ادعاه دليل محتمل هجر وبدع فكذلك ما جاء من الآيات المضافات إلى القرآن في الآثار فقف على هذا الأصل."[31]

---

[31] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد4/278-279

تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري .الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب.

الطعن في حديث الرضعات الخمس

قال : " ففي صحيح مسلم نجد باب التحريم بخمس رضعات (1452) حدثنا يحي بن يحي قال قرأت على مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة أنها قالت : كان فينا أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم و هن فيما يقرأ من القرآن " .

و هنا يبرز السؤال المحوري ، إذا كان هذا صحيحا فأين هي هاته الآية التي ينسب الى أمنا عائشة أنها قالت بها ، و إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم مات و هي تقرأ من القرآن ، أليس هذا اتهام صريح و لا لبس فيه لكتاب الله و وصمه بالتحريف و النقصان ، لكننا لا زلنا في عصرنا هذا نجد من لا يملك الجرأة للقول بجراءة و شجاعة أن هذا افتراء بين على أمنا عائشة و افتراء على رسول الله ، و كذب و بهتان على كتاب الله الذي تكفل الله بحفظه من كل تحريف أو زيادة أو نقصان .[32]

أولا : الحديث لم يتكلم أحد من العلماء في سنده ، و قد رواه جمع من الأئمة :

صحيح مسلم 167/4 ، سنن الدرامي 157/2 ، سنن الترمذي 456/3 . السنن الكبرى للبيهقي 454/7 ، سنن ابن ماجة 635/1 ، سنن النسائي 100/6 ، الموطأ 117/2) و غيرهم .

ثانيا : إختلفت أقوال العلماء في الكلام على جملة (فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم و هن فيما يقرأ من القرآن) على أقوال :

أن هذا ليس من القرآن و به قال المازري و عياض وابن العربي و ابن عبد البر و ابو جعفر النحاس و غيرهم . قال المازري : " وهذا الحديث لا حجة فيه لأنه محال على أنه قرآن. وقد

---

[32] ص61

ثبت أنه ليس من القرآن الثابت. ولا تحل القراءة به ولا إثباته في المصحف إذ القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد. وهذا خبر الواحد فيسقط التعلق به.

فإن قيل: ها هنا (وجهان: أحدهما) : إثباته قرآنا، والثاني: إثبات العمل به في عدد الرضعات، فإذا امتنع إثباته قرآنا بقي الآخر وهو العمل به لا مانع يمنع منه لأن خبر الواحد يدخل في العمليات، وهذا منها.

قلنا: هذا قد أنكره حذاق أهل الأصول وإن كان قد مال إليه بعضهم. واحتج المنكرون له بأن خبر الواحد إذا توجهت عليه القوادح واستريب توقف عنه، هذا جاء آحادا بما جرت العادة أنه لا يجيء إلا تواترا فلم يوثق به كما وثق بأخبار الآحاد في غير هذا الموضع وإن زعموا أنه كان قرآنا ثم نسخ ولهذا لم يشتغل به أهل التواتر. قيل: قد كفيتم مئونة الجواب إذ المنسوخ لا يعمل به، وعليه يحمل عندنا قول عائشة: "فتوفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهي فيما يقرأ من القرآن" تعني من القرآن المنسوخ. فلو أرادت فيما يقرأ من القرآن الثابت لاشتهر عند غيرها من الصحابة كما اشتهر سائر القرآن.[33]

قال القاضي ابن العربي المعافري : " وهذا مما لا تصح به حجة؛ لأنها أحالت على القرآن في الخمس رضعات، ولم توجد فيه، ولذلك قال مالك : ليس العمل على هذا وقال من ذهب إلى الأخذ بالخمس رضعات: إن هذا مما نسخ خطه وبقي حكمه كآية الرجم، وهذا لا يصح؛ لأن نسخ القرآن لا يصح أن ينسخ إلا بأمر الله، ولا يصح إلا في حياة النبي عليه السلام، وأما بعد وفاته، فلا يجوز أن يذهب من صدور الرجال، لقوله تعالى: {وإنا له لحافظون} وقد أخبرت هي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – توفي والخمس رضعات تقرأ في القرآن، ولو كان ذلك لما سقط من القرآن ، فلعلها أرادت أن رسول الله – صلى الله

[33] المعلم بفوائد مسلم 2/ 164-165

عليه وسلم – توفي وهن مما يقرأن من القرآن المنسوخ، أي يعلم أن ذلك كان قرآنا فنسخ خطه وبقي حكمه كآية الرجم، فكان مما يذكر في القرآن المنسوخ خطه، والله أعلم.[34]

قال ابن عبد البر : أما حديث عائشة في الخمس رضعات فرده أصحابنا وغيرهم ممن ذهب في هذه المسألة مذهبنا ودفعوه بأنه لم يثبت قرآنا وهي قد أضافته إلى القرآن وقد اختلف عنها في العمل به فليس بسنة ولا قرآن وردوا حديث المصة والمصتان بأنه مرة يرويه ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم (ومرة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومرة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم) ومثل هذا الاضطراب يسقطه عندهم .

أنه منسوخ قال به النووي و جمهور العلماء كما حكى الطاهر بن عاشور .

قال رحمه الله : وقال الجمهورهو منسوخ .

قال النووي : " وقولها (فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ) هو بضم الياء من يقرأ ومعناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدا حتى إنه صلى الله عليه وسلم توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنا متلوا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى والنسخ ثلاثة أنواع أحدها ما نسخ حكمه وتلاوته كعشر رضعات والثاني ما نسخت تلاوته دون حكمة كخمس رضعات وكالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما والثالث ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته وهذا هو الأكثر ومنه قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم الآية والله أعلم واختلف العلماء في القدر الذي يثبت به حكم الرضاع فقالت عائشة والشافعي وأصحابه لا يثبت بأقل من خمس رضعات وقال جمهور العلماء يثبت برضعة واحدة حكاه بن المنذر عن علي وبن مسعود وبن عمر وبن عباس وعطاء وطاوس وبن المسيب والحسن ومكحول والزهري وقتادة والحكم وحماد ومالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة رضي الله عنهم وقال أبو ثور وأبو عبيد وبن المنذر وداود يثبت بثلاث رضعات ولا يثبت بأقل فأما الشافعي

[34] المسالك في شرح موطأ مالك 5/684-685

وموافقوه فأخذوا بحديث عائشة خمس رضعات معلومات وأخذ مالك بقوله تعالى وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ولم يذكر عددا وأخذ داود بمفهوم حديث لا تحرم المصة والمصتان وقال هو مبين للقرآن واعترض أصحاب الشافعي على المالكية فقالوا إنما كانت تحصل الدلالة لكم لو كانت الآية واللاتي أرضعنكم أمهاتكم واعترض أصحاب مالك على الشافعية بأن حديث عائشة هذا لا يحتج به عندكم وعند محققي الأصوليين لأن القرآن لا يثبت بخبر الواحد وإذا لم يثبت قرآنا لم يثبت بخبر الواحد عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن خبر الواحد اذا توجه إليه قادح يوقف عن العمل به وهذا اذا لم يجيء إلا بآحاد مع أن العادة مجيئه متواترا توجب ريبة والله أعلم واعترضت الشافعية على المالكية بحديث المصة والمصتان وأجابوا عنه بأجوبة باطلة لا ينبغي ذكرها لكن ننبه عليها خوفا من الاغترار بها منها أن بعضهم ادعى أنها منسوخة وهذا باطل لا يثبت بمجرد الدعوى ومنها أن بعضهم زعم أنه موقوف على عائشة وهذا خطأ فاحش بل قد ذكره مسلم وغيره من طرق صحاح مرفوعا من رواية عائشة ومن رواية أم الفضل ومنها أن بعضهم زعم أنه مضطرب وهذا غلط ظاهر وجسارة على رد السنن بمجرد الهوى وتوهين صحيحها لنصرة المذاهب وقد جاء في اشتراط العدد أحاديث كثيرة مشهورة والصواب اشتراطه قال القاضي عياض وقد شذ بعض الناس فقال لا يثبت الرضاع إلا بعشر رضعات وهذا باطل مردود والله أعلم .[35]

قال العلامة الزرقاني في شرح الموطأ كتاب الرضاع باب جامع ما جاء في الرضاعة : (فيما يقرأ من القرآن) المنسوخ ، فالمعنى أن العشر نسخت بخمس ، ولكن هذا النسخ تأخر حتى توفي – صلى الله عليه وسلم – وبعض الناس لم يبلغه النسخ ، فصار يتلوه قرآنا ، فلما بلغه ترك ، فالعشر على قولها منسوخة الحكم والتلاوة ، والخمس منسوخة التلاوة فقط كآية الرجم ، ومن يحتج به على العشرة يعيد الضمير عليها ويكون من يقرؤها لم يبلغه النسخ ، وليس المعنى أن تلاوتها كانت ثابتة وتركوها لأن القرآن محفوظ ، قاله أبو عبد الله الأبي .

---

[35] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 10/29-30

الطعن في حديث الرضعات الخمس

... ومن المقرر أنه إذا كان علماء الصحابة وأئمة الأمصار وجهابذة المحدثين قد تركوا العمل بحديث مع روايتهم له ومعرفتهم به كهذا الحديث ، فإنما تركوه لعلة كنسخ أو معارض يوجب تركه فيرجع إلى ظاهر القرآن والأخبار المطلقة وإلى قاعدة هي أصل في الشريعة ، وهي أنه

متى حصل اشتباه في قصة كان الاحتياط فيها أبرأ للذمة ، وأنه متى تعارض مانع ومبيح قدم المانع لأنه أحوط ، وبهذا يندفع تشعيب بعض الشافعية على مالك في عدم قوله بهذا الحديث مع أنه رواه ، وأطال بعض المالكية في الرد على ذلك البعض بما رأيت الإضراب عن كلاميهما أولى لما في كل منهما من الاستطالة في الكلام للحمية المذهبية ، وهذا الحديث رواه مسلم عن يحيى ، وأبو داود عن القعنبي والترمذي من طريق معن ، والنسائي من طريق ابن القاسم ، الأربعة عن مالك به ، وتابعه محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر نحوه عند ابن ماجه ، وتابعه يحي بن سعيد الأنصاري عن عمرة نحوه عند مسلم ."

أن هذه الزيادة ضعيفة ووهم من الراوي ذهب الى ذلك الطحاوي و ابوجعفر النحاس و غيرهما . قال ابو جعفر النحاس : حدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة، عن عائشة قالت: «كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات فنسخن خمسا معلومات يحرمن فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن» فتنازع العلماء هذا الحديث لما فيه من الإشكال، فمنهم من تركه وهو مالك بن أنس وهو راوي الحديث، ولم يروه عن عبد الله سواه وقال: رضعة واحدة تحرم وأخذ بظاهر القرآن قال الله جل وعز {وأخواتكم من الرضاعة} [النساء: 23]

وممن تركه أحمد بن محمد بن حنبل وأبو ثور وقالا: «يحرم ثلاث رضعات» ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تحرم المصة ولا المصتان» قال أبو جعفر وفي الحديث لفظة شديدة الإشكال وهي قولها: «فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن» فقال بعض جلة أصحاب الحديث: قد روى هذا الحديث رجلان جليلان أثبت من عبد الله بن

أبي بكر فلم يذكرا هذا فيه وهما القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق [ص:66] رضي الله عنه، ويحيى بن سعيد الأنصاري وممن قال بهذا الحديث، وأنه لا يحرم إلا خمس رضعات الشافعي، فأما القول في تأويل «وهن مما يقرأ من القرآن» فقد ذكرنا رد من رده ومن صححه قال: الذي يقرأ من القرآن {وأخواتكم من الرضاعة} [النساء: 23] ، فأما قول من قال: إن هذا كان يقرأ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظيم؛ لأنه لو كان مما يقرأ لكانت عائشة رحمها الله قد نبهت عليه ولكان قد نقل إلينا في المصاحف التي نقلها الجماعة الذين لا يجوز عليهم الغلط وقد قال الله جل وعز {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر: 9] وقال جل وعز {إن علينا جمعه وقرآنه} [القيامة: 17] ولو كان بقي منه شيء لم ينقل إلينا لجاز أن يكون مما لم ينقل ناسخا لما نقل فيبطل العمل بما نقل ونعوذ بالله من هذا فإنه كفر .[36]

قال ابو جعفر الطحاوي : " باب (بيان مشكل) ما روي عن عائشة أنه كان نزل عشر رضعات يحرمن في القرآن فنسخن بخمس رضعات وأن رسول الله توفي وهو مما يقرأ من القرآن .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب أن مالكا حدثه عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة ابنة عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله وهو مما يقرأ من القرآن.

قال أبو جعفر : وهذا ممن لا نعلم أحدا رواه كما ذكرنا غير عبد الله بن أبي بكر وهو عندنا وهم منه أعني : ما فيه مما حكاه عن عائشة أن رسول الله توفي وهو مما يقرأ من القرآن لأن ذلك لو كان كذلك لكان كسائر القرآن ولجاز أن يقرأ به في الصلوات وحاشا لله أن يكون كذلك أو يكون قد بقي من القرآن ما ليس في المصاحف التي قامت بها الحجة علينا

[36] الناسخ و المنسوخ ص 44-45

وكان من كفر بحرف مما فيها كافرا ولكان لو بقي من القرآن غير ما فيها لجاز أن يكون ما فيها منسوخا لا يجب العمل به وما ليس فيها ناسخ يجب العمل به وفي ذلك ارتفاع وجوب العمل بما في أيدينا مما هو القرآن عندنا ونعوذ بالله من هذا القول وممن يقوله .

ولكن حقيقة هذا الحديث عندنا والله أعلم ما قد رواه من أهل العلم عن عمرة عن عائشة من مقداره في العلم وضبطه له فوق مقدار عبد الله بن أبي بكر وهو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق .

كما حدثنا محمد بن خزيمة قال ثنا حجاج بن منهال قال ثنا حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن القاسم بن محمد عن عمرة عن عائشة قالت كان مما نزل من القرآن ثم سقط أن لا يحرم من الرضاع إلا عشر رضعات ثم نزل بعد أو خمس رضعات فهذا الحديث أولى من الحديث الذي ذكرناه قبله وفيه أنه أنزل من القرآن ثم سقط فدل ذلك أنه مما أخرج من القرآن نسخا له منه كما أخرج من سواه من القرآن مما قد تقدم ذكرنا له وأعيد إلى السنة

وقد تابع القاسم بن محمد – على إسقاط ما في حديث عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله توفي وأن ذلك مما يقرأ من القرآن – إمام من أئمة زمنه وهو يحيى بن سعيد الأنصاري .

كما قد حدثنا محمد بن خزيمة قال ثنا حجاج بن منهال قال ثنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت نزل من القرآن لا يحرم إلا عشر رضعات ثم نزل بعد أو خمس رضاعات .

وكما حدثنا روح بن الفرج قال ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال حدثني الليث بن سعيد عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة أنها قالت أنزل في القرآن عشر رضاعات معلومات ثم أنزل خمس رضاعات .

قال أبو جعفر : فهذا أولى مما رواه عبد الله بن أبي بكر لأن محالا أن تكون عائشة تعلم أنه قد بقي من القرآن شيء لم يكتب في المصاحف ثم لا تنبه على ذلك من أغفله ولكن حقيقة

الأمر كان في ذلك والله أعلم أن ذلك مما قد كان نزل قرآنا ثم نسخ فأخرج من القرآن وأعيد سنة كما سواه من هذا الجنس مما قد تقدم ذكرنا له في كتابنا هذا . ومما يدل على فساد ما قد زاده عبد الله بن أبي بكر على القاسم بن محمد ويحيى بن سعيد في هذا الحديث أنا لا نعلم أن أحدا من أئمة أهل العلم روى هذا الحديث عن عبد الله بن أبي بكر غير مالك بن أنس ثم تركه مالك فلم يقل به وقال بضده وذهب إلى أن قليل الرضاع وكثيره يحرم ولو كان ما في هذا الحديث صحيحا أن ذلك في كتاب الله لكان مما لا يخالفه ولا يقول بغيره والله نسأله التوفيق ."

وقال في مختصر إختلاف العلماء كما في مختصره للجصاص ج 2 ص316-317 طبعة دار البشائر((قال أبو جعفر وهذا حديث منكر لأنه لو جاز أن يكون قرآنا غير ما في المصحف لجاز أن يكون لبعض ما في أيدينا من القرآن منسوخا بما ليس في أيدينا منه وقد روى القاسم بن محمد ويحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت نزل من القرآن لا يحرم إلا عشر رضعات ثم نزل بعد او خمس رضعات وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تحرم المصة ولاالمصتان بإسناد مضطرب لأن يونس يرويه عن ابن شهاب عن عروة عن ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم ويرويه مرة عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى مالك عن إبراهيم بن عقبة أنه سأل سعيد بن المسيب عن الرضاعة فقال ما كان في الحولين وإن كان قطرة واحدة فهو يحرم ثم سألت عروة بن الزبير فقال مثل ذلك وهذا يدل على اضطراب الحديث لأنه لو ثبت عند عروة ذلك لما خالفه إلى غيره).

قال السرخسي في المبسوط : " ولا نسخ بعد ذلك، وحجتنا قوله تعالى: {وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم} [النساء: 23] أثبت الحرمة بفعل الإرضاع فاشتراط العدد فيه يكون زيادة على النص، ومثله لا يثبت بخبر الواحد. وفي حديث علي - رحمه الله تعالى - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «الرضاع قليله وكثيره سواء» يعني في إيجاب الحرمة، ولأن هذا سبب من أسباب التحريم، فلا يشترط فيه العدد كالوطء، أما حديث عائشة - رضي الله تعالى

الطعن في حديث الرضعات الخمس

عنها – فضعيف جدا؛ لأنه إذا كان متلوا بعد رسول الله، ونسخ التلاوة بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يجوز فلماذا لا يتلى الآن.؟ وذكر في الحديث «فدخل داجن البيت فأكله» وهذا يقوي قول الروافض الذين يقولون: كثير من القرآن ذهب بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلم يثبته الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – في المصحف وهو قول باطل بالإجماع .[37]

قال ابن بطال : " وقد قال العلماء: إن أحاديث عائشة فى الرضاع اضطربت، فوجب تركها والرجوع إلى كتاب الله. قال الطحاوى: وكيف يجوز أن تأمر عائشة بعشر رضعات وهى منسوخة، وتركنا ونأخذ بالخمس الناسخة لها، وحديث الإملاجة والإملاجتين لا يثبت؛ لأنه مرة يرويه ابن الزبير عن النبى، عليه السلام، ومرة عن عائشة، ومرة عن أبيه، ومثل هذا الاضطراب يسقطه. قال الطحاوى: والنظر فى ذلك أنا رأينا الذى يحرم لا عدد فيه، ويحرم قليله وكثيره، ألا ترى لو أن رجلاً جامع امرأة بنكاح أو ملك مرة واحدة أن ذلك يوجب حرمتها على أبيه وعلى ابنه، ويوجب حرمة أمها وابنتها عليه، فكذلك الرضاع لما كان كثيره يحرم كان قليله فى القياس أيضًا كذلك."[38]

قال الطاهر بن عاشور : " وقال الجمهورهو منسوخ، وردوا قولها (فتوفي رسول الله وهي فيما يقرأ) بنسبة الراوي إلى قلة الضبط لأن هذه الجملة مسترابة إذ أجمع المسلمون على أنها لا تقرأ ولا نسخ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا فطم الرضيع قبل الحولين فطاما استغنى بعده عن لبن المرضع بالطعام والشراب لم تحرم عليه من أرضعته بعد ذلك."[39]

---

[37] 134/5

[38] شرح ابن بطال 199/7-200

[39] التحرير و التنوير 297/4

حديث ابن مسعود و تحدي أيلال أن يفهمه أيا كان !

قال : " حديث في صحيح البخاري أتحدى أن بفهمه أيا كان ، أو يستطيع شرحه إعتمادا على نصه فقط ، حتى أبلغ الناس و أفقه الناس لن يستطيع فهمه ، و هو كما أوضحت في صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن و رقم الحديث (4693) حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عبدة بن أبي لبابة عن زر بنحبيش و حدثنا عاصم عن زر قال : سألت أبي بن كعب ، قلت يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا و كذا فقال إني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : قيل لي فقلت . قال : فنحن نقول كما قال رسول الله صلى اله عليه وسلم !!![40]

أولا : الحديث لم يتفرد به البخاري

البخاري رقم 4976 و 4977 . تفسير عبد الرزاق رقم 3752 و 3753 .مصنف عبد الرزاق رقم 6040 .فضائل القرآن لابن الضريس رقم 291 .مسند أبي داود الطيالسي رقم 543 . مسند الحميدي رقم 378 . مصنف ابن ابي شيبة رقم 30202 . مسند احمد رقم 21181 . السنن المأثورة للشافعي رقم 94 . الكنى و الأسماء للدولابي رقم 418 . شرح مشكل الأثار رقم 118 . صحيح ابن حبان رقم 797 و غيرهم

ثانيا : قال البخاري في صحيحه في(كتاب تفسير القرآن) : باب قوله { الله الصمد } سورة قل أعوذ برب الفلق وقال مجاهد: " الفلق: الصبح، و {غاسق} [الفلق: 3]: الليل، {إذا وقب} [الفلق: 3]: غروب الشمس، يقال: أبين من فرق وفلق الصبح، {وقب} [الفلق: 3]: إذا دخل في كل شيء وأظلم .

---

[40] ص 69

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان، عن عاصم، وعبدة، عن زر بن حبيش، قال: سألت أبي بن كعب عن المعوذتين؟ فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «قيل لي فقلت» فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "

سورة قل أعوذ برب الناس ، ويذكر عن ابن عباس: {الوسواس} [الناس: 4]: «إذا ولد خنسه الشيطان، فإذا ذكر الله عز وجل ذهب، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه»
حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا عبدة بن أبي لبابة، عن زر بن حبيش، ح وحدثنا عاصم، عن زر، قال: سألت أبي بن كعب، قلت: يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا، فقال أبي: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: «قيل لي فقلت» قال: فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن خلال تسمية الكتاب و التبويب و الترجمة و ذكر الحديثين يتضح بجلاء أن البخاري أراد أن يبين أن (كذا و كذا) لها علاقة بالمعوذتين .
ثالثا : دعوته الى فهم الحديث اعتمادا على نصه ، مخالفة صريحة للقواعد العلمية التي إتبعها العلماء ، وهذه جرأة أخرى كشفت عن عواره و جهله بطرق و مناهج المحدثين في شرح و فهم نصوص الصحيح .

قال الحافظ مبينا طريقة فهم مناسبة الترجمة للحديث في أبواب الصحيح : أن مناسبة الترجمة مستفادة من لفظ آخر في هذا الحديث بعينه من طريق أخرى وهذا يصنعه المصنف كثيرا يريد به تنبيه الناظر في كتابه على الاعتناء بتتبع طرق الحديث والنظر في مواقع ألفاظ الرواة لأن تفسير الحديث بالحديث أولى من الخوض فيه بالظن.[41]

ثم لماذا ذكر أيلال الرواية الثانية و لم يذكر الأولى المبينة للمعنى و التي قال فيها زر بن حبيش سألت أبي بن كعب عن المعوذتين ؟ أليس هذا تدليس و كذب متعمد يراد به الطعن على الصحيح بأحقر الشبهات و الظنون ؟ و لهذا أراد من القارئ أن يفسر الحديث دون النظر في بقية الأحاديث الأخرى التي تبين ما أجمل فيه !

[41] الفتح 213/1

رابعا : هذا اللفظ (كذا و كذا) جاء تفسيره أن المقصود به المعوذتين في رواية البخاري الأولى و عند عبد الرزاق و ابن الضريس و ابو داود الطيالسي و ابن ابي شيبةو احمد و ابن حبان و الحميدي و غيرهم ، بل جاءت رواية أحمد و ابن حبان أكثر تصريحا و بيانا ، فقد أخرج أحمد بسنده الى زر بن حبيش قال قلت لأبي بن كعب: إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فقال: " أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني: " أن جبريل قال له: قل أعوذ برب الفلق، فقلتها، فقال: قل أعوذ برب الناس، فقلتها ". فنحن نقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم. (رقم 21181) .

و أخرج ابن حبان بسنده الى زر ، قال: قلت لأبي بن كعب: إن ابن مسعود لا يكتب في مصحفه المعوذتين، فقال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال لي جبريل: {قل أعوذ برب الفلق} [الفلق: 1] فقلتها، وقال لي: {قل أعوذ برب الناس} [الناس: 1] فقلتها» فنحن نقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و قد سرد الحافظ جميع روايات الحديث و ذكر كلام أهل العلم في توجيه موقف ابن مسعود ، و هذا هو صنيع العلماء المحققين استقراء الأدلة و الموازنة بينها ثم الترجيح و الحكم ، و ليس صنيع أيلال الذي إستل حديثا ثم تحدى جميع العلماء أن يفهموه !

قال الحافظ : قوله يقول كذا وكذا هكذا وقع هذا اللفظ مبهما وكأن بعض الرواة أبهمه استعظاما له وأظن ذلك من سفيان فإن الإسماعيلي أخرجه من طريق عبد الجبار بن العلاء عن سفيان كذلك على الإبهام وكنت أظن أولا أن الذي أبهمه البخاري لأنني رأيت التصريح به في رواية أحمد عن سفيان ولفظه :قلت لأبي إن أخاك يحكها من المصحف وكذا أخرجه الحميدي عن سفيان ومن طريقه أبو نعيم في المستخرج وكأن سفيان كان تارة يصرح بذلك وتارة يبهمه . وقد أخرجه أحمد أيضا وبن حبان من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بلفظ إن عبد الله بن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه وأخرج أحمد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بلفظ إن عبد الله يقول في المعوذتين وهذا أيضا فيه إبهام وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وبن مردويه من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي قال كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول إنهما

ليستا من كتاب الله قال الأعمش وقد حدثنا عاصم عن زر عن أبي بن كعب فذكر نحو حديث قتيبة الذي في الباب الماضي وقد أخرجه البزار وفي آخره يقول إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما قال البزار ولم يتابع بن مسعود على ذلك أحد من الصحابة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأهما في الصلاة قلت هو في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر وزاد فيه بن حبان من وجه آخر عن عقبة بن عامر فإن استطعت أن لا تفوتك قراءتهما في صلاة فافعل وأخرج أحمد من طريق أبي العلاء بن الشخير عن رجل من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه المعوذتين وقال له إذا أنت صليت فاقرأ بهما وإسناده صحيح ولسعيد بن منصور من حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فقرأ فيهما بالمعوذتين وقد تأول القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب الانتصار وتبعه عياض وغيره ما حكي عن بن مسعود فقال لم ينكر بن مسعود كونهما من القرآن وإنما أنكر إثباتهما في المصحف فإنه كان يرى أن لا يكتب في المصحف شيئا إلا إن كان النبي صلى الله عليه وسلم أذن في كتابته فيه وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك .قال: فهذا تأويل منه وليس جحدا لكونهما قرآنا وهو تأويل حسن إلا أن الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها ويقول إنهما ليستا من كتاب الله . نعم يمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف فيتمشى التأويل المذكور .

وقال غير القاضي لم يكن اختلاف بن مسعود مع غيره في قرآنيتهما وإنما كان في صفة من صفاتهما انتهى. وغاية ما في هذا أنه أبهم ما بينه القاضي ومن تأمل سياق الطرق التي أوردتها للحديث استبعد هذا الجمع وأما قول النووي في شرح المهذب أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن وأن من جحد منهما شيئا كفر وما نقل عن بن مسعود باطل ليس بصحيح ففيه نظر وقد سبقه لنحو ذلك أبو محمد بن حزم فقال في أوائل المحلى ما نقل عن بن مسعود من إنكار قرآنية المعوذتين فهو كذب باطل وكذا قال الفخر الرازي في أوائل تفسيره الأغلب على الظن أن هذا النقل عن بن مسعود كذب باطل والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل والإجماع الذي نقله إن أراد شموله لكل عصر فهو مخدوش وإن أراد استقراره فهو مقبول وقد قال بن الصباغ في الكلام على مانعي الزكاة وإنما قاتلهم أبو بكر على منع الزكاة ولم يقل إنهم كفروا بذلك وإنما

لم يكفروا لأن الإجماع لم يكن استقر قال ونحن الآن نكفر من جحدها قال وكذلك ما نقل عن بن مسعود في المعوذتين يعني أنه لم يثبت عنده القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك وقد استشكل هذا الموضع الفخر الرازي فقال إن قلنا إن كونهما من القرآن كان متواترا في عصر بن مسعود لزم تكفير من أنكرهما وإن قلنا إن كونهما من القرآن كان لم يتواتر في عصر بن مسعود لزم أن بعض القرآن لم يتواتر قال وهذه عقدة صعبة وأجيب باحتمال أنه كان متواترا في عصر بن مسعود لكن لم يتواتر عند بن مسعود فانحلت العقدة بعون الله تعالى قوله سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي قل فقلت قال فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فنحن نقول إلخ هو أبي بن كعب ووقع عند الطبراني في الأوسط أن بن مسعود أيضا قال مثل ذلك لكن المشهور أنه من قول أبي بن كعب فلعله انقلب على راويه وليس في جواب أبي تصريح بالمراد إلا أن في الإجماع على كونهما من القرآن غنية عن تكلف الأسانيد بأخبار الآحاد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .[42]

[42] الفتح 8/742-743

حديث عائشة في أكل الداجن للصحيفة

قال : إننا نجد انفسنا مضطرين لرفض هذا الغثاء ... فكل التأويلات التي تمسحت بالنسخ مهربا لتبرير ما جاء في الصحاح باءت بالفشل أمام الحقيقة الصلبة التي لا تقبل الجدل ، وهي أن الأحاديث التي أوردناها لا تقبل هذا التأويل ، ما نسب لأم المؤمنين عائشة في آية الرضعات المحرمات بصريح القول تفيد بأن الرسول مات وهي مما يتلى من كتاب الله حتى أكلتها الداجن وهي تحت سريرها .. إننا بقبولنا لهذه الروايات لنشجع الملحدين على تحدينا، وننفر الناس أيضا من ديننا " [43]

الخبر مدار جميع طرقه وألفاظه على الإسناد الآتي:
عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة رضي الله عنها من كلامها موقوفا عليها.
وقد أخذه عن عبد الله بن أبي بكر جماعة من الرواة ، وقد كانت روايتهم على الأوجه الآتية :
الوجه الأول : يرويه يحيى بن سعيد الأنصاري ، ولفظه : (نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ ، ثُمَّ نَزَلَ أَيْضًا خَمْسٌ مَعْلُومَاتٌ(
أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " (رقم/1452) وغيره ، ونلاحظ في هذه الرواية أنها لا تشتمل على شيء من قصة ماعز أو داجن تأكل شيئا من صحف القرآن الكريم.
الوجه الثاني : يرويه الإمام مالك رحمه الله ، ولفظه : (كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ(
رواه مالك في " الموطأ " (كتاب الرضاع/حديث رقم17) ومن طريقه الإمام مسلم (1452) وغيره ، ونلاحظ ههنا أن رواية الإمام مالك عن عبد الله بن أبي بكر لا تشتمل أيضا على شيء من قصة ماعز أو داجن تأكل شيئا من المصحف ، وإنما زاد فيه الجملة الأخيرة : (فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ(

[43] ص 64

الوجه الثالث : يرويه محمد بن إسحاق ، ولفظه : (لَقَدْ أُنْزِلَتْ آيَةُ الرَّجْمِ ، وَرَضَعَاتُ الْكَبِيرِ عَشْرٌ ، فَكَانَتْ فِي وَرَقَةٍ تَحْتَ سَرِيرٍ فِي بَيْتِي ، فَلَمَّا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَاغَلْنَا بِأَمْرِهِ ، وَدَخَلَتْ دُوَيْبَةٌ لَنَا فَأَكَلَتْهَا)

رواه الإمام أحمد في " المسند " (343/43)، وابن ماجة في " السنن " (رقم/1944)

ولفظه : (فَلَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَشَاغَلْنَا بِمَوْتِهِ دَخَلَ دَاجِنٌ فَأَكَلَهَا)

وهو كما ترى يشتمل على لفظ زائد وغريب عما رواه الإمامان الكبيران يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك بن أنس رحمهما الله ، ففي الخبر أن داجنا – وهي الشاة – دخلت فأكلت الصحيفة التي تشتمل على آية الرجم وآية رضعات الكبير.

وهذه المخالفة كافية لدى المحدثين في الحكم على لفظ محمد بن إسحاق بالضعف والرد والشذوذ ، فالحديث الشاذ عندهم هو الحديث الذي يخالف فيه الراوي الثقة ما رواه الثقات الأحفظ منه .

مع ما في محمد بن إسحاق من كلام ، قال حنبل بن إسحاق : سمعت أبا عبد الله يقول : ابن إسحاق ليس بحجة .

وقال عبد الله بن أحمد : لم يكن – يعني أحمد بن حنبل – يحتج به في السنن .

وقال أيوب بن إسحاق : سألت أحمد بن حنبل ، فقلت : يا أبا عبد الله ! ابن إسحاق إذا تفرد بحديث تقبله ؟ قال : لا ، والله إني رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ، ولا يفصل كلام ذا من ذا .

وقال أيضا : وأما ابن اسحاق فيكتب عنه هذه الأحاديث –يعني المغازي ونحوها–فإذا جاء الحلال والحرام أردنا قوماً هكذا– قال أحمد ابن حنبل–بيده وضم يديه وأقام الإبهامين .تاريخ ابن معين[44]

وضعفه يحيى بن معين في إحدى الروايات عنه ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال الدارقطني : اختلف الأئمة فيه ، وليس بحجة ، إنما يعتبر به . انظر : " تهذيب التهذيب "

[44] (55-504/2)

حديث عائشة في أكل الداجن للصحيفة

(45/9)، وقال الذهبي في السير(41/7)[وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن إلا فيما شذ فيه،فإنه يعد منكراً[

وقال في العلوص39 [وابن اسحاق حجة في المغازي إذا أسند وله مناكير وعجائب[فمثله لا تقبل مخالفته ولا تفرده بالغرائب عن غيره من الحفاظ الثقات.

ومما يزيد الأمر وضوحا أيضا أن القاسم بن محمد تابع عبد الله بن أبي بكر في رواية الحديث من غير زيادة محمد بن إسحاق .

فروى الطحاوي في " شرح مشكل الآثار " (486/11) قال : حدثنا محمد بن خزيمة ، حدثنا الحجاج بن منهال ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن القاسم بن محمد ، عن عمرة ، أن عائشة رضي الله عنها قالت : (كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ سَقَطَ : أَنْ لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضَاعِ إِلَّا عَشْرُ رَضَعَاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدُ : أَوْ خَمْسُ رَضَعَاتٍ)

و قد أنكر العلماء هذه الرواية ، يقول ابن قتيبة الدينوري رحمه الله:

"ألفاظ حديث مالك خلاف ألفاظ حديث محمد بن إسحاق ، ومالك أثبت عند أصحاب الحديث من محمد بن إسحاق " انتهى من " تأويل مختلف الحديث " (ص/443)

و قال الجورقاني : هذا حديث باطل، تفرد به محمد بن إسحاق، وهو ضعيف الحديث، وفي إسناد هذا الحديث بعض الاضطراب. في خلاف ذلك.«

ثم ساق الحديث من طريق مالك – ثم قال - : هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم في الصحيح، عن يحي بن يحيى، عن مالك، ومالك أثبت عند أصحاب الحديث من محمد بن إسحاق[45]

وقد أشار الدارقطني أيضا إلى خلاف ابن إسحاق في ألفاظ الحديث، حيث سئل عن الحديث – كما في علله (15/ 153، س: 3913) – من طريق عمرة عن عائشة، قالت:

---

45 الأباطيل والمناكير (541)

نزل القرآن بعشر رضعات معلومات يحرم بهن، ثم صرن إلى خمس؛ فساق خلافا بين الرواة، ومنهم ابن إسحاق، ثم قال في نهايته: «وحدث محمد بن إسحاق لفظا آخر، وهو: عن عائشة؛ لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشرا، فلما مات رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تشاغلنا بموته، فدخل داجن فأكلها.

ويقول الباقلاني رحمه الله:

"وليس على جديدِ الأرض أجهلُ ممن يظُنُ أن الرسولَ والصحابةَ كانوا جميعا يُهملون أمرَ القرآن ويعدِلون عن تحفُظه وإحرازِه ، ويعوّلون على إثباته في رقعةٍ تُجعَلُ تحتَ سريرِ عائشةَ وحدَها ، وفي رقاعٍ ملقاةٍ ممتهَنةٍ ، حتى دخلَ داجنُ الحي فأكلَها أو الشاةُ ضاع منهم وتفقَت ودرسَ أثرُه وانقطعَ خبره !

وما الذي كان تُرى يبعثُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على هذا التفريطِ والعجز والتواني ، وهو صاحبُ الشريعة ، والمأمورُ بحفظِه وصيانتِه ونصب الكَتَبةِ له ، ويَحضُرُه خَلْقٌ كثيرٌ متبتلون لهذا الباب ، ومنصوبون لكتبِ القرآن الذي يَنزِل ، وكتبِ العهودِ والصلح والأمانات وغير ذلك مما نزل ويَحدُثُ بالرسول خاصةً وبه حاجةٌ إلى إثباته...

والرسولُ عليه السلامُ منصوبٌ للبيان وحِياطةِ القرآنِ وحفظِ الشريعةِ فقط ، لا حرفةَ له ولا شيءَ يقطعُه من أمورِ الدنيا غيرُ ذلك إلا بنَصَبٍ يعود بنُصرةِ الدين وتوكيدِه ، ويثبتُ أمرَ القرآن ويُشيِدُه ، وكيف يجوزُ في العادةِ أن يذهبَ على هؤلاءِ وعلى سائرِ الصحابةِ آيةُ الرضاع والرجمِ فلا يحفظها ويذكرها إلا عائشةُ وحدَها ، لولا قلةُ التحصيلِ والذهابِ عن معرفةِ الضروراتِ ، وما عليه تركيبُ الفِطَرِ والعادات.

فقد بان بجملةِ ما وصفناه من حالِ الرسولِ والصحابةِ أنه لا يجوزُ أن يذهبَ عليهم شيءٌ من كتاب الله تعالى قلَّ أو كَثرُ ، وأنّ العادةَ تُوجِبُ أن يكونوا أقربَ الناسِ إلى حفظِه وحراستِه وما نزلَ منه وما وقع وتاريخِه وأسبابِه وناسخِه ومنسوخِه " [46]

قال السرخسي في المبسوط: أَمَّا حَدِيثُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - فَضَعِيفٌ جِدًّا؛ لِأَنَّهُ إذَا كَانَ مَتْلُوًّا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، وَنَسْخُ التِّلَاوَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا

[46] الانتصار للقرآن " (1/412-418)

يَجُوزُ فَلِمَاذَا لَا يُتْلَى الْآنَ.؟ وَذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ «فَدَخَلَ دَاجِنٌ الْبَيْتَ فَأَكَلَهُ» وَهَذَا يُقَوِّي قَوْلَ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ ذَهَبَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمْ يُثْبِتْهُ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - فِي الْمُصْحَفِ وَهُوَ قَوْلٌ بَاطِلٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَلَوْ ثَبَتَ أَنَّ هَذَا كَانَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، فَإِنَّمَا كَانَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ إِرْضَاعُ الْكَبِيرِ مَشْرُوعًا وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ الْحَدِيثُ الثَّانِي، فَإِنَّ إِنْبَاتَ اللَّحْمِ وَإِنْشَازَ الْعَظْمِ فِي حَقِّ الْكَبِيرِ لَا يَحْصُلُ بِالرَّضْعَةِ الْوَاحِدَةِ، فَكَانَ الْعَدَدُ مَشْرُوعًا فِيهِ ثُمَّ انْتَسَخَ بِانْتِسَاخِ حُكْمِ إِرْضَاعِ الْكَبِيرِ عَلَى مَا نُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.[47]

-3قال القرطبي في تفسيره: وَأَمَّا مَا يُحْكَى مِنْ أَنَّ تِلْكَ الزِّيَادَةَ كَانَتْ فِي صَحِيفَةٍ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَأَكَلَتْهَا الدَّاجِنُ فَمِنْ تَأْلِيفِ الْمَلَاحِدَةِ وَالرَّوَافِضِ.[48]

-4قال النسفي في مدارك التنزيل وحقائق التأويل : " وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض[49].

ويقول الألوسي رحمه الله:

"وأما كون الزيادة كانت في صحيفة عند عائشة فأكلها الداجن ، فمن وضع الملاحدة وكذبهم في أن ذلك ضاع بأكل الداجن من غير نسخ ، كذا في الكشاف " [50]

---

[47] ج 5ص 134

[48] – ج 14 – ص 113

[49] ج 3 – ص 14

[50] روح المعاني 140/11

تكذيبه لحديث عمر في آية الرجم

قال : أخرج البخاري ومسلم بإسنادهما عن ابن عباس ، قال : خطب عمر بن الخطاب خطبته بعد مرجعه من آخر حجة حجها ، قال فيها : ان الله بعث محمداً (ص) بالحق وانزل عليه الكتاب فكان مما انزل عليه الله آية الرجم . فقرأناها وعقلناها ووعيناها فلذا رجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده . فأخشى إن طال بالناس الزمان ان يقول قائل : والله مانجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله.(صحيح البخاري باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت حديث رقم 6442 ومسلم ج4ص167 وج5ص116)

كذلك نسب إلى عمر : إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم . أو ان كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم. البخاري ج8ص208 حديث رقم 6442 .

عن عمر قال : (لولا ان يقول الناس ان عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي) . (البخاري ج4 ص152و135 باب الشهادة عند الحاكم في ولاية القضاء).

ولعل القارئ سيصدم من هذا الذي سردناه الآن نقلا من الصحيحين وسيصدم أيضا من الأسلوب الركيك لما يوصف بأنها كانت آية من كتاب الله ، آية رجم الشيخ والشيخة اذا زنيا ، وسيشبعنا بعض المقلدة بكلام كبير متعرج عن نسخ التلاوة الذي جاءت به مخيلتهم لتمرير وتبرير هذا الهراء[51]

أولا : تخريج البخاري لحديث عمر بن الخطاب :

البخاري كتاب الحدود باب الاعتراف بالزنا رقم 6829 ج168/8

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال عمر: لقد خشيت أن يطول بالناس زمان، حتى يقول قائل: لا نجد الرجم

---

[51] 63

في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحصن، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف - قال سفيان: كذا حفظت - ألا وقد «رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده»

ثم أخرجه في باب رجم الحبلى من الزنا اذا احصنت رقم 6830 ج169/8 في حديث طويل منه قول عمر : " فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم."

ثم ذكره في ترجمة الباب معلقا ، قال : " باب الشهادة تكون عند الحاكم، في ولايته القضاء أو قبل ذلك، للخصم وقال شريح القاضي، وسأله إنسان الشهادة، فقال: «ائت الأمير حتى أشهد لك» وقال عكرمة: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: لو رأيت رجلا على حد، زنا أو سرقة، وأنت أمير؟ فقال: شهادتك شهادة رجل من المسلمين، قال: صدقت قال عمر: «لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله، لكتبت آية الرجم بيدي» وأقر ماعز عند النبي صلى الله عليه وسلم بالزنا أربعا، فأمر برجمه، ولم يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أشهد من حضره وقال حماد: «إذا أقر مرة عند الحاكم رجم» وقال الحكم «أربعا»[52]

---

[52] 69/9

ثانيا : لم ينفرد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمعرفة هذه الآية ، فقد ورد عن جماعة من الصحابة إثباتها. منهم ابي بن كعب و زيد بن ثابت و ذكرها عمر رضي الله عنه على المنبر في خطبة الجمعة ، وكان حاضراً في تلك الخطبة علماء الصحابة وفقهاؤهم وكبراؤهم ، وأقروه على إثبات هذه الآية ، ولم ينكر عليه أحد منهم .

ثم إن حد الرجم تواتر العلم و العمل به عند الصحابة فقد رواه : عمر ، و عثمان ، و علي ، و أبي هريرة ، و جابر بن عبد الله ، و جابر بن سمرة ، و عبادة بن الصامت ، و ابن عباس ، و أبي سعيد الخدري ، و بريدة ، و عمران بن حصين ، و زيد بن خالد الجهني ، و عبد الله بن أبي أوفى ، و ابن عمر . فهؤلاء أربعة عشر صحابيا ' أحاديثهم في صحيح البخاري و مسلم ، و أما من رواه من الصحابة في غير الصحيحين فهم أكثر ، و الأمر كما قال الإمام الشوكاني " ثبوت الرجم للزاني المحصن في هذه الشريعة ثابت بكتاب الله و بمتواتر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و بإجماع المسلمين أجمعين سابقهم و لاحقهم .."[53]

قال شيخ الاسلام : أن جلد الزاني ثابت بنص القرآن وكذلك الرجم كان قد أنزل فيه قرآن يتلى ثم نسخ لفظه وبقي حكمه وهو قوله: والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وقد ثبت الرجم بالسنة المتواترة وإجماع الصحابة. وبهذا يحصل الجواب عما يدعى من نسخ قوله: {واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم} الآية؛ فإن هذا إن قدر أنه منسوخ فقد نسخه قرآن جاء بعده؛ ثم نسخ لفظه وبقي حكمه منقولا بالتواتر .

ثالثا : مبحث النسخ من مباحث أصول الفقه و آية الرجم مما يذكره العلماء في "أصول الفقه" من مبحث "النسخ" للدلالة على ما نسخ لفظه وبقي حكمه . و عدم إيمانه بوقوع النسخ في القرآن لا يغير من الأمر شيء ، لأنه ليس ممن يعتد بخلافه .

و قد ثبت النسخ بالمتاب و السنة و إجماع العلماء ، و لم يخالف في ذلك إلا المعتزلة و الشيعة الجعفرية ، و أول من قال بعدم وقوع النسخ في القرآن أبو مسلم الأصفهاني من

---

[53] السيل الجرار ص 846

علماء القرن الرابع الهجري . هذا و قد خمد هذا الرأي طيلة القرون المنصرمة حتى أحياه أصحاب المدرسة العقلية الجديدة .

و قد قرر العلماء وقوع النسخ شرعا و عقلا في مباحث مبثوتة في كُتب التفسير وكُتب علوم القرآن وكُتب أصول الفقه .

رابعا : أما آية الرجم المنسوخة فقد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب و زيد بن ثابت و أبي بن كعب بالأسانيد الصحيحة عنهم كما عند مسلم و البخاري و ابن جرير الطبري في تهذيب الأثار .

قال ابن جرير : " إجماع الجميع من أهل العلم قديمهم و حديثهم على أن حكم الشيخ و الشيخة إذا زنيا قبل الأحصان الجلد دون الرجم)[54] . ثم ذكر الخلاف فيهما إذا كانا محصنين ، فذهب علي رضي الله عمه و بعض السلف أن عليهما الجلد و الرجم ، و ذهب عامة الصحابة و الفقهاء الى أن عليهما الرجم فقط . و لم يذكر خلافا غير ذلك ، و هو من أعلم الناس بالإجماع و الخلاف .

خامسا: من أقواله الفاضحة المضحكة الغريبة ، زعمه أن أسلوب آية الرجم ركيك ! هكذا قال دون إستحياء ، و هو الذي لا يستطيع صياغة جملة بأسلوب عربي فصيح خال من الأغلاط و الركاكة و الحشو .

و بنا أنه ليس من علماء البلاغة و البيان ، و لا عالما لغويا متخصصا في لغة القرآن و نظمه ،كان الواجب العلمي يحتم عليه أن يستشهد بنقل لأحد علماء اللغة و البلاغة ينتقد أسلوب الآية و نظمها . و لن يستطيع الى ذلك سبيلا إلا باجترار كلام أساتذته من القرآنيين العقلانيين الجدد . [55]

---

[54] تهذيب الآثار 875/2

[55] و انما وقع الطعن من بعض المعاصرين أمثال محمد صادق عرجون الذي تكلم في نظم الأية و أنه مخالف لنظم القرآن . و كذا مصطفى محمود الذي قال : الأية التي اختلقهوهالا تتماشى مع سلامة القرآن و جمال نظمه . و كذلك الكاتب جمال أبو حسان الذي تساءل كيف استساغ قبول هذا النص الركيك على أنه آية قرآنية .

تكذيبه لحديث عمر في آية الرجم

و بحث عن طعن لأحد علماء المعتزلة في نظم الأية ، فلم أجد فيهم من غمز بركاكة الأية ، فهذا الزمخشري العلامة المفسر النحوي الشهير لم يطعن في لغة الأية ، و إنما قال تعقيبا على قول أبي بن كعب (و لقد قرأنا منها آية الرجم { الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عزيز حكيم } : أراد أبي رضي الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن .[56]

[56] الكشاف 518/3 دار الكتاب العربي .

رد أحاديث الصحيح بدعوى إساءتها للمرأة

حديث الشؤم في المرأة و الدار و الفرس

قال أيلال : " و ورد في صحيح البخاري باب ما يتقى من شؤم المرأة 5093 عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال : " الشؤم في المرأة و الدار و الفرس " فهل يعقل أن يقول رسولنا الكريم ذلك و هو يتلو قوله تعالى { و إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا و هو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب إلا ما ساء ما يحكمون } (النحل الأية 59) . و هل يشبه رسولنا المرأة بالفرس و الدار ، أي بالحيماد ألا ساء ما يحكم به صحيح البخاري في هذا ، ألا ساء و حاشا رسولنا أن يقول ذلك و هو الذي يقول _ ما أكرمهن إلا كريم و ما أهانهن إلا لئيم) فهل يكون الرسول لئيما و هو الكريم ؟!!!" [1]

و رواه في الأدب المفرد رقم 916 ص 315

معمر بن راشد في جامعه رقم 19527 ج 411/10

مالك في الموطأ رقم 22 ج 972/2

ابن وهب في جامعه رقم 644 ج 1 / 735

ابو داود الطيالیسي في مسنده رقم 1930 ج 362/3

الحميدي في مسنده رقم 633 ج 518/1

أحمد في مسنده رقم 4544 ج 144/8 و رقم 4927 ج392/8 و رقم 5575 ج409/9 و رقم 5963 ج 175/10 و رقم 6095 ج262/10 رقم 6196 ج333/10 رقم 6405 ج459/10

و ابن ماجه في سننه رقم 1995 ج642/1

و ابو داود في سننه رقم 3922 ج19/4

و الترمذي في سننه رقم 2824 ج126/5

و النسائي في سننه رقم 3568-3569 ج220/6 و غيرهم

---

[11] ص 65

إن طريقة أيلال في ذكر حديث من الصحيح ثم بناء أحكام باطلة ، دون استقصاء باقي الاحاديث في الموضوع و دراستها و معرفة أراء العلماء في المسألة ، يعد خللا منهجيا فاضحا من كاتب أراد نسف (صحيح البخاري) !

لماذا لم يذكر أيلال باقي الروايات التي في الصحيح و خارجه ، و التي تفسر معنى حديث ابن عمر ؟

روايات البخاري

باب ما يتقى من شؤم المرأة وقوله تعالى: {إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم} [التغابن: 14] [2]

5093 - حدثنا إسماعيل، قال: حدثني مالك، عن ابن شهاب، عن حمزة، وسالم، ابني عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الشؤم في المرأة، والدار، والفرس» .

5094 - حدثنا محمد بن منهال، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا عمر بن محمد العسقلاني، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: ذكروا الشؤم عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن كان الشؤم في شيء ففي الدار، والمرأة، والفرس» .

5095 - حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن كان في شيء، ففي الفرس والمرأة والمسكن» .

5096 - حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن سليمان التيمي، قال: سمعت أبا عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» .

باب ما يذكر من شؤم الفرس[3]

2858 - حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني سالم بن عبد الله، أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس، والمرأة، والدار "

[2] صحيح البخاري 8/7
[3] صحيح البخاري 29/4

2859 - حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن أبي حازم بن دينار، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن كان في شيء، ففي المرأة، والفرس، والمسكن»

باب الطيرة

5753 - حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا يونس، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر، رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا عدوى ولا طيرة، والشؤم في ثلاث: في المرأة، والدار، والدابة "

5754 - حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن أبا هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا طيرة، وخيرها الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»

5755 - حدثنا عبد الله بن محمد، أخبرنا هشام، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا طيرة، وخيرها الفأل» قال: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»

5756 - حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام، حدثنا قتادة، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة "[4]

و في صحيح مسلم عن سهل بن سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن كان ففي المرأة و الفرس و المسكن) . و عنده من حديث جابر (إن كان في شيء ففي الرع و الخادم و الفرس)

وعند أحمد و أبي داود من حديث سعد بن أبي وقاص (لا عدوى و لا طيرة و لا هام و إن تكن الطيرة في شيء ففي المرأة و الفرس و الدار)

و قد إعترضت عائشة كما في مسند أحمد على من روى (الشؤم في ثلاثة) و أكدت أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قال (كان أهل الجاهلية يقولون أن الطيرة في الدابة و المرأة و الدار) .

[4] صحيح البخاري 135/7

حديث الشؤم في المرأة و الدار و الفرس

فهذه الأحاديث عن عائشة و جابر و سهل و سعد و ابن عمر تنفي الإطلاق الوارد في بعض روايات حديث ابن عمر (الشؤم في ثلاثة) و تؤكد كلها إما على نفيه مطلقا و أن ذلك من شأن أهل الجاهلية حيث كانوا يتطيرون و يتشاءمون من هذه الثلاثة أشياء فلا تتطيروا و لا تتشاءموا ، فإنه لا عدوى و لا طيرة . أو أنه ينفي عنها الشؤم المطلق كما يتصور أهل الجاهلية ، و لا ينفي مطلق الشؤم عنها ، بل إن كان يوجد منه شيء ففي هذه الأشياء إلا أنه على الحقيقة و في الواقع لا طيرة و لا تشاؤم .

فقه البخاري لهذه المسألة :

بوب البخاري لهذه المسألة بأبواب منها :

-1- (باب الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة) ، و أخرج تحته ثلاثة أحاديث عن ابن عمر بلفظ (الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة) ، و حديث عروة بن الجعد مثله ، و حديث أنس بلفظ (البركة في نواصي الخيل) .

و واضح من تبويب البخاري و ترجمته أنه يرى أن الخير و البركة في نواصي الخير ، و هذا ينافي كون الشؤم في الخيل . قال ابن حجر : " قال عياض : إذا كان في نولصيها البركة فيبعد أن يكون فيها شؤم ، فيحتمل أن يكون الشؤم في الحديث في غير الخيل التي ارتبطت للجهاد ، و أن الخير التي أعدت له هي المخصوصة بالخير و البركة "[5]

و قد أخرج البخاري أيضا حديث أبي هريرة (الخيل لثلاثة لرجل أجر ، و لرجل ستر ، و على رجل وزر) ، و كذا أخرجه مسلم في صحيحه .و فسر النبي صلى الله عليه وسلم أنها وزر علة من (ربطها فخرا ورياء و نواء لأهل الإسلام) و عند مسلم (الذي يتخذها أشرا و بطرا و بذخا و رياء الناس) .

-2- (باب ما يذكر من شؤم الفرس) ، و أخرج تحته حديث ابن عمر الذي ذكره أيلال ، و أتبعه البخاري بحديث سهل بن سعد (إن يكن الشؤم في شيء ففي المرأة و الفرس) .

و تبويب البخاري ظاهر بأنه لا يثبت الشؤم فيها ، و لهذا قال (ما يذكر) بصيغة التضعيف

[5] الفتح 55/6

للمعنى لا للحديث ، و كأنه فسر حديث ابن عمر بحديث سهل بعده مباشرة ، و أنه ليس على ظاهره و لا على إطلاقه . قال ابن حجر : باب ما يذكر من شؤم الفرس : أي هل هو على عمومه أو مخصوص ببعض الخيل ؟ و هل هو على ظاهره أم مؤزل ؟ و قد أشار بإيراد حديث سهل بعد حديث ابن عمر الى أن الحصر في حديث ابن عمر ليس على ظاهره و بترجمة الباب الذي بعده و هي (الخيل لثلاثة) على أن الشؤم مخصوص ببعض الخيل دون بعض و كل ذلك من لطيف نظره و دقيق فكره"[6]

-3- (باب ما يتقى من شؤم المرأة و قوله تعالى { إن من أزواجكم و أولادكم عدو لكم } . و أخرج تحته حديث ابن عمر بروايتيه الإثنتين (الشؤم في ثلاثة) و (ذكروا الشؤم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن كان الشؤم فسي شيء ففي الدارو المرأة و الفرس) . و هذه الرواية الثانية عن ابن عمر توافق عامة الروايات عن الصحابة ، و ترجح بذلك على الرواية الأولى ، و لهذا وافق تبويب البخاري هذا المعنى .

و قد فسر البخاري كما هو ظاهر من استشهاد بالأية بأن شؤم المرأة هو خاص ببعض النساء اللائي نص القرآن على أنهن عدو كبعض الأولاد بصرفهن أزواجهن عن الإيمان و عن طاعة الله و رسوله كما هو الحال من بعض الأزواج الذين يصدون نساءهم عن طاعة الله و رسوله ، فلفظ (أزواجكم) يشمل الرجال و النساء فهم أزواج لبعض ، فحمل البخاري معناالحديث الوارد على معنى هذه الأية .

قال ابن حجر : قال عبد الرزاق في مصنفه عن معمر سمعت من يفسر هذا الحديث يقول شؤم المرأة إذا كانت غير ولود وشؤم الفرس إذا لم يغز عليه وشؤم الدار جار السوء .

وروى أبو داود في الطب عن بن القاسم عن مالك أنه سئل عنه فقال كم من دار سكنها ناس فهلكوا ، قال المازري فيحمله مالك على ظاهره . والمعنى أن قدر الله ربما اتفق ما يكره عند سكنى الدار فتصير في ذلك كالسبب فتسامح في إضافة الشيء إليه اتساعا.

وقال بن العربي : لم يرد مالك إضافة الشؤم إلى الدار وإنما هو عبارة عن جري العادة فيها فأشار إلى أنه ينبغي للمرء الخروج عنها صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل .

---

6 الفتح 60/6

حديث الشؤم في المرأة و الدار و الفرس

وقيل معنى الحديث أن هذه الأشياء يطول تعذيب القلب بها مع كراهة أمرها لملازمتها بالسكنى والصحبية ولو لم يعتقد الإنسان الشؤم فيها فأشار الحديث إلى الأمر بفراقها ليزول التعذيب .

قلت وما أشار إليه بن العربي في تأويل كلام مالك أولى وهو نظير الأمر بالفرار من المجذوم مع صحة نفي العدوى والمراد بذلك حسم المادة وسد الذريعة لئلا يوافق شيء من ذلك القدر فيعتقد من وقع له أن ذلك من العدوى أو من الطيرة فيقع في اعتقاد ما نهي عن اعتقاده فأشير إلى اجتناب مثل ذلك والطريق فيمن وقع له ذلك في الدار مثلا أن يبادر إلى التحول منها لأنه متى استمر فيها ربما حمله ذلك على اعتقاد صحة الطيرة والتشاؤم .

وأما ما رواه أبو داود وصححه الحاكم من طريق إسحاق بن طلحة عن أنس قال رجل يا رسول الله إنا كنا في دار كثير فيها عددنا وأموالنا فتحولنا إلى أخرى فقل فيها ذلك فقال ذروها ذميمة وأخرج من حديث فروة بن مسيك بالمهملة مصغرا ما يدل على أنه هو السائل وله شاهد من حديث عبد الله بن شداد بن الهاد أحد كبار التابعين وله رواية بإسناد صحيح إليه عند عبد الرزاق قال بن العربي ورواه مالك عن يحي بن سعيد منقطعا قال والدار المذكورة في حديثه كانت دار مكمل بضم الميم وسكون الكاف وكسر الميم بعدها لام وهو بن عوف أخو عبد الرحمن بن عوف قال وإنما أمرهم بالخروج منها لاعتقادهم أن ذلك منها وليس كما ظنوا لكن الخالق جل وعلا جعل ذلك وفقا لظهور قضائه وأمرهم بالخروج منها لئلا يقع لهم بعد ذلك شيء فيستمر اعتقادهم قال بن العربي وأفاد وصفها بكونها ذميمة جواز ذلك وأن ذكرها بقبيح ما وقع فيها سائغ من غير أن يعتقد أن ذلك كان منها ولا يمتنع ذم محل المكروه وإن كان ليس منه شرعا كما يذم العاصي على معصيته وإن كان ذلك بقضاء الله تعالى .

وقال الخطابي هو استثناء من غير الجنس ومعناه إبطال مذهب الجاهلية في التطير فكأنه قال إن كانت لأحدكم دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس يكره سيره فليفارقه ، قال : وقيل إن شؤم الدار ضيقها وسوء جوارها وشؤم المرأة أن لا تلد وشؤم الفرس أن لا يغزى عليه .

وقيل المعنى ما جاء بإسناد ضعيف رواه الدمياطي في الخيل إذا كان الفرس ضروبا فهو مشئوم وإذا حنت المرأة إلى بعلها الأول فهي مشئومة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع منها الأذان فهي مشئومة. وقيل كان قوله ذلك في أول الأمر ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب الآية حكاه بن عبد البر والنسخ لا يثبت بالاحتمال لا سيما مع إمكان الجمع ولا سيما وقد ورد في نفس هذا الخبر نفي التطير ثم إثباته في الأشياء المذكورة .

وقيل يحمل الشؤم على قلة الموافقة وسوء الطباع وهو كحديث سعد بن أبي وقاص رفعه من سعادة المرء المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الهنيء ومن شقاوة المرء المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء أخرجه أحمد وهذا يختص ببعض أنواع الأجناس المذكورة دون بعض وبه صرح بن عبد البر فقال يكون لقوم دون قوم وذلك كله بقدر الله .

وقال المهلب ما حاصله : أن المخاطب بقوله الشؤم في ثلاثة من التزم التطير ولم يستطع صرفه عن نفسه فقال لهم إنما يقع ذلك في هذه الأشياء التي تلازم في غالب الأحوال فإذا كان كذلك فاتركوها عنكم ولا تعذبوا أنفسكم بها ويدل على ذلك تصديره الحديث بنفي الطيرة واستدل لذلك بما أخرجه بن حبان عن أنس رفعه لا طيرة والطيرة على من تطير وإن تكن في شيء ففي المرأة الحديث وفي صحته نظر لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس وعتبة مختلف فيه وسيكون لنا عودة إلى بقية ما يتعلق بالتطير والفأل في آخر كتاب الطب حيث ذكره المصنف إن شاء الله تعالى ..[7]

-4- أورد البخاري بعد حديث سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن كان في شيء، ففي الفرس والمرأة والمسكن» .

أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» . ليبين أن المقصود من الحديث المرأة التي يحصل منها الضررو الأذى . قال الشيخ تقي الدين السبكي في إيراد البخاري هذا الحديث عقب حديثي بن عمر وسهل بعد ذكر الآية في الترجمة إشارة إلى تخصيص الشؤم بمن تحصل منها العداوة والفتنة لا كما يفهمه بعض الناس من التشاؤم بكعبها أو أن لها تأثيرا في ذلك وهو شيء لا

---

[77] الفتح 6/62-63

حديث الشؤم في المرأة و الدار و الفرس

يقول به أحد من العلماء ومن قال إنها سبب في ذلك فهو جاهل وقد أطلق الشارع على من ينسب المطر إلى النوء الكفر فكيف بمن ينسب ما يقع من الشر إلى المرأة مما ليس لها فيه مدخل وإنما يتفق موافقة قضاء وقدر فتنفر النفس من ذلك فمن وقع له ذلك فلا يضره أن يتركها من غير أن يعتقد نسبة الفعل إليها ..[8]

قال الألباني في توجيه حديث: الشؤم في المرأة والدار والفرس :

" وجملة القول أن الحديث اختلف الرواة في لفظه، فمنهم من رواه كما في الترجمة، ومنهم من زاد عليه في أوله ما يدل على أنه لا طيرة أو شؤم "وهما بمعنى واحد كما قال العلماء"، وعليه الأكثرون، فروايتهم هي الراجحة، لأن معهم زيادة علم، فيجب قبولها، وقد تأيد ذلك بحديث عائشة الذي فيه أن أهل الجاهلية هم الذين كانوا يقولون ذلك، وقد قال الزركشي في " الإجابة " (ص128): " قال بعض الأئمة: ورواية عائشة في هذا أشبه بالصواب إن شاء الله تعالى (يعني من حديث أبي هريرة) لموافقته نهيه عليه الصلاة والسلام عن الطيرة نهيا عاما، وكراهتها وترغيبه في تركها بقوله: " يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، وهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون ".

قلت: وقد أشار بقوله: " بعض الأئمة " إلى الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى، فقد ذهب إلى ترجيح حديث عائشة المذكور في " مشكل الآثار "، ونحوه في " شرح المعاني " وبه ختم بحثه في هذا الموضوع، وقال في حديث سعد وما في معناه: " ففي هذا الحديث ما يدل على غير ما دل عليه ما قبله من الحديث، (يعني حديث ابن عمر برواية عتبة بن مسلم وما في معناه عن ابن عمر)، وذلك أن سعداً انتهر سعيداً حين ذكر له الطيرة، وأخبره عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه قال: لا طيرة، ثم قال: إن تكن الطيرة في شيء ففي المرأة والفرس والدار، فلم يخبر أنها فيهن، وإنما قال: إن تكن في شيء ففيهن، أي: لو كانت تكون في شيء

لكانت في هؤلاء، فإذ لم تكن في هؤلاء الثلاث فليست في شيء ".[9]

---

[8] 167/9

[9] "الصحيحة" (2/ 689، 692 - 693).

هل أحاديث البخاري فيها إحتقار و تنقيص للمرأة ؟

إن الإدعاء أن أحاديث البخاري فيها إحتقار و تنقيص للمرأة ، لا يصدر إلا عن مفتر مقلد ناقل لم تكتحل عينه بقراءة الجامع الصحيح و دراسة أحاديثه و سبر أغواره و التقاط درره و الوقوف على عظيم فقه مصنفه !

و قد صدق العلماء لما نصوا أن فقه البخاري في تراجم أبواب كتبه ، و من خلال تتبعننا لبعض هذه التراجم نقف على نظرة البخاري للمرأة :

- باب المرأة راعية في بيت زوجها.
- باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية .
- باب كسوة المرأة بالمعروف.
- باب خدمة الرجل في أهله.
- باب هل يداوي الرجل المرأة و المرأة الرجل.
- باب القصاص بين الرجال و النساء في الجراحات ، و قال أهل العلم يقتل الرجل بالمرأة و يذكر عن عمر تقاد المرأة من الرجل في كل عمد يبلغ نفسه فما دونهت من الجراح ، و به قال عمر بن عبد العزيز .
- باب خبر المرأة الواحدة .
- باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق.
- باب خروج النساء في المساجد بالليل و الغلس .
- باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف .
- باب وكالة المرأة للإمام في النكاح .
- باب هبة المرأة لغير زوجها .
- باب جهاد النساء.
- باب غزو المرأة في البحر .
- باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه .

الفصل السادس   تفنيد شبهات أيلال ول أحاديث الصحيح

حديث الشؤم في المرأة و الدار و الفرس

- باب غزو النساء و قتالهن مع الرجال .
- باب مداواة النساء الجرحى في الغزو .
- باب أمان النساء و جوارهن .
- باب خروج النساء لحوائجهن.
- باب بيعة النساء .
- باب هبة الرجل لإمرأته و المرأة لزوجها .
- باب هبة المرأة لغير زوجها و عتقها .
- باب شهادة النساء.
- باب ذهاب النساء و الصبيان الى العرس.
- باب المداراة مع النساء .
- باب حسن المعاشرة مه الأهل.
- باب تزويج اليتيمة .
- باب موعظة الإمام النساء يوم العيد.
- باب طواف النساء مع الرجال.
- باب البيع و الشراء مع النساء.

فهذه بعض أبواب من صحيح البخاري التي أخرج –رحمه الله – تحتها عشرات الأحاديث ، عدا عن الأبواب الأخرى العامة للرجال و النساء في أحكامها ، و هي عامة أبواب الجامع الصحيح التي بلغت نحو أربعة ألاف باب و ترجمة . و كل من درس هذه الأبواب يقف على مدى التضليل العلمي الذي مارسه أيلال في كتابه الأكذوبة !حيث أوهم قراءه بأن صحيح البخاري فيه طعن و تحقير و تنقيص للمرأة مستندا الى فهمه الكسيح لحديث واحد فسره بكل عبث و صلف .

فالبخاري في هذه الأبواب و أحاديثها يؤكد ما يلي :

الفصل السادس تفنيد شبهات أيلال ول أحاديث الصحيح

أولا : الحقوق السياسية للمرأة في :

(باب بيعة النساء) و قد أخرج تحت هذا الباب أربعة أحاديث عن بيعة النساء للنبي صلى الله عليه وسلم . و البيعة عقد بين طرفين كاملي الأهلية ، على أساسه قامت دولة النبي في المدينة بعد هجرته إليها ليكون نبيا إماما له حق الطاعة و النصرة في المنشط و المكره .

(باب جهاد النساء) و (باب غزو المرأة في البحر) قال ابن بطال : قد تقدم أن النساء لا غزو عليهن، وإنما غزوهن تطوع وفضيلة وعونهن للغزاة بسقى، وسقيهن وتشميرهن هو ضرب من القتال؛ لأن العون على الشيء ضرب منه، وقد روى عن أم سليم أنها كانت تسبق الشجعان فى الجهاد، وثبتت يوم حنين والأقدام قد زلت، والصفوف قد انتقضت والمنايا قد فغرت، والتفت إليها النبى (صلى الله عليه وسلم) وفى يدها خنجر فقالت: يا رسول الله، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يحاربونك.. وروى معمر، عن الزهرى قال: كان النساء يشهدن المشاهد مع رسول الله ويسقين المقاتلة ويداوين الجراح، ولم أسمع بامرأة قاتلت معه، وقد قاتل نساء من قريش يوم اليرموك حتى دهمتهم جموع الروم وخالطوا عسكر المسلمين فضربت النساء يومئذ بالسيوف، وذلك فى خلافة عمر.[10]

ثانيا : حقوقها الجنائية في باب القصاص بين الرجال و النساء ، و أنه لا فرق بينهما في الجنايات و الجروح و القصاص .

ثالثا : حقوقها المدنية و القانونية في باب وكالة المرأة للإمام ، فالبخاري يؤكد على مسؤولية المرأة و شخصيتها و حقها في أن توكل إمام المسلمين لتكون هي الأصيل الموكل و هو الوكيل عنها . و هذا لا يكون إلا لمن تحققت فيه الأهلية .

و كذلك باب أمان النساء و جوارهن ، و هو من أحق حقوق المرأة ، بحيث إذا أجارت أحدا من الأعداء أو أعطتهم الأمان في حال الحرب ، فإن أمانها يلزم المسلمين و إمامهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم هانئ بنت أبي طالب إبني عمه (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) و قال (يجير على المسلمين أدناهم) .قال الحافظ : قال بن المنذر أجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة إلا شيئا ذكره عبد الملك يعني بن الماجشون صاحب مالك لا أحفظ ذلك عن غيره قال إن أمر الأمان إلى الإمام وتأول ما ورد مما يخالف ذلك على قضايا خاصة

[10] 77/5

قال بن المنذر وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم يسعى بذمتهم أدناهم دلالة على إغفال هذا القائل انتهى وجاء عن سحنون مثل قول بن الماجشون فقال هو إلى الإمام إن أجازه جاز وأن رده رد"[11] و قال القسطلاني : وبه قال مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد. وعن سحنون وابن الماجشون: هو إلى الإمام إن أجازه جاز وإن ردّه ردّ[12]

و كذلك باب هبة المرأة فيه تأكيد أنها حرة في التصرف في مالها .

و كذلك باب البيع و الشراء مع النساء ، و ذكر في هـ حديث الرسول لعائشة : (اشتري و أعتقي ، فإنما الولاء لمن أعتق) .

رابعا : حقوقها الأسرية في باب المرأة راعية في بيت زوجها و باب كسوة المرأة بالمعروف ..

خامسا حقوقها الإجتماعية في باب الحياء في العلم ، فقد قول عائشة : نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين .

و في باب عيادة النساء الرجال .قال الحافظ : " وقد اعترض عليه بأن ذلك قبل الحجاب قطعا وقد تقدم أن في بعض طرقه وذلك قبل الحجاب وأجيب بأن ذلك لا يضره فيما ترجم له من عيادة المرأة الرجل فإنه يجوز بشرط التستر والذي يجمع بين الأمرين ما قبل الحجاب وما بعده الأمن من الفتنة " [13]

و في باب خروج النساء لحوائجهن و باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح و باب جواز ارداف المرأة الإجنبية .

حقوقها المهنية في باب مداواة النساء الجرحى و باب هل يداوي الرجل المرأة و المرأة الرجل .

---

[11] الفتح 273/6
[12] 237/5
[13] 118/10

رد أحاديث بدعوى منافاتها للعلم والعقل و الواقع

أثر عمرو بن ميمون

قال أيلال : ومن المضحكات المبكيات ما ورد في صحيح البخاري من أن قردة قد زنت فرجمها قردة ورجمها التابعي عمرو بن ميمون "وهناك من يعتقد أنه صحابي" معهم. ما هذا الذي يوجد في اصح كتاب بعد كتاب الله ، فقد ورد في الحديث رقم (3849) عن عمرو بن ميمون قال : (رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرَدَةٌ ، قَدْ زَنَتْ ، فَرَجَمُوهَا ، فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ) صحيح البخاري رقم (3849) .مع الإشارة إلى أن هذا الحديث ضعفه الألباني وغيره، لمن يعتقدون أن كل ما في صحيح البخاري صحيح.[1]

الأثر أخرجه البخاري 44/5 رقم (3849) . و التاريخ الكبير في ترجمة عمرو بن ميمون الأودي (2659) 367/6 ط دائرة المعرف العثمانية و أخرجه ابو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة 2047/4 رقم (5139) (5141) و الخرائطي في مساوئ الأخلاق ص 226 رقم (469) و اعتلال القلوب ص 94 رقم (181). و ابو بكر الاسماعيلي في مستخرجه و ابن عساكر من طريق الخرائطي تاريخ دمشق 46/ 415 – 416.

مسالك العلماء في رد الإعتراض :

- أن القردة من نسل المسخ .

قال ابن العربي : قال علماؤنا: اختلف الناس في الممسوخ؛ هل ينسل أم لا؟ فمنهم من قال: إن الممسوخ لا ينسل، ومنهم من قال ينسل، وهو الصحيح عندي...

أن اليهود غيروا الرجم فأراد الله أن يقيمه في مسوخهم حتى يكون أبلغ في الحجة على ما أنكروه من ذلك وغيروه، حتى تشهد عليهم كتبهم وأحجارهم ومسوخهم ، حتى يعلموا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون، ويحصي ما يبدلون وما يغيرون، ويقيم عليهم الحجة من حيث لا يشعرون وينصر نبيه عليه السلام وهم لا ينصرون.[2]

---

[1] ص67
[2] احكام القرآن 332/2

و قد رد هذا الرأي الحافظ ، قال : ذهب أبو إسحاق الزجاج وأبو بكر بن العربي إلى أن الموجود من القردة من نسل الممسوخ وهو مذهب شاذ [3]

- الخبر منكر و لو صح كانت القردة من الجن .

ذهب الى هذا ابن عبد البر ، قال في الإستيعاب : هذا عند جماعة أهل العلم منكر ، إضافة الزنا الى غير المكلف و إقامة الحدود في البهائم ولو صح لكانوا من الجن، لأن العبادات في الإنس والجن دون غيرهما.[4]

قال الحافظ : وقد استنكر بن عبد البر قصة عمرو بن ميمون[5] هذه وقال فيها إضافة الزنا إلى غير مكلف وإقامة الحد على البهائم وهذا منكر عند أهل العلم قال فإن كانت الطريق صحيحة فلعل هؤلاء كانوا من الجن لأنهم من جملة المكلفين وإنما قال ذلك لأنه تكلم على الطريق التي أخرجها الإسماعيلي حسب وأجيب بأنه لا يلزم من كون صورة الواقعة صورة الزنا والرجم أن يكون ذلك زنا حقيقة ولا حدا وإنما أطلق ذلك عليه لشبهه به فلا يستلزم ذلك إيقاع التكليف على الحيوان[6]

و الى هذا مال الشيخ اللباني فحكم على الأثر بالنكارة ، قال: هذا أثر منكر؛ إذ كيف يمكن لإنسان أن يعلم أن القردة تتزوج، وأن من خلقهم المحافظة على العرض، فمن خان قتلوه؟ ثم هب أن ذلك أمر واقع بينها، فمن أين علم عمرو بن ميمون أن رجم القردة إنما كان لأنها زنت؟!

وأنا أظنُّ أن الآفة من شيخ المصنف نعيم بن حماد؛ فإنه ضعيف متهم، أو من عنعنة هشيم؛ فإنه كان مدلسًا، لكن ذكر ابن عبد البر في" الاستيعاب" (3/ 1205) أنه رواه عباد بن العوام أيضاً عن حصين كما رواه هشيم مختصراً.

---

[3] 160/7

[4] الاستيعاب 1206/3

[5] انظر ترجمته في "تهذيب التهذيب" (8/ 11).

[6] 160/7

أثر عمرو بن ميمون

قلتُ: وعباد هذا ثقة من رجال الشيخين، وتابعه عيسى بن حطان عن عمرو بن ميمون به مطولاً. أخرجه الإسماعيلي. وعيسى هذا وثقه العجلي، وابن حبان، وروايته مفصلة تبعد النكارة الظاهرة من رواية نعيم المختصرة، وقد مال الحافظ إلى تقويتها؛ خلافاً لابن عبد البر. والله أعلم[7]

- الأثر ليس في نسخ الصحيح .

قاله الحميدي ، فرد عليه الحافظ بالقول : أغرب الحميدي في الجمع بين الصحيحين فزعم أن هذا الحديث وقع في بعض نسخ البخاري وأن أبا مسعود وحده ذكره في الأطراف قال وليس في نسخ البخاري أصلا فلعله من الأحاديث المقحمة في كتاب البخاري وما قاله مردود فإن الحديث المذكور في معظم الأصول التي وقفنا عليها وكفى بإيراد أبي ذر الحافظ له عن شيوخه الثلاثة الأئمة المتقنين عن الفربري حجة وكذا إيراد الإسماعيلي وأبي نعيم في مستخرجيهما وأبي مسعود له في أطرافه نعم سقط من رواية النسفي وكذا الحديث الذي بعده ولا يلزم من ذلك أن لا يكون في رواية الفربري فإن روايته تزيد على رواية النسفي عدة أحاديث قد نبهت على كثير منها فيما مضى وفيما سيأتي إن شاء الله تعالى وأما تجويزه أن يزاد في صحيح البخاري ما ليس منه فهذا ينافي ما عليه العلماء من الحكم بتصحيح جميع ما أورده البخاري في كتابه ومن اتفاقهم على أنه مقطوع بنسبته إليه وهذا الذي قاله تخيل فاسد يتطرق منه عدم الوثوق بجميع ما في الصحيح لأنه إذا جاز في واحد لا بعينه جاز في كل فرد فرد فلا يبقى لأحد الوثوق بما في الكتاب المذكور واتفاق العلماء ينافي ذلك والطريق التي أخرجها البخاري دافعة لتضعيف بن عبد البر للطريق التي أخرجها الإسماعيلي وقد أطنبت في هذا الموضع لئلا يغتر ضعيف بكلام الحميدي فيعتمده وهو ظاهر الفساد [8]

قال القسطلاني : وقول ابن الأثير في أسد الغابة كابن عبد البر أن القصة بطولها يعني المروية عند الإسماعيلي المذكورة تدور على عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان وليسا ممن يحتج بهما، وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر لإضافة الزنا إلى غير مكلف وإقامة الحدود

---

[7] مختصر صحيح الامام البخاري 2/535-536 مكتبة المعارف ط1 2002

[8] 7/160-161

على البهائم، ولو صح ذلك لكان من الجن لأن العبادات والتكليفات في الجن والإنس دون غيرهما. أجيب عنه: بأنه لا يلزم من كون عبد الملك وابن حطان مطعونًا فيهما ضعف رواية البخاري للقصة عن غيرهما بل مقوّية وعاضدة لرواية الإسماعيلي المذكورة، وبأنه لا يلزم من كون صورة الواقعة صورة الزنا أن يكون ذلك زنا حقيقة ولا حدًّا، وإنما أطلق ذلك عليه لشبهه به فلا يستلزم ذلك إيقاع التكليف على الحيوان.[9]

و من جهالات أيلال أنه ظن أن كل ما ذكره البخاري له حكم الرفع ! و هذه الرواية .كما هو ظاهر . ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا كلام أحد من أصحابه رضي الله عنهم، وإنما رواها البخاري رحمه الله حكاية عما شاهده عمرو بن ميمون، وهو الأودي، أبو عبد الله الكوفي، توفي سنة (74هـ)، أدرك الجاهلية والنبوة وأسلم، ولكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك لم يعده العلماء من الصحابة، وإنما من المخضرمين من كبار التابعين.

ثم إن البخاري لم يورد هذا الخبر في باب الحدود ليصح الإعتراض عليه أن الرجم لا يكون في غير المكلف ، بل ساقه في باب القسامة في الجاهلية في كتاب مناقب الأنصار ، ثم ساق ستة آثار فيها ذكر الجاهلية و ما كان قبل الإسلام !

قال الحميدي : فإن صحت هذه الرواية فإنما أخرجها البخاري دلالة على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية ولم يبال بظنه الذي ظنه في الجاهلية.[10]

قال ابن قتيبة الدينوري رحمه الله:

"قالوا – يعني المستهزئين بالسنة الطاعنين عليها –: رَويتم أن قرودا رجمت قردة في زنا .. ونحن نقول في جواب هذا الاستهزاء: إن حديث القرود ليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه، وإنما هو شيء ذكر عن عمرو بن ميمون ... وقد يمكن أن يكون رأى القرود ترجم قردة فظن أنها ترجمها لأنها زنت، وهذا لا يعلمه أحد إلا ظنا؛ لأن القرود لا تنبئ عن أنفسها، والذي يراها تتسافد لا يعلم أزنت أم لم تزن، هذا ظن، ولعل الشيخ عرف أنها زنت بوجه من الدلائل لا نعلمه، فإن القرود أزنى البهائم، والعرب تضرب بها المثل فتقول: أزنى من قرد، ولولا أن الزنا منه معروف ما ضربت به المثل، وليس شيء أشبه بالإنسان في الزواج والغيرة منه، والبهائم قد تتعادى ويثب بعضها على بعض، ويعاقب

[9] ارشاد الساري 183/6
[10] الجمع بين الصحيحين 784/11

أثر عمرو بن ميمون

بعضها بعضا، فمنها ما يعض، ومنها ما يخدش، ومنها ما يكسر ويحطم، والقرود ترجم بالأكف التي جعلها الله لها كما يرجم الإنسان، فإن كان إنما رجم بعضها بعضا لغير زنا فتوهمه الشيخ لزنا فليس هذا ببعيد، وإن كان الشيخ استدل على الزنا منها بدليل وعلى أن الرجم كان من أجله فليس ذلك أيضا ببعيد، لأنها على ما أعلمتك أشد البهائم غيرة، وأقربها من بني آدم أفهاما" انتهى.[11]

البخاري – رحمهُ اللهُ – لما ذكر هذا الأثرَ الذي ليس على شرطِهِ، إنما أراد الإشارةَ إلى فائدةٍ والتأكيدِ على أن عمرو بنَ ميمونٍ قد أدرك الجاهليةَ، مع العلم أنه ثقة عدل ، و الأسانيد اليه صحيحة ، فقد صح ما رأى ، و يبقى تأويل ما رأى ، فإن نسب اليه الخطأ و التوهم و خطئ في تأويله يبقى صدق خبره .

[11] "تأويل مختلف الحديث" (255 - 256).

أقصى مدة الحمل

قال أيلال : " بل إن الفقهاء والمحدثين خالفوا القرآن وخالفوا العلم وقالوا بأن مدة الحمل يمكن ان تصل الى خمس سنوات ، !!! هذا طبعا استنادا إلى المرويات "[12]

أولا : هذا مبحث فقهي مجاله كتب الفقه ، أقحمه أيلال عنوة لمزيد طعن في الحديث و أهله ، و حب في ايقاع الخصومة بين القارئ و المحدثين ، وربط الخرافة بين مرويات الحديث و خرافة الفقهاء !

ثانيا : والمسألة ليس فيها نص من القرآن أو السنة حتى نقول إن الدين تصادم مع العلم ، وإنما هي اجتهادات لأهل العلم المرجع فيها إلى الوجود ؛ أي أن من قال بقول ما ، ذكر أنه قد وجد في الواقع ما يشهد له ويؤيده . فاجتهدوا في تحديد أقصى مدة الحمل بناءا على ما وصلهم من أخبار و أحوال النساء في زمانهم ، و تبعا لذلك تعددت أقوالهم في المسألة .

ولهذا قال ابن رشد رحمه الله:

"وهذه المسألة مرجوع فيها إلى العادة ، والتجربة ، وقول ابن عبد الحكم ، والظاهرية : هو أقرب إلى المعتاد ، والحُكم : إنما يجب أن يكون بالمعتاد ، لا بالنادر ولعله أن يكون مستحيلاً" [13]

" وقال ابن عبد البر رحمه الله:

"وهذه مسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد ، والرد إلى ما عُرف من أمر النساء" [14]

وقال ابن عبد البر: هذه مسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد، والرد إلى ما عرف من أمر النساء.

---

[12] ص 69

[13] **بداية المجتهد" (358/2)**

[14] **"الاستذكار" (170/7)**

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي :أما أكثر أمد الحمل فلم يرد في تحديده شيء من كتاب ولا سنة، والعلماء مختلفون فيه، وكلهم يقول بحسب ما ظهر له من أحوال النساء.

وقد طعن ابن حزم رحمه الله في صحة الأخبار التي اعتمد عليها أولئك العلماء، وقالوا بأن الحمل يمكن أن يمتد لسنوات . فقال رحمه الله – تعليقاً على الأخبار التي تروى عن نساء حملن لعدة سنين: –

"وكلُّ هذه : أخبارٌ مكذوبةٌ ، راجعةٌ إلى مَنْ لا يَصْدق ، ولا يُعرف من هو ، ولا يجوز الحكم في دين الله تعالى بمثل هذا" [15]

و الفقهاء اليوم بعد أن ثبت لديهم أن الحمل لا يمكن أن يبقى كل هذه السنوات الطويلة ، أقروا بذلك ، و دونوه في قوانين أحوالهم الشخصية ، لأن الشرع لا يمكن أن يأتي بما يخالف الواقع أو الحس.

وحينئذ يمكن الاعتذار عن العلماء الذين قالوا بجواز المدة الطويلة ، بأنهم بنوا ذلك على ما وصلهم من أخبار و أحوال النساء . و بالتالي فإن قول أيلال أن الفقهاء و المحدثين خالفوا القرآن و العلم استنادا الى المرويات كلام فيه تدليس و افتراء ، فأين يجد في القرآن أن مدة الحمل لا تتعدى تسعة أشهر ؟ و هل يمكن الطعن في حكم فقيه قال به بناءا على ما كان متعارف عند النساء من أخبار الحمل الراكد ؟!

أما إدعاؤه أنهم بنوا أقوالهم على المرويات المحدثين فمن كذبه ، و قد مر أنفا أقوال العلماء أنه لا دليل عندهم من الكتاب أو السنة بل مجرد أخبار عن نساء حملن لسنوات ! و لو كان صادقا في دعواه فليذكر لنا حديثا واحدا جاء فيه أن مدة الحمل تصل لخمس سنوات !

---

[15] "المحلى" (316/10)

الطعن في حديث قتل الوزغ

قال أيلال : " و مما جناه الحديث على أمتنا ، هو أنه جعلها أمة متخلفة تؤمن بالخرافة و تناقض العلم ، و تنبذ العقل ، و من النماذج الحديثية التي نمثل بها على مصائب كتب الحديث ، و ما تزخر بها من تفاهات و خرافات و أساطير ما يلي : من الغرائب المضحكة في صحيح البخاري ، هذا الحديث الذي ينسب فيه الى نبي الرحمة أنه أمر بقتل الوزغ ، " أبو بريص" عند المشارقة أو " تقليت" عند المغاربة . و هو نوع من السحالي تعيش في سقوف المنازل القديمة أو المهجورة ، لأنها حسب صحيح البخاري كانت تنفخ النار على سيدنا ابراهيم عليه و على نبينا أفضل الصلوات و أزكى التسليم ، هل يمكن تصديق هذا الهراء ؟ ".[16]

أولا : الحديث لم يتفرد به البخاري

- أخرجه في باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} [النساء: 125]

حدثنا عبيد الله بن موسى ، أو ابن سلام عنه ، أخبرنا ابن جريج ، عن عبد الحميد بن جبير ، عن سعيد بن المسيب ، عن أم شريكرضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمر بقتل الوزغ ، وقال : كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام .

و أخرجه في باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال

حدثنا سعيد بن عفير ، عن ابن وهب ، قال : حدثني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، يحدث عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال للوزغ الفويسق ولم أسمعه أمر بقتله وزعم سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتله .

---

[16] ص 65

حدثنا صدقة بن الفضل ، أخبرنا ابن عيينة ، حدثنا عبد الحميد بن جبير بن شيبة ، عن سعيد بن المسيب ، أن أم شريك ، أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها بقتل الأوزاغ .

و أخرجه أيضا :

مسلم في صحيحه (4270) والنسائي في الصغرى (2869) وابن ماجه في سننه (3247)والدارمي في سننه (1990) والنسائي في الكبرى (2783) وأبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة (7324) وابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (643)والمحاملي في الأمالي (96) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (2939) وعبد بن حميد في مسنده (1564) والحميدي في مسنده (346) وعبدالرزاق في مصنفه (8132)

ثانيا : الوزغ من الفواسق !

لم يقل العلماء أن العلة في قتل الوزغ هو النفخ على ابراهيم عليه السلام فقط ، بل لكونه من الفواسق ذوات السموم !

ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :للوزغ الفويسق ولم أسمعه أمر بقتله وزعم سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتله . و في مسلم أن النبي أمر بقتل الوزغ و سماه فويسق .

و قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الفواسق الخمس ، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خمس فواسق يقتلن في الحرم : الفأرة و العقرب و الحديا و الغراب و الكلب العقور .متفق عليه .

الطعن في حديث قتل الوزغ

قال ابن بطال المالكي : قال المهلب: فى تسمية النبى (صلى الله عليه وسلم) الوزغ: فواسقًا ما يدل على عقرها، كما سمى العقورات كلها: فواسق .[17]

قال ابن عبد البر : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الوزغ وسماه فويسقا . رواه بن شهاب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن بن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار بذلك متواترة وقد ذكرنا بعضها في التمهيد . وقد أجاز مالك قتل الحية والأفعى وليست من الخمس التي سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم . والكلب العقور عنده صفة لا عين مسماة فيدخل في ذلك أكثر من الخمس .[18]

و قال في التمهيد : وليس قول من قال لم أسمع الأمر بقتل الوزغ بشهادة والقول قول من شهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وقد أجمعوا أن الوزغ ليس بصيد وأنه ليس مما أبيح أكله . حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا محمد بن بكر (قال حدثنا أبو داود) قال حدثنا أحمد بن حنبل قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه قال أمر رسول الله عليه السلام بقتل الوزغ وسماه فويسقا والآثار في قتل الوزغ كثيرة جدا .[19]

قال ابو الوليد الباجي : وأما الوزغ فهل يقتلها الحلال في الحرم قال مالك لا بأس بذلك ولو تركت لكثرت وغلبت فجعل مالك - رحمه الله - أذاها في كثرتها؛ لأن لها أذى بإفساد ما تدخل فيه مع أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سماها فاسقة غير أن مالكا كره للمحرم بنسك أن يقتلها ومعنى ذلك أنه لا يكون غالبا إلا في البيوت وحيث يقتله ويدفع مضرته الحلال ومدة الإحرام يسيرة والفرق بينه وبين الفأر أن الفأر أكثر أذى وتسليطا وأسرع في الفرار والعودة وهذا إنما هو من مالك - رحمه الله - على وجه الكراهية؛ لأن عائشة - رضي الله عنها - قالت «سماه النبي - صلى الله عليه وسلم - فويسقا ولم أسمعه أمر بقتله» فلو

---

[17] شرح صحيح البخاري 494/4

[18] الاستذكار 156/4

[1919] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ج 15/187-188

كانت عائشة – رضي الله عنها – ممن روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمره بقتل الفواسق الخمس ولم تسمعه أمر بقتل الوزغ توقف عن قتله حال الإحرام قال مالك وسمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر بقتله فحمل ذلك على حال الإحلال سواء كان في الحرم أو غيره لما قدمنا ذكره.[20]

قال ابن هبيرة : إنما أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتل الوزغ لأنه من ذوات السموم، وقد ذكره الأطباء في ذوات السموم، وقد يجبن بعض الناس عن قتله، فأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقتله.

فأما تسميته إياه (فويسقا) فإنها تكون مستترة فلا يحس بها إلا إذا خرجت للأذى؛ كما يقال: فسقت الرطبة؛ إذا خرجت من قشرها.[21]

قال شهاب الدين السفاريني : واتّفق العلماء على أنّ الوزغ من الحشرات المؤذية.

وقال ابن دقيق العيد: من عَلَّلَ بالأذى يقول: إنّما خُصَّتْ هذه الأشياءُ بالذّكر؛ ليتنبّه بها على ما في معناها، وأنواعُ الأذى مختلفةٌ فيها، فيكونُ ذكرُ كلِّ نوعٍ منها منبهًا على جواز قتل ما فيه ذلك النّوع، فنبّه بالحية والعقرب على ما يُشاركهما في الأذى باللسع؛ كالبرغوث مثلًا. ونبّه بالفأرة على ما أذاه بالنّقب والقرض؛ كابن عِرْس. ونبّه بالغراب والحِدأَة على ما أذاه بالاختطاف؛ كالصقر والبازي.

ونبّه بالكلب العقور على كل عادٍ بالعقر والافتراس بطبعه؛ كالأسد والفهد والنّمر .[22]

ثالثا : نفخ الوزغ النار على ابراهيم :

---

20 المنتقى شرح الموطإ ج2ص 262 مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر
الطبعة: الأولى، 1332 هـ

21 الإفصاح عن معاني الصحاح ص 344 يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (المتوفى: 560هـ) المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد . دار الوطن 1417هـ

22 كشف اللثام شرح عمدة الأحكام 4/220-221
شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188 هـ)
تحقيق : نور الدين طالب الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، دار النوادر – سوريا
الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م

الطعن في حديث قتل الوزغ

قال شهاب الدين التوربشتي : حديث أم شريك - رضي الله عنه - (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على إبراهيم) الوزغ: الدويبة التي يقال لها: سام أبرص، والجمع وزغان وقيل: سمي وزغا لخفته وسرعة حركته، وقوله: (كان ينفخ على إبراهيم) ليس بتعليل للقتل، وإنما ورد مورد البيان لفساد ذلك الجنس وخبثه، وأنه أبلغ في ذلك مبلغ النهاية؛ وليدل ذلك على أنه من الدواب التي سخرت للشياطين، فتستعمله فيما يكاد يتأتى منه من الخبث والفساد حتى استعملته في النفخ على إبراهيم، أي: نفخ في النار التي ألقي إليها خليل الله - صلى الله عليه وسلم - وإنما قال (على) تنبيها على أنه صنع ذلك إعانة على نبي الله.[23]

قال البيضاوي : "وكان ينفخ على إبراهيم":بيان لخبث هذا النوع وفساده, وأنه بلغ في ذلك مبلغا استعمله الشيطان, فحمله على أن ينفخ في النار التي ألقي فيها خليل الله صلوات الله عليه, وسعي في إشعالها, وهو في الجملة من ذوات السموم المؤذية.[24]

رابعا : ماذا عن القصص القرآني ؟

إن استنكار ايلال أن ينفخ الوزغ النار على ابراهيم ، أمر مستنكر و غريب من شخص يسوق نفسه مدافعا عن القرآن الكريم و داعيا الى العمل به لأنه هو الوحي الوحيد الذي أمرنا باتباعه ! و قد علم أن في القرآن الكريم نملة تكلم طائفة من النمل و يسمع نبي الله سليمان كلامها ! و فيه تسخير الجن و الرياح و الطير لسليمان !

---

[23] الميسر في شرح مصابيح السنة ج3ص 944 فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي (المتوفى: 661 هـ) المحقق: د. عبد الحميد هنداوي مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة: الثانية، 1429 هـ - 2008 هـ

[24] تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة 94/3 القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت 685هـ)
المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت
1433 هـ - 2012م

الفصل السادس   تفنيد شبهات أيلال حول أحاديث الصحيح

و فيه الطير الهدهد يكلم سليمان و أن أحاط بما لم يحط به علما !

و فيه نفرا من الجن يستمعون القرآن !

و فيه أن طيرا أبابيل أهلكت جيش أبرهة بحجارة من سجيل !

و فيه أربعة من الطير يفصل ابراهيم عليه السلام أجسادها ثم يدعوهن فياتينه سعيا !

و فيه عصى موسى تنقلب حية تسعى !

اللى غير ذلك من الأيات التي ذكرها الله تأييدا لرسله و بيانا لقدرته و عظمته .

فما جواب أيلال على هذه الأمور الغيبية باعتبار أن العقل الحداثي يستنكرها و يعتبرها أساطير و خرافات ؟

فإذا قبلها عقله و أمن بها قلبه ، فعليه أن يقبل هذه الأمور الغيبية إذا وردت في السنة الصحيحة ؟ و إلا فهذا خلل في المنهج و تناقض بين لا يقبله العقل نفسه !

سجود الشمس تحت العرش

قال : حديث آخر غريب في صحيح البخاري يفنده العلم الحديث بطريقة جلية وقاطعة وواضحة ، وهو حديث غروب الشمس الوارد في كتاب تفسير القرءان من صحيح البخاري (4524) ، جاء فيه:" حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى { والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم }" (سورة يس 38) .هذا الحديث يبين أن الشمس عندما تغرب فإنها تذهب لتسجد تحت عرش الرحمن ، وهذا واضح من خلال الحديث وهو يتناقض مع العلم الذي يثبت أن غروب الشمس على بعض المناطق ، يعني إشراقها على مناطق أخرى ، حيث أن الغروب والشروق ناتج عن دوران الأرض حول نفسها وليس عن حركة الشمس ، لكن مازالت بعض الأفهام تقدس البخاري وتفضل أن تنسب هذه الخرافة للرسول على أن تنسب الخطأ لمؤلف الصحيح.[25]

أولا : البخاري لم يتفرد برواية هذا الحديث ، بل رواه جمع من المحدثين منهم :

ابو داود الطياليسي في مسنده رقم 462 . أحمد في مسنده رقم 21300-21352-21541-21459-21543. الطحاوي في مشكل الأثار رقم 281 . ابن حبابن رقم 6154-6153 . المعجم الأوسط للطبراني رقم 4470 . العظمة لابي الشيخ الأصبهاني ج1188/4. التوحيد لابن منده رقم 28 . المستدرك على الصحيحين رقم 2961

ثانيا : يكفي في سجود الشمس واستئذانها القول بأن عدم العلم ليس بدليل على العدم وهي قاعدة مشهورة وأكثر عمل الجهال على خلافها، فعدم الوقوف على حقيقة سجودها واستئذانها لا يلزم منه نفي إمكان السجود والاستئذان، ولذلك يقال لمن ارتاب: إذا أوضحت لنا حقيقة سجود الشمس والقمر والنجوم والشجر في قوله تعالى: (الم تر أن الله

[25] ص 67-68

يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) نقول إذا استطعت أن توضح لنا حقيقة ذلك فانتقل إلى إيضاح حقيقة الأخص وهو سجود الشمس تحت العرش ذلك أن تفسير الأعم في الأغلب أيسر من تفسير الأخص لما يكتنف الأخص من التقييدات والتحرزات التي لا يتفطن لها كثير من أرباب العلوم فضلاً عن عوام الناس. فالجاهل يراها من المستحيلات الممتنعات، والأعلم منه يراها من المحارات الممكنات، والناس بين هؤلاء وهؤلاء درجات.

والحق أن الله قد اختص كل مخلوق بسجود يناسب هيئته وخِلقته لا يشترك فيه مع غيره إلا بموجب الاشتراك اللفظي لا الاشتراك الفعلي الحقيقي المطابق للفعل والهيئة، وقد أخبرنا الله تعالى أن الشجر يسجد مع كونه أمام ناظرنا صباحاً ومساءً بل يقطف ثمره ويجلس في ظله ومع ذلك لا نقول الشجر لا يسجد. مع أن هذا أدعى للاستنكار لقرب الشجر منا وملامستنا له و رؤيتنا له على الدوام وأكلنا من ثمره. فدل هذا على جهل بني آدم بحقيقة سجود هذه المخلوقات و حقيقة تسبيحها لله عز وجل، قال تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) فحسم الخلاف وقطع الريب والجدال بنفي قدرتنا على إدراك حقيقة التسبيح، فيصبح السؤال عن ذلك من أشد التكلف. فإذا استقرت هذه المسألة في الأذهان انقطع المستشكل عن بحث ما وراء ذلك والخوض فيه إذ كيف يُتوصل إلى نتيجة صحيحة دون القطع بفهم حقيقة مقدمات تلك النتيجة وهو الأمر المنتفي هنا. ومن المعلوم أن صحة النتيجة هو ملزوم صحة المقدمات و صحة المقدمات هو ملزوم صحة إدراك وفهم المقدمات. فاتهام الرأي البشري المحدود المتقلب يأتي قبل اتهام الحقائق الخارجية التي لا تتغير ولا تتبدل (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا).

ما المراد بالغروب المذكور في الحديث؟

الذي يظهر أن معنى "الغروب" قد التبس على قوم فظنوا أن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (أتدري أين تغرب) هو التواري التام عن نظر جميع أهل الأرض وأن هذا من لوازم السجود المذكور ولفظ الحديث لا يومئ إلى هذا ولا يدل عليه فضلاً عن أن يكون من لوازم لفظ الغروب. والحق أن المراد بالغروب الذهاب لا الغياب التام كما فسرته لفظة الرواية الأخرى

سجود الشمس تحت العرش

وهو قوله صلى الله عليه وسلم (أتدري أين تذهب) وهذا معنى صحيح من حيث اللغة وهو مستعمل عند العرب، قال ابن منظور "غرب القوم غرباً (أي) ذهبوا"، كما أن باقي الحديث في روايات فيه "إنها تذهب ... " وفائدة لفظة الذهاب أنها تتضمن معنى الحركة فما من ذاهب إلا وهو متحرك. صحيح أن الشمس "تغرب" عن نظر قوم ولكن هذا بالنسبة إليهم ولذلك يجب التفريق بين حقيقة "الغروب" ومجرد "رأي العين"، كما في قوله تعالى (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) وهذا صحيح برأي البصر ولذلك نسب المرئي إلى من يراه فقال "وجدها". قال الإمام القرطبي – رحمه الله: ((قال القفال قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغربا ومشرقا وصل إلى جرمها ومسها ; لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض , وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض , بل هي أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة , بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق , فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة , كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض ; ولهذا قال: " وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا " ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم , بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم. وقال القتبي: يجوز أن تكون هذه العين من البحر , ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها أو معها أو عندها , فيقام حرف الصفة مقام صاحبه والله أعلم)) أ.

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله: ((وقوله: " وجدها تغرب في عين حمئة " أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه)) أ. هـ.

قلت: ومثله قول الناس "غابت الشمس في الأفق" مع أنها لا تغيب في الأفق حقيقة وإنما تتوارى عنا من وراء الأفق لا فيه لأن الشمس أكبر من الأرض بمئات المرات فكيف تغيب في أفق الأرض الصغير جداً؟ كما أنها خارج محيط الأرض بل تبعد عنها آلاف الكيلومترات فكيف تغيب في الأفق؟ ومع ذلك نقول غابت في الأفق من باب التجوز لا على وجه الحقيقة.

فالخلاصة أن المراد بلفظ "الغروب" في الحديث الذهاب والسير والجريان كما هو مفسر في الرواية الأخرى وكما هو مستعمل في لغة العرب وكما جاء في قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها)، فالغروب في حقيقته ليس إلا جريان الشمس وليس للشمس مغرب حقيقي ثابت، قال الإمام ابن عاشور – رحمه الله: ((والمراد بـ {مَغْرِبَ الشَّمْسِ} مكان مغرب الشمس من حيث يلوح الغروب من جهات المعمور من طريق غزوته أو مملكته. وذلك حيث يلوح أنه لا أرض وراءه بحيث يبدو الأفق من جهة مستبحرة، إذ ليس للشمس مغرب حقيقي إلا فيما يلوح للتخيل)). أ. هـ.

و قد بين ذلك عليه الصلاة والسلام فقال:" فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش" كما عند البخاري وغيره. ولم يقل عليه الصلاة والسلام أنها "تغرب تحت العرش" أو يقل "حتى تغرب تحت العرش"، وهذا وهم توهمه بعض الناس الذين أشكل عليهم معنى هذا الحديث وهو مردود لأن ألفاظ الحديث ترده. فقوله:"تذهب" دلالة على الجريان لا دلالة على مكان الغروب لأن الشمس لا تغرب في موقع حسي معين وإنما تغرب في جهة معينة وهي ما اصطلح عليه الناس باسم الغرب والغروب في اللغة التواري والذهاب كما ذكره ابن منظور وغيره يقال غرب الشيء أي توارى وذهب وتقول العرب أغرب فلان أي أبعد وذهب بعيداً عن المقصود. إذا تقرر هذا اتضح معنى آخر وهو أن الشمس لا تسجد تحت العرش عند كل غروب تغربه عن أنظار كل بلد، فإن هذا هو اللبس الذي ينشأ عند من فهم أن الشمس تسجد عند كل غروب يراه أهل كل قطر، ولو كان الأمر كذلك لكانت ساجدة على الدوام ولاستنكر أهل الأرض ذلك، ولذلك جاءت فائدة الاحتراز من هذا الاحتمال في رواية مسلم (ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا). والشمس إنما تسجد مرة واحدة وذلك عند محاذاتها لباطن عرش الرحمن، كما أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية. ويؤيد هذا قول الحافظ ابن حجر في الفتح (قلت (الحافظ): وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري. والله أعلم).

قلت: وقول الحافظ (كل يوم وليلة) أي كل أربع وعشرين ساعة وهي فترة دوران الشمس حول الأرض دورة كاملة (أو على قول من يؤول الأدلة ويرى ثبات الشمس: فترة دوران الأرض حول نفسها دورة كاملة).

ولذلك قال الإمام الخطابي – كما نقله الحافظ في الفتح – رحمه الله (يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقرارا لا نحيط به نحن ... وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دورانها في سيرها).

وعند محاذاتها لباطن العرش فإنها تكون عندئذٍ مقابل سمت أو حد من الأرض يحدث عند مواجهته السجود المذكور. ولكن هذا السمت أو الحد أو المنتهى – كما قال الإمام ابن عاشور– لا قِبَل للناس بمعرفة مكانه. قال رحمه الله في "التحرير والتنوير" في تفسير قوله تعالى "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم": ((وقد جعل الموضع الذي ينتهي إليه سيرها هو المعبر عنه بتحت العرش وهو سمت معيّن لا قبل للناس بمعرفته، وهو منتهى مسافة سيرها اليومي، وعنده ينقطع سيرها في إبان انقطاعه وذلك حين تطلع من مغربها، أي حين ينقطع سير الأرض حول شعاعها لأن حركة الأجرام التابعة لنظامها تنقطع تبعاً لانقطاع حركتها هي وذلك نهاية بقاء هذا العالم الدنيوي)) ا. هـ.

وقال الحافظ – رحمه الله – في الفتح في شأن المحاذاة التحتية (وأما قوله " تحت العرش " فقيل هو حين محاذاتها. ولا يخالف هذا قوله: (وجدها تغرب في عين حمئة) فإن المراد بها نهاية مدرك البصر إليها حال الغروب) .

وقال الطيبي رحمه الله – كما نقله صاحب تحفة الأحوذي – بشأن حقيقة الاستقرار (وأما قوله مستقرها تحت العرش فلا يُنكَر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده , وإنما أخبر عن غيب فلا نكذبه ولا نكيفه. لأن علمنا لا يحيط به)

وهذا السمت أو الحد أو المنتهى المعبر عنه في الحديث بحرف "حتى" للدلالة على الغاية والحد فهو كالسمت (ولا أقول هو السمت الذي في الحديث) الذي نصبه الجغرافيون على الخارطة الأرضية ويسمونه خط الطول الممتد من أقصى شمال الأرض إلى أقصى جنوبها فإذا

حاذت الشمس هذا السمت الذي هو منتهى سيرها اليومي مع محاذاتها في ذات الوقت لمركز باطن العرش فإنها تسجد سجودا على الكيفية التي لا يلزم منها أن توافق صفة سجود

سجود الشمس تحت العرش

الآدميين وعلى هيئة لا تستلزم استنكار الناس من أمرها شيئا كما جاء في الحديث (ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا).

وأما من جهة الدلالة اللغوية و الشرعية للحديث فإن السجود في اللغة يأتي بمعنى الخضوع كما ذكره ابن منظور وغيره. وحمّله – بتشديد الميم – بعض المفسرين المذكور في قوله تعالى في آية الحج:" ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء " قال ابن كثير رحمه الله:" يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به" ا. هـ. وعليه فسجود الشمس مما يختص بها ولا يلزم أن يكون سجودها كسجود الآدميين كما أن سجودها متحقق بخضوعها لخالقها وانقيادها لأمره وهذا هو السجود العام لكل شيء خلقه الله.

ولكن لو قال قائل:"هل تنتفي صفة السجود عن الشمس إذا كانت لا تسجد إلا تحت العرش فلا تكون خاضعة إلا عند سجودها تحت العرش وفي غير ذلك من الأحايين لا تكون؟

والجواب أن الشمس لها سجدتان: سجود عام مستديم وهو سجودها المذكور في آية الحج السابقة و آية النحل (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) مع سائر المخلوقات، وسجود خاص يتحقق عند محاذاتها لباطن العرش فتكون ساجدة تحته وهو المذكور في الحديث وفي كلا الحالتين لا يلزم من سجودها أن يشابه سجود الآدميين لمجرد الاشتراك في لفظ الفعل الدال عليه. ومن أمثلة ذلك أن مشي الحيوان ليس كمشي الآدمي وسباحة السمك والحوت ليست كسباحة الإنسان وهكذا، مع أنهم يشتركون في مسمى الفعل وهما المشي والسباحة.

ومع أن الشمس و المخلوقات بأجمعها تحت العرش في كل وقت إلا أنه لا يلزم أن تكون المخلوقات بأجمعها مقابلة لمركز باطن العرش لأن العرش كالقبة على السماوات والمخلوقات، والشمس في سجودها المخصوص إنما تحاذي مركز باطن العرش فتكون تحته بهذا الاعتبار كما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية بشأن المحاذاة التحتية للعرش، وكما قرره ابن تيمية رحمه الله في فتاواه وسائر أئمة أهل السنة من حيث أن العرش كالقبة وهو معلوم من حديث الأعرابي الذي أقبل يستشفع بالرسول صلى الله عليه وسلم وقصته مشهورة ثابتة.

والخلاصة أن سجود الشمس على المعنى الذي ذكرناه غير ممتنع أبدا ولا يخالف الحديث صريح العقل إنما قد يخالف ما اعتاد عليه العقل ومألوفه وهذا ليس معياراً تقاس به الممكنات الكونية فضلاً عن الممكنات الشرعية لأن الله على كل شيء قدير ولأن المألوفات نسبية باعتبار منشأ الناس واختلاف عقولهم وعلومهم. والسامع مثلاً لما تخرج به فيزياء الكم من العجائب والأسرار كمبدأ اللاحتمية لهايزنبرج وتجربة شرودنجر ونظرية العوالم المتناظرة وغيرها من الظواهر المحيرة للعقول – وإن كان هذا ليس موضع تفنيدها – يوقن بأن لله حكم بالغة يطلع من يشاء عليها ويستأثر بما يشاء عنده..[26]

وهذا السجود للشمس لا ندري كيفيته ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى الذي يسجد له كل من في السماوات والأرض كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: 18] .

وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ – وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ – يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [النحل: 48 – 50] .

قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن عظمته وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الأشياء بأسرها جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، أي: بكرة وعشيا، فإنه ساجد بظله لله تعالى "[27] .

[26] رفع اللبس عن حديث سجود الشمس للدكتور عبدالله بن سعيد بن علي الشهري

[27] تفسير ابن كثير 572/2

وقد تكلم العلماء – رحمهم الله تعالى – عن حديث سجود الشمس تحت العرش وردوا على من أول ذلك، وبينوا أن سجودها تحت العرش سجود حقيقي.

سجود الشمس تحت العرش

قال أبو سليمان الخطابي – رحمه الله – في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مستقرها تحت العرش» قال: " لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده وإنما أخبرنا عن غيب فلا نكذب به ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به. . ."[28]

قال القاضي عياض عقب شرحه للحديث السابق: " وهو على ظاهره عند أهل الفقه والحديث والمتكلمين من أهل السنة خلافا لمن تأوله من المبتدعة والباطنية، وهو أحد أشراط الساعة العظام المنتظرة "[29]

وقال الإمام النووي – رحمه الله –: " وأما سجود الشمس فهو بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى "[30].

وقال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: يسجد لعظمته تعالى كل شيء طوعا وكرها، وسجود كل شيء مما يختص به .[31]

قال الدكتور أحمد شوقي إبراهيم: الحديث الشريف يصور اندفاع الشمس في فلكها الحلزوني الذي اكتشف حديثًا جدًّا، وهي ترتفع وتجري ثم ترتفع وتجري، ومعنى لا يستنكر الناس منها هذه الحركة؛ لأنهم لا يشعرون بحركتها لتحرك الأرض تحتهم حول نفسها وحول الشمس، فيصعدون معها حين تصعد، ويهبطون معها أينما هبطت؛ لذلك لا يستنكرون حركة الشمس، لكونهم يتحركون معها، ومعنى سجود الشمس تحت العرش، أن ملكوت السماوات والأرض في جوف ملكوت الكرسي، كما في قوله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} وملكوت الكرسي في جوف ملكوت العرش، كما في الحديث الشريف الذي رواه أنس –

---

[28] شرح السنة للبغوي (15 / 95) . والبيهقي في " الأسماء والصفات " ص 393-394

[29] إكمال المعلم 700/3

[30] شرح صحيح مسلم للنووي (2 / 197)

[31] تفسير ابن كثير (3 / 571)

رضي الله عنه: "الكرسي في جوف العرش"، إذن فالسماوات والأرضين كرة داخل كرة أكبر منها هي ملكوت الكرسي، وهذه كرة داخل كرة أخرى هو ملكوت العرش.

وعلى ذلك فالسماوات والأرضون تحت الكرسي، والكرسي تحت العرش، ولما كان كل ما في السماوات والأرض يسجد لله تعالى، فإنما يسجدون له تحت العرش، فالشمس أينما كانت تسجد تحت العرش، والناس جميعًا على الأرض يسجدون تحت العرش، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم.[32]

[32] التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية ص 157 علي علي صبح .الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث

طعنه في حديث (فقدت أمة من بني اسرائيل).

قال أيلال : " ومن الغرائب المضحكة والأساطير الغريبة المغرقة في الخرافة والمؤسسة للجهل المطبق ما ورد في صحيح البخاري منسوبا للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه اعتبر الفأر أمة فقدت من بني اسرائيل !!! خرافة من خرافات صحيح البخاري المضحكة سيدافع عنها الجهلاء بشكل غريب فقط لأنها وردت في هذا الكتاب الذي يعج بالخرافات والإساءات لمقام النبوة ومقام الالوهية بشكل غريب واليكم نص الحديث (3129) : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب عن خالد عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت وإني لا أراها إلا الفار إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت فحدثت كعبا فقال أنت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله قلت نعم قال لي مرارا فقلت أفأقرأ التوراة" .[33]

الحديث متفق عليه. رواه البخاري (4/ 156) ومسلم في (الزهد، ح/ 61) وأحمد (2/ 234) وشرح السنة (12/ 200).

قال القرطبي : واختلف العلماء في الممسوخ هل ينسل على قولين. قال الزجاج: قال قوم يجوز أن تكون هذه القردة منهم. واختاره القاضي أبو بكر بن العربي. وقال الجمهور: الممسوخ لا ينسل وإن القردة والخنازير وغيرهما كانت قبل ذلك، والذين مسخهم الله قد هلكوا ولم يبق لهم نسل، لأنه قد أصابهم السخط والعذاب، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام. قال ابن عباس: لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل. قال ابن عطية: وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أن الممسوخ لا ينسل ولا يأكل ولا يشرب ولا يعيش أكثر من ثلاثة أيام. قلت: هذا هو الصحيح من القولين. وأما ما احتج

---

[33] ص 67

به ابن العربي وغيره على صحة القول الأول. ولا حجة في شي منه. [34]. .. وأما قوله عليه السلام في حديث أبي هريرة: (ولا أراها إلا الفأر) وفي الضب: (لا أدري لعله من القرون التي مسخت) وما كان مثله، فإنما كان ظنا وخوفا لأن يكون الضب والفأر وغيرهما مما مسخ، وكان هذا حدسا منه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه أن الله لم يجعل للمسخ نسلا، فلما أوحي إليه بذلك زال عنه ذلك التخوف، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ، وعند ذلك أخبرنا بقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن القردة والخنازير: هي مما مسخ؟ فقال: (إن الله لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك (. وهذا نص صريح صحيح رواه عبد الله بن مسعود أخرجه مسلم في كتاب القدر. وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكر، فدل على صحة ما ذكرنا. وبالله توفيقنا. وروي عن مجاهد في تفسير هذه الآية أنه إنما مسخت قلوبهم فقط، وردت أفهامهم كأفهام القردة. ولم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم، والله أعلم.[35]

قال الطاهر بن عاشور : وقد تأوله ابن عطية وابن رشد في «البيان» وغير واحد من العلماء بأن هذا قاله النبيء صلى الله عليه وسلم عن اجتهاد قبل أن يوقفه الله على أن الممسوخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام ولا يتناسل كما هو صريح حديث ابن مسعود، قلت: يؤيد هذا أنه قال عن اجتهاد

قوله: «ولا أراها» . ولا شك أن هاته الأنواع من الحيوان موجودة قبل المسخ وأن المسخ إليها دليل على وجودها ومعرفة الناس بها.[36]

قال احمد بن اسماعيل الكوراني : هنا إخبار لم يكن عن وحيٍ، وإنما استدل على ذلك بأنها لم تشرب ألبان الإبل؛ لأنها كانت محرَّمة على بني إسرائيل، ولما علم وحيًا أخبر به جزمًا، كما في رواية مسلم، فلا إشكال.[37]

[3434] 440-441/1

[35] الجامع لاحكام القرآن 442-443

[36] التحرير و التنوير 545/1 الدار التونسية للنشر

[37] الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري221/6

المؤلف: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى 893 هـ

المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية .الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م

الفهرس

مقدمات

بين العقل و النص 10

باحث مبتدئ و مئات الأحاديث المنتقدة ! 23

هل فعلا جهد سنوات ؟ 24

عقلانيون أم راونديون جدد ؟ 27

الباب الأول نقد شبهات أيلال حول السنة

نقد دعوى منع الرسول الكريم من تدوين حديثه 46

القول الحثيث في نقد فصل " أنصار الحديث يخالفون الحديث " 103

زلات أيلال الفاضحات و براءة السلف الواضحات 113

نقد جهالات أيلال في فصل السنة قاضية على القرآن 132

نقد أكذوبات أيلال في فصل السنة ناسخة للقرآن 146

حرب أعداء السنة على السنة لا حرب المرويات 160

الباب الثاني نقد جهالات أيلال في علم الحديث

نقد جهالات أيلال في تعريف الحديث 168

جهالات أيلال في علم الحديث 186

نقد شبهات أيلال حول الرواية بالمعنى 191

تفنيد شبهات أيلال حول علم الجرح و التعديل 222

شروط أيلال لقبول كتب الحديث 240

الباب الثالث نقد مطاعن أيلال حول الصحابة

هل في الصحابة منافقين 245

في رحاب سورة التوبة 254

هل أهمل الصحابة دفن النبي 266

مطاعن أيلال في أبي هريرة 273

الباب الرابع تفنيد مطاعن أيلال حول الإمام البخاري

لماذا الهجوم على البخاري 281

هل البخاري معصوم ؟ 284

استهزاؤه من اطلاق العلماء لقب أمير المؤمنين على البخاري ... 289

ادعاء أيلال أن فارسية البخاري مانعة له من تأليف كتابه 291

اتهام البخاري بالتدليس 298

اتهام البخاري في دينه و عقيدته 300

ادعاؤه أن البخاري متروك و مجروح الحديث 301

هل ذم ابن المديني تلميذه البخاري ؟ 328

البخاري و بولس النصراني 330

سيرة أفعال و أعمال لا سيرة أحلام 332

الكذب على العلماء 336

الطعن في روايات تأليف البخاري لكتابه 339

الطعن في حفظ البخاري 344

البخاري سيء الحفظ ! 352

التكذيب بالمدة التي ألف فيها البخاري كتابه 356

استخارة و صلاة البخاري قبل كتابة الحديث 363

الباب الخامس رد مطاعن أيلال حول الجامع الصحيح

ابن حجر و صحيح البخاري 365

تفنيد شبهات أيلال حول اختلاف النسخ 402

تفنيد شبهات أيلال حول نسخة منجانا 408

خطيئة لا خطأ 415

أين هي نسخة البخاري الأصلية ؟ 423

تواتر الجامع الصحيح 429

الطعن في الإجماع على صحة الجامع الصحيح 435

نظرة على انتقادات بعض العلماء للصحيحين 449

الباب السادس تفنيد شبهات و مطاعن أيلال حول أحاديث الصحيح

رد الحديث بدعوى إساءته للرسول 476

رد الحديث بدعوى مخالفته للقرآن الكريم 545

رد الحديث بدعوى مخالفتها للعلم و الواقع 593

رد الحديث بدعوى اساءتها للمرأة 606